

✽ المجلد الثالث من التفسيرين المجمعين ✽

✽ المسبوك عليهما سطور الذهب بسبك اللجين ✽

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام
الحبر النحرير حاوي فضيلتي البيان والبيان في التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات
وموضع دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلي أفضل الوري
علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة
شيخ ديار الجهم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحد عصره القاضي
ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة
(٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثاني المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة
والائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم
البغدادى الصوفى الشافعي المعروف بالخازن فرغ من تأليفه
سنة (٧٢٥) تقمده الله برجته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين * الاول المسمى بمدارك التنزيل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن
محمد التسنفي الحنفي المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان
الثاني تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى
الشافعي المتوفى سنة (٨١٧)

تنبه

يقول المتوصل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة
اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل
تحتها مفصولا بينهما بمجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق
الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بمجدول

- ﴿ فهرست الجلد الثالث من التفسيرين الجليلين ﴾ الاول ﴿
- ﴿ المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل ﴾ الثاني المسمى ﴿
- ﴿ بلباب التأويل في معاني التنزيل ﴾

﴿ تفسير سورة الانفال ﴾

٢

- ٥ تفسير قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية
- ٦ عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة الحديث
- ٧ بيان اختلاف العلماء هل يجوز ان يقول انما مؤمن حقا أم لا وبيان استدلالهم
- ٨ عن ابي هريرة ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام الحديث
- ٠٠ عن ابي سعيد ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا الحديث
- ١١ تفسير قوله عز وجل (واذ بعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) الآية
- ١٣ عن انس ان عمر بن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
- ١٤ تفسير قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني مدمكم) الآية
- ١٥ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل الحديث
- ٢٠ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) الآية

﴿ فصل في حكم هذه الآية ﴾

٢١

- ٢٢ تفسير قوله عز وجل (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) الآية
- ٢٣ عن عبدالرحمن بن عوف اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت الخ
- ٢٤ عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل الخ
- ٠٠ عن عبدالله بن مسعود مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت الخ
- ٢٥ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد الخ
- ٢٧ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا استحيوا لله ولرسوله اذا دعاكم) الآية
- ٠٠ عن ابي سعيد بن الملقى قال كنت اصلي في المسجد فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٨ تفسير قوله عز وجل (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) الآية
- ٠٠ عن عبدالله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب الحديث
- ٢٩ عن ابي هريرة ستكون فاعاد فيها خير من القائم الحديث
- ٣٠ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تحونوا الله والرسول) الآية
- ٣١ تفسير قوله عز وجل (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) الآية
- ٣٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا) الآية
- ٢٣ بيان هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة
- ٣٥ تفسير قوله عز وجل (واذ تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونها لقلنا مثل هذا) الآية
- ٣٦ تفسير قوله عز وجل (وما كنا لننسى الله ليعذبهم وانت فيهم) الآية

﴿ الجزء العاشر ﴾

٤٤

- ٥٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا القيم فئة فابتواواذكروا الله كثيرا) الآية
 ٥٣ عن عبدالله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه الخ
 .. عن ابي هريرة لا تمنوا لقاء العدو والحديث
 ٥٤ تفسير قوله عز وجل (واذرين لهم الشيطان اعمالهم) الآية
 ٥٦ تفسير قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) الآية
 ٦١ تفسير قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون) الآية

❖ وههنا نضع احاديث ❖

- ٠٠ الاول : عن ابي اسيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الخ
 ٦٢ الثاني : عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سفتح الحديث
 .. الثالث : عن ققيم اللخمي قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين الخ
 .. الرابع : عن ابي نجيح السلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ الحديث
 .. الخامس : عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم الخ
 ٦٣ السادس : عن عمرو بن الجعد البارقى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل الحديث
 .. السابع : عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الحديث
 .. الثامن : عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتسب في سبيل الله الحديث
 .. التاسع : عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل الحديث
 ٦٦ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الآية
 ٦٨ تفسير قوله عز وجل (ما كان لني ان تكون له اسرى) الآية

❖ فصل ❖

- ٧٠ قد استدل بهذه الآية من يقدر في عصاة الانبياء الخ
 ٧٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى) الآية
 ٧٥ تفسير قوله عز وجل (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) الآية

❖ تفسير سورة التوبة ❖

❖ فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية ❖

❖ في اول هذه السورة ❖

❖ فصل ❖

- ٨١ قديتوهم متوهم ان في بعث على بن ابي طالب بقراءة اول براءة عزل ابي بكر الخ
 ٨٣ تفسير قوله عز وجل (ان الله بري من المشركين ورسوله) الآية
 ٨٨ تفسير قوله عز وجل (فان تابوا وقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) الآية
 .. عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر الخ
 ٩٢ تفسير قوله عز وجل (ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله) الآية
 ٩٣ تفسير قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية
 ٩٤ عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد الحديث

- ٠٠ عن عثمان بن عفان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني الله مسجدا الحديث
 ٠٠ عن النعمان بن بشير كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما بالي الخ
 ٩٥ عن ابن عباس لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى الخ
 ٠٠ عن بكر بن عبدالله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة الخ
 ٩٦ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم و اخوانكم اولياء) الآية
 ٩٨ تفسير قوله عز وجل (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين)

﴿ تفصيل قصة حنين ﴾

- ١٠٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) الآية
 ١٠٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخر جن الحديث
 ٠٠٠ عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد بئس الحديث
 ١٠٥ تفسير قوله عز وجل (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) الآية

﴿ فصل في بيان احكام الآية ﴾

- ١٠٨ تفسير قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية
 ١١٢ تفسير قوله عز وجل (وبأبي الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) الآية
 ٠٠٠ عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار الحديث
 ١١٣ تفسير قوله عز وجل (والذين يكتزون الذهب والفضة) الآية
 ١١٤ عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بأبي ذرقلت ما نزلك الخ
 ١١٥ عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد ذكاه الحديث
 ١١٦ عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة الخ
 ١١٧ تفسير قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) الآية
 ١١٨ عن ابي بكر امة النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله الحديث
 ١١٩ تفسير قوله عز وجل (وقاتلوا المشركين كافة كما قاتلواكم كافة) الآية
 ١٢١ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) الآية
 ١٢٣ تفسير قوله عز وجل (ألا تنصروه فقد نصره الله اذا خرج الذين كفروا
 ثانياً اثنتين) الآية

١٢٤ عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في النار الخ

﴿ ذكر سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخارى ﴾

﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾

﴿ فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على ﴾

﴿ فضل سيدى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

- ١٣١ تفسير قوله عز وجل (وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) الآية
 ١٣٢ تفسير قوله عز وجل (عفا الله عنك لم اذنت لهم) الآية

﴿ فصل ﴾

- استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه
- ١٣٦ تفسير قوله عز وجل (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة) الآية
- ١٣٩ تفسير قوله عز وجل (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) الآية
- ١٤٠ عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
- ١٤١ تفسير قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية
- ٠٠٠ ﴿ فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى ﴾
- في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرافها الى المحتاجين من الناس الخ
- ١٤٢ المسئلة الثانية ﴿ في ان الآية تدل على انه لاحق لاحد في الصدقات الخ
- ٠٠٠ المسئلة الثالثة ﴿ في بيان الاصناف الثمانية الاول الفقراء والثاني المساكين الخ
- ١٤٤ الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها)
- ٠٠٠ الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم)
- ١٤٥ الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب)
- ١٤٦ الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين)
- ٠٠٠ الصنف السابع قوله سبحانه وتعالى (وفي سبيل الله)
- ٠٠٠ الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل)
- ١٤٧ المسئلة الرابعة ﴿ في احكام متفرقة تتعلق بالزكاة الخ
- ١٤٨ تفسير قوله عز وجل (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) الآية
- ١٥٠ تفسير قوله عز وجل (ألم يعلموا انه من محاد الله ورسوله فان له نار جهنم) الآية
- ١٥٣ تفسير قوله عز وجل (المنافقون والمناققات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر) الآية
- ١٥٦ تفسير قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) الآية
- ١٥٧ تفسير قوله عز وجل (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) الآية
- ٠٠٠ عن عمران بن حصين وابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الخ
- ٠٠٠ عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن داره يعني دار الله الحديث
- ١٥٨ عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة الحديث
- ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم)
- ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول الحديث
- ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (يا ايها النبي جاهدا لكفار و المنافقين) الآية
- ١٦٢ تفسير قوله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية
- وبيان امتناع التعلبة من الزكاة
- ١٦٤ عن ابي هريرة آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا تمن خان
- ٠٠٠ عن عبد الله بن عمرو و اربع من كن فيه كان منافقا خالصا الحديث
- ١٦٥ تفسير قوله عز وجل (ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم) الآية
- ٠٠٠ عن ابي مسعود البدرى قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل الخ
- ١٦٦ تفسير قوله عز وجل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة) الآية
- ١٦٧ عن ابن عمر قال ماتوا في عبد الله يعني ابن ابي بن سلول جاء ابنه الخ

- ١٦٨ تفسير قوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) الآية
 عن ابي هريرة لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
 ١٦٩ عن انس يا ايها الناس ابكوا فانكم تستطيعون ان تبكوا فبأبكوا الحديث
 ٢٠٠ تفسير قوله عز وجل (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) الآية
 ١٧٠ عن عمر بن الخطاب لامات عبد الله بن ابي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ

فصل

قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المناقح الخ

الجزء الحادى عشر

- ١٨٠ تفسير قوله عز وجل (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار)
 وبيان اختلاف العلماء في السابقين الاولين الخ
 ١٨٥ تفسير قوله عز وجل (والذين اتبعوهم باحسان)
 ٢٠٠ عن عمران بن حصين خير الناس قرني ثم الذين يلونهم الحديث
 ٢٠٠ عن ابي سعيد الخدرى لانسبوا اصحابي فلوان احدا الحديث
 ١٨٩ تفسير قوله عز وجل (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيم بها) الآية
 وبيان سبب نزولها على وجه التفصيل
 ١٩١ عن ابي هريرة ما تصدق احدكم بصدقة من كسب حلال طيب الحديث
 ١٩٣ تفسير قوله عز وجل (والذين اتخذوا مسجدا ضارا او كفرا) الآية
 ١٩٦ تفسير قوله عز وجل (لمسجد اساس على التقوى من اول يوم) الآية
 ٢٠٠ عن ابي هريرة ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة الحديث
 ٢٠٠ عن عبد الله بن زيد ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
 ٢٠٠ عن ام سلمة ان قوائم منبري هذاراتب الجنة
 ١٩٩ تفسير قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم) الآية
 ٢٠٠ تفسير قوله عز وجل (التائبون) الآية
 ٢٠٢ تفسير قوله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستمفروا للمشركين ولو
 كانوا اولى قربى) الآية
 وبيان اختلاف المفسرين في سبب نزولها وقال قوم نزلت في شأن ابي طالب عم النبي صلى الله
 عليه وسلم والله على وفيه ذكر احاديث في وعدم ايمانه والله اعلم بحقيقة الحال
 ٢٠٧ تفسير قوله عز وجل (لقد تاب على النبي والمهاجرين والانصار) الآية
 ٢٠٩ بيان حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه

شرح غريب هذا الحديث

- ٢١٢
 ٢١٤ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) الآية
 ٢١٦ تفسير قوله عز وجل (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا) الآية
 ٢٠٠ عن سهل بن سعد الساعدي رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها
 ٢١٧ عن ابي هريرة تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا الحديث

- ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدرى اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل الخ
 ٠٠٠ عن ابي هريرة من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً بالله الحديث
 ٠٠٠ عن ابن عباس ما عبرت قدما عبد في سبيل الله فتسمه النار
 ٠٠٠ عن ابي مسعود الانصارى البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الخ
 ٠٠٠ عن خريم بن فاتك من اتفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سعمائة ضعف
 ٢١٨ تفسير قوله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) الآية
 عن معاوية من برد الله به خيرا فقهه في الدين الحديث
 ٢٢٠ عن ابي هريرة تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية الحديث
 ٠٠٠ عن ابن عباس فقيه واحد اشد على الشيطان الحديث
 ٠٠٠ عن ابي امامة فضل العالم على العابد كفضلي على ادانا كم الحديث
 ٠٠٠ عن ابي هريرة من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث
 ٠٠٠ عن انس من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الحديث
 ٠٠٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل الحديث
 ٢٢٣ تفسير قوله عز وجل (لقد جاءكم رسول من انفسكم) الآية
 عن ابي هريرة بعثت من خير قرون نبى آدم قرنا فقرنا الحديث
 ٠٠٠ عن وائلة بن الاسقع ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل الحديث
 ٠٠٠ عن العباس بن عبد المطلب قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون الخ
 ٢٢٤ ﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾
 ٢٣١ تفسير قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) الآية
 عن ابي هريرة اللهم انى اتخذت عندك عهدا لن تخلفينه فانما انا بشر الحديث
 ٢٣٥ عن ابي سعيد الخدرى ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها الحديث
 ٢٣٦ تفسير قوله عز وجل (قل لو شاء الله ما تلوثه عليكم ولا ادراكم) الآية
 عن ابن عباس انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة الخ
 ٠٠٠ عن عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة
 ٠٠٠ عن انس قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابوبكر الخ
 ٠٠٠ عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن سمعت انس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
 وبيان اختلاف العلماء في عمره صلى الله عليه وسلم
 ٢٣٩ تفسير قوله عز وجل (وما كان الناس الامة واحدة فاختلّفوا) الآية
 ٢٣٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الناس اتقوا الله على انفسكم) الآية
 ٢٤٥ تفسير قوله عز وجل (والله يدعوا الى دار السلام) الآية
 ٢٤٦ عن جابر جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهونائم فقال بعضهم الخ
 ٠٠٠ عن النواس بن سمعان ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما الحديث
 ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) الآية
 ٠٠٠ بيان اختلاف العلماء وفي معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال
 القول الاول: ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجهه الكريم
 ونقل الدليل المنقول والمقول على صحة هذا القول الخ
 ٢٤٨ القول الثانى: في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن ابي طالب الخ
 ٠٠٠ القول الثالث: ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الخ

٠٠٠ القول الرابع: ان الحسنى حسنة مثل حسنة الخ

- ٢٥١ تفسير قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) الآية
 ٢٥٣ تفسير قوله عز وجل (قل الله يهدي للحق فمن يهدي الى الحق احق) الآية
 ٢٥٦ تفسير قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ووربك اعلم بالمفسدين) الآية
 ٢٦٣ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور) الآية
 ٢٦٦ تفسير قوله عز وجل (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الآية
 وبيان اختلاف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم الخ
 ٢٦٨ تفسير قوله عز وجل (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) الآية
 وبيان معنى البشرى بالدليل النقلى والعقلى على وجه التفصيل
 ٢٧٢ تفسير قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ نوح) الآية
 ٢٧٥ تفسير قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) الآية
 ٢٧٨ تفسير قوله عز وجل (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا) الآية
 ٢٨١ تفسير قوله عز وجل (وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده) الآية
 ٢٨٢ تفسير قوله عز وجل (الآن وقد عصيت قبل وقد كنت من المفسدين) الآية
 ٠٠٠ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما غرق لله فرعون قال آمنت الحديث
 ٢٨٣ فصل في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر

مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح

- فصل: ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازى في تفسيره
 ٢٨٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) الآية
 ٢٨٩ تفسير قوله عز وجل (فلولا كانت قرية آمنت فنقمها ايمانها الا قوم يونس) الآية
 ٢٩٠ ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود

وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم

- ٢٩٥ تفسير قوله عز وجل (قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) الآية
 ٢٩٦ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام

الجزء الثاني عشر ٣٠٢

- ٣٠٣ عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقى الخ
 ٠٠٠ عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه الخ
 ٣٠٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض الحديث
 ٣٠٩ تفسير قوله عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها) الآية
 ٣١٠ عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الحديث
 ٠٠٠ عن ابن عمر من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله الحديث
 ٠٠٠ عن ابي هريرة من تعلم علما ما بينتى به وجه الله الحديث

- ٣١١ عن ابي هريرة تعوذوا بالله من جب الحزن الحديث
 ٠٠٠ قال البغوي ورويان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر الحديث
- ٣١٣ تفسير قوله عز وجل (ومن اعظم من افترى على الله كذبا) الآية
 ٣١٤ عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت الح
- ٣١٥ تفسير قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم) الآية
 ٣١٦ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين) الآية
- ٣١٩ **فصل**
 استدلال بعضهم بهذه الآية يعني (ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك) على تفضيل
 الملائكة على الانبياء الح
- ٣٣١ **فصل**
 وقد استدلت بهذه الآية يعني (فلا تستلن ما ليس لك به علم) من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان
 قوله (انه عمل غير صالح) المراد منه السؤال وهو محظور فلهدانها عنه الح
- ٣٣٣ تفسير قوله عز وجل (والى ماد اخاهم هوذا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية
 ٤٣٧ تفسير قوله عز وجل (والى عمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله) الآية
 ٣٤٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) الآية
 ٣٤٥ تفسير قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطاسى بهم وضاق بهم ذرعا) الآية
 ٣٥٠ تفسير قوله عز وجل (والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم) الآية
 ٣٥٧ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين) الآية
 ٣٦٢ تفسير قوله عز وجل (فاما الذين شقوا فني النار لهم فيها فيرو شهيق) الآية
- فيها عمرة اهاديت فلير اجمع**
- ٣٦٦ تفسير قوله عز وجل (فاستقم كما امرت) الآية
 ٣٦٧ عن سفيان بن عبدالله الثقفي قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قول لا الخ
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الحديث
- ٣٦٨ تفسير قوله عز وجل (واقم الصلوة طر في النهار) الآية
 ٠٠٠ عن عبدالله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبله
 ٠٠٠ عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارأيت رجلا الخ
 ٣٦٩ عن ابي هريرة الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات الحديث
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ارأيت لوان نهر ابياب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات الحديث
 ٠٠٠ عن جابر مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر الحديث
- ٣٧١ تفسير قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) الآية
 ٠٠٠ عن ابي هريرة تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة الحديث
 ٠٠٠ عن معاوية ألان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا الحديث
- ٣٧٢ تفسير قوله عز وجل (وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) الآية
- ٣٧٤ **تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام**
 ٣٧٧ تفسير قوله عز وجل (قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك) الآية

- ٣٧٨ عن ابي قتادة قال كنت ارى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
 ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدري اذا رأى احدكم الرؤيا يجيها فانها من الله الحديث
 ٠٠٠ عن جابر اذا رأى احدكم الرؤيا يكرها فليصق الحديث
 ٠٠٠ عن ابي رزين العقيلي رؤيا المؤمن جزء من اربعين الحديث

٣٨٤ ﴿ ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام ﴾

- ٣٨٨ تفسير قوله عز وجل (وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه) الآية
 ٣٩٣ تفسير قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) الآية
 والكلام عليها في مقامين * الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الآية
 ٣٩٤ المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة الخ
 ٤٠٠ تفسير قوله عز وجل (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) الآية
 ٤٠٥ تفسير قوله عز وجل (ودخل معه السجن فتيان قال احدهما) الآية
 ٤١١ تفسير قوله عز وجل (فلبث في السجن بضع سنين) الآية

٤٢٠ ﴿ الجزء الثالث عشر ﴾

- ٤٢١ تفسير قوله عز وجل (وقال الملك استوني به استخلصه لنفسى) الآية
 ٤٣١ تفسير قوله عز وجل (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد) الآية
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق
 ٠٠٠ عن ابن عباس العين حق ولو كان شيء سابق القدر الحديث
 ٠٠٠ عن عائشة قالت كان يؤمر العائش فيتوضأ ثم يغتسل الحديث
 ٤٣٣ تفسير قوله عز وجل (ولما دخلوا على يوسف أوى اليه اخاه) الآية
 ٤٣٩ تفسير قوله عز وجل (قالوا يا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا) الآية
 ٤٤٧ تفسير قوله عز وجل (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) الآية
 ٤٥٣ تفسير قوله عز وجل (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) الآية
 ٤٦١ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) الآية

٤٦٥ ﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

- ٤٧٣ تفسير قوله عز وجل (سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل) الآية
 ٤٧٤ عن ابي هريرة يتماقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث
 ٤٧٥ تفسير قوله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) الآية

٤٨١ ﴿ فصل ﴾

- وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة الخ
 ٤٨٢ عن ابي موسى الاشعري ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم الحديث
 ٤٨٦ تفسير قوله عز وجل (للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له) الآية
 ٤٨٧ تفسير قوله عز وجل الذين يوفون بعهدهم ولا ينقضون الميثاق) الآية

﴿ في مستها حديث ﴾

- ٠٠٠ الاول : عن عبد الرحمن بن عوف قال تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن الحديث

- ٥٠٠ الثاني: عن عائشة الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله الحديث
 ٥٠٠ الثالث: عن ابي هريرة من سره ان يبسط في رزقه وان ينسأله في اثره الحديث
 ٥٠٠ الرابع: عن جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع
 ٥٠٠ الخامس: عن عبدالله بن عمرو بن العاص ليس الواصل بالمكافى الحديث
 ٥٠٠ السادس: عن ابي هريرة تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم الحديث
 ٤٨٩ تفسير قوله عز وجل (ويدرون بالحسنة السيئة) الآية
- ﴿ وفيه حديث فليراجع ﴾
- ٤٩٢ تفسير قوله عز وجل (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) الآية
- ﴿ وفيه عدة احاديث فليراجع ﴾
- ٥٠٠ تفسير قوله عز وجل (واقدرنا رسلا من قبلك وجعلناهم ازواجا وذرية) الآية
 ٥٠١ عن حذيفة بن اسيد اذا امر بالنطفة ثنان واربعون ليلة الحديث
 ٥٠٠ عن ابن مسعود ان خلق احدكم يجمع في بطن امه نطفة اربعين يوما الحديث
 ٥٠٢ عن ابي الدرداء ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل الحديث
- ٥٠٣ فصل
- استدلّت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية (عحوالله مايشاء) الآية
 ٥٠٤ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان الله لا يقبض العلم انتزاعا الحديث
- ٥٠٦ تفسير سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
- ٥٠٨ تفسير قوله عز وجل (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الآية
 ٥١٥ تفسير قوله عز وجل (وقال الذين كفروا لرسلم لنخرجكم من ارضنا) الآية
 ٥٢٠ تفسير قوله عز وجل (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدهم وعدالحق) الآية
 ٥٢٢ تفسير قوله عز وجل (ألتم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) الآية
 ٥٢٣ عن ابن عمر كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة الخ
 ٥٢٤ تفسير قوله عز وجل (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) الآية
- ﴿ وفيه ست احاديث ﴾
- ٥٢٥ الاول: عن ابن عازب ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد الحديث
 ٥٢٦ الثالث: عن ابي هريرة اذا قبر الميت اتاه ملكان الحديث
 ٥٢٧ الرابع: عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار الخ
 ٥٢٨ الخامس: عن عثمان بن عفان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت الخ
 ٥٢٩ السادس: عن عبدالرحمن بن ثمامة قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت الخ
 ٥٢٧ تفسير قوله عز وجل (الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) الآية
 ٥٢٨ تفسير قوله عز وجل (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم) الآية
 ٥٣٠ تفسير قوله عز وجل (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظالم كفار) الآية

٥٣٢ تفسير قوله عز وجل (ربنا انى اسكنت من ذرى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) الآية

عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل الخ

٥٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) الآية

٥٤١ تفسير قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) الآية

﴿ فيه بحث فى معنى هذا التبديل ﴾

٥٤٣ تفسير قوله عز وجل (وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد) الآية

٥٤٦ الجزء الرابع عشر

تفسير سورة الحجر

٥٤٩ تفسير قوله عز وجل (وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكرا تكلم بالحق) الآية

٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين) الآية

٥٥٢ تفسير قوله عز وجل (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين) الآية

٥٥٣ عن ابى هريرة اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها الحديث

فصل

٥٥٥ تفسير قوله عز وجل (والارض مددناها والقينا فيها رواسى) الآية

٥٥٧ عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى

اسألك الحديث

٥٥٨ تفسير قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) الآية

٥٥٩ تفسير قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) الآية

٥٦٠ تفسير قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال

من حمأ مسنون) الآية

٥٦٥ تفسير قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات وعيون) الآية

٥٦٦ تفسير قوله عز وجل (نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو

العذاب الاليم) الآية

٥٧٣ عن ابى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى

خلق الرحمة يوم خلقها الحديث

٥٧٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد كذب احباب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا) الآية

٥٧٤ تفسير قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) الآية

وبيان اقوال الصحابة فى المثانى وسرد دليلهم على وجه التفصيل

٥٧٦ تفسير قوله عز وجل (لا تمدن عينيك الى ما متعناه ازواجا منهم) الآية

٥٧٧ عن ابى هريرة لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق الحديث

٥٧٨ عن ابى هريرة اذا نظرا حدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى اسفل منه

تفسير قوله عز وجل (الذين جعلوا القرآن عضين) الآية

٥٧٩ تفسير قوله عز وجل (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) الآية

٥٨١ تفسير سورة النحل

٥٨٥ تفسير قوله عز وجل (واخيل والبغال والحمير لتركبوها) الآية

فصل

احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل الخ

٥٨٩ تفسير قوله عز وجل (وهو الذي سخّر البحر لنا لئلا نكلوا منه لحماطريا) الآية

٥٩١ تفسير قوله عز وجل (أفمن يخلق كمن لا يخلق) الآية

٥٩٢ تفسير قوله عز وجل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الآية

٥٩٣ تفسير قوله عز وجل (اللهم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) الآية

٥٩٤ عن ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر الحديث

٥٩٥ عن أبي هريرة من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه الحديث

٥٩٧ تفسير قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) الآية

٦٠٣ تفسير قوله عز وجل (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) الآية

٦٠٥ تفسير قوله عز وجل (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) الآية

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن الخ

٦١٢ تفسير قوله عز وجل (واذا بشر احدكم بالاثى ظل وجهه) الآية

٦١٣ تفسير قوله عز وجل (ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها) الآية

٦١٤ تفسير قوله عز وجل (نال الله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) الآية

٦١٧ تفسير قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكر او رزقا حسنا) الآية

٦١٨ تفسير قوله عز وجل (واوحى ربك الى النخل) الآية

٦٢٠ تفسير قوله عز وجل (فيه شفاء للناس) الآية

وبيان اختلاف العلماء في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص الخ

٦٢٢ تفسير قوله عز وجل (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارضل العمر) الآية

٠٠٠ عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل الحديث

٦٢٣ تفسير قوله عز وجل (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) الآية

٦٢٥ تفسير قوله عز وجل (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منارزقا

حسنا) الآية

٦٢٧ تفسير قوله عز وجل (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيا) الآية

٦٣١ تفسير قوله عز وجل (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) الآية

٦٣٤ تفسير قوله عز وجل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى) الآية

٦٣٥ تفسير قوله عز وجل (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) الآية

- ٦٣٧ تفسير قوله عز وجل (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) الآية
- ٦٣٨ تفسير قوله عز وجل (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية
- ٦٣٩ تفسير قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الآية
٠٠٠ عن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الخ
- ٦٤٣ تفسير قوله عز وجل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكرهه وقلبه مطمئن بالايمان) الآية
- ٦٤٤ فصل في حكم الآية
- ٦٤٦ تفسير قوله عز وجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) الآية
- ٦٤٧ تفسير قوله عز وجل (وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) الآية
٠٠ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة الخ
- ٥٥٠ تفسير قوله عز وجل (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) الآية
- ٦٥٤ تفسير قوله عز وجل (انما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه) الآية
- ٦٥٦ تفسير قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية
- ٥٦٧ تفسير قوله عز وجل (وان عاقبتهم فمما عاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الآية
- ٦٥٨ فصل
- اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا الخ

معارف نظارت مجلس سناك (٢٥٣) و (٦٣٣) نومر ولربني مادی

رضعتنام سيد مطبعة عامره ده

طبع اولنشر

الجلد الثالث

اللهم انصرنا يا خير الناصرين

* سورة الانفال مدنية وآيات وسبعون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

يستلوك عن الانفال * أى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنمة نفل لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه

* تفسير سورة الانفال *

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بحكمة وهى من قوله سبحانه وتعالى واذ يعرك بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهى خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله سبحانه وتعالى يستلوك عن الانفال * (ق) عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا ففسر الشبان وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثروا به علينا فانا كنا نردأ لكم ولو انكسقم انكسقم الينا فقتلوا فانزل الله عز وجل يستلوك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو اليسر بن عمرو الانصارى أخو بنى سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا

سورة الانفال

مدنية وهى خمس

أوست أو سبع

وسبعون آية

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(يستلوك عن الانفال)

ومن السورة التى يذكر

فيها الانفال وهى كلها

مدنية غير قوله يا أيها النبي

حسبك الله ومن اتبعك

من المؤمنين فانها نزلت

بالبيداء فى غزوة بدر قبل

القتال آياتها ست وتسعون

وكلماتها ألف ومائة وثلاثون

وحروفها خمسة آلاف

ومائتان واربع وتسعون

حرفا

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

وباسناده عن ابن عباس

فى قوله تعالى يستلوك عن الانفال يقول يسألك أصحابك الغنائم يوم بدر وعن صلة

(فله)

فله كذا وكذا وانا قد قتلنا سبعين وأسرونا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما نمنع ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو لكن كرهنا ان تعمرى مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصديونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنمية دون ذلك فان تعطف هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبر شئ فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحاق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هولنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما أصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما أنتم باحق منا فنزلت هذه الآية ﴿وروى مكحول عن أبي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا عشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا ﴿عن براء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين ﴿وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفي صدرى من المشركين أو نحو هذا لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائى فجاءنى الرسول فقال انك سألتنى وليس لي وانه قد صار لي وهولك فنزلت يسئلونك عن الانفال الآية أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنمية عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنى هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فانطلقت به حتى أردت أن ألقيه في القبر لامتنى نفسى فرجعت اليه فقلت أعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث أخذته فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ وما أصاب سرايا المسلمين من سبي أتوبه فن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول ﴿وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الانفال استفتاء يعنى يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لاسؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال أى من الانفال وعن يعنى من وقيل عن صلة أى يسئلونك الانفال والانفال هى الغنائم فى قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت الغنائم أنفالا لزيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص وأكثرا المفسرين على انها نزلت فى غنائم بدر وقال عطاء هى ماشد عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو امرأة أو متاع فهو للنبي صلى الله عليه

قل الانفال لله والرسول) النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم وتند وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فساألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان غنائم بدر تقسم بين المسلمين في غنائم بدر انما كيف ﴿٤﴾ تقسم ولما حكم في قسمتها للمهاجرين أم

للا نصار أم لهم جميعا فقل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله بأمر الله يقسمها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا الى رأى أحد (فاتقوا الله) في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله (وأصلحوا ذات بينكم) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أى فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا ياه عشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فترعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمه بين المسلمين على (قل) يا محمد لهم

﴿٤﴾ قل الانفال لله والرسول ﴿٤﴾ أى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انما كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينقله ففسارح شبانهم حتى تناووا سبعة وسبعة من طلبوا انفسهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردألكم وقتة نتجازون اليها فبذات فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يوزم الامام ان يقي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قل لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ايس هذا ولالك اطرحه في القبض فطرحته وبى ما لا يلزم الا الله من قتل اخى واخذ سبى فجاوزت الا قبلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سألتى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذوه وقرى يسئلونك عن انفال محذوف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها * ويسئلونك الانفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم ﴿٤﴾ فاتقوا الله ﴿٤﴾ في الاختلاف والمشاجرة ﴿٤﴾ واصلحوا ذات بينكم ﴿٤﴾ الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وسلم يصنع فيه ما يشاء ﴿٤﴾ قل الانفال لله والرسول ﴿٤﴾ أى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمها كيف شاء واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شئ فان لله خمسة وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولما شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع أنبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقال عبدالرحمن بن زيد انها محكمة وهى احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شئ فان لله خمسة وللرسول الآية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا شئ عشر بغير او نفلنا بغير ابعير اخرجناه في الصحيين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللإمام أن ينقل من شاء من الجيش ما شاء قبل الخمس ﴿٤﴾ فاتقوا الله ﴿٤﴾ يعنى اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واركوا المنازعة والتخاصم في الغنائم ﴿٤﴾ واصلحوا ذات بينكم ﴿٤﴾ أى اصلحوا الحال في ما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسامحوا الى الله رسوله

(الانفال لله والرسول) الغنائم يوم بدر لله وللرسول ليس لكم فيه شئ ويقال لله وامر الرسول فيه جائز . (واطيعوا) (فاتقوا الله) في أخذ الغنائم (واصلحوا ذات بينكم) ما بينكم من المخالفة فليؤد الغنى الى الفقير والقوى الى الضعيف والشاب

وتسليم امره الى الله والرسول ﴿واطيعوا الله ورسوله﴾ فيه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان يقتضى ذلك أو ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والالتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ﴿انما المؤمنون﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل بهم بمعصية فيقال له اتق الله فيزنع عنها خوفا من عقابه * وقرىء وجلت بالفتح وهى لعنة وقرت أى خافت ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ لزيادة المؤمن به أو لطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص

﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيما يأمركم به وينهيكم عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده * قوله سبحانه وتعالى ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله فى الآيات المتقدمة ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين هذه الآيات صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولقطة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون فى ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله اتقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته فى ذكر الله * فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال فى آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لامنافاة بين هاتين الحالتين لان الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من تلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جما فى آية واحدة وهى قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل فى قلب المؤمن * ثم قال تعالى ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾ يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شئ من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين * الوجه الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه * الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما تلى عليهم من عند الله

السواء ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كاملي الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (واذا تليت عليهم آياته) أى القرآن (زادتهم ايمانا) اذدادوا بها يقينا وطمأنينة لان تظاهر الادلة أقوى

الى الشيخ (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) بالله والرسول (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله) اذا أمروا بأمر من قبل الله مثل أمر الصلح وغيره (وجلت) خافت (قلوبهم) واذا تليت (قرئت) عليهم آياته (فى الصلح) زادتهم ايمانا (يقينا) يقيناً بقلوب الله ويقال صدقا

للمداول عليه وأثبت لقدمه { الجزء التاسع } أوزادتهم إيماناً ﴿ ٦ ﴾ بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا

بأحكامها قبل (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الاياه (الذين يقيمون الصلوة وعمارزقناهم ينفقون) جم بين أعمال القلوب من الوجمل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون إيماناً حقا وهو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا سأله أئمة من أنت قال ان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله إيماناً المؤمنون الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا

ويقال تكبراً (وعلى ربهم يتوكلون) لاعلى الغنائم (الذين يقيمون الصلوة) يقيمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها فى مواقيتها (ومما رزقناهم) أعطيناها من الاموال

بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الاياه ﴿ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ﴾

ولما كانت التكاليف متوالية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمنا نجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الافرار تصديقا وإيماناً ومن المعلوم ان من صدق انساناً فى شئين كان أكبر ممن يصدقه فى شئ واحد فقوله تعالى وإذا تلئت عليهم آياته زادتهم إيماناً معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أنوا بأقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة فى إيمانهم واختلف الناس فى ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهى التصديق بالقلب والافرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم إيماناً صريح فى أن الايمان يقبل الزيادة واوكان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص * الوجه الثانى انه ذكر فى هذه الآية أوصافاً متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف داخلة فى معنى الايمان * وروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان أخر جاء فى الصحيحين فى هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقص قال عمر بن حبيب وكان له حجة ان للايمان زيادة ونقصاً ما قيل له فإزيادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان للايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسنننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه * واعلم ان المؤمن اذا كان وثاقاً بوعده الله ووعده كان من المتوكلين عليه لاعلى غيره وهى درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان بصير بحيث لا يبقى له اعتماد فى شئ من أمورهِ الاعلى الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث أعنى الوجمل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب * ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى ﴿ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها وأركانها فى أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة فى الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق فى أنواع البر والقربات * ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفاتهم * هم المؤمنون حقا * يعنى بقينا لا شك فى إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال

(ينفقون) يتصدقون فى طاعة الله ويقال يؤدون زكاة أموالهم (أولئك هم المؤمنون حقا) صدقناهم (فتادة)

لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلاة

ثم لم يشهد أحد من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أي كالا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع ذاته مؤمن حقا وبهذا يتثبت من يقول أنا مؤمن ان شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثن في ايمانك قال اتبعا لابراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أو لم تؤمن قال بلى وعن ابراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقا فان صدقت أثبت عليه وان كذبت فكفرك أشد من كذبك وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحد فقال ايش اسمك فقال أحد فقال أتقول أنا أحد حقا وأنا أحدان شاء الله فقال أنا أحد حقا فقال حيث سماك والدك لا تستثن وقد سماك الله في القرآن مؤمنا

قتادة استحقوا الايمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمنا حقا لان الله سبحانه وتعالى انما وصف بذلك أقواما مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه * وهذا يتعلق بمسئلة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلفوا في أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقا أم لا فقال أصحاب الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه الاولى أن يقول أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين * الاول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله * الوجه الثاني انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله أنا مؤمن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز * وقال أصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الاولى أن يقول الرجل أنا مؤمن ان شاء الله واحتجوا بصحة هذا القول بوجوده * الاول أن الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول أنا مؤمن ان شاء الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند أصحاب أبي حنيفة أن الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك * الوجه الثاني أن قولنا أنا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار روى ان أبا حنيفة قال لقتادة لم استثنيت في ايمانك فقال قتادة اتبعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أو لم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة أن يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليظمن قلبي فطلب من يد الظمأينة * الوجه الثالث ان الله سبحانه وتعالى ذكر في أول آية انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتبان بالصلاة كما امر الله سبحانه وتعالى واتباء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعني أن من أتى بجميع هذه الاوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد أن يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله وقال ابن أبي نجیح سألت رجلا الحسن فقال مؤمن أنت فقال الحسن ان كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فاناها مؤمن وان كنت

والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ﴿ومغفرة﴾ لما فرط منهم ﴿ورزق كريم﴾ أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ خبر مبتدأ محذوف

تستثنى (لهم درجات)
مراتب بعضها فوق بعض
على قدر الاعمال (عند ربهم
ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم
(ورزق كريم) صاف
عن كد الاكتساب وخوف
الحساب انكاف في (كما
أخرجك ربك) في محل
النصب على انه صفة لمصدر
الفعل المقدر والتقدير
قل الانفال استقرت لله
والرسول وثبتت مع
كراهتهم ثباتا مثل ثبات
اخراج ربك اياك من بيتك
وهم كارهون (من بيتك)
يريد بيت المدينة أو المدينة
نفسها لانها مهاجرة ومسكنه
فهى في اختصاصها
كاختصاص البيت لساكنته
(بالحق) اخراجا ملتبسا

(لهم درجات)
فضائل (عند ربهم)
في الآخرة (ومغفرة)
لذنوب في الدنيا (ورزق
كريم) ثواب حسن
في الجنة (كما أخرجك
ربك) امض يا محمد على
ما أخرجك ربك (من
بيتك) من المدينة
(بالحق) بالقرآن ويقال

سألتني عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري انماهم أم لا وقال علقمة كذا في سفر فلقينا قوم قتلنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فاردت عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم أمن أهل الجنة أنتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهدانه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر * الوجه الرابع ان قولنا أنما مؤمن ان شاء الله للتبرك للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق بأهل القبور * الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة * وأجاب أصحاب هذا القول وهم اصحاب الامام الشافعي رضى الله تعالى عنهم عن استدلال اصحاب أبي حنيفة رضى الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقينى فحصل الفرق بينهما * والجواب عن الوجه الثانى وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا بتلك الاوصاف الحمسة ولا يقدر أحد ان يأتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا ان من أتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿قوله عز وجل﴾ لهم درجات عند ربهم ﴿يعنى لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها بأعمالهم وقال الربيع ابن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضر سبعين سنة ﴿وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذى ﴿وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا في احديهن لوسعتهم ﴿ومغفرة﴾ يعنى ولهم مغفرة لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعنى ما أعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه حاصلة لهم دائماً عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴿اختلفوا في الجالب

بالحكمة والصواب (وان فريقان المؤمنين لكارهون) في موضع الحال أى أخرجك في حال كراحتهم وذلك ان غير قريش
أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر أصحابه
فاجتمعهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع اهل مكة وهو
النفير في المثل السائر لافي العير ولا في النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فابى وسار بمن معه الى بدر
وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى
الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار ﴿ ٩ ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم { سورة الانفال } عليه وسلم أصحابه وقال

العير أحب اليكم أم النفير
قالوا بل العير أحب لنا
من لقاء العدو فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ردد عليهم فقال
ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا أبو جهل قد
أقبل فقالوا يا رسول الله
عليك بالعير ودع العدو
فقام عند غضب النبي
صلى الله عليه وسلم أبو بكر
وعمر رضى الله عنهما
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر أمرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن
ابن ما تخلف عنك رجل
من الانصار ثم قال المقداد
ابن عمرو امض لما أمرك الله
فانا معك حيث أحببت
لانقول لك كما قال بنو
اسرائيل لموسى اذهب
أنت وربك فقاتلا انا ههنا

تقديره هذه الحال في كراحتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراحتهم له أوصفة
مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول أى الانفال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه
وسلم مع كراحتهم ثباتاً مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها
مهاجرة ومسكنه أو بيته فيها مع كراحتهم ﴿ وأن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾
في موقع الحال أى اخرجك في حال كراحتهم وذلك ان غير قريش اقبلت من الشام

لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال
وان كرهوا كما مضت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون
وقيل معناه فاقواله وأصلحو اذات بينكم فان ذلك خير لكم كان اخراج محمد صلى
الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى
قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق
حتى ينجز الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر
وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق
منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أى امض على
الذى أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره
والذى أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى
اذتقديره واذا ذكر يا محمد اذا أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج
اخراجهم من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو
خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة
بالحق يعنى بالوحي لطلب المشركين ﴿ وأن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾
يعنى للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم

قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما (قا و خا ٢ لث) مقاتلون مادامت عين منا طرف فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشده قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله
أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله
وان فريقاً من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور روجه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقاداً ويحتمل أن يكونوا
مخلصين وان يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهين له

بالحرب (وأن فريقاً) طائفة (من المؤمنين لكارهون) للقتال

وفيهما تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابوسفيان وعمر وبن العاص ومخرمة ابن نوفل وعمر وبن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول غيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقتل ما ترضى رجالهم ان يتبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دقران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا اخرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقالوا فاحسنا ثم قام سعد بن عباد فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانامعك حيث ما احببت لانا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتهوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال انا قد آمنابك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بهتك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانال صبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدني احدي الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناده عباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدي الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله ﴿ يجادلونك في الحق ﴾ في ايثارك الجهاد باظهار

(يجادلونك في الحق) الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النغير لا يثارهم عليه تلقى العير (يجادلونك) يخاصمونك (في الحق) في الحرب

﴿ يجادلونك في الحق ﴾ وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم نعلمنا اننا تلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما اخرجنا لطلب العير فذلك جدالهم

الحق لا يثارهم تلقى العير عليه ﴿ بعد ماتين ﴾ انهم ينصرون ايما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾ أى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روى انهم كانوا رجالا وما كان فيهم الافارسان وفيه اياء الى ان مجادلتهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم ﴿ واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ﴾ على اضمار اذ كر واحدى ثانى مفعولى يعدكم وقد ابدل منها ﴿ انها لكم ﴾ بدل الاشتمال

﴿ بعد ماتين ﴾ يعنى تبين لهم انك لاتصنع شيأ الا بامر ربك وتبين لهم صدقك فى الوعد ﴿ كأنما يساقون الى الموت ﴾ يعنى لشدة كراهتهم القتال ﴿ وهم ينظرون ﴾ يعنى الى الموت شبه حالهم فى فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ﴿ يعنى الفرقتين فرقة أبى سفيان مع العير وفرقة أبى جهل مع النضير ﴿ أنهاركم ﴾ يعنى احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدى اقبل أبوسفيان ابن حرب من الشام فى عير قريش فى أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهى اللطيمة يريد باللطيمة الجمال التى تحمل العطر والذغير الملية حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فحذف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع أبوسفيان بعير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الفخاري فبعثه الى مكة وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا فى أصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سرىا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبدالمطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعها فبعثت الى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته ألا فانفروا يا آل عذر الى مصارعكم فى ثلاث فارى الناس قدا اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته ألا فانفروا يا آل عذر الى مصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاودخلها منها لقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فظيعة فاكتمها ولا تذكريها لحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدثون

(بعد ماتين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلاقت لنا لستعد وذلك لكراهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والقسيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالا وما كان فيهم الافارسان (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذ كر واحدى مفعول ثان (أنهاركم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنضير والتقدير واذ يعدكم الله أن احدى الطائفتين لكم

(بعد ماتين) لهم انك لاتصنع ولا تأمر الا ما أمرك ربك (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) الفتيين العير أو المسكر (أنهاركم) غنيمة

برؤيا عاتكة فعدوت اطوف فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك
فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبات اليم حتى جلست معهم فقال لي
أبو جهل يا بني عبدالمطلب متى حدثت هذه النبوة فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التي رأيت
عاتكة قلت وما رأيت قال يا بني عبدالمطلب أما رضيتم أن تتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم
لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك
ما قالت حقا فسيكون وان تبض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا
بانكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني
جحدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأيت شيئا ثم تفرقتنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من
بنو عبدالمطلب الا أتتني فقان أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم حتى تناول
النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قل قات قذوالله فمات ما كان مني
اليه من شيء وايم الله لا تعرضن له فان عاد لا كيفيكنه قل فعدوت في اليوم الثالث من
رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب أرى اني قد فاني شيء أحب أن أدركه منه قل فدخات
المسجد فرأيت فوالله اني لا امر نحوه أتعرض ليعود لي بعض ما قال فاقب به وكان أبو جهل رجلا
خفيفا حديدا الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت
في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقاني ان أشامته قل فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع
صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدد بعيره وحول
رحله وشق قيضه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذا أمه والكم مع أبي سفيان
وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشفغني عنه وشغله
عني ما جاء من الامر قال فقجهز الناس سراعا ولم يتخاف من أشراف قريش أحدا الا أن
ابالهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير
ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبدمناة بن كنانة من الحرب فقالوا نحشى ان يأتونا
من خلفنا فكا ذلك ان اثنينهم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جشم وكان
من أشراف بني بكر فقال أنا جار لكم من ان تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه
فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ليل مضت من شهر
رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذاقرد فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فاخبره بنجرهم وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عيناه من جهينة حليفا للانصار يدعى أريقط فأتاه بنجر القوم وسبقت العير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين
أهالكم اما العير واما قريش فكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحرى النضير فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال
وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فمحن معك والله ما نقول
كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب
أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك العماد

وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ❀ يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك تمنونها ويكرهون ملاقاته النفيير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ❀ ويريد الله ان يحق الحق ❀ ان يثبته ويعليه ❀ بكلماته ❀ الموحى بها في هذه الحال أو باوامره للملائكة بالامداده وقرئ بكلمته ❀ ويقطع دابر الكافرين ❀ ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واطهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين

يعنى مدينة الحبشة لجادلنا معك من دونه حتى نبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خير او عداله بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عددان الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انابرآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فتمتع مما تمنع منه ابناءنا ونساءنا فكلن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الامن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنت تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آماناك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما تكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انالصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك مناما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم (م) عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقافاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا ارواح فيها فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شيا فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يدعكم الله احدى الطائفتين أنها لكم يعنى طائفة ابى سفيان مع العيزو طائفة أبى جهل مع النفيير ❀ وتودون ❀ أى وتريدون وتمنون ❀ أن غير ذات الشوكة تكون لكم ❀ والمعنى وتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ❀ ويريد الله ان يحق الحق ❀ أى يظهر الحق ويعليه ❀ بكلماته ❀ يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه ❀ ويقطع دابر الكافرين (أى ويستأصلهم

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفيير لمددهم وعدتهم أى تمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله أن يحق الحق) أى يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبأمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قلب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخرا فاعل من دبر اذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفسادة

(وتودون) تمنون (ان غير ذات الشوكة) الشدة والحرب (تكون لكم) غنمية يعنى غنمية العير (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) ان يظهر دينه الاسلام بنصرته وتحقيقه (ويقطع دابر الكافرين) اصل الكافرين وأثرهم

وشتان ما بين المرادين
ولذلك اختار لكم الطائفة
ذات الشوكة وكسرت قوتهم
بضعفكم وأعزكم وأذلهم
(ليحق الحق) متعلق
بيقطع أو بمحذوف تقديره
ليحق الحق (ويبطل الباطل)
فعل ذلك والمقدر متأخر
ليقيد الاختصاص أى
ما قبله الا وهما وهو اثبات
الاسلام واطهاره وابطال
الكفر ومحقه وليس هذا

بتكرار لان الاول تمييز
بين الارادتين وهذا بيان
لمراد ففيا فعل من اختيار
ذات الشوكة على غيرها
لهم ونصرتهم عليها (ولو
كره المجرمون) المشركون
ذلك (اذ تستغيثون ربكم)
بدل من اذ يعدكم أو متعلق
بقوله ليحق الحق ويبطل
الباطل واستغاثتهم أنهم
لما علموا أنه لا بد من القتال
طفقوا يدعون الله يقولون
أى ربنا انصرنا على عدوك
ياغيث المستغيثين اغثنا
وهى طلب الغوث وهو
التخليص من المكروه
(فاستجاب لكم) فاجاب
وأصل (أى بمدكم) باني
(ليحق الحق) ليظهر
دينه الاسلام بمكة (ويبطل
الباطل) يهلك الشرك
وأهله (ولو كره المجرمون)
وان كره المشركون أن يكون

﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ أى فعل مافعل وليس بتكرير لان الازل لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعى الى حل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ ذلك ﴿ اذ تستغيثون
ربكم ﴾ بدل من اذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق أو على اضممار اذ كره واستغاثتهم أنهم
لما علموا ان لا محيص عن القتال اخذوا يقولون أى رب انصرنا على عدوك اغثنا
ياغيث المستغيثين * وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم
ألف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجزلى
ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد في الارض فزال كذلك حتى سقط رداؤه
فقال ابو بكر يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ما وعدك ﴿ فاستجاب
لكم انى بمدكم ﴾ بأنى بمدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل * وقرأ ابو عمرو بالكسر
على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول

حتى لا يبقى منهم أحد ﴿ ليحق الحق ﴾ يعنى ليثبت الاسلام ﴿ ويبطل الباطل ﴾
يعنى وينفي الكفر ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ يعنى المشركون وفي الآية سؤالان
* الاول ان قوله ويريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فما معناه
والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من
النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واطهار منار الشريعة
لان الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان
سببا لاعزاز الدين وقوته واهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو
الشرك * السؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق
الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا
والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق
وتقويته وقع رؤساء الباطل وقهرهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذ تستغيثون ربكم ﴿ أى
واذ كرىا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين
قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهرى والقول
الثانى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م)
عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المشركين وهم ألف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله
صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجزلى ما وعدتني
اللهم اعطنى ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد في الارض
فا زال يهتف بربه ما دايديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأنه أبو بكر فاخذ رداءه
فالتقاء على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجزلك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم ﴿ فاستجاب لكم أنى بمدكم

﴿ بألف من الملائكة مردفين ﴾ متبعين المؤمنين أو بعضهم بهضامن اردفته انا اذا جئت بعده أو متبعين بعضهم بعضا المؤمنين أو انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه. وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أى متبعين أو متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقهم. وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مردفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو بالضم على الاتباع. وقرئ بألف من الملائكة ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم واعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقدرى اخبار تدل عليها ﴿ وما جعله الله ﴾ أى الامداد ﴿ الا بشرى لكم ﴾. الا بشارة لكم بالنصر ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾

بألف من الملائكة مردفين ﴿ فامده الله بالملائكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشهد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوجه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى فاجاب دعاءكم أى ممدكم أصله بأتى ممدكم أى مرسل اليكم مددا وردأ لكم بألف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روى انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا اذا نابها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد به وقال ابو بكر ان الله ينجزك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انبه فقال يا أبابكر أذاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثنياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لارىتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذى ضربه بالسوط فحطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثرؤا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما جعله الله الا بشرى ﴾ يعنى وما جعل الله الارداة بالملائكة الا بشرى ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾

مدمكم فحذف الجار وحلط عليه استجاب فصب محله (بألف من الملائكة مردفين) مدنى غيره بكسر الدال وفتحها فالكسر على أنهم أرفدوا غيرهم والفتح على أنه أرفد كل ملك ملكا آخر يقال ردفه اذا تبعه وأردفته اياه اذا اتبعته (وما جعله الله) أى الامداد الذى دل عليه ممدكم (الابشرى) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) يعنى انكم استغنتم وتضرعتم لقتلكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكيناً منكم (بألف من الملائكة مردفين) متابعين بالنصرة لكم (وما جعله الله) يعنى المدد (الابشرى) لكم بالنصرة (ولتطمئن به) بالمدد (قلوبكم)

وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان النصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من { الجزء التاسع } الاسباب الامن ﴿ ١٦ ﴾ عند الله والمنصور من نصره الله

في نزول ما بها من الوحل لقتكم وذلتكم ﴿ وما النصر الا من عند الله أن الله عزيز حكيم ﴾ و امداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تأسوا منه بفقدها ﴿ اذ يغشاكم النعاس ﴾ بدل ثان من اذ يعدكم لظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو يجعل أو باخبار اذ كره ﴿ وقرأ نافع يغشاكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذ اغشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى ﴾ وقرأ ابن كثير وابوعمر و يغشاكم النعاس بالرفع ﴿ أمنة منه ﴾ أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشاكم النعاس متضمن معنى تنسون ويغشاكم بمعنىه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشى وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لا يحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشاهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشاهم كقوله

يهاب النوم ان يغشى عيوننا * تهابك فهو نفار شرود

واختلف في قتال الملائكة يوم بدر ف قيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المينة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل في خمسمائة على اليسرة وفيها على رضى الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعائم بيض قد أرخوا أذنانها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأيننا الضرب ولا ترى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لانتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والأفلك واحدا كفاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) ينصر أوليائه (حكيم) يقهر أعدائه (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باخبار اذ كره يغشاكم مدنى (النعاس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعوله أي اذ تنسون أمنة بمعنى

وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما النصر الا من عند الله ﴿ يعنى ان الله هو ينصركم أيها المؤمنون فتقوا بنصره ولا تشكوا على قوتكم وشدة بأسكم وفيه تبيه على ان الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة ﴿ أن الله عزيز ﴾ يعنى انه تعالى قوى منيع لا يقهره شئ ولا يقبله غالب بل هو يقهر كل شئ ويغلبه ﴿ حكيم ﴾ يعنى في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اذ يغشاكم النعاس أمنة منه ﴿ أي واذكروا اذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أي أمان من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون الناس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول الناس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج

أمن أي لا منتكم أو مصدر أي فامنتم أمنة فالنوم يزج الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله (عن)

وما النصر) بالملائكة (الامن عند الله ان الله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) حكم عليهم بالقتل والهزيمة وحكم لكم بالنصرة والغنيمة (اذ يغشاكم النعاس) ألقى عليكم النوم (أمنة) لكم (منه) من الله من العدو وهي

(و ينزل) بالتخفيف مكي

وبصرى وبالتشديد غيرهم
(عليكم من السماء ماء) مطرا
(ليظهركم به) بالماء من
الحدث والجنابة (ويذهب
عنكم رجز الشيطان)
وسوسته اليهم وتخوفه
اياهم من العطش أو
الجنابة من الاحتلام لانه
من الشيطان وقدوسوس
اليهم ان لانصرة مع الجنابة
(ويربط على قلوبكم)
بالصبر (ويثبت به الاقدام)

أى بالماء اذا الاقدام كانت
تسوخ في الرمل أو بالربط
لان القلب اذا تمكن فيه
الصبر يثبت القدم في مواطن
القتال (اذ يوحى) بدل
ثالث من اذ يعدكم أو منصوب
يثبت (ربك الى الملائكة
أنى معكم) بالنصر

منة من الله لكم (وينزل
عليكم من السماء ماء) مطرا
(ليظهركم به) بالمطر من
الاحداث والجنابة
(ويذهب عنكم رجز
الشيطان) وسوسة
الشيطان (ويربط على
قلوبكم) ويحفظ قلوبكم
بالصبر (ويثبت به) بالمطر
(الاقدام) على الرمل
أى يشد الرمل حتى يثبت
عليه الاقدام (اذ يوحى ربك
الى الملائكة) اللهم ربك
ويقال أمر ربك (انى معكم)

وقرى أمنة كرجة وهى لعنة ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليظهركم به ﴾ من الحدث والجنابة
﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعنى الجنابة لانها من تخيله أو وسوسته وتخوفه أياهم
من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعقر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتم أكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين مجننين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا
فانزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه
الاقدام وزالت الوسوسة ﴿ ويربط على قلوبكم ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم
﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ أى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل أو بالربط على القلوب حتى
تثبت فى المعركة ﴿ اذ يوحى ربك ﴾ بدل ثالث أو متعلق يثبت ﴿ الى الملائكة انى
معكم ﴾ فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرى بالكسر على ارادة القول

عن العادة فهذا السبب قيل ان ذلك للعاس كان فى حكم المجزة لانه أمر خارق للعادة
﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وينزل عليكم من السماء ماء ﴿ يعنى المطر ﴾ ليظهركم به ﴿
وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعقر تسوخ فيه الاقدام
وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون
على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان
وقل تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء
وانتم تصلون محدثين ومجننين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه
وتعالى مطرا سال منه الوادى فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب
وملؤا الاسقية واطفأ القبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة
الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول
النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليظهركم به يعنى
من الاحداث والجنابة ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعنى وسوسته التى ألقاها
فى قلوبكم ﴿ ويربط على قلوبكم ﴾ يعنى بالنصر واليقين والربط فى اللغة الشد وكل من صبر
على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون لفظه على صلة والمعنى ويربط
قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من اليقين وقيل ان لفظه على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء
فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها
﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ يعنى ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه
الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون
ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اذ يوحى
ربك الى الملائكة أنى معكم ﴿ يعنى ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى الملائكة الذين أمد
بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه انى معكم بالنصر والمعونة

او اجراء الوحي مجراه ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمجازاة اعدائهم فيكون قوله ﴿ سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب أو على ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ اعاليها التي هي المذاج أو الرؤس ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ اصابع أي حزوار قباهم

(فثبتوا الذين آمنوا) بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شامى وعلى (فاضربوا) أمر للمؤمنين أول للملائكة وفيه دليل على انهم قاتلوا (فوق الاعناق) أي أعلى الاعناق التي هي المذاج تطييرا للرؤس أو أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام (واضربوا منهم كل بنان) هي الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فاسمهم ان يجمعوا

معينكم (فثبتوا الذين آمنوا) في الحرب ويقال فبشروا الذين آمنوا بالنصرة (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) الخافة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فاضربوا فوق الاعناق) رؤسهم (واضربوا منهم كل بنان)

﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ أي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أي يتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ﴿ سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلاً بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعرف قتال بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلوة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمل بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب اعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان البنان يتمكن من مسك السلاح ووجهه والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن أبي داود المازني وكان شهيد بدر قال اني لاتبع رجلا من المشركين لا ضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتلته غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكره اسلامه وكان ذامال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل أصحاب

واقطعوا اطرافهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الضرب أو الاصبه والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل احد من المخاطبين قبل ﴿ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴾ بسبب مشاققتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ تقرير للتعليل أو وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ﴿ ذلكم ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أي الامر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه ﴿ فذوقوه ﴾ أو غيره

عليهم النوعين (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك

العقاب وقع عليهم بسبب مشاققتهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا في عدوة وخصم أي جانب وذا في عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف في ذلك خطاب الرسول أو لكل أحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب (ذلكم) أو العقاب (فذوقوه) والواو في

بدر كتبه الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعز أقال أبو رافع وكنت رجلاً ضعيفاً اعلم القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس أسحت القداح وعندى أم الفضل جالسة إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجله حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهره الى ظهري فينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب الى يا ابن أخي فمعدك الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شيء والله ان كان الان لقتيناهم فمخبناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وإيم الله مالمت الناس لقتينا رجلاً بيضاء على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقوم لهم شيء قال أبو رافع فرفت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فتاورته فاحتماني فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت اليه أم الفضل بعمود من عمد الحجر فضربت به ضربة فلقت رأسه شجرة منكراً وقالت تستضعفه أن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة وكان أبو اليسر رجلاً مجوعاً وكان العباس رجلاً جسيماً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعتى عليه رجل مائة قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعتى عليك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ذلك ﴿ يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر ﴾ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴿ يعني بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبية كانهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ذلكم ﴿ اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم ﴿ فذوقوه ﴾ يعني عاجلاً في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذي أعد الله لهم في الآخرة

مفصل (ذلك) القتال لهم (بانهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله) في الدين (ومن يشاقق الله) يخالف الله (ورسوله) في الدين (فان الله شديد العقاب) اذا عاقب (ذلكم) العذاب لكم (فذوقوه) في الدنيا

(وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا إذا { الجزء التاسع } لقيم الذين كفروا ﴿ ٢٠ ﴾ زحفا) حال من الذين كفروا

والزحف الجيش الذي يرى لكثرة كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي اذا القيموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلاتقروا فضلا ان تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي اذا القيموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا) مائلا (لقتال) وهو الكر بعد الفر يجيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضما (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هوفيا وهما حالان من ضمير الفاعل في يولهم (فقدباء بغضب من الله

(وان للكافرين) في الآخرة (عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيم الذين كفروا) يوم بدر (زحفا) مزاحفة (فلاتولوهم) أي فلاتولوهم (الادبار)

مثل باشروا أو عليكم لتكون الفاء عاطفة ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما « وقرئ وان بالكسر على الاستئناف ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيم الذين كفروا زحفا ﴾ كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم أو اقل منكم والظاهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز ان يتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول أي اذا القيموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال ﴾ يريد الكر بعد الفر وتقرير العدو فانه من مكاييد الحرب ﴿ أو متحيزا الى فئة ﴾ أو منحاز الى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والافعال عمل له والاستثناء من المولين أي الارجال متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفعل لا متفعل والالكان متحوزا لانه من حاز يحوز ﴿ فقدباء بغضب من الله

من العذاب وهو قوله ﴿ وأن للكافرين عذاب النار ﴾ يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالبعير ليس من دونها شيء قال فناده العباس من وثاقه لا يصلح لك لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيم الذين كفروا زحفا ﴾ يعني مجتمعين متزاحفين بعضهم الى بعض والتزاحف التذاني في القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانها تمشى كل طائفة الى صاحبها مشيا رويدا وذلك قبل التذاني للقتال وقال ثعلب زحف المشى قليلا قليلا الى الشيء ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولى ظهره ودبره ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال ﴿ الامتحرفا لقتال ﴾ يعني الامتقطعا الى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصدته طلب العكرة على العدو والمود اليه وهذا هو أحد ابواب الحرب وخذعها ومكائدها ﴿ قوله عز وجل ﴿ أو متحيزا الى فئة ﴾ يعني أو منضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال ﴿ فقدباء بغضب من الله ﴾ يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا

منهزمين (ومن يولهم) يتول عنهم (يومئذ) يوم بدر (دبره) ظهره منهزما (الامتتحرفا لقتال) (في) مستطراد للقتال ويقال للكرة (أو متحيزا) أو منحاز (الى فئة) ينصرونه ويعنونه (فقدباء بغضب من الله) فقد رجع واستوجب

ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿ هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب ﴿ فلم تقتلوهم ﴿ بقوتكم ﴿ ولكن الله قتلهم ﴿ بنصركم وتسلطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العققل قال عليه الصلاة

في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿

﴿ فصل في حكم هذه الآية ﴾

وما واه جهنم وبئس المصير (و وزن متحيز متفعل لامتنفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا وكان القتال منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره ان اقتحرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شأهت الوجوه فليبق مشرك الاشغل بعينه فانهم مواويل بسخط من الله (وما واه) مصيره (جهنم وبئس المصير) صار اليه (فلم تقتلوهم) يوم بدر (ولكن الله قتلهم) بجبرائيل

اختلف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدري هذا في أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم ولتيم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله ابن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حيصة فانهم منا قتلنا يارسول الله نحن الفرارون قال لا بل أنتم الكرارون انافثة المسلمين قوله فخاص الناس حيصة يعني حال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والحيف الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الى كنت له فئة أنافثة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولي ظهره مبهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبار الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم أن يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المثلين جاز لهم أن يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفروا ومن فر من اثنين فقد فر ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿ قال مجاهد سب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انما قتلت فلانا ويقول الآخرة انما قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان اقتحرتم بقتلهم

هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بهافي وجوههم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهمزوا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلنا واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿ وما رميت ﴾ يا محمد رميا توصله الى اعينهم ولم تقدر عليه ﴿ اذ رميت ﴾ أى اتيت بصورة الرمي ﴿ ولكن الله رمى ﴾ اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم

(وما رميت) يا محمد

(اذ رميت ولكن الله رمى)

يعنى ان الرمية التي رميتها أنت لم ترها أنت على الحقيقة لانك لورميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فصل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه وأثبت الله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحزة

والملائكة (وما رميت)

ما بلغت التراب الى وجوه المشركين (اذ رميت ولكن الله رمى) بلغ

فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم ﴿ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ قال أهل التفسير والمغازى لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزولوا بدر او وردت عليهم روايا قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد فأخذوهما وأتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين قريش قالاهم وراء الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكئيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا اندرى قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوم عشرة ويوم تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهما من فيهم من أشرف قريش قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الجخري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة ابن عدى والنضر بن حارث وأبو جهل بن هشام وأممية بن خلف وبنيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألت اليكم أفلاذ كبدها فلما أقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكئيب الرمل جاء الى الوادى فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شامت الوجوه يعنى قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينه وفقه ومنخره من ذلك التراب شئ فانهمزوا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بمحصاة في مينة القوم وبمحصاة في ميسرة القوم وبمحصاة بين أظهرهم وقال شامت الوجوه فانهمزوا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت لكن الله رمى اذ ليس في وسع أحد من البشر ان يرمى كفا من الحصى في وجوه جيش فلا يتبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شئ فصوره الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بمحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم

وعلى (وليلي المؤمنين) ويعطيهم (منه) ﴿٢٣﴾ بلاء حسنا (سورة الانفال) عطاء جيلا والمعنى

وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كاله والمقصود منه وقيل معناه
مارميت بالرعب اذ رميت بالحصبا ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل
في طعنة طعن بهابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات
اورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور
على الاول وقرأ ابن عامر وحزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضوعين ﴿وليلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر
والغنيمة ومشاهدة الآيات ﴿ان الله سميع﴾ لاستغاثتهم ودعائهم ﴿عليم﴾ بنياتهم
واحوالهم ﴿ذلك﴾ اشارة الى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومجمله الرفع أى
المقصود أو الامر ذلكم وقوله ﴿وان الله موهن كيد الكافرين﴾ معطوف عليه
أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير
ونافع وابوعرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيدا للاضافة والتخفيف ﴿ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح﴾ خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا
الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اهل الجندين واهدى الفتيين واكرم الحزبين
حتى انهزموا ﴿وليلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ يعنى ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة
بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة
﴿ان الله سميع﴾ يعنى لدعائكم ﴿عليم﴾ يعنى باحوالكم ﴿قوله عز وجل﴾ ذلكم يعنى
الذى ذكرت من أمر القتل والرمى والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا
ذلك الذى فعلنا ﴿وان الله﴾ يعنى واعلموا ان الله مع ذلك ﴿موهن﴾ أى مضعف ﴿كيد
الكافر﴾ يعنى مكرهم وكيدهم ﴿قوله عز وجل﴾ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴿هذا
خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وذلك ان
أبا جهل قال يوم بدر لما اتى الجمعان اللهم أينما كان أجزر يعنى نفسه ومحمدا صلى الله
عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينما كان خيرا عندك فانصره
وقيل قال اللهم انصر اهدى الفتيين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان
أجزر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان
تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفريقين فينصر المظلوم على الظالم فقد
جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل
والمقطوع على القاطع (ق) عن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه قال انى لواقف في الصف
يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا أنا بغلامين من الانصار حديثه أسنانهما
فتمتيت ان أكون بين أضلع منهما فعمزنى أحدهما فقال أى عم هل تعرف
أبا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخى قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت

(وليلي المؤمنين) ليصنع
بالمؤمنين (منه) من رمى التراب
(بلاء) صيغا (حسنا)
بالنصرة والغنيمة (ان الله سميع)
لدعائكم (عليم) بنصرتكم
(ذلكم) النصر والغنيمة لكم
(وأن الله) بأن الله (موهن)
مضعف (كيد الكافرين)
صنع الكافرين (ان تستفتحوا)

بتنصروا (فقد جاءكم الفتح) النصره لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليكم حيث دعا أبو جهل قبل القتال والهزيمة
إلى اللهم انصر أفضل الدينين واكرم الدينين واحبهما اليك فاستجاب الله دعاءه ونصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم

الأجل منا فتعجبت لذلك قال وغزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت الى
أبي جهل يجول في الناس فقلت الأتران هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال
فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقال لا فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلا كما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسلبه لهما والرجالان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفراء رضى الله عنهما (ق) عن أنس بن
مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ماضع أبو جهل فانطلق
بن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيتة فقال أنت أبو جهل وفي كتاب
البخاري أنت ابا جهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه أو قال قتله قومه وفي
رواية فقال أبو جهل فلو غيراً كار قتلني * عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبو جهل
صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أبا جهل قد أخزى الله الآخر قال ولا أهابه
عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم ين شيئاً حتى سقط
سيفه من يده فضربته حتى برد أخرجه أبو داود وأخرجه البخاري مختصراً قال انه
أنى أبا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون
والله ما نعرف ما جاء به محمد فاقم بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح يعني ان تستقبضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكبي كان المشركون لما
خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على
الجندين وأهدى الفتيين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فتمد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لاهدى
الفتيين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن
أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلتبس في القتلى فقال اللهم لا يجزك فلما سمعها
جعلته من شأنى فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه
عكرمة على عاتق فطرح يدي فتملقت بجلدة واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة
يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذنتي جملت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها
ثم مر بابي جهل وهو عفير معاذ بن عفراء فضربه حتى أبته وتركه وبه رمق فمربه
عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخر رمق ففرقه فوضعف رجل على عنقه
فقلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبما ذا أخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني
المن الدولة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد
ارتقيت يارويبي الغنم مرتقى صعباً ثم احتزرت رأسه ثم جئت به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال آله الذي
لآله غيره فقلت نعم والذي لآله غيره ثم ألقته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحمد الله وقال أبي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(وان تنهوا) عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) سورة الانفال { ٢٥ } عليه وسلم (فهو) سورة الانفال { ٢٥ } عليه وسلم (فهو) سورة الانفال { ٢٥ } عليه وسلم

وأسلم (وان تعودوا)
لحاجته (نعد) لنصرته
عليكم (وان تغني عنكم
فتسكم) جمعكم (شياً ولو
كثرت) عددا (وان الله
مع المؤمنين) بالفتح مدني
وشأى وحفص أي ولان الله
مع المؤمنين بالنصر كان ذلك
وبالكسر غيرهم ويؤيده
قراءة عبد الله وان الله
مع المؤمنين (يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه) عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان
الغنى وأطيعوا الله ورسوله
الله كقوله والله ورسوله
أحق أن يرضوه ولان طاعة
الرسول وطاعة الله شيء
واحد من يطع الرسول
فقد أطاع الله فكان رجوع
الضمير الى أحدهما
كرجوعه اليهما كقولك
الاحسان والاجال لا ينفع

﴿ وان تنهوا ﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿ فهو خير لكم ﴾ لتضمنه
سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿ وان تعودوا ﴾ لمحاربه ﴿ نعد ﴾ لنصرته عليكم
﴿ ولن تغني ﴾ ولن تدفع ﴿ عنكم فتسكم ﴾ جاعتكم ﴿ شيئاً ﴾ من الاغناء
أو المضار ﴿ ولو كثرت ﴾ فتسكم ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ بالنصر والمعونة * وقرأ
نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية
خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنهوا عن التكاسل
في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار
أو تهيج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكافرين
في ايمانهم ويؤكده ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ﴾ أي

الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا أي تستنصروا فقد جاءكم الفتح أي النصر (خ)
عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة
له في ظل الكعبة فقلنا الاستنصر لنا ألا تدعوننا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل
فيحفه في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط
بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه والله ليتن الله هذا الامر
حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه
ولكنكم تستجلبون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسره أبي بن كعب الآية
وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلا تعلق
للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدن وسأله
انجاز ما وعده من احدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله
سبحانه وتعالى مجيباً له ان تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم
الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة
دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا
بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم
لم يمتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان تنهوا فهو خير لكم ﴾ فهو خطاب
للكفار يعني وان تنهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين
والدنيا أما في الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجمل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص
من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر ﴿ وان تعودوا نعد ﴾ يعني
وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ﴿ ولن تغني
عنكم فتسكم ﴾ يعني جاعتكم ﴿ شيئاً ﴾ يعني لا تغني عنكم شيئاً ﴿ ولو كثرت ﴾ يعني جاعتكم
﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها
الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴿ يعني في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ﴿ ولا
تولوا عنه ﴾ يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولى لا يصح الا في حق الرسول

(وان تنهوا) عن الكفر
والقتال (فهو خير لكم) من
الكفر والقتال (وان تعودوا)
الى قتال محمد عليه السلام
(نعد) الى قتلكم وهزيمتكم
مثل يوم بدر (وان تغني
عنكم فتسكم) جاعتكم
(شيئاً) من عذاب الله
(ولو كثرت) في العدد
(وان الله مع المؤمنين) معين

المؤمنين بالنصرة (يا أيها الذين آمنوا) (قا و خا و لث) اطيعوا الله ورسوله (في أمر الصلح) ولا تولوا عنه

في فلان أو يرجع الضمير الى الامر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الامر وامثاله وأصله ولا تولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا (وأنتم تسمعون) أي وأنتم تسمعون أو ولا تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل { الجز التاسع } الكتاب (وهم) ٢٦ ﴿ لا يسمعون ﴾ لانهم ليسوا بمصدقين فكأنهم

غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي ان شر من يدب على وجه الارض البهائم وان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لا سمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسموا سماع المصدقين (ولو أسمعهم لتولوا) عنه أي ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان

ولا تولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد والامر الذي دل عليه الطاعة ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ أقرآن والمواظب سماع فهم وتصديق ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع ﴿ وهم لا يسمعون ﴾ سماعا يتفقون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ﴿ ان شر الدواب عند الله ﴾ شر ما يدب على الارض أو شر البهائم ﴿ الصم ﴾ عن الحق ﴿ اليكم الذين لا يعقلون ﴾ اياه عدوهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما يزوا به وفضلوا لاجله ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا ﴾ سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات ﴿ لا سمعهم ﴾ سماع تفهم ﴿ ولو أسمعهم ﴾ وقد علم ان لا خير فيهم ﴿ لتولوا ﴾ ولم يتفقوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول ﴿ وهم معرضون ﴾

صلى الله عليه وسلم لافي حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ يعني القرآن يتلى عليكم ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا ﴾ بالسنتم ﴿ سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ يعني وهم لا يتعظون ولا يتفكرون بما سمعوا من القرآن والمواظب وهذه صفة المنافقين ﴿ ان شر الدواب عند الله ﴾ يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله ﴿ الصم ﴾ عن سماع الحق ﴿ البكم ﴾ عن النطق به فلا يقولونه ﴿ الذين لا يعقلون ﴾ يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماعهم دواب ثقلة انتفاعهم بقولهم قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عبي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويط بن حرملة ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم ﴾ يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب ان يعلمه الله فقدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لا سمعهم الله الحجج والمواظب سماع تعليم وتفهم ﴿ ولو أسمعهم ﴾ يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواظب والدلائل لقوله تعالى ﴿ لتولوا وهم معرضون ﴾ يعني تولوا عن سماع الحق وهم معرضون عند لغادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احى لنا قصيفا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهدك بالنبوة فنؤم لك فقال الله سبحانه

(كالذين قالوا سمعنا) اطعنا وهم بنو عبد الدار والنضر بن الحرث وأصحابه (وهم لا يسمعون) لا يطيعون (وتعالى) ونزل فيهم أيضا (ان شر الدواب) الخلق والخليقة (عند الله الصم) عن الحق (اليكم) الذين لا يعقلون (لا يفقهون امر الله وتوحيد) (ولو علم الله فيهم) في بنى عبد الدار (خيرا) سعادة (لا سمعهم) لا كرمهم بالايمان (ولو أسمعهم) أكرمهم بالايمان (لتولوا عنه) عن الايمان (علم الله فيهم) (وهم معرضون) مكذبون به

لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم احى لناقصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهدك فتؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي ﴿ يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول ﴾ بالطاعة ﴿ اذا دعاكم ﴾ وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلى فدعاه فجعل في صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتي قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول ﴿ لما يحبسكم ﴾ من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته وقال
لاتجبن الجهول حلتته * فذاك ميت وثوبه كفن

أوما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال أو من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لقلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون

وتعالى ولو احيالهم قصيا وسمعوا كلامه لتلوا وعنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول ﴾ يعني اطيعوا بالاطاعة والانقياد لهما ﴿ اذا دعاكم ﴾ يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما ذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا لله ورسوله اليه (ح) عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتته فقلت يا رسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباي فالتفت ابي ولم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام مامنعك يا أباي أن تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله انى كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفم تجد فيما أوحى الله الى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبسكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لنداء أحد آخر وقيل لودعاه أحد لامر مهم لا يحتمل التأخير فله ان يقطع صلاته ﴿ قوله عز وجل ﴿ لما يحبسكم ﴾ يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال مجاهد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعز به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء

(يا ايها الذين آمنوا)
استجبوا لله وللرسول
اذا دعاكم ﴿ وحد الضمير
أيضا كما وحده فيما قبله
لان استجابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم كاستجابته
والمراد بالاستجابة الطاعة
والامثال وبالذعوة البعث
والتعريض (لما يحبسكم)
من علوم الديانات والشرائع
لان العلم حياة كأن الجهل
موت قال الشاعر

لاتجبن الجهول حلتته
فذاك ميت وثوبه كفن
أولجاهدة الكفار لانهم لو
رفضوها لقلبهم وقتلهم
أوللشهادة لقوله تعالى بل

(يا ايها الذين آمنوا)
يعنى اصحاب محمد عليه السلام
(استجبوا لله) اطيعوا الله
(وللرسول اذا دعاكم) لما
يحبسكم الى ما يكرهكم
ويعزكم ويصلحكم من القتال

﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبه على أنه مطاع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها أوحث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزاءه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته «وقرى بين المرء بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء وأجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من شدد فيه ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ فيجازيكم بأعمالكم ﴿واقفوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ اتقوا ذنبا يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وإفتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله لا تصيبن إجابا الأمر على معنى أن أصابتكم لا تصيب الظالمين

عند ربهم يرزقون ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الإرادة وتلك الإرادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنت بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم أن يمر على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآية أن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاعت صدورهم فقبل لهم فقاتلوا في سبيل الله وواعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجنب جراءة ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ يعني في الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿واقفوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحذروا فتنة أن نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واقفوا فتنة أن لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير

أن الله يحول بين المرء وقلبه أي يمته فتوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب فأغتموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله وأبينه وبين ما عمته بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزاءه (وأنه إليه تحشرون) وواعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة (واقفوا فتنة) عذابا (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هو جواب للأمر أي أن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر لأن فيه معنى النهي كما إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحك ومن في منكم

وغيره (واعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله يحول) يحفظ (بين المرء وقلبه) بين المؤمن بأن يحفظ قلب المؤمن على الإيمان حتى لا يكفر ويحفظ قلب الكافر على الكفر حتى لا يؤمن (وأنه إليه) إلى الله في الآخرة (تحشرون) فيجزى بكم

بأعمالكم (واقفوا فتنة) كل فتنة تكون (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ولكن تصيب الظالم والمظلوم (الظالم

منكم خاصة بل تمم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخاوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة والالفتى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى في غير القسم أو للنهي على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلفت جاؤا بمدق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيين وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبويض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ﴾ ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين

الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعنى ما كان منهم في يوم الجمل وقال سدى ومجاهد والضحاك وقاتدة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدى بن عدى الكندى قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدى بن عميرة الكندى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا علمت الخطيئة في الارض كان من شهدا فانكرها كن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدا أخرجه أبو دود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زيد أراد بالفتنة اقتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشئ والمعاشئ خير من الساعئ من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاداف ليعذبها فان قلت ظهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يستل عما يفعل وهم يستلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية أو لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب ﴾ فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها وقوله عز وجل ﴿ واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ﴾

للتبويض (واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا اذ انتم قليل) اذ مفعول به لا طرف أى واذكروا وقت كونكم أقلّة أذلة (مستضعفون في الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا) يا معشر المهاجرين (اذ انتم قليل) في العدد (مستضعفون) مقهورون (في الارض) أرض مكة

وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم ﴿ تخافون ان يتخطفكم الناس ﴾ كفار قريش أو من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم ﴿ فأواكم ﴾ الى المدينة أو جعل لكم مأوى تحصنون به من اعدائكم ﴿ وايدكم بنصره ﴾ على الكفار أو عظاهرة الانصار أو بامداد الملائكة يوم بدر ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من الغنائم ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ هذه النعم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضربوا خلاف ماتظهرون أو بالغدول في المغنم وروى انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كاصالح

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين اذ أنتم قليل يعنى في العدد مستضعفون في الارض يعنى في أرض مكة في ابتداء الاسلام ﴿ تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ يعنى كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعنى فارس والروم ﴿ فأواكم ﴾ يعنى الى المدينة ﴿ وايدكم بنصره ﴾ يعنى وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ يعنى الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ يعنى تشكرون الله على نعمه عليكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴿ قال الزهرى والكلبي نزلت هذه الآية في أبى لبابة هرون بن عبد المنذر الانصارى من بنى عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صلح عليه اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى اخوانهم الى أذرعات وأريحاء من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا أبالبابة بن عبد المنذر وكان مناصحهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فقالوا يا أبالبابة ما ترى أن نزل على حكم سعد بن معاذ فإشار أبو لبابة بيده الى حلقه يعنى انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماى عن مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما اوجاهنى لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فانى لا أطلقه حتى يتوب الله عليه فكث سبعة أيام لا يندوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبالبابة قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى حلنى بخاءه فخله بيده ثم قال أبو لبابة ان تمام توبتى أن أهجى دار قومى التى أصبحت فيها الذنوب وأن أنخلع من مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجزك الثلث أن تصدق به فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدى كانوا يسمعون السر

قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فأواكم) الى المدينة (وايدكم بنصره) عظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم (لعلمكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بان تعطلو فرائضه (والرسول) بان

(تخافون أن يتخطفكم الناس) أن يطردكم أهل مكة أو يأسروكم (فأواكم) بالمدينة (وايدكم بنصره) يعنى أعانكم وقواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلمكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته بالنصرة والغنيمة يوم بدر (يا أيها الذين آمنوا) يعنى مروان وأبالبابة بن عبد المنذر (لا تخونوا الله) فى الدين (والرسول) فى الاشارة الى بنى قريظة أن لا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ

اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعوات واربعا بارض الشام فابى الابان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابالبابة وكان منا حمالهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل نزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقة انه الذبح قال ابولبابة فازالت قدمي حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فزت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت اوتوب الله على فكت سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجردار قومى التى اصبت فيها الذنب وان اخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تصدق به واصل اخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة تتضمنه اياه ﴿ وتخونوا اماناتكم ﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو ﴿ وانتم تعلمون ﴾ انكم تخونون اوانتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ﴾ لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله

من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتبوا قال فكتب رجل من المتباقيين اليه ان محمد ايريدكم فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول ﴿ وتخونوا اماناتكم ﴾ ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم ﴿ وانتم تعلمون ﴾ يعنى انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الخلق خيانة وأصل الخيانة من اخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التى ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من ائتمن عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبودا ودوالترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ﴿ قيل هذا مما نزل في ابي لبابة وذلك لان امواله واولاده كانت في بنى قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة هو حجب المال والولد به الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل

لا تستنوا به (وتخونوا)
جزم عطف على لا تخونوا
أى ولا تخونوا (أماناتكم)
فيما بينكم بان لا تحفظوها
(وانتم تعلمون) تبعة ذلك
ووباله أو وانتم تعلمون انكم
تخونون يعنى ان الخيانة
توجد منكم عن تعمد لا عن
سهو أو انتم علماء تعلمون
حسن الحسن وقبح القبيح
ومعنى اخون النقص كما ان
معنى الابقاء التمام ومنه
تخونه اذا انتقصه ثم استعمل
في ضد الامانة والوفاء
لانك اذا خنت الرجل
في شئ فقال ادخلت عليه
النقصان فيه (واعلموا انما
اموالكم واولادكم فتنة)
أى سبب الوقوع في الفتنة
وهى الاثم والعذاب
أو محنة من الله ليلوكم
كيف تحافظون فيهم على

(وتخونوا اماناتكم)
ولا تخونوا في فرائض الله
وهى امانة عليكم (وانتم
تعلمون) تلك الخيانة
(واعلموا) يعنى به ابالبابة
(انما اموالكم واولادكم)
التي في بنى قريظة (فتنة)

حدوده (وأن الله عنده { الجزء التاسع { أجر عظيم) ﴿ ٣٢ ﴾ فعملكم ان تحرصوا على طلب ذلك

تعالى ليلوكم فيهم فلا يحملنكم حبههم على الخيانة كاني لبابة ﴿ وان الله عنده أجر عظيم ﴾ لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين الحق والباطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة مما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر اسمكم ويثبت صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ويسترها ﴿ ويغفر لكم ﴾ بالتجاوز والعتو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبرى وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ﴿ واذمكربك

ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوى بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي قبله وقال اما انهم بمنجة الجنة وانهم لمن ربحان الله وأخرج الترمذى عن عمر بن عبدالعزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجنون وتجهلون وانكم لمن ربحان الله قال الترمذى لانعرف لعمر بن عبدالعزيز سماعا عن خولة قوله لمن ربحان الله أى لمن رزق الله والربحان فى اللغة الرزق وقوله تعالى ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ يعنى لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد ﴿ وقوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله ﴿ يعنى بطاعته وترك معاصيه ﴿ يجعل لكم فرقانا ﴾ يعنى يجعل لكم نورا وتوفيقا فى قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشئين لكنه أبلغ من أصله لانه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا فى الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا فى الدين من الشبهات وقال عكرمة نجات أى يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فضلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويظنى باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ يعنى ويح عنكم ما سلف من ذنوبكم ﴿ ويغفر لكم ﴾ يعنى ويستر عليكم بان لا يفضحكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ لانه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بفران السيئات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذمكربك

وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصرالانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حربه والاسلام باعزاز أهله أو بياننا وظهورا يشهر اسمكم ويثبت صيتكم وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا وحرية فى الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيئاتكم) أى الصغائر (ويغفر لكم) ذنوبكم أى الكبرى (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذمكربك

بليعة لكم (وأن الله عنده أجر عظيم) ثواب وافر فى الجنة بالجهاد يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله (فيما أمركم ونهاكم) يجعل لكم فرقانا) نصرة ونجاة (ويكفر عنكم سيئاتكم) دون الكبرى (ويغفر لكم) سائر الذنوب (والله ذو الفضل) ذوالمن

(الذين)

(العظيم) على عباده بالمغفرة والجنة (واذمكربك)

الذين كفروا) لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمته في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذا كراذمكرون بك وذلك ان قريشا لما أسلمت الانصار فرقة وان يتفلق أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس ﴿ ٣٣ ﴾ في صورة { سورة الانفال } شيخ وقال أنا شيخ من نجد

دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم وان تعدموا مني رأيا ونحفا فقال أبو البخترى رأيت ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غيركوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيت ان تحماوه على جبل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال العين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت

الذين كفروا ﴿ تذاكر لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمته الله في خلاصه الذين كفروا ﴿ لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذا كراذمكرون يعني واذا كراذمكروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما أسلمت الانصار ان يتفلق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبوسفيان وطعيمة بن عدى والنضر بن الحرث وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونحفا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البخترى أما أنا فأرى ان تأخذوا مجدا وتحبسوه في بيت مقيد او تشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غيركوة تلقون منها طعامه وشرابه وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كاهلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدى وقال بئس الرأي رأيتم ائتم حبستموه لتخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال أما أنا فأرى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا لكم برأى تعملون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم نروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال أبو جهل والله لاشيرون عليكم برأى ما أرى غيره انى أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطافيا ثم نعطي كل فتى سيفا صارماتم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحى من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتؤدى قريش ديتة فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا والقول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فاتى جبريل

في مضجعه وأذن له الله في الهجرة فامر عليا (قا و خا ه لث) فنام في مضجعه وقال له اتشم يردني فانه لن يخلص اليك أمسك ردهم وياتوا مترصدين فلما اصبحوا صاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فابطل الله مكرهم

في دار الندوة (الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه

من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذا ذكر اذ يعكرون بك ﴿ ليثبتوك ﴾ بالوفاق أو
الحبس أو الأئحان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لاحتراك به ولا براج ووقرى
ليثبتوك بالتشديد وليثبتوك من البيات وليقبذك ﴿ أو يقتلوك ﴾ بسـ. ويفهم ﴿ أو
يخرجوك ﴾ من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرغوا فاجتمعوا
في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انامن نجد
سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو الجحترى
رأى ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرا به منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رأى ان تحماوه على جل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ماصنع فقال
بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل اناررى ان تأخذوا من كل
بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا
يقوى بنوهاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل علقناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رأيه فأنى جبريل النبي عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة
فبييت عليا رضى الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى
الغار ﴿ ويعكرون ويمكر الله ﴾ بردمكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين

(ليثبتوك) ليحبسوك
ويوثقوك (أو يقتلوك)
بسـ. ويفهم (أو يخرجوك)
من مكة (ويمكرون) ويخفون
المكائده (ويمكر الله) ويخفي
الله ما عدلهم حتى ياتهم

صلى الله عليه وسلم النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه
الذى كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يبيت في مضجعه وقال له اتشح ببردتى فإنه
ان يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من
تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ
أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر
وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه
وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ناروا اليه ليقتلوه فأوه عليا فقالوا له أين
صاحبك قال لا أدري فاقتفوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت
فقالوا لو دخله لم يكن النسج العنكبوت على بابه أثر فكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة
فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا يمكركم الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية ﴿ ليثبتوك ﴾
أى ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيا وأوثقه فقد أثبته لانه لا يقدر على الحركة
﴿ أو يقتلوك ﴾ يعنى كما أشار اليهم أبو جهل ﴿ أو يخرجوك ﴾ يعنى من مكة ﴿ ويمكرون ﴾ يعنى
ويحتالون ويدبرون في أمرك ﴿ ويمكر الله ﴾ يعنى ويجازيم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء
مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويماملهم الله بمعاملة مكرهم والمكروه التدبير وهو من الله
تعالى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه

(ليثبتوك) ليحبسوك سجننا
وهو ما قال عمرو بن هشام
(أو يقتلوك) جميعا وهو
ما قال أبو جهل بن هشام
(أو يخرجوك) طردا وهو
ما قال أبو الجحترى بن هشام
(ويمكرون) يريدون قتلك
وهلاكك يا محمد (ويمكر الله)
يريد الله قتلهم وهلاكهم

بنته (والله خير الماكرين) أي مكره أفضد من مكر غيره وأبلغ تأثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية في قرأته فقالت النضر بن الحرث لوشئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رسم وأحاديث العجم فنزل (واذاتلى عليهم ﴿٣٥﴾ آياتنا) أي { سورة الانفال } القرآن (قالوا قد سمعنا

لونشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الأساطير الاولين) وهذا صلب منهم ووقاحة دعوا الى أن يأتيوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتيوا به (واذا قالوا اللهم ان كان هذا) أي القرآن (هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا الأساطير الاولين قال له النبي عليه السلام

معهم بان اخرجهم الى بدر وقتل المسلمين في اعينهم حتى حلوا عليهم فقتلوا ﴿٣٥﴾ والله خير الماكرين ﴿٣٥﴾ اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الهم ﴿٣٥﴾ واذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا ﴿٣٥﴾ هو قول النضر بن الحرث واسناده الى الجمع اسناد مافعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصم أوقول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكاربهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فامنعهم ان يشاؤا وقد تحادهم وقرعهم بالجحز عشرين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انقتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ﴿٣٥﴾ أن هذا الاساطير الاولين ﴿٣٥﴾ ماسطره الاولون من القصص ﴿٣٥﴾ واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم ﴿٣٥﴾ هذا ايضا من كلام ذاك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الاساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعالى اظهره وقواه والنصره فضاع فعلهم وتديبرهم وظهر فعل الله وتديبره ﴿٣٥﴾ والله خير الماكرين ﴿٣٥﴾ فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع أقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى في مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا ﴿٣٥﴾ قوله عز وجل ﴿٣٥﴾ واذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا ﴿٣٥﴾ نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رسم واسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلي فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لونشاء لقلنا مثل هذا فدمهم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدر واما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كتبهم في قولهم لونشاء لقلنا مثل هذا ﴿٣٥﴾ أن هذا الاساطير الاولين ﴿٣٥﴾ يعني أخبار الماضين ﴿٣٥﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿٣٥﴾ واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم ﴿٣٥﴾ نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لوشئت لقلت مثل

وذلك هذا كلام الله فرجع النضر رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) أي ان كان القرآن هو الحق فمأقبتنا على انكاره بالسجيل كما قلت باصحاب القليل (أو ائتنا بعذاب اليم) نوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبوا

يوم بدر (والله خير الماكرين) أقوى المهلكين (واذا تلى) تقرأ (عليهم) على النضر بن الحرث وأصحابه (آياتنا) بالامر والنهي (قالوا قد سمعنا) ما قال محمد عليه السلام

(لونشاء لقلنا مثل هذا) مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم (ان هذا) ما هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الاساطير) أحاديث (الاولين) وأخبارهم (واذا قالوا) قال ذلك النضر (اللهم ان كان هذا) الذين يقول محمد عليه السلام (هو الحق من عندك) أن ليس لك ولد ولا شريك (فأمطر علينا) على النضر (حجارة من السماء) أو ائتنا بعذاب اليم) وجيع فقتل يوم بدر

وعن معاوية انه قال لرجل
من سأمأ أجهل قومك حين
ملكوا عليهم امرأة قال
أجهل من قومي قومك قالوا
لرسول الله عليه السلام
حين دعاهم الى الحق ان
كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء
ولم يقولوا ان كان هذا
هو الحق فاهدنا له (وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)
اللام لتأكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم وأنت بين
أظهرهم غير مستقيم لأنك
بعثت رحمة للعالمين وسنته
ان لا يعذب قوما عذاب
استئصال مادام بينهم بين
أظهرهم وفيه اشعار بانهم
مرصدون بالعذاب اذا
هاجر عنهم (وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون)
هو في موضع الحال ومعناه
نفي الاستغفار عنهم أي ولو
على كانوا ممن يؤمن ويستغفر
من الكفر لماعذبهم أو معناه
وما كان الله معذبهم وفيهم
من يستغفروهم المسلمون
بين أظهرهم ممن تخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبرا (وما كان الله ليعذبهم)
ليهلكهم أبا جهل وأصحابه
(وأنت فيهم) مقيم (وما كان
الله معذبهم) مهلكهم (وهم
يستغفرون) يريدون أن

ويك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة
علينا عقوبة على ائتنا بعذاب اليم سواء والمراد منه التهكم واطهار اليقين
والجزم التام على كونه باطلاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة
التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله
لا الحق مطلقا تجوزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين (وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم) وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (بيان لما كان انما يجب لامهالهم
والتوقف لاجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال
هذا فقال له عثمان بن مظعون أتق الله فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول
الحق قال فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه
بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد
وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما أمطرتها على قوم
لوط أو أئتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث
نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة
آية فحقاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبوا طعمية بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر
بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال
قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية
فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجه نزلت وماله الم لا يعذبهم
الله وهم يصدون عن المسجد الحرام (قوله عز وجل) وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم (اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية متصلة بما قبلها
وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفرو ولا يعذب
أمة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرثهم
واستفاحتهم على أنفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى
ردا عليهم وماله الم لا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم
يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل
اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه
فقال الضحاك وجاعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم
قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها
بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في قمع مكة فهو العذاب

والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستفغارهم اما استغفار من يقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم اغفر غفرا نك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴿وما لهم الا يعذبهم الله﴾ ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون

الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم ومالهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا اغفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبيده لا أعاقبك وأنت تطعني أى أطعنى حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أى يسلمون يعني لو أسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أى وفى اصلا بهم من يستغفر وقيل فى معنى الآية ان الكفار لما باعوا وقالوا ان كان محمد محقا فى قوله فامطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمدا حق فى قوله وانه مع ذلك لا يعطر على اعدائه ومنكرى نبوته حجارة من السماء ما دام بين أظهرهم وذلك تعظيما صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال فى غير هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثانى وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دلت هذه الآية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن أبى موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى ﴿وما لهم الا يعذبهم الله﴾ يعنى أى شئ يمنعهم من ان يعذبهم يعنى بعد خروجك من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين فى الآية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين فى هذه الآية انه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الآخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب

من المستضعفين (ومالهم
ألا يعذبهم الله) أى وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو
معذبهم اذا فارقتهم ومالهم
الا يعذبهم الله

يؤمنوا (ومالهم الا يعذبهم
الله) ان لا يهلكهم الله بعدما

(وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية { الجزء التاسع } واخراجهم ﴿ ٢٨ ﴾ رسول الله والمؤمنين من الصدو كانوا

﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ وحالهم ذلك ومن صدمه عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿ وما كانوا اولياؤه ﴾ مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو ردلما كانوا يقولون نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ ان اولياؤه الالمتقون ﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان الله ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند اواراديه الكل كما يراد بالقللة العدم ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت ﴾ أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يرضون موضعها ﴿ الامكاء ﴾ صغير افعال من مكاء اذا صفروه وقرئ بالقصر كالبكاء ﴿ وتصديفة ﴾ تصفيقا تفعلة من الصدى أو من الصد على ابدال احد حر في التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته روى انهم كانوا يطوفون بالبيت عمرة الرجال والنساء مشكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الثاني العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ يعنى وهم يمتعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية ﴿ وما كانوا اولياء ﴾ قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا اولياؤه يعنى ليسوا اولياء المسجد الحرام ﴿ ان اولياؤه الالمتقون ﴾ يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك ﴿ ولكن اكثرهم ﴾ يعنى المشركين ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصديفة ﴿ لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا باولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهوان صلاتهم عنده كانت مكاء وتصديفة والمكاء فى اللغة الصغير يقال مكاء الطير يمكو اذا صفرو والمكاء اسم طير أبيض يكون بالحجاز له صغير وقيل هو طائر يألف الريف سمي بذلك لكثرة مكائه يعنى صغيره والتصديفة التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما انه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالجبب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاء والتصديفة ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التى أمروا بها المكاء والتصديفة قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدي والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عمرة يصفرون ويصفقون

يقولون نحن ولاية البيت والحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء ققيل (وما كانوا أولياؤه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاية أمر الحرم (ان أولياؤه الالمتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثر الجمع كما يراد بالقللة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء) صغيرا كصوت المكاء وهو طائر ملبغ الصوت وهو فاعل من مكاء اذا صفرو (وتصديفة) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عمرة وهم مشكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله

خرجت من بين أظهرهم (وهم يصدون) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (عن المسجد الحرام) ويطوفون حوله عام الحديبية (وما كانوا اولياؤه) اولياء المسجد

(ان أولياؤه) ما أولياؤه (الالمتقون) الكفر والشرك والقوا حش محمد عليه السلام وأصحابه (ولكن أكثرهم) (وقال)

كلهم (لا يعلمون) ذلك ولا يصدون به (وما كان صلواتهم) لم تكن عبادتهم (عند البيت الامكاء) صغيرا كصغير المكاء (وتصديفة) تصفية

ان يصلى يخطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود اثنتا بعذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ اعتقادا وعملا ﴿ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جذر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين

عليه وسلم في صلته يخطون عليه (فذوقوا العذاب) عذاب القتل والاسر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) اي كان غرضهم في الانفاق الصدع عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو

(فذوقوا العذاب يوم بدر) (بما كنتم تكفرون) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان الذين كفروا) وهم المطعمون يوم بدر ابرأ بوجهل واصحابه وكانوا ثلاثة عشر رجلا (ينفقون اموالهم ليصدوا) ليصرفوا الناس (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

وقال مجاهد كان نفر من بني عبدالدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهنؤون به ويدخلون اصابهم في افواههم ويصفرون فالمكء جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة بن عبدالرحمن عن قوله الامكء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلته وهم من بني عبدالدار فعلى قول ابن عباس كان المكء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدم وفيه وجه آخر وهو ان من كان المكء والتصدية صلته فلا صلته فهو كقول العرب من كان السجاء عيبه فلا عيبه وقال سعيد بن جبيرة التصدية صدم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يعني بسبب كفركم في الدنيا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبدشمس ونيبه ومنبه ابنا الحجاج و ابو الجحترى بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام و ابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عاصم بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر وأسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اثنان واربعون مثقالا وقال ابن ابي نزي استأجر ابا سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل

سبيل الله (فسينفقونها) تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أي من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة يحشرون ليميز حزة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجمعه (فيجعله في جهنم) أي الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (فسينفقونها) في الدنيا (ثم تكون عليهم حسرة) ندامة في الآخرة (ثم يغلبون) يقتلون ويهزمون يوم بدر (والذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون) يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والطالح من الصالح (ويجعل الخبيث بعضه على بعض)

اوقية أو في اصحاب العير فانه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعننا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) تمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبه وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها كأنها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين كفروا) أي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم الى جهنم يحشرون (يساقون) ليميز الله الخبيث من الطيب (الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة يحشرون أو يغلبون أو ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما للكافرين (فيجعله في جهنم) كله (أولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث

لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آبؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعننا ندرك منه ثار عن أصيب منافقهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ايتقوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسينفقونها) يعني أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة) ثم يغلبون (يعنى ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون) والذين كفروا (يعنى منهم لان فيهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين أموالهم) الى جهنم يحشرون (يعنى يساقون الى النار) ليميز الله الخبيث من الطيب (يعنى ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازى على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعنى بعضه فوق بعض (فيركه جميعا) يعنى فيجمعه جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعنى الخبيث (أولئك) اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث

(هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى أبى سفیان وأصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله بالدخول في الإسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقاتله (فقد مضت سنت الاولين) بالاهلاك ﴿ ٤١ ﴾ في الدنيا { سورة الانفال } والعذاب في العقبى أو معناه

ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يشيهم على اسلامهم

(هم الخاسرون) المغبونون بالعقوبة (قل) يا محمد للذين كفروا) أبى سفیان وأصحابه (ان ينتهوا) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد صلى الله عليه وسلم (وان يعودوا) الى قتال محمد صلى الله عليه وسلم (فقد مضت سنت الاولين) خلت سيرة الاولين بالصره لا وليا له على أعدائه مثل يوم بدر

أو الى المنفقين ﴿ هم الخاسرون ﴾ الكاملون في الخسران لانهم خسروا أنفسهم واموالهم ﴿ قل للذين كفروا ﴾ يعنى ابا سفیان واصحابه والمعنى قل لا جملهم ﴿ أن ينتهوا ﴾ عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ من ذنوبهم وقربى بالثناء والكاف على انه خطايمه ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ وأن يعودوا ﴾ الى قتاله ﴿ فقد مضت سنة الاولين ﴾ الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ لا يوجد فيهم شرك ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ وتضمحل عنهم الاديان الباطلة ﴿ فان انتهوا ﴾ عن الكفر ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ فيجازيم على انتهائهم عنه واسلامهم ﴿ وعن يعقوب تعملون بالثناء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب

﴿ هم الخاسرون ﴾ يعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قل ﴿ يعنى قل يا محمد ﴾ للذين كفروا ان ينتهوا ﴿ يعنى عن الشرك ﴾ يغفر لهم ما قد سلف ﴿ يعنى ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام ﴾ وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين ﴿ يعنى في اهلاك أعدائه ونصر أوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتموا شرائعهم غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه وأجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه يعنى بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفر فارجو أن لا يجز عن هدم ما بعده من ذنب ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ قال ابن عباس يعنى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليهادى وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعنى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء ﴿ فان انتهوا ﴾ يعنى الشرك واقتان المؤمنين وايدأهم ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ يعنى فان الله لا ينجي عليه شئ

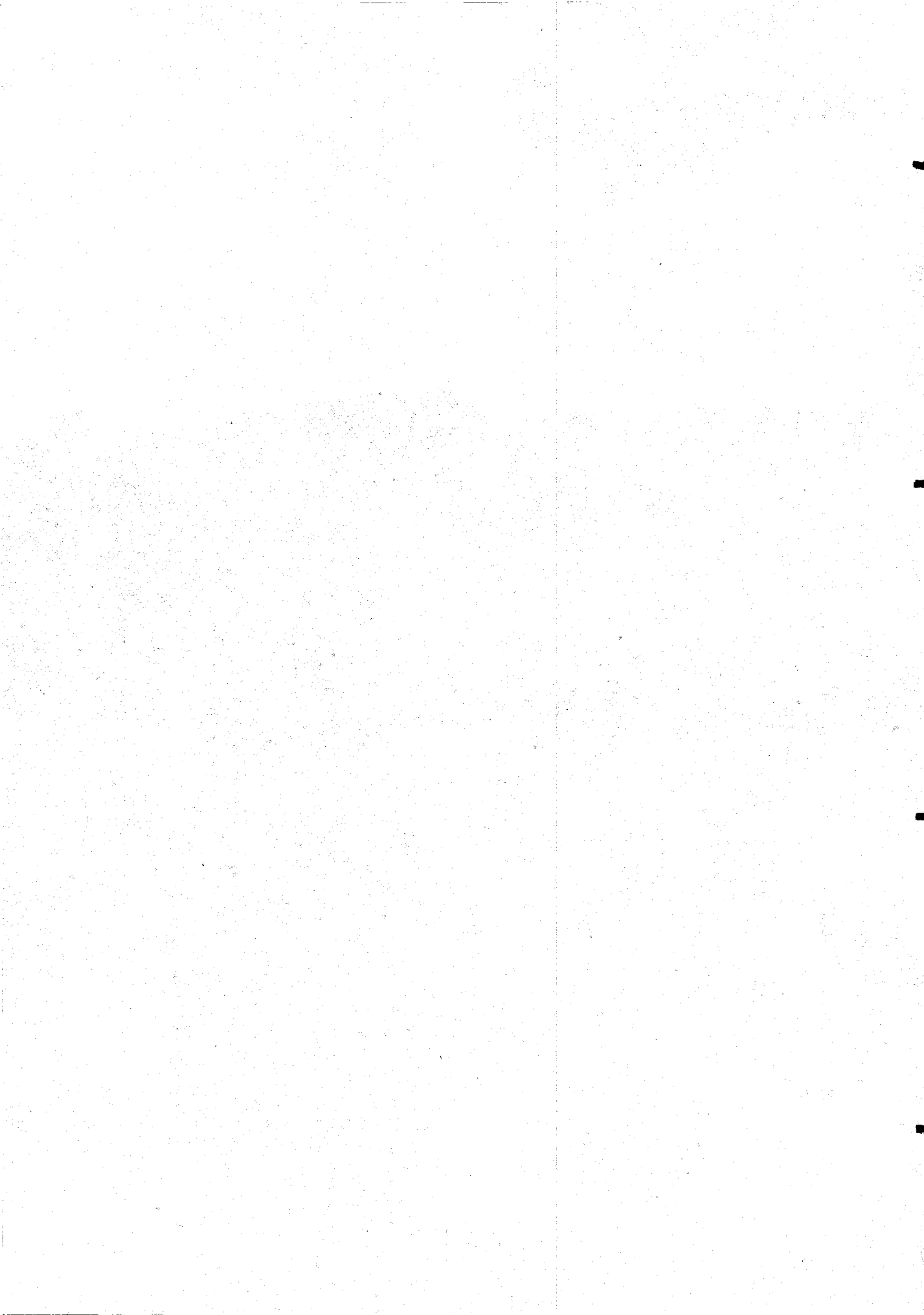
(وقاتلوهم) يعنى كفار أهل مكة (حتى) (قا و خا ٦ لث) لا تكون فتنة (الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد صلبا السلام في الحرم (ويكون الدين) في الحرم والعبادة (كله لله) حتى لا يبقى الا دين الاسلام (فان انتهوا) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وقاتل محمد صلى الله عليه وسلم (فان الله بما يعملون) من الخير والشرك (بصير)

﴿ وأن تولوا ﴾ ولم ينتهوا ﴿ فاعلموا أن الله مولاكم ﴾ ناصركم فتقوا به ولا تبالوا
بمعاداتهم ﴿ نعم المولى ﴾ لا يضيع من تولاه ﴿ ونعم النصير ﴾
لا يغلب من نصره

من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل إليهم ثوابهم ﴿ وأن تولوا ﴾ يعني وإن أعرضوا عن الإيمان
وأصروا على الكفر وعادوا إلى قتال المؤمنين وإيذانهم ﴿ فاعلموا ﴾ يعني أيها المؤمنون
﴿ أن الله مولاكم ﴾ يعني أن الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم ﴿ نعم المولى ﴾
ونعم النصير ﴿ يعني أن الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان
في حفظه ونصره وكفائته وكلاءته فهو له
نعم المولى ونعم النصير

(وأن تولوا) أعرضوا عن
الإيمان ولم ينتهوا (فاعلموا
أن الله مولاكم) ناصركم
ومعينكم فتقوا بولايته
ونصرته (نعم المولى)
لا يضيع من تولاه (ونعم
النصير) لا يغلب من نصره
والمخصوص بالمدح محذوف

وأن تولوا (عن الإيمان
(فاعلموا) يأمعشر
المؤمنين (أن الله مولاكم)
حافظكم وناصركم
عليهم (نعم المولى) المولى
بالحفظ والنصرة (ونعم
النصير) المانع



الجزء العاشر

اللهم ايدنا بالملائكة المقربين

﴿واعلموا ان ماغنمتم ﴾ أى الذى اخذتموه من الكفار قهرا ﴿من شئ ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط ﴿فان لله خسه ﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فثابت ان لله خسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على خسة المعطوفين ﴿وللرسول

﴿ قوله عز وجل ﴾ واعلموا ان ماغنمتم من شئ فان لله خسه وللرسول ﴿ الغنم الفوز بالشئ يقال غنم يغم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنمية والنبي اسمان لمسمى واحداً أم يختلفان فى التسمية فقال عطاء بن السائب الغنمية ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهى فى ءوقال سفيان الثورى الغنمية ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة أخاسه لمن شهد الواقعة والنبي ما وصلوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمي الله وقيل الغنمية ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغبلة والنبي ما لم يوجد عليه بخيل ولا ركاب كالمشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان النبي والغنمية معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح انهما يختلفان فالنبي ما أخذ من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والغنمية ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية حكم الغنمية فقال تعالى واعلموا ان ماغنمتم من شئ يعنى من أى شئ كان حتى الخيط والخيط فان لله خسه وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتاح كلام على سبيل التبرك وانما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهماً منه لله مفرداً لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقادة وعطاء و ابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنمية تقسم

(خسة)

(واعلموا ان ماغنمتم) ما بمعنى الذى ولا يجوز ان يكتب الامفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب ان تكون ما كافة وغنمتم صلته والمائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (من شئ) بيانه قيل حتى الخيط والخيط (فان لله خسه) والقاء انما دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة وان وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالخكم ان لله خسه (وللرسول

(واعلموا) يا معشر المؤمنين (ان ماغنمتم من شئ) من الاموال (فان لله خسه) يخرج خمس الغنمية لقبيل الله (وللرسول) لقبيل

ولدى القربي

خسة أخس أربعة أخسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقى لخسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم الله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول أصح أى ان خمس الغنمية يقسم على خسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين ومافيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعى وأحد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين في الآية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولدى القربى ﴾ يعنى ان سهمها من خمس الخمس لذوى القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلى بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل منه شىء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد وفى رواية أعطيت بنى المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفى رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شىء أخرجه البخارى وفى رواية أبى داود ان جبير بن مطعم جاءه هو وعمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس فى بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شىء وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد وفى رواية النسائى قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس فانطلقت أنا وعمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لانكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما وبنو المطلب لانفترق فى جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شىء واحد وشبك بين أصابعه وأختلف أهل العلم فى سهم ذوى القربى هل هو ثابت اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعى وذهب أبو حنيفة وأصحاب الرأى الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى مردود

ولدى القربى

الرسول (ولدى القربى)
ولقب قرابة النبي صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب ودون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه

(واليتامى) ولقبيل اليتامى غير يتامى بنى عبدالمطلب (والمساكين) ولقبيل المساكين غير مساكين بنى عبدالمطلب (وابن السبيل) ولقبيل الضيف والمحتاج كأنا من كان وكان يقسم الخمس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم للنبي عليه السلام وهو سهم الله وسهم للقرابة لان النبي عليه السلام كان يعطى قرابته لقبيل الله وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل فلأمات النبي صلى الله عليه وسلم سقط سهم

واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴿ فكأنه قال فان الله خسهه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غيران سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما

في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم ووجه الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وألحقه الشافعى بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الاثني فيعطى الذكر سهمين والاثني سهمًا * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ واليتامى ﴾ جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذى له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذى لأب له يعطى مع الحاجة اليه ﴿ والمساكين ﴾ وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ﴿ وابن السبيل ﴾ وهو المسافر البعيد عن ماله يعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماسها الباقية بين الفاعين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهمًا واحدا لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفارس سهمين وللرجل سهمًا وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى ومسلم وفي رواية أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل و فرسه ثلاثة أسهم سهم له وسهمين لفرسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللرجل سهم ويرضخ للبعيد والنسوان والصبيان اذا حضر وا القتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كلثقل وعند أبى حنيفة يتخير الامام فى العقار بين ان يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفا على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لا يفرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا فى القتال يستحق سلبه من رأسه الغنيمة لما روى عن أبى قتادة أن رسول الله

فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوناك بنو هاشم لانكرك فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم رأيت اخواننا من بنى المطيب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يبقار قونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقر يرفيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت بيدر وقيل الخمس كان في عزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من

صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بيعة فله سلبه أخرجه الترمذي وأخرجه البخارى ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذى كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنمية لزيادة غناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنمية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نة الربع في البداية والثالث في الرجعة أخرجه أبو داود اختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعى وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائى وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهم الغزاة وهو قول أحد واسحق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنمية قبل التخميس كالسلب للقتال وأما النى وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما أخذ من أموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فى ومال النى كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمران الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا النى بشىء لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان يتفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقى يجعله لى الله فى الكراع والسلاح واختلف أهل العلم فى مصرف النى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأمة بعده وللإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة الذين أبتت أسماؤهم فى ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم فى ارباب العدو والقول الثانى انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيمطون منه كفايتهم ثم بالاهم

كان على ستة لله والرسول
سهمان وسهم لإقاربه
فأجرى أبو بكر رضى الله
عنه الخمس على ثلاثة وكذا
عمر ومن بعده من الخلفاء
رضى الله عنهم ومعنى لله
والرسول لرسول الله كقوله
والله ورسوله أحق أن يرضوه

لكل نبي طعمة فى حياته فاذا
مات سقطت فليكن بعده
لاحد وكان يقسم أبو بكر
وعمر وعثمان وعلى فى خلافتهم
الخمس على ثلاثة أسهم سهم
لليتامى غير يتامى بنى عبد
المطلب وسهم للمساكين
غير مساكين بنى عبدالمطلب
وسهم لابن السبيل للضيف
والمحتاج

(ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا به وارضوا به هذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وما أنزلنا) معطوف على بالله أي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل { الجز العاشر } (على عبدنا يوم الفرقان) ﴿ ٤٨ ﴾ يوم بدر (يوم التقى الجمعان) الفرقان

من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان (والله على كل شيء قدير) يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر (اذ انتم) بدل من يوم الفرقان او التقدير اذ كروا اذ انتم (بالعدوة) شط الوادي وبالكسر فيها مكى وأبو عمرو (الدنيا) القري الى جهة المدينة تأنيث الادنى (وهم بالعدوة القصوى) البعدي عن

شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخس لهؤلاء فسلوه اليهم واقنعوا بالاجناس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر ﴿ وقرئ ﴾ عبدنا بضمين أي الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ المسلمون والكفار ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة ﴿ اذ انتم بالعدوة الدنيا ﴾ بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي ﴿ وقد قرئ ﴾ بها والمشهور الغم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾ البعدي من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه

فلاهم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس النبي فذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الى أنه يخمس وخسه لاهل الخس من الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا وجميع المسلمين فيه حق * عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوما النبي فقال ما أنا أحق بهذا النبي منكم وما أحدنا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا النبي حق الا ما ملكت أيانكم وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ يعني واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه أطعامكم واقنعوا بأربعة أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدايته ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ يعني وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن الانفال الآية ﴿ يوم الفرقان ﴾ يعني يوم بدر قال ابن عباس يوالفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أولسبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يعني على نصركم أيها المؤمنون مع قتلكم وكثرة أعدائكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ اذ انتم ﴾ أي اذ كروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الادنى ﴿ وهم ﴾ يعني المشركين ﴿ بالعدوة القصوى ﴾

(ان كنتم) اذ كنتم (آمنتم بالله وما أنزلنا) وبما أنزلنا (على عبدنا) محمد عليه السلام (يوم الفرقان) ويوم الدولة والنصرة لمحمد وأصحابه ويقال يوم الفرقان يوم فرق بين الحق والباطل وهو يوم بدر حكم بالنصرة والغنيمة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع أبي سفيان (والله على كل شيء) من النصر والغنيمة للنبي

صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (قديرا اذ انتم) يا معشر المؤمنين (يعني) (بالعدوة الدنيا) القري الى المدينة دون الوادي (وهم) يعني أبا جهل وأصحابه (بالعدوة القصوى) البعدي من

المدينة تأييد الاقصى وكلناهما على من بنات الواو والقياس قلب الواوياء كالعليا تأييد الاعلى وأما القصوى فكالنود في مجيئه على الاصل (والركب) أي البر وهو جمع ركب في المعنى (أسفل منكم) نصب على الظرف أي مكانا أسفل من مكانكم يعني في أسفل الوادي بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لانه خرا المبتدأ (ولوتواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم في الميعاد) لخالف بعضكم بعضا فثبتكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبتهم ما في قلوبهم من تهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم { سورة الانفال } والمسلمين فليتفق لكم من

التلاق ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمخدوف أي ليقضى الله أمرا كان ينبغي ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أي ليحكم ما قد علم انه يكون كأننا أوليت أمرا كان قد أرادوه وما أراد كونه فهو مفعول لامحالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر

وحزبه ويتعلق بيقضى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) حتى نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثليين والاظهار لان حركة الثاني غير

المدينة من خلف الوادي (والركب) العير أبو سفيان وأصحابه (أسفل

قلب الواو ياء كالدينا والعلواء تفرقة بين الاسم والصيغة فجاء على الاصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصياء والركب أي العير أو قوادها أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبدلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والنيث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدو الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا عيش فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدو القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمت حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هينة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الاضعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد ليقضى الله أمرا كان مفعولا حقيقابان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق بقوله

يعنى بشفير الوادي الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تأييد الاقصى والركب أسفل منكم يعني أباسفيان وأصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر ولو تواعدتم يعني أنتم والمشركون لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار لينموها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم قلتكم وكثرة عدوكم ولكن يعني ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقضى الله أمرا كان مفعولا يعني من نصر أوليائه واعزاز دينه واهلاك أعدائه وأعداء دينه ليهلك من هلك عن بينة يعني لموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها ووجهة قامت عليه ويحيى من حي عن بينة يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدها ووجهة قامت عليه وقال محمد ابن اسحق

على شط البحر بثلاثة أميال (ولو) (قا و خا و ك) (تواعدتم) في المدينة للقتال (لاختلفتم في الميعاد) في المدينة بذلك (ولكن ليقضى الله) ليقضى الله (أمرا كان مفعولا) كأننا بالنصرة والغنيمه للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (ليهلك من هلك) يقول ليهلك على الكفر من أراد الله ان يهلك (عن بينة) بعد البيان بالنصرة لمحمد عليه السلام ويثبت على الايمان (من حي) من أراد الله ان يثبت (عن بينة) بعد البيان بالنصرة لمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال ليهلك يكفر من هلك من أراد الله ان يكفر عن بينة بعد البيان بالنصرة لمحمد

لازمة لانك تقول في المستقبل يحيى والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعن مخالفة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم ايضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعت بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكارا لنفسه مغالطها ولهذا ذكر فيها امر اكر الفريقين وان العير { الجزء العاشر } كانت أسفل ﴿ ٥٠ ﴾ منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة لعلم

الخلق ان النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدو القسوى الذى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولما جاء بالعدو الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يعشى فيها الا تبغ ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة

عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان (وان الله لسميع) لاقوالهم (علم) بكفر من كفر وعقابه ويايمان من آمن وثوابه (اذيريكهم الله) نصب باخمار اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع علم أى يعلم المصالح اذ يقالهم فى عينك (فى منامك قليلا) أى فى رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم فى رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراهم كثيرا لفشتم) لجنبتم وهمم الاقدام (ولتتازعتم فى

مفعولا والمعنى يموت من يموت عن بينة عينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعدرة فان وقعت بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر ويايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقضى له الهلاك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر ويعقوب من حى بفك الادغام للحمل على المستقبل ﴿ وان الله لسميع علم ﴾ بكفر من كفر وعقابه ويايمان من آمن وثوابه واعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد ﴿ اذيريكهم الله فى منامك قليلا ﴾ مقدر باذكر أو يدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعلم أى يعلم المصالح اذ يقالهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تشيبتا لهم وتشجيعا على عدوهم ﴿ ولو أراهم كثيرا لفشتم ﴾ لجنبتم ﴿ ولتتازعتم فى الامر ﴾ امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ ولكن الله سلم

معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هى الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة ﴿ وان الله لسميع علم ﴾ يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذيريكهم الله ﴾ يعنى واذا كرا يا محمد نعمة الله عليك اذيريك المشركين ﴿ فى منامك ﴾ يعنى فى نومك ﴿ قليلا ﴾ قال مجاهد أراه الله فى منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان ذلك تشيبتا وقال مجاهد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بهما ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما رأى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش فى منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراء كانت فى اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ﴿ ولو أراهم كثيرا لفشتم ﴾ يعنى لجنبتم والفضل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ﴿ ولتتازعتم فى الامر ﴾ يعنى اختلفتم فى امر الاقدام عليهم أو الاجام عنهم وقيل معنى التنازع فى الامر الاختلاف الذى تكون معه مخاصمة ومجادلة ومجادبة كل واحد الى ناحية والمعنى لا اضطرب أمركم واختلفت كلمتكم ﴿ ولكن الله سلم ﴾ يعنى ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله

الامر) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل (سلمكم)

صلى الله عليه وسلم ويؤمن من أراد الله ان يؤمن من بعد البيان (وان الله لسميع) لدعائكم (علم) باجابتكم ونصرتكم (اذيريكهم الله فى منامك) يا محمد قبل يوم بدر (قليلا ولو أراهم كثيرا لفشتم) لجنبتم (ولتتازعتم فى الامر) لاختلقتهم فى أمر الحرب (ولكن الله سلم) قضى

والتنازع والاختلاف (انه علم بذات الصدور) يعلم ماسيكون فيها من الجراءة والجنين والصبر والجزع (واذير يكموهم) الضميران مفعولان أي واذيركم ﴿٥١﴾ يا هم (اذ { سورة الانفال } التقييم) وقت اللقاء (في

أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويشبوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قالوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقولكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثروهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بان يستألف الله بعضهم بسائر ما يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل بعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة (ليقضى الله أمرا) كان مفعولا

(انه علم بذات الصدور) بما في القلوب (واذير يكموهم) يوم بدر (اذ التقييم)

لقيم (في أعينكم قليلا) حتى أجرأكم عليهم (ويقولكم في أعينهم) حتى اجترؤا عليكم (ليقضى الله أمرا) ليقضى الله أمرا بالنصرة

والغنية لمحمد عليه السلام وأصحابه والقتل والهزيمة لابي جهل وأصحابه (كان مفعولا) كأننا

انعم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿انه علم بذات الصدور﴾ يعلم ماسيكون فيها وما يعبر من احوالها ﴿واذير يكموهم اذ التقييم في أعينكم قليلا﴾ الضميران مفعولان يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه أراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ويقولكم في أعينهم﴾ حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثروهم حتى يروهم مثلهم لتفجأهم الكثرة فبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظام آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى في الشروط ﴿ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلن به أولان المراد بالامر

سلمكم من الهزيمة والفشل ﴿انه علم بذات الصدور﴾ يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجنين والصبر والجزع وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انه علم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل ﴿واذير يكموهم اذ التقييم في أعينكم قليلا﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبره أصحابه قال ابن مسعود لقد قالوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة فامرنا رجالنا منهم فقلنا كم كنتم قل كنا ألفا ﴿ويقولكم في أعينهم﴾ يعني ويقولكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذبرز لكم محمدا واصحابه فلا ترجعوا حتى نستألفهم انما محمدا واصحابه أكلة جزور يعني قللهم في أعينهم ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة التي في نفسه والحكمة في تقلييل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقلييل المؤمنين في أعين المشركين لتلايبروا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالقوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقلييل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات فلا ينسرك ذلك ﴿ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ يعني أمرا كأننا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الآية المقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا

والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحزوة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فئة) اذا حاربتهم جماعة من الكفار وترك وصفها { الجزء العاشر } لان المؤمنين ﴿ ٥٢ ﴾ ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب

للقاتل (فآبئوا) لقتالهم ولا تقربوا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصره والمثوبة وفيه اشعار باز على العبد ان لا يفتتر عن ذكر ربه أشمل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (وأطيعوا الله ورسوله) في الامر بالجهد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا فتفشلوا) فتجبنوا وهو منصوب باضمار ان وبدل عليه (وتذهب ريحكم) أى دولتكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره شهبهت في نفوذ (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (اذالقيتم فئة) جماعة من الكفار يوم بدر (فآبئوا) مع نبيكم في الحرب (واذكروا الله كثيرا) بالقلب

ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه ﴿ والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فئة ﴾ حاربتهم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء بما غاب في القتال ﴿ فآبئوا ﴾ لقيامهم ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تظفرون بمرادكم من النصره والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتمحى اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشر اشهره فارغ البال واثقaban لطفه لا يبتغى عنه في شئ من الاحوال ﴿ واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا ﴾ باختلاف الآراء كما فلتهم ببدراً واحداً ﴿ فتفشلوا ﴾ جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ بالجزم والريح مستعارة

فامنى هذا التكرارات المتصودة من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه التهور والغلبة ليكون ذلك مجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التي تضاهها فلذلك قل ليتضى الله أمرا كان مفعولا ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ يعنى في الآخرة فيحازى كل عادل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باسائه أو يفقر ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا اذالقيتم فئة) يعنى جماعة كافرة ﴿ فآبئوا ﴾ يعنى اقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدو بها بالتولى ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ يعنى كونوا ذاكرين لله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم وأستنكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بان يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه واسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قل تعالى ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قات ظاهرا الآية بوجب الثبات دلى كل حل وذلك يوهم انها ناسخة لآية التحرف والتحيز قات المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدر في حصول هذا الثبات في المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قل تعالى ﴿ وكذا لذكركم ﴾ وأطيعوا الله ورسوله ﴿ يعنى في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ﴾ ولا تنازعوا فتفشلوا ﴿ يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف بوجب الفشل والضعف والخبث ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وتذهب ريحكم) يعنى قوتكم وقال مجاهد نصرتمكم قل وزهبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدى جراءتكم وجدكم

واللسان بالتهليل والتكبير (لعلكم تفلحون) لكي نجوا من السخط والعذاب وتتصروا (وأطيعوا الله) (وقال) (ورسوله) في أمر الحرب (ولا تنازعوا) لا تختلفوا في أمر الحرب (فتفشلوا) فتجبنوا (وتذهب ريحكم) شدتكم والريح النصره

الحال وكذا ان جعل مفعولاه لكن على تأويل المصدر ﴿ والله بما تعملون محيط ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ واذين لهم الشيطان ﴾ مقدر باذكر ﴿ اعمالهم ﴾ في معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم ﴿ وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ﴾ مقالة نفسانية والمعنى انه التقي في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجبر لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلاً لها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان أباسفيان لما رأى انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتنعوا غيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدر او كان في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بهاسوق في كل عام قال فقيم عليها ثلاثون نحر الجزور ونظم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا زاد غيره قال فلما وافوا بدر اسقوا كأس الحمام عوضاً عن الخمر وناحت عليهم النوايح فكان القيان فهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أسركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن أخلصوا لله عز وجل النية وقالوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره ﴿ قوله تعالى ﴾ والله بما يعملون محيط ﴿ فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شئ لانه محيط بأعمال الابداء كلها فيجازى المحسنين ويعاقب المسيئين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذين لهم الشيطان أعمالهم ﴿ يعنى اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين أعمالهم الخبيثة ﴿ وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ﴾ قال بعضهم كان تزينه وسوسة ألقاها في قلوبهم من غير أن يخول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم وكان تزينه ان قريشا لما أجمت على المسير الى بدر ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن الحرث من الحروب فكان ذلك أن ينسبهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشرف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من أن يأتيكم من كنانة شئ تكرهونه فخرجوا سرا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقه بن مالك بن جعشم فقال للمشركين لا غالب ليكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اسطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انترع ابليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته فقال الرجل ياسراقه أنزع من انك جار لنا فقال انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة

(والله بما يعملون محيط) عالم وهو وعيد (واذين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) واذكر اذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون وغالب مبنى نحو لارجل ولكم في موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كأئن لكم (وانى جار لكم) أى

(والله بما يعملون) في الخروج على النبي صلى الله عليه وسلم والحرب (محيط) عالم (واذين لهم الشيطان أعمالهم) ابليس خروجهم (وقال لا غالب لكم) عليكم (اليوم من الناس) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وانى جار لكم) معين لكم

مجير لكم أو همهم ان طاعة الشيطان بما يجيرهم ﴿٥٥﴾ (فلما تراءت { سورة الانفال } الفتان) فلما تلاقى الفريقان

(نكص) الشيطان هاربا
(على عقبيه) أى رجوع
القهقرى (وقال انى برى
منكم) أى رجعت عما
ضمنت لكم من الامان روى
ان ابليس تمثل لهم فى صورة
سراقة بن مالك بن جعشم
فى جنود من الشياطين معه
راية فلما رأى الملائكة
تنزل نكص فقال له الحرث
ابن هشام أنخذلنا فى هذه
الحالة فقال (انى أرى مالا
ترون) أى الملائكة
وانهزموا فلما بلغوا مكة
قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله
ماشعرت بمسيركم حتى
بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا
علموا انه الشيطان (انى
أخاف الله) أى عقوبته
(والله شديد العقاب)

(فلما تراءت الفتان) الجمعان
جمع المؤمنين وجمع الكافرين
ورأى ابليس جبريل مع
الملائكة (نكص على عقبيه)
رجع الى خلفه (وقال) لهم
(انى برى منكم) ومن قتالكم
(انى أرى مالا ترون) أرى
جبريل ولم تروه (انى أخاف
الله والله شديد العقاب)
اذا عاقب خاف ان يأخذه
جبريل فيعرفه اليهم

أوصفته وليس صلته والالانصب كقولك لا ضاربازيداعندنا ﴿ فلما تراءت الفتان ﴾
أى تلاقى الفريقان ﴿ نكص على عقبيه ﴾ رجوع القهقرى أى يطل كيده وعاد ما خيل
اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم ﴿ وقال انى برى منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله ﴾
أى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما
اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنىهم
فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم
من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى
اين أنخذلنا فى هذه الحالة فقال انى أرى مالا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهمزوا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى
بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى
أخاف الله انى أخافه ان يضيبنى مكرها من الملائكة أو يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت
الموعود اذ رأى ما لم يرقبه والاول ما قاله الحسن واختره ابن بحر ﴿ والله شديد العقاب ﴾

وقوله انى جار لكم يعنى مجيركم من كنانة ﴿ فلما تراءت الفتان ﴾ أى التى الجمعان رأى
ابليس الملائكة قد نزلا ومن السماء فعمل عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم ﴿ نكص على عقبيه
وقال انى برىء منكم ﴾ يعنى رجوع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال
الكلبى لما التى الجمعان كان ابليس فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وهو أخذ سيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه
فقال له الحرث أفرارا من غير قتال وجعل يسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهزم
الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغنى انكم تقولون انى
هزمت الناس فوالله ماشعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فقالوا أما أينتنا فى يوم كذا وكذا
فخلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله ﴿ انى أرى مالا
ترون ﴾ قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معجرا يردمشى بين يدي النبى
صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس
انى أرى مالا ترون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن
علم انه لا قوة له ولا منعة فأوردتهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطاعه اذا
التى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فيمن هلك وقيل
خاف أن يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطعوه وقيل معناه ﴿ انى أخاف الله ﴾
أعلم صدق وعده لا وليا له لانه كان على ثقة من أمره وقيل لما رأى الملائكة قد
نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة ﴿ والله شديد العقاب ﴾ قيل معناه انى أخاف
الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله
انى أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى
والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به ﴿ عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن

يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا ﴿ اذيقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾ والذين لم يطمئثوا الى الايمان بعد وبقى في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين ﴿ غر هؤلاء ﴾ يعنون المؤمنين ﴿ دينهم ﴾ حين تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ جواب لهم ﴿ فان الله عزيز ﴾ غالب لا يذل من استجار به وان قل ﴿ حكيم ﴾ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ﴿ ولو ترى ﴾ ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان ﴿ اذيتوفى ﴾ الذين كفروا الملائكة ﴿ يبدر ﴾ واذا ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالياء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره

رسول لله صلى الله عليه وسلم قال مارؤى الشيطان يوما هو فيه أصفر ولا أدر ولا أحقر ولا أعظم منه في يوم عرفته وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الامارأى يوم بدر فانه قدرأى جبريل يزع الملائكة أخرجه مالك في الموطأ بقوله ولا أدر هو بالذال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرده مع الاهانة وقوله يزع الملائكة أى يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والواضع هو الذى يتقدم ويتأخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاء قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذيقول المنافقون ﴿ يعنى من أهل المدينة ﴾ والذين في قلوبهم مرض ﴿ أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا ﴿ غر هؤلاء دينهم ﴾ يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحلهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتباب فحبسهم ارتبابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويشق فضله ويعول على احسانه ﴿ فان الله ﴾ حافظه وناصره لانه ﴿ عزيز ﴾ لا يغلبه شئ ﴿ حكيم ﴾ فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو ترى اذيتوفى الذين كفروا الملائكة ﴿ يعنى ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذتقبض الملائكة أرواح الذين كفروا عند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيما وعدايا شديدا ينالهم فى

أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام (غر هؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكمل اليه أمره (فان الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (حكيم) لا يسوى بين وليه وعدوه (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضى كما تردان الماضى الى معنى الاستقبال (اذ) نصب على الظرف (يتوفى الذين كفروا) يقبض أرواحهم (الملائكة)

خلاف يطبعوه بعد ذلك (اذيقول المنافقون) الذين ارتدوا ببدر) والذين فى قلوبهم مرض) شك وخلاف وسائر الكفار (غر هؤلاء) محمدا عليه السلام وأصحابه (دينهم) توحيدهم (ومن يتوكل على الله) فى النصرة (فان الله عزيز) بالنقمة من أعدائه (حكيم) بالنصرة لمن توكل عليه كما نصر نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر (ولو ترى) لو رأيت يا محمد

فَاعِل (يضربون) حال منهم (وجوههم) إذا قبلوا (وأدبارهم) ظهورهم واستاهم إذا أدبروا وأوجوههم عند الأقدام وأدبارهم عند الأبرام وقيل في توفى ضمير الله تعالى ﴿ ٥٧ ﴾ والملائكة { سورة الانفال } مرفوعة بالابتداء ويضربون

خبر والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفىهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عامر تنوفي بالتاء (وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارته لهم به او يقال لهم يوم القيامة ذوقوا جواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيما (ذلك) بما قدمت أيديكم (وهو) رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد أولني أنواع الظلم الكاف في (كذاب آل فرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعلمهم الذي دأبوا فيه أي

يضربون وجوههم ﴿ والجمله حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين ﴿ وادبارهم ﴿ ظهورهم واستاهم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما قبل منهم وما ادبر ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴿ عطف على يضربون باضمار القول أي ويقولون ذوقوا بشاره لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهب النار منها وجواب لو محذوف لتفطع الامر وتوبله ﴿ ذلك ﴿ الضرب والعذاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴿ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد ﴿ عطف على ما لادلالة على ان السببية مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاها لا يمكن ان يعذبهم بغير ذنبهم لان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد ﴿ كذاب آل فرعون ﴿ أي دأب هؤلاء مثل دأب آل

ذلك الوقت ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴿ اختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا قبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا لولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جرير يريد ما قبل من أجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع أجسادهم ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴿ يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محجمة بالنار يضربون بها الكفار فتتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ﴿ ذلك ﴿ يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق ﴿ بما قدمت أيديكم ﴿ يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة ﴿ وقوله عز وجل ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد ﴿ يعني انه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه الا بجرمه اجترمه لانه لا يظلم أحدا من خلقه وانما نفي الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على عصيانه لانه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحالة نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلماذا قال الله سبحانه وتعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذاب آل فرعون ﴿ يعني ان عادة هؤلاء

يوم بدر (يضربون وجوههم) على وجوههم (وأدبارهم) على ظهورهم (وذوقوا عذاب الحريق) الشديد

(ذلك) العذاب (بما قدمت) عملت (أيديكم) (قا و خا ا لث) في الشرك (وان الله ليس بظلام للعبيد) ان يأخذهم بلا جرم

داومواعليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله
 فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب) والمعنى جزوا على عادتهم في التكذيب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب
 (ذلك) العذاب أو الانتقام { الجزء العاشر } (بان الله لم يك **٥٨** مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا وما

فرعون وهو علمهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أى دامواعليه **﴿والذين من قبلهم﴾**
 من قبل آل فرعون **﴿كفروا بآيات الله﴾** تفسير لدأب بهم **﴿فاخذهم الله بذنوبهم﴾**
 كما اخذ هؤلاء **﴿ان الله قوى شديد العقاب﴾** لا يغلبه في دفعه شئ **﴿ذلك﴾** اشارة
 الى ما حل بهم **﴿بان الله﴾** بسبب ان الله **﴿لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم﴾** مبدلا
 اياها بالنعمة **﴿حتى يغيروا ما بانفسهم﴾** يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوأ كتغيير
 قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعريض الآيات والرسل بمعادة الرسول
 ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمايهم والتكذيب بالآيات والاستهزام بها الى غير
 ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا
 حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عاده تعالى على تغييره متى يغير وا حالهم
 واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه
 بالحروف اللينة تخفيفا **﴿وان الله سميع﴾** لما يقولون **﴿عليم﴾** بما يفعلون **﴿كذاب﴾**
 آل فرعون والذين من قبلهم

بانفسهم) بسبب ان الله لم يصح
 في حكمته ان يغير نعمته عند
 قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال
 نعم لم يكن لآل فرعون
 ومشركي مكة حال مرضية
 فيغيروها الى حال مسخوطة
 لكن لما تغيرت الحال المرضية
 الى المسخوطة تغيرت الحال
 المسخوطة الى أسخط منها
 وأولئك كانوا قبل بعثة
 الرسول اليهم كفرة عبدة
 أصنام فلما بعث اليهم بالآيات
 فكذبوه وسعوا في اراقة
 دمه غيروا حالهم الى أسوأ
 مما كانت مغيرا لله ما أنعم
 به عليهم من الامهال وعاجلهم
 بالعذاب (وأن الله سميع)
 لما يقول مكذبوا الرسل
 (عليم) بما يفعلون (كذاب
 آل فرعون) تكريرا للتأكيد
 أو لان في الاولى الاخذ
 بالذنوب بلا بيان ذلك
 وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك
 والاستئصال (والذين
 من قبلهم

الكفار في كفرهم كما دأب آل فرعون في كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسريوم بدر كما جوزى
 آل فرعون بالاغراق وأصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا يدأوم
 عليه ويتب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبالان الانسان يدأوم على عاده ويواظب عليها قال ابن
 عباس معناه ان آل فرعون أيقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء
 لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما أنزل بال فرعون
﴿والذين من قبلهم﴾ يعنى من قبل آل فرعون **﴿كفروا بآيات الله﴾** يعنى ان عادة الامم السالفة
 هو كفرهم بآيات الله **﴿فاخذهم الله بذنوبهم﴾** يعنى بسبب كفرهم وذنوبهم **﴿ان الله قوى﴾**
 يعنى في أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله **﴿شديد العقاب﴾** يعنى لمن كفر به وكذب
 رسله **﴿ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم﴾** يعنى ان الله
 سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بان أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا
 صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه
 وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السبى
 نعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى الى
 الانصار **﴿وان الله سميع﴾** يعنى لا قوال خلقه لا يخفى عليه شئ من كلامهم **﴿عليم﴾** يعنى بما
 في صدورهم من خير وشر فيجازى كل واحد على عمله **﴿كذاب آل فرعون﴾** يعنى ان هؤلاء
 الكفار الذين قتلوا يوم بدر وغيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون **﴿والذين من قبلهم﴾**

(كذاب آل فرعون)
 كصنيع آل فرعون (والذين
 من قبلهم كفروا بآيات الله)
 بكتاب الله ورسوله يقول
 كفار مكة كفروا بمحمد

عليه السلام والقرآن كما كفر فرعون وقومه والذين من قبلهم بالكتب والرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) بتكذيبهم (كذبوا)
 (ان الله قوى) بالاخذ (شديد العقاب) اذا عاقب (ذلك) العقوبة بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) بالكتاب والرسول والامن
 (حتى يغيروا ما بانفسهم) بترك الشكر (وان الله سميع) بدعائكم (عليم) باجابتكم (كذاب آل فرعون) كصنيع آل فرعون (والذين

كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله آيات ﴿ ٥٩ ﴾ ربهم زيادة دلالة على { سورة الانفال } كفران النعم وجمود الحق

(فاهلكناهم بذنوبهم
وأغرقنا آل فرعون)
بماء البحر (وكل) وكلهم
من غرق القبط وقتلى قريش
(كانوا ظالمين) أنفسهم
بالكفر والمعاصي (ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا
فهم لا يؤمنون) أى أصروا
على الكفر فلا يتوقع منهم
الايان (الذين عاهدت منهم)
بدل من الذين كفروا الى الذين
عاهدتهم من الذين كفروا
او جعلهم شر الدواب لان شر
الناس الكفار وشر الكفار
المصريون وشر المصريين
الناسكثون للعهود (ثم
ينقضون عهدهم فى كل مرة)
فى كل معاهدة (وهم
لا يتقون) لا يخافون عاقبة
القدر ولا يباليون بما فيه
من قبليهم كذبوا بآيات
ربهم) بالكتب والرسل
كما كذب أهل مكة (فاهلكناهم
بذنوبهم) بتكذيبهم
(وأغرقنا آل فرعون)
وقومه (وكل) كل هؤلاء
(كانوا ظالمين) كافرين
(ان شر الدواب) الخلق
والخليقة (عند الله الذين
كفروا) بنو قريظة وغيرهم
(فهم لا يؤمنون) بحمد
عليه السلام والقرآن ثم
منهم ينهم فقال (الذين عاهدت)
معهم مع بنى قريظة (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) حين (وهم لا يتقون) عن نقض العهد

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون ﴿ تكرير للتأكييد وللمنايطة به
من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه
الكفر والاذنب والثاني لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم ﴿ وكل ﴾ من الفزق
المكذبة أو من غرق القبط وقتلى قريش ﴿ كانوا ظالمين ﴾ انفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ ان
شر الدواب عند الله الذين كفروا ﴾ اصروا على الكفر ورسخوا فيه ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾
فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف
والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله ﴿ الذين
عاهدت منهم ﴾ ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة ﴿ بدل من الذين كفروا بدل البعض
للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان لا يعالوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدتهم فكنثوا ومالؤهم عليه
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة مخالفة لهم ومن تضمن المعاهدة معنى
الاخذ والمراد بالمرّة مرة المعاهدة أو المحاربة ﴿ وهم لا يتقون ﴾ سبة القدر ومغبتها

كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم ﴿ يعنى اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف
وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف
﴿ وأغرقنا آل فرعون وكل ﴾ كانوا ظالمين ﴿ يعنى الاولين والآخرين فان
قلت ما الفائدة فى تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام
الثانى يجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر أخذهم وفى الآية
الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير الاولى الفائدة الثانية انه ذكر فى الآية الاولى
انهم كفروا بآيات الله وفى الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم فى الآية الاولى
اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وجمدوها وفى الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا
بها مع جمودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكييد وفى قوله
كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجمود الحق وفى ذكر الاغراق بيان
للاخذ بالذنوب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان شر الدواب عند الله ﴿ يعنى فى علمه وحكمه
﴿ الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصريون
على الكفر نزلت فى يهود بنى قريظة رهط كعب بن الاشرف ﴿ الذين عاهدت منهم ﴾
قيل من صلة يعنى الذين عاهدتهم وقيل هى للتبويض لان المعاهدة مع بعض القوم
وهم الرؤساء والاشراف ﴿ ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة ﴾ قال المفسرون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بنى قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه
فنقضوا العهد وأعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالؤا الكفار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة
فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وهم لا يتقون ﴾ يعنى انهم لا يخافون الله

أولا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسلطه عليهم ﴿ فاماتشفقهم ﴾ فاماتصادقهم
وتظفرون بهم ﴿ في الحرب فشرديهم ﴾ ففارق عن مناصبتك وتكل عنها بقناهم
والنكابة فيهم ﴿ من خلفهم ﴾ من وراءهم من الكفرة والتشريد تقرييق على اضطراب
وقرى شرذ بالذال المجمة وكأنه مقاوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه
اذا شرذ من وراءهم فقد فعل التشريد في الورااء ﴿ اعلمهم يذكرون ﴾ لعل المشردين
يتعظون ﴿ واما تخافن من قوم ﴾ معاهدين ﴿ خيانة ﴾ نقض عهد بامارات تلوح لك
﴿ فانبذ اليهم ﴾ فاطرح اليهم عهدهم ﴿ على سواء ﴾ على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تناجزهم في الحرب فانه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض
العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول أى ثابتا على طريق سوى او منه
أو من المنبوذ اليهم أو منهما على غيره وقوله ﴿ ان الله لا يحب الخائنين ﴾ تعديل الامر
بالنبد والنهي عن مناجزة القتال المداول عليه بالخال على طريقة الاستشاف

في الحرب) فاماتصادقهم
وتظفرون بهم (فشرديهم من
خلفهم) ففارق عن محاربتك
ومناصبتك بقتلهم شرقتلة
والنكابة فيهم من وراءهم
من الكفرة حتى لا يجسر
عليك بعدهم أحدا اعتبارا
بهم واتعاظا بحالهم وقال
الزجاج افعل بهم ما تفرق
به جمعهم وتطرد به من عداهم
(اعلمهم يذكرون)
لعل المشردين من وراءهم
يتعظون (واما تخافن من
قوم) معاهدين (خيانة)
نكثا بامارات تلوح لك
(فانبذ اليهم) فاطرح اليهم
العهد (على سواء) على
استواء منك ومنهم في العلم
بنقض العهد وهو حال من
النابذ والمنبوذ اليهم أى
حاصلين على استواء في العلم
(ان الله لا يحب الخائنين)

في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يمكن
الناس الى قوله ويتقون بكلامه فين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو
من شر الدواب ﴿ فاماتشفقهم في الحرب ﴾ يعنى فاما تجردن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرون
بهم في الحرب ﴿ فشرديهم من خلفهم ﴾ قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال
سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى
الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فاقبل بهم فعلا من القتل
والتكليل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن
﴿ اعلمهم يذكرون ﴾ يعنى لعل ذلك النكال عنهم من نقض العهد ﴿ واما تخافن ﴾
يعنى واما تعلمن يا محمد ﴿ من قوم ﴾ يعنى معاهدين ﴿ خيانة ﴾ يعنى نقضا للعهد بما
يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بنى قريظة والنضير ﴿ فانبذ ﴾ أى فاطرح
﴿ اليهم ﴾ يعنى عهدهم وارم به اليهم ﴿ على سواء ﴾ يعنى على طريق ظاهر مستو
يعنى اعلمهم قبل حربك ايهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم
في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون أنك نقضت العهد أولا بنصب الحرب معهم
﴿ ان الله لا يحب الخائنين ﴾ يعنى في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من
حير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا
انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر الله
أكبر وفاء لا عدرا فاذا هو عمرو ابن عبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها
حتى ينقض أمدها أو ينبد اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه
الترمذى عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حير وعنده الله أكبر مرة واحدة

(فاماتشفقهم) تأسرنهم
(في الحرب فشرديهم)
فنكل بهم (من خلفهم)
لكي يكونوا عبرة لمن خلفهم
(اعلمهم يذكرون) يتعظون
فيجتنبون نقض العهد
(واما تخافن) تعلمن (من)
قوم (من بنى قريظة) (خيانة)
بنقض العهد (فانبذ اليهم)
على سواء (فانبذ اليهم) على
بيان (ان الله لا يحب الخائنين)

الناقضين للهود (ولا يحسبن) بالياء وقع السين شامى وحزرة ويزيدو حفص وبتاء وفتح السين أبو بكر وبتاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا أو أفلتوا من ﴿٦١﴾ أن يظفروهم (انهم لا يجزون) {سورة الانفال} انهم لا يفوتون ولا يجدون

طالبهم عاجزا عن ادراكهم أنهم شامى اى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غيران المكسورة على طريقة الاستثاف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بآء فالذين كفروا مفعول أول والثانى سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول

تقديره ان سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة اى انهم سبقوا فسد. متيد المفعولين أو يكون الفاعل مضرا اى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حزة بالقراءة فقيه نظر لما بيننا من عدم تفرده بها وعن الزهرى انها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضى العهد والجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب

(ولا تحسبن) لا تظنن يا محمد (الذين كفروا) بنى قرينة وغيرهم (سبقوا)

﴿ولا تحسبن﴾ خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ مفعولاهم وقرأ ابن عامر وحزرة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احدأ ومن خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتركاز أو على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على ﴿انهم لا يجزون﴾ بالفتح على قراءة ابن عامر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أى مفلتين والظاهر انه تعليل للنهى أى لا تحسبنهم سبقوا فالتوا لانهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الاانة تعليل على سبيل الاستثاف ولعل الآية اذاحة لما يحذره من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين ﴿واعدوا﴾ ايها المؤمنون ﴿لهم﴾ لناقضى العهد أو للكفار ﴿ما استطعتم من قوة﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر

وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد بمن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتضح له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قرينة كانوا قد هادوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا بأسفيان ومن معه من المشركين الى مظاهر تهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فهنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقظوا به فالاحاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿ولا تحسبن﴾ قرى بالياء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ يعنى فاتوا وانهم ما يوم بدر وقرى بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعنى خلصوا من القتل والاسرى يوم بدر ﴿انهم لا يجزون﴾ يعنى انهم بهذا سبق لا يجزون الله من الانتقام منهم ما في الدنيا بالقتل وما في الآخرة بعدذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فانه من المشركين ولم يتقم منهم فاعلمه الله أنهم لا يجزون ﴿وقوله عز وجل﴾ ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة أقوال * أحدها أنها جميع أنواع الاسلحة والآلات التى تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثانى انها الحصون والمعقل * الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم (خ) عن أبي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا القريش اذا أ كسبوكم

فاتوا من عذابنا بما قالوا و صنعوا (انهم لا يجزون) لا يفوتون من عذابنا (وأعدوا لهم) لبنى قرينة وغيرهم (ما استطعتم من قوة)

جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿ ترهبون به ﴾ تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للاعداد ﴿ عدو الله وعدوكم ﴾ يعني كفار مكة

روى ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا أوصى بثلاث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالانثى للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لثقله صهيلها وعن ابن محيرز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الشنات والغارات وقيل ربط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فأى ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتسب فرسا في سبيل الله ايمان الله وتصديقا بوعده فان شعبه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت له آثارها وأرواثها حسنات ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يردان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعقفا ولم ينسحق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرف قال ما أنزل على فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الخيل الذي يشد به الفرس وقت الرعي والاستنان الجرى والشرف الشوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعاً الى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الخجل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعادة يقال نأوت الرجل مناواة اذا عاديته ﴿ وقوله تعالى ﴾ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴿ يعني تخوفون بتلك القوة بذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له

وميكال (ترهبون به) بما
استطعتم (عدو الله وعدوكم)
الاناث (ترهبون به)
تخوفون بالخيل (عدو الله)
في الدين (وعدوكم) بالقتل

﴿ وآخرين من دونهم ﴾ من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس ﴿ لا تعلمونهم ﴾ لا تعرفونهم باعيانهم ﴿ الله يعلمهم ﴾ يعرفهم ﴿ وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم ﴾ جزاؤه ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ بتضييع العمل أو نقض الثواب ﴿ وان جنحوا ﴾ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى ﴿ السلم ﴾ للصلح والاستسلام * وقرأ أبو بكر بالكسر ﴿ فاجتمع لها ﴾ وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحل السلم على نقيضها فيه قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب تكفيك من انفسها جرع

مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل بصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين * وقوله تعالى ﴿ وآخرين من دونهم ﴾ يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد بن قنبر يظنة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيدهم المنافقون لقوله تعالى ﴿ لا تعلمونهم ﴾ لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله ﴿ الله يعلمهم ﴾ يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لظاهرهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا اليراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آياتهم وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عاقلين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأماكنهم دونكم وبعض هذا القول ماروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخجل احد في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما تنفقوا من شئ في سبيل الله ﴾ قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو أمر عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره ﴿ يوف اليكم ﴾ يعني أجره في الآخرة ويجل لكم عوضه في الدنيا ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ يعني وأنتم لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا * قوله تبارك وتعالى ﴿ وان جنحوا للسلم فاجمع لها ﴾ لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسأله فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجمع لها أي مل اليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقتادة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصلح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشرين سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح أهل مكة مدة عشرين سنين ثم انهم تقضوا الهدى قبل افضاء المدة * وقوله تعالى

من دونهم) غيرهم وهم اليهود والمنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم) يوفر عليكم جزاؤه (وأنتم لا تعلمون) في الجزاء بل تعطون على التمام (وان جنحوا مالوا جنحوا اليه مال (السلم) للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجتمع لها) فمل اليها

(وآخرين من دونهم) من دون بني قريظة وسائر العرب ويقال كفار الجن (لا تعلمونهم) لا تعلمون عدتهم (الله يعلمهم) يعلم عدتهم (وما تنفقوا من شئ) من مال (في سبيل الله) في طاعة الله على السلاح والخيل (يوف اليكم) يوف لكم ثوابه لا ينقص (وأنتم لا تعلمون) لا تنقصون من ثوابكم (وان جنحوا للسلم) ان مال بنو قريظة الى الصلح فارادوا الصلح (فاجتمع لها) مل اليها

(وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم ﴿ ٦٥ ﴾ المكر في سورة الانفال } جوحهم الى السلم فان الله

وقرى فاجمع بالضم ﴿ وتوكل على الله ﴾ ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك
من مكرهم وبحيقه بهم ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقوالهم ﴿ العلم ﴾ بدياتهم والآية خصوصاً باهل
الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف ﴿ وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك
الله ﴾ فان محسبك الله وكافيك قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا حرا الثياب وتشبعا

﴿ هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ جميعا ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾
مع ما فهم من العصبية والضعيفة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى
عليه وسلم وبيانه ﴿ لو انفق ما فى الارض جميعا ما لقت بين قلوبهم ﴾ أى تناهى
عدواتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر
على الالفة والاصلاح ﴿ ولكن الله ألف بينهم ﴾ بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب

﴿ وتوكل على الله ﴾ يعنى فوض أمرك الى الله فيما عقده معهم ليكون عونك فى جميع أحوالك
﴿ انه هو السميع ﴾ يعنى لاقوالهم ﴿ العلم ﴾ يعنى باحوالهم ﴿ قوله عز وجل
﴿ وان يريدوا أن يخدعوك ﴾ يعنى يقدر وابلق قال مجاهد يعنى بنى قريظة والمعنى
وان أرادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم ﴿ فان حسبك الله ﴾ يعنى فان الله
كافيك بنصره ومعونته ﴿ هو الذى ايدك بنصره ﴾ يعنى هو الذى قواك وأعانك
بنصره يوم بدر وفى سائر أيامك ﴿ وبالمؤمنين ﴾ يعنى وأيدك بالمؤمنين يعنى الانصار
فان قلت اذا كان الله قد ايد بنصره فإى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول بالمؤمنين قلت
التأيد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب
ظاهرة معلومة فاما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى ايدك
بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائل معلومة وأما الذى يكون بالاسباب الظاهرة
فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائل وهم المؤمنون والله سبحانه
وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم لنصره ثم بين كيف ايدته بالمؤمنين فقال
تعالى ﴿ وألف بين قلوبهم لو انفق ما فى الارض جميعا ما لقت بين قلوبهم ولكن الله
ألف بينهم ﴾ وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس
القوية والعصبية والانطواء على الضعيفة من أدنى شئ حتى لو أن رجلا من قبيلة
لطم لطمه واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة
فأتلقت قلوبهم واستجمعت كلمهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدت تلك الضغائن
والتحاسد بالموودة والمحبة لله وفى الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وأعوانا يقاتلون عنده ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت
بينهم فى الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة
والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله

كافيك وعاصمك من مكرهم
(انه هو السميع) لاقوالك
(العلم) باحوالك (وان
يريدوا ان يخدعوك)
يكرهوا ويفسدوا (فان
حسبك الله) كافيك الله
(هو الذى ايدك) قواك
(بنصره وبالمؤمنين) جميعا
أو بالانصار (وألف بين
قلوبهم) قلوب الاوس
والخزرج بعد تعدادهم مائة
وعشرين سنة (لو انفق
ما فى الارض جميعا ما لقت
بين قلوبهم) أى بلغت
عدواتهم مبلغا لو أنفق منفق
فى اصلاح ذات بينهم ما فى
الارض من الاموال لم
يقدر عليه (ولكن الله
ألف بينهم) بفضل
ورحمته وجمع بين كلمتهم
بقدرته فاحدث بينهم
التوادد والتحابب وأما
عنه التباعد والتماقت
واردها (وتوكل على الله)
فى نقضهم ووفائهم (انه
هو السميع) لقاتلهم
(العلم) بنقضهم ووفائهم
(وان يريدوا) بنو قريظة
(أن يخدعوك) بالصلح
(فان حسبك الله) الله
حسبك وكافيك (هو الذى
ايدك) قواك وأعانك
(بنصره) يوم بدر (وبالمؤمنين)
بالاوس والخزرج (وألف

بين قلوبهم) جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالاسلام (لو انفق) قارخا (٩) ما فى الارض جميعا) من الذهب والفضة (ما لقت بين قلوبهم)

(انه عزير) يقهر من
يخدعونك (حكيم) ينصر
من يتبعونك (يا أيها النبي
حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين) الواو بمعنى مع
وما بعده منصوب والمعنى
كففاك وكفى أتباعك
من المؤمنين الله ناصرا
ويجوز أن يكون في محل
الرفع أي كففاك الله وكففاك
أتباعك من المؤمنين قيل
أسلم مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا
وست نسوة ثم أسلم عمر
فنزلت (يا أيها النبي حرض
المؤمنين على القتال)
التحريض المبالغة في الحث
على الأمر من الحرض وهو
أن ينهكه المرض حتى
يشفى على الموت (ان يكن
منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين

وكلهم) (ولكن الله الف بينهم)
بين قلوبهم بالايان (انه
عزير) في ملكه وسلطانه
(حكيم) في أمره وقضائه
(يا أيها النبي حسبك الله)
الله حسبك (ومن اتبعك
من المؤمنين) الاوس
والخزرج (يا أيها النبي
حرض المؤمنين) حرض
وحث المؤمنين (على القتال)
يوم بدر (ان يكن منكم
عشرون صابرون)
في الحرب محتسبون (يغلبوا
مائتين) يقاتلوا مائتين من المشركين

يقلبها كيف يشاء (انه عزير) تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريد (حكيم)
يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن
لامدائها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى
تصافوا وصاروا انصارا (يا أيها النبي حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين)

اما في محل النصب على المفعول معه كقوله

اذا كانت الهجاء واشتجر القنا فحسبك والضحك سيف مهند

أو الجرع عطفًا على المكني عند الكوفين أو الرفع عطفًا على اسم الله أي كففاك الله
والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال)
بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت «وقرى حرض
من الحرض (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين

عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر
الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاعلموا ان الله بي
وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد وذلك لان تلك
الافقة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه
سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزير حكيم) يعني أنه تعالى قادر قاهر
يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل
ذلك على وجه الحكمة والصواب (قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت
في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة
وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية في هذا القول تكون
الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت
بالبيداء في غزوة بدر وقبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من
المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار
وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها
النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من
المؤمنين (قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم
على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير وتسهيل الخطب
فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا
(صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم (يغلبوا مائتين) يعني من عدوهم
وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكأنه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا

(وليجتهد)

مائتين يقاتلوا مائتين من المشركين

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ﴿ ٦٧ ﴾ (ناهم } سورة الانفال ا قوم لا يفقهون) بسبب ان

الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقل ثباتهم ويمدون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو رجو والنظر من الله قيل كان عليهم ان لا يفر و اويشت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك ففسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنى بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) ضعفا عاصم وحزة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفي وافقه البصرى في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله

(وان يكن منكم مائة يغلبوا) يقاتلوا (ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون) أمر الله وتوحيده (الآن) بعد يوم بدر (خفف الله عنكم) هو الله عليكم (وعلم ان فيكم ضعفا) بالقتال (فان يكن منكم مائة صابرة) محتسبة (يغلبوا) يقاتلوا (مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا) يقاتلوا (ألفين باذن الله

وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴿ شرط في معنى امر بصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة صابرة ﴿ بانهم قوم لا يفقهون ﴾ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴿ لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنى وقيل كان فيهم قلة فامسوا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم

وليجهتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى اوجب أو لا على المؤمن هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء ﴿ وان يكن منكم مائة ﴾ يعنى صابرة ﴿ يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك ﴿ بانهم قوم لا يفقهون ﴾ يعنى ان الشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فقتل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعنى في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنى فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفرأ فاما رجل فر من

ألف يغلبوا) يقاتلوا (ألفين باذن الله

وحزة والضم وهو قرأه الباقيين ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والمعونة فكيف لا يقبلون ﴿ ما كان لنبي ﴾ وقرئ لنبي على العهد ﴿ ان يكون له اسرى ﴾ وقرأ البصريان بالتاء

والله مع الصابرين)
وتكرير مقاومة الجماعة
لاكثر منها مرتين قبل
التخفيف وبعده للدلالة
على ان الحال مع القبلة
والكثرة لا تتفاوت اذ الحال
قد تتفاوت بين مقاومة
العشرين المائتين والمائة
الالف وكذلك بين مقاومة
المائة المائتين والالف
الالفين (ما كان لنبي)
ماصح له ولا استقام (ان
يكون له اسرى) ان تكون

(الفين باذن الله والله
مع الصابرين) معين
الصابرين في الحرب
بالنصرة (ما كان لنبي)
ما ينبغي لنبي (ان يكون له
اسرى) اسارى من الكفار

من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر ﴿ والله مع الصابرين ﴾ يعنى بالنصر والمعونة قال
سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك ﴿ قوله تعالى
﴿ ما كان لنبي أن تكون له أسرى ﴾ روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجىء
بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يارسول الله
قومك وأهلك استبقهم واستأمن بهم اعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة
على الكفار وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن عليا
من عقيل فيضرب عنقه ومكن حزة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب
لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا
كثيرا لخطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحلك فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول
عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون آئين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان
مثلك يا أب بكر مثل ابراهيم قال فن تبعني فانه منى ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أب بكر
مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل
نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى
قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا يفلتان أحد منهم الا بفضاء أو ضرب
عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فإرأيتني في يوم أخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك
اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن
الخطاب فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم بهوما قلت وأخذ منهم
الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان
فقلت يارسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان
لم أجده بكاء تبكيت ابكائكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من
أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى
يتحنن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة
وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن
الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني
بكر وعمر ماترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة

بصرى (حتى يتخن في الاض) الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر باشاعة القتل
في أهله ويعز الاسلام بالاستيلاء ﴿ ٦٩ ﴾ والقهر ثم الاسر ﴿ سورة الانفال ﴾ بعد ذلك روى ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين
أسيرافيم العباس عه وعقيل
فاستشار النبي عليه السلام
أبا بكر فيهم فقال قومك
وأهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوى بها أصحابك
وقال عمر رضى الله عنه
كذبوك وأخرجوك
فقدمهم واضرب اعناقهم
فان هؤلاء أئمة الكفر وان
الله اغناك عن الفداء مكن
عليا من عقيل وحزة من
العباس ومكنى من فلان
لنسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال عليه السلام مثلك
يا ابا بكر كمثل ابراهيم
حيث قال ومن عصاني فانك
غفور رحيم ومثلك
يا عمر كمثل نوح حيث
قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم ان شئتم قتلتموهم وان
شئتم فاديتهم واشتهد
منكم بعدتهم فقا لو ابل
تأخذ الفداء فاستشهدوا
باحد فلما اخذوا الفداء
نزلت الآية (تريدون عرض
الدنيا) متاعها يعنى الفداء
سماء عرضا لقله بقاءة
وسرعة فناه (والله يريد

﴿ حتى يتخن في الارض ﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حربه ويعز
الاسلام ويستولى أهله من أخذه المرض اذا اثقله واضله الثخانة وقرى يتخن بالتشديد
للمبالغة ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ حطامها بأخذكم الفداء ﴿ والله يريد الآخرة ﴾
يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه ووقع اعدائه ﴿ وقرى بجزر
الآخرة على اصمار المضاف كقوله

اكل امرئ تحسبين امرأ ﴿ ونا توقد بالليل نارا

﴿ والله عزيز ﴾ يغلب اولياءه على اعدائه ﴿ حكيم ﴾ يعلم ما يليق بكل حال ويخصه

أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله
ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى ان تمكنتنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من
عقيل فيضرب عنقه وتمكن حزة من العباس فيضرب عنقه وتمكنى من فلان نسيب
لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك
فان وحدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت لبكا ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابكى على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه
الشجرة الشجرة قرينة من نبى الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبى أن يكون
له أسرى حتى يتخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنمية
لهم ذكره الحميدى فى مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير
الآية فقوله تعالى ما كان لنبى أن تكون له أسرى يعنى ما كان ينبغى ولا يجب لنبى
وقال أبو عبيدة معناه لم يكن لنبى ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبى ان يجبس
كافرا قدر عليه وصار فى يده أسيرا للفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى
جمع الجمع ﴿ حتى يتخن في الارض ﴾ الاثخان فى كل شئ عبارة عن قوته وشده يقال
أثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم
فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾
الخطاب لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا
باخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام
فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمه لا انقطاع لها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى
﴿ والله يريد الآخرة ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين
ونصركم الدين لانها دائمه بلا زوال ولا انقطاع ﴿ والله عزيز ﴾ لا يقهر ولا يغلب ﴿ حكيم ﴾

الآخرة) اى ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل (والله عزيز) بقهر الاعداء (حكيم) فى عتاب الاولياء
(حتى يتخن) يغلب (فى الارض) بالقتال (تريدون عرض الدنيا) بفداء أسارى يوم بدر والله يريد الآخرة
(والله عزيز) بالتمتع من اعدائه (حكيم) بالنصرة لاوليائه

بها كما سر بالاثخان ومنع عن الاقتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضى الله
تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخدمهم فدية تقوى بها
اصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء مكنى من فلان لنسب له ومكن عليا وجزء من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى
تكون الين من الابن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان
ملكك يا ابا بكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فن تبغى فانه منى ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا

يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ
قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى فى الاسارى فاما من ابعد
واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين باختياران شأوا قتلوهم وان شأوا
استعبدوهم وان شأوا فادوهم وان شأوا أعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام
يوهم ان قوله فاما من ابعد واما فداء يزيل حكم الآية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر
كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاها تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ
الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون درهما فيكون
مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة
آلاف درهم

فصل

قد استدل بهذه الآية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله
ما كان لني أن تكون له أسرى صريح فى النهى عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر
الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين
يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي
صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر قعدا بكيان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله
والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لني أن تكون له أسرى
حتى يثخن فى الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان فى الارض
وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من
عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثخان فى الارض
قتل جميع الناس فدلّت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب
عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى

(لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) ان لا يعذب احد على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهاد منهم لانهم نظروا في ان استبقاهم ربما كان سببا في اسلامهم ﴿ ٢١ ﴾ وان فداءهم { سورة الانفال } يتقوى به على الجهاد وحق

عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدرًا وكان لا يؤخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفة اي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب هذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبر الان لولا لا يظهر خبرها أبدأ (لمسكم) لنا لكم وأصابكم (فيما أخذتم) من فداء لاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر بيكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى أنه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجماه غير عمر وسعد بن

فخير اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر بيكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والاتبكيت فقال ابكي على اصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ للاحكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده اولا يعذب اهل بدرًا وقوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه أو ان الفدية التي اخذوها ستحمل لهم ﴿ لمسكم ﴾ ﴿ فيما أخذتم ﴾ من الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ روى انه عليه السلام

الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرًا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فقول لانسلم ان أخذ الفداء كان محرما وأما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا بيكيان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكي النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا مغانا جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله نزول لولا كتاب من الله سبق يعنى لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا من شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لو كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى بين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعنى لاصحابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرًا الا واحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الأثخان في القتل أحب الى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء

لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله بخليل الغنائم لامة محمد صلى الله عليه وسلم ونقال بالسعادة لاهل بدر (لمسكم) لاصحابكم (فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) شديد

معاذ لقوله كان الأثخان
 في القتل أحب إلى (فكلوا
 مما غنمتم) روى أنهم
 أمسكوا عن الغنائم ولم
 يمدوا أيديهم إليها فنزلت
 وقيل هو إباحة للفداء
 لأنه من جملة الغنائم والفاء
 للتسبيح والسبب محذوف
 ومعناه قد أحلت لكم
 الغنائم فكلوا (حلالا)
 مطلقا عن العتاب والعقاب
 من حل العقاب وهو نصب
 على الحال من المغنوم أو
 صفة للمصدر أي أكلا
 حلالا (طيبا) لذيذاهنيا
 أو حلالا بالشرع طيبا
 بالطبع (واتقوا الله) فلا
 تقدموا على شيء لم يهد
 اليكم فيه (ان الله غفور
 لما فعلتم من قبل (رحيم)
 بإحلال ما غنمتم (يا أيها
 النبي قل لمن في أيديكم) في
 ملكتكم كان أيديكم قابضة
 عليهم (من الأسرى) جمع
 أسير من الأسارى أبو عمرو
 (فكلوا مما غنمتم) من الغنائم
 غنائم بدر (حلالا طيبا
 واتقوا الله) أخشوا الله في
 الغلول (ان الله غفور) متجاوز
 (رحيم) بما كان بينكم
 يوم بدر من الفداء (يا أيها
 النبي قل لمن في أيديكم من
 الأسرى) يعني

قال لو نزل العذاب لما نجمانه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لأنه أيضا أشار بالأثخان ﴿فكلوا
 مما غنمتم﴾ من الفدية فإنها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء
 للتسبيح والسبب محذوف تقديره اجت لكم الغنائم فكلوا وبنيوه تشبث من زعم
 ان الامر الوارد بعد الحظر للإباحة ﴿حلالا﴾ حال من المغنوم أو صفة للمصدر أي
 اكلا حلالا وفأنته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبه أو حرمتها على
 الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿طيبا واتقوا الله﴾ في مخالفته ﴿ان الله غفور
 غفر لكم ذنوبكم﴾ ﴿رحيم﴾ اياح لكم ما اخذتم ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾

مما نجمانه غير عمر وسعد بن معاذ ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾
 يعني فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت
 الآية الأولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء
 فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل
 ذلك حراما على جميع الامم الماضية صرح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي (ق) عن أبي هريرة ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك
 بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿واتقوا الله ان الله
 غفور رحيم﴾ يعني وخافوا الله ان تعودوا وان تقعوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به
 واعلموا أن الله قد غفر لكم ما تقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قولهم واتقوا
 الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ﴿قوله
 سبحانه وتعالى﴾ ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم﴾ نزلت في العباس بن عبد المطلب عم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين
 خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها
 اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقترضوا
 فلم يطعم شيئا وبقيت الشرون أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكلتم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 أما شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا أترك ذلك وكلف فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب
 ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركني أن تكلف قريبا ما بقيت فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فإن الذهب الذي دفعته أم الفضل وقت خروجك من مكة وقتلت
 لها انى لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله
 ولعبيد الله وللفضل وطم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني
 به ربي قال العباس أشهد أنك اصادق وأشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله
 لم يطعم عليا أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيل بن الحرث فاسلم فذلك قوله
 سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم ﴿من الأسرى﴾ يعني الذين أسرتوهم

جمع أسرى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص إيمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا ضافه أو يتيكم في الآخرة (ويفر لكم والله غفور رحيم) روى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفاقتوا الصلاة الظهر وما صلى ﴿ ٧٣ ﴾ حتى فرقه وأمر { سورة الانفال } العباس ان يأخذ منه فاخذ منه ما

قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وكان له عشرين عبدا وان أدانهم ليتجر في عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) نكت ما يبيعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ما ضمنوا من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فامكن منهم) فامكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله عليم) بالمال (حكيم) فيما أمر فى الحال (ان الذين آمنوا وهاجروا) من مكة حبا لله ورسوله (وجاهدوا

وقرأ ابو عمرو من الاسارى ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ ايمانا و اخلاصا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ من الفداء روى انها زلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركنى اتكف قريش ما بقيت فقال اين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادري ما يصيبني فى وجهى هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولمد الله وعبيد الله والفضل وقم فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطعم عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك الى الآن عشرين عبدا ان ادانهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله ﴿ ويفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا ﴾ يعنى الاسرى ﴿ خيانتك ﴾ نقض ما عاهدوك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿ من قبل فامكن منهم ﴾ اى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الخيانة فسيكنك منهم ﴿ والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا ﴾ هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ورسوله ﴿ وجاهدوا

وأخذتم منهم الفداء ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ يعنى ايمانا وتصديقا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ يعنى من الفداء ﴿ ويفر لكم ﴾ يعنى ما سلف منكم قبل الايمان ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه ﴿ رحيم ﴾ يعنى باهل طاعته قال العباس فابدلنى الله خيرا مما أخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدانهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية واعطانى زمزم وما أحب ان لي بها جميع اموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى ﴿ وان يريدوا ﴾ يعنى الاسارى ﴿ خيانتك ﴾ يعنى أن يكفروا بك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ يعنى فقد كفروا بالله ﴿ من قبل ﴾ وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك ﴿ فامكن ﴾ يعنى فامكن الله المؤمنين ﴿ منهم ﴾ بدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد ﴿ حكيم ﴾ يعنى حكم بانه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

عباسا ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) تصديقا و اخلاصا (يؤتكم) يعطكم (خيرا) أفضل (مما أخذ منكم) من الفداء (ويفر لكم) ذنوبكم فى الجاهلية (والله

غفور) مجاوز (رحيم) لمن آمن به (وان يريدوا) (قا و خا ١٠ لث) خيانتك (بالايمن يا محمد) فقد خانوا الله من قبل (أى من قبل هذا بترك الايمان والمعصية) فامكن منهم (أظهر ك عليهم يوم بدر) (والله عليم) بما فى قلوبهم من الخيانة وغيرها (حكيم) فيما حكم عليهم (ان الذين آمنوا) بحمد عليه السلام والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أي آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القربايات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل اراد به النصرة والمعاونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليتهم في الميراث ولايتهم حصة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث { الجزء العاشر } المؤمن الذي ﴿٧٤﴾ لم يهاجر عن آمن وهاجر ولما أتى

للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان (وان استنصروكم) أي من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطابوا معونة فواجب عليكم ان تنصروهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدي حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات المواالات بينهم ومعناه

بأموالهم ﴿ فصر فوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويم ﴾ وانفسهم في سبيل الله ﴿ بمباشرة القتال ﴾ والذين آووا ونصروا ﴿ هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم ﴾ اولئك بعضهم اولياء بعض ﴿ في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة ﴾ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ﴿ اي من توليتهم في الميراث وقرأ حصة ولايتهم بالكسر تشبها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه نزول عملا ﴿ وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين ﴿ الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم ﴿ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ في الميراث او الموازرة وهو بفهمه يدل على منع التوارث

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴿ يعنى ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعنى وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعنى وبذلوا أنفسهم في سبيل الله يعنى في طاعة الله وابتغاء رضوانه ﴾ والذين آووا ونصروا ﴿ يعنى آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار ﴾ أولئك ﴿ يعنى المهاجرين والانصار ﴾ بعضهم أولياء بعض ﴿ يعنى في العون والنصر دون أقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقربائهم وذوى أرحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿ وقوله عز وجل ﴾ والذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿ يعنى آمنوا وأقاموا بحكمة ﴾ مالكم من ولايتهم من شئ ﴿ يعنى من الميراث ﴾ حتى يهاجروا ﴿ يعنى الى المدينة ﴾ وان استنصروكم في الدين ﴿ يعنى ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴾ فعليكم النصر ﴿ يعنى فعليكم نصرهم واعانتهم ﴾ الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿ أى عهد فلا تنصروهم عليهم ﴾ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴿ يعنى في النصر والمعونة وذلك أن كفار

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (في طاعة الله) (والذين آووا) وطنوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة (ونصروا)

محمدا عليه السلام يوم بدر (اولئك بعضهم اولياء بعض) في الميراث (والذين آمنوا) بمحمدا عليه السلام (قريش) والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة الى المدينة (مالكم من ولايتهم) من ميراثهم (من شئ) (وما من ميراثك لهم من شئ) (حتى يهاجروا) من مكة الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) استعانوكم على عدوهم في الدين (فعليكم النصر) على عدوهم (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فلا تعينوهم عليهم ولكن أصلحو ايبنهم (والله بما تعملون) من الصلح وغيره (بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) في الميراث

نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثهم وإيجاب مباحة دينهم ومصارمتهم وإن كانوا أقرب وأقرب وإن يتركوها ويتوارثون بعضهم ببعض
قال (الاتفعلوه) أي إن لاتفعلوا ما ﴿ ٧٥ ﴾ أمرتكم به من ﴿ سورة الانفال ﴾ تواصل المسلمين وتولى

بعضهم بعضاً حتى في التوارث
تفضيلاً للنسبة الإسلامية على
نسبة القرابة ولم تجملوا
قرابة الكفار كقارباتهم
(تكن فتنة في الارض وفساد
كبير) تحصل فتنة في الارض
ومفسدة عظيمة لان المسلمين
مالم يصيروا يداً واحدة
على الشرك كان الشرك
ظاهراً والفساد زائداً
(والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا
أولئك هم المؤمنون حقا)
لانهم صدقوا ايمانهم
وحققوه بتحصيل مقتضياته
من هجرة الوطن ومفارقة
الاهل والسكن والانسلاخ
من المال والدنيا لاجل
الدين والعقبى (لهم مغفرة
ورزق كريم) لانه فيه

(الاتفعلوه) قسمة الموارث
كابين لكم لدوى القرابة
(تكن فتنة في الارض)
بالشرك والارتداد (فساد
كبير) بالقتل والمعصية
(والذين آمنوا) بمحمد
عليه السلام والقرآن
(وهاجروا) من مكة الى
المدينة (وجاهدوا في سبيل
الله) في طاعة الله (والذين
آووا) وطنوا محمداً صلى
الله عليه وسلم وأصحابه
بالمدينة (ونصروا) محمداً

او الموازنة بينهم وبين المسلمين ﴿ الاتفعلوه ﴾ ان لاتفعلوا ما امرتكم به من التواصل بينكم وتولى
بعضكم بعض حتى في التوارث وقطع الملائق بينكم وبين الكفار ﴿ تكن فتنة في الارض ﴾
تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر ﴿ وفساد كبير ﴾ في الدين وقرى
كثير ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم
المؤمنون حقا ﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين
حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصر الحق ووعدهم
الموعود الكريم فقال ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ لاتبعه له ولامنة فيه ثم الحق بهم

قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعاً
قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض ﴿ الاتفعلوه ﴾ تكن
فتنة في الارض وفساد كبير ﴿ قال ابن عباس الأناخذوا في الميراث بما أمرتكم به وقال
ابن جريج الاتعاونوا وتتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار
أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال
سبحانه وتعالى الاتفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة
في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف
المسلمين ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك
هم المؤمنون حقا ﴾ يعني لاشك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد
وبذل النفس والمال في نصر الدين ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾
يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى
ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه
الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد أخرى
تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دل ذلك على تعظيم
شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية
من وجوه المدح ثلاثة أنواع * أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد
الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق
الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان
مؤمناً حقا النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتكثير لفظ المغفرة يدل على ان لهم
مغفرة وأى مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة سارة لجميع ذنوبهم * النوع
الثاني قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى
ان لهم في الجنة رزقاً لا تحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات
فمنهم من هاجر أولاً الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض
الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل

عليه السلام يوم بدر (أولئك هم المؤمنون حقا) صدقنا (لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة

في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسيتهم فقال ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ اي من جاتكم ايها المهاجرون والانصار ﴿ واولو الارحام بعضهم اولى ببعض ﴾ في التوارث من الاجانب ﴿ في كتاب الله ﴾ في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ﴿ ان الله بكل شىء عليم ﴾ من الموارث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا ﴿ عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنشفع له يوم القيامة وشاهدانه برى من النفاق واعطى عشر حسنات بعد كل منافق ومنافقة وكان العرش وجلته يستغفرون له ايام حياته

فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ﴾ اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة وأما من كان من المؤمنين في بلديخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلديخاف فيه على اظهار دينه ﴿ وقوله تعالى ﴾ فأولئك منكم ﴾ يعنى ائمتهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولأن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق ﴿ وقوله تعالى ﴾ وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض ﴾ في كتاب الله ﴿ قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولو الارحام بعضهم اولى بمضى أى في الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القرآن وهى ان قسمة الموارث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك اصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية في توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم ومابقى فللعصبات ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الله بكل شىء عليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شىء لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا (وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض) وأولو القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية الموارث وهو دليل لنا على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شىء عليم)

(والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (من بعد) من بعد المهاجرين الاولين (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا معكم) العدو (فأولئك منكم) معكم في السر والعلانية (وأولو الارحام) ذوو القرابة في النسب الاول فالاول (بعضهم اولى ببعض) في الميراث (في كتاب الله) في اللوح المحفوظ نسخ بهذه الآية الآية الاولى الاولى (ان الله بكل شىء) من قسمة الموارث وصلاحكم وغيرهما (عليم)

آمنوا وهاجروا وقسم
آمنوا ونصروا وقسم
آمنوا ولم يهاجروا وقسم
كفروا أو لم يؤمنوا

﴿ سورة التوبة مدينة

وهى مائة وتسع

وعشرون آية كوفى

ومائة وثلاثون غيره ﴿

لها أسماء براءة التوبة
المشقة المبعثرة المشردة
الخزية الفاضحة المثيرة
الحافرة المنكئة المدممة
لان فيها التوبة على المؤمنين
وهى تقشش من النفاق
أى تبرئ منه وتبعثر عن
أسرار المنافقين وتبعث
عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتكلمهم
وتشردهم وتجزيمهم وتقدم
عليهم وفى ترك التسمية فى
ابتدائها أقوال فعن على

وابن عباس رضى الله عنهم
ان بسم الله أمان وبراءة
نزلت لرفع الامان وعن
عثمان رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزلت عليه سورة
أو آية قال احملوها فى
الموضع الذى يذكر فيه كذا

يعلم نقض عهد المشركين
والله أعلم بأسرار كتابه
﴿ ومن السورة التى يذكر
فيها التوبة وهى كلها مدينة

سورة براءة

مدينة وقيل الآيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى آخر ما نزلت ولها أسماء اخر
التوبة والمشقة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والخزية والفاضحة
والمنكئة والمشردة والمدممة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقة
من النفاق وهى التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين وأثارها والحفر عنها وما يحزبهم
ويفضحهم وينكلمهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآياها مائة وثلاثون

تفسير سورة التوبة

وهى مدينة باجاءهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها لقد جاءكم رسول من
أنفسكم فانهما نزلتا بمكة وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية
وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا
ولهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران
وهى المشقة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشش من النفاق أى تبرئ منه وهى
المبعثرة لانها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبعث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس
لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهى الخزية لان فيها خزي
المنافقين وهى المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهى المشردة سميت
بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهى المثيرة سميت بذلك لانها أثارت مخازى
المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى
أحد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت فى بدر قال قلت سورة الحشر قال بل
سورة بنى النضير أخرجاه فى الصحيحين

فصل فى بيان سبب ترك كتابة التسمية فى أول هذه السورة

عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حكمكم على ان عدتم الى الانفال وهى من المثانى والى
براءة وهى من المثين فقرتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعوها
فى السبع الطوال ما حكمكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا
ما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شئ دعا بعض
من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت
عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال
من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة
بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها أو من
غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها فى السبع

وقد قيل الا لا يتين فى آخرها فانها مكيان وكلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وستون وحروفها عشرة آلاف ﴿

وكذا وتوفى رسول الله { الجزء العاشر } صلى الله عليه وسلم ﴿ ٧٨ ﴾ ولم يبين لنا أين نضعها وكانت

قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر اليهود وفي براءة نبذ اليهود فلذلك قوتت بينهما وكانا تدينان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) من لا ابتداء الفاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (براءة) هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) ثم نقضوا والبراءة هي نقض العهد يقول من كان بينه وبين رسول الله صلى

وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر اليهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ أى هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿ الى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله برآ من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة

الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر اليهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعنى على بن أبي طالب لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بنى ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رجة والرجة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تقم هذه السورة الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهد فلذلك لم تقم بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا أن في سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تبيينها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تبيينها على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ يعنى هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرا براءة أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقه وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج أى قد برى الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا تكثروا ﴿ الى الذى عاهدتم من المشركين ﴾ الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى عاهدهم وعاقدهم الا أنه هو الذى عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكانتهم هم عقدوا وعاهدوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى

الى فلان أو مبتداً لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿ ٧٩ ﴾ الى الذين { سورة براءة } عاهدتم كقولك رجل من

بني تميم في الدار والمعنى ان الله ورسوله قد برأ من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبذ اليهم (فسيحوا في الارض أربعة أشهر) فسيروا في الارض كيف شئتم والسبح السير على مهل روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب ففكشوا الاناس منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين من كان عهده فوق أربعة أشهر ومنهم من كان عهده دون أربعة أشهر ومنهم من كان عهده تسعة أشهر ومنهم من لم يكن بينه وبين رسول الله عهد ففقدوا كلهم الا من كان عهده تسعة أشهر وهم بنو كنانة فن كان عهده فوق أربعة أشهر ودون أربعة أشهر جعل عهده أربعة أشهر بعد النقص من يوم النحر ومن كان عهده أربعة أشهر جعل عهده بعد النقص أربعة أشهر من يوم النحر ومن كان عهده تسعة أشهر ترك على ذلك من لم يكن له عهد جعل عهده خسين يوم ما من يوم النحر الى خروج

بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما برآ منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب ففكشوا الاناس من بني ضمرة وبني كنانة فامرهم ببذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال ﴿ فسيحوا في الارض اربعة اشهر ﴾ شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضاء ليقرواها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لوبعث بها الى ابي بكر فقال لا يؤدى عنى الرجل منى فلما دنا على رضى الله تعالى عنه سمع اوبكر رضى الله تعالى عنه الرغاء فوقه وقال هذا رغاء ناقة رسول الله

﴿ فسيحوا في الارض ﴾ أى فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحد من المشركين وأصل السياحة الضرب في الارض والانتاع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانباري قوله فسيحوا فيه مضمر أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بمحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا في الارض وأتم آمنون من القتل والقتال ﴿ أربعة أشهر ﴾ يعنى مدة أربعة أشهر واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين برى الله ورسوله اليهم من اليهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفته الى أربعة أشهر ومن كانت مدتها أكثر حطه الى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حسده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ورسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر الأأن يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدّة الا الاسلام أو القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول في الاسلام ولثلاثين ناسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الآخر فأما من لم يكن له عهدا فاعاجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خشون يوم ما قال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت في شوال والقول الاول اُصوب وعليه الاكثر ون قال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر عهدا لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فأتم له الاربعة اشهر فأما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداءها في العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذى القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الخدين وقال الحسن أمر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين

المحرم فقال لهم (فسيحوا في الارض) فامضوا في الارض من يوم النحر (اربعة أشهر) آمنين من القتل بالعهد

أين شاءوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فاذا نسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة ووقع مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر على { الجزء العاشر } موسم سنة تسع ٨٠ ثم أتبعه عليا ركب الغضباء ليقراها

صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابوبكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة وقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بما ذاققرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدى عنى الرجل منى ليس على العموم فانه

فقال تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتل المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فليكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت فى أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر فى عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
كنت لنا أبواكنا ولدا * ثم أسلنا ولم نترزع يدا
فانصر هداك الله نصر أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * فى فلق كالبجر يجرى مزبدا
أبيض مثل الشمس يسمو صيدا * ان شيم خطب وجهه تربدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقتك المؤكدا
وزعموا أن لست تنجى أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم يتوننا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركما وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة ففتحتها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبابكر فى تلك السنة امير اعلى الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه اربعين آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته الغضباء ليقراها على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بكلمة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه

على أهل الموسم فقبل له لوبعث بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الرجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذارغاء ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابوبكر وحدثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بما ذاققرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انافد نبذنا المهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة

والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وكانت حرمانهم أو منوافيها وحرم قتلهم (وسلم) وقتالهم او على التقليل لان ذوالحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال فى الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدى عنه كثير الم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه

وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنى شىء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلى أما نرضى يا أبابكر انك كنت معى فى الغار وانك معى على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحجاج وعلى بن أبى طالب يؤذن براءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فقام للناس الحج والعرب فى تلك السنة على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من أسرار الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فاخذ فى الناس بالذى أمره به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سألتنا عليا باى شىء بعثت فى الحججة قال بعثت باربعة لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشرة حججة الوداع (ق) عن أبى هريرة ان أبابكر بعثه فى الحججة التى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حججة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم أرفى النبي صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب فأمره ان يؤذن براءة قال أبو هريرة فاخذن معنا فى أهل منى براءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبت أبو بكر الى الناس فى ذلك فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حججة الوداع مشرك وأنزل الله فى العام الذى نبت فيه أبو بكر الى المشركين يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل

قد يتوهم متوهم ان فى بعث على بن أبى طالب براءة أول براءة عزى أبى بكر عن الامارة وتفصيله على أبى بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان أبابكر لم يزل أميرا على الموسم فى تلك السنة أول حديث أبى هريرة المتقدم ان أبابكر بعثه فى رهط يؤذنون فى الناس الحديث وفى لفظ أبى داود والنسائى قال بعثى أبو بكر فممن يؤذن فى يوم النحر معنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثى أبو بكر فيه دليل على أن أبابكر كان هو الامير على الناس وهو الذى أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن فى الناس براءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان على بن أبى طالب أقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من أبى بكر لانه ابن عمه

مذلمهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والأذان بمعنى الأيدان وهو الأعلام كان الأمان والعطاء بمعنى الأمان والعطاء والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى

أخبار بثبوت البراءة والثانية أخبار بوجود الأعلام بما ثبت وإنما علقت البراءة بالذين عهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناس كلهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج

(واعلموا) يا معشر الكفار (أنكم غير معجزي الله) غير فائتين من عذاب الله بالقتل بعد أربعة أشهر (وأن الله مخزي الكافرين) معذب الكافرين بعد أربعة أشهر

في بعض الروايات لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي ﴿ واعلموا أنكم غير معجزي الله ﴾ لاتقوتونه وان أمهلكم ﴿ وأن الله مخزي الكافرين ﴾ بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿ وأذان من الله ورسوله الى الناس ﴾ أي أعلام فعال بمعنى الأفعال كالآمان والعطاء ورفع كرفع براءة على الوجهين ﴿ يوم الحج الأكبر ﴾ يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الأعلام كان فيه ونما روى أنه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعين أهل الكتاب أو لأنه

ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة ازاحة لهذه العلة لثلاث يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبابكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذا الرسالة تطيبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل إنما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصل خلف أبي بكر ويكون جاريا مجري التنيه على امامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر أميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان أبوبكر الامام وعلى المؤتم وكان أبوبكر الخطيب وعلى المستمع وكان أبوبكر المتولي أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ واعلموا أنكم غير معجزي الله ﴾ يعني ان هذا الامهال لس لعجز عنكم ولكن لمصلحة واطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض أربعة أشهر عالمين انكم لاتعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شيء ﴿ وأن الله مخزي الكافرين ﴾ يعني بالقتل والعذاب في الآخرة ﴿ وقوله عز وجل ﴾ وأذان من الله ورسوله ﴿ الأذان في اللغة الأعلام ومنه الأذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل ﴿ الى الناس يوم الحج الأكبر ﴾ اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذي وقال ويروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحرين الجمرات في الحججة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة والسدي

ظهر فيه عن المسلمين وذل المشركين ﴿ ان الله ﴾ اي بان الله ﴿ برى من المشركين ﴾ اي من عهدهم ﴿ ورسوله ﴾ عطف على المستكن في برى اوعلى محل ان واسمها في قراءة من كسرهما اجراء للاذان مجرى القول وقرى بالنصب عطفًا على اسم ان اولان الواو بمعنى مع ولا تكبر فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين ﴿ فان يتم ﴾ من الكفر والقدر ﴿ فهو ﴾ فالتوب ﴿ خير لكم ﴾ وان توليتم ﴿ عن التوبة او ثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء ﴾ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴿ لانفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا ﴾ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴿ في الآخرة

وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت في تلك الايام ويطلق عليه ايوم واحد وقال عبدالله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لانه نقصان اعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لوافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسيء وجميع أحكام الجاهلية ﴿ قوله عز وجل سبحانه وتعالى ﴾ أن الله برى من المشركين ورسوله ﴿ فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله برى من المشركين وانما حذف الباء لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمرة والتقدير ان الله برى من المشركين ورسوله ايضاً برى الثاني تقديره برى الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتداء وبرى خبره ورسوله عطف على المتبدأ فان قلت لافرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله برى من المشركين ورسوله فافائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاتة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في اولها براءة من الله ورسوله الى يعنى برى اليهم وفي الثانية برى منهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ فان يتم ﴿ يعنى فان رجعت عن شرككم وكفركم ﴿ فهو خير لكم ﴾ يعنى من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار ﴿ وان توليتم ﴾ يعنى أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك ﴿ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴾ فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾

ورسوله عطف على المنوى في برى اوعلى الابتداء وحذف الخبر أي ورسوله برى وقرى بالنصب عطفًا على اسم ان والجبر على الجوار اوعلى القسم كقوله لعمر ك وحكى ان امرأيسا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريثا من رسوله فانامنه برى قلبه الرجل الى عمر فحكي الاعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية (فان يتم) من الكفر والقدر (فهو) أى التوبة (خير لكم) من الاصرار على الكفر (وان توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولى والاعراض عن الاسلام (فاعلموا انكم غير معجزى الله) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) مكان

(أن الله برى من المشركين) ودينهم وعهدهم الذي تقضوا (ورسوله) أيضا برى من ذلك (فان يتم) من الشرك وأمنتم بالله وبمحمد عليه السلام والقرآن (فهو خير لكم) من الشرك (وان توليتم) عن الايمان والتوبة (فاعلموا)

يامعشر المشركين (انكم غير معجزى الله) غير فائتين من عذاب الله (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى القتل بعد أربعة اشهر

بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الالذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله وسوله الى الذين عاهدتم من { الجزء العاشر } المشركين فقولوا ﴿ ٨٤ ﴾ لهم سيحوا الالذين عاهدتم منهم (ثم لم

ينقصوكم شيئاً) من شروط العهد اى وفوا بالعهد ولم ينقصوه وقرى لم ينقصوكم اى عهدكم وهو ابقى لكن المشهورة ابلغ لانه في مقابلة التمام (ولم يظاهروا عليكم أحدا) ولم يعاونوا عليكم عدوا (فأتتموا اليهم عهدهم) فأدوه اليهم تاما كاملا (الى مدتهم) الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجملوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك (فاذا انسلخ) مضى أو خرج (الاشهر الحرم) التى أبيع فيها لناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوكم وظاهروا

(الالذين عاهدتم من المشركين) يعنى بنى كنانة بعد عام الحديبية (ثم لم ينقصوكم شيئاً) لم ينقصوا عهدهم مما كان لهم تسعة أشهر (ولم يظاهروا) ولم

يعاونوا (عليكم أحدا) من عدوكم (فأتتموا اليهم) لهم (عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر (حيث) (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) فاذا خرج شهر الحرم من بعد يوم النحر (فاقتلوا المشركين)

﴿الالذين عاهدتم من المشركين﴾ استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا ببدا العهد الى الناكثين واكن الذين عاهدوا عنهم ﴿ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ﴿ولم يظاهروا عليكم احدا﴾ من اعدائكم ﴿فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم﴾ الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ﴿ان الله يحب المتقين﴾ تعادل وتنبه على ان اتام عهدهم من باب التقوى ﴿فاذا انسلخ﴾ انقضى واصل الانسلخ خروج الشئ مما لا يسه من سلخ الشاة ﴿الاشهر الحرم﴾ التى ابيع لناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا غل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ انيس فيما نزل بعد ما ينسخها ﴿فاقتلوا المشركين﴾

يعنى في الآخرة ولنظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستثناء كما يقال تحيتم الضرب واكرامهم الشتم قوله سبحانه وتعالى ﴿الالذين عاهدتم من المشركين﴾ هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الشتم الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو نضير حتى من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقصوا العهد وهو قوله تعالى ﴿ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ يعنى من عهدهم التى عاهدتموهم عليها ﴿ولم يظاهروا﴾ يعنى ولم يعاونوا ﴿عليكم أحدا﴾ يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الالذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم ﴿فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم﴾ والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد ان امروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجملوا الوفي كالغادر ﴿ان الله يحب المتقين﴾ يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين القبيلتين يعنى الوافى بالعهد والناكث له والغاد فيه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ فاذا انسلخ الاشهر الحرم ﴿يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هى شهور العهد سميت حرم الحرمه نقض العهد فيها فن كان له عهد فعهدة أربعة أشهر ومن لاعهده فاجله الى انقضاء الحرم وذلك خسون يوم او قيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التى يكون معها انسلخ الاشهر الحرم ﴿فاقتلوا المشركين﴾

(حيث) (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) فاذا خرج شهر الحرم من بعد يوم النحر (فاقتلوا المشركين)

عليكم (حيث وجدتموهم) من حل او حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختلاس (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) ﴿٨٥﴾ فخلوا {سورة براءة} سيلهم (فاطلقوا عنهم

بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والعدو بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجره) أحد من تقع بفعل شرط مضمير بفسره الظاهر أي وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لاعهد بينك وبينه واستأمنك لسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمنه) داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة في دارنا ويمكن من العود (ذلك) أي الامر بالاجارة في قوله فاجره (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب من كان عهدهم خسين يونا (حيث وجدتموهم) في الحل والحرم والاشهر

الناكثين ﴿حيث وجدتموهم﴾ من حل وحرم ﴿وخذوهم﴾ وأسروهم والاختلاس (واحصروهم) واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ كل ممر لا يتسبطوا في البلاد وانتصابه على الظرف ﴿فان تابوا﴾ عن الشرك بالايان ﴿واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة﴾ تصديقاً لثبوتهم وایمانهم ﴿فخلوا سيلهم﴾ فدعوهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سيله ﴿ان الله غفور رحيم﴾ تعليل الامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة ﴿وان احد من المشركين﴾ المأمور بالتعرض لهم ﴿استجارك﴾ استأمنك وطلب منك جوارك ﴿فاجره﴾ فامنه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ﴿ثم ابغنه مأمنه﴾ موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان من عوامل الفعل ﴿ذلك﴾ الامن او الامر ﴿بانهم قوم لا يعلمون﴾ ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد

حيث وجدتموهم ﴿يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في أي وقت أي مكان وجدتموهم﴾ ﴿وخذوهم﴾ يعني وأسروهم ﴿واحصروهم﴾ أي واحبسوهم قال ابن عباس يريدان تحصنوا فاحصروهم امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه العدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم مرصداً حتى تأخذوهم من أي وجه توجهوا وقيل معناه اقمعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها ﴿فان تابوا﴾ يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان ﴿واقاموا الصلوة﴾ يعني وأعموا أركان الصلاة المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ الواجبة عليهم طيبة بأنفسهم ﴿فخلوا سيلهم﴾ يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ﴿ان الله غفور﴾ يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة ﴿رحيم﴾ يعني باوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء ﴿قوله تعالى﴾ وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ﴿يعني وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم لسمع كلام الله الذي أنزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصر على الكفر ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ يعني ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ﴿ذلك بانهم قوم لا يعلمون﴾ أي لا يعلمون دين الله وتوحيدهم يحتاجون

الحرام (وخذوهم) أو أسروهم (احبسوهم) عن البيت (واقعدوا لهم كل مرصد) على كل طريق يذهبون ويحيون فيه للتجارة (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلوة) اقرؤا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) اقرؤا اداء الزكاة (فخلوا سيلهم) الى البيت (ان الله غفور) تجاوز لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة (وان احد من المشركين استجارك) استأمنك (فاجره) فانه حتى يسمع كلام الله قراءتك لكلام الله (ثم أبلغه مأمنه) وطنه الى حيثما جاء ان لم يؤمن (ذلك) الذي ذكرت (بانهم قوم لا يعلمون)

الامان حتى يسمعوا أو
فهموا الحق (كيف
يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله)
كيف استفهام في معنى
الاستنكار أى مستنكر
أن ثبت لهؤلاء عهد فلا
تطمعوا في ذلك ولا تحذروا
به نفوسكم ولا تفكروا
في قتلهم ثم استدرك ذلك
بقوله (الا الذين عاهدتم)
أى ولكن الذين عاهدتم
مس (عند المسجد الحرام)
ولم يظهر منهم نكت كفى
كناية وبني ضمرة فتر بصوا
أمرهم ولا تقاتلوه (فإ
استقاموا لكم) ولما يظهر
منهم نكت أى فأقاموا
على وفاء العهد (فاستقيموا
لهم) على الوفاء وما شرطية
أى فان استقاموا لكم
فاستقيموا لهم (ان الله يحب
المتقين) يعنى ان التربص
بهم من أعمال المتقين (كيف
أمر الله وتوحيده (كيف)
على وجه التعجب (يكون
للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام)
بعد عام الحديبية وهم بنو
كنانة (فاستقاموا لكم)
بالوفاء (فاستقيموا لهم)
بالتمام (ان الله يحب المتقين)

من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾
استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم
اولان يفي الله ورسوله بالعهودهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام اول المشركين
او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين
حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خيرا فتبيين ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام ﴾ هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع
على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ﴿ فاستقاموا
لكم فاستقيموا لهم ﴾ اى فتر بصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء
وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية
والمصدرية ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ سبق بيانه ﴿ كيف ﴾ تكرر لاستبعاد ثباتهم على
العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كافي قوله
وخبر تمانى اعما الموت بالقرى * فكيف وهاتان هضبة وقلب
اى فكيف مات

الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة ﴿ كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد أى لا يكون
لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم ينفذون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه
وتعالى ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم
أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدى ومحمد
بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزيمية وبنو مدلج وبنو الدئل قبائل من بنى بكر كانوا
دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة ﴿ فإ
استقاموا لكم ﴾ يعنى على العهد ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ يعنى ما أقاموا على العهد ثم انهم لم
يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأى بلاد
شاؤا فأسلموا بعد الاربعة الأشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بنى بكر
وهم خزيمية وبنو مدلج من ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش
يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بنى بكر فامر باتعام العهد لمن
لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض
قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشيء قدمضى فإ استقاموا
لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظهرت قريش بنى بكر
على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله تعالى ﴿ ان الله يحب
المتقين ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه ﴿ كيف

وان يظهر واعليكم) تكرر لاستبعاد ﴿ ٨٧ ﴾ ثبات المشركين {سورة براءة} على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أي

﴿وان يظهر واعليكم﴾ أي وحالهم أنهم أن يظفروا بكم ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ لا يراعا فيكم
﴿الا﴾ حلفا وقيل قرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من ز آل النعام

وقيل ربوبية وامله اشتق الحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا
به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب مالا يعقده الحلف ثم
للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الل الشئ اذا حدده او من ال البرق اذا لمع
وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرى ايللا جبرئيل وجبرئيل ﴿ولا ذمة﴾ عهدا او حقا
يعاب على اغفاله ﴿يرضونكم بافواههم﴾ استثناء لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد
المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد
ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعادة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية
تنافيه ﴿وتأبى قلوبهم﴾ ما يتفوه به افواههم ﴿واكثرهم فاسقون﴾ متمردون
لا عقيدة تزعمهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي
عن الغدر والتعفف عما يجري الى احدوثة السوء ﴿اشتروا بايات الله﴾ استبدلوا بالقرآن
﴿ثمنا قليلا﴾ عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات

وان يظهر واعليكم ﴿ قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون
لهم عهد وان يظهر واعليكم ﴾ ﴿لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة﴾ وقال الاخفش معناه
كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم ويغلبوك ويعلموا عليكم لا يرقبوا
أي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعا فيكم الا قال ابن عباس يعني
قرابة وقيل رحا وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الال الحلف وقال النسدي
هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد او لاختلاف اللفظين وقال أبو مجلز ومجاهد
الال هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلة الكذاب
ان هذا الكلام لم يخرج من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون
الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعون ولا ذمة بيني ولا يحفظون عهدا ﴿يرضونكم بافواههم﴾
وتأبى قلوبهم ﴿ يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم ﴾ ﴿واكثرهم فاسقون﴾
فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفاروا الكفر أخبث وأفجر من الفسق فكيف وصفهم
بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون
قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا حيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم
بكونهم فاسقين أنهم نقضوا العهد وبالغوا في العداوة فوسفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم
فيكون أبلغ في الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم
ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلماذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون ﴿ وقوله
تعالى ﴿اشتروا بايات الله ثمنا قليلا﴾ يعني استبدلوا بايات القرآن والايمان بها عرضا
قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله

كيف يكون لهم عهد وحالهم
أنهم ان يظهر واعليكم أي
يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من
تأكيد الايمان والمواثيق
(لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعا
حلفا والقرابة (ولا ذمة)
عهدا (يرضونكم بافواههم)
بالوعد بالايمان والوفاء
بالعهد وهو كلام مبتدأ
في وصف حالهم من
مخالفة الظاهر والباطن
ومقرر لاستبعاد الثبات منهم
على العهد (وتأبى
قلوبهم) الايمان الوفاء
بالعهد (وأكثرهم
فاسقون) ناقضون العهد
أو متمردون في الكفر
لامروءة تمنعهم عن الكذب
ولا شمائل تردعهم عن
النكث كما يوجد ذلك في
بعض الكفرة من التفادي
عنهما (اشتروا) استبدلوا
(بايات الله) بالقرآن
(ثمنا قليلا) عرضا يسيرا
وهو اتباع الاهواء والشهوات
(وان يظهر واعليكم)
لا يرقبوا فيكم (لا يحفظوكم
(الا) لقبيل القرابة ويقال
لقبل الله (ولا ذمة) لا لقبيل
العهد (يرضونكم بافواههم)
بالسنتهم (وتأبى) تنكر
(قلوبهم وأكثرهم) كلهم
(فاسقون) ناقضون العهد (اشتروا بايات الله) (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا

(فصدوا عن سبيله) فعدلوا في الجزء العاشر { عنه وصر فوا غيرهم } ٨٨ ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون) أى

بئس الصنيع صنيعهم
(لا يرقبون في مؤمن الا
ولا ذمة) ولا تكرار لان
الاول على الخصوص حيث
قال فيكم والثاني على العموم
لانه قال في مؤمن (وأولئك
هم المعتدون) المجاوزون
الغاية في الظلم والشرارة
(فان تابوا) عن الكفر
(وأقاموا الصلوة وآتوا
الزكاة فآخوانكم) فهم
آخوانكم على حذف المبتدأ
(في الدين) لافي النسب
(ونفصل الآيات) ونبينا
(لقوم يعملون) يفهمون
فيتفكرون فيها وهذا
اعتراض كأنه قيل وان
من تأمل تفصيلها فهو
العالم بتحريضا على تأمل
ما فصل من أحكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها

(فصدوا عن سبيله) عن دينه
وطاعته (انهم ساء ما كانوا
يعملون) بئس ما كانوا
يصنعون من الكتمان
وغيره ويقال نزلت هذه
الآية في شأن اليهود
(لا يرقبون) لا يحفظون
(في مؤمن الا) قرابة ويقال
الاهو الله (ولا ذمة) لا لقب
العهد (وأولئك هم المعتدون)
من الحلال الى الحرام

﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه الموصل اليه او سبيل بيته بمحصر الحجاج والعمار والفاء
للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ علمهم هذا وما دل عليه
قوله ﴿لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة﴾ فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم ﴿واولئك
هم المعتدون﴾ في الشرارة ﴿فان تابوا﴾ عن الكفر ﴿واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة
فاخوانكم﴾ فهم آخوانكم ﴿في الدين﴾ لهم مالكم وعليهم ما عليكم ﴿ونفصل الآيات
لقوم يعملون﴾ اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين

عليه وسلم بسبب أكلة أطمعهم ايها أبو سفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد
أطعم أبو سفيان حلفاء وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فصدوا عن
سبيله﴾ يعنى منعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل
الطائف أمدهم بالاموال ليقوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يعنى من الشرك وتقضهم العهد ومنعهم الناس
عن الدخول في دين الاسلام ﴿لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة﴾ يعنى ان هؤلاء
المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا أتم عليهم
كالم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ يعنى في نقض العهد
﴿قوله عز وجل﴾ فان تابوا ﴿يعنى فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن
نقض العهد الى الوفاء به﴾ وأقاموا الصلوة ﴿يعنى المفروضة عليهم بجميع حدودها
وأركانها﴾ وآتوا الزكاة ﴿يعنى وبدلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم
﴾ فآخوانكم في الدين ﴿يعنى اذا فعلوا ذلك فهم آخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم
﴾ ونفصل الآيات لقوم يعملون ﴿يعنى ونبين حجج أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم
ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود
أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فلا صلواته وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة
جميعا لم يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبابكر ما كان
أفقهه يعنى بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين
شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفي النبي صلى
الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابي
بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه
على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة
حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها في روايت عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله
وسلم لقاتلتهم عنى منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرح صدر أبى بكر للقتال

بنقض العهد وغيره (فان تابوا) من الشرك وآمنوا بالله (واقاموا الصلوة) أقرروا بالصلوات (وآتوا الزكاة) (فعرفت)
أقروا بالزكاة (فاخوانكم في الدين) في الاسلام (ونفصل الآيات) نبين القرآن بالامر والنهي (لقوم يعملون) ويصدقون

(وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهود المؤكدة بالايان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر ﴿ ٨٩ ﴾ موضع ضميرهم { سورة براءة } وهم رؤساء الشرك أو

زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهزتين كوفي وشامي الباوقن بهزمة واحدة غير ممدودة بعد ايهام مكسورة أصلها أئمة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى

فن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرهما (انهم لا ايمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم لانه أراد ايمانهم التي أظهر وهاشم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن عين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله أنهم لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لعلمهم ينتهون) (وان نكثوا) أهل مكة

﴿ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ﴾ وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان أو الوفاء بالعهود ﴿ وطعنوا في دينكم ﴾ بصرح التكذيب وتبجح الاحكام ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم في الكفر احتفاء بالقتل وقيل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احدث به أول المنع من مساقبتهم وقرأ عاصم وابن عاصم وحزرة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصرح بالياء لحن ﴿ انهم لا ايمان لهم ﴾ أى لا ايمان لهم على الحقيقة والاملا طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان عين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لانها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عاصم لا ايمان بمعنى لا امان أو لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين أو ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله ﴿ لعلمهم ينتهون ﴾ متعلق بقاتلوا أى

فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وان نكثوا ايمانهم ﴾ يعنى وان نقضوا عهودهم ﴿ من بعد عهدهم ﴾ يعنى من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم ﴿ وطعنوا في دينكم ﴾ يعنى وعابوا دينكم الذى أنتم عليه وقد حوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبتغى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كقريش وهو قوله تعالى ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ يعنى رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في أنى سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبى جهل وابنه عمكمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الانباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن ايمان ما قوتل أهل هذه الآيات بعد ولم يأت أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجاج من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ انهم لا ايمان لهم ﴾ جمع عين أى لا عهد لهم وقيل معناه أنهم لا وفاء لهم بالعهود وقري لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الايمان أى اقلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم ﴿ لعلمهم ينتهون ﴾ أى لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على

(ايمانهم) عهودهم التى بينكم وبينهم (قا و خا ١٢ لث) (من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم) عابوكم في دين الاسلام (فقاتلوا أئمة الكفر) قادة الكفر أباسفيان وأصحابه (انهم لا ايمان لهم) لا عهد لهم (لعلمهم ينتهون) لكي ينتهوا

متعلق بقتالوا أمة الكفر وما بينهما اعتراض أى ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرهه على المسمى ثم حرص على القتال فقال (الاتقناتون قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في المعاهدة { الجزء العاشر } (وهو ما باخراج ٩٠ ﴿ الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول

مرة) بالقتال والبادى
أظلم فما يمنعكم من أن
تقاتلوهم وبخهم بترك
مقاتلتهم وحضهم عليها
وصفهم بما يوجب الحض
عليها من نكث العهد واخراج
الرسول والبدء بالقتال
من غير موجب (أنحشونهم)
توبخ على الخشية منهم
(قاله أحق أن تخشوه)
بان تخشوه فقاتلوا أعداءه
(ان كنتم مؤمنين) فاخشوه
أى ان قضية الايمان
الكامل أن لا يخشى المؤمن
الاربه ولا يبالي بمن سواه
ولما وبخهم الله على ترك
القتال جرد لهم الامر به
بقوله (قاتلوهم) ووعدهم
النصر ليثبت قلوبهم وتصح
نياهم بقوله (يعذبهم الله
بايديكم) قتلا (ويخزهم)
أسرا (وينصركم عليهم)
عن نقض العهد (ألا
تقاتلون قوما) ما لكم
لا تقاتلون قوما يعنى أهل
مكة (نكثوا أيمانهم)
نقضوا عهودهم التي بينكم
وبينهم (وهو ما باخراج
الرسول) أرادوا قتل

ليكن غرضكم في المقاتلة ان يتروا عما هم عليه لا يصل الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين
﴿ الاتقناتون قوما ﴾ تحريض على القتال لان الهمة دخلت على النفي للانكار فافادت
المبالغة في الفعل ﴿ نكثوا ايمانهم ﴾ التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين
على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة ﴿ وهو ما باخراج الرسول ﴾ حين
تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذا عكركم الذين كفروا
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهو ما باخراجه من المدينة ﴿ وهم بدؤكم أول
مرة ﴾ بالمعادة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزمام الحجة
بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعادات والمقاتلة فامنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم ﴿ أنحشونهم ﴾ أتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم ﴿ قاله حق
ان تخشوه ﴾ فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا امره ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان قضية الايمان
ان لا يخشى الامنه ﴿ قاتلوهم ﴾ امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه
﴿ يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ﴾ وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم

جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى ﴿ الاتقناتون قوما نكثوا أيمانهم ﴾ يعنى
نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة
﴿ وهو ما باخراج الرسول ﴾ يعنى من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة ﴿ وهم بدؤكم ﴾
يعنى بالقتال ﴿ أول مرة ﴾ يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لانصرف حتى نستأصل
محدا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ﴿ أنحشونهم ﴾ يعنى أنخافونهم أيها المؤمنون فتركوا قتالهم
﴿ قاله أحق أن تخشوه ﴾ يعنى في ترك القتال ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعنى ان كنتم
مصدقين بوعد الله ووعيده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ﴿
يريد بالتعذيب القتل يعنى يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله
بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعنى وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم
والمراد بقوله قاتلوهم يعنى الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب
الاستئصال يتعدى الى المذب وغير المذب والى الخسالف والموافق وعذاب القتل
لا يتعدى الا الى المذب المخالف ﴿ وقوله تعالى ﴾ ويخزهم يعنى ويذلهم بالقهر والاسم
ويذلهم الذل والهوان ﴿ وينصركم عليهم ﴾ يعنى بان يظفركم بهم

الرسول حيث دخلوا دار الندوة (وهو بدؤكم أول مرة) ينقض العهد منهم حيث أعانوا بنى بكر (ويشف)
حلفاءهم على بنى خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم (أنحشونهم) يامعشر المؤمنين أنحشون قتالهم (قاله أحق أن تخشوه)
في ترك أمره (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم (بسيوفكم بالقتل) ويخزهم (يذلهم بالهزيمة) وينصركم عليهم

يغلبكم عليهم) ويشنف صدور قوم مؤمنين (طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم) وينذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله ﴿٩١﴾ هذه المواعد { سورة براءة } كلها فكان دليلا على صحة

نبواته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله عليم)

يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطة والهزمة فيها التوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا

بالغلبة (ويشنف صدور قوم مؤمنين) يفرح قلوب بني خزاعة عليهم بما أحل لهم القتل يوم قحمة ساعة في الحرم (وينذهب غيظ قلوبهم) حنق قلوبهم (ويتوب الله على من يشاء) على من تاب منهم (والله

والتمكن من قتلهم واذلالهم ﴿ ويشنف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعني بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فاشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ﴿ وينذهب غيظ قلوبهم ﴾ لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضممار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كان سبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين ﴿ والله عليم ﴾ بما كان وما سيكون ﴿ حكيم ﴾ لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ﴿ أم حسبتم ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطة ومعنى الهزمة فيها التوبيخ على الحسبان ﴿ ان تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ ولم يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه

﴿ ويشنف صدور قوم مؤمنين ﴾ يعني ويرى داء قلوبهم مما كانوا اياه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا بانارهم منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ وينذهب غيظ قلوبهم ﴾ يعني وينذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بنى بكر روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم قحمة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ويتوب الله على من يشاء ﴿ هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل باني سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالإسلام يوم قحمة فاسلموا ﴿ والله عليم ﴾ يعني بسر أعباده ومن سبقت له الضيافة الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام ﴿ حكيم ﴾ يعني في جميع أفعاله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ﴾ هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفريق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظنتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمنحوا المظهر الصادق من الكاذب ﴿ وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ أراد بانهم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدى عن الزجاج

عليم) بمن تاب وعن لم يتب منهم (حكيم) فيما حكم عليهم ويقال حكم بقتلهم وهزيمتهم (أم حسبتم) أظنتم يا معشر المؤمنين (أن تتركوا) ان تهملوا وان لا تؤمروا بالجهاد (وما يعلم الله) ولم ير الله (الذين جاهدوا منكم) في سبيل الله

في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما { الجزء العاشر } معناها التوقيع ﴿ ٩٢ ﴾ وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع

﴿ ولم يتخذوا ﴾ عطف على جاهدوا داخل في الصلاة ﴿ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لسان من معنى التوقيع منبذ على ان تبين ذلك متوقع ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ يعلم عرضكم منه وهو كالمزيج لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ﴿ ما كان للمشركين ﴾ ماصح لهم ﴿ ان يعمرؤا مساجد الله ﴾ شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كما صرح الجميع وبذل عليه ابن كثير واي

أى العلم الذي يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ قال الفراء الوليعة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقيل فتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء أولياء يعني لا يتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقيل أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الواو ج فوليعة الرجل من يختصه بخديعة أمره دون الناس وقال الراغب الوليعة كل ما يتخذ الانسان معتمدا عليه وليس من قواهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذانهى المؤمنين عن موالاته المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ يعني من موالاته المشركين واخلاص العمل لله وحده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله ﴿ يعني به المسجد الحرام وقريء مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضاً وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالمشرك وجعل على بن أبي طالب يوخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعم المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أى ما ينبغي للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله أو جب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشيدها وحرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزروا ان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول

كأن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في جنز الصلاة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنى العلم فى المعلوم كقولك ما علم الله منى ما قيل فى تريد ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم ان تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خير بما تعملون) من خير أو شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ماصح لهم وما استقام (أن يعمرؤا مساجد الله) مسجدا لله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع فى القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كما صرح جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمرؤا اجنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمرؤا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وهو أكد اذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أننى لقراءته القرآن من تصریح بذلك

(ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين) المخلصين (وليجة) بطانة من الكفار (والله خير) (الكافر) بما تعملون) من الخير والشر فى الجهاد وغيره (ما كان للمشركين) ما ينبغي للمشركين (أن يعمرؤا مساجد الله)

(شاهدين على انفسهم
بالكفر) باعترافهم بعبادة
الاصنام وهو حال من الواو
في يعمر واو المعنى ما استقام
لهم ان يجمعوا بين امرين
متضادين عبارة متعبدات
الله مع الكفر بالله وعبادته
(أولئك حبطت أعمالهم
وفي النار هم خالدون)
دأعون (انما يعمر مساجد
الله) عمارتها رم ما استرم
منها وقها وتنظيفها وتويرها
بالمصايح وصياتها ململم
تبين لها المساجد من أحاديث
الدنيا لانها بنيت للعبادة
والذكر ومن الذكر درس
العلم (من آمن بالله واليوم
الآخر) ولم يذكر الايمان
بالرسول عليه السلام لما
علم ان الايمان بالله قرينة
الايمان بالرسول لاقتراهما
في الاذان والاقامة وكلمة
الشهادة وغيرها أو دل
شاهدين على انفسهم)
بتليتهم (بالكفر أولئك
حبطت أعمالهم) بطلت
حسناتهم في الكفر
(وفي النار هم خالدون)
لا يعوتون ولا يخرجون
منها (انما يعمر مساجد الله)
المسجد الحرام (من آمن
بالله واليوم الآخر)

عمر وبيعةوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب
الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عبارة
بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس غيره المسلمون بالشرك وقطيعه الرحم
واغلظ له على رضى الله تعالى عنه في القول فقال ما بالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسنا
انما نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني فنزلت ﴿اولئك
حبطت اعمالهم﴾ التي يفخرون بها بما قرنها من الشرك ﴿وفي النار هم خالدون﴾
لاجله ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾

الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري
المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها ﴿قوله عز وجل﴾ شاهدين
على انفسهم بالكفر ﴿يعنى لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره
وهم شاهدون فلما حذف وهم نصب وقال ابن عباس رضى الله عنه شهادتهم على انفسهم
بالكفر سجدوهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت
الخرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم
يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم
بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدى شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني
يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودى يقول يهودى والمشرى يقول مشرك وقال
ابن عباس رضى الله عنه في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم
﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ يعنى الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البرمثل قرى
الضيف وسقى الحاج وفك العاني لانهم لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر ﴿وفي النار هم
خالدون﴾ يعنى من مات منهم على كفره ﴿قوله عز وجل﴾ انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الآخر ﴿لمبين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله
بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله
شرط فبين يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذى يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا
بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعنى وآمن باليوم الآخر وانه حق
كأن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة فن أنكر
الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم يذكر الايمان برسول الله مع أن الايمان
به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله
فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم
الآخر لانه هو الداعى الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة
طلب الرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما ادعى الايمان بالله
واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك

وآتى الزكوة) وفي قوله (ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في ابواب الدين بان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف اذا المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتماك ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريدنى تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتد بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

بالبعث بعد الموت) وأقام الصلوة) أتم الصلوات الخمس (وآتى الزكوة) أدى الزكاة المفروضة (ولم يخش) ولم يعبد (الا) الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) بدين الله وجهته وعسى من الله واجب ثم نزلت في رجل من المشركين أسر يوم بدر فافتخر على على أو على رجل من أهل بدر فقال نحن نسقى الحاج ونعمر المسجد الحرام ونفعل

وأقام الصلوة وآتى الزكوة) أى انما تستقيم عمارتها وهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية وعمارتهما تزينها بالفرش وتنويرها بالسراج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها ووصياتها علم تبين له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان يبوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المذور ان يكرم زائرہ وانما يذكر الايمان بالرسول لماعلم ان الايمان بالله قريبه وتامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكاة عليه ولم يخش الا الله) أى فى ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل العاقل يتماك عنها فمضى أولئك ان يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعاً لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوخيخهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداءهم دائراً بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلموا عليها) جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر) وأقام الصلوة وآتى الزكوة) وكان ذلك مجاء بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فن أقام الصلوة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة واتباء الزكاة فى عمارة المساجد ان الانسان اذا عمّر المسجد أقام الصلوة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تنضم لاقامة الصلاة فيه ولا يشغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤد بالزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه قوله عز وجل ﴿ ولم يخش الا الله ﴾ يعنى ولم يخف فى الدين غير الله ولم يترك أمر الله خشية الناس ﴿ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ وعسى من الله واجب يعنى وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التى تؤدى الى الجنة عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن (ق) عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد أورا ح أعد الله له فى الجنة نزلاً كلما غدا أورا ح النزل ما يهيا للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجداً يتخى به وجه الله تعالى بنى الله له بيتاً فى الجنة وفى رواية بنى الله له فى الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً صغيراً كان او كبيراً بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه الترمذى عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجداً يذكر الله فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه النسائى قوله سبحانه وتعالى ﴿ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ﴾ الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما بالى أن لأعمل عملاً بعد الاسلام الا أن أعمّر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد فى سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمركا لصيانة والوقاية ولا بد ﴿ ٩٥ ﴾ من مضاف { سورة براءة } محذوف تقديره أ جعلتم

أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعها نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فظفك على رضى الله عنه يوجه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسنا فاقبل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيئة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

كن آمن بالله كما كان من آمن بالله يعنى البدرى (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (وجاهد في سبيل الله) فى طاعة الله

كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴿ السقاية والعمارة مصدران سقى وعمركا فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره أ جعلتم أهل سقاية الحاج كن آمن أو أ جعلتم سقاية الحاج كما كان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿ لا يستوون عند الله ﴾ وبين عدم تساويهم بقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون فى الضلالة

عمرو قال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستغفنيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسرى يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد معنى خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت فى علي بن أبى طالب والعباس بن عبدالمطلب وطلحة بن أبى شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدى مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليها وقال على ما أدرى ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أ جعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهى سقى الحاج وكان العباس بن عبدالمطلب بيده سقاية الحاج وكان يلبى فى الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعنى بناءه وتشييده وصرته ﴿ كن آمن بالله واليوم الآخر ﴾ فيه حذف تقديره كما كان من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وجاهد فى سبيل الله ﴾ أى وجاهد من جاهد فى سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أ جعلتم ساقى الحاج وعمار المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ﴿ لا يستوون عند الله ﴾ يعنى لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمره المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا إلا مع الايمان به ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقى فقال يارسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها قال اعلموا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا النزل حتى أضع الحبل على هذا يعنى عاتقه (م) عن بكر بن عبدالله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه أعرابي فقال ما لي أرى نبي عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ من حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا

يوم بدر (لا يستوون عند الله) فى الطاعة والثواب (والله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) المشركين من لم يكن اهلا لذلك

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله يأموا لهم وأنفسهم) أولئك (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة (وأولئك هم { الجزء العاشر } الفائزون) لأنتم ﴿ ٩٦ ﴾ والمختصون بالفوز دونكم (بشرهم

فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفتهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله يأموا لهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله ﴾ اعلى رتبة وأكثر كرامة من لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ﴿ وأولئك هم الفائزون ﴾ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم ﴿ بشرهم ربهم برجة منه ورضوان وجنات لهم فيها ﴾ في الجنات ﴿ نعيم مقيم ﴾ دائم ﴿ وقرأ حجة بشرهم بالتخفيف وتنكير المشر به اشعار بأنه وراء التعيين والتعريف ﴿ خالدن فيها أبدا ﴾ أكد الخلود بالتأيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل ﴿ ان الله عنده اجر عظيم ﴾ يستحقرونه ما استوجبوه لاجله أو نعيم الدنيا ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ﴾ نزلت في المهاجرين

من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجهتم كذا فاصنعوا فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تم ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء وينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحض حرم ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله يأموا لهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴾ يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة ﴿ وأولئك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ هم الفائزون ﴾ يعني بسعادة الدنيا والآخرة ﴿ بشرهم ربهم ﴾ يعني يخبرهم ربهم وبالبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستدير بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ﴿ ثم ذكر الخبر الذي بشرهم به فقال تعالى ﴾ برجة منه ورضوان ﴿ وهذا أعظم البشارات لان الرجة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده ﴿ وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾ يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا ﴿ خالدن فيها ﴾ يعني في الجنان وفي النعيم ﴿ أبدا ﴾ يعني لا انقطاع له ﴿ ان الله عنده اجر عظيم ﴾ يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ﴿ قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لمأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فممن تعلق به أهله وأولاده يقولون نشدك الله أن لاتضعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وانزل يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء يعني بطانة

ربهم) بشرهم حجة (برجة منه ورضوان وجنات) تنكير المشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدن فيها أبدا ان الله عنده اجر عظيم) لا ينقطع لمأمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل

يقول لابنه ولاخيه ولقرابته اتاقد أمرنا بالهجرة فمهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من تعلق به زوجته أو وولد فيقول تدعنا بلا شئ فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء

(الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا في سبيل الله) في طاعة الله (بأموالهم وأنفسهم) بنفقة أموالهم وبخروج أنفسهم (أعظم درجة) فضيلة (عند الله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) فازوا بالجنة ونجوا من النار

(بشرهم ربهم برجة) بنجاة (منه) من الله من العذاب (ورضوان) برضار بهم عنهم (وجنات) (وأصدقاء) جنات (لهم فيها نعيم مقيم) دائم لا ينقطع (خالدن فيها أبدا) لا يموتون ولا يخرجون (ان الله عنده اجر عظيم) ثواب وافر لمن آمن به (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا آباءكم واخوانكم) الذين بمكة من الكفار (أولياء) في الدين

ان استحبوا الكفر على الايمان (اي آروه واختاروه) ومن يتولهم منكم (أي ومن يتول الكافرين) فاولئك هم الظالمون
 قل ان كان آباؤكم واناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم (اقربكم وعشيرتكم أبو بكر) وأموال اقترفتموها (اكتسبتموها
) وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت ﴿ ٩٧ ﴾ نفاقها (ومساكن { سورة براءة } رضونها أحب اليكم من

الله ورسوله وجهاد في
 سبيله فتربصوا حتى يأتي
 الله بأمره) وهو عذاب
 عاجل أو عقاب أجل أو قمع

فانهم لما اسروا بالحجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهب
 تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيها عن موالة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا
 بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمتعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله
 ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ ان اختاروه وحرصوا عليه ﴿ ومن يتولهم منكم
 فاولئك هم الظالمون ﴾ بوضعهم الموالة في غير موضعها ﴿ قل ان كان آباؤكم واناؤكم
 واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ﴾ اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة
 فان العشرة جماعة ترجع الى عقد كهتد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيرتكم وقرئ
 وعشائركم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ فوات
 وقت نفاقها ﴿ ومساكن رضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴾
 الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه ﴿ فتربصوا
 حتى يأتي الله بأمره ﴾ جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل قمع مكة

(ان استحبوا الكفر على
 الايمان) اختاروا الكفر على
 الايمان (ومن يتولهم منكم) في
 الدين (فاولئك هم الظالمون)
 الكافرون مثلهم ويقال
 يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
 آباءكم واخوانكم من المؤمنين

وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه
 الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن
 نزولا والاقرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبصر من المشركين
 قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أهله
 وأقاربه في الدين واجبة فالؤمن لا يوالى الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله
 تعالى ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا
 الايمان بالله ورسوله ﴿ ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ﴾ يعني ومن يختار المقام
 معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين
 ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهب
 تجارتنا وخرت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿ قل ﴾ أي قل
 يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿ ان كان آباؤكم واناؤكم واخوانكم وازواجكم
 وعشيرتكم ﴾ وقرئ على الجمع وعشيرتكم المشيرة هم الاذنون من أهل الانسان الذين
 يعاشرونه دون غيرهم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ يعني اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون
 كسادها ﴾ يعني بفرانكم لها ﴿ ومساكن رضونها ﴾ يعني تستوطنونها راضين بسكانها
 ﴿ أحب اليكم من الله ورسوله ﴾ يعني أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله ﴿ وجهاد
 في سبيله ﴾ فيبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليلقى الدين سليما وأخبر
 انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة
 في سبيل الله ﴿ فتربصوا ﴾ أي فانتظروا ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ يعني بقضائه وهذا

الذين بمكة الذين منعوكم
 عن الهجرة أولياء في العون
 والنصرة ان استحبوا الكفر
 اختاروا دار الكفر يعني
 مكة على الايمان على دار
 الاسلام يعني المدينة ومن
 يتولهم منكم في العون
 والنصرة فاولئك هم
 الظالمون الضارون بأنفسهم
 (قل) يا محمد (ان كان آباؤكم
 واناؤكم واخوانكم
 وازواجكم وعشيرتكم)
 قومكم الذين هم بمكة
 (وأموال اقترفتموها)
 اكتسبتموها (وتجارة
 تخشون كسادها) أن
 لا تنفق بالمدينة (ومساكن)
 منازل (رضونها) تشتمون

الجلوس فيها (أحب اليكم من الله) من طاعة الله (قا و خا ١٣ لث) (ورسوله) ومن الهجرة الى رسوله (وجهاد) ومن
 جهاد (في سبيله) في طاعته (فتربصوا) فانتظروا (حتى يأتي الله بأمره) بعد نذابه يعني القتل يوم قمع
 مكة ثم هاجروا بعد ذلك

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يخلص منه ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ يعني مواطن الحرب هي مواقعها ﴿ويوم حنين﴾ وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله

أمرته يد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يعني الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا ﴿قوله عز وجل﴾ لقد نصركم الله النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم ﴿في مواطن كثيرة﴾ يعني أما كان كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد برودة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ﴿ويوم حنين﴾ يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحين اسم وادقرب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عمرو هو الى جنب ذي الحجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في احدى عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وقال عطية كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قتلوا وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن تغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلمهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القاتل لذلك أبو بكر الصديق وحكي ابن جرير الطبري ان القاتل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعدلانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدو ولا الى غيره بل نظره الى ما أتى من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهمز المشركون وخلوا عن الذراري ثم تبادوا يا حياة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن أبي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما لى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفيان بن الحرث يقود به بغلته فنزل ودعا

مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب جبل اليقين اذ لا تجدد عند أروع الناس ما يستحبه دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقرية خيبر والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنون ثمانون موطننا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها (ويوم) أى واذكروا يوم (حنين) وادبين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة فساء رسول الله عليه الصلاة والسلام

(والله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الفاسقين) الكافرين من لم يكن أهلا لدينه (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) في مشاهد كثيرة عند القتال (ويوم حنين) خاصة وهو وادبين مكة والطائف

واستنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم أنزل نصرتك زاد أبوخيثة ثم صفهم قال البراء كنا والله إذا اجر البأس نتقى به وان الشجاع منالذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبي اسحق قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عازبة فررت يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤه حمررا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب يقود به فنزل ودعا واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهم ما قبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا اجر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبدالمطلب وابن عمه أبوسفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو اسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبدالمطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفارقوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداهاله فروة بن نفثة الجذامي فلما اتى المسلمون والكفارولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لاتسرع وأبوسفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عظقتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا ليك ليك قال فأتسلوا الكفار والدعوة فى الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحرث بن الخزرج فقالوا يا بنى الحرث بن الخزرج يا بنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين جرى الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما

أرى قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياتة فآزات أرى حدهم قليلا وأمرهم
مدبرا قوله حتى الوطيس أى اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها
النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهى بما اقتضبه وأنشأه والوطيس فى اللغة التنوير وقوله
حدهم قليلا يعنى لا يقطع شياً (م) عن سلة بن الاكوع قال غزى ونامع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينما قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من
تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فخلق الله منهم انسانا الاملاً عينيه
تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجه
مسلم بزىادة فيه قال سعيد بن جبير أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وروى ان رجلاً من بنى نضر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل
البلى والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا
الا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلاً
من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حاب شاة أن كشفناهم فينا
نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا
قال فانهم منا وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلاف امل قاتت الملائكة يوم حنين على
قولين والصحيح أنهم لم تقايل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مدداً وعونا وذكر
البيهقي أن الزهري قال بلغنى أن شيبه بن ثمان قال استدرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطليحة بن عثمان بن عثمان بن ابي طلحة وكانا قد قتلا يوم
أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما فى نفسه فالتفت الى وضرب فى صدرى
وقال أعينك بالله يا شيبه فارعدت فرائضى فنظرت اليه وهو أحب الى من سمى وبصرى
فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما فى نفسى فلما
هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبعاءيهم وأموالهم فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الاشعريين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش
فسار الى أوطاس فاقتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبي المسلمون عيال
المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصرى فأتى الطائف فحصن بها وأخذ ماله
وأهله فممن أخذ وقتل أبو عامر أمير المسلمين قال الزهري أخبرنى سعيد بن المسيب أنهم
أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم
بقية ذلك الشهر فلما دخل ذوالقعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم
منها بعمره وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتأنف أناس منهم أبو سفيان بن حرب
والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك
ان ناساً من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء
فطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجلاً من قريش المائة من الابل فقالوا يا يغفر الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشاً ويتركنا وسيفنا تقطر من دماهم قال أنس
(فحدث)

فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اماذوو رأينا يارسول الله لم يقولوا شيئاً وما أناس منا حديثه اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيفنا تقطر من دماهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رجالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما تنقلبون به قالوا بلى يارسول الله قدرضينا قال فانكم ستجدون بعدى اثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبدالله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئاً فكأنهم وجدوا اذ لم يصعب ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمن قال فإمناكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمن قال لو شئتم قتلتم جثتنا كذا وكذا أرضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبي الى رجالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أجعل نبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم مالهم وسيبهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث الى أصدقه فاخاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين قالوا انا نختر سينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأتى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تأبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سيبي فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فيفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يارسول الله فقال لهم في ذلك انا لاندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجموا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(اذ) بدل من يوم (عجبتكم كثرتكم) فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا اعمه العباس آخذاً بالجام دابته { الجزء العاشر } وأبوسفیان بن ١٠٢ الحارث ابن عمه آخذاً بركابه فقال

للعباس صح بالناس وكان صيتاً فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة وعليهم الثياب البيض على خيول بلق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزم وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيئاً وضقت عليكم الارض بما رحبت) مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الحار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه ثياب السفر أى ملتبساً بها والمعنى لم تجدوا موضعاً لفراركم عن أعدائكم فكأها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزم (ثم أنزل الله سكينته) رجته التي سكنوا بها وامنوا (على رسوله وعلى المؤمنين)

رسوله وعلى المؤمنين (اذ) عجبتكم كثرتكم كثرة جوعكم وكانوا عشرة آلاف

﴿ اذ عجبتكم كثرتكم ﴾ من ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها يا هم في جميع المواطن وحين وادبين مكة والطائف حارب فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابوبكر رضى الله عنه او غيره من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا اعمه العباس رضى الله عنه آخذاً بالجامه وابن عمه أبوسفیان ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتاً صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حى الوطيس ثم اخذ كفاً من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ﴿ فلم تغن عنكم ﴾ اى الكثرة ﴿ شيئاً ﴾ من الاغناء او من امر العدو ﴿ وضقت عليكم الارض بما رحبت ﴾ برحبها اى سعتها لا تجدون فيها مقراً تطمئن فيه نفوسكم من شدة الرعب اولاً تثبتون فيها لكن لا يسهه مكانه ﴿ ثم وليتم ﴾ الكفار ظهوركم ﴿ مدبرين ﴾ منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ﴿ ثم أنزل الله سكينته ﴾ رجته التي سكنوا بها وامنوا ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ الذين انهزموا واعادة الجار

فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهذا الذى بلغنا من سبى هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين ﴿ اذ عجبتكم كثرتكم ﴾ يعنى حين قتلتم لن تغلب اليوم من قلة ﴿ فلم تغن عنكم ﴾ يعنى كثرتكم ﴿ شيئاً ﴾ يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته ﴿ وضقت عليكم الارض بما رحبت ﴾ يعنى بسعتها وفضائها ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ يعنى منهزمين ﴿ ثم أنزل الله سكينته ﴾ يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركاً واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله عز وجل ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر

رجل (فلم تغن عنكم) كثرتكم من الهزيمة (شيئاً) وضقت عليكم الارض (بما رحبت) بسعتها (وانزل) (ثم وليتم مدبرين) منهزمين من العدو وكان عددهم اربعة آلاف رجل (ثم أنزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين)

وأُنزل جنوداً لم تروها (يعني الملائكة) ﴿١٠٣﴾ وكانوا ثمانية {سورة براءة} آلاف أو خمسة آلاف أو ستة

عشر ألفاً (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وهم الذين أسلموا منهم (والله غفور) يستركفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أي ذؤ ونجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقدر قدر الان بهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولاهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مساغة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) ولا يعمرها كما كانوا يفعلون

وأُنزل جنوداً من السماء (لم تروها) يعني الملائكة بالضرورة لكم (وعذب الذين كفروا) بالقتل والهزيمة يعني قوم مالك بن عوف الدهماني وقوم كنانة بن عبد ياليل الثقفي (وذلك جزاء الكافرين) في الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك) القتال والهزيمة (على من يشاء) على من تاب منهم

للتبنيه على اختلاف حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا ﴿وانزل جنوداً لم تروها﴾ باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية اوستة عشر الفاعلى اختلاف الاقوال ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والاسر والسبي ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾ اى ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ منهم بالتوفيق للاسلام ﴿والله غفور رحيم﴾ يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناساً منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اما سباً ياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالا حساب شيئاً فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالا حساب شيئاً فن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشاؤه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادري لعل فيكم من لا يرضى ففروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قدرضوا ﴿يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس﴾ خبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس اولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرى نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعاً لرجم ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾

﴿وانزل جنوداً لم تروها﴾ يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيذ المشركين وتجيئهم للقتال لان الملائكة ام تقاتل اليوم بدر ﴿وعذب الذين كفروا﴾ يعني بالاسر والقتل وسبي العيال والاموال ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾ يعني في الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ يعنى فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن يقى من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فن اعلمهم وأطلق سبيهم ﴿والله غفور﴾ لمن تاب ﴿رحيم﴾ بعباده ﴿قوته عز وجل﴾ يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس ﴿قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار وقيل بل أراد جميع اصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لانجاسة العين سموا نجسا على الدم لان الفتهاء اتفقوا على طهارة ابدانهم وقيل هم انجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركاً فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول اصح وقال قتادة سماهم نجس لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤون ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾

(والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قدر (فلا يقربوا المسجد الحرام) بالتحج

لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة اولل منع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ فقرا بسبب منعهم من الحرم

في الجاهلية (بعد عامهم هذا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهي القران النهي عن الحج والعمرة وهو مذهبا ولا يتعمون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي رحمه الله يتعمون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يتعمون منه ومن غيره وقيل نهي المشركين أن يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق

المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام * أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا يأذنه في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم * القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهاهي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبل طى وطريق العراق سمي حجاز لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلهم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مرسل (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يشس ان يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التمريش بينهم قال سعيد بن عبدالعزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حدد جزيرة العرب من أقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضا * والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافرين يقيم فيها بهدو أمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ بعد عامهم هذا ﴿ يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ يعني فقرا وفاقة وذلك ان أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الشام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكر وا

والطواف (بعد عامهم هذا) عام البراءة يوم النحر (وان خفتم عيلة) الفقر والحاجة

والمكاسب (فسوف يغنيكم
الله من فضله) من الغنائم
أو المطر والنبات أو من
متاجر حبيح الاسلام (ان
شاء) هو تعليم لتعليق
الامور بمشيئة الله تعالى
لتقطع الآمال اليه (ان
الله عليم) باحوالكم
(حكيم) في تحقيق آمالكم
أو علمه بصالح العباد حكيم
فيما حكم وأراد ونزل في
أهل الكتاب (قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله) لان اليهود
منشئة والنصارى مثلثة (ولا
باليوم الآخر) لانهم فيه
على خلاف ما يجب حيث
يزعمون ان لأكل في الجنة
ولا شرب (ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله) لانهم
لا يحرمون ما حرم في الكتاب
والسنة أو لا يعملون بما في

وانقطع ما كان لكم من قدامهم من المكاسب والارفاق ﴿ فسوف يغنيكم الله من
فضله ﴾ من عطائه أو بتفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم
مداراً ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرى عاتلة على انها مصدر كالعافية او حال
﴿ ان شاء ﴾ قيده بالمشيئة ليقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى مفضل
في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ﴿ ان الله عليم ﴾
باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يعطى ويمنع ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ﴾ اي لا يؤمنون بهما على ما يبدنني كما بيناه في اول البقرة فايمانهم كلا ايمان
﴿ ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ﴾ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة ﴿ فسوف يغنيكم الله
من فضله ﴾ قال عكرمة فاغناهم الله بان أنزل المطر مداراً وكثر خيرهم وقال مقاتل أـلم
أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا
يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ﴿ ان شاء ﴾ قيل انما
شرط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهاك الى الله تعالى
في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد امه من كل أحد الامن الله عز وجل فانه
هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعام رعاية الادب كما
في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ﴿ ان الله عليم ﴾ يعني بما
يصلحكم ﴿ حكيم ﴾ يعني أنه تعالى لا يفعل شيئاً الا عن حكمة وصواب فن حكيمته ان منع
المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال
تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ قال مجاهد نزلت الآية حين
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم ففزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت
في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية اصابها اهل الاسلام وأول ذل
أصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
المؤمنين والمعنى قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان
قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم
أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كما ايمان المؤمنين وذلك
ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس
عؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزيراً ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو
مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى
يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كما ايمان المؤمنين
وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون
فيها ولا يشربون ولا يسكرون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كما ايمان المؤمنين وان زعم انه
مؤمن ﴿ وقواه تعالى ﴾ ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ﴿ يعني ولا يحرمون الحجر والخنزير
وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه

التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذته دينه ومعتقده (من الذين { الجزء العاشر } أوتوا الكتاب) ﴿ ١٠٦ ﴾ بيان للذين قبله وأما الجوس

فلحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روي الزهري أن النبي عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الامن كان من العرب (حتى يعطوا الجزية) الى ان يقبلوها وسميت جزية لانه يجب على أهلها أن يجزوه أي يقضوه أو هي جزاء على الكفر على التحميل في تدليل (عن يد) أي عن يد موالية غير متمتعة ولذا قالوا أعطى بيده اذا التقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لامبعوثا على يداحد ولكن عن يد المعطى الى يداأخذ (وهم صاغرون) أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلث ثلثة ويؤخذ بتليبيه ويقال له ادا الجزية ياذي وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام

ولا يدينون دين الحق) لا يخضعون لله بالتوحيد ثم بين من هم فقال (من الذين أوتوا

هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ بيان للذين لا يؤمنون ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه ﴿ عن يد ﴾ حال من الضمير أي عن يد معاتبة بمعنى متقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثن بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى اذلاء عاجزين او عن انعام عليهم فان ابقاهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد ﴿ وهم صاغرون ﴾ اذلاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال تؤخذ

لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا بحكام من قبل أنفسهم ﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعني اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ وهي ما يعطى المعاهد من أهل الكتاب على عهدده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاحتراء بها في حقن دماهم ﴿ عن يد ﴾ يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم ﴿ وهم صاغرون ﴾ من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم اذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قاتمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي اذا أعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمتيه ويقال له أذحق الله يا عبد الله وقال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم

فصل في بيان أحكام الآية ﴿ ﴾

اجتمعت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في أهل الكتاب العرب وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لاعلى الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجماء ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر دومة فاخذه فاتوا به فحقت دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان وأخذه من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ

الكتاب) أعطوا الكتاب يعني اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) عن قيام من يدي يد (وهم صاغرون) ذليلون (من)

الجزية من الذمي وتوجأ عنه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوابعهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعندما لك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الفنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على الفقير غير الكسوب

من مشركى الجعم ولا تؤخذ من مشركى العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روى عن بحالة بن عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدرى كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوابعهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر أخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن على بن أبى طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرجع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناحتهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحل مناحتهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ مجبىء محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعتهم فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناحتهم ومن شككنا في أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناحتهم تغليبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبراء وبني تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسيبيلهم سبيل أهل الكتاب فهم في أهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقالت اليهود: نزيير ابن الله ﴿ انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة نجت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فمحبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله. والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تمالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزيز بالتونين على انه عبري مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما منع صرفه للعجمة والتعريف اول لقاء الساكنين تشبيها للتون بحرف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴿ هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب اولان يفعل ما فعله من ابراء الاكذو والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها

(وقالت اليهود) كلهم
 او بعضهم (عزير ابن الله)
 مبتدأ وخبر كقوله المسيح
 ابن الله وعزير اسم أعجمي
 ولعجمته وتعريفه امتنع
 صرفه ومن نون وهو عاصم
 وعلى فقد جعله عربيا
 (وقالت النصارى المسيح
 ابن الله)

لما وجه الى الين أمره ان يأخذ من كل حالم أى محتلم ديناراً أو عدله من المعافرية شباب تكون بالين أخرجه أبو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ ديناراً ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى أن على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير ديناراً وهو قول أصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثمائة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال أصحاب الشافعي أقل الجزية دينار لا يزداد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني أربعة دنانير قال العلماء انما أقر أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل الشرك حرمة لا بأهم الذين انقضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضاً فان بأيديهم كتباً قديمة قريماً تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فأهملوا لهذا المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامنهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذ رأوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴿ الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الآية فاخبر عنهم انهم أثبتوا لله ولداً ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنماً وبين من يعبد المسيح فمقدبان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب أخذ الجزية منهم وبقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلمهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه يديروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلاماً من مسكهم والنعمان

(وقالت اليهود) يهود
 أهل المدينة (عزير ابن
 الله وقالت النصارى)
 نصارى أهل نجران (المسيح
 ابن الله)

ابن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فانزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فخص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال انما قالت اليهود ذلك من أجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه أن يرديه التوراة فيبينما هو يصلى ميتلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعدت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فعلتوا به يعلمهم ثم مكثوا ماشاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا أنه ابن الله وقال الكلبي ان مختصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيرا ليجد لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة قال فأتى ملك باناء فيه ماء فشرب منه فمات له التوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان أبي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقت وامعه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرقا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فمن ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فاخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وعثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فمحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني ساحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من انت قال أنا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبنت وأتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتا منهم لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك صدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور

ذلك قولهم بافواهم) أى قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فها هو الالفاظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ
الهملية) يضا هون قول الذين { الجزء العاشر } كفروا من قبل) ﴿ ١١٠ ﴾ لا بد فيه من حذف مضاف تقديره

يضاهى قولهم قولهم ثم
حذف المضاف وأقيم الضمير
المضاف اليه مقامه فانقلب
مرفوعا يعنى ان الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اليهود
والنصارى يضا هى قولهم
قول قدامهم يعنى انه كفر
قديم فيهم غير مستحدث
أو الضمير للنصارى أى
يضاهى قولهم المسيح ابن
الله قول اليهود عزير ابن
الله لانهم أقدم منهم
يضاهون عاصم وأصل
المضاهاة المشابهة والاكثر
ترك الهمز واشتقاقه من
قولهم امرأة ضهياء وهى
التي أشبهت الرجال بأنها
لا تحيض كذا قاله الزجاج
(قاتلهم الله) أى هم أحقاء
بان يقال لهم هذا (أنى
يؤفكون) كيف يصرفون

ذلك قولهم بافواهم)
بالسنتهم (يضا هون)
يشبهون (قول الذين كفروا
من قبل) من قبلهم يعنى أهل
مكة لان أهل مكة قالوا
اللات والعزى ومناة بنات
الله وكذلك قالت اليهود
عزير ابن الله وقالت
النصارى قال بعضهم المسيح
ابن الله وقال بعضهم

ذلك قولهم بافواهم ﴿ اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجاوز
عنها او اشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه
ولا يوجد مفهومه فى الاعيان ﴾ يضا هون قول الذين كفروا ﴿ أى يضا هى قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ﴿ من قبل ﴾ أى من قبلهم
والمراد قدامهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله واليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأه
عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياً على فعيل للتي شابهت الرجال فى انها لا تحيض ﴿ قاتلهم الله ﴾
دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او أعجب من شناعة قولهم ﴿ انى يؤفكون ﴾

والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطوران عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب
أن عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما
استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خالصى وادع الناس لما
علمت وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد
رضى عنى وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقرب بالى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح
نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر
الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقاتله ودعا الناس اليها فبعبه على ذلك طوائف
من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال
الامام فخر الدين الرازى بعد ان حكى هذه الحكاية والاقترب عندى ان يقال لعلمه ذكر
لفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشرىف كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم على سبيل
التشرىف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفسا
هذا المذهب الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ذلك قولهم
بافواهم ﴾ يعنى انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعانى
لم يذكر الله قولهم قولهم بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لاحقيقة له
﴿ يضا هون ﴾ قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطون
وقال الحسن يوافقون ﴿ قول الذين كفروا من قبل ﴾ قال قتادة والسدى معناه
ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله
وقال مجاهد معناه يضا هون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة
بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم
اخالية الكافرة وقال القتيبي يريد أن من كان فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى يقولون ما قال أولوهم ﴿ قاتلهم الله ﴾ قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن
جرى قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه يعنى التعجب أى حق ان
يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما أعجب
فعله ﴿ أنى يؤفكون ﴾ يعنى أنى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحججة

شريكا وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) لعنهم الله (أنى يؤفكون) من أين (بان الله)

عن الحق بمدقيام البرهان
(اتخذوا) أى أهل الكتاب
(أحبارهم) علماءهم
(ورهبانهم) نساكهم
(أربابا) آلهة (من دون
الله) حيث أطاعوهم في
تحليل ما حرم الله وتحريم
ما أحل الله كما يطاع الأرباب
في أوامرهم ونواهيهم
(والمسيح ابن مريم) عطف
على أحبارهم أى اتخذوه

كيف يصرفون عن الحق الى الباطل ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله ﴾ بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم
﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ بان جعلوه ابن الله ﴿ وما امروا ﴾ اى وما امر المتخذون
او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ ﴿ الا ليعبدوا ﴾ ليطيعوا ﴿ الها
واحدا ﴾ وهو الله تعالى واطاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة
الله ﴿ لا اله الا هو ﴾ صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد ﴿ سبحانه عما يشركون ﴾
تنزيه له عن ان يكون له شريك ﴿ يريدون ان يطفؤا ﴾ يخذوا ﴿ نور الله ﴾ بحجته
الدالة على وحدانيته وتقديسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم ﴿ بافواهم ﴾ بشركهم او بتكذيبهم

ربا حيث جعلوه ابن الله
(وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا) يجوز الوقف عليه
لان ما بعده يصلح ابتداء
ويصلح وصفا لواحدا (لا اله
الا هو سبحانه عما يشركون)
تنزيه له عن الاشراك
(يريدون أن يطفؤا نور
الله بأفواهم

بان الله واحدا احد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع
الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة
العرب في مخاطبتهم فالله سبحانه وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق
واصرارهم على الباطل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله ﴿ يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود
والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعنى أنهم اطاعوهم في معصية الله
تعالى وذلك انهم احلواهم اشياء وحرموا عليهم اشياء من قبل أنفسهم فاطاعوهم فيها
فاتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدى بن حاتم قال آيت
النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنق صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن
وسمعه يقرأ في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم
لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلواهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا
حرموه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك
وهل بدل الدين الاملوك ﴿ واحبار سوء ورهبانها (١)

يكذبون (اتخذوا احبارهم)
علماءهم يعنى اليهود (ورهبانهم)
واتخذت النصارى
اصحاب الصوامع (أربابا)
اطاعوهم بالمعصية (من
دون الله والمسيح ابن
مريم) واتخذوا المسيح بن
مريم الها (وما امروا)
في جملة الكتب (الايعدوا)
ليوحدا (ها وواحدا
لا اله الا هو سبحانه) نزه
نفسه (عما يشركون يريدون
أن يطفؤا) يطلوا (نور الله)
دين الله (بأفواهم) بتكذيبهم
ويقال بالسنتم

﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ يعنى اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البتة والحلول اعتقدوا
فيه الالهية ﴿ وما امروا ﴾ يعنى وما امروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على
السنة أبيائهم ﴿ الا ليعبدوا الها واحدا ﴾ لانه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره
﴿ لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ﴾ أى تعالى الله وتنزهه عن ان يكون له شريك في العبادة
والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال ﴿ يريدون ﴾
يعنى يريدون ساء اليهود والنصارى ﴿ أن يطفؤا نور الله بأفواهم ﴾ يعنى يريدون لاء
ابطال دين الله الذي جاءه محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور
الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور أحدها المعجزات الباهرات
الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها
القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزته باقية على الابدالة على صدقه

(١) وما بعده قوله « لقد وقع القوم في حيفة » يبين لدى العلم انتانها « قاله مصححه

ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو

كره الكافرون) مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده وبلغه الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخه أجرى ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والا ليقال كرهت أو أبغضت الا يزيدا) هو الذي أرسل رسوله) محمد عليه السلام (بالهدى) بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على أهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين

(ويأبى الله) لا يترك الله (الأأن يتم نوره) الأأن يظهر دينه الاسلام (ولو كره) وان كرهه (الكافرون) ان يكون ذلك (هو الذي أرسل رسوله) محمد عليه السلام (بالهدى) بالقرآن والايان (ودين الحق) دين الاسلام شهادة أن لا اله الا الله (ليظهره على الدين كله) ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها من قبل ان تقوم الساعة

ويأبى الله ﴿ اى لا يرضى ﴾ الا ان يتم نوره ﴿ باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النبي ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه ﴿ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم

وثالثها أن دينه الذي أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والشناء عليه والالتقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبرى من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك بكدب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله ﴿ ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ يعنى ويأبى الله الا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون ﴿ قوله عز وجل ﴿ هو الذي أرسل رسوله ﴾ يعنى ان الله الذي يأبى الا أن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ بالهدى ﴾ يعنى بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هاديا اليه ﴿ ودين الحق ﴾ يعنى دين الاسلام ﴿ ليظهره ﴾ يعنى ليعليه ﴿ على الدين كله ﴾ يعنى على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شئ منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزين أو بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما ان يدلهم فيدينون له اخرجه البغوى بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ماشاء الله ثم بعث الله ربحاطبية تنوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعى وقد أظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين

(ولو كره المشركون باليهما الذين آمنوا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس) استعار الاكل للاخذ (الباطل) أي بالرشيخ الاحكام (ويصدون) سفلتهم ﴿ ١١٣ ﴾ (عن سبيل الله) (سورة براءة) دينه (والذين يكتزون الذهب والفضة) يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصتين ذميتين فيهم أخذ الرشا وكثر الاموال والضمن بها من الاتفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكاذبون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنزوان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن ابن عوف وطحمة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد من أعراف عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه

يتم نوره ولذلك كرر ﴿ولو كره المشركين﴾ غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على اهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في يظهره للدين الحق اول الرسول عليه الصلاة والسلام واللام في الدين للجنس اى على سائر الاديان فيسخرها وعلى اهلها فيخذلهم ﴿يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل﴾ يأخذونها بالرشا في الاحكام سمي أخذ المال اكلا لانه الفرض الاعظم منه ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ دينه ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة

فتعهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسي حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله ﴿ولو كره المشركون﴾ قوله تعالى ﴿يا أيها آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان﴾ قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصراني ﴿وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعنهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى ﴿لياكلون أموال الناس بالباطل﴾ لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقليل انهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتباً محر فونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا وهى المال التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المال كل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوها فاسد باطلة وبحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ يعنى ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾ أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقليل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدى نزلت في معاني الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قمع طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب

بالرشوة والحرام (ويصدون عن سبيل الله) (قاو خا ١٥ لث) عن دين الله وطاعته (والذين يكتزون) يجمعون (الذهب والفضة

(ولو كره) وان كره (المشركون) ان يكون ذلك (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان كثيرا من الاحبار) علماء اليهود (والرهبان) أصحاب الصوامع (لياكلون أموال الناس بالباطل)

بالرشوة والحرام (ويصدون عن سبيل الله) (قاو خا ١٥ لث) عن دين الله وطاعته (والذين يكتزون) يجمعون (الذهب والفضة

أومن المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال سررت بالربضة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا و معاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثر على الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تخيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر على عبد حبشي لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب ألم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهراً للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدت زكاته فليس بكنز وان كان مدفوناً وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفوناً وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فافوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في منزله دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض الموارث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الأخبرك بخير ما يكثر المرء المرأة السالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شاكر وزوجة سالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل مال أدت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعموه وغفرانه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا

ولا ينفقونها في سبيل الله ﴿ يجوز ان يراد به الكثير من الاجبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والظن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتونونه ولا يؤدون حقه ويكون اقتراؤه بالمرتسين من اهل الكتاب للتخليط ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لطيب بها ما بقى من اموالكم وقوله عليه السلام ما دى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الاتفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه (٢) فالمراد منه من لم يؤد حقه القوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن

(ولا ينفقونها في سبيل الله)

الضمير راجع الى المعنى

لان كل واحد منهما دنانير

ودراهم فهو كقوله وان

طائفتان من المؤمنين اقتلوا

أو اريد الكنوز والاموال

أو معناه ولا ينفقونها

والذهب كما أن معنى قوله

فاني وقيار بها لغريب

وقيار كذلك وخصا بالذكر

من بين سائر الاموال لانها

قانون التمول وأثمان

الاشياء وذكر كثرهما

دليل على ماسوا هما

ولا ينفقونها (يعنى الكنوز

(في سبيل الله) في طاعة الله

ويقال ولا يؤدون زكاتها

كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجنبه وظهره كإردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله قال بل قل ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا ينفق منها فصيلا واحدا تطؤه باخفا فيها وتعضه بافواها كلما سر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالقبر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا ينفق منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا لحاء ولا عضاء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كما سر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كإردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور وقوله حلها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة المتتوية القرنين وانما استثنائها لانها لا تؤلم بنطحها وكهذا اللحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضاء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شديقه ثم يقوله أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة أخبث الحيات والزبيتان هما الزبدتان في الشدقين واللهز متان عظمان ناتان في الحيين تحت الاذنين ﴿ وقوله تعالى ﴿ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ يعنى ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها لانه رد الكناية الى المال المكتنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها أغلب أموال

(٢) فالمراد منها ما لم يؤد حقه

نسخه

(فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى قوله (يوم يحمى عليها في نار جهنم) ان النار تحمى عليها أى توقد وانما ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم وايه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم وما خيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم)

(فبشرهم) يا محمد (بعذاب أليم) وجميع (يوم يحمى عليها) على الكنوز ويقال على النار (في نار جهنم فتكوى بها) فتضرب بالكنوز (جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا) يقال لهم عقوبة هذا (ما كنزتم) بما جمعتم من الاموال

ابى هريرة رضى الله تعالى عنه صاحب ذهب ولافضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفاغ من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ هو الكي هما ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ اى يوم توقد النار ذات حى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاجاء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيان لان المراد بهما دنائير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولاينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عاد وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصهما لقر بها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالنعى والتعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقاب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن وما خره وجنبه ﴿هذا ما كنزتم﴾ على ارادة القول

الناس ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ يعنى الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبى ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قل فحنت حتى جلست فلم أفتقر حتى قت فقلت يا رسول الله فذاك أبى وأمى من هم قل هم الاكثر من أموال الامن قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الاجاءت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمته تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كأنفدت أخرها عادت عليه اولها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخارى في موضعين * وقوله تعالى ﴿يوم يحمى عليها﴾ يعنى على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة ﴿في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ يعنى بالكنوز جنبه كانزها ﴿وجنوبهم وظهورهم﴾ قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالسكى من بين سائر الاعضاء لان الفنى صاحب المال اذا أتاه السائل فطلب منه شيئاً تبدو منه آثار الكراهة والمنع فنند ذلك يقطب وجهه ويكلم وتجتمع أسارير وجهه فيتجمع جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانباً ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهى نهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانى البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالسكى يوم القيامة * وقوله سبحانه وتعالى ﴿هذا ما كنزتم﴾

هذا ما كنتزتموه
لتنتفع به نفوسكم وما علمتم
انكم كنتزتموه لتستضر به
انفسكم وهو توبخ (فذوقوا
ما كنتم تكذبون) أى
وبال المال الذى كنتم
تكذبونه أو وبال كونكم
كاذبين (ان عدة الشهور
عندالله اثنا عشر شهرا)
من غير زيادة والمراد بيان
ان أحكام الشرع تبنى على
الشهور القمرية المحسوبة
بالاهلة دون الشمسية (في
كتاب الله) فيما أثبتته وأوجه
من حكمه أو فى اللوح (يوم
خلق السموات والارض
منها أربعة حرم) ثلاثة سرد
ذوالقعدة للقعود عن القتال
وذوالحجة للحج والحرم
لتحريم القتال فيه وواحد
فرد وهو رجب لترجيب

(لانفسكم) فى الدنيا
(فذوقوا ما كنتم)
بما كنتم (تكذبون)
تجمعون (ان عدة الشهور
عندالله) يقول السنة
بالشهور عندالله يعنى شهور
السنة التى تؤدى فيها الزكاة
(اثنا عشر شهرا فى كتاب الله)
فى اللوح المحفوظ (يوم)
من يوم (خلق السموات
والارض منها) من الشهور
(أربعة حرم) رجب
وذوالقعدة وذوالحجة

لانفسكم ﴿ لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ﴾ فذوقوا ما كنتم تكذبون ﴿ اى وبال كذبكم او ما تكذبونه وقرى ﴿ تكذبون ﴾ بضم النون ﴿ ان عدة الشهور ﴾ اى مبلغ عددها ﴿ عندالله ﴾ معمول عدة لانها مصدر ﴿ اثنا عشر شهرا ﴾ فى كتاب الله ﴿ فى اللوح المحفوظ او فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله ﴿ يوم خلق السموات والارض ﴾ متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاحرام والازمنة ﴿ منها اربعة حرم ﴾

لانفسكم ﴿ أى يقال لهم ذلك يوم القيامة ﴾ فذوقوا ما كنتم تكذبون ﴿ أى فذوقوا عذاب ما كنتم فى الدنيا من الاموال ومنعمت حق الله منها ﴾ (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينما أنا فى حلقة فيها ملاً من قریش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكاذبين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلته ثدى أحدهم حتى يخرج من نفص كتفيه ويوضع على نفص كتفيه حتى يخرج من حلته ثديه يتززل قال فوضع القوم رؤسهم فأرأيت أحدا منهم رجع اليه شيئاً قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت مارأيت هؤلاء الاكروها ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئاً هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخارى قلت من هذا قالوا أبو ذر قال فقيمت اليه فقلت ماشى سمعتك تقول قبيلا فقال ما قلت الاشياء سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ان عدة الشهور عندالله اثنا عشر شهرا ﴾ هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى الاول وجادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون فى سيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثائة وخمسة وخسون يوماً والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم فتتقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا التقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فأعلم الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عندالله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا ﴿ فى كتاب الله ﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذى أوجبه وأمر عباده بالآخذ به ﴿ يوم خلق السموات والارض ﴾ يعنى أن هذا الحكم حكمه وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر شهرا ﴿ منها ﴾ يعنى من الشهور ﴿ اربعة حرم ﴾ وهى رجب فرد وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ثلاثة

واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ذلك الدين القيم أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الأحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم وفي الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ماروي أنه عليه

العرب أيام أي لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أي الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعني أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب تمسك به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم أو في الأثني عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصي

متوالية وانما سميت حرما لأن العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو أن أحدهم لقي قاتل أبيه وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهجه ولم جاءه الإسلام لم يزد لها الأحرمة وتعظيما ولأن الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم ذلك الدين القيم يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الأخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جدى وشعبان أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذوالحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا قال بلى فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الأفلأ ترجعوا بعدى كفارنا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يباغته أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال أأهل بلغت أأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم أشهد وقوله عز وجل فلا تظلموا فيهن أنفسكم قيل الكناية في فيهن ترجع إلى جميع الأشهر أي لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لأن المقصود منع الإنسان من الإقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الأوقات إلى المهمات وقيل إن الكناية ترجع إلى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وإن كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن إسحاق بن يسار لا تجملوا أحلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو

والحرم (ذلك الدين القيم) الحساب القائم لا يزيد ولا ينقص (فلا تظلموا) فلا تضروا (فيهن) في الشهور (أنفسكم) بالمعصية ويقال

السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بجنين في شوال وذى القعدة ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ جميعا وهى مصدر كفت عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿ واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ بشارة وضمنان لهم بالنصرة بسبب تقواهم ﴿ انما النسي ﴾ اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون اهلوه وحرمو مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوصا الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسي والنساء وثلاثهما مصدر نساء اذا اخره ﴿ زيادة في الكفر ﴾ لانه تحريم ما احلله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضمومه

النسي وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فربما تركها في باقى الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصى في غيرها من الاشهر فهذا وجد الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ يعنى قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تنفسلوا ولا تجنبوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخرساني والزهرى وسفيان الثورى قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بجنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاه بن ابي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الأن نقاتلوا فيها ﴿ واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ يعنى بالنصر والمعونة على اعدائهم قوله سبحانه وتعالى ﴿ انما النسي ﴾ زيادة في الكفر ﴿ النسي ﴾ في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسبته في البيع ومعنى النسي المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معاش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متواليه وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال فنسوا يعنى أخرها تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيستملون الحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى

(وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل أو المفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) أى ناصر لهم حشم على التتموى بضمان النصرة لاهلها (انما النسي) بالهمزة مصدر نساء اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيجولونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة في الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم

في الاشهر الحرم) وقاتلوا المشركين كافة) جميعا في الحل والحرم (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا) ياء عشر المؤمنين (أن الله مع المتقين) الكفر والشرك والقواش ونقض العهد والقتال في أشهر الحرم (انما النسي) زيادة في الكفر (يقول تأخير الحرم الى صفر معصية

الى كفرهم **يضل** به الذين كفروا **كفرا** عن الايمان زائدا وقرأ حجة والكسائي وحفص يضل

ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقى شهور السنة فوافقت حجة ابى بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذى القعدة ثم حج رسول الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجة شهر ذى الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بنى وأعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختنفوا في أول من نساء النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نساء النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكنانى وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بنى كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لامرء لما قضيت أنا الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لييك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا فيقولون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم هو رجل من بنى كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم

وفينا ناسى الشهر القلمس

وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس ان أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث ابى هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوايب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذى ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعنى زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بإيقاع كل فعل في وقته من الأشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فأوقعوه في غير وقته من الأشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم **يضل** به الذين كفروا **كفرا** قرئ **يضل** بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ **يضل** بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم وجلوهم عليه وقرئ **يضل** به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين

(يضل) كوفي غير ابى بكر
(به الذين كفروا) بالنسيء
والضمير في

زيادة مع الكفر (يضل به)
يغلط بتأخير المحرم الى صفر
(الذين كفروا)

(يحلونه عاما ويحرمونه عاما) للنسئ أي اذا حلوا شهران الأشهر الحرام عامار جمعوا حرموه في العام القابل (ليواطؤا عدة ما حرم الله) ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين واللام تتعلق بيجلونه ويحرمونه أو يحرمونه فحسب وهو الظاهر (فيحلوا ما حرم الله) أي فيحلوا ويواطؤا العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص الاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿ ١٢١ ﴾ (والله { سورة براءة } لا يهدي القوم الكافرين)

حال اختيارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا (في سبيل الله اناقلتم) تناقلتم وهو أصله الا أن التاء أدغمت في التاء فصارت تاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لثلاثا يتبدأ بالساكن أي بتباطم (الى الارض) ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالي أي ملت إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه أي ملت إلى الإقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وقط وقبظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الاورى عنها ليستعد الناس تمام العدة

يحلونه) يعني المحرم (عاما)

يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى ﴿ يحلونه عاما ﴾ يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ﴿ ويحرمونه عاما ﴾ فيتركونه على حرمة قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنتاني كان يقوم على جل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احدثت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم حرموه والجلتان تفسير للضلال اوحال ﴿ ليواطؤا عدة ما حرم الله ﴾ أي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيجرمونه او يعادل عليه مجموع الفعلين ﴿ فيحلوا ما حرم الله ﴾ يواطؤا العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ﴿ زين لهم سوء أعمالهم ﴾ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ هداية موصلة الى الاهتداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم ﴾ بتباطم وقرئ تناقلتم على الاصل واناقلتم على الاستفهام للتوبيخ ﴿ الى الارض ﴾ متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالي وكان ذلك في غزوة تبوك امرها بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقبظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم

تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد ﴿ يحلونه عاما ويحرمونه عاما ﴾ يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حالا لا يغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيرون فيه ﴿ ليواطؤا ﴾ يعني ليوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ يعني أنهم ما أحلوا شهران المحرم الا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لافي الحكم كذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أنهم لما سبق له في الازل انه من أهل النار ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم الى الارض ﴾ نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة

فيقاتلون فيه (ويحرمونه) يعني المحرم (قا و خا ١٦ لث) (عاما) فلا يقاتلون فيه فاذا أحلوا المحرم حرموا صفر بدله (ليواطؤا) ليوافقوا (عدة ما حرم الله) أربعة بالعدد (فيحلوا ما حرم الله) يعني المحرم (زين لهم) حسن لهم (سوء أعمالهم) قبيح أعمالهم (والله لا يهدي) لا يرشد الى دينه (القوم الكافرين) من لم يكن أهلا لذلك وكان الذي يفعل هذا جلا يقال له نعم بن ثعلبة (يا أيها الذين آمنوا) أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (مالكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا مع نبيكم (في سبيل الله) في طاعة الله (وفي غزوة تبوك) اناقلتم الى الارض (اشتبهتم الجلوس على الارض)

(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا) (في الآخرة) في جنب الآخرة (الاقليل) مستحق (الانفروا) ان لا تنفروا الى ما استنفرتكم اليه (بعذبكم عذابا أليما) بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس (ولا تضروه شيئا) اذ لا يقدح ثناقلكم في نصرة دينه شيئا من المحرحين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الأورى غيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرش شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية يأبها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله أي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفر اناقتم أي تناقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزوا الى الأرض يعني لزتم المسافة ومساكنكم وانما استنقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستنقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ يعني أرضيتم بمخاض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعم الآخرة ﴿ فمتاع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل ﴾ يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينقد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تناقلهم عن الجهاد أمر منكرو فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى ﴿ الانفروا ﴾ يعني ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ﴿ بعذبكم عذابا أليما ﴾ يعني في الآخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ﴿ ويستبدل قوما غيركم ﴾ يعني خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبيرهم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفرها حصلت النصرة بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصل العتبى لهم لثلاثتهم وان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ قيل الضمير راجع الى الله تعالى

(أرضيتم بالحياة الدنيا)
 ما في الحياة الدنيا (من الآخرة)
 فمتاع الحياة الدنيا في الآخرة
 (الاقليل) يسير لا يمتد (الا)
 تنفروا) ان لم تخرجوا مع
 نبيكم الى غزوة تبوك
 (بعذبكم عذابا أليما) وجمعا
 في الدنيا والآخرة (ويستبدل)
 قوما غيركم) خيرا منكم
 وأطوع (ولا تضروه) أي
 لا يضركم الله جلوسكم شيئا

﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا ﴾ وغرورها ﴿ من الآخرة ﴾ بدل الآخرة ونعيمها ﴿ فما متاع الحياة الدنيا ﴾ فالتمتع بها ﴿ في الآخرة ﴾ في جنب الآخرة ﴿ الاقليل ﴾ مستحق ﴿ الانفروا ﴾ ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه ﴿ بعذبكم عذابا أليما ﴾ بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ﴿ ويستبدل قوما غيركم ﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ اذ لا يقدح ثناقلكم في نصرة دينه شيئا

من المحرحين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الأورى غيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرش شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية يأبها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله أي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفر اناقتم أي تناقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزوا الى الأرض يعني لزتم المسافة ومساكنكم وانما استنقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستنقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ يعني أرضيتم بمخاض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعم الآخرة ﴿ فمتاع الحياة الدنيا في الآخرة الاقليل ﴾ يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينقد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تناقلهم عن الجهاد أمر منكرو فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى ﴿ الانفروا ﴾ يعني ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ﴿ بعذبكم عذابا أليما ﴾ يعني في الآخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ﴿ ويستبدل قوما غيركم ﴾ يعني خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبيرهم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفرها حصلت النصرة بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصل العتبى لهم لثلاثتهم وان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ قيل الضمير راجع الى الله تعالى

كائن لا محالة (والله على كل شيء قدير) ﴿ ١٢٣ ﴾ من التبديل { سورة براءة } والتعذيب وغيرهما (قدير

الانتصروه فقد نصره الله)

الانتصروه فسينصروه من

نصره حين لم يكن معه الا

رجل واحد فدل بقوله

فقد نصره الله على انه

ينصره في المستقبل كما

نصره في ذلك الوقت (اذ

أخرجه الذين كفروا)

أسند الاخراج الى الكفار

لانهم حين هموا باخراجه

اذن الله له في الخروج

فكانهم أخرجه (ثاني

اثنين) أحد اثنين كقوله

ثالث ثلاثة وهما رسول الله

وأبو بكر وانتصاه على

الحال (اذ هما) بدل من

اذا أخرجه (في الغار)

هو نقب في أعلى ثور وهو

جبل في بني مكة على مسيرة

ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ

يقول) بدل ثان (لصاحبه لا

تحزن ان الله معنا) بالنصرة

والحفظ قيل طلع المشركون

والله على كل شيء من العذاب

والبدل (قدير الانتصروه)

ان لم تنصروا محمد صلى الله

عليه وسلم بالخروج معه الى

غزوة تبوك (فقد نصره الله

اذا أخرجه الذين كفروا)

كفار مكة (ثاني اثنين)

يعني رسول الله وأبو بكر

(اذ هما) رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأبو بكر رضي الله

عنه (في الغار اذ يقول) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) (أبي بكر) (لا تحزن) (يا أيها

فانه الغنى عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام اى

ولا تنصروه فان الله وعدله بالعصمة والنصرة ووعدوه حق ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾

فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى ﴿ لا تنصروه فقد

نصر الله ﴾ اى ان لم تنصروه فينصره الله كما نصره الله ﴿ اذ أخرجه الذين كفروا

ثاني اثنين ﴾ ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه

مقامه اوان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصره حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن

يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لانهم باخراجه اوقته تسبب لأذن الله

له بالخروج وقرئ ﴿ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور

في الاعراب ونصبه على الحال ﴿ اذ هما في الغار ﴾ بدل من اذ أخرجه بدل البعض

اذا المراد به زمان متسع والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في بني مكة على مسيرة ساعة

مكثا فيه ثلاثا ﴿ اذ يقول ﴾ بدل ثان اوظرف لثاني ﴿ لصاحبه ﴾ وهو أبو بكر رضي الله

تعالى عنه ﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾ بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار

يعنى ولا تنصروا الله شيأ لانه غنى عن العالمين وانما تنصرون أنفسكم بترككم الجهاد مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعنى ولا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذله

﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يعنى انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصرتيه ويعز

دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة

وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ ﴿ قوله عز وجل

﴿ لا تنصروه فقد نصره الله ﴾ يعنى الانتصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون

هذا خطاب لمن تناقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل

بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته أعانوه أو لم يعينوه وانه

قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد

والعدد ﴿ اذ أخرجه الذين كفروا ﴾ يعنى انه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه

فيه كفار مكة من مكة حين مكروبه وأرادوا قتله ﴿ ثاني اثنين ﴾ يعنى هو واحد اثنين

وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ﴿ اذ هما في الغار ﴾ يعنى اذ رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار

في جبل ثور وهو قريب من مكة ﴿ اذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴾ يعنى يقول رسول الله

صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان

يعلوا بمكانهم فخرج من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ﴿ ان الله معنا ﴾

يعنى بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية

غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله

عنه (في الغار اذ يقول) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) (أبي بكر) (لا تحزن) (يا أيها

فأشفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك بأثنين الله ثالثهما فأعماه الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخل الغار بعث الله جامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه

صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثالثهما بالانصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومقارفته أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من ليلاته أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهى اليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكسنته ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمه مارجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فذاك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا تؤدى الزكاة فقال لومنونى عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تأمف الناس وارفق بهم فقال لي أجبارة في الجاهلية حوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأناحي أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوى وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهى الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان أقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك بأثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله جامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسوا لله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفتنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر حجة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة

﴿ ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخارى ﴾

عن عائشة قالت لم أعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبابكر فقال أبو بكر أخرجنى قومي فاريدان أسبع فى الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبابكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقربى الضيف وتعين على نوائب الحق فانالك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشرف قريش فقال لهم ان أبابكر لا يخرج مثله ولا يخرج أنخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقربى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفى رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبابكر وقالوا لابن الدغنة مرأيا بك فليعبد ربه فى داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فاننا نحشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشرف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبابكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبنائنا فانه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهننا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر فقال قد علمت الذى عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وأما أن ترجع الى ذمتى فانى لأحب أن تسمع العرب انى أخفرت فى رجل عقبت له فقال أبو بكر فانى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى رأيت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصعبه وعلق راحلتين كانتا عنده من ورق السمرة وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فينا نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبى وأمى والله

ما جاء به في هذه الساعة الأمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي أنت وأمي يارسول الله قل فاني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يارسول الله احدي راحتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمن قالت عائشة فجهازناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكننا فيه ثلاث ليال سبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصيح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكاد انبه الاوعاه حتى يأتيهما بنجر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحه من غنم فيريحهما عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وأستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدى هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعاليه راحتيهما واعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأناهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدليل فاخذهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقبة بن مالك بن جعشم ان اياه أخبره انه سمع سراقبة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أفبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقبة اني قد رأيت آفا أودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقبة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم فكذلك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قت فدخلت فامرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها على وأخذت رحلي فخرجت به من ظهر البيت فحطت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقيمت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يد فرسي في الارض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فهضت فلم تك تدخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لثريديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني الا أن قالوا اخف عنا ما استطعت فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يعدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانتقلوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من آطامهم لاصرا ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمضى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين ييمين في حجر أعمد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالبربد ليتمخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول

هذا الجمال لاجال خير * هذا ابرر بنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر أجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة * فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخارى بطوله

شرح غريب الفاظ الحديث

قولهم ألم عقل أبوى الاوهما يدينان الدين يعنى أنهما كانا يتقدا ان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المجمة اسم موضع بينه وبين مكة خفس ليال عمالي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قلب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى

المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه ففيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام باسر العيال واقراء الضيف ونوائب الحلق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقضه أئالك جارأي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي وقوله فينقذ النساء عليه يعني يزدجن عليه والذمة العهد والامان واخفاره انقضها واللاية الجبل والحرة الأرض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء أي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيره وقت شدة الحر والنطاق جبل أو نحوه تشدبه المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى اسفله لثلا يصل الى الأرض وقولها ثقف لئن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلج بتخفيف الدال سير أول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخرير تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد تمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الأرض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجمبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعشان الغبار يقال مارزأت فلانا شيئا أي ما أصبت منه شيئا والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيئا وقوله أو في أي أشرف واطع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذوو شباب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله واطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة في الآخرة لاجل خبير يعني ما يحمل من خبير من التمر والزيت والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل للمذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خبير وقد روى هذا الجمال بالجيم من التجميل ورواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من جام حتى باصتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أنت عمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعمم أبصارهم فجعل الطلب يضر بون يمينها وشمالها حول الغار يقولون لو دخل هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع بوقرني * ونحن في سدف في ظلمة الغار

لأنحش شيئا فان الله نأثنا * وقد تصكغل لي منه باظهار

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ أمته التي تسكن عندها القلوب ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على النبي أو على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزجاً ﴿ وَأَيْدِيَهُمْ مَجْنُونٌ ﴾ لم تروها ﴿ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ أَنْزَلَهُمْ لِيَحْرَسُوهُ ﴾

وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار

والله مهلكهم طرابعا صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

﴿ قَوْلُهُ سَجَانَهُ وَتَعَالَى ﴾ فانزل الله سكينته عليه ﴿ يَعْنِي فَانزَلَ اللَّهُ الطَّمَأِينَةَ وَالسَّكُونَ ﴾ على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

﴿ فَصَلِّ فِي الْوُجُوهِ الْمَسْتَبِطَةِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِ ﴾

﴿ سَيِّدِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ﴾

(فانزل الله سكينته) ما لقي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه (عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم أو على أبي بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب (وأيديهم مجنوناً) لم تروها (هم الملائكة) صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه أو أيده بالملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين (فانزل الله سكينته) طمأنينته (عليه) على نبيه (وأيديهم) أعانه يوم بدر ويوم الاحزاب ويوم حنين (مجنوناً لم تروها) يعني

منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلوعاً على باطن أبي بكر الصديق في سره وأعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختر صحبته في ذلك المكان الخوف لعله بحاله * ومنها ان هذه الحجر كانت باذن الله تعالى فخص الله بحبته نبيه صلى الله عليه وسلم أبابكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره * ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل الارض بقوله تعالى ألا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله * ومنها ان سيدنا أبابكر رضي الله تعالى عنه لم يختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازمه وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته * ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه وفي هذا دليل على فضله * ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لاني بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبابكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال * ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعاً بوبكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على بندي أبي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم * ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وأبو بكر معه في ذلك الموقف * ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه * ومنها انه ثانيه في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق * ومنها ان الله سبحانه وتعالى نص على حجة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن * ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره * ومنها انزال السكينة على أبي بكر واختصاصه بهادليل على فضله والله أعلم ﴿ قَوْلُهُ سَجَانَهُ وَتَعَالَى ﴾ وَأَيْدِيَهُمْ مَجْنُونٌ ﴿ يَعْنِي وَأَيْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْزَالِ الْمَلَائِكَةِ لِيَصْرِفُوا وَجُوهَ الْكُفَّارِ وَأَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَيْهِ وَقِيلَ أَلْتِي الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ حَتَّى رَجَعُوا وَقَالَ مَجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ أَعَانَهُ بِالْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَخْبَرَ اللَّهُ سَجَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ نَصَرَهُ

في الغار أولعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحزبن فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾ يعني التوحيد أو دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له أو بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضره وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفاً على كلمة الذين والرفع بلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ في امره وتدييره ﴿ انفروا خفافاً ﴾ لنشاطكم له ﴿ وثقالاً ﴾ عنه لمشقتة عليكم أو اقله عيالكم ولكنها ثرتها أو ركباناً ومشاة أو خفافاً وثقالاً من السلاح أو صحاحاً ومراضاً ولذلك لما قال ابن مکتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلی ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج

وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة ﴿ وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للذي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقاً وصدقاً ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ انفروا خفافاً وثقالاً ﴿ يعني انفروا على الصفة التي يحف عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها وهذان الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقادة وعكرمة يعني شباباً وشيوخاً وقال ابن عباس نشاطاً وغير نشاط وقال عطية العوفي ركباناً ومشاة وقال أبو صالح خفافاً من المال يعني فقراء وثقالاً يعني أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقل الذي له الضيعة يكره أن يدع ضيعة ويروي عن ابن عباس قال خفافاً أهل اليسرة من المال وثقالاً أهل العسرة وقيل خفافاً يعني من السلاح مقلين منه وثقالاً يعني مستكثرين منه وقيل مشاعيل وغير مشاعيل وقيل أصحاب مرضى وقيل عزاباً ومتأهلين وقيل خفافاً من الحاشية والاتباع وثقالاً مستكثرين منهم وقيل خفافاً يعني مسرعين في الخروج الى الغز وساعة سماع النفر وثقالاً يعني بعد التروى فيه والاستعداد له والصحح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلية تحت قوله تعالى انفروا خفافاً وثقالاً يعني على أي حال كنتم فيهما فان قلت فملى هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فامعنى هذا الامر قلت من العلماء من حله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أباً أيوب الانصاري شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخاف عن غزوة غزاها

(وجعل كلمة الذين كفروا)
أي دعوتهم الى الكفر
(السفلى وكلمة الله) دعوته
الى الاسلام (هي) فصل
(العليا) وكلمة الله بالنصب
يعقوب بالعطف والرفع
على الاستئناف أو جهاذ هي
لم تزل كانت عالية (والله
عزيز) يعز بنصره أهل
كلمته (حكيم) يذل أهل
الشرك بحكمته (انفروا
خفافاً) في النفور لنشاطكم
له (وثقالاً) عنه لمشقتة عليكم
أو خفافاً لقله عيالكم
وثقالاً لكثرتها أو خفافاً
من السلاح وثقالاً منه أو
ركباناً ومشاة أو شباباً
وشيوخاً أو مهزلبين
وسماناً أو صحاحاً ومراضاً

الملائكة (وجعل كلمة)
دين (الذين كفروا السفلى)
المغلوبة المذمومة (وكلمة الله
هي العليا) الغالبة المددوحة
(والله عزيز) بالنقمة
من اعدائه (حكيم)
بالنصرة لا وليائه (انفروا)
اخرجوا مع نبيكم الى غزوة
تبوك (خفافاً وثقالاً)
شباناً وشيوخاً ويقال نشاطاً
وغير نشاط ويقال خفافاً
من المال والعيال وثقالاً

بهما ان أمكن أو باحدهما
على حسب الحال والحاجة
(في سبيل الله ذلكم) الجهاد
(خير لكم) من تركه (ان
كنتم تعلمون) كون ذلك
خيرا فبادروا اليه ونزل في
المختلفين عن غزوة تبوك
من المنافقين (لو كان
عرضا) هو ما عرض لك من
منافع الدنيا يقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه
البر والفاجر أي لو كان ما
دعوا اليه مغفرا (قريبا)
سهل المأخذ (وسفرا
قاصدا) وسطا مقاربا
والقاصد والقصد المعتدل
(لاتبعوك) لو اتقوك في
الخروج (ولكن بعدت
عليهم الشقة) المسافة
الشاقة الشاقة (وسيحلفون
بالله لو استطعنا

﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما
﴿ذلكم خير لكم﴾ من تركه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ الخير علم انه خير أو ان كنتم تعلمون
انه خير اذا أخبر الله به صدق فبادروا اليه ﴿لو كان عرضا﴾ أي لو كان مادعوا اليه
تفعا دنويا (قريبا) سهل المأخذ ﴿وسفرا قاصدا﴾ متوسطا ﴿لاتبعوك﴾ لو اتقوك
﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة التي تقطع بشقة وقري بكسر العين والشين
﴿وسيحلفون بالله﴾ أي المختلفون اذ رجعت من تبوك معتذرين ﴿لو استطعنا﴾

المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا
ولأجدني الا خفيفا أو ثقيلًا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى
عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني
الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حصص
فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت
يا عم أنت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا لانه
من محبه يتليه والسبح هو القول الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل
عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة
في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس
على الاعيان والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ﴿فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات
الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني أن
من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بالله بان يعطيه
غيره بمن يصلح للجهاد فيغزو بالله فيكون مجاهدا بالله دون نفسه ﴿ذلكم﴾ يعني ذلكم
الجهاد ﴿خير لكم﴾ يعني من القعود والثقال عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم
ثوابه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ﴿ثم نزل في المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل﴾ لو كان
عرضا قريبا ﴿فيه اضمحلت تقديره لو كان ما تدعوه اليه عرضا يعني غنمية سهلة قريبة
التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر
يأكل منه البر والفاجر ﴿وسفرا قاصدا﴾ يعني سهلا قريبا ﴿لاتبعوك﴾ يعني اخرجوا معك
﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ أي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان
سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنمية سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا
في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا كانوا يستعظمون غزو الروم
لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ﴿ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذ رجعت النبي
عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو قوله تعالى ﴿وسيحلفون بالله﴾ يعني
المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ﴿لو استطعنا

بالمال والعيال (وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله) في طاعة الله
(ذلكم) الجهاد (خير لكم)
من الجلوس (ان كنتم)
اذ كنتم (تعلمون) وتصدقون
ذلك (لو كان عرضا قريبا)
غنمية قريبة (وسفرا قاصدا)
هينا (لاتبعوك) الى غزوة
تبوك بطيبة النفس
(ولكن بعدت عليهم
الشقة) السفر الى الشام
(وسيحلفون بالله) لكم اذا
رجعتم من غزوة تبوك عبد الله بن أبي وجدة بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو استطعنا)

رجعتم من غزوة تبوك عبد الله بن أبي وجدة بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو استطعنا)

خرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه أخبر بما سيكون بعد القبول فقالوا كأخبر أو بالله متعلق بسخلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أى سخلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سخلفون { الجزء العاشر } بالله يقولون ﴿ ١٣٢ ﴾ لو استطعنا وقوله لخرجنا سدمسد

جوابي القسم ولو جيعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا (يهلكون أنفسهم) بدل من سخلفون أو حال منه أى مهلكين والمعنى أنهم يهلكونها بالخلف الكاذب أو حال من لخرجنا أى لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا والتيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم أنهم لكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام (لم أذنت لهم) بيان لما كفى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القمود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعلمهم وهالا استأيت بالاذن

بازداد والراحلة (لخرجنا معكم) الى غزوة تبوك

(يهلكون أنفسهم) بالخلف الكاذب (والله يعلم أنهم لكاذبون) لانهم كانوا يستطيعون الخروج مع (أما) النبي صلى الله عليه وسلم (عفا الله عنك) يا محمد (لم أذنت لهم) للمنافقين بالجلوس

يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرى لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة ﴿ لخرجنا معكم ﴾ سادسد جوابي القسم والشروط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ بابقاعها في العذاب وهو بدل من سخلفون لان الخلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله ﴿ والله يعلم أنهم لكاذبون ﴾ في ذلك لانهم كانوا يستطيعون الخروج ﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن خطأه في الاذن فان العفو من روادفه ﴿ لم أذنت لهم ﴾ بيان لما كفى عنه بالعفو ومعاقبة عليه والمعنى لاى شىء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا

لخرجنا معكم ﴿ يعنى الى هذه الغزوة ﴾ ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها ﴿ والله يعلم أنهم لكاذبون ﴾ يعنى في ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا يستطيعون الخروج ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ قال الطبرى هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أى في اذنه لمن أذنه في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزوروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنتك لهؤلاء المنافقين استأذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الودى اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشىء فيهما اذنه للمنافقين وأخذة الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

فصل

استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين * أحدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب * الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار * والجواب عن الاول انا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل تقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظماله عفا الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعفاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب بد قال على بن الجهم مخاطب المتوكل عفا الله عنك الاحرمة * تعود بفضلك ان أبدا ألم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى ألقى أقالك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى * والجواب عن الثانى أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه

(أما) النبي صلى الله عليه وسلم (عفا الله عنك) يا محمد (لم أذنت لهم) للمنافقين بالجلوس

(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم ﴿١٣٣﴾ الكاذبين) يتبين لك { سورة براءة } الصادق في العذر من

الكاذب فيه وقيل شيطان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فساتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام اما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع

ان له ذلك لتركة الافضل وهم يعاتبون على ترك الافضل (لا يستأذونك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين ان يستأذونك في ان يجاهدوا (بما هو لهم وانفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذونك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتابت قلوبهم) شكوا في دينهم

(حتى يتبين لك الذين صدقوا) في ايمانهم بالخروج معك (وتعلم الكاذبين) في ايمانهم بالتخلف عن الخروج بلاذن (لا يستأذونك) بعد غزوة تبوك (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) في السر والعلانية (أن يجاهدوا) ان لا يجاهدوا (بما هو لهم وانفسهم والله عليم بالمتقين)

الكفر والشرك (انما يستأذونك) بالجلوس عن الطرحة (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) في السر (وارتابت) شككت (قلوبهم)

باكاذب وهالاتوقفت ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ في الاعتذار ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما ﴿ لا يستأذونك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بما هو لهم وانفسهم ﴾ أى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذونك في ان يجاهدوا فانه الخالص منهم يسادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستأذونك في التخلف عنه وان يستأذونك في التخلف كراهة ان يجاهدوا ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بشوابه ﴿ انما يستأذونك ﴾ في التخلف ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ تخصيص الايمان بالله عز وجل واليوم الآخر في الموضوعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾

اما أن يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة أولا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق بقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض في كتابه الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم انه امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولاعه تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبه وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان محيرا في أمرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم أعلمه الله بلم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقد عدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفاها بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخليل والريق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للتشبيى قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها تركة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه عفاك الله وقيل معناه ادم الله لك العفو لم اذنت لهم يعنى في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لاسيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ يعنى في اعتذارهم ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ لا يستأذونك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بما هو لهم وانفسهم ﴿ أى في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ يعنى الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته ﴿ انما يستأذونك ﴾ يعنى في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ وهم المنافقون لقوله ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾ يعنى شككت قلوبهم في الايمان وانما أضاف الشك والارتباب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك

واضطربوا في عقيدتهم
 (فهم في ربهم يترددون)
 يتحيرون لأن التردد دين
 المتحير كما أن الثبات دين
 المستبصر (ولو أرادوا
 الخروج لاعدوا له)
 للخروج أو الجهاد (مدة)
 أهبة لانهم كانوا مياسير
 ولما كان ولو أرادوا الخروج
 معطيا معنى نفي خروجهم
 واستعدادهم للغزو قيل
 (ولكن كره الله انبعاثهم)
 نهوضهم للخروج كانه قيل
 ما خرجوا ولكن تبطوا
 عن الخروج لكراهة
 انبعاثهم (فبطهم) فكسلهم
 وضعف رغبتهم في الانبعاث
 والشيط التوقيف عن
 الامر بالتهديد فيه (وقيل
 اعدوا) أي قال بعضهم
 لبعض أو قاله الرسول
 عليه السلام غضبا عليهم
 أو قاله الشيطان بالسوسة
 (مع القاعدين) هزدم لهم
 فهم في ربهم (في شكهم
) يترددون (يتحيرون
) (ولو أرادوا الخروج)
 معك الى غزوة تبوك
 (لاعدوا له) للخروج
 (عدة) قوة من السلاح
 وازاد (ولكن كره الله
 انبعاثهم) خروجهم معك
 الى غزوة تبوك (فبطهم)
 فحبسهم عن الخروج

فهم في ربهم يترددون ﴿ أي يتحيرون ﴾ ولو أرادوا الخروج لاعدوا له ﴿ للخروج ﴾ عدة ﴿
 أهبة وقوى عده بمحذف التاء عند الاضافة كقوله
 ان الخليل اجدوا بين فأنجروا * واخلفوك عدا المر الذي وعدوا
 وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ استدراك عن مفهوم قوله ولو
 أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم أي نهوضهم للخروج
 ﴿ فبطهم ﴾ فحبسهم بالجبن والكسل ﴿ وقيل اعدوا مع القاعدين ﴾ تمثيل لاقاء الله كراهة
 الخروج في قلوبهم أو سوسة الشيطان بالامر بالعود أو حكاية قول بعضهم لبعض اذن
 الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخاو عن ذم
 كان ذلك نفاقا ﴿ فهم في ربهم يترددون ﴾ يعني أن المنافقين متحيرون لامع الكفار ولا
 مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية
 التي في سورة النور وهي قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
 بالله ورسوله فاذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل
 انها حكيات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله
 وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن في التخلف فكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما
 المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فعبرهم الله تعالى بهذا الاستئذان
 لكونه بغير عذر ﴿ ولو أرادوا الخروج ﴾ يعني الى الغزو معكم ﴿ لاعدوا له عدة ﴾
 لتبؤاله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ﴿ ولكن كره الله
 انبعاثهم ﴾ يعني خروجهم الى الغزو معكم ﴿ فبطهم ﴾ يعني منعهم وحبسهم عن الخروج
 معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصر فهم
 عندهمنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم امان ان يكون
 فيه مصلحة أو مفسدة فن كان فيه مصلحة فيقال ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم وان كان
 فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالعود والجواب عن هذا السؤال
 ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر
 عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادكم الا خيالا يقي فلم عاتب الله رسوله
 صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص
 واكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه
 لاجل انه اذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالعود ﴿ وقيل اعدوا مع القاعدين ﴾
 معناه انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان
 والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اعدوا
 مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل
 الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اعدوا مع القاعدين فاعتصموا ذلك وقعدوا وقيل
 ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان أتى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين
 الى الجهاد ﴿ ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى

والحاق بالنساء والصبيان والزمن الذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم معكم (الاحبال) الافساد
وشرا والاستثناء متصل لان المعنى مازادوكم شيئا الاحبال والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك
ما زادوكم خيرا الاحبال والمستثنى منه ﴿ ١٣٥ ﴾ في هذا الكلام { سورة براءة } غير مذكور واذا لم يذكر

وقوع الاستثناء من الشيء فكان
استثناء متصلا لان الخبال
بعضه (ولا وضعا خلا لكم)
ولسما بينكم بالضمير
والنائب وفساد ذات البين
يقال وضع البعير وضعا
اذا اسرع واوضعه انا
والمعنى ولا وضعا كما بهم
بينكم والمراد الاسرار بالنائب
لان الراكب اسرع من الماشي و
خطفي المصحف ولا وضعا
بزيادة الالف لان الفتحه
كانت تكتب الفاقبل الخط
العربي والخط العربي
اخترع قريبا من نزول
القرآن وقد بقي من تلك
الالف اثر في الطباع فكاتبوا
صورة الهمزة الفاقبها
الفاخرى ونحوه ولا اذبحنه
(بغونكم) حال من الضمير في
اوضعا (الفتنة) اي يطلبون
ان يفتنوك بان يوقوا الخلاف
فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في
مغزاكم (وفيكم سماعون لهم)
اي عماءون يسمعون حديثكم
فينقلونه اليهم (والله عليم
بالظالمين) بالناققين (لقد
استغوا الفتنة) بصد الناس
او بان يفتكوا به عليه السلام
لبلة العقبة او بالرجوع يوم
أحد (من قبل) من قبل
غزوة تبوك

﴿ لو خرجوا فيكم مازادوكم ﴾ بخروجهم شيئا ﴿ الاحبال ﴾ فسادا وشرا ولا يستلزم
ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع
منه الاستثناء ولاجل هذا التوهيم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا
﴿ ولا وضعا خلا لكم ﴾ ولا سماعون كما بهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل
من وضع البعير وضعا اذا اسرع ﴿ يغونكم الفتنة ﴾ يريدون ان يفتنوك باقناع الخلاف فيما
بينكم أو الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعا ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾
ضغفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو عماءون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ﴿ والله عليم
بالظالمين ﴾ فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم ﴿ لقد استغوا الفتنة ﴾ تشيت امرك وتقريب
اصحابك ﴿ من قبل ﴾ يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا
مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم

﴿ لو خرجوا فيكم مازادوكم الاحبال ﴾ يعني لو خرج هؤلاء المناققون معكم الى الغزوم اذادوكم
الافسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض
النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا
والمراد به هنا الافساد واقناع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل الامر وشدة السفر
وكثرة العدو وقوتهم ﴿ ولا وضعا خلا لكم ﴾ يعني ولا سماعون فيكم وساروا بينكم
بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم ﴿ يغونكم الفتنة ﴾ يعني يطلبون لكم ما تفتنون
به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستمزجون
منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجنب وقيل معناه يطلبون
العيب والشر ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم
اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام
المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب
فيقلوبها منهم * فان قلت كيف يجوز ان يكون في المؤمنين الخالصين من يسمع ويطيع
للمنافقين * قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم
فاذا قالوا قولا ربا أثر ذلك القول في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال ﴿ والله
عالم بالظالمين ﴾ وهذا وعيد تهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين
﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ لقد استغوا الفتنة من قبل ﴿ يعني لقد طلبوا صد اصحابك
يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كاقبل عبدالله
ابن أبي بن سلول يوم أحد حين انصرف باصحابه عنكم

قلوبهم (لو خرجوا فيكم) معكم (ما زادوكم الاحبال) شرا وفسادا (ولا وضعا خلا لكم) لساروا على الابل وسطكم (بغونكم الفتنة)
يطلبون فيكم الشر والفساد والذلة والعيب (وفيكم) معكم (سماعون لهم) جواسيس للكفار (والله عليم بالظالمين) بالمنافقين عبدالله بن
أبي واصحابه (لقد استغوا الفتنة) بغواك الغوائل يعني طلبوا الك الشر (من قبل) من قبل غزوة تبوك

(من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى اهلهم (وهم فرحون) مسرورون (قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أى قضى من خير أو شر (هو مولانا) ﴿ ١٣٧ ﴾ أى الذى يتولانا ﴿ سورة براءة ﴾ وتولاه (وعلى الله

من قبل) ﴿ تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف ﴾ ﴿ ويتولوا ﴾ عن متحدتهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ وهم فرحون ﴾ مسرورون ﴿ قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا ﴾ الا ما اختصنا بابائه وإيجابه من النصره أو الشهادة أو ما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير موافقتكم ولا يخالفكم ﴿ وقرى هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من يفعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم بصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصده وقيل من الصوب ﴿ هو مولانا ﴾ ناصرنا وامتولى امرنا ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ تنتظرون بنا ﴿ الاحدى الحسينين ﴾ الاحدى السوايين ﴿ ان يصيبكم الله بعداب من عنده ﴾ ونحن تربص بكم (وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعداب (بايدنا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) ما هو عاقبتنا ﴿ انامعكم متربصون ﴾ ما هو عاقبتكم

يعنى أخذنا أمرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو ﴿ من قبل ﴾ يعنى من قبل هذه المصيبة ﴿ ويتولوا وهم فرحون ﴾ يعنى مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها ﴿ قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعاً أراد له لم يقدر له ﴿ هو مولانا ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يعنى في جميع أمورهم ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أم المنافقون ﴿ الاحدى الحسينين ﴾ يعنى اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخرة واما ان يقتل في سبيل الله فمحصل له الشهادة وهى الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الاجهادا في سبيلي وايمانى وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة أخرجاه في العميين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ونحن تربص بكم ﴾ يعنى ونحن نتظر بكم احدى السوايين ﴿ أن يصيبكم الله بعداب من عنده ﴾ يعنى فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الخالية ﴿ أو بايدنا ﴾ يعنى أو يصيبكم بأيدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهروا عليكم ﴿ فتربصوا انامعكم متربصون ﴾ قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه

(أو بايدنا) بسيفنا لقتلكم (فتربصوا) (قا و خا ١٨ لث) فانتظروا بنا (انامعكم متربصون) منتظرون لهلاككم

(قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعا أو كرها) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الخبر ومعناه (ان يتقبل منكم) أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسئني بنا أو أحسني لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت * أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا تلومك أسأت لنا أو أحسنت وقد جازعكس { الجزء العاشر } في قولك رحم الله ﴿ ١٣٨ ﴾ زيدا ومعنى عدم القبول انه

عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها ولا يشيها الله وقوله طوعا أي من غير الزام من الله ورسوله وكرها أي ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقا عليهم كالاكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم) قوما فاسقين) مقتردين عاتين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حزة وعلى (الا أنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولا ماى وما منعهم قبول نفقاتهم الاكفرهم (بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلين) ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا) فلا تجيب اموالهم ولا اولادهم) فان ذلك استدراج ووبال لهم كقال

﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها ﴾ نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال أنا أعطيك مالى فأنزل الله عز وجل رد اعليه قل أى قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعا أو كرها يعنى أنفقوا طائعين من قبل أنفسهم أو مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق ﴿ لن يتقبل منكم ﴾ لان هذا الانفاق اغا وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهى عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه * ثم علل بسبب منع القبول بقوله ﴿ انكم ﴾ أى لانكم ﴿ كنتم قوما فاسقين ﴾ والمراد بالفسق هنا الكفر وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أى المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ جمع كسلان يعنى متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مفرما ومنع ذلك الانفاق مغنا ﴿ فلا تجيب ﴾ يا محمد ﴿ اموالهم ولا اولادهم ﴾ هذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تجبوا بأموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشئ مع نوع من الافتخاره به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشئ ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغى للانسان أن لا يجيب بشئ من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجاب به ماله وولده فيطر ويكفر

عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها ولا يشيها الله وقوله طوعا أي من غير الزام من الله ورسوله وكرها أي ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقا عليهم كالاكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم) قوما فاسقين) مقتردين عاتين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حزة وعلى (الا أنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولا ماى وما منعهم قبول نفقاتهم الاكفرهم (بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبدلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختار (فلا تجيب اموالهم ولا اولادهم

(قل) يا محمد للمنافقين (انفقوا) اموالكم (طوعا) من قبل أنفسكم (أو كرها) جبرا مخافة القتل (لن يتقبل منكم) ذلك (انكم كنتم قوما فاسقين) منافقين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله) في السر (ولا يأتون الصلوة) الى الصلاة (الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا ينفقون) شياً في سبيل الله (الا وهم كارهون) ذلك (فلا تجيب) يا محمد (اموالهم) كثرة اموالهم (ولا اولادهم) كثرة

انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا (الاعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فان الله اعطاهم ما أعطاهم ﴿١٣٩﴾ ليعذبهم بالمصائب {سورة براءة} فيها وبالانفاق منه في أبواب

الخير وهم كارهون له أو ينهب أموالهم وسي أولادهم أو يجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وتزهد أنفسهم وهم كافرون) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصح لانه أخبر أن اعطاء الاموال

والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الامانة على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيظاهرون بالاسلام تقية (لويجدون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متمصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو

اولادهم (انما يريد الله ليعذبهم بها) في الآخرة (وتزهد أنفسهم) تخرج أنفسهم (في الحياة الدنيا

﴿انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وتزهد أنفسهم﴾ وهم كافرون ﴿فيوتوا كافرين﴾ مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم﴾ انهم لمن جملة المسلمين ﴿وما هم منكم﴾ لكفر قلوبهم ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون منكم ان تقتلوا بهم ما تقولون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ﴿لويجدون ملجأ﴾ حصنا يلجأون اليه ﴿أو مغارات﴾ غيرانا

نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تنجيك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلوا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لاحاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بنى آدم مؤمنهم وكافرهم فافائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا اليراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدّة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم بهما في الدنيا أخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكراهة في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمد ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يعذره ﴿وتزهد أنفسهم﴾ يعني وتخرج أنفسهم ﴿وهم كافرون﴾ والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ ويحلفون بالله ﴿يعني المنافقين﴾ انهم لمنكم ﴿يعني على دينكم وملتكم﴾ وما هم منكم ﴿يعني انهم كاذبون في أيمانهم﴾ ولكنهم قوم يفرقون ﴿يعني انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق﴾ لويجدون ملجأ ﴿يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجئون اليه وقيل لوجودوا مهربا يهربوا اليه وقيل لويجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولفسار قوكم﴾ أو مغارات ﴿يعني غيرانا في الجبال جع مغارة وهو الموضع الذي يفور فيه الانسان

وهم كافرون) مقدم ومؤخر (ويحلفون بالله) عبدالله بن أبي وأصحابه (انهم لمنكم) معكم في السر والعلانية (وما هم منكم) معكم في السر والعلانية (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون من سيوفكم (لويجدون ملجأ) حرزا يلجئون اليه (أو مغارات)

﴿ أو مدخلا ﴾ نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول * وقرأ يعقوب مدخلا من دخل * وقرئ مدخلا أى مكانا يدخلون فيه انفسهم وتمدخلا وتمدخلا من تدخل واندخل ﴿ لولوا اليه ﴾ لا قبلوا نحوه ﴿ وهم يجمعون ﴾ يسرعون اسرعا لا يردهم شئ كالفرس الجوح وقرئ يجمعون ومنه الجمارة ﴿ ومنهم من يلزك ﴾ يعيبك * وقرأ يعقوب يلزك بضم و ابن كثير يلامرك ﴿ في الصدقات ﴾ في قسمتها ﴿ فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ قيل انها نزلت في ابي الجواز المنافق قال الأتروني صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك

أى يستتر ﴿ أو مدخلا ﴾ يعنى موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب فى الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجهها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لولوا اليه ﴾ والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهى شرا الامكة وأضيقتها لولوا اليه أى لرجعوا اليه وتحرزوا فيه ﴿ وهم يجمعون ﴾ يعنى وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ومنهم من يلزك فى الصدقات ﴾ نزلت فى ذى الخويصرة التميمي واسمه حر قوص بن زهير وهو أصل الخوارج ﴿ ق ﴾ عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم فإأناه ذوا الخويصرة رجل من بنى تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذالم اعدل وفى رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب انذنى لى فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فانه اصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد فى رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يعرقون من الدين وفى رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواز لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكرنا ان رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لأئن كان الله أمرك أن تعدل فاعدت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من يهواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلزك فى الصدقات يعنى ومن المنافقين من يعيبك فى قسم الصدقات وفى تفريقها ويعطى عليك فى أمرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد أى غابه ﴿ فان أعطوا منها ﴾ يعنى من الصدقات ﴿ رضوا ﴾ يعنى رضوا عنك فى قسمتها ﴿ وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ﴾ يعنى وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا

غيرانا (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لولوا اليه) لا قبلوا نحوه (وهم يجمعون) يسرعون اسرعا لا يردهم شئ من الفرس الجوح (ومنهم) (من يلزك فى الصدقات) يعيبك فى قسمة الصدقات ويعطى عليك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا للمفاجأة أى وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لانه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فى الجبل (أو مدخلا) سربا فى الارض (لولوا اليه) لذهبوا اليه (وهم يجمعون) يهرولون هرولة والجوح مشى بين مشيين (ومنهم) من المنافقين أبو الاحوص وأصحابه (من يلزك فى الصدقات) يعطى عليك فى قسمة الصدقات يقولون لم يقسم بيننا بالسوية (فان أعطوا منها) من الصدقات حظا وافر (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) من الصدقات حظا وافر (اذاهم يسخطون)

فصبر المنافقون منه (ولو

أنهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبن الله

سيؤتينا الله من فضله

ورسوله انا الى الله راغبون

جواب لو محذوف تقديره

ولو أنهم رضوا لكان خيرا

لهم والمعنى ولو أنهم رضوا

ما أصابهم به الرسول من

الغنمية وطابت به نفوسهم

وان قل نصيبهم وقالوا كافانا

فضل الله وصنعه وحسبنا ما

قسم لنا سيرزقنا غنمية

أخرى فيؤتينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم أكثر

مما آتانا اليوم انا الى الله في

أن يغننا ويخولنا فضله

لراغبون ثم بين مواضعها

التي توضع فيها فقال (انما

الصدقات للفقراء والمساكين

قصر جنس الصدقات على

بالقسمة (ولو أنهم) يعنى

المنافقين (رضوا ما آتاهم الله)

بما أعطاهم الله من فضله

(ورسوله وقالوا حسبن الله)

ثقتنا بالله (سيؤتينا الله من

فضله) سيغنيننا الله من فضله

برزقه (ورسوله)

بالعطية (انا الى الله راغبون)

رغبنا الى الله لوقالوا هكذا

لكان خيرا لهم ثم بين لمن

الصدقات فقال (انما

الصدقات للفقراء) لا يحاب

الصفة (والمساكين)

للطوافين

ان لم يعدل فمن يعدل واذا المفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ﴿ ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله ﴾ ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الغنمية والصدقة وذكر الله للتعظيم والتثنية
على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره ﴿ وقالوا حسبن الله ﴾ كفا نافضه
﴿ سيؤتينا الله من فضله ﴾ صدقة وغنمة اخرى ﴿ ورسوله ﴾ فيؤتينا اكثر مما آتانا
﴿ انا الى الله راغبون ﴾ في ان يغنيننا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لمفعله الرسول عليه الصلاة
والسلام فقال ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ أى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون
غيرهم وهو دليل على ان المراد بالملزمهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له

﴿ ولو انهم رضوا ﴾ يعنى ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقتعوا
﴿ ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبن الله ﴾ أى كافينا الله ﴿ سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾
يعنى ما محتاج اليه ﴿ انا الى الله راغبون ﴾ يعنى فى أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا
عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم
وأعود عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴿ الآية ﴾ اعلم
ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه فى قسم الصدقات بين الله
عز وجل فى هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم
ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشئ ولم يأخذ لنفسه منها شئاً فلم يلزونه
ويعيون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات ﴿ عن زياد بن الحرث الصدائى
قال آيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعته فاتاه رجل فقال أعطنى من الصدقة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره فى الصدقات حتى
حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حكماً أخرجه أبو داود
فصل فى بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى

فى بيان وجه الحكمة فى إيجاب الزكاة على الاغنياء ومصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك
من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة
الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب التحصيل تلك القدرة فكان المال محبوباً بالطبع فاذا استغرق
القلب فى حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله
عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية إيجاب الزكاة فى ذلك المال الذى هو سبب البعد
عن الله فيصير سبباً للتقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثانى ان كثرة
المال تؤجّب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فواجب الله سبحانه
وتعالى الزكاة ليقول ذلك المال الذى هو سبب لتساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب
الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال
مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليعتمحن باخراج الزكاة أصحاب
الاموال ليعين بذلك المطيع المخرج لها طيبة نفسها من العاصى المانع لها الوجه الرابع أن

ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن الجزا سكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين

المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ ويربما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كما لامو فرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به أحد المتصدقين * الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنياء فواجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطيبا لقلوبهم * الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية

المسئلة الثانية

الآية تدل على أنه لاحق لاحد في الصدقات الا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمتي انما تفيدان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلية ان للثبان وكلمة ما للنفى فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية

المسئلة الثالثة

في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أتقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شئ يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمانا كان أو غير زمن والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلها لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلولم تكن حاجتهم أشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما رأى لبد النسر تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار ثبت بهذا أن الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة وتمتعه الزمانه من القلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى

الاصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لاتباعهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزاءك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من

وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا
 في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ
 حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالا
 من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
 فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنائير كثيرة ولان الغنى
 والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالا من المسكين
 وحجج أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالا من الفقير قوله أو مسكينا ذامترية
 وصف المسكين بكونه ذامترية هو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة
 ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلولم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما
 جعله له واحتج أيضا بقول الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوبته * وفق العيال فإيترك له سبد

واحتج أيضا بقول الاصمعي وأبي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين
 الذي لا شئ له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شئ له وقيل
 الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شئ فهو مقتر
 اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء الى الله فأثبت لهم اسم الفقر
 مع وجودان المال والجواب عن هذه الحجج أما قوله أو مسكينا ذامترية فهو حجة لمذهب الامام
 الشافعي رضى الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامترية فدل على أنه
 قديو جدمسكين لا بهذه الصفة والالم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات
 للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال
 بيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جازا تطلق المسكين عليه
 فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن
 عباس وغيره من المفسرين وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف
 الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعف نفسه وسكنت
 عن الحركة في طلب القوت * عن عبدالله بن عمر وبن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله في
 رواية أخرى ولا لذي مرة قوي * عن عبيدالله بن عدى بن الخيار قال أخبرني رجلان
 أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات
 فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جليدين فقال ان شئتما أعطيتكما ولاحظ
 فيها لغنى ولا لقوى مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي * وأخرجه الشافعي
 ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان
 شئتما أعطيتكما ولاحظ فيها لغنى ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى
 الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال الاكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله
 سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال

صرفها الى الاصناف وهو
 المروى عن عكرمة ثم الفقير
 الذي لا يسأل لان عنده
 ما يكفيه للحال والمسكين
 الذي يسأل لانه لا يجد شياً
 فهو أضعف حالا منه وعند
 الشافعي رحمه الله على
 العكس

ذامرتبة ﴿ والعاملين عليها ﴾ الساعين في تحصيلها وجعلها ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم وأشراف قديرت قب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عينته بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس كذلك وقيل اشرف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلاة

قوم من ملك خسين درهما أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسلته في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد واسحق وقالوا لا يجوز أن يبطى الرجل أكثر من خسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أربعين درهما ﴿ الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى ﴿ والعاملين عليها ﴾ وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جبهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي ﴿ الصنف الرابع قوله تعالى ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاقسم المسلمين قسمان القسم الاول هم قوم من أشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عينته بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشراف قومهم مثل عدى بن حاتم والزبير بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يألفهم لتقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بإزائهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة

(والعاملين عليها)
هم السعاة الذين يقبضونها
(والمؤلفة قلوبهم) على
الاسلام أشراف من العرب
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتألفهم على ان
يسلموا وقوم منهم أسلموا
فيعطيههم تقريرا لهم على

(والعاملين عليها) لجابي
الصدقات (والمؤلفة
قلوبهم) بالعطية أبي سفيان
وأصحابه نحو خمسة عشر

والاسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤات قلبه بشئ منها على قتال الكفار وما نبي الزكاة وقيل كان سهم المؤلف لكثر سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط **﴿ وفي الرقاب ﴾** وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يتبع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واجد اوبان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل

قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانى الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيه الامام من سهم المؤلف من الصدقات وقيل من سهم سيد الله روى ان عدى بن حاتم جاء ابا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا واما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطى من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن ان يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلف منقطة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك **﴿ الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿ وفي الرقاب ﴾** قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال **﴿ الاول ﴾** ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدين عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم **﴿ القول الثاني ﴾** وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدين عليه ماروى عن ابن عباس انه قال لأبأس ان يعتق الرجل من الزكاة **﴿ القول الثالث ﴾** وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويومان بهما كاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضى التبعض **﴿ القول الرابع ﴾** وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد من صلوا وصاموا وقدموا اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدين عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي أن الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا وأما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين

الاسلام (وفي الرقاب) هم
المكاتبون يعاونون منها
رجلا (وفي الرقاب)
المكاتبين

(والغارمين) الذين أو الحجاج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة للايدان بانهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره لان في اللوعاء فنه على أنهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المناققين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطمعهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فالهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجاء الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع ويتبى بذهاب ذلك المعنى

(والغارمين) لأصحاب الديون في طاعة الله (وفي سبيل الله) وللمجاهدين في سبيل الله (وابن السبيل) للضيف النازل مار الطريق

للايدان بانهم احق بها * والغارمين * المديونين لانفسهم في غير معصية ومن غير اسراف اذالم يكن لهم وفاء أو اصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عابده الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغنى الا الخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها عماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أو لعامل عليها * وفي سبيل الله * وللصرف في الجهاد بالاتفاق على المتطوعة واتباع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناتير والمصانع * وابن السبيل * المسافر المنقطع عن ماله

فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه * الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى * والغارمين * أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذالم يكن لهم مال يفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا الخمسة لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل أسير اعانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغنى أخرجه أبو داود مرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر بن يزيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا * الصنف السابع قوله عز وجل * وفي سبيل الله * يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجاع الجمهور عليه * الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى * وابن السبيل * يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتى وليدا * الى ان شئت واكتهت لداى

﴿ فريضة من الله ﴾ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرىء بالرفع على تلك فريضة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وخدمتهم و مراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف

فكل مر يد سفر مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع ﴿ قوله عز وجل ﴾ فريضة من الله ﴿ يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة ﴿ والله عليم ﴾ يعني بمصالح عباده ﴿ حكيم ﴾ يعني فيما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل

المسئلة الرابعة

في أحكام متفرقة تتعاقب بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ﴿ حصه كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلوفاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصه ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا بما يمنه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأجد بن حنبل قال أجد بن حنبل يجوز أن يضعها في صنف واحد وتقريقها أولى وقال إبراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتجرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيئا وان كان محترفا لكنه لا يجد آلة

(فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (والله عليم) بالمصلحة (حكيم) في القسمة

(فريضة) قسمة (من الله) لهؤلاء (والله عليم) بهؤلاء (حكيم) فيما حكم لهؤلاء

واحد وبه قول الأئمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخنا ووالدي رحمهما
الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا يجاب قسمها عليهم ﴿ ومنهم
الذي يؤذون النبي ويقولون هو اذن ﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للباينة
كأنه من فرط استماعه صار جلته آلة السماع كما سمي الجاسوس عين ذلك أو اشتق له فعل
من اذن اذا اذا استمع كأنف وشلل روى انهم قالوا الحمد اذن سامعة تقول ماشئنا ثم نأتيه فيصدقنا

حرقته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرقته فلا اعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه
ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خسين درهما
وقال أبو حنيفة أكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أجزاء
فان أعطى من يظنه فقيراً فبان انه غف فهل يجوز ان يعطى صدقة لمن
تزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والدا وان علا
ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم
بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شئ لقوله صلى الله عليه وسلم ان آل بيت
لا تخل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بنى هاشم ولا تحرم على بنى المطلب دلينا قوله
صلى الله عليه وسلم انوا بنو المطلب شئ واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم
الصدقة على موالى بنى هاشم وبنى المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال
مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في
بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله
عليه وسلم لما ذوا علمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد
على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين وانفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه
الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة
جئت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ﴾ نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانما نحاف
أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ماشئنا ثم
نأتيه وننكر ما قلنا ونحاف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن أى يسمع كل ما يقال له ويقبله
وقبل معنى هو اذن أى ذوا اذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين
يقال له نبتل بن الحرث وكان أزنم تأثر الشعر أحر العينين أسفغ الخدين مشوه
الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان
فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين
فتقبل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شئاً صدقه فتقول ماشئنا
ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن
انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاعتزاز بكل ما يسمع فأجاب الله سبحانه وتعالى

(ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن) الاذن
الرجل الذي يصدق كل
ما يسمع ويقبل قول كل
أحد سمي بالجارحة التي
هي آلة السماع كأن جلته
اذن سامعة واذاؤهم له
هو قولهم فيه هو اذن قصدوا
به المذمة وأنه من أهل
سلامة القلوب والغرة
فسره الله تعالى بما هو
مدح له وثناء عليه فقال

(ومنهم) من المنافقين جذام
ابن خالد واياس بن قيس
وسماك بن يزيد وعبيد بن
مالك (الذين يؤذون
النبي) بالطعن والشتم
(ويقولون) بعضهم لبعض
(هو اذن) يسمع منا ويصدقنا
اذا قلنا له ما قلنا فيك شياً

(قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسركونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخالص من المهاجرين والانصار وعدي فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصده ﴿ ١٤٩ ﴾ التصديق بالله الذي { سورة براءة } هو ضد الكفر به والى

المؤمنين بالام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبت الباء (ورجة) بالظف على أذن ورجة حزة عطف على خير أي هو أذن خير وأذن رجة لا يسمع غيرهما ولا يقبله (للذين آمنوا منكم) أي وهو رجة للذين آمنوا منكم أي أظهروا الايمان أيها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رجة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (مخلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن

بما نقول ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لاعلى الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسركونه بقوله ﴿ يؤمن بالله ﴾ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم والام مزيدة للفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وإيمان الامان ﴿ ورجة ﴾ أي وهو رجة ﴿ للذين آمنوا منكم ﴾ لمن أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقاً بكم وترجعاً عليكم « وقرأ حزة ورجة بالجر عطفاً على خير » وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير أي بأذن لكم رجة « وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما « وقرئ اذن خير على ان خير صفة له أو خبر ثان ﴾ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴿ بايدانه ﴾ يخلفون بالله لكم ﴿ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ﴾ ليرضوكم ﴿

عنه بقوله ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد « وقرئ أذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنت له ﴿ ورجة ﴾ أي هو رجة ﴿ للذين آمنوا منكم ﴾ وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فيبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رجة للمؤمنين المخلصين للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رجة لانه يجري أحكام الناس على الظاهر ولا يتقرب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ يخلفون بالله لكم ليرضوكم ﴿ قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديع بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقاً فنجن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحتروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله

أو تخلفون عن الجهاد ثم أتوهم فيعتدرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالخلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم

(قل) لهم يا محمد (اذن خير لكم) لا الشراي يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب ويقال اذن خير ان كان اذنا فهو خير لكم (يؤمن بالله) يصدق قول الله (ويؤمن للمؤمنين) يصدق قول المؤمنين المخلصين (ورجة) من العذاب (للذين آمنوا منكم) في السر والعلانية (والذين يؤذون رسول الله) بالتخلف عنه في غزوة تبوك جلاس بن سويد وسماك بن عمرو ونخشي ابن حير وأصحابهم (لهم عذاب أليم) وجميع في الدنيا والآخرة (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) بالتخلف

(والله ورسوله أحق أن) الجزء العاشر { يرضوه ان كانوا ﴿ ١٥٠ ﴾ مؤمنين) أى ان كنتم مؤمنين كما

تزعون فاحق من أرضيت
الله ورسوله بالطاعة والوفاء
وانما وحده الضمير لانه
لا تفاوت بين رضا الله
ورضا رسول الله فكانا
في حكم شئ واحد كقولك
احسان زيد واجاله رفعى
أو والله أحق أن يرضوه
ورسوله كذلك (ألم يعلموا
أنه) أن الامر والشأن
(من محاد الله ورسوله)
يجاوز الحد بالخلاف وهى
مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق (فانله) على
حذف الخبر أى فحق أن
له (نار جهنم خالد فيها ذلك
الحزى العظيم يحذر
المنافقون) خبر بمعنى الامر
أى يحذر المنافقون (ان
تنزل عليهم سورة) تنزل
بالتحفيف مكي وبصرى
(تنبئهم بما فى قلوبهم) من
الكفر والنفاق والضمائر
للمنافقين لان السورة اذا

عن الغزو (والله ورسوله
أحق أن يرضوه ان كانوا
مؤمنين) لو كانوا مصدقين
فى ايمانهم (ألم يعلموا) يعنى
جالسا واصحابه (أنه من
محاد الله) يخالف الله
(ورسوله) فى السر (فانله)
نار جهنم خالد فيها ذلك
الحزى العظيم (المنافقون)
الشديد (يحذر المنافقون)

لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين ﴿ والله ورسوله احق ان يرضوه ﴾ احق بالارضاع بالطاعة
والوفاء وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أولان الكلام فى ابداء الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وارضاه أولان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾
صدقا ﴿ ألم يعلموا انه ﴾ ان الشأن «وقرى بالثناء ﴿ من محاد الله ورسوله ﴾ يشاقق الله مفاعلة
من الحد ﴿ فان له نار جهنم خالد فيها ﴾ على حذف الخبر أى فحق ان له وأعلى تكرير ان لتأكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا تقديره من محاد الله ورسوله
يهلك «وقرى ﴿ فان له بالكسر ﴿ ذلك الحزى العظيم ﴾ يعنى الاهلاك الدائم ﴿ يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم ﴾ على المؤمنين ﴿ سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ﴾ وتهتك عليهم

ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الخير ثم أى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم
فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم
لجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال
مقاتل والكلبي نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء
المنافقون ليرضوكم يعنى فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والله ورسوله
أحق أن يرضوه ﴾ اختلفوا فى معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير غايد على الله تعالى
لان فى رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة
والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر
وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ يعنى ان كان
هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعديه فى الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ألم
يعلموا ﴿ قال أهل المعانى ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان
كذا وكذا ولم اطال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم
من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعنى من شرائع الدين
التي علمهم رسولنا ﴿ أنه من محاد الله ورسوله ﴾ يعنى أنه من يخالف الله ورسوله وأصل
المحاد فى اللغة المخالفة والمجانبة والمعادة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلانا اذا صار
فى غير حده وخالفه فى أمره وقيل معنى محاد الله ورسوله أى يحارب الله ورسوله ويعاند
الله ورسوله ﴿ فان له نار جهنم ﴾ أى فحق أن له نار جهنم ﴿ خالد فيها ﴾ يعنى على الدوام
﴿ ذلك الحزى العظيم ﴾ يعنى ذلك الخلود فى نار جهنم هو الضميمة العظيمة ﴿ قوله
عز وجل ﴾ يحذر المنافقون ﴿ يعنى يخشى المنافقون ﴿ أن تنزل عليهم سورة ﴾ يعنى على
المؤمنين ﴿ تنبئهم ﴾ يعنى تخبر المؤمنين ﴿ بما فى قلوبهم ﴾ يعنى بما فى قلوب المنافقين من
الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء
ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن فى شأنهم قال قتادة وهذه السورة
كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعنى انها فضحت المنافقين وبعثت عن
أخبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين
رجلا من المنافقين باسمائهم وأسمائهم آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين

عبدالله بن أبى واصحابه (ان تنزل عليهم) على نبيهم (سورة تنبئهم) تخبرهم (بما فى قلوبهم) من النفاق (لئلا)

للمنافقين وصح ذلك لان
 المعنى يقود اليه (قل
 استهزؤا) أمر تهديد (ان
 الله يخرج ما تحذرون)
 مظهر ما كنتم تحذرونه
 أي تحذرون اظهاره من
 نفاقكم وكانوا يحذرون أن
 يفضحهم الله بالوحي فيهم
 وفي استهزؤهم بالاسلام
 وأهله حتى قال بعضهم
 وددت اني قدمت فجلدت
 مائة وانه لا ينزل فينا شيء
 يفضحنا (ولئن سألتهم
 ليقولن انما كنا نخوض
 ونلعب) بينا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يسير في
 غزوة تبوك وركب من
 المنافقين يسرون بين يديه
 فقالوا انظروا الى هذا الرجل
 يريد أن يفتح قصور الشام
 وحصونها هيهاهه هيهاهه
 فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
 احبسوا على الركب فانهم
 فقال قاتم كذا وكذا فقالوا
 ياني الله لا والله ما كنا في شيء
 من أسرك ولا من أسرار أصحابك
 ولكن كنا في شيء مما نخوض

استارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه
 مقروء وخرج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت
 في امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا
 يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله ﴿ قل استهزؤا ان الله مخرج ﴾ مبرز أو مظهر
 ﴿ ما تحذرون ﴾ أي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم
 ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ روى ان ركب المنافقين مروا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح

لثلاث يعبر بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين ﴿ قل استهزؤا ﴾ أمر تهديد فهو
 كقوله اعلموا ما شئتم ﴿ ان الله مخرج ﴾ أي مظهر ﴿ ما تحذرون ﴾ والمعنى ان الله
 سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال
 ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتكبروا له في
 ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمره له وأمره أن يرسل
 اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة
 حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم
 أحدا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عددهم
 كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر
 بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار
 أرأيت قتالكم أرايا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهدا عهدا انكم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده
 الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمتي قال شعبة وأحسبه
 قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمتي عشر منافقا
 لا يدخلون الجنة ولا يجردون ربحها حتى يبلغ الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم
 الدبيلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
 ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ الآية وسبب نزولها على ما قال
 زيد بن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا ارفعنا بطونا
 وأكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكذك منافق ولاخبرن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر فوجد
 القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فظنرت اليه يعني الى المنافق متماقا يحجب
 ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ما يزيد قال محمد بن

من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ولئن سألتهم) محمد ما ذأضحكمتم ليقولن انما كنا نخوض) نحدث عن الركب (ونلعب)

قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلمم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامراضنا ولكن كنا في شيء مما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ﴿ قل بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ توبخنا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزام الحجية عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب ﴿ لا تعتذروا ﴾ لا تشتغلوا باعتذاركم فانها معلومة الكذب ﴿ قد كفرتم ﴾ قد اظهروا الكفر بايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والظعن فيه ﴿ بعد ايمانكم ﴾ بعد اظهاركم الايمان

فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلمم ذلك قالوا انما كنا نخوض ونلعب (قل) يا محمد (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فعملوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى ونجوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاركم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سرهم (قد كفرتم) قد اظهروا كفرهم باستهزائكم (بعدايمانكم)

نضحك فيما بيننا (قل) يا محمد لهم (أبالله وآياته) القرآن (ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا) بقولكم (قد كفرتم بعدايمانكم)

اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو ودعيه بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلمم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما يسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنتان منهم يستهزؤن بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه أنزل في اصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلمم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولوا انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب يقطعون الطريق بالعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلوين وأذى ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد هؤلاء المنافقين ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف بقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعدايمانكم ﴾ يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع الائمة عن الجاني قد كفرتم بعدايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلماذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعدايمانكم ان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعدايمانكم قلت معناه اظهروا الكفر بعدما كنتم قد اظهروا الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتفون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم

بعد اظهاركم الايمان (ان نغف عن طائفة منكم) بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين)
مصرين على النفاق غير تأبين منه ان يعف ﴿١٥٣﴾ تعذب طائفة غير {سورة براءة} عاصم (المنافقون والمنافقات)

الرجال المنافقون كانوا اثلاثمائة
والنساء المنافقات مائة
وسبعين (بعضهم من
بعض) أى كأنهم نفس
واحدة وفيه نفي ان يكونوا
من المؤمنين وتكذيبهم في
قولهم ومحلفون بالله انهم
لمنكم وتقرير لقوله وما هم
منكم ثم وصفهم بما يدل على
مضادة حالهم لجال المؤمنين
فقال (يا مسرون بالمنكر)
بالكفر والعصيان (ويهنون
عن المعروف) عن الطاعة
والايمان (ويقبضون
أيديهم) شيئا بالمبار والصدقات
والانفاق في سبيل الله
(نسوا الله) تركوا أمره
أو أغفلوا ذكره (فنسيم)
فتركهم من رحمة وفضله

مع ايمانكم (ان نغف
عن طائفة منكم) جهير بن
جير لانه لم يستهزئ معهم
ولكن ضحك معهم (نعذب
طائفة) وديعة بن جذام
وجد بن قيس (بانهم كانوا
مجرمين) مشركين في السر
(المنافقون) من الرجال
(والمنافقات) من النساء
(بعضهم من بعض) على
دين بعض في السر (يا مسرون
بالمنكر) بالكفر ومخالفة

﴿ان يعف عن طائفة منكم﴾ لتوبتهم واخلاصهم أو لتجنبتهم عن الايذاء والاستهزاء ﴿تعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين﴾ مصرين على النفاق أو مقدمين على الايذاء والاستهزاء * وقرأ
عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالياء والبناء على المفعول
ذها إلى المعنى كأنه قال ان ترجم طائفة ﴿المنافقون والمنافقات﴾ بعضهم من بعض ﴿أى متشابهة
في النفاق واليعد عن الايمان كأبغض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم
وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالمدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لجال المؤمنين
وهو قوله ﴿يا مسرون بالمنكر﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ويهنون عن المعروف﴾
عن الايمان والطاعة ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
﴿نسوا الله﴾ أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ﴿فنسيم﴾ فتركهم من فضله ولطفه

قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين
﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿ان نغف عن طائفة منكم﴾ تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ﴿
ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع
لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني
عنه رجل واحد وهو مخاشن بن حير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض
وقيل انه كان يمشى بجانبهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية
تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لأأزال أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعر
منها الجلود وتجذب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا
كفنت أنا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه ﴿قوله عز وجل
﴿المنافقون والمنافقات﴾ بعضهم من بعض ﴿يعنى انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون
على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انامك وأنت منى أى أمرنا
واحد لا مباينة فيه﴾ ﴿يا مسرون بالمنكر﴾ يعنى يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية
وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ويهنون عن المعروف﴾ يعنى عن الايمان
والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ويقبضون أيديهم﴾ يعنى عن الانفاق
في سبيل الله تعالى وفي كل خير ﴿نسوا الله فنسيم﴾ هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على
ظاهره لاننا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس في وسع البشر
دفعه وأيضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول
معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من
ثوابه ورحمته فخرج على من أوجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه
الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فبين ذكرهم بالرحمة
والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله

الرسول (ويهنون عن المعروف) (قا و خا ٢٠ لث) عن الايمان وموافقة الرسول (ويقبضون) يسكون
(أيديهم) عن النفقة في الخير (نسوا الله) تركوا طاعة الله في السر (فنسيم) خذلهم في الدنيا وتركهم في الآخرة في النار

(ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا
أن يلج بما يكسبه هذا الاسم { الجزء العاشر } الناحش الذي ﴿ ١٥٤ ﴾ وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم

وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار
جهنم خالدين فيها (هي)
مقدرين الخلود فيها (هي)
أى النار (حسبهم) فيه دلالة
على عظم عذابها وأنه بحيث
لا يزد عليه (ولعنهم الله)
وأهانهم مع التعذيب وجعلهم
مذمومين ملحقين بالشياطين
الملاعين (ولهم عذاب
مقيم) دائم معهم في العاجل
لا ينفك عن عذبه وهو
ما يقاسونه من تعب النفاق
والظاهر المخالف للباطن
خوفا من المسلمين وما
يحذرونه أبدا من الفضيحة
ونزول العذاب ان اطلع
على أسرارهم الكاف في
(كالذين من قبلكم كانوا
أشد منكم قوة وأكثر
بخلاتهم فاستمتعوا
بمخلاقهم فاستمتعتم بمخلاقكم

﴿ ان المنافقين هم الفاسقون ﴾ الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير ﴿ وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ﴾ مقدرين الخلود ﴿ هي حسبهم ﴾
عقبا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ﴿ ولعنهم الله ﴾ ابداهم من رحمته وأهانهم
﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ لا يقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق
﴿ كالذين من قبلكم ﴾ أى انتم مثل الذين أوفيتهم دليل ما فعل الذين من قبلكم ﴿ كانوا
أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا ﴾ بيان تشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿ فاستمتعتم
بمخلاقهم ﴾ نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فإنه ما قدر لصاحبه
﴿ فاستمتعتم بمخلاقكم ﴾

والإيمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى ﴿ ان المنافقين هم
الفاسقون ﴾ يعنى هم الخارجون عن الطاعة ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار ﴾
يقال وعده بالخير وعدا ووعد بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر ﴿ نار جهنم
خالدين فيها ﴾ فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعنى مقيمين فيها ﴿ هي حسبهم ﴾
يعنى هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الإيمان والطاعة ﴿ ولعنهم الله ﴾
يعنى وابدهم من رحمته وطردهم عن بابه ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ أى دائم لا يقطع فإن
قلت قوله خالدين فيها يعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فإمعناه قات ليس ذلك تكرارا
وبيان الفرق من وجهين الأول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلى
بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لأنه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم
وذلك يمنع من ضم شئ آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم
في الايلام ولا يتمتع ان يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهرير ونحوه ويكون
ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه
من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم
﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ كالذين من قبلكم ﴿ هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب
الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين
بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي
عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع أمره
لاجل طلب الدنيا عن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين
قوة وأكثر أموالا وأولادا فقال تعالى ﴿ كانوا أشد منكم قوة ﴾ يعنى بطشا ومنعة
﴿ وأكثر أموالا وأولادا ﴾ فاستمتعتم بمخلاقهم ﴿ يعنى فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات
ورضوا بها عوضا عن الآخرة والخلق النصيب وهو ما خلق الله للانسان وقدر له من خير
كأى قال قسم له ﴿ فاستمتعتم بمخلاقكم ﴾ وهذا خطاب للحاضرين يعنى فتمتعتم أيها المنافقون

(ان المنافقين هم الفاسقون)
الكافرون في السر (وعد الله
المنافقين) من الرجال
(والمنافقات) من النساء
(والكفار نار جهنم خالدين
فيها) مقيمين في النار (هي
حسبهم) مصيرهم
(ولعنهم الله) عذبهم الله
(ولهم عذاب مقيم) دائم (كالذين)
(وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا
بمخلاقهم) فاكلوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا (فاستمتعتم بمخلاقكم) فاكلتم بنصيبكم من الآخرة

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) محلها رفع أى أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أى تلذذوا بما لذوا الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ما خلق للإنسان بمعنى قدر من خير ﴿ ١٥٥ ﴾ (وخضتم) فى الباطل { سورة براءة } (كالذى خاضوا) كالفوج

الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوا والخوض الدخول فى الباطل واللهو والتمائم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) فى مقابلة قوله وآيناه أجره فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وثمود وقوم إبراهيم

فى الدنيا) (كما استمتع) كأكل (الذين من قبلكم) من المنافقين (بخلاقهم) بنصيبتهم من الآخرة فى الدنيا (وخضتم) فى الباطل (كالذى خاضوا) وكذبتم محمد صلى الله عليه

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ﴿ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتمائم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقْتفاء أثرهم ﴿ وخضتم ﴿ ودخلتم فى الباطل ﴿ كالذى خاضوا أو كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوه ﴿ أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ﴿ لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴿ الذين خسروا فى الدنيا والآخرة ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح ﴿ اغرقوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴿ اهلكوا بالريح ﴿ وثمود ﴿ اهلكوا بالرجفة ﴿ وقوم إبراهيم ﴿ اهلك عمرو وبعوض واهلك اصحابه

والكافرون بخلاقكم ﴿ كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ﴿ فان قلت ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم إعادة ذكره فى حق الاولين ثالثا * قلت فأنذته انه يذم الاولين بالاستمتاع بما أتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم فى الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا لالتأكيد وتقبیح فعلهم وفعل من شابههم فى فعلهم ﴿ وقوله تعالى ﴿ وخضتم كالذى خاضوا ﴿ معطوف على ما قبله ومستند اليه يعنى وسلكتم فى فعلكم مثل ما سلكوا فى اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رساله والاستهزاء بالمؤمنين ﴿ أولئك حبطت أعمالهم ﴿ يعنى بطلت أعمالهم ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴿ يعنى ان أعمالهم لانفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة بل يعاقبون عليها ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴿ والمعنى انه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ﴿ ق ﴿ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتوهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن ﴿ قوله عن وجعل ﴿ ألم يأتهم ﴿ رجع من الخطاب الى الغيبة يعنى ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أى قد أتاهم ﴿ ربنا ﴿ يعنى خبر ﴿ الذين من قبلهم ﴿ يعنى الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا أمرنا ووعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى ﴿ قوم نوح ﴿ يعنى أنهم اهلكوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴿ اهلكوا بالريح العقيم ﴿ وثمود ﴿ اهلكوا بالرجفة ﴿ وقوم إبراهيم ﴿ اهلكوا بسب النعمة وكان هلاك عمرو وبعوضه

وسلم فى السر كالذين خاضوا وكذبوا أنبياءه يعنى انبياء الله (أولئك حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم (فى الدنيا والآخرة) وأولئك هم الخاسرون (المقنون بالعقوبة) (ألم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم) كيف اهلكناهم (قوم نوح) اهلكناهم بالغرق (وعاد) قوم هو اهلكناهم بالريح (وثمود) قوم صالح اهلكناهم بالرجفة (وقوم إبراهيم) اهلكناهم بالهدم

وأصحاب مدين (وأهل مدين) وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وانشفاكهن انقلاب أحوالهن عن
الخير إلى الشر (أنتهم) { الجزء العاشر } رسلهم بالبينات ﴿ ١٥٦ ﴾ فما كان الله ليظلمهم (فاصح منه

﴿ أصحاب مدين ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾ قريات قوم لوط أنتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وانشفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر ﴿ أنتهم رسلهم ﴾ يعني الكل ﴿ بالبينات ﴾ فما كان الله ليظلمهم ﴿ أي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب ﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴿ في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الصلوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴿ في سائر الآمور

﴿ أصحاب مدين ﴾ وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾ يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يعرفون عليهم ويعرفون أخبارهم ﴿ أنتهم رسلهم بالبينات ﴾ يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجبل لكم النعمة كما عملت لهم ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ يعني بتجبل العقوبة لهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يعني أن الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴿ لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع العوید في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي المولاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة ﴿ فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فالقائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ يأمرون بالمعروف ﴿ يعني بالايان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة ﴿ وينهون عن المنكر ﴾ يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده ﴿ ويطيعون الصلوة ﴾ يعني الصلاة المفروضة وتمون أركانها وحدودها ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويطيعون الله ورسوله ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾

أن يظلمهم باهلاكم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التناصر والترامح (يأمرون بالمعروف) بالطاعة والايان (وينهون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويطيعون الصلوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله

(وأصحاب مدين) قوم شعيب أهلكناهم بالرجفة (والمؤتفكات) المكذبات المنخسفات يعني قوم لوط أهلكناهم بالخسف والحجارة (أنتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات فلم يؤمنوا بهم فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) يهلكهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الانبياء (والمؤمنون) المصدقون من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من النساء (بعضهم أولياء بعض) على دين بعض في السر والعلانية (يأمرون بالمعروف) بالتوحيد

واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المنكر) عن الكفر والشرك وترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (يعني) (ويطيعون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس (ويؤتون الزكاة) يعطون زكاة أموالهم (ويطيعون الله ورسوله) في السر والعلانية

الوعد في سائقكم منك يوما
(ان الله عزيز) غالب على
كل شئ قادر عليه فهو يقدر
على الثواب والعقاب (حكيم)
واضع كلامه موضعه (وعد
الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وما ساكن
طيبة) يطيب فيها العيش
وعن الحسن رحمه الله
قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الاحمر والزبرجد (في
جنات عدن) هو على بدليل
قوله جنات عدن التي
وعدا الرحمن وقد عرفت
ان الذي والى وضع الوصف
المعارف بالجل وهي مدينة

﴿ أولئك سيرجهم الله ﴾ لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب على كل
شئ لا يتمتع عليه ما يريد ﴿ حكيم ﴾ يضع الاشياء مواضعها ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وما ساكن طيبة ﴾ تستطيها النفس أو يطيب
فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر ﴿ في جنات
عدن ﴾ اقامة وخلود وعنده عليه الصلاة والسلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعد لكل واحد أو للجميع

يعنى فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم ﴿ أولئك ﴾ يعنى المؤمنين والمؤمنات
الموصوفين بهذه الصفات ﴿ سيرجهم الله ﴾ لما ذكر الله ما وعده المنافقين من العذاب
في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان
والسين في قوله سيرجهم الله للمبالغة والتوكيد ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ وهذا يوجب
المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذى لا يتمتع عليه شئ أراد فهو قادر على
ايصال الرحمة لمن أراد وايصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذى يدبر عباده على ما يقتضى
العدل والانصاف ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ﴾ لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم
من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعده المؤمنين من الخير والثواب
والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتخير في حسناتها الناظر لانه
سبحانه وتعالى قال وما ساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف
عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات
عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخر هي البساتين التي يتزهون فيها فهذه
قائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما ﴿ وما ساكن طيبة ﴾ يعنى
ومنازل يسكنونها طيبة ﴿ في جنات عدن ﴾ يعنى في بساتين خلدوا اقامة يقال عدن بالمكان
اذا قام به ﴿ روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وما ساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك
القصر سبعون دارا من ياقوتة حراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت
سبعون سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين
وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون
وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع ﴿ وروى بسنده
عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التي لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من نبي آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين
والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صححت هذه الرواية
فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعنى دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن

(أولئك سيرجهم الله)
لا يعذبهم الله (ان الله عزيز)
في ملكه وسلطانه (حكيم)
في أمره وقضائه (وعد الله
المؤمنين) المصدقين
من الرجال (والمؤمنات)
المصدقات من النساء
(جنات) بساتين (تجري
من تحتها) من تحت شجرها
ومساكنها (الانهار)
أنهار الخمر والماء والعسل
واللبن (خالدين فيها)
مقيمين في الجنة (وما ساكن
طيبة) منازل حسنة قد طيبها
الله بالمسك والريحان ويقال
عدن (درجة العليا

جيلة ويقال طاهرة ويقال عامرة (في جنات

على سبيل التوزيع أو الى تعابير وصفه وكأنه وصفه أو لآبانه من جنس ما هو أبهى
 إلا ما كن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب
 العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شئ منها أما كن الدنيا وفيها ما تشبه
 النفس وتلد الاعين ثم وصفه بأنه دار اقامة وثبات في جوار العبد لا يعتر بهم فيها
 فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ لأنه المبدأ
 لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام
 ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطينا
 ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون وأي شئ افضل من
 ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ﴿ ذلك ﴾ أى الرضوان أو جمع
 ما تقدم ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ الذى يستحقه دونه الدنيا وما فيها ﴿ يأياها النبي جاهد
 الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالزام الحجبة واقامة الحدود

في الجنة (ورضوان من
 الله) وشئ من رضوان الله
 (أكبر) من ذلك كله لان
 رضاه سبب كل فوز وسعادة
 (ذلك) اشارة الى ما وعداؤ
 الى الرضوان (هو الفوز
 العظيم) وحده دون ما يعده
 الناس فوزا (يأياها النبي
 جاهد الكفار) بالسيف
 (والمنافقين) بالحجبة

دار أصفاء الله التي أعدها لا و آيائه وأهل طاعته والمقرين من عباده ﴿ عن أبي موسى الأشعري
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
 آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الراء الكبرياء على وجهه في جنة
 عدن أخرجه البخارى ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها
 وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج له
 خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر
 في الجنة خيامه على حاقته وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسليم
 والجنان حولها محدقة بها وهى مغطة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء
 والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب
 فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كسبان المسك الابيض قال الامام فخر
 الدين الرازى حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين
 في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشف وعدن علم بدليل
 قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثانى أنه صفة للجنة قال الأزهرى
 العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا قام به يعدن عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات
 كلها جنات عدن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ورضوان من الله أكبر ﴿ يعنى ان رضوان الله
 الذى ينزله عليهم أكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ اشارة الى
 ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون
 ليك ربنا وسعديك والخير كله في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا
 وقد اعطينا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول ألا اعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شئ
 أفضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط بفسده عليكم ابدا ﴿ قوله سبحانه
 وتعالى ﴾ يأياها النبي جاهد الكفار ﴿ يعنى بالسيف والحاربة والقتال ﴿ والمنافقين ﴾

(ورضوان من الله أكبر)
 رضا ربهم أعظم مما هم فيه
 (ذلك) الذى ذكرت
 (هو الفوز العظيم) النجاة
 الوافرة (يأياها النبي جاهد
 الكفار) بالسيف
 (والمنافقين) باللسان

(واغلظ عليهم) في الجهادين جيعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمم من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لأخواننا الذين خلفناهم وهم ﴿ ١٥٩ ﴾ ساداتنا فنحن { سورة براءة } شر من الحخير فقال عامر بن

قيس الانصاري للجلاس ﴿ واغلظ عليهم ﴾ في ذلك ولا تحابهم ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ مصيرهم ﴿ يخلفون بالله ما قالوا ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لأخواننا حقا لنحن شر من الحخير فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستمضه فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ﴾ واطهروا والكفر

يعنى وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه فان لم يستطع فليكفره في وجهه وقال الحسن وقادة باقامة الحدود عليهم يعنى اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذاتعلق بالنافاق وانما قال الحسن وقادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجية عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهاز تارة وهذا هو قول ابن مسعود ﴿ واغلظ عليهم ﴾ يعنى شدد عليهم بالجهاد والارهاب ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ يعنى ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمهم بمخالفتهم قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بتتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال انى مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطل لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكّل سرّتهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون ﴿ قوله عز وجل ﴾ يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ﴿ اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن

قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمد صادق وأنت شر من الحخير وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمضه فحلف بالله ما قال فرجع عامريده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل ﴿ يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ﴾ يعنى ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحخير أوهى استهزأؤهم فقال الجلاس يارسول الله والله لقد قتلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم

(واغلظ) اشد (عليهم) على كلالا الفرقين بالقول والفعل (ومأواهم جهنم) مصيرهم جهنم (وبئس المصير) صاروا اليه (يخلفون بالله ما قالوا) حلف بالله جلاس بن سويد ماقلت الذى قال على عامر ابن قيس (ولقد قالوا كلمة

الكفر) كلمة الكفار لقوله حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عيب المنافقين وما فيهم قال والله لئن كان محمد صادقا فيما يقول في اخواننا لنحن أشر من الحخير فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن قيس عن قوله فحلف بالله ماقلت فكذب الله وقال ولقد قالوا كلمة الكفر (وكفروا بعد اسلامهم)

بعد اظهار الاسلام ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم

الزبير نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمدا حقا لنحن شر من جرننا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لا يخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وحفت ان ينزل في القرآن أو ان تصيبن قارعة أو ان أخط بخطيتك فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان أخط بخطيتك أو تصيبن قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب فخلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل أزرق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشمتي أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بصاحبه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبدالله بن أبي ابن سلول للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بهارجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بقبو فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمدا صادقا لنحن شر من الحير فلما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله على فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منافق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمنين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان توبوا بك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد الاسلام يعني أظهروا كلمة الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فليل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمدا صادقا لنحن شر من الحير وقيل هي كلمة عبدالله بن أبي بن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستأتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وهموا بما لم ينالوا ﴿ قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشيته

الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم (وهووا بما لم ينالوا) من قتل محمد عليه الصلاة والسلام أو قتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهموا بما لم ينالوا) أرادوا قتل الرسول واخراج الرسول ولم يقدروا على ذلك

(وما تكفروا) وما تكفروا
 وما عابوا (الآن أغناهم الله
 ورسوله من فضله) وذلك
 انهم كانوا حين قدم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 المدينة في ضنك من العيش
 لا يركبون الخيل
 ولا يجوزون الغنمية فأثروا
 بالغنائم وقتل للجلاس
 مولى قامر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بدينه
 اثني عشر ألفاً فاستغنى
 (فان يتوبوا) عن النفاق
 (بك) الثواب (خير اللهم)
 وهي الآية التي تاب عندها
 الجلاس (وان يتولوا)
 يصروا على النفاق (يعذبهم
 الله عذاباً أليماً في الدنيا
 والآخرة) بالقتل والنار
 (وما لهم في الارض من ولى
 ولا نصير) نجيبهم من العذاب
 (وما تكفروا) وما طعنوا على
 النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه (الآن أغناهم
 الله ورسوله من فضله)
 بالغنمية (فان يتوبوا) من
 الكفر والنفاق (يك خيراً
 لهم) من الكفر والنفاق
 (وان يتولوا) عن التوبة
 (يعذبهم الله عذاباً أليماً)
 وجيعاً (في الدنيا والآخرة)
 وما لهم في الارض من
 ولى (حافظي حفظةهم) ولا
 نصير) مانع عنهم بما يراد

توافقوا عند سرجه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر رحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ
 عمار بن ياسر بخنطام رحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فيبينهما كما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
 اخفاف الابل وقمقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وأخرجوا المومنين
 من المدينة أو بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 ﴿ وما تكفروا ﴾ وما تكفروا أو ما وجدوا ما يورث نعمتهم ﴿ الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ﴾
 فان اكثر اهل المدينة كانوا محايوج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى قامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدينه
 اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل أو العلل ﴿ فان يتوبوا يك
 خيراً لهم ﴾ هو الذي حل الجلاس على التوبة والضمير في بك للتوب ﴿ وان يتولوا ﴾
 بالاصرار على النفاق ﴿ يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ﴾ بالقتل والنار ﴿ وما لهم
 في الارض من ولى ولا نصير ﴾ فينجيهم من العذاب

ان يفشها عليه وقيل هم عبد الله بن ابي بن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة
 فلم ينله وقيل هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا
 على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان
 يرسل اليهم من يضرب وجوه وراجلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون
 اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن ابي بن سلول تاجاً فلم يصلوا اليه ﴿ وما
 تكفروا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ يعني وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم شيئاً الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا ابضد الواجب فعملوا
 موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم أن تكفروا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فتكفروا أشرأ
 وبطرا وقال ابن قتبية معناه ليس يتكفرون شيئاً ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر
 مانقم الناس من أمة الا ما انهم يحلمون ان غضوا

وهذا ليس مما ينقم وانما أردان الناس لا ينقمون عليهم شيئاً فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بين فلول من قراع الكتاب

اي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك
 من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام
 عاماً وقال عمروة كان الجلاس قتل له مولى قامر له النبي صلى الله عليه وسلم بدينه
 فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم له وقال عكرمة ان مولى ابني عدى قتل رجلاً من الانصار فقضى له النبي صلى الله
 عليه وسلم بالدية اثني عشر الفاً وفيه نزلت وما تكفروا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
 ﴿ فان يتوبوا يك خيراً لهم ﴾ يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيراً لهم
 في العاجل والآجل ﴿ وان يتولوا ﴾ يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا
 على النفاق والكفر ﴿ يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا ﴾ يعني بالخزي والاذلال
 ﴿ والآخرة ﴾ أي ويعذبهم في الآخرة بالنار ﴿ وما لهم في الارض من ولى ولا نصير ﴾

(ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا تطيقه { الجزء العاشر } فراجعه ﴿ ١٦٢ ﴾ وقال والذي بعثك بالحق ان رزقني

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴾

يعنى وليس لهم أحد عنهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴿ الآية روى البغوى بسند الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي رضى الله تعالى عنه قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيرا من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال دعى ذهباً وفضة لسارت ثم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني ما لا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله ما لا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا قال فاتخذ غنما فبعت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتمشى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمى كما ينمى الدود فكان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والصبر ويصلى في غنم سائر الصلوات ثم كثرت وغت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت وغت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج فتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسمعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا وبيح ثعلبة يا وبيح ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذان وقول لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسع بها السلمى فنظر الى خيار أسنان الله ففعلها للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأيا قال ما هذه عليك قال خذها فان نفسى بذلك طيبة فقرأ على الناس وأخذوا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية اذها حتى أرى رأيى قال فاقبل فلما آههما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلما يا وبيح ثعلبة يا وبيح ثعلبة ثم دعا السلمى بخير فآخبراه بالذى صنع ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى آتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منى ان أقبل

مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فبعت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل كثير ماله حتى لا يسمع واد فقال يا وبيح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلها الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا وبيح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منى ان أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضى الله عنه (لئن آتانا من فضله) أى المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لقرها منها

بهم (ومنهم) من المنافقين (من عاهد الله) حلف بالله يعنى ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة (لئن آتانا) أعطانا (منك) (من فضله) المال الذى له بالاشام (لنصدقن) فى سبيل الله لنؤدين منه حق الله ولنصلن به الرحم

ولنكونن من الصالحين ﴿ نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراحمه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ عنما فتمت كما نبي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل كثير ماله حتى لا يسمعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومر بثعلبة فسألاه الصدقة واقراه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الاجزية ما هذه الاخت الجزية فارجمها حتى ارى رأبي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فحمل التراب يحمو على رأسه فقال هذا عمالك قد امرتك فلم تطعني فقبح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخاء بها الى ابي بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها

منك صدقتك فجعل يحمو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمالك قد امرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبابكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانالا أقبلها فقبح أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولى عمر أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فانالا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولى عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانته له على قوله انا هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا تمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يشاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقته منه ووصلت القرابة فات ابن عمه فورث منه مالا فبى بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملاقعة فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلاجه وقال ابن السائب ان ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فباطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولا صلن فلما آتاه ذلك المال لم يرف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يرف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ونخرجن من ذلك المال صدقته ﴿ ولنكونن من الصالحين ﴾ يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم

(ولنكونن من الصالحين)
باخراج الصدقة

(ولنكونن من الصالحين)
من الحامدين

الى عمر رضى الله تعالى عنه في خلافته فإقبلها واهلك في زمان عثمان رضى الله تعالى عنه ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ منعو الحق الله منه ﴿ وتولوا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وهم معرضون ﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض عنها ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للخل والمعنى فاورثهم النحل نفاقا متمكنا في قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يلقون الله بالموت أو يلقون علمه أى جزاءه وهو يوم القيامة ﴿ بما أخلفوا الله ما وعده ﴾ بسبب اخلافهم ما وعده من التصديق والصلاح ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ وبكونهم كاذبين فيه وان خلف الوعد متضمن للكذب مستقيم من

من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصلاح ضد المفسد والمفسد هو الذى يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لتصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولتكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ يعنى فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا ﴿ وتولوا ﴾ يعنى عما عهدوا الله عليه ﴿ وهم معرضون ﴾ يعنى عن العهد ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ يعنى فاعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقت فلانا فنادما اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافقونه على النفاق فيجازيهم عليه ﴿ بما أخلفوا الله ما وعده ﴾ يعنى الصدقة والانفاق في سبيله ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ يعنى في قولهم لتصدقن ولتكونن من الصالحين ﴿ عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آيتا لمنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أشتم خان ﴿ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالسا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عهد غدر واذا وعد أخلف واذا خصم فجر ﴿ قال الشيخ محي الدين النوى هذا الحديث بما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسبل المصدق الذى ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذى قاله المحققون والاكثر هو الصحيح المختار أن معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وأتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لأنه منافق في الاسلام فيظهره وهو بطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الاسفل من النار وقوله

(فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا منهاهم (بخلوا به) منعو الحق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) معرضون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم النحل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون) بسبب اخلافهم ما وعده الله من التصديق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف

(فلما آتاهم) الله أعطاهم (من فضله) المال الذى له بالشام (بخلوا به) بما وعدوا من حق الله (وتولوا) عن ذلك (وهم معرضون) مكذبون (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فجعل عاقبته على النفاق (الى يوم يلقونه) الى يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعده) بما أخلف وعده (وبما كانوا يكذبون)

أسروه من النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتديير منعها (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلزون المطوعين) يعيرون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين

وبكذبه بما قال (الم يعلموا) يعنى المنافقين (ان الله يعلم سرهم) فيما بينهم (ونجواهم) خلوتهم (وان الله علام الغيوب) ما غاب عن العباد (الذين يلزون المطوعين

الوجهين أو المقاتل مطلقاً وقرى يكذبون بالتشديد ﴿الم يعلموا﴾ أى المنافقون أو من عاهد الله «وقرى» بالياء على الالتفات ﴿ان الله يعلم سرهم﴾ ما أسروه في انفسهم من النفاق أو العزم على الاخلاف ﴿ونجواهم﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية ﴿وان الله علام الغيوب﴾ فلا يخفى عليه ذلك ﴿الذين يلزون﴾ ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم «وقرى» يلزون بالضم ﴿المطوعين﴾ المتطوعين ﴿من المؤمنين﴾ في الصدقات ﴿روى انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لى اربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق

صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبه عليه فأما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصل فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فأنهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا واثموا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فآخفوا وفجروا في خصوصاتهم وهذا قول سعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح ورجع اليه الحسن البصرى بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر وروياه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض واليه مال أكثر أئمتنا وحكى الخطابي قولاً آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام فخر الدين الرازى ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿الم يعلموا﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿ان الله يعلم سرهم﴾ بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفى من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شئ منها ﴿وان الله علام الغيوب﴾ وهذا ما بغة في العلم يعنى ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه احوالهم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ الآية (ق) عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فقالوا امراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجحدون الاجهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله ما لى ثمانية آلاف درهم

من المؤمنين في الصدقات) يطعنون على عبدالرحمن وأصحابه في الصدقات يقولون ما جاء هؤلاء بالصدقات الارياء وسمعة

ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجحدون الاجهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما را حدوقيل { الجزء العاشر } الجهد الطاقة ﴿ ١٦٦ ﴾ والجهد المشقة وجاء ابو عقيل بصاع

من تمر فقال بت ليلتي أجز بالجرير على صاعين فتركت صاعا ليعالي وجئت بصاع فلزمه المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وأما صاع أبي عقيل فالله غنى عنه (فيسخرون منهم) فيهزؤن (سخر الله منهم) جازاهم على سخرتهم وهو خير غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبدالله بن عبدالله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لايه في مرضه نزل (استغفر لهم أولا تستغفر لهم) وقد مر ان هذا الامر في معنى الخبر كأنه قيل ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) والسبعون (والذين لا يجحدون الا جهدهم) ويطعنون على الذين لا يجحدون الا طاقتهم وكان هذا بأعقيل عبد الرحمن بن تيمان لم يجحد الا صاعا من تمر (فيسخرون منهم) بقله الصدقة يقولون ما جاء به الا لذكره وبه طي من الصدقة أكثر مما جاء به (سخر الله منهم) عليهم يوم القيامة في الآخرة يفضح

عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي أجز بالجرير على صاعين فتركت صاعا ليعالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلزمه المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احبان يذكر نفسه ليعطي من الصدقات فترت ﴿ والذين لا يجحدون الا جهدهم ﴾ الا طاقتهم وقرى بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه ﴿ فيسخرون منهم ﴾ يستهزؤن بهم ﴿ سخر الله منهم ﴾ جازاهم على سخرتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ على كفرهم ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ﴾ يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كائن عليه بقوله ﴿ ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم ﴾ روى ان

هجتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت أربعة آلاف ليعالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجعاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجز بالجرير الماء حتى تلت صاعين من تمر فامسكت احدهما ليعالي وأنتيك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلزمه المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكن أحب ان يذكر نفسه ليعطي من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلزون يعيرون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التفضل بما ليس بواجب عليه ﴿ والذين لا يجحدون الا جهدهم ﴾ يعني بأعقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل انما أخرجه عن ضعف وجهه وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿ فيسخرون منهم ﴾ يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ سخر الله منهم ﴿ يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخرتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم ﴿

الله لهم بابا الى الجنة (ولهم عذاب أليم) وجميع في الآخر (استغفر لهم) يقول ان تستغفر لعبد الله بن أبي (قال) وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم نحو سبعين رجلا (أو لا تستغفر لهم) سواء عليهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم

جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وان باغت ﴿ ١٦٧ ﴾ في الاستغفار فلن يغفر الله { سورة براءة } لهم وقد وردت الاخبار

بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لاعلى التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقيل مادون الثلاث والكثير الثلاث فافوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيها أوتار اثنان وثلاثة واشفاء ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اثناعشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر بها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكال حساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك)

عبدالله بن عبدالله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فبذرت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدن على السبعين فبذرت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين المدد المخصوص لانه الاصل فيجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبينه ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد بأسره ﴿ ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ﴾ اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس ليجل منا ولا تصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه

قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلماذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴿ ق ﴾ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قيصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ﴿ يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفو عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿ قوله عز وجل

اشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) ولا يغفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين

ذلك (العداب) بانهم كفروا بالله ورسوله (في السر) (والله لا يهدي) لا يغفر (القوم الفاسقين) المنافقين عبدالله بن ابي

عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلمهم ونفاقهم والشيطان (بمقدمهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال اى قعدوا لمخالفته أو مخالفتين له (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) لم يفعلوا { الجزء العاشر } ما فعله المؤمنون ﴿ ١٦٨ ﴾ من بذل أموالهم وارواحهم

في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا في الحر) قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تبيطان (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقه بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل (فليضحكوا قليلا وليكفوا كثيرا) أى فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويكفون كثيرا اجزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يكون في النار عبر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتملون بنوم

وأصحابه (فرح المخلفون رضى المنافقون (بمقدمهم) بتخلفهم عن غزوة تبوك (خلاف رسول الله) خلف رسول الله (وكرهوا أن

لا ينقطع ولا يهتدى والتنبه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والمنوع هو الاستغفار بعد العلم بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴿ فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله ﴾ بقعودهم عن الغزو وخلفه يقال اقام خلاف الحى أى بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ﴾ اشارة للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ أى قاله بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تبيطان ﴿ قل نار جهنم اشد حرا ﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿ لو كانوا يفتقون ﴾ ان ما بهم اليها وانها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة ﴿ فليضحكوا قليلا وليكفوا كثيرا

﴿ فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله ﴾ يعنى فرح المخلفون عن غزوة تبوك والخلف المتروك بمقدمهم يعنى بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعنى بعده وعلى هذا المعنى خلاف يعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قدامهم بالخروج الى الجهاد فاختراروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ﴾ والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر أن نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قل ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحرب شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا في الحر فقال عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفتقون فأمره الله تعالى بالخروج ﴿ فليضحكوا قليلا ﴾ يعنى فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا القانية بمقدمهم خلافة ﴿ وليكفوا كثيرا ﴾ يعنى مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان

(معناه) يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) في طاعة الله (وقالوا) وقال بعضهم لبعض (لا تنفروا في الحر) (معناه) لا تخرجوا مع محمد صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك في الحر الشديد (قل) لهم يا محمد (نار جهنم أشد حرا) (جرا) (لو كانوا يفتقون) يفهمون ويصدقون (فليضحكوا قليلا) في الدنيا (وليكفوا كثيرا) في الآخر

(جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) أي ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك) ١٦٩ ﴿ للخروج ﴾ الى غزوة { سورة براءة } بعده غزوة تبوك (فقل ان

جزاء بما كانوا يكسبون ﴿ اخبار عما يؤل اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجهم على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كناية عن السرور والغم والمراد من القلة العدم ﴿ فان رجعت الله الى طائفة منهم ﴾ فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني مناقبهم فان كلهم لم يكونوا مناقبين أو من بقي منهم فكان المتخلفون اثني عشر رجلا ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ الى غزوة أخرى بعد تبوك ﴿ فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقابلوا معي عدوا ﴾ اخبار في معنى النهي للمبالغة ﴿ انكم رضيتم بالقعود اول مرة ﴾ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان ﴿ وقرئ مع الخالفين على قصر الخالفين ﴾ ولا تصل على احد منهم مات ابدا ﴿

معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قابل بالنسبة الى بركاتهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الثاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل ﴿ جزء بما كانوا يكسبون ﴾ يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ﴿ وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطعوا أن تبكوا فتابوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلوان سقنا أجريت فيها الحرت ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فان رجعت الله ﴾ يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه ﴿ الى طائفة منهم ﴾ يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعذار ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى ﴿ فقل لن تخرجوا معي ابدا ﴾ يعني فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقبوعون على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا لا الى غزوة ولا الى سفر ﴿ ولن تقابلوا معي عدوا انكم ﴾ يعني لانكم ﴿ رضيتم بالقعود اول مرة ﴾ يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمي وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على الرجل اذا ظهر منه مكروه وخداع وبدعة يجب الانتطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذنوبهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكربهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تصل على احد منهم مات ابدا ﴿

بالتعود) بالجلوس (أول مرة) في أول مرة من (قا و خا ٢٢ لث) غزوة تبوك (فاقعدوا) عن الجهاد (مع الخالفين) مع النساء والصبيان (ولا تصل على احد منهم) من المنافقين بعد عبد الله بن أبي وقعاء على عبد الله بن أبي

أباه في قيصه ويصلى عليه فقيل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا يفتعه وكنت أرجو أن يؤمن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روى انه أسلم ألب من الخزرج للارأوه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظرف

(جزاء بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون من المعاصي (فان رجعت الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) من المنافقين بالمدينة (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى (فقل) لهم يا محمد (لن تخرجوا معي ابدا) بعد غزوة تبوك (ولمن تقابلوا معي عدوا انكم رضيتم

بالجلوس) بالجلوس (أول مرة) في أول مرة من (قا و خا ٢٢ لث) غزوة تبوك (فاقعدوا) عن الجهاد (مع الخالفين) مع النساء والصبيان (ولا تصل على احد منهم) من المنافقين بعد عبد الله بن أبي وقعاء على عبد الله بن أبي

زوى ابن ابى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي بلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قيصه ليكفن فيه وذهب
ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن الكفن في قيصه ونهى عن الصلاة
عليه لان الضئنة بالقبص كانت محلا بالكرم ولا بد كان مكافاة لالباسه

الآية قول قتادة بث عبد الله بن أبى بن ساول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مريض ليأتيه قول فيها عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال أهلك حب اليهود فقال يا نبي الله انى لم أبعث اليك لتؤنبنى ولكن
بعثت اليك لتستغفر لى وسأله قيصة أن يكفن فيه فأعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأت فكفنه في قيصه صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله
سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على تبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لما مات عبد الله بن أبى بن ساول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى
عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فمات يا رسول الله أتصلى على بن أبى
ابن ساول وقد قول يوم كذا وكذا أكد أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أخرنى يا عمر فلما كثرت عليه قال انى خيرت فاخبرت لواء علم أنى ان زدت على السبعين
يغفر له لزدت عليه اقول فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يكث
الا سير احتى نزلت الآياتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى
قوله وهم فاستقون قال فجمبت به من جرائى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله
ورسله أعلم واخرجه الترمذى وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق
ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر رضي الله عنه قال أنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبته
ونفث فيه من ريقه وألبسه قيصة والله أعلم وكان كساعبا قيصا قال سفیان وقل
أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس
عبد الله قيصة الذى بلى جلدك قال سفیان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله
قيصة مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالعباس
ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قيصا فوجدوا قيصة عبد الله بن أبى بقدر
عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قيصة الذى ألبسه

فصل

قد وقع في هذه الاحاديث التى تتضمن قصة موت عبد الله بن أبى بن ساول
المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفى عبد الله
ابن أبى بن ساول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قيصة
ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فأعطاه قيصة وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من أفراد
البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفي حديث جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبته ونفث

لتصل وكان عليه السلام
اذا دفن الميت وقف على قبره
ودعاه فقيل

العباس قيصه حين اسرى بدر والمراد من الصلاة السماء للميت والاستغفاره وهو ممنوع في حق الكفار ولذلك رتب النهي على قوله مات ابداعي

عليه من ريقه وألبسه قيصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم أعطاه قيصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قيصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعد الله بن أبي تطييا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه في مرضه وانه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قيصه وأن يصلى عليه فاعطاه قيصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جده ودلاه في حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فوافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المناقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا اثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة وأشرفهم صدرا وكان أبر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يومئذ النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك تعلم أني من أبر الناس بابي وأن أمرتي أن أتيتك رأسه فملت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تفوق عنه وكان من أحرس الناس على اسلام أبيد وعلى أن يتنفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبو سفيان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قيصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله أن يصلى عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا فاعطاه واطلبته وقول عمر تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق ان عروقه في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفروا لهم ولا تستغفروا لهم وهذا التاويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقه هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي

الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ لتعليل للنهي أو لتأييد الموت ﴿ ولا تعجبك أموالهم واولادهم ﴾

وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن ابن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفرله لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاجاديث يفسر بعضها بعضا ويقيدها بعضها فذلك قال لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفرله لزدت فقد علم أنه لا يغفرله وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهى عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا يقع وغايته وان وقع كان تطيبا لقلوب الاحياء من قراياتهم فان فصل الاستغفار المنهى عنه من المخير فيه وارفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ محي الدين النووي انما أعطاه قيصة ليكفنه فيه تطيبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأله ذلك فأجابه اليه وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسروهم بدر قيصة وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاءه وقابله بالحسنى وألبسه قيصة كفنا وصلى عليه واستغفرله قال الله سبحانه وتعالى وانك لملي خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافئه بها ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قيصى وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروي انه أسلم ألف من قومه لمارأوه يتبرك بقيصى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ وهذا لتعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فالفائدة في وصفه بكونه فاسقا بعد ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضر لاحد سوا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واخمار السوء للقبور وهذا أمر مستقيم عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الحيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تعجبك أموالهم واولادهم ﴾

(ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) لتعليل للنهي اى انهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تعجبك أموالهم واولادهم)

(ولا تقم على قبره) ولا تقف على قبره (انهم كفروا بالله ورسوله) في السر (وماتوا وهم فاسقون) منافقون (ولا تعجبك) يا محمد (أموالهم) كثرة أموالهم (واولادهم) ولا كثرة اولادهم

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كفرون * تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس معتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول * واذا انزلت سورة * من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها * ان آمنوا بالله * بان آمنوا بالله ويجوز ان يكون ان مفسرة * وجاهدوا مع رسوله

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كفرون * الكلام على هذه الآية في مقامين * المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل اولاً وتأكيداً كيداً واردة ان يكون المخاطب به على بال ولا ينفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل أيضاً انما كرر هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوماً من المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواماً آخرين منهم * المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلها هذا أني بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى انما يريد الله ان يعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا ان يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبية على أن التعليل في أحكام الله محال وانه انما ورد حرف اللام فمعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمر واللا يعبدوا الله ومعناه وما أمر والابان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا وانفائدة في اسقاط لفظ الحياة التنبية على أن الحياة الدنيا بانغت في الخسلة الى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبياً على كمال دنائها فهذه جل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله عز وجل * واذا أنزلت سورة * يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتتة على الامر بالايمان والامر بالجهد * أن * أي بان * آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله * فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد في كل

انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهد انفسهم وهم كفرون (التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة تمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضها (أن آمنوا بالله) بان آمنوا أو هي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله

(انما يريد الله ان يعذبهم بها) في الآخرة (وتزهد انفسهم) تخرج ارواحهم (في الدنيا وهم كفرون) مقدم ومؤخر (واذا انزلت سورة) من القرآن وأمرها فيها (ان آمنوا بالله) صدقوا بايمانكم بالله (وجاهدوا مع رسوله

استأذك أولو الطول منهم (ذو الفضل والسعة) وقالوا ذرنا منكم مع النساءين) مع الذين لهم عذر في التخلف
 كالمرضى والزمنى (رضوا بان يكونوا مع الخوالب) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر
 والنفاق (فهم لا يفقهون) { الجزء العاشر } ما فى الجهاد ❦ ١٧٤ ❦ من الفوز والسعادة وما

فى التخلف من الهلاك
 والشقاوة (لكن الرسول
 والذين آمنوا معه جاهدوا
 بأموالهم وأنفسهم) أى
 أن تخلف هؤلاء فقد نهض
 الى الغزو من خير منهم
 (وأولئك لهم الخيرات)
 تناول منافع الدارين
 لا طلاق اللفظ وقيل
 الحور لقوله فيهن خيرات
 (وأولئك هم المفلحون)
 الفأززون بكل مطلوب
 (أعد الله لهم جنات تجري
 من تحتها الأنهار خالدون
 فيها ذلك الفوز العظيم)

استأذك (يا محمد
 أولو الطول) ذوو الغنى
 (منهم) من المنافقين عبد الله
 ابن أبى وجدين قيس ومعتب
 ابن قشير (وقالوا ذرنا)
 يا محمد (نكن مع القاعدين)
 بغير عذر (رضوا بان يكونوا
 مع الخوالب) من النساء
 والصبيان (وطبع) ختم
 (على قلوبهم فهم لا يفقهون)
 لا يصدقون أمر الله (لكن
 الرسول) محمد صلى الله عليه
 وسلم (والذين آمنوا)
 فى السر والعلانية (معه
 جاهدوا بأموالهم وأنفسهم)

استأذك أولو الطول منهم ❦ ذوو الفضل والسعة ❦ وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ❦ الذين
 قدموا لعذر ❦ رضوا بان يكونوا مع الخوالب ❦ مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى
 لا خير فيه ❦ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ❦ ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
 وما فى التخلف عنه من الشقاوة ❦ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم
 وأنفسهم ❦ أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ❦ وأولئك
 لهم الخيرات ❦ منافع الدارين النصر والغنية فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة
 وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة ❦ وأولئك
 هم المفلحون ❦ الفأززون بالمطالب ❦ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
 خالدون ❦ بيان لما لهم من الخيرات الاخروية

ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون
 والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر
 بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلاً فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم
 ان تؤمنوا بالله أولاً وتجاهدوا مع رسوله ثانياً حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع
 عليكم نفعها فى الدنيا والآخرة ❦ قوله سبحانه وتعالى ❦ استأذك أولو الطول منهم ❦
 قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم
 رؤساء المنافقين وكبرائهم وفى تخصيص أولى الطول بالذكر قولان أحدهما ان الذم
 لهم أزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول
 بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان ❦ وقالوا ❦ يعنى أولى
 الطول ❦ ذرنا نكن مع القاعدين ❦ يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى
 والزمنى ❦ رضوا بان يكونوا مع الخوالب ❦ قيل الخوالب النساء اللواتى تخلفن فى البيوت
 فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالب
 جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم ❦ وطبع
 على قلوبهم فهم لا يفقهون ❦ يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون
 مراد الله فى الامر بالجهاد ❦ قوله سبحانه وتعالى ❦ لكن الرسول والذين آمنوا معه
 جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ❦ أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير
 منهم يعنى الرسول والمؤمنين ❦ وأولئك لهم الخيرات ❦ منافع الدارين النصر والغنية
 فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى
 جمع خيرة تخفيف خيرة ❦ وأولئك هم المفلحون ❦ أى الفأززون بالمطالب ❦ قوله
 سبحانه وتعالى ❦ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون ❦ فى ذلك الفوز العظيم ❦

فى سبيل الله (وأولئك لهم الخيرات) الحسنات المقبولات فى الدنيا ويقال الحواري فى الآخرة (وأولئك) بيان)
 هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (أعد الله لهم جنات) بساتين (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الأنهار)
 أنهار الخمر والماء والعلس واللبن (خالدون فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ذلك) الذى ذكرت (الفوز العظيم)

قوله أعد دلائل على أنها مخلوقة (وجاء ﴿ ١٧٥ ﴾ المذنبون من الاعراب { سورة براءة } أيؤذن لهم) هو من عذر

في الامر اذا قصر فيه وتواني و
حقيقته ان يوم ان له عذرا فيما
فعل ولا عذرا لهما والمعتذرون
بادغام التاء في الذال ونقل
حركتها الى العين وهم الذين
يعتذرون بالباطل قيل هم
أسدو غطفان قالوا ان لنا عيالا
وان بنا جهدا فأذن لنا
في التخلف (وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله) هم
منافقوا الاعراب الذين
لم يجيؤا ولم يعتذروا فظهر
بذلك انهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الايمان (سيصيب
الذين كفروا منهم) من
الاعراب (عذاب اليم) في
الدنيا بالقتل وفي الآخرة

النجاة الوافرة فازوا
بالجنة وما فيها ونجوا من
النار وما فيها (وجاء اليك
يا محمد) المذنبون (مخففة
من كان له عذر) من الاعراب
من بنى غفار وان قرأت
المعتذرون مشددة
يعنى من لم يكن له عذر
(ليؤذن لهم) لكي يأذن لهم
رسول الله بالتخلف عن
غزوة تبوك (وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله)
في السر ويقال خالفوا الله
ورسوله في السر في الجهاد
بغير اذن (سيصيب الذين
كفروا منهم) من المنافقين عبد الله بن ابى وأصحابه (عذاب اليم) وجميع

﴿ وجاء المذنبون من الاعراب ليؤذن لهم ﴾ يعنى اسدوا وعطفان استأذنا في التخلف معتذرين
بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهلنا
ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه وهو ما ان له عذرا ولا عذره أو من
اعتذر اذ اهد المذنب بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معتذرون من اعذر اذا
اجهد في العذر وقرئ المعتذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر عني اعتذر وهو لحن
اذا التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله
﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله
ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاووين فكذبهم بالاعتذار ﴿ سيصيب الذين كفروا
منهم ﴾ من الاعراب أو من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسبه لا لكفره ﴿ عذاب اليم ﴾

بيان لما لهم من الخيرات الاخرية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وجاء المذنبون من الاعراب
ليؤذن لهم ﴾ يعنى وجاء المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قل الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاءوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك
تغير اعراب طي على خلائنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدأبأني الله من اخباركم وسيغنى الله عنكم وقيل هم نفر من بنى غفار رهط خفاف بن ايماء
ابن رخصة وقيل هم من أسدو غطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بمذنب فأذن لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المذنبون أى المقصرون يعنى أنهم قصرُوا
ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذره وقيل ان الاصل في هذا
اللفظ عند النجاة المعتذرون أدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام
العرب على قسمين يقال اعتذرا اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم
بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذرا اذا أتى بعذر صحيح
ومنه قول لبيد « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر »

يعنى فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذر الذى هو التصغير يقال عذرت عذرا اذا قصر ولم يبالغ
فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من
قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده ﴿ وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله ﴾ فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن
ابى عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين
عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جرأة
على الله تعالى فهم المزداد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين
ما جاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعنى في ادعائهم الايمان ﴿ سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم ﴾ يعنى في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم

كفروا منهم) من المنافقين عبد الله بن ابى وأصحابه (عذاب اليم) وجميع

بالقتل والنار ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ﴾ كالهري والزمني ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ لفقيرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة ﴿ حرج ﴾ أثم في التأخر ﴿ اذ انصحووا لله ورسوله ﴾ بالايان والطاعة في السر والعلانية. كما يفعل المولى الناصح أو بما قدر واعليه فعلاً أو قولاً يهود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لهم أو للمسيء فكيف المحسن

بالنار (ليس على الضعفاء) الهري والزمني (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبني عذرة (حرج) أثم وضيق في التأخر (اذ انصحووا لله ورسوله) بان آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (ما على المحسنين) المعدورين الناصحين (من سبيل) أي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (والله غفور) يغفر لهم تخلفهم (رحيم) (ليس على الضعفاء) من الشيوخ والزمني (ولا على المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) في الجهاد (حرج) مأثم بالتخلف (اذ انصحووا لله) في الدين (ورسوله) في السنة (ما على المحسنين) بالقول والفعل (من سبيل) من خرج (والله غفور) متجاوز لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة

لانه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وما تواعلوه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقة الصحيحة وعذرهم واخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخلقة ضعيفاً نحيفاً ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا على المرضى ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العسى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفاً بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجزين عن نفقة الغزو معذور ﴿ حرج ﴾ أي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أي أثم في التخلف عن الغزو وقال الإمام فخر الدين الرازي ليس في الآية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج لعين المجاهدين بمقدار القدرة اما يحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كلا وبالأعليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطاً معيناً وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذ انصحووا لله ورسوله ﴾ ومعناه أنهم اذا قاموا في البلد احتزروا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جلة هذه الامور تجرى مجرى النصيحة لله ورسوله ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أي ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعدد قداً بأحده الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد بأحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه ليس عليه سبيل في نفسه وماله الا ما بأحده الشرع بدليل منفصل ﴿ والله غفور ﴾ يعني لمن تخلف عن الجهاد بعدد ظاهر بأحده الشرع ﴿ رحيم ﴾ يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة

قبله مضمرة أي إذا ما أتوك
 قائلا (لا أجد ما أحلكم
 عليه تولوا) هو جواب إذا
 (واعينهم تقيض من الدمع)
 أي تسيل كقولك تقيض
 دمعا وهو أبلغ من يفيض
 دمعا لأن العين جعلت كأن
 كلها دمع فائض ومن
 للبيان كقولك أفديك من
 رجل ومحل الجار والمجرور
 النصب على التمييز ويجوز
 أن يكون مقتل لأجد
 استئنافا كأنه قيل إذا ما أتوك
 لتحملهم تولوا فقيل ما لهم
 تولوا باكين فقيل قلت
 لأجد ما أحلكم عليه إلا أنه
 وسط بين الشرط والجزاء
 كالأعراض (حزنا) مفعول
 له (الأيحيدوا ما ينفقون)
 لئلا يحدوا ما ينفقون ومحل
 نصب على أنه مفعول له
 وناصبه حزنا والمستعملون
 أبو موسى الأشعري وأصحابه
 أو البكائن وهم ستة نفر
 من الأنصار (أما السبيل
 ولا على الذين إذا ما أتوك
 لتحملهم) إلى الجهاد بالنفقة
 عبد الله بن معقل بن يسار المنزلي
 وسالم بن عمير الأنصاري
 وأصحابهما (قلت) لهم
 (لا أجد ما أحلكم عليه)
 إلى الجهاد من النفقة (تولوا)
 خرجوا من عندك (واعينهم

ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ﴿ عطف على الضمياء أو على المحسنين وعم البكائن
 سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عمة
 وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج
 فاجلنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نفرمك فقال عليه السلام لا أجد ما أحلكم
 عليه فتولوا وهم يكرن وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان بن مقرن وقيل أبو موسى وأصحابه
 ﴿ قلت لا أجد ما أحلكم عليه ﴾ حال من الكاف في أتوك بأخمدار قد ﴿ تولوا ﴾
 جواب إذا ﴿ واعينهم تقيض ﴾ تسيل ﴿ من الدمع ﴾ أي دمعا فان من للبيان وهي
 مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعا لأنه يدل على أن العين
 صارت دمعا فياضا ﴿ حزنا ﴾ نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه
 ما قبله ﴿ أن لا يحدوا ﴾ لئلا يحدوا متعلق بحزنا أو بنفيض ﴿ ما ينفقون ﴾ في
 مغزاهم ﴿ أما السبيل ﴾ بالعبارة

نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم
 وكان ضريب البصر ﴿ ولما ذكر الله عز وجل هذه الأقسام الثلاثة من المعدورين أتبعه
 بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك ﴾ يعني ولا حرج ولا اثم
 في الخلف عنك على الذين إذا ما أتوك ﴿ لتحملهم ﴾ يعني يسألونك الجملان ليبلغوا إلى
 عز وعدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكائن وكانوا سبعة
 ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاءنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يستعملونه فقال لأجد ما أحلكم عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني
 عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير ومن بني مازن بن النجار
 عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن
 ابن زيد وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله
 ابن عمرو المنزلي وقال البغوي هم سبعة نفر سمو البكائن معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
 ابن كعب الأنصاري وعلبة بن زيد الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عمة وعبد الله بن
 مغفل المنزلي قال أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن الله عز وجل
 قد ندبنا إلى الخروج معك فاجلنا فقال لأجد ما أحلكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن
 من منبنة وكانوا ثلاثة أخوة مقعل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرياض
 ابن سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوهم أن يحملهم على الدواب
 وقيل بل سألوهم أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم لا أجد ما أحلكم عليه فولوا وهم سيكون وذلك سبوا البكائن فذلك قوله
 سبحانه وتعالى ﴿ قلت لا أجد ما أحلكم عليه تولوا ﴾ واعينهم تقيض من الدمع ﴿ قال
 صاحب الكشف هو كقولك تقيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعا لأن العين جعلت
 كأن كلها دمعا فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ﴿ حزنا ﴾ لئلا يحدوا ما ينفقون ﴿
 يعني على أنفسهم في الجهاد ﴾ أما السبيل ﴿ لما قل الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من

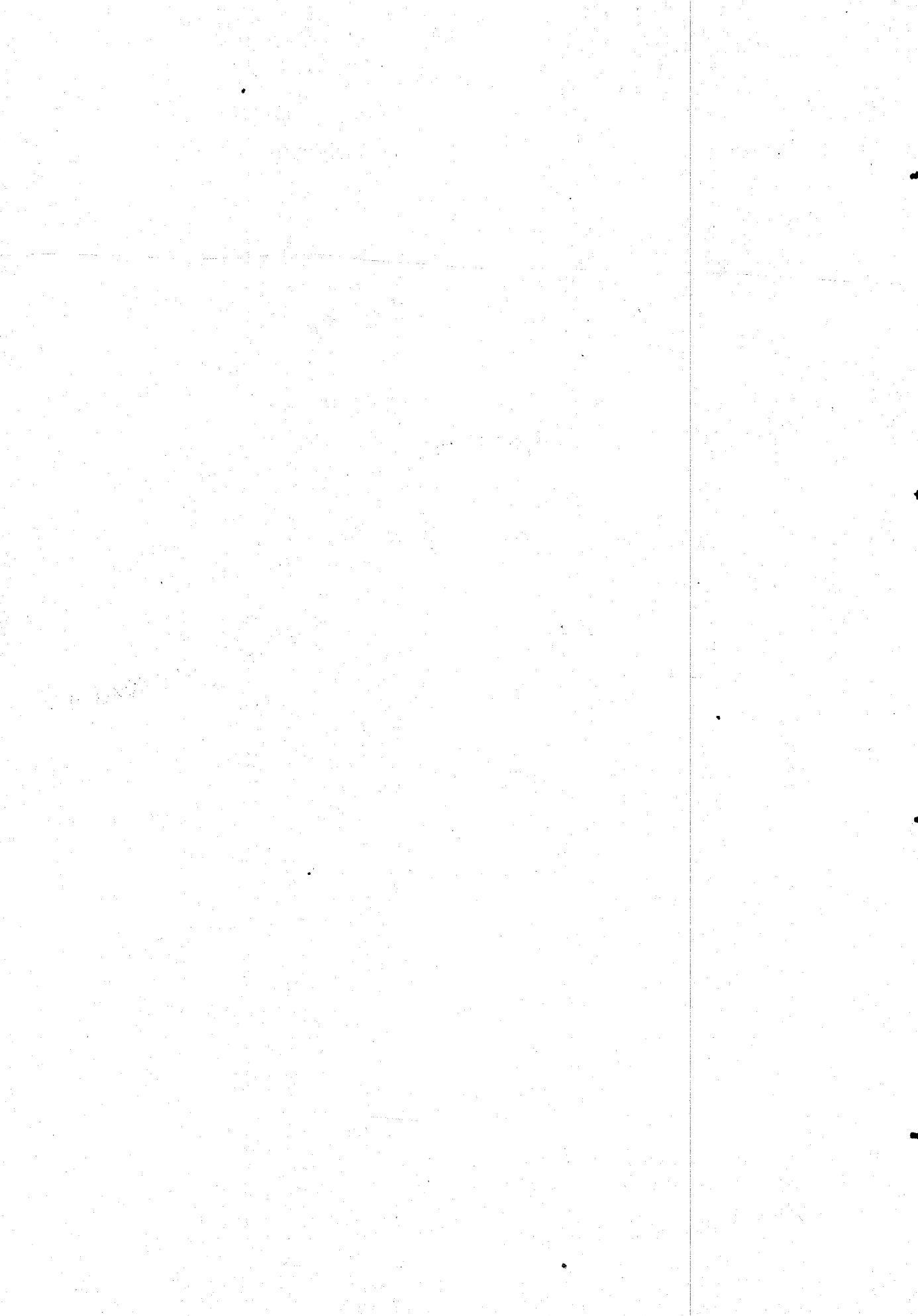
تقيض) تسيل (من الدمع حزنا لا يحدوا) (قاو خا ٢٣ ث) بأن لم يحدوا (ما ينفقون) في الجهاد (أما السبيل) الخرج

﴿ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ﴾ واجدون للاهبة ﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾
استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذروهو رضاهم بالدانة والانتظام في
جلة الخوالف ايشارا للدعة ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ حتى غفلوا عن وخادة العاقبة
﴿ فهم لا يعلمون ﴾ مقبته

سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولاعذرله انما السبيل يعني انما توجه الطريق بالعقوبة
﴿ على الذين يستأذنونك ﴾ يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك ﴿ وهم أغنياء ﴾ يعني
قادرين على الخروج معك ﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾ يعني رضوا بالدانة
والضعة والانتظام في جلة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم ﴿ وطبع الله على
قلوبهم ﴾ يعني ختم عليها ﴿ فهم لا يعلمون ﴾ ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة
اما في الدنيا الفوز بالغنمية والظفر بالعدو واما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع

على الذين يستأذنونك (في التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بان يكونوا مع الخوالف) أى بالانتظام في جلة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) فهم لا يعلمون

(على الذين يستأذنونك) بالتخلف (وهم أغنياء) بالمال عبدالله بن أبي وجد بن قيس ومعتب ابن قشير واصحابهم نحو سبعين رجلا (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء والصبيان (وطبع الله) ختم الله (على قلوبهم) فهم لا يعلمون (امر الله ولا يصدقون



(يعتذرون اليكم) يقيمون
 لانفسهم عذرا باطلا
 (اذا رجعت اليهم) من هذه
 السفارة (قل لا تعتذروا)
 بالباطل (لن تؤمن لكم)
 لن تصدقكم وهو علة لنهي
 عن الاعتذار لان غرض
 المعتذر ان يصدق فيما
 يعتذر به (قد نبأنا الله من
 اخباركم) علة لانتفاء
 تصديقهم لانه تعالى اذا
 أوحى الى رسوله الاعلام
 باخبارهم وما في ضمائرهم
 لم يستقم مع ذلك تصديقهم
 في معاذيرهم (وسير الله علمكم
 ورسوله) أنبيون أم تبشرون
 على كفركم (ثم تردون الى
 عالم الغيب والشهادة)
 أي تردون اليه وهو عالم كل
 سر وعلانية (فينبئكم بما
 كنتم تعملون) فيجازيكم
 على حسب ذلك

(يعتذرون اليكم اذا
 رجعتهم) من غزوة تبوك
 (اليهم) الى المدينة بانالم
 تقدر ان تخرج معك (قل)
 يا محمد لهم (لا تعتذروا)
 بالتخلف (لن تؤمن لكم)
 لن تصدقكم بما تقولون
 من العلى (قد نبأنا الله)
 اخبارنا الله (من اخباركم)
 من أسراركم ونفاقكم
 (وسيرى الله علمكم ورسوله)

الجزء الحادي عشر

يا لطيفا بالمعتذرين تقبل اعذارنا

﴿يعتذرون اليكم﴾ في التخلف ﴿اذا رجعت اليهم﴾ من هذه السفارة ﴿قل لا تعتذروا﴾
 بالمعاذير الكاذبة لانه ﴿لن تؤمن لكم﴾ ان تصدقكم لانه ﴿قد نبأنا الله من اخباركم﴾
 اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد ﴿وسيرى الله﴾
 علمكم ورسوله ﴿أنبيون أم تبشرون﴾ عن الكفر أم تبشرون عايد فكأنه استتابا وادها للثوبه ﴿ثم﴾
 تردون الى عالم الغيب والشهادة ﴿أي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على﴾
 انه مطلع على سرهم وعنهم لا يفوت عن علم شيء من ضمائرهم واعمالهم ﴿فينبئكم﴾
 بما كنتم تعملون ﴿بالتوبيخ والعقاب عليه﴾

قوله سبحانه وتعالى ﴿يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم﴾ يعني يعتذر هؤلاء
 المنافقون المخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما لصلى الله
 عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعني
 بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعت اليهم يعني من سفركم ﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد
 ﴿لا تعتذروا﴾ قل البغوى روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا
 بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا ﴿لن تؤمن لكم﴾ يعني لن تصدقكم فيما
 اعتذرتم به ﴿قد نبأنا الله من اخباركم﴾ يعني قد أخبرنا الله فيما سلف من اخباركم ﴿وسيرى﴾
 الله علمكم ورسوله ﴿يعني في المستأنف أنبيون من نفاقكم أم تقبلون عليه وقيل يحتمل﴾
 أنهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قل وسيرى الله علمكم ورسوله هل
 تقون بما قلتم أم لا ﴿ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم﴾ يعني فيجزيكم ﴿بما كنتم﴾
 تعملون ﴿لانه هو المطلع على ما في ضمائركم من اتيانته والكذب واخلاف الوعد﴾ قوله

بعد ذلك ان تبتم (ثم تردون) في الآخرة (الى عالم الغيب) ما غاب عن العباد ويقال الغيب ما لم يعلم العباد (عن)
 ويقال ما يكون (والشهادة) ما علمه العباد ويقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير

(سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) لتزكوهم ولا تؤنبوهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس)
تعليل لترك معايتهم أى ان المعاينة لا تنفع ﴿ ١٨١ ﴾ فيهم ولا تصلحهم لانهم { سورة براءة } ارجاس لاسيلا الى تطهيرهم

(ومأواهم جهنم) ومصيرهم
النار يعنى وكفتم النار عتابا
وتوبيحاً فلا تتكلفوا عتابهم
(جزاء بما كانوا يكسبون)
أى يجزون جزاء كسبهم
(يحلفون لكم لتعرضوا عنهم)
أى عرضهم بالخلف بالله
طلب رضاكم لينفهم ذلك
فى دنياهم (فان تعرضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين) أى فان رضاكم
وحدكم لا ينفهم اذا كان الله
ساخطا عليهم وكانوا عرضة
لما جعل عقوبته وأجلها
وانما قيل ذلك لثلاثتهم
ان رضا المؤمنين يقضى
رضاء الله عنهم (الاعراب)
أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا)
من أهل الحضرة لجفائهم
وقسوتهم وبعدهم عن العلم
والشر (سيحلفون بالله)
عبدالله بن أبى واصحابه
(لكم اذا انقلبتم) اذ ارجعتم
من غزوة تبوك (اليهم)
بالمدينة (لتعرضوا عنهم)
لتصفحوا عنهم ولا تعاقبوا
(فاعرضوا عنهم) ولا
تعاقبوا (انهم رجس)
نجس قدر (ومأواهم)
مصيرهم (جهنم جزاء
بما كانوا يكسبون) يقولون

﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ﴾ فلا تعاقبوا ﴿ فاعرضوا عنهم ﴾ ولا تؤنبوهم ﴿ انهم رجس ﴾ لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحلف على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاينة ﴿ ومأواهم جهنم ﴾ من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيح فى الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى ان النار كفتم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة ﴿ يحلفون لكم لتعرضوا عنهم ﴾ بخلفهم فتستدعوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿ فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ أى فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاعتذار بما ذريهم بعد الامس بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم ﴿ الاعراب ﴾ اهل البدو ﴿ أشد كفرا ونفاقا ﴾ من اهل الحضرة لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل

عز وجل ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم ﴾ يعنى اذ ارجعتم من سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين ﴿ تعرضوا عنهم ﴾ يعنى لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعنى لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعانى ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ﴿ ثم ذكر العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى ﴿ انهم رجس ﴾ يعنى ان بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة ﴿ ومأواهم ﴾ يعنى مسكنهم فى الآخرة ﴿ جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الاعمال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبدالله بن أبى حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عن وجل هذه الآية والى بعدها ﴿ يحلفون لكم لتعرضوا عنهم ﴾ يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون لتعرضوا عنهم ﴿ فان تعرضوا عنهم ﴾ يعنى فان رضيت عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقلتم عذرهم ﴿ فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الاعراب أشد كفرا ونفاقا ﴾ نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضرة قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبة فى العرب ووجهه العرب ورجل أعرابى اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا ويجمع الاعرابى على الاعراب والاعرابى

ويحملون من الشر (يحلفون لكم لتعرضوا عنهم) بالخلف (فان تعرضوا عنهم) بالخلف الكاذب (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)
المنافقين (الاعراب) أسد وغطفان (أشد كفرا ونفاقا) هم أشد على الكفر والنفاق من

والعلماء (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعني حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في القنادين يعني الاكراه لانهم يفدون أي يصيرون في حروثهم والنفيد الصياح (والله عليم) { الجزء الحادي عشر } باحوالهم ١٨٢ ﴿حكيم﴾ في امهالهم (ومن الاعراب

من يتخذ ما ينفق) أي يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الاتقية من المسلمين ورياء لالوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) أي دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام تذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أي عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين السوء مكي وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة قولك رجل صدق (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليهم) بما يضرونه (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

غيرهم (واجدر) اخرى أيضا (ألا يعلموا) حدود ما نزل الله (على رسوله) في الكتاب (والله عليم) بالناقضين (حكيم) فيما حكم عليهم بالعقوبة ويقال عليهم

العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة ﴿واجدر ان لا يعلموا﴾ واحق بان لا يعلموا ﴿حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ من الشرائع فرائضها وسننها ﴿والله عليم﴾ يعلم حال كل احد من اهل الوبور والمدر ﴿حكيم﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ﴿ومن الاعراب من يتخذ﴾ يعد ﴿ما ينفق﴾ يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ﴿مغرما﴾ غرامة وخسرانا اذا ليجتسبه قربة عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء وتقية ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ دوائر الزمان ونوبه ليقب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق ﴿عليهم دائرة السوء﴾ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه أو اخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبه الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ أبو عمرو وابن كثير السوء هنا وفي الفتح بضم السين ﴿والله سميع﴾ لما يقولون عند الانفاق ﴿عليهم﴾ بما يضرون ﴿ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالعربي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا عربي غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنة والمواظ وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿واجدر﴾ يعني واخلق وأخرى ﴿ألا يعلموا﴾ يعني بان لا يعلموا ﴿حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ يعني القرائن والسنة والاحكام ﴿والله عليم﴾ يعني بما في قلوب عباده ﴿حكيم﴾ فيما فرض من فرائضه وأحكامه ﴿ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق﴾ مغرما ﴿يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفاً ورياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفاً من المسلمين او مرااة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ﴿ويتربص﴾ يعني وينتظر ﴿بكم الدوائر﴾ يعني بالدوائر تقب الزمان وصروفه التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقب الزمان فيموت الرسول ويظهر المشركون ﴿عليهم دائرة السوء﴾ يعني بل يتقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا ما يسوهم ﴿والله سميع﴾ يعني لا قوالهم ﴿عليهم﴾ يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش واردة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية في اعراب أسد وغطفان وتميم ﴿ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى﴾ ﴿ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال

يجهل من ترك التعلم حكيم حكم ان من لا يتعلم العلم يكون جاهلا (ومن الاعراب) يعني أسدا وغطفان (من) (رسول) يتخذ) يحتمل ما ينفق في الجهاد (مغرما) غرما (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) الموت والهلاك (عليهم دائرة السوء) منقلب السوء وعاقبة السوء (والله سميع) لمقاتلتهم (عليهم) بعقوبتهم (ومن الاعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) في السر

ويتخذ ما ينفق في الجهاد والصدقات (قربات) أسباباً للقربة (عند الله) وهو مفعول ثانٍ ليتخذ (صلوات الرسول) أي دعاءه لأنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ﴿ ١٨٣ ﴾ بالخير والبركة { سورة براءة } ويستغفر لهم كتوبه اللهم

صل على آل أبي أوفى (الأنبا) ان النفقة أو صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات و صلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناس مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم الله في رحته) جنته وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب الخلل (رحيم) يقبل جهده المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبين لهم وهم الذين صلوا الى القبليتين أو الذين شهدوا بدر أو بيعة الرضوان (والانصار) والعلانية) ويتخذ ما ينفق في الجهاد (قربات عند الله) قربة الى الله في الدرجات (صلوات الرسول) دعاء الرسول (الأنبا) يعني النفقة (قربة لهم) الى الله في الدرجات (سيدخلهم

ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثانٍ مفعولي يتخذ وعند الله صفتها وأوظرف ليتخذ و صلوات الرسول وسبب صلواته لأنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى لأنه منصبه فله ان يتفضل به على غيره إلا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناس مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحته وعدلهم باحاطة الرحة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وعطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذى الجحادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبليتين أو الذين شهدوا بدر أو الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل بيعة العقبة الثانية

رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن عطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن عطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ان كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر وأسد وعطفان قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له انما لم أقبلها لكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله سبحانه وتعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله جمع قربة أي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى و صلوات الرسول يعني ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى إلا انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في أنها الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الانفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله و صلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحته وهذه النعمة هي اقصى مرادهم ان الله غفور للمؤمنين المنفقين في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة وقوله سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار

الله في رحته في جنته (ان الله غفور) مجاوز (رحيم) لمن تاب (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) بالانسان الذين

وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابوزرارة مصعب بن عمير وقرى
 اختلف العلماء فى السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجاعة
 هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة
 الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظى هم جميع الصحابة
 لانهم حصل لهم سبق بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حيد بن زياد قلت يوما
 لمحمد بن كعب القرظى ألا تخبرنى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم
 وارتدت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم ووجب لهم الجنة فى كتابه
 فقلت له فى أى موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله ألا تقرأ والسابقون الاولون
 الى آخر الآية فوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فى
 قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط فى التابعين شريطة وهى ان يتبعوهم فى افعالهم
 الحسنة دون السيئة قال حيد فكأنى لم اقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء فى اول الناس
 اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال بعض العلماء اول من آمن بعد خديجة على بن ابي طالب وهذا قول جابر بن
 عبد الله ثم اختلفوا فى سنة وقت اسلامه فقيل كان ابن عشرين وقيل اقل من ذلك وقيل
 أكثر وقيل كان بالغوا للصحيح أنه لم يكن بالغوا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة
 أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير
 أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق
 ابن ابراهيم الحنظلى يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن
 النساء خديجة ومن الصبيان على بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضى الله تعالى
 عنهم فهؤلاء الاربعة سبق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه
 ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محيا سهلا وكان أنسب قريش لقريش واعلمها بما كان
 فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه
 لعله وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من شق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن
 عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله
 فجاءهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء نفر الثمانية
 أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم فى الدخول الى الاسلام واما السابقون
 من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهى العقبة الاولى
 وكانوا ستة نفر (٢) أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر
 وجابر بن عبد الله بن رباب ثم اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم
 اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو
 جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سبق الانصار ثم بعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القرآن فأسلم على

عطف على المهاجرين أى
 ومن الانصار وهم اهل
 بيعة العقبة الاولى وكانوا
 سبعة نفر وأهل العقبة
 صلوا الى قبلتين وشهدوا
 بدرا

(٢) قوله ستة نفر الممدود هنا
 خمسة والسادس عقبة بن عامر
 كفى المواهب وقوله فى الهامش
 سبعة تبع فيه الكشاف وهر
 مخالف لما فى المواهب وما هنا
 اله

اتبعوهم باحسان)
 من المهاجرين والانصار
 فكانوا سائر الصحابة وقيل
 هم الذين اتبعوهم بالايمان
 والطاعة الى يوم القيامة
 واخير (رضى الله عنهم)
 باعمالهم الحسنة (ورضوا
 عنه) بما أفاض عليهم من
 نعمته الدينية والدنيوية
 (وأعدلهم) عطف على
 رضى (جنات تجري تحتها
 الانهار) من تحتها مكى
 (خالدين فيها أبدا ذلك
 الفوز العظيم) ومن حولكم
 يعنى حول بلدتكم وهى
 المدينة (من الاعراب
 مناققون) وهم جهينة

(والذين اتبعوهم
 باحسان) بأداء الفرائض
 واجتناب المعاصى الى يوم
 القيامة (رضى الله عنهم)
 باحسانهم (ورضوا عنه)
 بالثواب والكرامة
 (وأعدلهم جنات) بساتين
 (تجري تحتها) من تحت
 شجرها ومسكنها
 (الانهار) أنهار الماء والحر
 والعسل واللبن (خالدين
 فيها) مقيمين فى الجنة
 لا يموتون ولا يخرجون منها
 (أبدا ذلك) الرضوان
 والجنان (الفوز العظيم)
 النجاة الوافرة (وعن
 حولكم من الاعراب)
 أسد وغطفان (مناققون

بالرفع عطا على والسابقون ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ اللاحقون بالسابقين
 من القبيلتين أو من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة ﴿ رضى الله
 عنهم ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بما نالوا من نعمته الدينية
 والدنيوية ﴿ وأعدلهم جنات تجري تحتها الانهار ﴾ وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار
 كما هو فى سائر المواضع ﴿ خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ﴾ وعن حولكم ﴿ أى ومن
 حول بلدتكم يعنى المدينة ﴾ من الاعراب مناققون ﴿ هم جهينة ومزينة واسلم

يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة
 والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقه وافق اللفظ مجازا
 فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف
 اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا أن الهجرة طاعة عظيمة
 ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك
 النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصرروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوه فلذلك أنى الله عز وجل عليهم
 ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ قوله
 عز وجل ﴾ والذين اتبعوهم باحسان ﴿ قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى
 السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل
 المهاجرين والانصار فى الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين
 يذكرون المهاجرين والانصار فيترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق)
 عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
 ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد
 الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا وفى رواية أحدكم
 أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ أحدهم ولا ينصفه أراد بالقرن فى الحديث الاول أصحابه
 والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا فى مدته من الزمان فقيل من
 عشرين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور فى الحديث
 الثانى هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن أحدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر
 والانفاق فى سبيل الله ما بلغ هذا القدر السير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم
 أنفقوا وبنلوا المجهود فى وقت الحاجة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ رضى الله عنهم ورضوا
 عنه ﴿ يعنى رضى الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليهما من الثواب وهذا اللفظ
 عام يدخل فيه كل الصحابة ﴿ وأعدلهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك
 الفوز العظيم ﴾ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وعن حولكم من الاعراب مناققون ﴿ ذكر
 جماعة من المفسرين المتأخرين كالبعوى والواحدى وابن الجوزى أنهم من اعراب مزينة

وأسلم وأشجع وغفار كانوا { الجزء الحادى عشر } نازين حولها ﴿ ١٨٦ ﴾ (ومن أهل المدينة) عطف على خبر

وإشجع وغفار كانوا نازين حولها ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ عطف على من حولكم
أو خبر لمخدوف صفته ﴿ مردوا على النفاق ﴾ ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله

أنا ابن جلا واطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى

وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان
تمرهم وتمرهم في النفاق ﴿ لا تعلمهم ﴾ لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتوقعهم
في تحامى مواقع النهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿ نحن
نعلمهم ﴾ ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا
﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ بالفضيحة والقتل أو باحدهما وعذاب القبر أو باخذ الزكاة ونهك
الابدان ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ الى عذاب النار

وجهية وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعنى ومن هؤلاء الاعراب
منافقون وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم
فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى وعن حولكم من الاعراب منافقون
على القليل لان لفظة من للتبويض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر
والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما
الطبرى فانه أطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الآية
من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم
أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوى ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ من الاوس والخزرج
منافقون ﴿ مردوا على النفاق ﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره وعن حولكم من الاعراب
ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعنى سربوا عليه يقال تمر دفلان على ربه
اذا عاتوا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمر دفي معصيته أي سربن وثبت عليها وأعادها ولم يبق
منها قال ابن اسحق لجوافيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه ﴿ لا تعلمهم ﴾
يعنى أنهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطر ك وإطلاعك على الاسرار
﴿ نحن نعلمهم ﴾ يعنى لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾
اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثانى هو عذاب القبر
بدليل قوله ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا
انه سبحانه وتعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة
أما المرة الاولى وهى التى اختلفوا فيها فقال الكلبى والسدى قام النبي صلى الله عليه وسلم
خطيبا في يوم الجمعة فقال اخرج يافلان فانك منافق اخرج يافلان فانك منافق فخرج
من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثانى هو عذاب القبر فان صح هذا
القول فيحتمل أن يكون بمد أن أعلم الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال
لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي
وهذا القول ضعيف لان أحكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم
يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هى

المبتدأ الذى هو ممن حولكم
والمبتدأ منافقون ويجوز
أن يكون جملة معطوفة على
المبتدأ والخبر اذا قدرت
ومن أهل المدينة قوم
(مردوا على النفاق) أى
تمهروا فيه على أن مردوا
صفة موصوف مخدوف
وعلى الوجه الاول لا يخلو
من أن يكون كلاما مبتدأ
أو صفة لمنافقون فصل بينها
وبينه بمعطوف على خبره
ودل على مهارتهم فيه بقوله
(لا تعلمهم) أى يخفون
عليك مع فطنتك وصدق
فراستك لفرط تنوقهم
في تحامى ما يشككك في
أمرهم ثم قال (نحن
نعلمهم) أى لا يعلمهم الا الله
ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يطنون الكفر في
سويداء قلوبهم ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر المخلصين
من المؤمنين (سنعذبهم
مرتين) هما القتل وعذاب
القبر أو الفضيحة وعذاب
القبر أو أخذ الصدقات
من أموالهم ونهك أبدانهم
(ثم يردون الى عذاب
عظيم) أى عذاب النار

ومن أهل المدينة) عبد الله
ابن أبي واحبه (مردوا)
ثبتوا وجوا (على النفاق
لا تعلمهم) لا تعلم نفاقهم
(نحن نعلمهم) نعلم نفاقهم

(سنعذبهم مرتين) مرة عند قبض ارواحهم ومرة في القبور (ثم يردون الى عذاب عظيم) عذاب جهنم (الدبيلة)

(وآخرون) أي قوم
آخرون سوى المذكورين
(اعترفوا بذنوبهم) أي لم
يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة كغيرهم
ولكن اعترفوا على أنفسهم
بانهم بئس ما فعلوا نادمين
وكانوا عشرة فبعضة منهم
لمباغتهم ما نزل في المتخلفين
او ثقوا أنفسهم على سوارى
المسجد فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل
المسجد فصلى ركعتين وكانت
عادته كلما قدم من سفر
فراهم موثقين فسأل عنهم
فذكر له انهم أفسموا أن لا
يحلوا أنفسهم حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الذي يجلهم فقال
وأنا أقسم أن لا أحلهم
حتى أومر فيهم فنزلت
فاطلقهم فقالوا يا رسول الله
هذه أموالنا التي خلفتنا
عك فتصدق بها وطهرنا
فقال ما أمرت ان آخذ
من أموالكم شيئاً فنزل
من أموالهم صدقة

(وآخرون) ومن اهل
المدينة قوم آخرون وديعة
ابن جذام الانصارى وابو
لبابة بن عبد المنذر الانصارى
وأبو ثعلبة (اعترفوا) أقروا
(بذنوبهم) بتخلفهم عن غزوة

تبوك

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة
من المتخلفين أو ثقوا أنفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسأل عنهم فذكر
له انهم افسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تجلهم فقال وأنا أقسم ان لا أحلهم حتى
الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى
تجيم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال
والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم
في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ
الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احدا هما ضرب
الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى
احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه
وتعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل ﴿ وآخرون
اعترفوا بذنوبهم ﴾ فيه قولان أحدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا
وحجة هذا القول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله وعن خولكم من الاعراب
منافقون والنطف موهم وبعضه ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب
والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون
في عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه انهم كانوا
خسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال
قنادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر
وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أن تكون من الضلال ومع النساء ورسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد واللاؤاء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا أنفسهم في سوارى المسجد فلما
رجع النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم فراهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك
فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي أطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم رغوا عنى
وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليهم فاطلقتهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا
عك خذها تصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت
ان آخذ من أموالكم شيئاً فانزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت

اوسر فيهم فنزلت فاطلقتهم ﴿ خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ﴾ خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بأخر سي هو الخلف ومواقفة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كفى قولهم بعث الشاء

هذه الآية في أبى لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذى تاب منه فقال مجاهد نزلت في أبى لبابة حين قال لبنى قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لأحل نفسى ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لأحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخله بيده فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتى ان أهجردار قومى التى أصبت فيها الذنب وان أنحج من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا أبى لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم لان لفظه من تقتضى التبعيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتى خبرهم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعانى الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء ومعناه انهم أقرؤا بذنبهم وفيه دققة وهى انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المناققين ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قات الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضى من الذنب والعزم على تركه فى المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ﴾ قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيى هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر النزوات والسيى هو تخلفهم عنه فى غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة والسيى ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية فى حق جميع المسلمين والحلل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وروى الطبرى عن أبى عثمان قال ما فى القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قات قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيى مخلوطا فالمخلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطته فانما يحسن فى الموضع الذى يخرج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفة الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن و خلطت الماء واللبن فتتوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازى وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيى اذا حصل معا بقى كل واحد منهما على حاله كما هو

(خلطوا عملا صالحا)
خروج الى الجهاد (و آخر
سيئا) تخلفا عنه أو التوبة
والاثم وهو من قولهم بعث
التساء شاة ودرهما أى
شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء
لان الواو للجمع والباء
للانصاف فيتناسبان أو
المعنى خلط كل واحد منهما
بالآخر فكل واحد منهما
مخلوط ومخلوط به كقولك
خلطت الماء واللبن تريد
خلطت كل واحد منهما
بصاحبه بخلاف قولك
خلطت الماء باللبن لانك
جعلت الماء مخلوطا باللبن
مخلوطا به واذا قلته بالواو
فقد جعلت الماء واللبن
مخلوطين ومخلوطا بهما
كانت قلت خلطت الماء باللبن

(خلطوا عملا صالحا) خرجوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم
مرة (و آخر سيئا) تخلفوا

شاة ودرهما أولدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر ﴿ عسى الله ان يتوب عليهم ﴾ ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه ﴿ خذ من اموالهم صدقة ﴾ روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلقتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئاً فنزلت ﴿ تطهرهم ﴾ من الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جواب اللامر ﴿ ونزكهم بها ﴾ وتمى بها حسناتهم وترفعهم الى

مذهبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيه تنبيه على نفي القول بالمحاطة وانه يبقى كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر أحدهما بالآخر فليس الاجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمر او الواو فى الآية أحسن من الباء لانه أريد معنى الجمع لاحقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قديم جمع بينهما وقوله سبحانه وتعالى ﴿ عسى الله ان يتوب عليهم ﴾ قال ابن عباس وجهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعانى لفظه عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه أبعث من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل كل ما فعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التى هى للترجى والطمع حتى يكون العبد بين الترجى والاشفاق ولكن هو الى نبيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ وهذا يفيد انجاز الوعد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ﴿ قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابابة وصاحبيه انطلق أبو لابة وصاحبه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذنا اموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفرنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيئاً منها حتى أومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد ابن جبيرة وقادة والضحاك ثم اختلف العلماء فى المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فوجب الله سبحانه وتعالى أخذها وصار ذلك معتبراً فى كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الفزوح وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان تكون منتظمة

واللبن بالماء (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خذ من اموالهم صدقة) كفارة لذنوبهم وقيل هى الزكاة (تطهرهم) عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب أولغية المؤنث والتاء فى (وتزكهم) للخطاب لاحالة (بها) بالصدقة والتركية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الاعناء والبركة

مرة (عسى الله) وعسى من الله واجب (ان يتوب عليهم) ان يتجاوز عنهم (ان الله غفور) لمن تاب منهم (رحيم) لمن مات على التوبة ثم بين للنبي صلى الله عليه وسلم ما يأخذ من اموالهم لقولهم خذ من اموالنا نأخذ منها غزوة تبوك لقبول الاموال فلم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حتى بين الله له فقال (خذ من اموالهم) اموال المتخلفين (صدقة) ثلثا (تطهرهم) من الذنوب (وتزكهم بها) تصلحهم بها

منازل المخلصين ﴿ وصل عليهم ﴾ واعطف عليهم بالدعاء والا استغفار لهم

متناسبة فلو جعلناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها
ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزلها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول
الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا
وأقروا أن السبب الموجب للتخلف هو حب المال أمروا باخراج الزكاة التي هي طهرة
فلا أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا ينع من خصوص السبب عموم الحكم
فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم قلنا لا ينع هذا
صحة ما قلناه لأنهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلا يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم
في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطاب فيه النبي صلى الله
عليه وسلم أى خذ يا محمد من أموالهم صدقة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم
أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة فيجوز للإمام أو نائبه أن يأخذ الزكاة من الاغنياء
ويدفعها الى الفقراء الحكم الثانى قوله من أموالهم ولفظة من تقتضى التبعض وهذا البعض
المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدرها وصفها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة
يفيد العموم فوجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاة الحكم الرابع ظاهر
قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها
الامن البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول
أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعى بأنه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم
مطلقا وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه خذ يا محمد من
أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثانى أن يكون تطهرهم
متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة
مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا اخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ
وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى
وتزكيتهم بها منقطعاً عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم
تلك الصدقة وتزكيتهم أنت بها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيتهم
ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيتهم أنت بواسطة تلك
الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيتهم يعنى ترفع منازلهم عن منازل
المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيتهم أى تنمى أموالهم بركة أخذها
منهم الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿ وصل عليهم ﴾ يعنى ادع لهم واستغفر لهم لان أصل
الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السنة للإمام اذا اخذ الصدقة
أن يدعو للمتصدق فيقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما بقيت وقال بعضهم يجب
على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض
ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطى وقال

في المال (وصل عليهم)
واعطف عليهم بالدعاء لهم
وترحم السنة ان يدعو
المصدق لصاحب الصدقة
اذا أخذها

(وصل عليهم) استغفر لهم
وادع لهم

﴿ ان صلواتك سكن لهم ﴾ تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجهها لتعدد المدعولهم وقرأ حزة والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿ والله سميع ﴾ باعتبار فهم ﴿ علم ﴾ بندامتهم ﴿ ألم يعلموا ﴾ الضمير اما للتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التخصيص عليهما ﴿ ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ اذا صحت وتعديته بعن تضمنه معنى التجاوز ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليسودى بدله

بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان وبدل عليه ما روى عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأتاه أبو أوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجه في الصحيحين ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ان صلواتك ﴿ وقرى صلواتك على الجمع ﴾ سكن لهم ﴿ يعني أن دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقال ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك ترجب سكن نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم ﴿ والله سميع ﴾ يعني لا قولهم أول دعائك لهم ﴿ علم ﴾ يعني بنيتهم ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ هذه صيغة استفهام إلا أن المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فإباليهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيباً لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قبل لافرق بين عن عباده ومن عباده اذ لافرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تبشيراً بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ويأخذ الصدقات ﴿ يعني يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيباً في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازى عليها والمثيب بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السائل هو الآخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق ﴿ ق ﴾ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمررة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فضيله لفظ مسلم ء وفي البخارى من تصدق بعدل تمررة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذى ولفظه ان الله سبحانه وتعالى

(ان صلواتك) اي صلواتك
كوفي غير أبي بكر قيل الصلاة
كثرت من الصلوات لانها للجنس
(سكن لهم) يسكنون اليه
وتطمئن قلوبهم بان الله قد
تاب عليهم (والله سميع)
لدعائك أو سميع لا عترافهم
بذنوبهم ودعائهم (علم) بما في
ضمايرهم من الندم والغم
لما فرط منهم (ألم يعلموا)
المراد المتوب عليهم أي ألم
يعلموا قبل أن يتاب عليهم
وتقبل صدقاتهم (ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده)
اذا صحت (ويأخذ الصدقات)
ويقبلها اذا صدرت عن
خلوص النية وهو
للتخصيص أي ان ذلك
ليس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما الله هو الذي
يقبل التوبة ويردها
(ان صلواتك) استغفارك
ودعائك (سكن لهم)
طمأنينة لقلوبهم بان تقبل
توبتهم (والله سميع) لقاتلتهم
خزئنا أموالنا (علم)
بتوبتهم ونيبهم (ألم يعلموا)
ان الله هو يقبل التوبة عن
عن عباده (من عباده) (ويأخذ
الصدقات) ويقبل الصدقات

فاقصدهم بها ووجهها اليد (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) يعفو الحوبة (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا فسيري الله علمكم ورسوله والمؤمنون) الجزء الحادي عشر أي فان علمكم لا يخفى ﴿١٩٢﴾ خيرا كان أو شرا على الله وعباده

كأرايم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما أتت عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس مثلا لا يكلمون ولا يجالسون فخالهم فنزلت وقوله تعالى فسيري الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تينة تكبير ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لاسر الله) غيرهم ممدني وكوفي غير أبي بكر مرجون غيرهم من أرجيته وأرجأته اذا آخرته ومنها المرجئة أي وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر (وان الله هو التواب) المنجاوز (الرحيم) لمن تاب (وقل) لهم يا محمد (اعملوا) خيرا بعد التوبة (فسيري الله علمكم ورسوله) ويرى الله ورسوله (والمؤمنون) ويرى المؤمنون (وستردون) بعد الموت (الى عالم الغيب) ما غاب عن العباد ويقال

﴿وان الله هو التواب الرحيم﴾ وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم ﴿وقل اعلموا﴾ ما شئتم ﴿فسيري الله علمكم﴾ فانه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ﴿ورسوله والمؤمنون﴾ فانه تعالى لا يخفى عنهم كأرايم وتبين لكم ﴿وستردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ بالموت ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالمجازاة عليه ﴿وآخرون من المتخلفين﴾ مرجون ﴿مؤخرون أي موقوف امرهم من رجائه اذا آخرته﴾ وقرأ نافع وحزة والكسائي وحقق مرجون بالواو وهما لفتان ﴿لاسر الله﴾

يقبل الصدقة يأخذها بيينه فيربها لاحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويحقق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب أي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المنصديق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربوا أي تكبر يقال ربنا الشيء يربو اذا زاد وكبر والقلوب بضم الفاء وقبحها لفتان المهراول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى أن ينفصل عنها ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ وان الله هو التواب الرحيم ﴿تأكيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم﴾ قوله عز وجل ﴿وقل﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء التائبين ﴿اعملوا﴾ يعني الله بطاعته وأداء فرائضه ﴿فسيري الله علمكم﴾ فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم عليها ﴿ورسوله والمؤمنون﴾ يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اعمالكم أيضا ما رؤيته رسول الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين ﴿وستردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ يعني وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلايتكم ولا يخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم ﴿فينبئكم﴾ أي فيخبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ يعني في الدنيا من خيرا وشرا فيجازيكم على اعمالكم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ وآخرون مرجون ﴿أي مؤخرون والارجاء التأخير﴾ لاسر الله ﴿يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذي مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذي سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لاسر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة

ما يكون (والشهادة) ما عمله العباد ويقال ما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (فقبل الله) (واخرون) وقوم آخرون من أهل المدينة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال أمية (مرجون لاسر الله) موقوفون محبوسون

أمر الله فيهم (أما بعد بهم) أن أصروا ولم يتوبوا (وأما يتوب عليهم) أن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عالم) برجائهم (حكيم) في أراجئهم وأما للشك وهو راجع إلى العباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السواري وازهار الجزع والغم فلما علموا أن ﴿ ١٩٣ ﴾ أحدا لا ينظر إليهم { سورة براءة } فوضوا أمرهم إلى الله

وأخلصوا نياتهم ونصحت
توبتهم فرحهم الله (والذين
اتخذوا مسجدا) تقديره
ومنهم الذين اتخذوا الذين
بغبروا ومدنى وشام وهو
مبتدأ خبره محذوف أي
جازيناهم روى أن بن عمرو
ابن عوف لما بنوا مسجد
قباة بعثوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم
فأناهم فصلى فيه فحسدتهم
أخوانهم بنوعيم بن عوف
وقالوا بنى مسجدا ونرسل
إلى رسول الله يصلى فيه
ويصلى فيه أبو عامر الراهب
إذا قدم من الشام وهو
الذي قال لرسول الله عليه
السلام يوم أحد لا أجد قوما
يقاتلونك إلا قاتلتك معهم
فلم ينزل يقاتله إلى يوم حنين
فبنوا مسجدا إلى جنب
مسجد قباة وقالوا النبي صلى
الله عليه وسلم بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة ونحن
نحب أن تصلى لنا فيه فقال

في شأنهم ﴿ أما بعد بهم ﴾ أن أصروا على النفاق ﴿ وأما يتوب عليهم ﴾ أن تابوا
والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى ﴿ والله عالم ﴾
بأحوالهم ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعل بهم ﴿ وقرى ﴾ والله غفور رحيم والمراد هؤلاء كعب
ابن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم ووضوا
أمرهم إلى الله فرحهم الله تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ﴾ عطف على وآخرون
مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أي وفين وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على
الاختصاص ﴿ وقرأ نافع وابن عامر بغبروا ﴾ ضرارا ﴿ مضارة ﴾ للمؤمنين روى
أن بن عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباة سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه سلم
أن يأتيهم فأناهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنوعيم بن عوف فبنوا مسجدا على
قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتوه أتوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا أنا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة واليلة
المطيرة والشامية فصل فيه حتى نتخذنه مصلى فاخذثوبه ليقوم معهم فنزل فدعا
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا إلى
هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة ﴿ وكفرا ﴾

قبل الله توبتهم والتسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فاخر الله أمرهم نزلت
هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع
وسأنى قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالغوا في التوبة
والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين ليلة ونهى
الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هل كوا وبعضهم
يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويفرلهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أما بعد بهم ﴾ و
أما يتوب عليهم ﴿ يعنى أن أمرهم إلى الله تعالى أن شاء عنهم بسبب تخلفهم
وأن شاء غفرلهم وعفاه عنهم ﴿ والله عليم ﴾ يعنى بما في قلوبهم ﴿ حكيم ﴾ يعنى
بما يقضى عليهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ﴿

أنى على جناح سفر وإذا قدمنا من تبوك (قا و خا ٢٥ لث) أن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سأوه أتبان المسجد
فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا إلى هذا المسجد لظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا
وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الحيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضرارا) مفعول له وكذا ما بعده أي مضارة
لأخوانهم أصحاب مسجد قباة (وكفرا)

أنفسهم لأمر الله (أما بعد بهم) يخلفهم عن غزوة تبوك (وأما يتوب عليهم) يتجاوز عنهم تخلفهم (والله عالم) توبتهم وتخلفهم
(حكيم) فيما حكم عليهم (والذين اتخذوا) بنوا (مسجد) عبدالله بن أبي وجدة بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم نحو سبعة
عشر رجلا (ضرارا) مضرة للمؤمنين (وكفرا) في قلوبهم

وتقوية للكفر الذي يضرهون ﴿ وتفريقا بين المؤمنين ﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء ﴿ وارصادا ﴾ ترقبا ﴿ لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الاقاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل ان يتفق هؤلاء بالتحالف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا

نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأذرعي ونبث بن الحرث وبيجاد بن عثمان وبحجز بنوا هذا المسجد ضارارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله ﴿ وتفريقا بين المؤمنين ﴾ لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الإختلاف واقتراق الكلمة وكان يصلى بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشامية وانا نحب ان تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أينناكم فصلينا فيه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وارصادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارسادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله ﴿ من قبل ﴾ يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها ببيضاء نقيه فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غربيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين

وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه ليعصى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو عمل غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق

ثباتا على كفرهم يعني النفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لكي يصلى طائفة في مسجدهم وطائفة في مسجد الرسول (وارصادا) انتظارا (لمن حارب الله ورسوله) لمن كفر بالله ورسوله (من قبل) من قبلهم أبو عامر الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسقا

على جناح سفر واذا قد منا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فترلت ﴿ وليلخفن ان اردنا
الاحسنى ﴾ ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر
والتوسعة على المصلين ﴿ والله يشهدانهم لكاذبون ﴾ فى حلفهم ﴿ لاتقم فيه ابدا ﴾

(ويلخفن) كاذبين
(ان اردنا الاحسنى)
ما اردنا ببناء هذا المسجد
الا الخصلة الحسنى وهى
الصلاة وذكر الله والتوسعة
على المصلين (والله يشهد
انهم لكاذبون) فى حلفهم
(لاتقم فيه ابدا) للصلاة

(ويلخفن ان اردنا) ما اردنا
ببناء المسجد (الاحسنى)
الا الاحسان الى المؤمنين
لكى يصلى فيه من فانت صلاحته
فى مسجد قباء (والله يشهد)
يعلم (انهم لكاذبون) فى حلفهم
(لاتقم فيه) لاتصل فى مسجد
الشقاق (ابدا)

وسواء الناس أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي
صلى الله عليه وسلم لأجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك
الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يش أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل
الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجدا فاني ذاهب الى قيصر
ملك الروم فاتى بجند من الروم فاخرج محمد واصحابه فبنوا مسجدا للضرار الى جنب مسجد
قباة فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعنى انتظار المن حارب الله ورسوله يعنى أبا عامر
الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشام من قبل يعنى ان أبا عامر الفاسق حارب الله
ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار ﴿ ويلخفن ﴾ يعنى الذين بنوا المسجد
﴿ ان اردنا ﴾ يعنى ما اردنا ببنائه ﴿ الاحسنى ﴾ يعنى الا الخصلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين
والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة فى مسجد قباة أو مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم ﴿ والله يشهدانهم لكاذبون ﴾ يعنى فى قلوبهم وخلفهم روى أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بنى أوان وهو موضع قريب من المدينة
فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزله الله هذه الآية
وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن
الدخشم ومع بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط
مالك بن الدخشم فقال مالك أنظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخلكم أهله فأخذ
من سفوف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فاحرقوه
وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع
كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غربيا وحيدا
وروى ان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباة أتوا عمر بن الخطاب فى خالقاته
فسألوه ان يأذن لجمع بن جارية ان يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ونعمة عين أليس هو
امام مسجد الضرار قال جمع يا أمير المؤمنين لاتعجل على فوالله لقد صليت فيه وأنا لأعلم
ما أضمر وا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكننت غلاما قارنا للقرآن وكانوا شيوخا
لا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب الا أنهم يتقربون الى الله ولم أعلم ما فى أنفسهم فعذره
عمر فصدقه وأمره بالصلاة فى مسجد قباة قال عطاء لما قبح الله على عمر بن الخطاب الامصار
أمر المسلمين ان يبناوا المساجد وامرهم ان لا يبناوا فى موضع واحد مسجدين يضار
أحدهما الآخر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لاتقم فيه ابدا ﴿ قال ابن عباس معناه
لاتصل فيه ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى مسجد الضرار

(المسجد أسس على التنوى)

اللام للابتداء وأسس

نعت له وهو مسجد قباء

أسسه رسول الله صلى الله

عليه وسلم وصلى فيه أيام

مقامه بقباء وهى يوم

الاثنين والثلاثاء والاربعاء

والخميس وخرج يوم الجمعة

أو مسجد رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالمدينة

(من أول يوم) من أيام

وجوده قبل القياس فيه

مذ لانه لا ابتداء الغاية

في الزمان ومن لا ابتداء

الغاية في المكان والجواب

ان من عام في الزمان

والمكان (أحق أن تقوم

فيه) مصليا (فيه) رجال

يجبون أن يتطهروا

لمسجد) وهو مسجد قباء (أسس

على التقوى) بنى على طاعة

الله وذكره (من أول يوم)

دخل النبي صلى الله عليه

وسلم المدينة ويقال أول

مسجد بنى بالمدينة (أحق)

أصوب (ان تقوم) تصلى

(فيه) في مسجد قباء (فيه)

رجال يجبون ان يتطهروا)

ان يغسلوا اديارهم بالماء

للصلاة * لمسجد أسس على التقوى * يعنى مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصد أو مسجد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه فقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة * (من أول يوم) من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر * اقوين من حجج ومن دهر

* احق ان تقوم فيه * اولى بان تصلى فيه * فيه رجال يجبون ان يتطهروا * من المعاصى والخصال

* لمسجد أسس على التقوى * اللام فهلام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد

أسس يعنى بنى أصله ووضع أساسه على التقوى يعنى على تقوى الله عز وجل * (من أول يوم) *

يعنى من أول يوم بنى ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى * أحق ان تقوم فيه * *

يعنى مصليا واختلفوا في المسجد الذى أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو

سعيد الخدرى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى مسجد المدينة ويدل عليه

ماروى عن أبى سعيد الخدرى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت

بعض نسائه فقلت يا رسول الله أى المسجدين أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصى

فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبى هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى

على حوضى (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى

ومنبرى روضة من رياض الجنة * عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان

قوائم منبرى هذا روايت في الجنة أخرجه النسائي وقوله روايت يعنى ثوابت يقال رتب

بالمكان اذا قام فيه وثبت وهو في رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير

وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يجبون

ان يتطهروا والله يجب المطهرين ويدل على انهم أهل قباء ماروى عن أبى هريرة قال

نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يجبون ان يتطهروا والله يجب المطهرين قال كانوا

يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث غريب

هكذا ذكره صاحب جامع الاصول برواية ابى داود والترمذى موقوفا على ابى هريرة

ورواه البغوى من طريق ابى داود مرفوعا عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يجبون ان يتطهروا والله يجب المطهرين قال

كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذا الآية وما يدل على فضل مسجد قباء ماروى عن ابن عمر

قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء او يأتي قباء راكبا وما شيا زاد في رواية فيصلى فيه

ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وما شيا

وكان ابن عمر يفعله أخرج الرواية الاولى والزيادة البخارى ومسلم وأخرج الرواية الثانية

البخارى عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد

مسجد قباء فيصلى فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن اسد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى * فيه رجال

يجبون أن يتطهروا * يعنى من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين

قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبرى بسنده

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال المؤمنون انتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وأنامهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم ﴿١٩٧﴾ قال أتصبرون على البلاء {سورة براءة} قالوا نعم قال أتشكرون

في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أتى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بحبوه (أفمن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف (هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه

(والله يحب المطهرين)

المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجناية فلا ينامون عليها ﴿والله يحب المطهرين﴾ يرضى عنهم ويدنيه من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام مؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام أترضون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام أترضون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أتى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فتلا في رجل يحبون أن يتطهروا ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ ببيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان خير﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾

عن عويمر بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء انى اسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فها هذا الطهور قالوا يارسول الله ما نعمل شيئا إلا أن جيراننا من اليهود رأيتهم يفسلون أدبارهم من الغائط ففسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فاتصنعون قالوا أنانفسل عن أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازى المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصى وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعنى أهل قباء بالصد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصى وهى الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصى وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعنى طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصى وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء ﴿والله يحب المطهرين﴾ فيه منح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ﴿يعنى طلب بنيانه المسجد الذى بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان البانى لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ الشفا هو

بلاء من الانسان (أفمن أسس بنيانه) بنى اساسه (على تقوى من الله) على طاعة الله وذكره (ورضوان) بنوا ارادة رضوان ربهم وهو مسجد قباء (خير أم من أسس بنيانه) بنى أساسه وهو مسجد الشقاق (على شفا جرف) على طرف هوى وليس له أصل (هار) غار

لوضوحه والمعنى أفن أسس ببناء دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثباب والاستسك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازاً الجزء الحادى عشر { عينا في التقوى } ١٩٨ والشفا الجرف والشفير وجرف الوادى

جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشقى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بالف فاعل انما هي عينه واصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفن أسس بنيانه أم أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وحزة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وحزة في رواية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فحى بلفظ الانهيار الذى هو الجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو فى قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار

على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استسكاه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهاره في النار ووضع في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لاحالة « وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول « وقرأ اسس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس بالفتح والمد واسس بالكسر وثلاثها جمع اس وتقوى بالتونين على ان الالف للحاق لالتأنيث كترى « وقرأ ابن عامر وحزة وابو بكر جرف بالتحفيف « والله لا يهدى القوم الظالمين « الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم « لا يزال بنيانهم الذى بنوا « بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس يجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله « ريبة

الشفير وشفأ كل شىء حرفه ومنه يقال أشقى على كذا اذا دانا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذى أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيخفر بالماء فيبقى واهيا هار أى هائر وهو ساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذى تداعى بعضه في أثر بعض كما يهار الرمل والشىء الرخو « فانهار به « يعنى سقط بالبانى « في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين « والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناى على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسيحين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباة أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفن أسس ببناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان البانى الاول قصد ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والبانى الثانى قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ماتنا هى بناؤهم حتى وقع في النار ولقد ذكرنا انه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة «

(والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) يعنى (

فانهار به) فانهار به يعنى بانيه (في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يعفر للمنافقين ولا ينجيهم (لا يزال بنيانهم) بعدما هدمت (الذى بنوا ريبة)

في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك و نفاق زائد على شكهم و نفاقهم لما ظاهروا من ذلك و عظم عليهم (الا ان تقطع قلوبهم)
شامى و حزة و حفص أى تقطع ﴿ ١٩٩ ﴾ غيرهم تقطع { سورة براءة } أى الا ان تقطع قلوبهم قطعاً

و تفرق أجزاء فحينئذ
يسئلون عنه و أما مادامت
سالمة مجتمعة فالريبة باقية
فيها متمكنة ثم يجوز أن
يكون ذكر التقطع تصوير
الحال زوال الريبة عنها
و يجوز أن يراد حقيقة
تقطيعها و ما هو كائن منه
بقتلهم و فى القبور أو فى النار
أو معناه الا أن يتوبوا توبة
تقطع بها قلوبهم نداماً و اسفاً
على تفریطهم (والله عليم)
بعضائهم (حكيم) فى جزاء
جرائهم (ان الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم و أموالهم
بان لهم الجنة) مثل الله
اثابهم بالجنة على بذلهم
أنفسهم و أموالهم فى سبيله
بالشراء و روى تاجرهم
فاغلى لهم الثمن و عن الحسن

حسرة ندامة (فى قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم)
الا ان يموتوا (والله عليم)
ببنيانهم مسجد الضرار
و بنيانهم (حكيم) فيما حكم
من هدم مسجدهم و حرقه
بعث اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد رجوعه من
غزوة تبوك عامر بن قيس
و وحشياً مولى مطعم بن عدى
حتى أحرقاه و هدماه (ان الله

فى قلوبهم) أى شكواً و نفاقاً و المعنى ان بنيانهم هذا لا يزال سبب شكهم و نفاقهم فانه
حلمهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم
و ازداد بحيث لا يزال و سمى عن قلوبهم ﴿ الا ان تقطع قلوبهم ﴾ قطعاً بحيث لا يبقى
لها قابلية الادراك و الاضمار و هو فى غاية المبالغة و الاستثناء من اعم الازمنة و قيل المراد
بالقطع ما هو كائن بالقتل أو فى القبر أو فى النار و قيل التقطع بالتوبة نداماً و اسفاً و قرأ يعقوب
الى بحرف الانتهاء و تقطع بمعنى تقطع و هو قراءة ابن عامر و حزة و حفص و قرئ
يقطع بالياء و يقطع بالتخفيف و تقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب
ولو قطعت و قطعت على البناء للفا عل أو المقمول ﴿ والله عليم ﴾ بنيانهم ﴿ حكيم ﴾ فيما
امر بهدم بنيانهم ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بان لهم الجنة ﴾ تمثيل

يعنى شكاً و نفاقاً ﴿ فى قلوبهم ﴾ و المعنى ان ذلك البنيان صار سبباً لحصول الريبة
فى قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم و ازدادوا غماً و حزناً و بغضاً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة فى قلوبهم و قيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون
فى بنائه كما حجب العجل الى بنى اسرائيل فلما أمر رسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه
بقوا شاكين مرتابين لأى سبب أمر بتخريبه و قال السدى لا يزال هدم بنيانهم
ريبة أى حرارة و غيظاً فى قلوبهم ﴿ الا ان تقطع قلوبهم ﴾ أى تجعل قلوبهم قطعاً
و تفرق أجزاء اما بالسيف و اما بالموت و المعنى ان هذه الريبة باقية فى قلوبهم الى
أن يموتوا عليها ﴿ والله عليم ﴾ يعنى باحوالهم و أحوال جميع عبادهم ﴿ حكيم ﴾ يعنى
فيما حكم به عليهم ﴿ قوله عز و جل ﴾ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم
بان لهم الجنة ﴿ الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة و كانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة اشترط
لربك و لنفسك ماشئت قال اشترط لربى أن تعبدوه و لا تشركوا به شيئاً و اشترط
لنفسى أن تمنعنى مما تمنعون منه أنفسكم و أموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فالتنا قال
الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل و لا نستقبل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
و أموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعانى لا يجوز أن يشتري الله
شيئاً هو له فى الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك و الاشياء كلها ملك لله عز و جل
ولهذا قال الحسن أنفستنا هو خلقها و أموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا
مجرى التلطف فى الدعاء الى الطاعة و الجهاد و ذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله
حتى يقتل أو أنفق ماله فى سبيل الله عوضه الله الجنة فى الآخرة جزاء بما فعل
فى الدنيا فحمل ذلك استبدالاً و اشتراءً فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم
و أموالهم بان لهم الجنة و المراد باشتراء الاموال انفاقها فى سبيل الله و فى جميع

اشترى من المؤمنين (المخلصين) أنفسهم و أموالهم بان لهم الجنة (بالجنة)

أنفسا هو خلقها وأموالها ورزقها ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله صريح لانقبله ولا نستقبله فخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أي تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم { الجزء الحادي عشر } العدو فيقتلون ﴿ ٢٠٠ ﴾ ويقتلون حزة وعلى (وعدا عليه)

لأثابة الله أيهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ استئناف بيان مالاخلة الشراء وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حزة والكسائي بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لانوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ مصدر مؤكد للمدل عليه الشراء فانه في معنى الوعد ﴿ في التوربة والانجيل والقرآن ﴾ مذكور فيهما كما اثبت في القرآن ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ﴾ فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظام المطالب كما قال ﴿ وذلك هو الفوز العظيم التائبون ﴾ رفع على المدح أي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال

وجوه البر والطاعة ﴿ يقاتلون في سبيل الله ﴾ هذا تفسير لتلك المبايعات وقيل فيه معنى الامر أي قاتلوا في سبيل الله ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾ يعني فيقتلون أعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعد على الله حقا ﴿ في التوربة والانجيل والقرآن ﴾ يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أثبتته في التوراة والانجيل كما أثبتته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع اهل الملل ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ يعني لا أحد أوفى بالعهد من الله فاستبشروا ﴿ ببيعكم الذي بايعتم به ﴾ يعني فاستبشروا وياها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به ﴿ وذلك ﴾ يعني هذا البيع ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ لانه راح في الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيعة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشتري الجنة بدمعها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ التائبون ﴿ قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لتترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا الاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى ﴿ وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعني الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل التوبة من الكفر والنفاق فيه

مصدر أي وعدهم بذلك وعدا (حقا) صفته أخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبتته (في التوربة والانجيل والقرآن) وهو دليل على ان اهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف المعاد قبح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف باكرم الاكرمين ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا سباق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين او هو

(يقاتلون في سبيل الله) في طاعة الله (فيقتلون) العدو (ويقتلون) ويقتلهم العدو (وعدا عليه) على الله (حقا) واجبا ان يوفيهـم (في التوربة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) ومن أوفى بعهده من الله (فاستبشروا ببيعكم الذي) (بايعتم به) الله يعني الجنة (وذلك هو الفوز العظيم) النجاء الوافر ثم بين من هم فقال (التائبون) أي هم التائبون من الذنوب

(يقاتلون في سبيل الله) (يقتلون ويقتلون) (وعدا عليه) (حقا) واجبا ان يوفيهـم (في التوربة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) ومن أوفى بعهده من الله (فاستبشروا ببيعكم الذي) (بايعتم به) الله يعني الجنة (وذلك هو الفوز العظيم) النجاء الوافر ثم بين من هم فقال (التائبون) أي هم التائبون من الذنوب

متبدأ حبيبه (العابدون)
 أي الذين عبدوا الله وحده
 وأخلصوا له العبادة وما بعده
 خبر بعد خبر أي التائبون
 من الكفر على الحقيقة
 الجامعون لهذه الخصال
 وعن الحسن هم الذين تابوا
 من الشرك وتبرؤا من
 النفاق (الحامدون) على
 نعمة الاسلام (السائحون)
 الصائمون لقوله عليه السلام
 سياحة أمتي الصيام أو طلبه
 السلم لانهم يسمحون في
 الارض يطبونه في مظانه
 أو السائر في الارض
 للاعتبار (الراكعون
 الساجدون) المحافظون
 على صلوات (الآمرين
 بالمعروف) بالايان
 والمعرفة والطاعة
 (والناهون عن المنكر)
 عن الشرك والمعاصي
 ودخلت الواو للاشعار
 بان السبعة عقد تام وللتضاد
 بين الامر والنهي كما في قوله
 (العابدون) المطيعون
 (الحامدون) الشاكرون
 (السائحون) الصائمون
 (الراكعون الساجدون)
 في الصلوات الخمس
 (الآمرين بالمعروف)
 بالتوحيد والاحسان
 (والناهون عن المنكر)
 عن الكفر وما لا يعرف
 في شريعة ولا سنة

وقرىء بالياء نصباً على المدح أو جراً صفة للمؤمنين ﴿ العابدون ﴾ الذين
 عبدوا الله مخلصين له ﴿ الحامدون ﴾ لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء
 ﴿ السائحون ﴾ الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة أمتي الصوم شبهها
 من حيث انه يعوق عن الشهوات أو لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع
 على خفايا الملك والملوك أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم ﴿ الراكعون
 الساجدون ﴾ في الصلاة ﴿ الآمرين بالمعروف ﴾ بالايان والطاعة ﴿ والناهون
 عن المنكر ﴾ عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم
 خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى

وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم أن التوبة
 المقبولة انما تحصل بامور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم
 على فعلها فيمضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على
 التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع
 مذمتهم فليس بمخلص في توبته ﴿ العابدون ﴾ يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله
 واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون
 العبادة خالصة لله تعالى ﴿ الحامدون ﴾ يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال
 في السراء والضراء ﴿ روى البغوي بغيرسند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء
 وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى
 ﴿ السائحون ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة
 انما سمي الصائم سائحاً لانه لا يسيح في الارض متعبداً لانه لا زاد معه فكان ممسكاً عن الاكل وكذلك
 الصائم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استقرار الذهاب في الارض كلما الذي يسيح
 والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون
 في سبيل الله ويبدل عليه ماروى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله انى لي في السياحة
 فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغيرسند وقال عكرمة
 السائحون هم طلبه العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها أثر
 عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لا بد أن يلقى أنواعاً من الضر والبؤس
 ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من
 بركتهم وبرى الحجاب وآثار قدرة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدله على وحدانية الله
 سبحانه وتعالى وعظم قدرته ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ يعني المصلين وانما عبر عن الصلاة
 بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبهما يتميز المصلي من غير المصلي بخلاف حالة
 القيام والقعود لانهما حالة المصلي وغيره ﴿ الآمرين بالمعروف ﴾ يعني يأمررون الناس
 بالايان بالله وحده ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ يعني عن الشرك بالله وقيل انهم يأمررون

والحافظون لحدود الله ﴿ أى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها و قيل ان هذا للايذان بأن التعداد قد تم بال سبع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المشرية للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجعل عن احاطة الافهام وتمييز الكلام ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام قال لاني طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا ازال استغفرك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبره ثم قال مستعبرا فقال انى استأذنت ربي فى زيارة قبر اى فاذنى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذنى وانزل على الآيتين ﴿ ولو كانوا اولى قربى

الناس بالحق فى اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه وانهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن امانهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى اتهموا عندوهم مادخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وقمحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون يعنى هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ قال ابن عباس يعنى القائمى بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيأ من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منها ينهاهم عنه ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا ووا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآيات بان لها الجنة وان لم يفز ﴿ قوله عز وجل ﴾ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى ﴿ الآية واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى شأن أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والدعى وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب ابن حزن قال لما حضرت أبى طالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أباجهل وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لاله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال أبوجهل وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب

نبات وأبكارا (والحافظون لحدود الله) أو امره ونواهيه أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام ان يستغفر لابي طالب فنزل (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى) أى ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته

(والحافظون لحدود الله) لفرائض الله (وبشر المؤمنين) بالجنة (ما كان للنبي) ما جاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان يستغفروا) أن يدعوا للمشركين لو كانوا اولى قربى (فى الرحم

أخبر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي وأنزل الله في أبي طالب انك لا تهدي من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه في الصحيحين « فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولاً قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من أحبيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فمخ من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فأبى فانزل الله انك لا تهدي من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما جله على ذلك الجزع لا قررت به عينك فانزل الله الآية (ق) عن ابى سعيد الخدرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعنه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضمض من نار يبلغ كعبه تغلى منه أم دماغه وفي رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضمض من نار ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضمض وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنسة فوقه حتى حيت الشمس رجاء ان يأذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبره أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذنى لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فما روى باكيأ أكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزى عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكك قال صرت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجراً فابكاني ثم دعا براحله فركبها فما سارا لاهنية حتى قامت الناقة لتقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي الآية (ق) عن ابى هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذنى لي

من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿ بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحياتهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقص باستغفار إبراهيم عليه الصلاة
والسلام لآبيه الكافر فقال ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴿
وعدها إبراهيم إياه بقوله لا أستغفرن لك أى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه
يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ إياه أو وعدها إبراهيم أبوه وهو الوعد بالإيمان
﴿ فلما تبين له أنه عدو لله ﴿ بأن مات على الكفرى أو وحى فيه بأنه لن يؤمن ﴿ تبرأ منه ﴿

فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا أستغفرن
لابى كما استغفر إبراهيم لآبيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبرى بسنده عنه قال
ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آباؤنا
من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفى بالذم أفلا نستغفر لهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لا أستغفرن لآبى كما استغفر إبراهيم لآبيه
فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم
عذر الله إبراهيم فقال تعالى وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها
إياه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لآبويه وهما مشركان
فقلت له أتستغفر لآبويك وهما مشركان فقال استغفر إبراهيم لآبيه وهو مشرك
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين الآية أخرجه النسائى والترمذى وقال حديث حسن وأخرجه الطبرى وقال
فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له
أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله
ففيه النهى عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى لان النهى عن الاستغفار للمشركين عام
فيسبغى فيه القريب والبعيد ﴿ ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى ﴿ من
بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿ يعنى تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من
أصحاب الجحيم وأيضاً فقد قال تبارك وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى
لا يخلف وعده ﴿ أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن
موعدة وعدها إياه ﴿ فعناه وما كان طلب إبراهيم لآبيه المغفرة من الله إلا من أجل
موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن أبي طالب رضى الله
تعالى عنه لما أنزل الله خبراً عن إبراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت
رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أتستغفر لآبويك وهما مشركان فقال
أولم يستغفر إبراهيم لآبيه فأيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله
عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم الى قوله الا قول إبراهيم لآبيه
لا أستغفرن لك يعنى ان إبراهيم ليس بقدوة فى هذا الاستغفار لانه انما استغفر لآبيه
وهو مشرك لمكان الموعد الذى وعده أن يسلم ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴿

(من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من
بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا
على الشرك ثم ذكر عذر
إبراهيم فقال (وما كان
استغفار إبراهيم لآبيه إلا
عن موعدة وعدها إياه)
أى وعد أبوه إياه أن يسلم
أوهو وعد أباه أن يستغفر
وهو قوله لا أستغفرن لك
دليله قراءة الحسن وعدها
أباه ومعنى استغفاره سؤاله
المغفرة له بعد ما أسلم أو
سؤاله اعطاء الاسلام
الذى به يغفر له (فلما تبين)
من جهة الوحى (له)
لإبراهيم (أنه) ان أباه
(عدو لله) بان يموت كافراً
وانقطع رجائه عنه (تبرأ
منه) وقطع استغفاره

(من بعد ما تبين لهم أنهم
أصحاب الجحيم) أهل النار أى
ماتوا على الكفر (وما كان
استغفار إبراهيم) أى دعاء
إبراهيم (لآبيه إلا عن موعدة
وعدها إياه) أن يسلم (فلما
تبين له أنه عدو لله) أى
حين مات على الكفر
(تبرأ منه) ومن دينه

قطع استغفاره ﴿ ان ابراهيم لأواه ﴾ لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترجمه ورقة قلبه ﴿ حلیم ﴾ صبور على الاذى والجملة ليسان ماجله على الاستغفاره مع

فلمى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان أبا ابراهيم وعد ابراهيم أن يسلم فقال ابراهيم سأستغفرك ربى يعنى اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفرك ربى ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة فلما تبين له أنه عدولته تبرأ منه يعنى فلما ظهر لابراهيم وبان له ان أباه عدولته يعنى بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان أباه عدوله فبرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدولته تبرأ منه ويدل على ذلك ماروى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم عليه السلام أباه أزر يوم القيامة وعلى وجه أزر قتره وغبرة فيقول ابراهيم ألم أقل لك لاتعصني فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني أن لاتخزني يوم يعثون فأبى خزى أخزى من أبى فيقول الله تبارك وتعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ماتحت رجلحك فينظر فاذا هو بنديج متطبخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجته البخارى زاد غيره قبرا منه والفترة غبرة يعلوها سواد والذنج بذل مججمة ثم ياء مشناة من تحت ثم خاء معجمة هو ذكر الضباع والاثني ذنخة ﴿ وقوله تبارك وتعالى ﴾ ان ابراهيم لأواه حلیم ﴿ جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه رحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذى يكثر التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل ان لا ينفذ أوه وقال عقبه بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شققا وفرقا المتضرع انفسا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جمع ما قيل فى الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب وبشدة حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق فى القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحلیم فعنه ظاهر وهو الصفوح عن سبه أوأناه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللاطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لئن لم تنته لأرجنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفرك ربى وقال ابن عباس الحلیم السيد واما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليين

(ان ابراهيم لأواه) هو المتأوه شققا وفرقا ومعناه انه لفرط ترجمه ورقته كان يتعطف على أبى الكافر (حلیم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه كان يستغفر لابييه وهو يقول لا رجنك

(ان ابراهيم لأواه) دعاء ويقال رحيم ويقال سيد ويقال كان يتأوه على نفسه فيقول أوه من النار قبل دخول النار (حلیم) عن الجهل

(وما كان الله ليضل
أى ما أمر الله باتقائه
واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغيره مما نهى
عنه وبين أنه محظور لا يؤخذ
به عباده الذين هداهم
للاسلام ولا يخذلهم الا اذا
قدموا عليه بعد بيان
خطره وعلّمهم بأنه واجب
الاجتناب واما قبل العلم
والبيان فلا وهذا بيان
لعذر من خاف المؤاخذه
بالاستغفار للمشركين
والمراد بما يتقون ما يجب
اتقاؤه للنهى فاما ما يعلم
بالعقل فغير موقوف على
التوقيف (ان الله بكل شئ
عليم ان الله له ملك السموات
والارض يحي ويميت وما
لكم من دون الله من ولى ولا
نصير

شكاسته عليه ﴿ وما كان الله ليضل قوما ﴾ أى ليسمهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
﴿ بعد اذهداهم ﴾ للاسلام ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ حتى بين لهم حظره ما يجب
اتقاؤه وكان بيان عذر للرسول في قوله لعمره أو لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل
المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة
دليل على ان الغافل غير مكلف ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ فيعلم امرهم في الحالتين
﴿ ان الله له ملك السموات والارض يحي ويميت وما لكم من دون الله من ولى
ولا نصير ﴾ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين لو كانوا اولى قربي وتضمن ذلك
وجوب التبرى عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب
عليه ولايتاى لهم ولاية ولا نصرة الامنه ليتوجهوا بشر امرهم اليه ويتبرؤا

سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره
على الكفر فاقتدوا به أتم في هذه الحالة أيضا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وما كان
الله ليضل قوما بعد اذهداهم ﴾ يعنى وما كان الله ليقضى عليكم بالضلال بسبب
استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله
وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع
خافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم ﴿ حتى بين لهم ما يتقون ﴾ يعنى
ما يأتون وما يندرون وهو أن يقدم اليهم النهى عن ذلك الفعل فاما قبل النهى فلا
خرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى عن الاستغفار
للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك
فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤاخذهم بعمل الابد ان بين لهم ما يجب
عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين
خاصة وبيانه لهم في مصيئته وطاعته عامة وقال الضمك وما كان الله ليعذب قوما حتى
يبين لهم ما يأتون وما يندرون وقال مقاتل والكلبي هذا في أمر المنسوخ وذلك ان قوما
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى
الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى
الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت
والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يارسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره
ففتح على ضلال فانزل الله عز وجل ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم ﴾ يعنى
﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم ﴾ يعنى ﴿ ان الله بكل شئ
عليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عندما نهاكم عن
الاستغفار للمشركين ويعلم ما بين لكم من أوامره ونواهيه ﴿ ان الله له ملك السموات
والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها
عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء ﴿ يحي ويميت ﴾ يعنى انه تعالى يحي من يشاء
على الايمان ويميت عليه ويحي من يشاء على الكفر ويميت عليه لاعتراض لاحد عليه
في حكمه وعبيده ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ يعنى انه تعالى هو وليكم

(وما كان الله ليضل قوما)
ليترك قوما بمنزلة الضلال
ويقال ليضل عمل قوم
(بعد اذهداهم) للايمان
(حتى بين لهم ما يتقون)
المنسوخ بالناسخ (ان الله
بكل شئ) من المنسوخ
والناسخ (عليم ان الله له ملك
السموات) خزائن
السموات الشمس والقمر
والنجوم وغير ذلك
(والارض) وخزائن
الارض مثل الشجر
والدواب والحيوان والبحار
وغیر ذلك (يحي) للبعث

لقد تاب الله على النبي (أي تاب عليه باذنه للمنافقين في التخلّف عنه كقوله عفا الله عنك) والمهاجرين (والمهاجرين والانصار) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وأنه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة المستعمله في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر بعقب العسرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما صها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحرروا الابل وعصروا كرشها وشربوه وفي شدة زمان من حجارة القيظ ومن الجذب والقحط

(لقد تاب الله على النبي) تجاوز الله عن النبي (والمهاجرين والانصار) الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرائم بينهم فقال (الذين اتبعوه) اتبعوا النبي في غزوة تبوك (في ساعة العسرة) في حين

مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويندرون سواء ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴾ من اذن المنافقين في التخلّف أو برأهم عن علقه الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى مامن احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ مامن احد الاوله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك القيصه واطهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده ﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر تعقب العسرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا

وناصرکم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصرکم عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴿ الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم واخذته باذنه للمنافقين بالتخلّف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لأنه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان الله خصه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشریف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان الله خصه وللرسول فهو تشریفه وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا لانقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ في تلك غزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا ما بين ركب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل ﴿ في ساعة العسرة ﴾ يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان عشرة منهم يخرجون على بعير واحد

العسرة والشدة وكانت لهم عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من العدو وعسرة من بعد الطريق

يشتمان تمره والماء حتى شربوا اللفظ ﴿ من بعد ما كاد تزيع قلوب فريق منهم ﴾
 عن الثبات على الايمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان أو ضمير القوم والعائد
 عليه الضمير في منهم وقرأ حزة و حفص يزيع بالياء لان تأييد القلوب غير حقيقى
 ووقرىء من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المختلفين ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ تكرير
 للتأكيد وتبيينه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة أو المراد انه تاب
 عليهم لكي يوديتهم ﴿ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة ﴾ و تاب على الثلاثة كعب بن
 مالك وهلال بن أمية وسارة بن الربيع ﴿ الذين خلفوا ﴾ تخلفوا عن الغزو أو خلف
 امرهم فانهم المرجون

(من بعدما كاد تزيع قلوب
 فريق منهم) عن الثبات
 على الايمان أو عن اتباع
 الرسول في تلك الغزوة
 والخروج معه وفي كاد ضمير
 الشان والجملة بعده في موضع

النصب وهو كونه لهم ليس
 خلق الله مثله أى ليس شأن
 خلق الله مثله يزيع حزة
 و حفص (ثم تاب عليهم)
 تكرير للتأكيد (انه بهم
 رؤف رحيم وعلى الثلاثة)
 أى و تاب على الثلاثة وهم
 كعب بن مالك وسارة بن
 الربيع وهلال بن أمية
 وهو عطف على النسبى
 (الذين خلفوا) عن الغزو

(من بعد ما كان يزيع)

يعمل (قلوب فريق منهم)

من المؤمنين المخلصين

عن الخروج مع النسبى

صلى الله عليه وسلم (ثم تاب

عليهم) تجاوز عنهم وثبت

قلوبهم حتى خرجوا مع

النبي صلى الله عليه وسلم

(انه بهم رؤف رحيم وعلى

الثلاثة الذين خلفوا)

وتجاوز عن الثلاثة الذين

خلف توبتهم كعب بن مالك

واصحابه

يعتقون به بينهم يركب الرجل ساعده ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القوم المسوس
 والشعير المتغير وكان نفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم ذالمع الجوع من
 أحدهم أخذ التمرة فلا كفا حتى يحططعها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب
 عليها جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة
 فمشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم وبقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب
 خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش
 شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه
 ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلبس الماء فلا يرجع حتى يظن
 ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء
 خيرا فادع الله قال انجب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى ارسل الله
 سحابة فطرت فلو امامهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فأوجدناها جاوزت العسكر أسنده
 الطبرى عن عمر ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ من بعدما كاد تزيع قلوب فريق منهم ﴾ يعنى من بعد
 ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التى نالتهم والزيع فى اللغة
 الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التى نالتهم لكنهم
 صبروا واحتسبوا واندما على ما خطر فى قلوبهم فلا جل ذلك قال تعالى ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ يعنى
 انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة * فان قلت قد ذكر
 التوبة أو لا ثم ذكرها تانيا فافائدة التكرار * قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أو لا قبل ذكر
 الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة
 أخرى تعظيما لشأنهم ولعلوا أنه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أتبعه بقوله
 ﴿ انه بهم رؤف رحيم ﴾ تأكيدا لذلك ومعنى الرؤف فى صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده
 لانهم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا
 فى المعنى قال الخطابى قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرؤفة تكون
 مع الكراهة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ هذا معطوف على ما قبله
 تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا
 العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وسارة بن الربيع وكلهم من الانصار

وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان
أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك أنهم لم يخضعوا كما خضع أبو لبابة
وأصحابه فتاب الله على أبي لبابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد
ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها * وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب وكان قائداً لكعب من بني
حين عبي قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاه
قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا تخلف عنها انما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على
غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام
وما أحب أن لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين
تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني
حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك
الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك
الغزوة فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومقارناً
واستقبل عدواً كثيراً فجالا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم بوجههم الذي يريد
والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك
الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاظن ان ذلك سيخفي له ما لم ينزل فيه وحى
من الله عز وجل وغزار رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال
فانا اليها أصعب فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معدة فطقت أغدولكي أتجهز
معهم فارجع ولم أقض شيئاً فاقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم ينزل ذلك تمامي بي
حتى استمر بالناس الجدا فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أفض من
جهازى شيئاً ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئاً فلم ينزل ذلك تمامي بي حتى أسرعوا وتفارط
الغزو فهمت أن أرتحل نادركم فياليتني فعلت ثم لم تقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت
في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لأأرى لي أسوة الارجالا
مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال
رجل من بني سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت
والله يارسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبينهما هو كذلك
رأى رجلا مريضاً ينزل به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباً خيشمة فاذا هو أبو
خيشمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المناقون قال كعب فلما بلغني ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بئى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا واستغنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قداما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لن أجمونه بشئ أبدا فاجمت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قداما وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يمتدرون اليه ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم على نيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سراً بهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم الم غضب ثم قال لى تمال فحجت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابنت ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بمجرد لقد أعطيت جدلاً ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لا رجو فيه عنى الله وفى رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فىك فتمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقي هذا أخدمى قالوا نعم لقيه معك رجالان قال مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا امرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرأ ففهمنا أسوة قال فضيت حين ذكر وهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فاهى بالارض التى عرف فلبننا على ذلك خسين ليلة فاما صاحبنا فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم انى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عينى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الى حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكتب كتابا

فقرأه فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضية فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء فقيمت بها التنوير فسبحرته حتى اذا مضت أربعون من الحسين واستلبت الوحى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعزل امرأتك قال فقلت أطلتها أم ماذا أفعل قال لا بل اغزلها ولا تقربها قال وأرسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحق باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك فقالت انه والله مابه حركة الى شئٍ والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لأستأذن فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد صاقت على نفسى وصاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من اسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبى فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما و انطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقانى الناس فوجا فوجا ينهونى بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أمن عند الله فقال لا بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سراسنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبى أن انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك سهمى الذى بخير قال وقلت يا رسول الله ان الله انما أنجاني بالصدق وان من توبى أن لأحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحدا من المسلمين أبلا الله فى صدق الحديث

منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله ووالله ما عمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وائى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى قال فانزل الله عز وجل لقد اتاب الله على النبي والمهاجرين والانسار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم ، وف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أ نعم الله على من نعمة قط بعد ان هدى للإسلام اعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبتة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خلفوا فبأيهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا عن حلفه واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم يته عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يصلى على قال وأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتية بأمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه فابشره قال اذا يحيطكم الناس فيمنونك النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخارى ومسلم

شرح غريب هذا الحديث

قوله حين تواتقنا على الاسلام التواتق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل أو الناقة القويان على الحمل والسفر * وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية القفراء سميت بذلك تفاعلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله قانا اليها أصغر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل * قوله وتضارط الغزواى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمفموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر فى عطفه اذا كان معجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعدو السراب

﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ أى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسمعا أنس ولا سرور ﴿ وظنوا ﴾ وعلوا ﴿ أن لا ملجأ من الله ﴾ من سخطه ﴿ الا اليه ﴾ الا الى استغفاره ﴿ ثم تاب عليهم ﴾

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسمعا أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه) وعلوا أن لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بعد خسبهم يوما

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أى مع سعتها (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم بتأخير التوبة (وظنوا) وعلوا (أن لا ملجأ من الله) أى لا ملجأ من الله الا اليه (الا اليه) أى لا ملجأ من الله الا اليه (ثم تاب عليهم) تجاوز عنهم وعفا

هو ما يظهر للانسان فى البرية فى وقت الهجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض * قوله كن أباحيثة معناه أنت ابو خيثة وقيل معناه اللهم اجعله أباحيثة أى لتوجد يا هذا الشخص أباحيثة حقيقة * قوله الذى لزمه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه * قوله حضرني نبي البث أشد الحزن كأنه لشدة يظهر * قوله زاح عنى الباطل أى زال وذهب عنى وأجمت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدلا أى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث أخرج عن عهدة ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان * قوله فما زالوا يؤنبوننى أى يلوموننى أشد اللوم * قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض وتوحشت على وصارت كأنها أرض لأعرى فيها * وقوله فاما صاحبى فاستكانا يعنى خضعا وسكنا * قوله تسورت حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح * قوله فقيمت بها التنور فسجرتة بها أى فقصدت بالصحيفة التى أرسل بها ملك غسان فاحرقها فى التنور وسلع جبل بالمدينة معروف * وقوله وانطلقت أنأمم يعنى أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور * قوله انخلع من مالى أى اخرج منه جميعه وأتصدق به كما يخلع الانسان قميصه * قوله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث أحسن مما أبلانى البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا اطلق كان فى الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلانى أى أنعم على * قوله أن لا أكون كذبتة هذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لازائدة ومعناه أن أكون كذبتة * وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه أمرنا تأخيره * وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس أى يطؤكم ويزدجون عليكم وأصل الوطة الكسر * وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل * وقوله وأذن بتوبة الله علينا أى اعلم والاذان الاعلام والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ يعنى بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاقت عليهم المكان بعد ان كان واسعا ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم ﴿ وظنوا ﴾ يعنى وأيقنوا وعلوا ﴿ أن لا ملجأ ﴾ يعنى لا مفرج ولا مفر ﴿ من الله الا اليه ﴾ ولا عاصم من عذابه الا هو ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ فيه اضممار وحذف

(ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (ان الله هو التواب الرحيم) عن ابى بكر الوراق انه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) في ايمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والآية تدل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالكفون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (ما كان لاهل المدينة ومن

عندهم) ليتوبوا (لكي يتوبوا) من تخلفهم (ان الله هو التواب) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (يا ايها الذين آمنوا) عبد الله بن سلام واحبائه وغيرهم من المؤمنين (اتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم (وكونوا مع الصادقين) مع أبى بكر وعمر وأصحابهما في الجلوس والخروج بالجهاد (ما كان لاهل المدينة) ماجاز لاهل المدينة (ومن

بالتوفيق للتوبة) ليتوبوا * أو انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين أو رجع عليهم بالتبول وارجحة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم * ان الله هو التواب * لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة * الرحيم * المتفضل عليه بالنعم * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله * فيما لا يرصاه * وكونوا مع الصادقين * في ايمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين أى في توبتهم وانابهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم * ما كان لاهل المدينة ومن

تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرجهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا * وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويدوموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عاداتهم في الاختلاط بالناس ومكالتهم فسدن نفوسهم بذلك * ان الله هو التواب * يعنى على عبادته * الرحيم * بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) يعنى في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم * وكونوا مع الصادقين * يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعنى مع أبى بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيئاً ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى أن أبابكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار في يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منأ أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار أنتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وأنتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين * قوله سبحانه وتعالى (ما كان لاهل المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار * ومن

حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله (المراد بهذا النبي النهي وخص هؤلاء بالذكر وان استوى كل الناس في ذلك لقرينهم منه ولا يخفى عليهم خروجه (ولا يرغبوا) ولأن يضنوا (بانفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أي لا يختاروا البقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) النبي عن التخلف (بانهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا محصنة) جماعة (في سبيل الله) في الجهاد (ولا يطؤون موطئا) ﴿ ٢١٥ ﴾ موطئا { سورة براءة } ولا يدوسون مكانا من أمكنة

الكفار بخوافر خيولهم
واخفاف رواحلتهم وأرجلهم

(يغيط الكفار) بغضبهم

ويضيق صدورهم (ولا

ينالون من عدو نيلا)

ولا يصيبون منهم اصابة

تقتل أو أسر أو جرح

أو كسر أو هزيمة (الا كتب

لهم به عمل صالح) عن ابن

عباس رضي الله عنهما

لكل روعة سبعون ألف

حسنة يقال نال منه اذا

رزأ ونقصه وهو عام

في كل ما يسوءهم وفيه دليل

على أن من قصد خيرا كان

سعيه فيه مشكورا من قيام

وقعود ومشى وكلام وغير

ذلك وعلى ان المدد يشارك

الجيش في القنينة بعد

انقضاء الحرب لان وطء

ديارهم مما يغبطهم وقد أسهم

النبي صلى الله عليه وسلم

لابني عامر وقد قدما بعد

تقضى الحرب والموطئ

حولهم من الاعراب من

مزينة وجهيته واسلم (أن

يتخلفوا عن رسول الله) في الغزوة (ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) لا يكونوا على أنفسهم أشفق من نفس النبي صلى الله

عليه وسلم ويقال ولا يرغبوا بانفسهم بصحبة أنفسهم عن نفسه عن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد (ذلك) الخروج

(بانهم لا يصيبهم ظمأ) عطش في الذهاب والرجى (ولا نصب) ولا تعب (ولا محصنة) ولا جماعة (في سبيل الله) في الجهاد

(ولا يطؤون موطئا) لا يجوزون مكانا يظهرون عليه (يغيط الكفار) بذلك (ولا ينالون من عدو نيلا) قتلا وهزيمة

(الا كتب لهم به عمل صالح) ثواب عمل صالح في الجهاد

حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ﴿ عن حكمه نهى عبر عنه بصيغة التثنية للمبالغة ﴾ ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ﴿ ولا يصونوا انفسهم عالم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاحوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الضع والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه وممر كالحج فمدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكأنه هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والحزم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف أو وجوب المشايعة ﴿ بانهم ﴾ بسبب انهم ﴿ لا يصيبهم ظمأ ﴾ شئ من العطش ﴿ ولا نصب ﴾ تعب ﴿ ولا محصنة ﴾ جماعة ﴿ في سبيل الله ﴾ ولا يطؤون موطئا ﴿ ولا يدوسون مكانا ﴾ يغيط الكفار ﴿ يغضبهم ووطؤه ﴾ ولا ينالون من عدو نيلا ﴿ كالقتل والاسر والنهب ﴾ الا كتب لهم به عمل صالح ﴿ الاستوجوب به الثواب وذلك مما يوجب

حولهم من الاعراب ﴿ يعني سكان البوادي من مزينة وجهيته واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام ووجهه على العموم أولى ﴾ أن يتخلفوا عن رسول الله ﴿ يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ولعمري النهي أي ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ ولا يرغبوا ﴿ يعني ولا ان يرغبوا ﴾ بانفسهم عن نفسه ﴿ يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب ﴿ ذلك بانهم لا يصيبهم ﴾ في سفرهم وغزواتهم ﴿ ظمأ ﴾ أي عطش ﴿ ولا نصب ﴾ أي تعب ﴿ ولا محصنة ﴾ يعني جماعة شديدة ﴿ في سبيل الله ﴾ ولا يطؤون موطئا يغيط الكفار ﴿ يعني ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لفظ الكفار ونغمهم وحزنهم ﴾ ولا ينالون من عدو نيلا ﴿ يعني أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا ﴾ الا كتب لهم به عمل صالح ﴿ يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح

يتخلفوا عن رسول الله) في الغزوة (ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) لا يكونوا على أنفسهم أشفق من نفس النبي صلى الله عليه وسلم ويقال ولا يرغبوا بانفسهم بصحبة أنفسهم عن نفسه عن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد (ذلك) الخروج (بانهم لا يصيبهم ظمأ) عطش في الذهاب والرجى (ولا نصب) ولا تعب (ولا محصنة) ولا جماعة (في سبيل الله) في الجهاد (ولا يطؤون موطئا) لا يجوزون مكانا يظهرون عليه (يغيط الكفار) بذلك (ولا ينالون من عدو نيلا) قتلا وهزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) ثواب عمل صالح في الجهاد

المتابعة ﴿ ان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبية على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ﴾ ولو علاقة ﴿ ولا كبيرة ﴾ مثل ما انفق عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ فى مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض ﴿ الا كتب لهم ﴾ الا ثبت لهم ذلك ﴿ ليجزئهم الله ﴾ بذلك ﴿ احسن ما كانوا يعملون ﴾ جزاء احسن اعمالهم أو احسن جزاء اعمالهم

قد ارتضاه لهم وقبل منهم ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قدا حسن فى عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفى الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه ﴿ واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعدد فاما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعى وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون فى هذه الآية انها لاول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لاتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا لانا لوسوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ولا ينفقون ﴿ يعنى فى سبيل الله ﴾ نفقة صغيرة ولا كبيرة ﴿ يعنى تمرة فما دونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط ﴾ ولا يقطعون واديا ﴿ يعنى ولا يجاوزون فى مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه ﴾ الا كتب لهم ﴿ يعنى كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم ﴾ ليجزئهم الله ﴿ يعنى يجازيهم ﴾ أحسن ما كانوا يعملون ﴿ قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازى فيه وجهان الاول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى ان الاحسن صفة للجزء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وافضل وهو الثواب وفى الآية دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد ﴿ ق ﴾ عن سهل بن سعد الساعدى ان

مكان فان كان مكانا فعنى يعيظ الكفار يعيظهم وطؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) فى سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وأكام يكون منفذ السيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه لودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجزئهم الله) متعلق بكتب أى ثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفيراً

(ان الله لا يضيع) لا يبطل (اجر المحسنين) ثواب المؤمنين فى الجهاد (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) قليلة ولا كثيرة فى الذهاب والمجيء (ولا يقطعون واديا) فى طلب العدو (الا كتب لهم ثواب عمل صالح) ليجزئهم الله باحسن ما كانوا يعملون (

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لغزو غزوا وطلب علم كالا يستقيم لهم ان يتبسطوا جميعا فانه يخل بأمر المعاش

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيل الله وائمانا ويصدقنا برسلى فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أرحمه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا مائلا من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كالم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كالم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا يجد سعة فاحلهم ولا يجردون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذي نفس محمد بيده لو ددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخارى بمعناه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً بالله وتصديقاً بوعده فان شبعه وريبه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابي مسعود الانصارى البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة * عن خريم بن فالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبع مائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس انها ليست تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجذبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجهدوهم فانزل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائريهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعملهم اذا رجعوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حى من العرب عصاة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من

لاجرهم (وما كان المؤمنون
لننفروا كافة) اللام
لتأكد النفي أى أن نفي
الكافة عن أوطانهم لطلب
العلم غير صحيح للأفضاء الى
في الجهاد (وما كان المؤمنون)
ماجاز للمؤمنين (لينفروا كافة)
يجرجوا جميعا في السرية
ويتركوا النبي صلى الله عليه
وسلم في المدينة وحده

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ﴿ ليتفقوهوا في الدين ﴾ ليتكفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ﴿ ولينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم ﴾ وليجأوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقم لا لترفع على الناس والتبسط في البلاد ﴿ لعلمهم يحذرون ﴾ ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة نفر دوا بقرية طائفة الى التفقه لتندر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فاولم يعتبر اخبار الآحاد

امر دينهم ويتفقوهون في دينهم ويقواون للنبي صلى الله عليه وسلم ماتا مرامنا ان نفعله وأخبرنا عما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعتهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا أتوا قومهم نادوا من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وان ينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الحطاب ما يتنفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم تحرجا وأقبلوا من البداية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ يتفغون الخير وتمد طائفة ﴿ ليتفقوهوا في الدين ﴾ ليسعوا ما أنزل الله ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ من الناس ﴿ اذ رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون ﴾ وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصابة يعنى السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلم القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلقناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقوهوا في الدين يقول ليتعلموا ما نزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذ رجعت اليهم لعلمهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما تفسير الآيات فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغز ولم يتخلف عنه الامنافق أو صاحب عذرفلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغز وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى

المفسدة (فلولا نفر) فحين لم يكن نفي الكافة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفي (ليتفقوهوا في الدين) ليتكفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجأوا مرعى همهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم (اذ رجعوا اليهم) دون الاعراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس (لعلمهم يحذرون) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذ بعث بعثا بعد غزوة

(فلولا نفر) فهلا خرج (من كل فرقة) جماعة (منهم طائفة) وبقى طائفة بالمدينة (ليتفقوهوا في الدين) لكي يتعلموا أمر الدين من النبي صلى الله عليه وسلم (ولينذروا) ليخبروا وليعلموا (قومهم) اذ رجعوا اليهم (من غزوتهم) لعلمهم يحذرون لكي يعلموا أمرها به وما نهوا عنه ويقال

مالم تنواتر لم يبد ذلك وقد اشبهت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل
للآية معنى آخر وهو انما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفي وانقطعوا
عن التفقه فأمر وان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الا كبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي
رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذ ارجعوا اليهم بما حصلوا ايام

تبوك بعد ما نزل في المتخلفين
من الآيات الشداد استبق
المؤمنون عن آخرهم الى
النفي وانقطعوا جميعا عن
التفقه في الدين فأمر وان
ينفر من كل فرقة منهم
طائفة الى الجهاد ويبقى
سائرهم يتفقهون حتى
لا ينقطعوا عن التفقه الذي
هو الجهاد الا كبر اذا الجهاد
بالحجج أعظم أثر من
الجهاد بالنصال والضمير
في ليتفقهوا للفرق الباقية
بعد الطوائف النافرة من
ينهم ولينذروا قومهم
ولينذروا الفرق الباقية
قومهم النافرين اذ ارجعوا
اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم
من العلوم وعلى الاول
الضمير للطائفة النافرة الى
المدينة للتفقه

نزات هذه الآية في بني أسد
أصابتهم سنة فجاؤا الى
النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فاعلوا أسعار المدينة
وأفسدوا طرقها بالعدوات
فهاهم الله عن ذلك

ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل يجب أن يتقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين
لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فاللازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يحفظون ما نزل من الاحكام وما يتجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون
معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعنى فهلانفر من كل فرقة منهم طائفة
للجهاد وقد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ ارجعوا
اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعنى مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة
وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بمباريهم الله
من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم ومعنى ذلك ان
الفرقة النافرة اذ شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية بيته
صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جما كثيرا فاذا ارجعوا من ذلك النفي الى
قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم
يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا النوع ان هذا النوع لا يعد تفقها
في الدين ويمكن أن يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقربهم على عدوهم كان
ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان
هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس
الى الهدى فقتل الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم
من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الآية والمعنى هانفر من كل فرقة طائفة وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ويباغوا
ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعنى بأس الله ونقمته
اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة
الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا
القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا
كان من الاخسر من أعمال الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

غيبتهم من العاوم ﴿ يا ايها الذي آمنوا قاتلوا الذين ياونكم من الكفار ﴾ امر وابتقال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولاً بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقبلهم يهود حوالى المدينة كقريظة

يقول من ير الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقياً حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ﴿ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذى وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقد الرجل اذا فهم وقفه فقاومة اذا صار فقيها وتبيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوى غير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف يحكم الشرع يجب عليه معرفة تعلمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه وأما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قدم أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعاً واذا قام به من كل بلد واحد فعلم حتى باغ درجة القياس تط الفرض عن الباقيين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث ﴿ عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم أخرجه الترمذى مع الزيادة فيما ﴿ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة أخرجه الترمذى ﴿ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذى ﴿ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة أخرجه أبو داود الآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها أو ما ليس بنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيماً في ملكوت السموات وأخرجه الترمذى موقوفاً وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين ياونكم من الكفار ﴾ أمر وابتقال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين ياونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغوا منهم فأمروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا او يعطوا الجزية عن يد ونقل عن بعض العلماء انه قال

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين ياونكم) يقربون منكم (من الكفار) القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم ويبعدهم ولكن الاقرب قلا اقرب أو وجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية ان (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قاتلوا الذين ياونكم من الكفار) من بنى قريظة والنضير

نقاتلوا من أوليهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنف في المقاتل قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (وإذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فمنهم) فن ﴿ ٢٢١ ﴾ المنافقين (من يقول) بعضهم { سورة براءة } لبعض (أيكم زادته هذه)

السورة (إيماناً) انكاراً واستهزاء بالمؤمنين وأيكم صر فوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يقيناً وثباتاً وخشية أو إيماناً بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلاً (وهم يستبشرون) يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف (وأما الذين في قلوبهم مرض) وفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن (فزادتهم رجساً إلى رجسهم)

وفدك وخير (وليجدوا فيكم) منكم (غلظة) شدة (واعلموا) يامعشر المؤمنين (ان الله مع المتقين) معين المؤمنين محمد عليه السلام وأصحابه بالنصرة على أعدائهم (وإذا ما أنزلت سورة) آية فيقرأ عليهم محمد صلى الله عليه وسلم (فمنهم) من المنافقين (من يقول) أي يقول بعضهم (أيكم زادته هذه) السورة والآية (إيماناً) خوفاً ورجاءاً ويقيناً بما قال محمد (فأما الذين آمنوا) محمد عليه السلام وأصحابه (فزادتهم إيماناً) خوفاً ورجاءاً ويقيناً (وهم

والنضير وخير وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة * وليجدوا فيكم غلظة * شدة وصبراً على القتال * وقرئ * بفتح الفين وضمها وهما لقتان فيها * واعلموا ان الله مع المتقين * بالحراسة والاعانة * وإذا ما أنزلت سورة فمنهم * فن المنافقين * من يقول * انكاراً واستهزاء * أيكم زادته هذه * السورة * إيماناً * وقرئ * أيكم بالنصب على اخمار فعل يفسره زادته * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً * بزيادة العلم الخاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم * وهم يستبشرون * بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتقاع درجاتهم * وأما الذين في قلوبهم مرض * كفر * فزادتهم رجساً إلى رجسهم * كفراً بها مضموماً إلى الكفر بغيرها

نزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لأنه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الأصوب الإصلاح وهو ان يبدأ بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم انتقل إلى قتال اهل الكتاب وهم قريظة ونضير وخير وفدك ثم انتقل إلى غز و الروم في الشام فكان قمع الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الامصار لانه اذا قاتل الأقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الأبعد * وقوله سبحانه وتعالى * وليجدوا فيكم غلظة * يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبراً على جهادهم * واعلموا ان الله مع المتقين * يعني بالعون والنصرة * قوله عز وجل * وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً * يعني و إذا أنزل الله سورة من سور القرآن فن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه يعني السورة إيماناً يعني تصديقاً ويقيناً وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً * يعني تصديقاً ويقيناً وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء إلى آخر من جنسه كما هو في صفة المؤمنون اذا أفروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الإيمان في اول سورة الانفال * وهم يستبشرون * يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئاً بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا إيماناً وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكان يحصل الزيادة في الإيمان بسبب نزول القرآن كذلك يحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى * وأما الذين في قلوبهم مرض * أي شك وفاق سمى الشك في الدين مرضاً لانه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج إلى العلاج * فزادتهم * يعني سورة من القرآن * رجساً إلى رجسهم *

يستبشرون) بما أنزل من القرآن (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك وفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) شكاً إلى شكهم بما

كفرا مضموناً الى كفرهم (وماتوا وهم كفرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أولايرون) يعنى المنافقين وبالثناء جزية خطاب للمؤمنين (انهم {الجزء الحادى عشر} يفتنون) يتلون ﴿ ٢٢٢ ﴾ بالقحط والمرض وغيرهما (فى كل

﴿وماتوا وهم كفرون﴾ واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه ﴿أولايرون﴾ يعنى المنافقين وقرأ جزية بالثناء ﴿انهم يفتنون﴾ يتلون باصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيعانون ما يظهر عليه من الآيات ﴿فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون﴾ لا يشتهون ولا يتوبون من نفاقهم ﴿ولاهم يدكرون﴾ ولا يعتبرون ﴿واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض﴾ تغامزوا بالعيون انكاراً لها وسخرية أو غيظاً لما فيها من عيوبهم ﴿هل يراكم من أحد﴾ أى يقولون هل يراكم من أحد ان قتم من حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان لم يره أحد قاموا وان رآهم أحد اقاموا ﴿ثم انصرفوا﴾ عن حضرته مخافة الفضيحة ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الايمان وهو

يعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجساً لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس فى اللغة الشئ المستقدر ﴿وماتوا﴾ يعنى هؤلاء المنافقين ﴿وهم كفرون﴾ يعنى وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد فى هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزيد ايماناً وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء فى القلب وكلما ازداد الايمان عظماً ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة سوداء فى القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿أولايرون﴾ قرئ ترون بالثناء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين فى قوله فى قلوبهم مرض ﴿انهم يفتنون﴾ يعنى يتلون ﴿فى كل عام مرة أو مرتين﴾ يعنى بالامراض والشدائد وقيل بالقحط والجذب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يقتضون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم فى السنة مرة أو مرتين ﴿ثم لا يتوبون﴾ يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ﴿ولاهم يدكرون﴾ يعنى ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين ﴿واذا ما أنزلت سورة﴾ يعنى فيها عيب للمنافقين وتوبخهم ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾ يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة ﴿هل يراكم من أحد﴾ يعنى هل أحد من المؤمنين يراكم ان قتم من مجلسكم فان لم يره أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحداً يراهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال ﴿ثم انصرفوا﴾ يعنى عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التى يسمعون فيها ما يكرهون ﴿صرف الله قلوبهم﴾ يعنى عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم

عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يدكرون) لا يعتبرون أو بالجهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يدكرون بما يقع بهم من الاصطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكاراً للسوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه وبغلبنا الضحك فتحاف الاقتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة فى عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم)

انزل من القرآن (وماتوا وهم كفرون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فى السر (أولايرون) يعنى المنافقين (انهم يفتنون) يتلون باظهار مكرهم وخيانتهم ويقال بنقض عهدهم (فى كل عام مرة

أو مرتين ثم لا يتوبون) من صنيعهم ونقض عهدهم (ولاهم يدكرون) يتعظون (واذا ما أنزلت سورة) (على) جبريل بسورة فيها عيب للمنافقين وكان يقرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم (نظر) المنافقون (بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد) من المخلصين (ثم انصرفوا) عن الصلاة والخطبة والحق والهدى (صرف الله قلوبهم) عن الحق والهدى

يحتمل الاخبار والدعاء **﴿ بانهم ﴾** بسبب انهم **﴿ قوم لا يفقهون ﴾** لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم **﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم ﴾** من جنسكم عربي مثلكم * وقرى من انفسكم أي من اشرفكم **﴿ عزيز عليه ﴾** شديد شاق **﴿ ما عنتم ﴾** عنتم ولقاؤكم المكروه

على فعلهم **﴿ بانهم قوم لا يفقهون ﴾** يعنى لا يفقهون عن الله دينه ولا شيئاً فيه نفعهم **﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾** لقد جاءكم رسول من انفسكم **﴿ هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبرى وذكر البهوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الانكاح كنيكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعنى من مضرها وربيعتها ويمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان أمانة لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ترغيب العرب في نصره والايان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من انفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه (م) عن وائلة بن الاسقع قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم **﴿ عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة في كديته من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير فريقيهم وخير الفريقيين ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً أخرجهم الترمذى وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عام لحملة على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم ايها الناس رسول من انفسكم يعنى من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه **﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾** عزيز عليه ما عنتم **﴿ أى شديد عليه عنتم يعنى مكروهكم وقيل يشق******

عن فهم القرآن (بانهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا) (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من انفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم (عزيز عليه ما عنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضاً منكم عنتم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب ويقال مالوا عن الحق والهدى فأمال الله قلوبهم عن ذلك الانصراف (بانهم قوم لا يفقهون) أمر الله ولا يصدقونه (لقد جاءكم) يا أهل مكة (رسول من انفسكم) عربي هاشمي مثلكم (عزيز عليه) شديد عليه (ما عنتم) ما أئتم

(حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان اعرضوا { الجزء الحادى عشر } عن الايمان بك ﴿ ٢٢٤ ﴾ وناصبوك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض اليه امورك فهو

كافيك معرفتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت امرى اليه (وهو رب العرش) هو اعطاه خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجرو قرى بالرفع على نعم الرب جل وعزه عن ابي آخراية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

(سورة يونس عليه

الصلاة والسلام)مائة

وتسع آيات مكية وكذا

ما بعدها الى سورة النور

(حريص عليكم) على

ايمانكم (بالمؤمنين) بجميع

المؤمنين (رؤف رحيم

فان تولوا) عن الايمان

والتوبة وما قلت لهم

(فقل حسبي الله) ثقى

بالله (لا اله الا هو) لا حافظ

ولا ناصر الا هو (عليه

توكلت) اتكلت ووثقت

(وهو رب العرش) السرير

(العظيم) الكبير

ومن السورة التي يذكر

فيها يونس عليه السلام وهي

كلها مكية الآية واحدة

عند رأس الاربعين فانها

نزلت في اليهود في مدينة

﴿ حريص عليكم ﴾ أى على ايمانكم وصلاح شأنكم ﴿ بالمؤمنين ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ رؤف رحيم ﴾ قدم الابغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ﴿ فان تولوا ﴾ عن الايمان بك ﴿ فقل حسبي الله ﴾ فانه يكفيك معرفتهم ويمينك عليهم ﴿ لا اله الا هو ﴾ كالدليل عليه ﴿ عليه توكلت ﴾ فلا ارجو ولا اخاف الا منه ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ الملك العظيم او الجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابي رضى الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما نزل القرآن على الآية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانها نزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة والله أعلم ﴿ سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية وهي مائة وتسع آيات ﴾

عليه ضلالكم ﴿ حريص عليكم ﴾ يعنى حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله ﴿ بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيا قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فان تولوا ﴾ يعنى فان اعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب ﴿ فقل حسبي الله ﴾ يعنى يكفينى الله وينصرنى عليكم ﴿ لا اله الا هو عليه توكلت ﴾ يعنى لا اعلى غيره وبه وثقت ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل مادونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونه أو يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روى عن ابي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾

نزلت بحكمة الا ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قال ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدنى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الآيتين وهي قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والى تليها وهي مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

وهي قول الله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية آياتها مائة وتسع آيات وكلماتها ألف (في)

وثمانمائة واثنان وحرروفها ستة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون ﴿

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أر﴾ فحتمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لاف الراء مجرى المنقلبة عن الياء ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ اشارة الى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شئ منها ﴿أ﴾ كان للناس عجباً ﴿استفهام أنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه﴾ ان اوحينا ﴿وقرى بالرفع على ان الامر بالعكس أو على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبنا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) ونحوه ممال حزة وعلى وأبو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدى (تلك آيات الكتاب)

اشارة الى ما تضمنته السورة

من الآيات والكتاب السورة

(الحكيم) ذى الحكمة

لاشتماله عليها والمحكم عن

الكذب والاقتراف والمهمزة

في (أ كان للناس عجباً)

لانكار التعجب والتعجب

منه (أن اوحينا) اسم كان

وعجبا خبره واللام في الناس

متعلق بمحذوف هو صفة

لعجبا فلما تقدم صار حالا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباستناده عن ابن عباس

في قوله تعالى (الر) يقول

أنا لله أرى ويقال قسم قسم به

(تلك آيات الكتاب الحكيم)

ان هذه السورة آيات القرآن

المحكم بالخلال والحرام

(أ كان للناس) لاهل مكة

(عجبا أن اوحينا) بان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل ﴿الر﴾ قال ابن عباس والضحاك معناه أنا لله أرى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الر وح من حروف الرحمن مقطعة وقال به سعيد بن جبير وسالم بن عبدالله وقال قتادة أراسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية ﴿تلك آيات الكتاب﴾ المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي أنزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتابا لا يحويه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظه تلك للاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفي قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل القرآن حكاها الطبري عن قتادة وروى عن مجاهد أنها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجده ووضيف لان التوراة والانجيل لم يجراهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التي منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور وسر القرآن ﴿الحكيم﴾ يعني المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فيعمل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى وقيل ان الحكيم هو الذى يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم في نفسه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ أ كان للناس عجباً ﴿قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال سبحانه وتعالى أ كان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجلا الآية والمهمزة في أ كان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجباً ﴿أن اوحينا

(الى رجل منهم أن أنذر الناس) بان أنذر أو هي مفسرة اذا لا يحاء فيده معنى القول (وبشر الذين آمنوا أن لهم) بان لهم
ومعنى اللام في الناس انهم جعلوه لهم أعجوبة يتجربون منه والذي تجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفتاء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم { الجزء الحادي عشر } فقد كانوا ﴿ ٢٢٦ ﴾ يقولون العجب ان الله لم يحد

رسولا يرسله الى
الناس الايتيم أبي طالب
وان يذكر لهم البعث وينذر
بالنيران ويبشر بالجنان
وكل واحد من هذه الامور
ليس بعجب لان الرسل
المبعوثين الى الامم لم يكونوا
الابشرا مثلهم وارسل
اليتم أو الفقير ليس بعجب
أيضاً لان الله تعالى انما يختار
للنبوة من جمع أسبابها
والغنى والتقدم في الدنيا
ليس من أسبابها والبعث
للجزاء على الخير والشر
هو الحكمة العظمى فكيف
تكون عجايبا العجب والمنكر
في العقول تعطيل الجزاء
(قدم صدق عند ربهم)
أى سابقة وفضلا ومنزلة
رفيعة ولما كان السعي والسبق
بالقدم سميت السعاة الجميلة
والسابقة قدما كما سميت
النعمة يدالانها تعطى
باليد وباعلان صاحبها
يبوع بها فليل لفلان قدم
في الخير واصفاً الى الصدق
دلالة على زيادة فضل وانه
من السوابق العظيمة أو مقام

نحوه انكارهم واستهزاءهم ﴿ الى رجل منهم ﴾ من افتاء رجالهم دون عظيم من
عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يحد رسولا يرسله الى الناس الايتيم ابي
طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور الساحلة وجهلهم بحقيقة
الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يفترونه
الا في المال وخفة الحال اعون شئ في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم
الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره
في سورة الانعام ﴿ ان أنذر الناس ﴾ ان هي المفسرة أو الخففة من الثقيلة فتكون في موقع
مفعول او حينا ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ عم الانذار اذ قلنا من احد ليس فيه ما ينبغي ان
ينذر منه وخصص البشارة بالؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به حقيقة ﴿ ان لهم ﴾
بان لهم ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما
سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واصفاً الى الصدق لتحققها والتنبه على انهم

الى رجل منهم ﴿ والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة وقيل
العجب حالة تعترى الانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب
ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم
يعني من أهل مكة من قریش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته ﴿ أن أنذر الناس ﴾ يعنى
خوفهم بعقاب الله تعالى ان أصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف
كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم
صدق عند ربهم ﴾ اختلف عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن
عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد
الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسيبهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه
يقدمون عليه وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال سبقت لهم السعادة في الذكر
الاول يعنى في اللوح المحفوظ وقال زيد بن أسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو
قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم الى الصدق وهو نعت كقوله
مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الاضافة التنبه على زيادة
الفضل ومدح القدم لان كل شئ أضيف الى الصدق فهو مدح وثلثه في مقدم صدق
ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق في خير أو شرف فهو عند العرب قدم يقال
لفلان قدم في الاسلام و قدم في الخير و لفلان عندى قدم صدق و قدم سوء قال
حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

أو حينا (الى رجل منهم)

أدى مثلهم (ان أنذر الناس) ان خوف أهل مكة بالقرآن (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق) ثواب خير (وقال)
ويقال ايمانهم في الدنيا قدمهم في الآخرة عند ربهم ويقال ان لهم صدق يقال شفيح صدق (عند ربهم

وشامی ومن قرأ لساحر
فهذا اشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو دليل
عجزهم واعترافهم به وان
كانوا كاذبين في تسميته سحرا
(ان ربكم الله الذى خلق
السموات والارض في ستة
أيام ثم استوى على العرش)
أى استولى فقد يقدر الاديان
عن المكان والمبود عن الحدود
(يدبر) يقضى ويقدر على
مقتضى الحكمة (الامر)
أى أمر الخلق كله وأمر
ملكوت السموات والارض
والعرش ولما ذكر ما يدل
على عظمتهم وملكهم من خلق
السموات والارض والاستواء
على العرش تبعها هذه الجملة
لزيادة الدلالة على العظمة
وانه لا يخرج أمر من الامور
عن قضائه وتقديره وكذلك
قوله (ما من شفيع الا من بعد
اذنه) دليل على عزته وكبريائه
قال الكافرون (كفار مكة
(ان هذا) القرآن (سحر)
كذب (مبين ان ربكم
الله الذى خلق السموات
والارض في ستة أيام)
من أيام أول الدنيا أول يوم
يوم الاحد وآخر يوم
يوم الجمعة طول كل يوم الف
سنة (ثم استوى على العرش)
استقر ويقال امتلا به العرش
(يدبر الامر) أمر العباد
ويقال ينظر في أمر العباد ويقال

انما ينالونها بصدق القول والنية ﴿قال الكافرون ان هذا﴾ يعنون الكتاب وما جاء به
الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿سحر مبین﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر
على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا
من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة * وقرئ ما هذا الاسحر
مبين ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض﴾ التى هى اصول الممكنات
﴿في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر﴾ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته
حكيمته وسبقت به كلمته وبهيمى * بتحركه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار
الامور لنجى * محوذة العاقبة ﴿ما من شفيع الا من بعد اذنه﴾ تقرير لعظمته وعز جلاله

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذوارمة
وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر
والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم
فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدالانها تعطى باليد وقال ذوارمة
لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على البحر
معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لذي العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار وانزل

﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ قال الكافرون ان هذا السحر مبین ﴿وقرى لساحر
مبين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم
بالوحي وأنذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما
نسبوه الى السحر لما أناهم بالمعجزات الباهرات التى لا يقدر أحد من البشر أن يحصل
مثلها ومن قرأ السحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه
الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ ان ربكم الله الذى
خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴿تقدم تفسير هذا في سورة
الاعراف بما فيه كفاية﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿يدبر الامر﴾ قال مجاهد يقضيه
وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى
يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار الامور وعواقبها لا يدخل في
الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت
السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوى ولا في العالم السفلى الا بإرادته
وتدبيره وقضائه وحكمته ﴿ما من شفيع الا من بعد اذنه﴾ يعنى لا يشفع عنده شافع يوم
القيامة الا من بعد ان يأذنه في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة
في تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا أذنه في الشفاعة كان له ان يشفع
فمن يأذنه فيه وفيه كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم
القيامة فاخبر الله سبحانه وتعالى انه لا يشفع أحد عنده الا باذنه لانه لا يتصرف المطلق

(ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذي يستحق العبادة (فاعبدوه) وحدوده ولا تشركوا به بض خلقه من انسان او ملك فضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع (أفلاتندكرون) أفلاتندبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع (اليد { الجزء الحادى عشر } مرجعكم ﴿ ٢٢٨ ﴾ جميعا) حال أى لا ترجعون فى العاقبة

الا اليه فاستعدوا للقاءه والرجوع أو المرجع مكان الرجوع (وعدا لله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم (حقا) مصدر مؤكد لقوله وعدائه (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى الحكمة بإتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى أى يجزىهم بقسطه ويوفهم أجورهم أو بقسطهم أى بما أفسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا إذ الشرك ظلم ان الشرك ظلم عظيم وهذا وجه لمقابلة قوله (والذين كفروا وهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)

(ذلكم الله ربكم) الذى يفعل ذلك هو ربكم (فاعبدوه) فوحدوه (أفلاتندكرون) أفلاتتعظون (اليه مرجعكم بعد الموت) جميعا وعدا لله (حقا) صدقا كأننا (انه

ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذنه ذلكم الله ﴿ أى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ﴾ ربكم ﴿ لا غيره اذ لا يشاركه احد فى شئ ﴾ من ذلك ﴿ فاعبدوه ﴾ وحدوه بالعبادة ﴿ أفلاتندكرون ﴾ تفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه ﴿ اليه مرجعكم جميعا ﴾ بالموت والنشور لالى غيره فاستعدوا للقاءه ﴿ وعدا لله ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعدم من الله ﴿ حقا ﴾ مصدر آخر مؤكدا لغيره وهو ما دل عليه وعدا لله ﴿ انه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ بعد بدئه واهلاكه ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ أى يعده أو بعداتهم وقيامهم على العدل فى امورهم أو بما عانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنسة غير النظم للمباغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الأثابة والعقاب وافع بالعرض وانه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه دعاساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم

فى جميع العالم ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ يعنى الذى خلق هذه الاشياء ودرها هو ربكم وسيدكم لارب لكم سواء ﴿ فاعبدوه ﴾ أى فاجعلوا عبادتكم له لا غيره لانه المستحق للعبادة بما أنتم عليكم من النعم العظيمة ﴿ أفلاتندكرون ﴾ يعنى أفلاتتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ اليه مرجعكم جميعا ﴿ يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا أيها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع ﴿ وعدا لله حقا ﴾ يعنى وعدمكم الله ذلك وعدا حقا ﴿ انه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ أى يجيهم ابتداء ثم يجيهم ثم يجيهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يجيهم ثم يجيهم ثم يجيهم وفى هذه الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكرى البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكالم تمتع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة الاولى لم تمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى واذا ثبت القول بحجة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصى وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ يعنى بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم ﴾ هو ماء حار قد انتهى حره ﴿ وعذاب أليم بما كانوا يكفرون

يبدأ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت (ليجزى الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما (هو) بينهم وبين ربهم (بالقسط) بالعدل الجنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لهم شراب من حميم) من ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم) وجيع يخلص وجمعه الى قلبهم (بما كانوا يكفرون) بمحمد عليه السلام والقرآن

والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لانه ويجوز ان يكون منصوبا أو مرفوعا بمنصب وعد الله أو بمنصب حقا ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء ﴾ أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضياء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين ﴿ والقمر نورا ﴾ أي ذانورا أو سمي نورا للباغنة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتماب منها ﴿ وقدره منازل ﴾ الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره و معانية منازلها واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ حساب

ولوجه كلامى (هو الذي جعل الشمس ضياء) والياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكسرة ما قبلها وقبلها قبل همزة لانها الحركة أجل (والقمر نورا) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وقدره) وقدر القمر أي وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذات منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أي عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة (هو الذي جعل الشمس ضياء) للعالمين بالنهار (والقمر نورا) لهم بالليل (وقدره منازل) لتعلموا عدد السنين والحساب (حساب الشهور

هو الذي جعل الشمس ضياء ﴿ يعني ذات ضياء ﴾ والقمر نورا ﴿ يعني ذانورا ﴾ واختلف العلماء أصحاب الكلام في أن الشعاع الفاضل من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهاذا خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانها لوتساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر ﴿ وقدره منازل ﴾ قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل أو قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز وأكتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الالهة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي الشرطين والبططين والثريا والذبران والهقمة والهقمة والذراع والنثرة والطرف والجهة والزريرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزباني والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد باع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر ووطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجاً وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلاً منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة ﴿ لتعلموا عدد السنين ﴾ يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين وقت دخولها وانقضائها ﴿ والحساب ﴾ حساب الشهور والايام والساعات وتقصاتها وزاياتها

بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص وبارتون وغيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان في اختلاف الليل والنهار) في محي كل واحد منهما خلف الآخر وفي اختلاف لونهما (وما خلق الله في السموات والارض) من الخلاق (آيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون { الجزء الحادى عشر } الآخرة ﴿ ٢٣٠ ﴾ فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين

لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ونه ببالهم لنفلتهم عن التفطن للحقائق اولاً يؤملون حسن لقاءنا كما يؤمله السعداء ولا يخافون سوء لقاءنا الذي يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقي (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعم عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبران

الاقوات من الاشهر والايام في معاملتكم وتصرفاتكم ﴿ ما خلق الله ذلك الا بالحق ﴾ الامتبتسا بالحق مراعيًا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿ فصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص بفصل بالياء ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض ﴾ من انواع الكائنات ﴿ آيات ﴾ على وجود الصانع ووحدته وكال علمه وقدرته ﴿ لقوم يتقون ﴾ العواقب فانه يحملهم على التفكير والتدبر ﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ من الآخرة اغفلتهم عنها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ وسكنوا اليها مقصرين همهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعم عنها ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ لا يتفكرون فيها لانهما كهم فيما يضادها والعطف اما التغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلاً واما التغاير الفريقيين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الاحياة الدنيا وبالأخرين من الهام حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعتداله

﴿ ما خلق الله ذلك الا بالحق ﴾ يعنى للحق واطهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثاً ﴿ فصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ يعنى بين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ﴾ تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها ﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالشواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أبي ذؤيب الهذلى « اذا لسعته النحل لم يرج لسعها » أى لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطعمون في ثوابنا ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ يعنى اختاروها وعموا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها أزالته عن قلوبهم الوجيل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس آياتنا يعنى عن محمد

والذي (ما خلق الله ذلك الا بالحق) لبيان الحق والباطل (فصل الآيات) يعنى الآيات من القرآن لعلامات الوحدانية (لقوم يعلمون) يعنى الذين (ان في اختلاف الليل والنهار) فى قلب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وذهابهما ومحييهما (وما خلق الله فى السموات) وفيما خلق الله من الشمس

والقمر والنجوم وغير ذلك (والارض) من الشجر والدواب والحيوان والبحار وغير ذلك (لايات) (صلى) لعلامات لوحدانية الرب (لقوم يتقون) يعطون (ان الذين لا يرجون لقاءنا) بالبعث بعد الموت ويقال لا يقرون بالبعث بعد الموت (ورضوا بالحياة الدنيا اختاروا) ما فى الحياة الدنيا على الآخرة (واطمأنوا بها) رضوا بها (والذين هم عن آياتنا) عن محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن (غافلون) جاحدون تاركون لها

(أولئك مأواهم النار) فأولئك مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء في (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذف دل عليه الكلام وهو جوزوا ﴿ ٢٣١ ﴾ (ان الذين آمنوا) سورة يونس { وعملوا الصالحات يهديهم ربهم

بإيمانهم) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بياناً له وتفسيراً اذا التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم الى طريق الجنة رمنة الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والساكر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينتقل به حتى يدخله انوار وهذا دليل على ان الايمان المجرى من حيث قال بإيمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح (في جنات النعيم) متعلق بتجرى أو حال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم) اي دعاءهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم اناسبحك

(اولئك مأواهم) مصيرهم (النار) بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون في الشرك (ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات)

﴿ اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ بما واذا بوا عليه وتم نوابه من المعاصي ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ بسبب إيمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتمتع والرديف له ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ استئناف او خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله ﴿ في جنات النعيم ﴾ خبر أو حال أخرى منه او من الانهار او متعلق بتجرى او يهدي ﴿ دعواهم فيها ﴾ اي دعاءهم ﴿ سبحانك اللهم ﴾

صلى الله عليه وسلم والقرآن فانسون أى معرضون ﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يحمل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيكون له نور او قائدا الى الجنة والكافر بالصدق لا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانبارى يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص واطائف وبصائر ينور بها قلوبهم وينزل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويشبثهم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه أى بتصديقهم هداهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريالمراد بربه انه تحتها وهى قاعدة عليه بل أراد بين يديه وقيل تجرى باسرام ﴿ في جنات النعيم ﴾ يعنى ذلك لهم في جنات النعيم ﴿ دعواهم فيها ﴾ أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعاءهم فيها ﴿ سبحانك اللهم ﴾ وهى كلمة تزيده الله تعالى من كل سوء وتقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والشاء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكالذمهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتقلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخبطون قالوا فما بال الطعام قال

الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (يهديهم) يدخلهم (ربهم) الجنة (بإيمانهم تجرى من تحتهم) من تحت شجرهم ومساكنهم (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (في جنات النعيم دعواهم) قولهم (فيها) في الجنة ان اشتبهوا شيئا (سبحانك اللهم) فتأني لهم

أي يدعون الله بقولهم سبحانك { الجزء الحادي عشر } اللهم تذاذ بذكره ﴿ ٢٣٢ ﴾ لاعبادة (وتحيتهم فيها سلام) أي

يحيي بعضهم بعضا بالسلام
أو هي تحية الملائكة أيهم
وأضيف المصدر إلى المفعول
أو تحية الله لهم (وآخر
دعواهم) وخاتمة دعائهم
الذي هو التسبيح (ان الحمد
لله رب العالمين) أن يقولوا
الحمد لله رب العالمين ان مخففة
من الثقيلة وأصله انه الحمد لله
رب العالمين والضمير للشأن
قيل أول كلامهم التسبيح
وأخره التمجيد فيبتدئون
بتعظيم الله وتزيينه ويختتمون
بالشكر والثناء عليه
ويتكلمون بينهما بما أرادوا
(ولو يجعل الله للناس الشر
استجبالهم بالخير) أصله ولو
يجعل الله للناس الشر تعجيله
لهم الخير فوضع استجبالهم
بالخير موضع تعجيله لهم
الخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم والمراد أهل مكة وقولهم
فأمطر علينا حجارة من السماء
أي ولو جعلنا لهم الشر
الذي دعوا به كما يجعل لهم
الخير ونجيهم إليه (لقضى
اليهم أجلهم) لا ميتوا
وأهلكوا لقضى اليهم أجلهم
شأى على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل

اللهم اناسجك تسبيحا ﴿ وتحيتهم ﴾ ما يحيي به بعضهم بعضا أو تحية الملائكة
أيهم ﴿ فيها سلام وآخر دعواهم ﴾ وآخر دعائهم ﴿ ان الحمد لله رب العالمين ﴾
أي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعانوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه
ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي مخففة من
الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر ﴾ ولو يسره اليهم
﴿ استجبالهم بالخير ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير
حتى كأن استجبالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استجبالهم كقولهم فأمطرنا علينا
حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يجعل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استجبالهم
استجبالا كاستجبالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه ﴿ لقضى اليهم
أجلهم ﴾ لا ميتوا واهلكوا ﴿ وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله

جشاء ورشح كرشع المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية
التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا ﴿ وقوله
سبحانه وتعالى ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييمهم
الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم من عند ربهم بالسلام ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين ﴾ قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل
الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتبهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر
ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموأد عند ذلك وقال الزجاج
أعلم الله ان أهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتزيينه ويختتمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم
يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث ﴿ قوله
سبحانه وتعالى ﴿ ولو يجعل الله للناس الشر ﴾ يعني ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم
فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند
الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله
وولده بما يكره أن يستجاب له فيه ﴿ استجبالهم بالخير ﴾ يعني كاستجبالهم بالخير وكما يحبون
أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير ﴿ لقضى اليهم أجلهم ﴾ يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا
جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طلب العجلة وقال ابن قتبية ان الناس
عند الغضب والضجر قديدون على انفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء
كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقولوا اجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي
يستجلبون به استجبالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله
عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه
الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا
حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافرين العذاب

ولو يجعل الله للناس الشر) دعاءهم بالشر (استجبالهم بالخير) كاستجبال دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) لهلكوا (كما)

(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متممين معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أى فتمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحجة عليهم (واذا مس الانسان) اصابه والمراد به الكافر (الضردعانا) أى دعا الله لازاته (جنبه) في موضع الحال ﴿ ٢٣٣ ﴾ بدليل { سورة يونس } عطف الخالين أى (اوقاعدا

أوقائماً) عليه أى دعانا مضطجماً وفاقاً مدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعياً لا يفتقر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو ويدعونا في حالاته كلها كان مضطجماً عاجزاً عن النهوض أو قاعداً لا يقدر على القيام أو قائماً لا يطيق المشى (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا ما به (سر كأن لم يدعنا الى ضره مسه) أى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضرو نسى حال الجهد أو مر عن موقف الاتيهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فحفظ وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث بعد الموت

تعالى * وقرئ لقضينا ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ عطف على فعل محذوف دل عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالاً لهم واستدراجاً ﴿ واذا مس الانسان الضردعانا ﴾ لازاته مخلصافيه ﴿ جنبه ﴾ ملق جنبه أى مضطجماً ﴿ اوقاعدا أوقائماً ﴾ وفاقدة التردد تعميم الدعاء لجميع الاحوال أو لاصناف المضار ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ أى مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ كأنه لم يدعنا فحفظ وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون * كأن ندياه حقان ﴿ الى ضرمسه ﴾ الى كشف ضره ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التزين ﴿ زين للمسرفين ﴾ ما كانوا يعملون ﴿ من الانهماك

كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعاً ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿ في طغيانهم ﴾ يعنى في تمردهم وعتوهم ﴿ يعمهون ﴾ يعنى يترددون (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فانما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر فأمر رجل من المسلمين سببته وألغته أو جلدته فأجهلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وأجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا مس الانسان الضر ﴿ أى الشدة والجهد والمراد بالانسان فى هذه الآية الكافر ﴿ دعانا جنبه ﴾ أى على جنبه مضطجماً ﴿ اوقاعدا أوقائماً ﴾ يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعياً فى جميع حالاته الى ان يتكشف ضره سواء كان مضطجماً أو قاعداً أو قائماً وقال الزجاج وجاز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعداً أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر ﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾ يعنى فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه ﴿ مر ﴾ يعنى على طريقته الاولى قبل مس الضر ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما أسقط الضمير على سبيل التحقيف ﴿ الى ضرمسه ﴾ والمعنى انه استمر على حاله الاولى قبل أن يمسه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر ﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ يعنى مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخالق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان

(فى طغيانهم) فى كفرهم وضلالهم (يعمهون) (قا و خا ٣٠ ثالث) يعضون عهدة لا يبصرون (واذا مس الانسان الضر) اذا اصاب الكافر الشدة والمرض وهو هشام بن المغيرة المخزومي (دعانا جنبه) مضطجماً (اوقاعدا أوقائماً) فلما كشفنا عنه ضره رفعا ما كان به من الشدة والبلاء (مر) استمر على ترك الدعاء (كأن لم يدعنا الى ضر) الى شدة (مسه) اصابه (كذلك) هكذا (زين للمسرفين) للمشركين (ما كانوا يعملون) فى الشرك من الدعاء فى الشدة وترك

واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو في (وجاءتهم
رسولهم) للحال أي ظلموا بالكذب { الجزء الحادى عشر } وقد جاءتهم ﴿ ٢٣٤ ﴾ رسولهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا

ليؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا
لان الله علم منهم انهم بصرون
على كفرهم وهو عطف
على ظلموا أو اعتراض واللام
لتأكيد النفي يعنى أن السبب
في اهلاكهم تكذيبهم للرسول
وعلم الله أنه لا فائدة في
امهالهم بعد ان أزموا الحججة
ببشارة الرسل (كذلك)
مثل ذلك الجزء يعنى
الاهلاك (نجزي القوم
المجرمين) وهو وعيد لاهل
مكة على اجرامهم بتكذيب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم (ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم)
الخطاب للذين بعث اليهم
محمد صلى الله عليه وسلم أي
استخلفناكم في الارض بعد
القرون التي اهلكناها
(لتنظر كيف تعملون) أي

الدعاء في الرخاء (ولقد
أهلكنا القرون من قبلكم
لما ظلموا) حين كفروا
(وجاءتهم رسولهم بالبينات)
بالامر والنهي والعلامات
(وما كانوا ليؤمنوا) يقول
لم يؤمنوا بما كذبوا به يوم
الميثاق (كذلك) هكذا
(نجزي القوم المجرمين)
المشركين بالهلاك (ثم
جعلناكم) يا أمة محمد
صلى الله عليه وسلم

في الشهوات والاعراض عن العبادات ﴿ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ﴾ يا اهل مكة
﴿ لما ظلموا ﴾ حين ظلموا بالكذب . واستعمال القوى والجوارح لاعلى ما ينبغي
﴿ وجاءتهم رسولهم بالبينات ﴾ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار
قد أو عطف على ظلموا ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد
استمدادهم وخذلان الله لهم و علمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي
﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسول واصرارهم عليه
بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم ﴿ نجزي القوم المجرمين ﴾ نجزي كل مجرم
أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه
﴿ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم ﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي
اهلكناها استخلاف من يخبر ﴿ لتنظر كيف تعملون ﴾ أتمملون خيرا أو شرافعناكم

وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمي الكافر
مسرفا لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحائر والسوائب
وما كانوا يتفقونه على الاصنام وسدنتها يعنى خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين
للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين
لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان
الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه
الضرأقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به
من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولا
وهذه حالة العاقل الضعيف اليقين فأما المأثم العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا
عند البلاء شاكر الله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة
والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون
مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غيره عرض بالقاب عنه بل يكون شاكر الله عز وجل
في جميع أحواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم
في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان
أزالها عنه فهو فضل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ﴾ يعنى
أهلكنا الامم الماضية من قبلكم بخوف بذلك كفار مكة ﴿ لما ظلموا ﴾ يعنى لما أشركوا ﴿ وجاءتهم
رسولهم بالبينات ﴾ يعنى فكذبوهم ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ يعنى هذه الامم برساهم ويصدقوهم
عاجزا وبه من عند الله ﴿ كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ يعنى كما اهلكنا الامم الخالية
لما كذبوا رسولهم كذلك نهلككم أي المشركون بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم جعلناكم
خلائف في الارض من بعدهم ﴾ الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين
أهلكناهم ﴿ لتنظر كيف تعملون ﴾ يعنى خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم

(خلائف) استخلفناكم (في الارض من بعدهم) من بعد هلاكهم (لتنظر كيف تعملون) ماذا تعملون (والنظر)

بتعملون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن تقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيك أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون (و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يعيظنا من ذلك تنبئك (أو بدله) بأن تجعل مكان آية عذاب آية راحة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية راحة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي) من الخير (واذ تتلى عليهم) تقرأ على المستهزئين الوليد بن المغيرة وأصحابه (آياتنا بينات) مبيّنات بالامر والنهي (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث بعد الموت وهم مستهزؤن (ائت) يا محمد (بقرآن غير هذا أو بدله) غيره

على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى ﴿ واذ تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى المشركين ﴿ ائت بقرآن غير هذا ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعد من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معائب الآلهتنا ﴿ أو بدله ﴾ بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلمهم سألوا ذلك كي يسفهم اليه فيلزموه ﴿ قل ما يكون لي ﴾ ما يصح لي ﴿ ان أبدله من تلقاء نفسي ﴾ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل

والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنتحبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فنظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم * قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ يعنى واذ قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات يعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك ﴿ قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكر للبعث فانه لا يرجون ثوابا ولا يخاف عقابا ﴿ ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبيد الله بن أمية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز ابن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى والعاص بن عاصم بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيسها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية راحة ومكان حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس محتمل وجهين * أحدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء * الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله محتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولمسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد هؤلاء ﴿ ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس

من قبل نفسى (ان أتبع الامايوحى الى) لا أتبع الاوحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى أئيت به من عند الله لا من عندى فابده (انى أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة واما الايتان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم كانوا لا يعترفون بالمعجز ويقولون لو نشاء اتلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بده من جهة الوحي لقوله انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغير ضمهم { الجزء الحادى عشر } في هذا الاقتراح ﴿ ٢٣٦ ﴾ الكيد ما اقتراح ابدال قرآن بقرآن

لاستلزام امتناعه امتناع الايتان بقرآن آخر ﴿ ان أتبع الامايوحى الى ﴾ تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجنوب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واخترعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى أخاف ان عصيت ربي ﴾ أى بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لو شاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ماتلوته عليكم ولا ادراكم به ﴾ ولا اعلمكم به على لسانى * وعن ابن كثير ولا ادراكم به بلام التأكيد أى لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا يحصى عنه لولم ارسل به لارسل به غيرى * وقرى ولا ادراكم ولا ادراككم بالهمزة فيهما على لغة من يقبل الالف المبدلة من الياء همزة أو على انه من الدرء بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤتى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ماتشهوونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا ﴾ مقدار عمره اربعين سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن لا تلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يارس فيها علما ولم يشاهد علما ولم ينشئ

الى وما ينبغي لى ان أعيره من قبل نفسى ولم أومر به ﴿ ان أتبع الامايوحى الى ﴾ يعنى فيما أمركم به أو أنها كم عنه وما أخبركم الامايخبرنى الله به وان الذى أئيتكم به هو من عند الله لا من عندى ﴿ انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ أى قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بطلته فعصيته بذلك أن يعذبني بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قل ﴿ أى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله ﴾ لو شاء الله ماتلوته عليكم ﴿ يعنى لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم ﴾ ولا ادراكم به ﴿ قال ابن عباس ولا ادراكم الله به ولا اعلمكم به ﴾ فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ﴿ يعنى فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة اربعين سنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفسار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد اربعين

سنة ولم تعرفونى متعاطيا شياً من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتمموني باخترعه (جاءهم)

من قبل نفسى (ان أتبع الامايوحى الى) ما أقول وما أعمل الا بما يوحى الى فى القرآن (انى أخاف) أعلم (ان عصيت ربي) فبدلته ان يكون على (عذاب يوم عظيم) شديد (قل) يا محمد (لو شاء الله) ان لا أكون رسولا (ماتلوته عليكم) ما قرأت القرآن عليكم (ولا ادراكم به) يقول ولا أعلمكم به بالقرآن (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن

ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل القرآن مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحال وانه ان وجد منه تبديل فالما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه . فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصححا لاقتراءه على الله (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره أمرا عجبيا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحاً بغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منشور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاختبار عن الغيوب التى لا يعلمها الا الله (ولا ادراكم به) ولا اعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أى فقد آتت فيما بينكم اربعين

قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بادت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منشور ومنظوم واحتوى على قواعد على الاصول والفروع واعرب عن اقايص الاولين واحاديث الآخريين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى ﴿ أفلاتعقلون ﴾ أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير فيه لتعلموا انه ليس الا من الله ﴿ فمن أظلم ممن

جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الاحكام والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله ﴿ أفلاتعقلون ﴾ يعني ان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى الامن قبل نفي (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالحجرة فهاجر الى المدينة فكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وعاش سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة أخرجه في الصحيحين (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجه في الصحيحين (م) عن أنس رضي الله عنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن رضي الله عنه قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بمجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجه في الصحيحين * قال الشيخ محي الدين النووي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان أصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على القعود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة أو نور آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل * وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كره المنظر وربما توهم الناظر أنه برص والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحمر * قوله عز وجل ﴿ فمن أظلم ممن

(أفلاتعقلون) فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولها انت بقرآن غير هذا من اضافة الاقتراء اليه (فمن أظلم ممن

ولم أقل من هذا شيئا) أفلا تعقلون (أفليس لكم ذهن الانسانية انه ليس من تلقاء نفسي (فمن أظلم) اعنى واجرا على الله (ممن

افترى على الله كذباً) يحتمل أن {الجزء الحادى عشر} يريد افتراء ﴿٢٣٨﴾ المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد وان

يكون تفادياً مما أضافوه إليه من الافتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء (أنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) أن تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) أن عبدوها (ويقولون هؤلاء) أى الاصنام (شفاؤنا عند الله) أى فى أمر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وأقسموا بالله جهد أعنانهم لايبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم) أنخبرونه بكونهم شفاء عنده وهو انباء باليس معلوم لله واذالم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شياً وقوله (فى السموات ولا فى الارض) تأكيد لنفيه لان المالم يوجد (افترى) اختلق (على الله كذباً أو كذب بآياته) بحمد عليه السلام والقرآن (انه لا يفلح) لا ينجو ولا يأم من (المجرمون) المشركون من عذاب الله (ويعبدون) كفار مكة (من دون الله ما لا يضرهم) ان لم يعبدوا فى الدنيا ولا فى الآخرة (ولا ينفعهم) ان عبدوا فى الدنيا ولا فى الآخرة (ويقولون هؤلاء) يعنون الاوثان (شفاؤنا) يشفون لنا (عند الله) (قل لهم يا محمد) (أتنبؤن الله) (بما لا يعلم) ان ليس (فى السموات ولا فى الارض) اله ينفع أو يضر (لعلمه)

افترى على الله كذباً تفادياً مما أضافوه إليه كناية أو تظلم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد ﴿أو كذب بآياته﴾ فكفربها ﴿انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ لانه جاد لا يقدر على نفع ولا ضرر والمعبود ينبغي ان يكون مثيباً ومعاقباً حتى يعود عبادته بحجب نفع أو دفع ضرر ﴿ويقولون هؤلاء﴾ الاوثان ﴿شفعاؤنا عند الله﴾ تشفع لنا فيما يهنا من امور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعاً انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده ﴿قل أتنبؤن الله﴾ أنخبرون ﴿بما لا يعلم﴾ وهو انه لشريك وفيه تقرير وتهكم بهم أو هؤلاء شفاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما ﴿فى السموات ولا فى الارض﴾ حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون دون الله اما سماوى واما ارضى ولا شئ من الموجودات فيهما الا

افترى على الله كذباً يعنى فزعم ان له شريكاً وولداً والمعنى انى لم افتر على الله كذباً ولم أ كذب عليه فى قولى ان هذا القرآن من عند الله وأنتم قد افترتم على الله الكذب فزعم ان له شريكاً وولداً والله تعالى منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد فى الدنيا أظلم على نفسه منى من حيث انى افترته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحى الى وجب أن يقال ليس أحد فى الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى ﴿أو كذب بآياته﴾ يعنى سجد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد ﴿انه لا يفلح المجرمون﴾ يعنى المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ يعنى ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التى لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الابن يضر وينفع ويحيى ويميت وهذه الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع ﴿ويقولون هؤلاء﴾ يعنى الاصنام التى يعبدونها ﴿شفعاؤنا عند الله﴾ قال أهل المعانى توهموا ان عبادتها أشد فى تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنابأهل أن نعبد الله ولكن نشغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبرنا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفى هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون أنها تشفع لهم فى الآخرة قال ابن جرير عن ابن عباس والثانى انها تشفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثاً بعد الموت ﴿قل﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿أ تنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض﴾ يعنى أنخبرون الله انه له شريك ولا يعلم الله لنفسه شريكاً فى السموات ولا فى الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجوداً

لهم يا محمد (أتنبؤن الله) (بما لا يعلم) ان ليس (فى السموات ولا فى الارض) اله ينفع أو يضر (لعلمه)

فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى ﴿ ٢٣٩ ﴾ عما يشركون) نزه { - سورة يونس } ذاته عن ان يكون له شريك وبالتالي

حزة وعلى وما موصولة
أو مصدرية أي عن الشركاء
الذين تشركونهم به وعن
اشراكهم (وما كان الناس
الامة واحدة) حنفاء
متفقين على ملة واحدة من
غير أن يختلفوا بينهم وذلك
في عهد آدم عليه السلام الى
ان قتل قابيل هابيل أو بعد

الطوفان حين لم يندر الله من
الكافرين ديارا (فاختلفوا)
فصاروا مللا (ولولا كلمة
سبقت من ربك) وهو
تأخير الحكم بينهم الى يوم
القيامة (لقضى بينهم)
عاجلا (فيما فيه يختلفون)
فيما اختلفوا فيه وليميز
الحق من المبطل وسبق
كلمته لحكمة وهي ان
وتلك الدار دار ثواب

غيره (سبحانه) نزه نفسه
عن الولد والشريك
(وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما
يشركون) به من الاوثان
(وما كان الناس) في زمان
ابراهيم ويقال في زمان
نوح (الامة واحدة)
على ملة واحدة ملة الكفر
فيث الله الدين مبشرين
ومنذرين (فاختلفوا)
فصاروا مؤمنين وكافرين
(ولولا كلمة) بتأخير

وهو حادث متهور مثلهم لا يليق ان يشرك به ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ عن
اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به . وقرأ حزة والكسائي هنا وفي المواضع
في اول النحل والروم بالتاء ﴿ وما كان الناس الا امة واحدة ﴾ موجودين على الفطرة
أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل أو بعد
الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل ﴿ فاختلفوا ﴾ بتابع الهوى والباطل
أو بعمته الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبهم طائفة واصرت اخرى ﴿ ولولا كلمة سبقت
من ربك ﴾ بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل
والجزاء ﴿ لقضى بينهم ﴾ عاجلا ﴿ فيما فيه يختلفون ﴾ باهلاك المبطل وابقاء الحق

لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب أن لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور
في العرف فان الانسان اذا اراد في شئ حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني
مقصوده انه ما حصل ذلك الشئ منه قط ولا وقع ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾
نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك
في السموات والارض ولا يعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وما كان الناس الا امة واحدة
فاختلفوا ﴿ يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين
الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى أن
قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم
اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه
من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل
عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله
وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر
وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة
البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع في أن يصير الناس على
دين واحد فانهم كانوا أولا على الكفر وانما أسلم بعضهم ففيه تسليمة للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا
من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق
على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة
في الحديث فطرة الاسلام ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴿ يعني
انه سبحانه وتعالى جعل لكل امة اجلا وقضى بذلك في سابق الازل قال الكبي هي
امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب ﴿ لقضى بينهم ﴾ يعني بنزول العذاب
وتجليل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم ﴿ فيما فيه يختلفون ﴾ وقال الحسن
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا

العذاب عن هذه الامة (سبقت من ربك) وجبت من ربك (لقضى بينهم) اهلكوا (فيما فيه) في الدين (يختلفون) يخالفون

وعقاب (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال { الجزء الحادي عشر } الآيات ﴿ ٢٤٠ ﴾ المقترحة لا غير (فانتظروا) نزول ما

﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ أي من الآيات التي اقترحوها ﴿ فقل انما الغيب لله ﴾ هو المختص بعلمه فاعلمه يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاصد تصرف عن انزالها ﴿ فانتظروا ﴾ لنزول ما اقترحتوه ﴿ اني معكم من المنتظرين ﴾ لما يفعل الله بكم بمجودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقترأ حكم غيره ﴿ واذا اذقنا الناس رحمة ﴾ صحة وسعة ﴿ من بعد ضراء مستهم ﴾ كقحط ومرض ﴿ اذا لهم مكر في آياتنا ﴾ بالظن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا

فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤخذ أحدا الا بعد اقامة الحججة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولو لارحته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن أخرهم برحته الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا ﴿ ويقولون ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعني هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الآيات ﴿ فقل ﴾ أي فقل لهم يا محمد ﴿ انما الغيب لله ﴾ يعني ان الذي سألتونيه هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزول الآية الا هو ﴿ فانتظروا ﴾ يعني نزولها ﴿ اني معكم من المنتظرين ﴾ وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل اني معكم من المنتظرين ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا اذقنا الناس رحمة ﴿ يعني رخاء ونعمة ﴿ من بعد ضراء مستهم ﴾ يعني من بعد شدة و بلاء وضيق في العيش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخضبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ اذا لهم مكر في آياتنا ﴾ قال مجاهد أي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجاه في الصحيحين قوله على أثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر

اقترحتوه (اني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (واذا اذقنا الناس) اهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) يعني القحط والجوع (اذا لهم مكر في آياتنا) اي مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابا وهي للمفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون أي وان تصبهم سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيدوية من الجارية المذكورة المطوية الخلاق ومعنى مستهم خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم

(ويقولون) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه) هلا نزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) على ما يقول (فقل) يا محمد (انما الغيب)

بتزول الآية (لله فانتظروا) هلاكي (اني معكم من المنتظرين) لهلاككم (واذا اذقنا الناس) أعطينا الكفار (رحمة) (من) نعمة (من بعد ضراء) شدة (مستهم) أصابهم (اذا لهم مكر) تكذيب (في آياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن

دلت على ذلك كأنه قال واذا رجحناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلام بان ما تظنونها خافيا لا يخفى على الله وهو مستقيم منكم وبالياء سهل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفاك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير ينشركم شامى (حتى اذا كنتم فى السفن) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) بمن فيهم جوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (برح طيبة) لينة الهبوب لاعاصفة ولاضيفة

(قل الله أسرع مكرًا) أشد عقوبة أهلهم الله يوم يدر (ان رسلنا) الحفظة (يكتبون ما تمكرون) ماتقولون من الكذب وتمعلون من المعاصى (هو الذى يسيركم) يحفظكم اذا سافرتكم (فى البر) على الدواب (والبحر) وفى البحر فى السفن (حتى اذا

يقدر حون فى آيات الله ويكيدون رسوله ﴿ قل الله أسرع مكرًا ﴾ منكم قد تدبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المنفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذ الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر ﴿ ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ تحقيق الانتقام وتذبيبه على ان مادبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا لان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب تمكرون بالياء ليوافق ما قبله ﴿ هو الذى يسيركم ﴾ يجعلكم على السير ويمكنكم منه ﴿ فى البر والبحر ﴾ حتى اذا كنتم فى الفلك ﴿ فى السفن ﴾ وجرين بهم ﴿ بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكره لغزهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿ برح طيبة ﴾ لينة

من السماء والانواء عند العرب هى منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتمدون فى الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناهى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب ففى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأمان بجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وامان أنسند ذلك الى العادة التى يجوز انحرافها فتم ذكره قوم وحرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرًا لان المكر عبارة عن صرف الشئ عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتشون فى دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المناسد ﴿ قل الله أسرع مكرًا ﴾ أى قل لهم يا محمد الله أجمل عقوبة وأشدأخذنا وأقدر على الجزاء وان عذابه فى هلاككم أسرع اليكم مما أتى منكم فى دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ﴿ ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ يعنى الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم ﴿ قوله تعالى ﴾ هو الذى يسيركم فى البر والبحر ﴿ يعنى هو الله الذى يسيركم يعنى يحكمكم فى البر على ظهور الدواب وفى البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادى لكم فى السير فى البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهيم لكم أسباب السير فى البر والبحر ﴿ حتى اذا كنتم فى الفلك ﴾ يعنى السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مخترقان فان أريد بها الواحد كان كبناء قنل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لئوله تعالى ﴿ وجرين بهم ﴾ يعنى وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المنصود منه المبالغة كأنه يذكر لغزهم حالهم ليحجبهم منها ويستدعى منهم مزيد الانكار والتعجب وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حين منه ان يرد الى الغائب وقيل ان اللفظ فى الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب ﴿ برح طيبة ﴾

كنتم فى الفلك) ركبتهم فى السفن (قا و حا ٣١ ك) (وجرين بهم) جرت السفن بأهلها (برح طيبة) لينة ما كتبه

(و فرحوا بها) بتلك الريح للينها واستقامتها (جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أي شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو { الجزء الحادي عشر } ماء على ٢٤٢ الماء (من كل مكان) من البحر أو من

الهبوب { و فرحوا بها } بتلك الريح { جاءتها } جواب لا ذوا الضمير للفلك أو الريح الطيبة بمعنى تلقتها { ربح عاصف } ذات عصف شديدة الهبوب { وجاءهم الموج من كل مكان } يجيء الموج منه { وظنوا أنهم أحيط بهم } اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو { دعوا لله مخلصين له الدين } من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم { لئن أنجيتنا من هذه ل نكون من الشاكرين } على ارادة القول أو مفعول دعوا لانه من جملة القول { فلما أنجاهم } اجابة لدعائهم { اذاهم يبغون في الارض } فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه { بغير الحق } مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم

يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة { و فرحوا بها } يعنى وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك { جاء تها ربح عاصف } قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ربح عاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعنى جاءت الفلك ربح عاصف يقال ربح عاصف وعاصفة ومعنى عصف الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديداً { وجاءهم الموج من كل مكان } يعنى وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وغلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه { وظنوا أنهم أحيط بهم } يعنى وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحدق وقيل المراد من الظن اليقين أى وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه { دعوا الله مخلصين له الدين } يعنى أنهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم والحقيقى لا خلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجم من جع الشدائد أو البلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضروبلاء أخلصوا لله الدعاء { لئن أنجيتنا } أى قائلين لئن أنجيتنا ياربنا { من هذه } يعنى من هذه الشدائد التي نحن فيها وهى الريح العاصفة والأمواج الشديدة { انكون من الشاكرين } يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة { فلما أنجاهم } يعنى فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها { اذاهم يبغون في الارض بغير الحق } يعنى أنهم أخلصوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض قبيحا وزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصى على ظهرها وأصل البغي

جمع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) اهلكوا جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الاهلاك (دعوا لله مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال أو من هذه الريح (لنكون من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجمل الكون في الفلك غاية للتيسير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكانت كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن والهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم اذاهم يبغون في الارض) يفسدون فيها (بغير الحق)

(و فرحوا بها) اعجب الملاحون بالريح الساكنة (جاءتها) أى السفن (ريح عاصف) قاصف شديد (وجاءهم الموج) ركبه الموج (من كل مكان) ناحية (وظنوا) علموا وايقنوا (أنهم

أحيط بهم) اهلكوا (دعوا لله مخلصين له الدين) مفردين له بالدعاء (لئن أنجيتنا من هذه) الريح والشدة (لنكون) (مجاوزه) من الشاكرين) من المؤمنين المطيعين (فلما أنجاهم) من الريح والغرق (اذاهم يبغون) يتطاولون (في الارض بغير الحق).

باطلا أى مبطلين (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) أى ظلمكم برجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن
أساء فعلها (متاع الحياة الدنيا) حفص أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم
وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ﴿ ٢٤٣ ﴾ ومعناه انما بغيكم { سورة يونس } على امثالكم أو هو خبر

ومتاع خبر بعد خبر
أو متاع خبر مبتدأ مضمرة
أى هو متاع الحياة الدنيا
وفي الحديث أسرع الخير
ثوبا صلة الرحم وأعجل
الشر عقابا البغي واليمين
القاجرة وروى ثمان
يعلمها الله في الدنيا البغي
وعقوق الوالدين وعن
ابن عباس رضى الله عنها
لوفى جبل على جبل
لذلك الباغى وعن محمد بن
كعب ثلاث من كن فيه
كن عليه البغي والنكث
والمكر قال الله تعالى انما
بغيتكم على أنفسكم ولا
يحيق المكر السيئ الا
بأهله ومن نكث فانما
ينكث على نفسه (ثم الينا
مرجعكم فنبتكم بما كنتم
تعملون) فنخبركم به ونجازيكم
عليه (انما مثل الحياة الدنيا
كماء انزلناه من السماء) من
السحاب (فاختلط به) بالماء
(نبات الارض) أى
فاشتبك بسببه حتى خالط
بعضه بعضا (مما يأكل
الناس) يعنى الحبوب
والثمار والبقول (والانعام)
بلاحق (يا أيها الناس)
يا أهل مكة (انما بغيكم)

فانها افساد بحق ﴿ يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ﴾ فان وباله عليكم أو انه على
امثالكم وابتاء جنسكم ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ منفعة الحياة الدنيا لاتبقي وبقى عقابها
ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك
متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكداً
تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر
محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال أو مفعول فعل دل عليه
البغى وعلى أنفسكم خبره ﴿ ثم الينا مرجعكم ﴾ فى القيامة ﴿ فنبتكم بما كنتم تعملون ﴾
بالجزاء عليه ﴿ انما مثل الحياة الدنيا ﴾ حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واعتزاز الناس بها ﴿ كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ﴿ مما يأكل الناس والانعام ﴾

مجاوزه الحد قال صاحب المفردات البغى على ضربين أحدهما مجود وهو مجاوزة
العدل الى الاحسان والفرص الى التطوع والثانى مذموم وهو مجاوزة الحق الى
الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغى
لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم
دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببنى قريظة ﴿ يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ﴾ يعنى ان وبال بغيكم راجع
عليكم ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغى بعضكم على بعض
هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح اذا الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس
انما بغيكم على أنفسكم لا يتيها ان يبغى بعضكم على بعض الا ما قليلة وهى مدة حياتكم مع
قصرها فى سرعة انقضائها والبغى من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لوفى جبل
على جبل لانك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يتنقل به فقال

يا صاحب البغى ان البغى مصرعة * فارجع فخير مقال المرء أعدله

فلوبغى جبل يوما على جبل * لأنك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ثم الينا مرجعكم ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ فنبتكم ﴾ أى
فنخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فى الدنيا من البغى والمعاصى فنجازيكم عليها ﴿ قوله
عز وجل ﴿ انما مثل الحياة الدنيا ﴾ يعنى فى فناءها وزوالها ﴿ كما انزلناه من السماء ﴾
يعنى المطر ﴿ فاختلط به ﴾ أى بالمطر ﴿ نبات الارض ﴾ قال ابن عباس نبت
بالماء من كل لون ﴿ مما يأكل الناس ﴾ يعنى من الحبوب والثمار ﴿ والانعام ﴾ يعنى
ومما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه

ظلمكم وتناولكم فيما بينكم (على أنفسكم) جنائته (متاع الحياة الدنيا) منافع الدنيا تقضى ولا تبقى (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت
(فنبتكم) نخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (انما مثل الحياة الدنيا) فى بقائها وفنائها (كما انزلناه من السماء)
يعنى المطر (فاختلط به نبات الارض) اختلطت نبات الارض (بما يأكل الناس) الحبوب والثمار (والانعام) العكوش

واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الزاء وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكستتها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الارض (أنها قادرون عليها) مما تكون من منفعتها محصولون لثمرتها رافعون لغلتها (أنها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد ما منهم واستيقانهم انه قد سلم (ليلا أو نهارا فجمعناها) فجمعنا زرعها (حصيدا) شيئا بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن من الثبات والحشيش (حتى) اذا أخذت الارض زخرفها (وازينت) بالاجرو والاصفر والاخضر (وظن أهلها) الحرائون (أنهم قادرون عليها) على غلاتها (أنها أمرنا) عذابنا (ليلا ونهارا) كأنما داست الغنم في حفافها فافسد زرع الزراعين (فجمعناها حصيدا) كحصيد الصيف (كأن لم تغن بالامس) لم تكن (انتهى)

من الزروع والبقول والحشيش * حتى اذا أخذت الارض زخرفها * حسنها وبهجتها * وازينت * تزيت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين وتزينت بها وازينت اصله تزيت فدغمت وتدقرى على الاصل وازينت على افعات من غير الال كغيات والمغنى صارت ذات زينة وايزات كبايضت * وظن أهلها أنهم قادرون عليها * فممكنون من حصدها ورفع غلاتها * أنها امرنا * ضرب زرعها مما يحتاجه * ليلا أو نهارا فجمعناها * فجمعنا زرعها * حصيد * شيئا بما يحصد من اصله * كأن لم تغن * كأن لم يغن زرعها أى لم تذب والمضاف محذوف في الموضوعين للمباينة وتدقرى بالياء على الاصل * بالامس * فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والمثل به مضنون الحكاية وهو زول خضرة النبات فجأة

(حتى) اذا أخذت الارض زخرفها (حتى) حسنها ونضارتها وبعجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور * وازينت * أى وتزينت * وظن أهلها * يعنى أهل تلك الارض * أنهم قادرون عليها * يعنى على جدادها وأطافها وحصادها رادا فكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوماً وقبل رده الى الثمرة والغلة وقبل الى الزينة * أنها أمرنا * أى تضوئنا بهلاكها * ليلا أو نهارا * يعنى في الليل او النهار * فجمعناها حصيدا * يعنى محصودة مقطوعة * كأن لم تغن بالامس * يعنى كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غنى فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضربته الله سبحانه وتعالى للمتشبهين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بعثكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن غنى في الارض ونجبر فيها وركن الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النبات في أول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختاطبه قوى وحسن واكتسى كمال الرزق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعنى بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجمعت الارض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حررة وخضرة وصفرة وبياض ولاشك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاءه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الارض صاعقة أو بردا أو ريحا فجعلها حصيدا كان لم تكن من قبل قل تتادة ان المنتشبت بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي يتفجع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المتمدك بالدنيا اذا نال منها بعينه أنها الموت بغتة فسابه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا

لم تغن آتفا) كذلك نفضل الآيات لقوم يتفكرون) فيتفنون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة
تفضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافها وذوبانها حطاما بعدما التفت وكفاف وزين الارض بخضرته
وريفته والتنبه على حكمة التشبيه ان الحياة صفة هاشيبتها وكدرها شيبتها كما ان صفو الماء في أعلى الاناء قل * ألم تر ان العمر كراس
سلافة فاوله صفو وآخره كدر * وحققته تزين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كما خلطت النبات على اختلاف التلوين
فالطية الطيبة تثبت بساتين الانس ورياحين ﴿٢٤٥﴾ الروح وزهرة الزهد ﴿سورة بونس﴾ وكروم الكرم وحبوب

الحب وحدائق الحقيقة
وشقائق الطريقة والخيثة
تخرج خلاف الخلف ونمام
الائم وشوك الشرك وشبح
الشع وحطب العطب ولعاع
اللعب ثم يدعو معاده كما
يحين للحرث حصاده فترايله

وذبابه حطاما بعد ما كان خضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه امله وظنوا
انه قد سلم من الجوائح للماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب ﴿كذلك
نفضل الآيات لقوم يتفكرون﴾ فانهم المنتفون به ﴿والله يدعو الى دار السلام﴾
دار السلامة من التقضى والآفة اودار الله ومخلص هذا الاسم للتبني على
ذلك اودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿ويهدى من يشاء﴾
بالتوفيق ﴿الى صراط مستقيم﴾

الحياة مفترقا كما يهيج
النبات مصفرا فتغيب جثته
في الرمس كأن لم تغن بالانس
الى ان يعود ربيع البعث
وهو بعد العرض والبحث
وكذلك حال الدنيا كالماء
ينقع قلبه ويهلك كثيره
ولا بد من ترك ما زاد كالابد
من أخذ الزاد وأخذ المال
لا يحاو من زلة كان خائض
الماء لا ينجو من بلة وجهه
واساكه تلف صاحبه
واهلكه فمادون النصاب
بضمضاخ ماء محاوز بلا
احقاه والنصاب كنه حائل
بين المجتاز والجواز الى
المفاز لا يمكن الا بقنطرة
وهي الزكاة وعمارتها بذل
الصلاة فتي اختلت
القنطرة غرقته أمواج القناطر

انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية التصوي أنه آفة تقف بالكلية ثم ان الله سبحانه
وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة نضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليبدل
على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء
في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي ﴿كذلك نفضل
الآيات لقوم يتفكرون﴾ يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك
نبين سبحانه وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة
من القلوب ﴿توله سبحانه وتعالى﴾ والله يدعو الى دار السلام ﴿لما ذكر الله
زكرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لاحالة دعالي داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام
وداره الجنة فلي هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من
جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا
من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين
من المكروه والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها
فقد سلم من جميع الآفات كماوت الارض والمصاب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل
سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم
قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي
دار السلام وفيه دليل على ان فيها مالا يدرك ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله سبحانه وتعالى
الجنة في آيات كثيرة من كتابه ﴿ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يعني والله

المقنطرة وعن هذا قل عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعدا لاوغاددون الاجداد كان الماء يجتمع في الوهاد
دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بك البخل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم ينفق ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف (والله
يدعو الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسم تعظيما لها والسلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفسو السلام
بينهم وتسليم الملائكة عليهم الاقبالا سلاما (ويهدى من يشاء) ويوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى

بالامس (كذلك) هكذا (نفضل الآيات) نبين القرآن في فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) في مر الدنيا والآخرة (والله
يدعو) الخلق بالتوحيد (الى دار السلام) والسلام هو الله والجنة داره (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) دين قائم برضاء

وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده ﴿ للذين احسنوا الحسنى ﴾ المثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ وما يزيد على اثموبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل

الاسلام أو طريق السنة
فالدعوة عامة على لسان
رسول الله بالدلالة والهداية
خاصة من لطف المرسل
بالتوفيق والعناية والمعنى
يدعو العباد كلهم الى دار
السلام ولا يدخلها الا المهديون

(للذين أحسنوا آمنوا
بالله ورسوله (الحسنى)
المثوبة الحسنى وهى الجنة
(وزيادة) رؤية الرب
عز وجل كذا عن أبى بكر
وحذيفة وابن عباس وأبى
موسى الأشعري وعبادة
ابن الصامت رضى الله
عنهم وفى بعض التفاسير
أجمع المفسرون على ان
الزيادة النظر الى الله تعالى
وعن صهيب ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا دخل
أهل الجنة الجنة يقول الله
تبارك وتعالى أتريدون شياً
أزيدكم فية أو ان ألم تبيض

وهو الاسلام (للذين
أحسنوا الحسنى) وحدها
الحسنى الجنة (وزيادة)
يعنى النظر الى وجه الله

يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولاً
اظهاراً للحجة وخص بالدعوة ثانياً استغناء عن الخلق واظهاراً للقدره فحصلت
الغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو قائم فقال بعضهم انه قائم وقال بعضهم الدين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان
لصاحبكم مثلاً فاضربوا له مثلاً فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدة
وبعث داعياً فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعى
لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها بفقها فان العين نائمة والقلب يقظان
فقال بعضهم الدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمداً فقد
أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس * وفى رواية خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت فى المنام كان جبريل عليه السلام عند
رأسى وميكائيل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلاً * وعن النواس
ابن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً
على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على ابواب ستور وداع يدعو على رأس
الصراط وداع يدعو فوقة والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط
مستقيم والابواب التى على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله
حتى يكشف الستر الذى يدعو من فوقة واعظ ربه أخرجه الترمذى وقال حديث
حسن غريب * قوله عن وجل ﴿ للذين أحسنوا الحسنى ﴾ قال ابن عباس للذين
شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه
وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيث
الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل
معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ اختلف المفسرون فى معنى هذه
الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى
النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبوبكر الصديق
وحذيفة وابو موسى الأشعري وعبادة بن صامت رضى الله عنهم وهو قول الحسن وعكرمة
والضحاك ومقاتل والسدى ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول
فما روى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة
الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شياً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا
ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم

حسنتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة
من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذي أحسنوا
الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله للذي أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله
الكريم وعن أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه
وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله
الكريم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر
الى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل
الجنة مناديا بنادى هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من
الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه
الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمناءه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل
أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حقكم شئ لم تعطوه قال فيتجمل لهم عن
وجل قال فيصغر عندهم كل شئ أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال
الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على
أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان
الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق
وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد
من لفظة الحسنى هو الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا
مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب حل هذه
الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ
ناصرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة أمرين أحدهما النظارة وهو حسن الوجوه
وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر
بعضها بعضا فوجب حل الحسنى على الجنة ونعيمها وحل الزيادة على رؤية الله تبارك
وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على
ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه
ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه
ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتمى ما قلتم أحاب
أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى
في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة
بأبواب الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة
واجب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه بان المزيد عليه اذا كان

وجوهنا ألم مدخلنا الجنة
ونجتنا من النار قال فيرفع
الحجاب فينظرون الى الله
تعالى فأعطوا شيا أحب
اليهم من النظر الى ربهم ثم
تلا للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة والعجب من صاحب
الكشاف انه ذكر هذا
الحديث لا بهذه العبارة وقال
انه حديث مدفوع مع انه
مرفوع قداورده صاحب
المصابيح في الصحاح وقيل
الزيادة المحبة في قلوب العباد
وقيل الزيادة مغفرة من الله
ورضوان

ويقال الزيادة في الثواب

من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هى المناء ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ لا يفسها ﴿ قتر ﴾ غبرة فيها سواد ﴿ ولا ذلة ﴾ هوان والمنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال ﴿ اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دائمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على من ذهب من مجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو والذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى ان مجازى سيئة بسيئة مثلها الايزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل أو التضعيف وكأنا غشيت وجوههم أو اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف أى فجزاء

(ولا يرهق وجوههم)
ولا يفسى وجوههم (قتر)
غبرة فيها سواد (ولا ذلة)

بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالمدكور فى الآية لفظ الحسنى وهى الجنة ونعيمها غير متقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئاً مغايراً لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأوجب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين جأوا الزيادة على غير الرؤية بانه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هى الرؤية والمثبت مقدم على الناقى والله أعلم ﴿ القول الثانى فى معنى هذه الزيادة ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال الزيادة غرة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب ﴿ القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم وزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنه بعشراً مثلاً الى سبعمائة ضعف ﴿ القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد ﴿ القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هى الجنة والزيادة ما أعطاهم فى الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا يرهق وجوههم ﴾ يعنى ولا يفسى وجوه اهل الجنة ﴿ قتر ﴾ أى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه ﴿ ولا ذلة ﴾ يعنى ولا هوان قال ابن أبى ليلى هذا بمد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى ﴿ اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ يعنى ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبداً ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامة شرح فى هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعنى والذين عملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصى جزاء سيئة بمثلها يعنى فلهم جزاء السيئة التى عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لتمامها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى الأضعاف كثيرة وذلك تفضلاً منه وتكرماً وأما السيئات فانه مجازى عليها بمثلها

ولا أثر هوان والمعنى
ولا يرهقهم ما يرهق أهل
النار (أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون
والذين كسبوا) عطف
للذين أحسنوا أى وللذين
كسبوا (السيئات) فنون
الشرك (جزاء سيئة بمثلها)
الباء زائدة كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها أو التقدير
جزاء سيئة مقدرة بمثلها

(ولا يرهق) لا يعلو
(وجوههم قتر) سواد ولا
كسوف (ولا ذلة) ولا كآبة
(أولئك أصحاب الجنة)
أهل الجنة (هم فيها خالدون
والذين كسبوا السيئات)
الشرك بالله (جزاء سيئة
بمثلها) بقول قصاص الشرك
بالله النار

(وترههم ذلة) ذل وهوان (مالهم من الله) من عقابه (من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكي وعلى من قوله بقطع ﴿ ٢٤٩ ﴾ من الليل وعلى هذه { سورة يونس } القراءة مظلمًا صفة لقطع

وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف والمجورور والعامل فى الموصوف عامل فى الصنعة أو معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلمًا صفة له او حالاً منه ﴿ أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ مما يخرج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لا شمالات السيدات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسمه ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ يعنى الفريقين جميعا ﴿ ثم نقول للذين اشركوا مكانكم ﴾ الزموا مكانكم حتى تنظر واما يفعل بكم ﴿ انتم ﴾ تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله ﴿ وشركاؤكم ﴾ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم ﴿ وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ﴾ عدلا منه سبحانه وتعالى ﴿ وترههم ذلة ﴾ قال ابن عباس يفشاهم ذل وشدة وقيل يفشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ يعنى مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذ انزل بهم ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا ﴾ يعنى كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم ﴿ أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة ﴿ ثم نقول للذين اشركوا مكانكم ﴾ أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين ﴿ انتم وشركاؤكم ﴾ يعنى انتم ايتها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ يعنى فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا ﴿ فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضى بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر فى المستقبل فاوجهه قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن ﴿ قوله تعالى ﴿ وقال شركاؤهم ﴾ يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم اولانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب ﴿ ما كنتم ايانا تعبدون ﴾ تبرأ المعبودون من العابدين ﴿ فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام

سبئة بمثلها واقع أو مثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها ﴿ وترهتهم ذلة ﴾ قرئ بالياء ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ ما من احد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله ومن عذبه كما يكون للمؤمنين ﴿ كأنما أغشيت ﴾ أغشيت ﴿ وجوههم قطعا من الليل مظلمًا ﴾ لفرط سوادها وظلمتها ومظلمًا حال من الليل والعامل فيها أغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجوار والمجورور والعامل فى الموصوف عامل فى الصنعة أو معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلمًا صفة له او حالاً منه ﴿ أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ مما يخرج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لا شمالات السيدات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسمه ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ يعنى الفريقين جميعا ﴿ ثم نقول للذين اشركوا مكانكم ﴾ الزموا مكانكم حتى تنظر واما يفعل بكم ﴿ انتم ﴾ تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله ﴿ وشركاؤكم ﴾ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم ﴿ وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ﴾

عدلا منه سبحانه وتعالى ﴿ وترههم ذلة ﴾ قال ابن عباس يفشاهم ذل وشدة وقيل يفشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ يعنى مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذ انزل بهم ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا ﴾ يعنى كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم ﴿ أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة ﴿ ثم نقول للذين اشركوا مكانكم ﴾ أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين ﴿ انتم وشركاؤكم ﴾ يعنى انتم ايتها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ يعنى فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا ﴿ فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضى بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر فى المستقبل فاوجهه قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن ﴿ قوله تعالى ﴿ وقال شركاؤهم ﴾ يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم اولانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب ﴿ ما كنتم ايانا تعبدون ﴾ تبرأ المعبودون من العابدين ﴿ فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام

(وترهتهم ذلة) تعلمهم
كآبة وكسوف (مالهم من
الله) من عذاب الله (من

عاصم) من مانع (كأنما) من الحزن (أغشيت) (قا و خا ٣٢ لث) ألبست (وجوههم قطعا من الليل) من السواد (مظلمًا أولئك اصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون (ويوم نحشرهم) الكفار وآلهتهم (جميعا ثم نقول للذين اشركوا) بالله الاوثان (مكانكم) تقفوا (انتم وشركاؤكم) آلهتكم (فزيلنا) فرقنا (بينهم) وبين آلهتهم فقال الكافرون أمرنا هؤلاء ان نعبدهم من دونك (وقال شركاؤهم) آلهتهم ردا عليهم (ما كنتم ايانا تعبدون) بأمرنا فقالوا بلى أمرتمونا

انما كنتم تعبدون الشياطين حيث اسروكم ان اتخذوا الله أندادا فاطعموهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء
اياكم الى قوله بل كانوا { الجزء الحادى عشر } يعبدون الجن ﴿ ٢٥٠ ﴾ (فكفى بالله شهيدا بينا وبينكم)

محاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواهم لانها الآمرة
بالاشراك لا ما شر كوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافهم بذلك مكان الشفاعة التي
يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين ﴿ فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم ﴾ فانه العالم بكنهه الحال ﴿ ان كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ ان هي الخففة من
المثقلة واللام هي الفارقة ﴿ هناك ﴾ في ذلك المقام ﴿ تبلوا كل نفس ما أسلفت ﴾ تختبر
ما قدمت من عمل فتعابن نفعه وضره * وقرأ جزءة والكسائى تتلوا من التلاوة اى تقرأ ذكر
ما قدمت او من التلاوى تتبع عملها فيقودها الى الجنة او الى النار * وقرئ تبلوا بالنون ونصب كل
وابدال ما منه والمعنى تختبرها اى تفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها
بتعرف ما أسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى بالعذاب كل نفس عاصية
بسبب ما أسلفت من الشر فتكون مامنسوبة بنزع الخافض ﴿ وردوا الى الله ﴾ الى
جزائه اياهم بما سلفوا ﴿ مولا هم الحق ﴾ ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه

وهى جاد لاروح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها في ذلك
اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام * فان قلت اذا احياهم
الله في ذلك اليوم فهل يفهم اوبقيهم * قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله فى شئ من
أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة * فان قلت
ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها * قلت قد تقدمت
هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم
القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله
فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون
والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة ﴿ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن
عبادتكم لغافلين ﴾ والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا
وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك أما قوله سبحانه وتعالى
﴿ هناك تبلوا كل نفس ما أسلفت ﴾ فهو كالتمية للآية المتقدمة والمعنى في ذلك
المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على
الزمان وفي قوله تبلوا قرأت قرئ ببناءين ولها معنيان أحدهما انه من تلاه اذا تبعه
أى تتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هو الذى يهدى النفس الى الثواب أو العقاب الثانى
أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير أو شر وقرئ
تبلوا ببناء المثناة والباء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم والبلى الاختبار ومعناه اختبارها
ما أسلفت يعنى أنه ان قدم خيرا أو شرا قدم عليه وجوزى به ﴿ وردوا الى الله
مولا هم الحق ﴾ الرد عبارة عن صرف الشئ الى الموضع الذى جاء منه والمعنى وردوا
الى ما يظهر لهم من الله الذى هو مالكهم ومتولى أمرهم * فان قلت قد قال الله سبحانه

أى كفى بالله شهيدا وهو
تميز (ان كنا عن عبادتكم
لغافلين) ان مخففة من
الثقيلة واللام فارقة بينها
وبين النافية (هناك) في
ذلك المكان أو في ذلك
الوقت على استعارة اسم
المكان للزمان (تبلوا كل
نفس) تختبر وتذوق
(ما أسلفت) من العمل
فتعرف كيف هو أفتبج
أم حسن أنافع أم ضار
امقبول أم مردود وقال
الزجاج تعلم كل نفس
ما قدمت تتلو جزءة وعلى
أى تتبع ما أسلفت لان
عمله هو الذى يهده الى
طريق الجنة أو النار
أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت
من خير أو شر كذا عن
الاخفش (وردوا الى الله
مولا هم الحق) ربهم
في ربوبيته لانهم كانوا
يتولون ما ليس لربوبيته
حقيقة أو الذى يتولى
حسابهم وثوابهم العدل
بعبادتكم فقالت الآلهة
(كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
ان كنا) قد كنا (عن
عبادتكم) ايانا (لغافلين)
لجاهلين لم نعلم من ذلك شياً
(هناك) عند ذلك (تبلوا)
تعلم وان قرأت ببناء يقول
تقرأ (كل نفس ما أسلفت)

تقرأ (كل نفس ما أسلفت) ما علمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولا هم الحق) اللهم الحق (وتعالى)

الذى لا يظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يحتقون من الكذب وشفاة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات) أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسيتهما على الحد الذى سوياء عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيها أدنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة ﴿٢٥١﴾ والحب والكافر {سورة يونس} والجاهل وعكسها (ومن

يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فسيجيبونك عند سؤالك ان القادر هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك في العبودية اذا اعترقم بالروبية (فذلكم الله) أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه

مولى وقرىء الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد ﴿وضل عنهم﴾ وضاع عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من ان آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون انها آلهة ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ أى منهما جيعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من اهل السماء والارض ﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ أم من يستطيع خلقهما وتسيتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ ومن يحيى ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿ومن يدبر الامر﴾ ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص ﴿فسيقولون الله﴾ اذ لا يقدر من المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه ﴿فقل أفلا تتقون﴾ انفسكم عقابه باشر اكتم اياه ما لا يشاركه في شئ من ذلك ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ أى المتولى

وتعالى في آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق ﴿قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحاصل الفرق بين الآيتين ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعنى وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا ﴿قوله عز وجل﴾ قل من يرزقكم من السماء والارض ﴿أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات ﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ يعنى ومن أعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة ﴿ومن يدبر الامر﴾ يعنى ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله ﴿فسيقولون الله﴾ يعنى انهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك ﴿فقل﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿أفلا تتقون﴾ يعنى أفلا تتخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التى لا تنضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ يعنى فذلكم الذى

(وضل عنهم) بطل عنهم واشتغل عنهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب (قل) يا محمد لكفار أهل مكة (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار (أم من يملك السمع والابصار) يقول من يقدر أن يخلق السمع والابصار (ومن يخرج الحى من الميت) من يقدر ان يخرج الحى من الميت يعنى النسيمة والدواب من النطفة ويقال الطير من البيضة

ويقال السنبلة من الحب (ويخرج الميت من الحى) النطفة من النسيمة والدواب ويقال البيضة من الطير ويقال الحبة من السنبلة (ومن يدبر الامر) من يقدر أن يدبر أمر العباد وينظر في أمر العباد ويبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (فسيقولون الله فقل) يا محمد (أفلا تتقون) تطيعون الله (فذلكم الله ربكم) فالذى يفعل ذلك هو ربكم (الحق) هو الحق وعبادته

لمن حقق النظر (فاذا بعدالحق الاضلال) أى لا واسطة بين الحق والاضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أى كالحق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كالحق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى { الجزء الحادى عشر } الحد الاقصى ٢٥٢ ﴿ فيه ﴾ (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة

أى حق عليهم انتفاء الايمان او حق عليهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون لتليل أى لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من بدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل أمرا مستمعا على ان فيهم من يقر بالاعادة أو يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم في الجواب يعنى أنهم لاتدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يرشد الحق (فاذا بعد الحق الاضلال) فاذا عبادتكم بعد عبادة الله الا عبادة الشيطان (فانى تصرفون) من اين تكذبون على الله (كذلك)

لهذه الامور المسحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبته لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودير اموركم ﴿ فاذا بعدالحق الاضلال ﴾ استفهام انكار أى ليس بعدالحق الاضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال ﴿ فانى تصرفون ﴾ عن الحق الى الضلال ﴿ كذلك حقت كلمت ربك ﴾ أى كما حقت الربوبية لله وأن الحق بعده الضلال أو انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه ﴿ على الذين فسقوا ﴾ تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿ انهم لا يؤمنون ﴾ بدل من الكلمة او لتليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب ﴿ قل هل من شركائكم من بدأ الخلق ثم يعيده ﴾ جعل الاعادة كالا بداء في الازمان بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال ﴿ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ لان لجأهم لا يدعهم ان يعترفوا بها ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ تصرفون عن قصد السبيل ﴿ قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ﴾ ينصب الحجج وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على

يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لاهذه الاصنام ﴿ فاذا بعدالحق الاضلال ﴾ يعنى اذا ثبت هذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ماسواه ضلالا وباطلا ﴿ فانى تصرفون ﴾ يعنى اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستخرون العَدُول عن الحق الى الضلال الباطل ﴿ كذلك ﴾ أى كما ثبت أنه ليس بعدالحق الاضلال ﴿ حقت ﴾ أى وجبت ﴿ كلمت ربك ﴾ فى الازل ﴿ على الذين فسقوا ﴾ أنهم لا يؤمنون ﴿ قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم فى اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يندفع ﴾ قل هل من شركائكم ﴿ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها آلهة ﴾ من بدأ الخلق ﴿ يعنى من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق ﴾ ثم يعيده ﴿ أى ثم يعيده بعدالموت كهيئته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار ﴿ قل ﴾ أى قل أنت يا محمد ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ يعنى ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ يعنى فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ﴿ هل من شركائكم من يهدى الى الحق ﴾ يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك

هكذا (حقت) وجبت (كلمت ربك) بالعذاب (على الذين فسقوا) كفروا (انهم لا يؤمنون) فى علم الله (قل) (قل)

لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يبدأ الخلق) من النطفة ويجعل فيه الروح (ثم يعيده) بعدالموت يوم القيامة فان أجابوك والاف (قل الله يبدأ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) ثم يحييه يوم القيامة (فانى تؤفكون) فن اين تكذبون ويقال انظر يا محمد كيف يصرفون بالكذب (قل) لهم يا محمد (هل من شركائكم) من آلهتكم (من يهدى الى الحق) والهدى

إليه (قل الله يهدي للحق أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدي) يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شري بمعنى اشترى ومنه قراءة حذوة و على أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لا يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش باشمام ﴿ ٢٥٣ ﴾ الهاء فحمة ﴿ سورة يونس ﴾ أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح

الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهو قراءة عبدالله فادغمت التاء فى الدال وفتح الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بأرسال الرسل فهل من شركائكم الذين جئناهم أن نادوا لله أحد يهدى إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفن يهدى إلى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره إلا أن يهدى الله وقيل معناه أم من لا يهدى من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل أو لا يهدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حالة إلى أن يجعله حياً ناطقاً فيهديه فألحكم كيف

ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسنده إلى الله ﴿ قل الله يهدي للحق أفن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدى إلا أن يهدى ﴾ أم الذى لا يهدى إلا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه إذا اهتدى أو لا يهدى غيره إلا أن يهدى الله وهذا حال أشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عاصم يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتح الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالأدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لأن المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ إلا أن يهدى للمبالغة ﴿ فالكم كيف تحكمون ﴾ بما يقتضى صريح العقل بطلانه ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

﴿ قل ﴾ أى قل لهم أنت يا محمد ﴿ الله يهدي للحق ﴾ يعنى أن الله هو الذى يرشد إلى الحق لا غيره ﴿ أفن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدى إلا أن يهدى ﴾ يعنى أن الله هو الذى يهدى إلى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا يهدى إلا أن تهدى * فان قلت الاصنام جاد لا تتصور هدايتها ولأن تهدى فكيف قال إلا أن يهدى * قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوهاً الأولى أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان إلى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان آخر إلا أن تحمل وتنقل فيبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام * الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه الحجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الأمر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى إلى الحق رؤساء الكفر والضلالة فآله سبحانه وتعالى هدى الخلق إلى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فأنهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله إلى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهديته أولى من اتباع غيره * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فالكم كيف تحكمون ﴾ قال الزجاج فالكم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجوارحين تزعمون ان مع الله شريكاً وقيل معناه بئسما حكمتم اذ جعلتم الله شريكاً من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية ﴿ وما يتبع أكثرهم ﴾

تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أناد الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وأنها شفعا عند الله والمراد فان اجابوك والال (قل الله يهدي للحق) والهدى (أفمن يهدى إلى الحق) والهدى (أحق ان يتبع) أن يعبد ويطاع (أمن لا يهدى) إلى الحق والهدى (الا ان يهدى) يحمل فيذهب به حيث يشاء (فالكم كيف تحكمون) بئس ما تقضون به لانفسكم (وما يتبع) يعبد (أكثرهم)

غير دليل وهو اقتداؤهم باسلا
فهم ظانهم انهم مصيبون
(ان الظن لايفنى من الحق)
وهو العلم (شياً) في موضع
المصدر اى اغناء (ان الله
عليم بما يفعلون) من اتباع
الظن وترك الحق (وما كان
هذا القرآن ان يفترى
من دون الله) اى افتراء
من دون الله والمعنى وما صح
وما استقام أن يكون مثله
في علو امره و اعجازه مفترى

(ولكن) كان (تصديق
الذى بين يديه) وهو ما
تقدمه من الكتب المنزلة
(وتفصيل الكتاب)
وتبين ما كتب وفرض
من الاحكام والشرائع من

آلهة (الاظنا) الابالظن
(ان الظن) عبادتهم بالظن
(لايفنى من الحق) من عذاب
الله (شيان الله عليم بما يفعلون)
في الشرك من عبادة الاوثان
وغير ذلك (وما كان هذا
القرآن) الذى يقرأ عليكم
محمد صلى الله عليه وس (أن
يفترى) ان يخلق (من
دون الله ولكن تصديق
الذى بين يديه) موافق
التوراة والانجيل والزبور
وسائر الكتب بالتوحيد
وصفة محمد صلى الله عليه
وسلم ونمته (وتفصيل
الكتاب) تبيان القرآن
بالحلال والحرام والامر

فما يعتقدون ﴿ الاظنا ﴾ مستندا الى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع أو من
ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولايرضى بالتقليد الصرف ﴿ ان الظن لايفنى من الحق ﴾
من العلم والاعتقاد الحق ﴿ شيئاً ﴾ من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولاً به ومن الحق حالا
منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير
جائز ﴿ ان الله عليم بما يفعلون ﴾ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان ﴿ وما
كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ﴾ افتراء من الخلق ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾
مطابقاً لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولايكون كذباً كيف وهو
لكونه معجزاً دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونسبه بانه خبر لكان مقدر أو علة لفعل
محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقديره ولكن هو تصديق
﴿ وتفصيل الكتاب ﴾ وتفصيل ما حقق واثبت من المقائد والشرائع

الاظنا ﴿ يعنى وما يتبع ﴾ كثر هؤلاء المشركين الا لا يعلمهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه
وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام
تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء ﴿ ان الظن لايفنى من الحق شيئاً ﴾ يعنى ان الشك
لايفنى عن اليقين شيئاً ولايقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن
منهم لم يرد به كتاب ولارسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً ﴿ ان الله عليم
بما يفعلون ﴾ يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ وما كان هذا
القرآن ان يفترى من دون الله ﴾ يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يخلق ويفعل
لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شىء يمكن ان يفترى
به على الله لان المفترى هو الذى يأتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعوا أن محمداً صلى
الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فأخبر
الله عز وجل ان هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب
وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكد هذا بقوله
﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقاً لما قبله
من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمداً صلى الله عليه
وسلم كان آميلاً يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا
القرآن العظيم المجز وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة
والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقد حوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما
لم يقصد فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان مافيه من القصص والاخبار
مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم مافيه فثبت بذلك انه وحى من الله أنزله
عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزته صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى قوله ولكن
تصديق الذى بين يديه يعنى من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر
﴿ وتفصيل الكتاب ﴾ يعنى وتبين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض

قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من ﴿ ٢٥٥ ﴾ رب العالمين) {سورة يونس} داخل في حيز الاستدراك

كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كأنسا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كاقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل يقولون اختلقه (قل) ان كان الامر كاتزعمون (فأتوا) أتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأتم مثلى في العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراه (بل كذبوا عالم يحيطوا بعلمه)

والنهي (لاريب فيه) لاشك فيه (من رب العالمين) من سيد العالمين (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراه) اخلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) بهم يا محمد (فأتوا بسورة مثله) مثله سورة القرآن (رادعوا من استطعتم) استعينوا على ذلك من عبدتم

﴿ لاريب فيه ﴾ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استثناء ﴿ من رب العالمين ﴾ خبر آخر تقديره كأنسا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولاريب فيه اعتراض أو بالفعل الملل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب أو من الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ﴿ أم يقولون ﴾ بل يقولون ﴿ افتراه ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه الانكار ﴿ قل فأتوا بسورة مثله ﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى في العربية والفصاحة واشد تمنا في النظم والعبارة ﴿ وادعوا من استطعتم ﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به ﴿ من دون الله ﴾ سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ انه اختلقه ﴿ بل كذبوا ﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿ عالم يحيطوا بعلمه ﴾ بالقرآن اول سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر

والاحكام ﴿ لاريب فيه من رب العالمين ﴾ يعني ان هذا القرآن لاشك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعني أم يقول هؤلاء المشركون افتري محمد هذا القرآن واخترته من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأتم عرب مثلى في الفصاحة والبلاغة * فان قلت قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا في نفسه فقبل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني ما انسان أمى مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أي فأتوا بسورة تساوى سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من خلقه ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ يعني القرآن أي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سموا ما في القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل

(من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمدا عليه السلام يختلفه من تلقاء نفسه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) عالم يدرك

ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدية السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد الآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى الكذب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علوشأنه وانعجازه لما كرر عليهم التحدى وجرى قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز ان يكون معنى ولما { الجزء الحادى عشر } يأتهم تأويله ولم ﴿ ٢٥٦ ﴾ يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار

بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه و من جهة مافيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا أخباره بالمعيات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالنبي أو بالقرآن أى يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيعصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين

ما يخالف دينهم ﴿ ولما يأتهم تأويله ﴾ ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق أو كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذبه قبل ان يتدبروا ونظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لمانه قد ظهر لهم بالآخرة اعجاز ما كرر عليهم التحدى فزازوا قواهم في معارضته فتضاءت دونها أو لما شاهدوا وقوع ما خبر به طبقا لخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ انبيائهم ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ﴿ ومنهم ﴾ ومن المكذبين ﴿ من يؤمن به ﴾ من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند ومن سيؤمن به ويتوب عن كفره ﴿ ومنهم من لا يؤمن به ﴾ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ بالمعاندين أو المصرين ﴿ وان كذبوك ﴾

على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها ﴿ ولما يأتهم تأويله ﴾ يعنى انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤول اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلموه علم تأويله ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ يعنى كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومنهم من يؤمن به ﴿ يعنى ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن ﴾ ومنهم من لا يؤمن به ﴿ لعلم الله السابق فيه أنه لا يؤمن ﴾ وربك أعلم بالمفسدين ﴿ يعنى الذين لا يؤمنون ﴾ وان كذبوك ﴿

(يعنى)

أو المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك

علمهم (ولما يأتهم) لم يأتهم (تأويله) عاقبة ما وعدهم في القرآن (كذلك) كما كذبك قومك بالكتب والرسل (كذب الذين من قبلهم) بالكتب والرسل (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) كيف صار آخر أمر المشركين المكذبين بالكتب والرسل من عبادة الله شيا ويقال وهذا تعزيتة من الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم كي يصبر على اذاهم (ومنهم) من اليهود (من يؤمن به) محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن قبل موته (ومنهم) من اليهود (من لا يؤمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) باليهود عن يؤمن وعن لا يؤمن ويقال نزات هذه الآية في المشركين (وان كذبوك

ويشت من اجابتهم (فقل لى على) جزاء على (ولكم علمكم) اجزاء اعمالكم (انتم بريئون مما عمل وانا برى مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يحون ولا يقبلون فهم كالصم (أفانت سمع الصم ولو { سورة يونس } كانوا لا يعقلون) أطمع

أنك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الي صمهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل بما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك وبعانوا أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقوا (أفانت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) أحسب انك تقدر على هداية

العمى ولو انضم الي فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس وأما العمى مع الحق فجهد البلاء يعنى انهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر

يا محمد قومك بما تقول لهم (فقل لى على) ودينى (ولكم علمكم) ودينكم (انتم بريئون مما عمل) وأدين (وأنا برى مما تعملون) وتدينون (ومنهم) من اليهود (من يستمعون

وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة) فقل لى على واكم علمكم فببرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء على ولكم جزاء علمكم حقا كان او باطلا (انتم بريئون مما عمل وانا برى مما تعملون) لانواخذون بعلى ولاواخذ بعلمكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخليه سيدهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا (أفانت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون (ولو انضم الي صمهم عدم تعقلهم وفيه تشبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأنى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤونة بمعارضة الوهم ومشايعة الآف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم يتفهموا بسر الدالفاظ عليهم غير ما ينفع به البهائم من كلام الناق (ومنهم من ينظر اليك) يمانون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك (أفانت تهدي العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لا يبصرون) وان انضم الي عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويظن للملايد كما البصير الاحق والآية كالتعليل للامر بالتبصر

يعنى وان كذبت قومك يا محمد (فقل) أى فقل لهم (لى على) يعنى الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم علمكم) يعنى الشرك وجزاء عقابه (انتم بريئون مما عمل وانا برى مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازى وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال مارفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا (قوله سبحانه وتعالى) (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعنى باسماعهم الظاهرة ولا يتفهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفانت تسمع الصم) يعنى كأنك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفهم ذلك فهم بمنزلة الجاهل اذا لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيأ ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعنى بابصارهم الظاهرة (وأفانت تهدي العمى) يريد عمى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيأ من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر ولا تقدر أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن

اليك) الى كلامك وحديثك ويقال من مشركى (قا و خا ٣٣ لث) العرب من يستمع الى كلامك وحديثك (أفانت تسمع) يا محمد (الصم) من كانه أصم (ولو كانوا لا يعقلون) او مع ذلك لا يريدون أن يعقلوا (ومنهم) من اليهود ويقال من المشركين (من ينظر اليك) أفانت تهدي (ترشد الى الهدى) العمى (من كانه أعمى) (ولو كانوا لا يبصرون) ومع ذلك لا يريدون أن يبصروا

لم يظلمهم بسبب الله الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جادا وهم احياء (ويوم نحشرمهم) وبالياه حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا اوفى قبورهم لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أي نحشرمهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقيلة واسمها محذف أي كأنهم ويتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) على ارادة القول أي يتعارفون الحق والهدى (ان الله لا يظلم الناس شيئا) لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد على سيئاتهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بالكفر والشرك والمعاصي (ويوم نحشرمهم) يعني اليهود والنصارى والمشركين (كان لم يلبثوا في القبور) الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا في بعض المواطنين

والاعراض عنهم وان الله لا يظلم الناس شيئا بسبب حواسهم وعقولهم والابن الناس انفسهم يظلمون باسنادها وتقويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كازعت المجبرة ويجوز ان يكون وعيداهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولو لكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم نحشرمهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اوفى القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال أي نحشرمهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة أو مئة ليوم والعايد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا لو ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدره اوسيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرمهم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله الشهادة على خسراتهم والتعجب منه ويجوز ان

ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء واخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظلما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله سبحانه وتعالى ويوم نحشرمهم يعني واذا كرم يا محمد يوم نجتمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بتقدير لبثهم في القبور الى وقت الحشر فعين حله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلواها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا احوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا احوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هية وخشية وقيل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بقاء الله يعني أن من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه آثر الفاني على

ولا يعرف بعضهم بعضا في بعض المواطنين (قد خسر) غبن (الذين كذبوا بقاء الله) بالبعث بعد الموت بذهاب (الباقى)

بينهم قائلين ذلك أوهى شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وسبعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين)
للجارة عارفين هاو هو استئناف فيه معنى ﴿ ٢٥٩ ﴾ العجب كأنه قيل ما { سورة يونس } أخسرهم (واما نرينك

بعض الذي نعدهم) من
العذاب (أوتوفينك)
قبل عذابهم (فاليناصر جمعهم)
جواب توفينك وجواب
نرينك محذوف أي واما
نرينك بعض الذي نعدهم
في الدنيا فذلك أوتوفينك
قبل أن نرينك فمن نرينك في
الآخرة (ثم الله شهيد على
ما يفعلون) ذكرت الشهادة
والمراد مقتضاها وهو
العقاب كأنه قيل ثم الله
معاقب على ما يفعلون وقيل
ثم هنا معنى الواو (ولكل
أمة رسول) يعث اليهم
لينبهم على التوحيد ويدعوهم
الى دين الحق (فاذا جاء
رسولهم) بالبينات فكذبوه
ولم يتبعوه (قضى بينهم) بين
النبي ومكذبيه (بالقسط)
بالعدل فأنجى الرسول وعذب
المكذبين أو لكل أمة من
الامم يوم القيامة رسول تنسب
اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم
الموقف ايشهد عليهم بالكفر
والايمان قضى بينهم بالقسط
(وهم لا يظلمون) لا يعذب
الدنيا والآخرة (وما كانوا
مهتدين) من الكفر
والضلالة (واما نرينك)
يا محمد (بعض الذي نعدهم)
من العذاب (أوتوفينك) قبل
ان نرينك يا محمد مانعدهم
من العذاب (فاليناصر جمعهم)

يكون حالا من الضمير في تعاقب فون على ارادة القول ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ اطرق
استعمال ما منحوا من المعاونة في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى
الردى والعذاب الدائم ﴿ واما نرينك ﴾ بصرنك ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ من العذاب
في حياتك كما اراه يوم بدر ﴿ أوتوفينك ﴾ قبل ان نرينك ﴿ فاليناصر جمعهم ﴾ فنريه
في الآخرة وهو جواب توفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذلك ﴿ ثم الله شهيد
على ما يفعلون ﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة و اراد تبييتها ومقتضاها ولذلك رتبها على
الرجوع ثم أومؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة ﴿ ولكل أمة ﴾ من الامم للماضية
﴿ رسول ﴾ يعث اليهم ليدعوهم الى الحق ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ بالبينات فكذبوه
﴿ قضى بينهم ﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل فانجى الرسول واهلك
المكذبون ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء

الباقى ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ يعنى الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار ﴿ واما
نرينك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ يعنى مانعدهم به من العذاب في الدنيا
فذلك ﴿ أوتوفينك ﴾ قبل أن نرينك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة
وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاليناصر جمعهم ﴾ يعنى في الآخرة وفيه دليل على أن الله
يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلمهم وخزيهم في حال
حياته في الدنيا وقد اراه ذلك يوم بدر وغيره من الايام وسيره ما عدلهم من العذاب
في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ﴿ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ فيه وعيد وتهديد
لهم يعنى انه سبحانه وتعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها
يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكل أمة رسول ﴿ لما بين الله عز وجل حال محمد
صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ارحال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل
أمة يعنى قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعنى مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى
طاعته والايان به ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم
رسولهم وبلغهم ما سأل به اليهم فكذبوه قوم وصدقه آخرون ﴿ قضى بينهم بالقسط ﴾
يعنى حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان احدهما أنه
في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة
الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسوله وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسوله
في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان
قبل مجي الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة
وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن
والكافر والطائع والمعاصى جرى بالرسول لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في
اظهار العدل وهو قوله تعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعنى من جزاء أعمالهم شسا ولكن

بعدموت (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من الحيرو الشر (واكل أحد) لكل أهل دين (رسول) يدعوهم الى الله والى دينه (فاذا جاءهم)
(رسولهم) فكذبوا (قضى بينهم) وبين الرسول (بالقسط) بالعدل بهلاك القوم ونجاة الرسول (وهم لا يظلمون) لا يتقص

أحد بغير ذنبه ولما قال وأما نبيك بعض الذي ندمهم أي من العذاب استجلبوا لما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم لاني والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولانفعا) من صحة أو غنى والسبب (الامشاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ماشاء الله من ذلك كأن فكيف أملك لكم { الجزء الحادي عشر } الضر و جلب العذاب ﴿ ٢٦٠ ﴾ (لكل امة أجل اذا جاء أجلهم فلا

يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستجلبوا (قل) أرايتم ان أنا كم عذابه الذي تستجلبونه (بيانا) نصب على الظرف أي وقت بيات وهو الليل وانتم ساهون نأعون لا تشعرون (أونهارا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستجلب منه المجرمون) أي من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فأي شيء تستجلبون

رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايان قضى بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وحي بالنبين والشهداء وقضى بينهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ استبعادا له واستهزاء به ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ خطاب منهم لاني صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ﴿ قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ﴾ فكيف املك لكم فاستجلب في جلب العذاب اليكم ﴿ الا ماشاء الله ﴾ ان املكه أو ولكن ماشاء الله من ذلك كأن ﴿ لكل امة أجل ﴾ مضروب لهلاكهم ﴿ اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستجلبوا فسيحين وقتكم وينجزو عدكم ﴿ قل أرايتم ان أنا كم عذابه ﴾ الذي تستجلبون به ﴿ بيانا ﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿ أونهارا ﴾ حين كنتم مشغولين بطلب معاشكم ﴿ ماذا يستجلب منه المجرمون ﴾ أي شيء من العذاب يستعجلون وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق

بجازي كل أحد على قدر عمله وقيل معناه أنهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ﴿ ويقولون ﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿ متى هذا الوعد ﴾ يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ﴾ يعني لا أملك لنفسي دفع ضرا أو جلب نفع ولا أقدر على ذلك ﴿ الا ماشاء الله ﴾ يعني أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ لكل امة أجل ﴾ أي مدة مضروبة ووقت معين ﴿ اذا جاء اجلهم ﴾ يعني اذا انقضت مدة اعمارهم ﴿ فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يعني لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذي أجل لهم ولا يستقدمونه ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ﴿ أرايتم ان أنا كم عذابه بيانا ﴾ يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل ﴿ أونهارا ﴾ يعني في النهار ﴿ اذا يستجلب منه المجرمون ﴾ يعني ما الذي يستجلبون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحققة المعنى انهم كانوا يستجلبون نزول العذاب كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من

من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) وقال كل أهل دين لرسولهم (متى هذا الوعد) الذي تعدنا (ان كنتم صادقين ان كنت من الصادقين) (قل) لهم يا محمد (لا أملك) لا أقدر (لنفسى ضرا) دفع الضر (ولانفعا) ولا جبر النفع (الامشاء الله) من الضر والنفع (لكل امة) لكل أهل دين (أجل)

مهلة ووقت (اذا جاء اجلهم) وقت هلاكهم (فلا يستأخرون ساعة) قدر ساعة بعد الاجل (عندك) (ولا يستقدمون) قبل الاجل (قل) يا محمد لاهل مكة (أرايتم ان أنا كم عذابه) عذاب الله (بيانا) ليلا (أونهارا) كيف تصنعون (ماذا يستجلب) بماذا يستجلب (منه) من عذاب الله (المجرمون) المشركون قالوا نؤمن قل لهم يا محمد

منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال والاستفهام في ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المحرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أرأيت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المحرمون جواب الشرط نحو ان أرأيتك ماذا نظمتمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو (أثم اذا ما وقع) ﴿ ٢٦١ ﴾ العذاب { سورة بونس } (آمنتهم به) جواب الشرط

وأما يستعجل منه المحرمون
اعتراض والمعنى أناكم
عذابه آمنتهم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان
ودخول حرف الاستفهام
على ثم كدخوله على الواو
والفاء في أيام أهل القرى
أو أمر أهل القرى (الآن)
على اداة القول أى قيل
لهم اذا آمنوا بدوقوع العذاب
الآن آمنتهم (وقد كنتم به
تستعجلون) أى بالعباد
تكذبا واستهزاء الان
محذوف الهمزة التي بعد
اللام وانما حركتها على اللام
ناهع (ثم بل للذين ظلموا)
عطف على قبل المضمر قبل
الآن (ذوقوا عذاب
الخلد) أى الدوام (هل
يجزون الا بما كنتم تكسبون)
من الشرك والكذب
(ويستنبئونك) يستخبرونك
فيقولون (أحق هو)
وهو استفهام على جهتها
لانكار والاستهزاء والضمير
للعذاب الموعود (قل يا محمد
(أى وربى) نعم والله انه
لحق) ان العذاب كائن

بأرأيتم لانه بمعنى أخبروني والمحرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من محبي الوعيد لان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ارأيتك ماذا تعطى وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله ﴿ ثم اذا ما وقع آمنتهم به ﴾ بمعنى ان اناكم عذابه آمنتهم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لاننا انما نأخبر الآن ﴿ الآن ﴾ على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بدوقوع العذاب الآن آمنتهم به وعن نافع الان محذوف الهمزة والفاء حركتها على اللام ﴿ وقد كنتم به تستعجلون ﴾ تكذبا واستهزاء ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ عطف على قيل المقدر ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾ المؤلم على الدوام ﴿ هل يجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ ويستنبئونك ﴾ ويستخبرونك ﴿ أحق هو ﴾ احق نقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله مجداً باطل تهزل به قاله حي بن اخطب لما قدم مكة والظاهر ان الاستفهام فيه على اصله لتقوله ويستنبئونك وقيل انه لانكار ويؤيده انه قرئ ألحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسدا الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب يستنبئونك ﴿ قل أى وى انه لحق ﴾ ان العذاب لكائن أو ادعيه ثابت وقيد كذا الضمير للقرآن أى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو اثنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المحرمون يعنى أى شيء يعلم المجرون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك ﴿ ثم اذا ما وقع ﴾ يعنى اذا ما نزل العذاب ووقع ﴿ آمنتهم به ﴾ يعنى آمنت بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع ﴿ الآن ﴾ فيه اضمار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون أى حين وقع العذاب ﴿ قد كنتم به تستعجلون ﴾ يعنى تكذبا واستهزاء ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ﴿ ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ يعنى في الدنيا من الاعمال ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ويستنبئونك أحق هو ﴿ يعنى ويستخبرونك يا محمد أحق ماتعدنانه من نزول العذاب وقيام الساعة ﴿ قل أى وربى ﴾ أى قل لهم يا محمد نعم وربى ﴿ انه لحق ﴾ يعنى ان الذى

(أثم اذا ما وقع) يقول اذا ما أنزل عليكم العذاب (آمنتهم به) قالوا نعم قل لهم يا محمد يقال لكم (الآن) تؤمنون بالعذاب (وقد كنتم به) بالعذاب (تستعجلون) قبل هذا استهزاء به (ثم قيل للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون) في الآخرة (الابما كنتم تكسبون) تقولون وتعملون في الدنيا (ويستنبئونك) يستخبرونك يا محمد (أحق هو) يعنى العذاب والقرآن (قل أى وربى) نعم وربى (انه لحق) صدق

لا محالة (وأنتم معجزين) بفاتنين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو حفة لنفس أي ولو أن لكل نفس ظلمة (ما في الارض) في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لأقنت به) جملته فدية لها يقال فداء فافتدى و يقال افتداه { الجزء الحادى عشر } أيضا معنى فداء ﴿ ٢٦٢ ﴾ (وأسروا الندامة لمارأو العذاب)

فيقال أي والله ولا يقال أي وحده ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ بفاتنين العذاب ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ بالشرك أو التعدى على الغير ﴿ ما في الارض ﴾ من خزائنها وأموالها ﴿ لأقنت به ﴾ جملته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداء ﴿ وأسروا الندامة لمارأو العذاب ﴾ لأنهم بهتوا بما عابوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهو انه فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل أسروا الندامة اخلصوها لار اخفاءها اخلصها أولانه يقال سر الشئ تخالسته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهر وهما من قولهم سر الشئ وأسره اذا اظهره ﴿ وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ ليس تكديرا لان الاول قضاء بين الايبياء ومكذبيهم الثاني مجازاة للمشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ﴿ ألا ان الله ما في السموات والارض ﴾ تقرير لقدرة تعالى على الاثابة والعقاب ﴿ ألا ان وعد الله حق ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كأن لا خلاف فيه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ لأنهم لا يعلمون لقصور عقولهم

أعدكم به حق لا شك فيه ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ يعنى بفاتنين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ يعنى أشركت ﴿ ما في الارض ﴾ يعنى من شئ ﴿ لأقنت به ﴾ يعنى يوم القيامة والافتداء يعنى البذل لما سنجوبه من العذاب الا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه ﴿ وأسروا الندامة ﴾ يعنى يوم القيامة واما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الامور المستقبلية لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقين معناه أخفوا يعنى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم ايهم وتمييزهم لهم ﴿ لمارأو العذاب ﴾ يعنى حين عابوا العذاب وأبصروه ﴿ وقضى بينهم بالقسط ﴾ يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظالم من الظالم وهو نوله سبحانه وتعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعنى في الحكم اهم وليمهم بار بحفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم ﴿ ألا ان الله ما في السموات والارض ﴾ يعنى ان كل شئ في السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شئ يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو أيضا ذلك لله فكيف يفتدى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه ﴿ ألا ان وعد الله حق ﴾ يعنى ما وعده الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصى حق لا شك فيه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

وأظهروها من قولهم أسر الشئ اذا أظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظالمين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتى ذلك الاعلام بالله الملك كله بقوله (ألا ان الله ما في السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وانه الميثب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله (ألا ان وعد الله بالثواب أو بالعذاب حق) كأن ولكن أكثرهم لا يعلمون كأن يعنى العذاب (وما أنتم معجزين) بفاتنين من عذاب الله (ولو أن لكل نفس ظلمت) أشركت بالله (ما في الارض لأقنت به) لغادت به نفسها من عذاب الله (وأسروا الندامة) أخفوا الندامة الرؤساء من السفلة (لمارأو العذاب) حين رأوا العذاب (وقضى بينهم) وبين السفلة (بالقسط) بالعدل (وهم لا يظلمون)

لا ينقص من حسناتهم شئ ولا يزداد على سيئاتهم (أدانته ما في السموات والارض) من الخلق (يعنى) والنجائب (ألا ان وعد الله حق) كأن البعث بعد الموت (ولكن أكثرهم لا يعلمون)

هو يحيى ويميت) هو القادر ﴿ ٢٦٣ ﴾ على الاحياء { سورة بونس } والامانة لا يقدر عليهما

غيره (واليه ترجعون) والى
حسابه و جزائه المرجع
فيحيا ويرجي (يا ايها الناس
قد جاءكم موعظة من ربكم)
أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه
الفوائد من وعظا وتنبه
على لتوحيد الموعظة التي
تدعو الى كل سرعوت
وتزجر عن كل سرهوب
فاني القرآن من الاوامر
والنواهي داع الى كل
سرعوت وناجر عن كل
سرهوب اذا لا سر يقتضى
حسن المأو . فيكو
سرغو باوهوي قضى النهي
عن ضده وهو قبيح وعلى هذا
في النهي (وتفاء لنا
في الصدور) أي عدوكم
من العقائد الفاسدة (وهدى)
من الضلالة (ورجة
للمؤمنين) لمن آمن به منكم
(قل) يا محمد (فضل الله
ورجته فبذلك فيفر حوا)
لا يصدقون (هو يحيى)
للبعث (ويميت) في الدنيا
(واليه ترجعون) بعد الموت
(يا ايها الناس) يا اهل مكة
(قد جاءكم موعظة) نهي
(من ربكم) مما أنتم فيه (وشفاء)
بيان (لما في الصدور) من
العمى (وهدى) من الضلالة
(ورجة) من العذاب
(للمؤمنين قل) يا محمد لا صحابك

الاطهارا من الحياة الدنيا ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبي
لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا ﴿ واليه
ترجعون ﴾ بالموت أو النشور ﴿ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في
الصدور وهدى ورجة للمؤمنين ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة
عن محاسن الاعمال ومقايحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقايح والحكمة النظرية
التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورجة
للمؤمنين حيث انزل عليهم قبحوا به من ظلمة الضلال الى نور الايمان وتبدلت
مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتكبير فيها للتعظيم ﴿ قل بفضل
الله وبرحمته ﴾ بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿ فبذلك فيفر حوا ﴾ فان

يعنى حقيقة ذلك ﴿ هو يحيى ويميت ﴾ الذى يملك ما في السموات والارض قادر
على الاحياء والامانة لا يتعدر عليه شىء مما أراد ﴿ واليه ترجعون ﴾ يعنى بعد الموت للجزاء
﴿ قوله عز وجل ﴾ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ﴿ قيل اراد بالناس قريشا
وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبرى قد جاءكم موعظة من ربكم يعنى قرآن
والوعظن جرمقترن بتخوف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب ر قيل الموعظة
ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرغبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح هذا
الطريق ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ يعنى ان القرآن ذر شفاء لما في القلوب من داء
الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن ر أمراض القلب هي
الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن منزيل لهذه الامراض
كلها لا ر فيه الوعظ والزجر والتخوف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير
فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خض الصدر بالذكر لانه موضع
القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه ﴿ وهدى ﴾ يعنى
وهو هدى من الضلالة ﴿ ورجة للمؤمنين ﴾ يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين
انتفعوا بالقرآن دون غيرهم ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ الباء في بفضل الله متعلقة
بضمير استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم
والفضل هنا بمعنى الافصال ويكون معنى الآية على هذا يا ايها الناس قد جاءكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضل الله عليكم ورجته بكم
وارادته الخبير لكم ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى ﴾ فبذلك فيفر حوا ﴿ أشار بذلك
الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل
فبذلك فيفر حوا اشارة الى معنى الفضل والرجة والمعنى فبذلك التطول والانعام
فليفر حوا قال الواحدي لقاء في قوله تعالى فليفر حوا زائدة كقول الشاعر * فاذا
هلكت ففند ذلك فاجزعى * فالقاء في قوله فاجزعى زائدة وقال صاحب الكشف
في معنى الآية بفضل الله ورجته فليفر حوا فبذلك فليفر حوا والتكبير للتأكيد

(بفضل الله) القرآن الذى أكرمكم به (ورجته) الاسلام الذى وفقكم به (فبذلك) بالقرآن والاحلام (فليفر حوا)

أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفر حوا فبذلك فليفر حوا أو التكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد { الجزء الحادى عشر } الدنيا فحذف ﴿ ٢٦٤ ﴾ أحدا الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء

داخلة لعنى الشرط كأنه قيل ان فر حوا شىء فليخصوهم بالفرح أو بغضل الله وبرحمته فليعتبوا فبذلك فليفر حوا وهما كتاب الله والاسلام فى الحديث من هدا الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفاء فى كتاب الله الفقير بين عبده الى يوم يلقاه وفر الآية (هو خير مما يجمعون) وبالتاء شامى وافر حوا يعقوب (قل أأتيم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بانزل أو بأرأيتم أى أخبروني (فجمعتم منه حراما . علالا) فبعضتموه . قلتم هذا حلال وهذا حرام كقولها ما فى بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا نعم الا زاق تخرج من الارض ولكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذى به تثبت الارض النبات والشمس التى بها النضج ونعم الثمار أضيف انزالها الى السماء (قل الله) أذن لكم (متعلق بأرأيتم وقيل تكرر للتوكيد والمعنى (هو خير) يعنى القرآن والاسلام (مما يجمعون) مما يجمعونه اليهود والمشركون من الاموال (قل) يا محمد

سم الاشارة بمنزلة لضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتبوا أو فليفر حوا فبذلك فليفر حوا . فائدة ذلك التكرير التأكد والبيان بعد الاجمال وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره أى فبمجيئها فليفر حوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فر حوا شىء فبمها فليفر حوا أو للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيئها لكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقولها واذا هلكت فمنذ ذلك فاجزعى وعن يعقوب فلتفر حوا التاء على الاصل المرفوض وقد روى سرفوعا يؤيده انه قرئ فافر حوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وهو قرأ بن عامر يجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه ايها المخاطبون ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ جس الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل أو بأرأيتم فانه بمعنى أخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك ونج على التبعض فقال ﴿ فجمعتم منه حراما وحلالا ﴾ مثل هذه انعام وحرث حجير ما فى بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿ قل الله اذن لكم ﴾ فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحدا الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعنى الشرط فكأنه قيل ان فر حوا شىء فليخصوهم بالفرح فانه لا مفروض به أى حق منهم ما وفرح لذة فى القلب بادر الى المحبوب والمستحبى قال فرحت بكذا اذا ذكرت الماء وان ذلك أكثر ما يستعمل الفرحة فى اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية بفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أى ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثلج البقين بالامان وسكون النفس اليه ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ يعنى من متاع الدنيا ولذاتها القانية هذا مذهب أهل المعانى فى هذه الآية واما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه فى قلوبنا وقبل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء فى بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفر حوا بفضل الله ورحمته ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لكفار مكة ﴿ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ يعنى من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما فى الارض بالانزال لان جميع ما فى الارض من خير رزق فانما هو من بركات السماء ﴿ فجمعتم منه ﴾ يعنى من ذلك الرزق ﴿ حراما وحلالا ﴾ يعنى ما حرموه على أنفسهم فى الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ﴿ قل الله اذن لكم ﴾ يعنى قل لهم يا محمد الله اذن لكم فى هذا التحريم والتحليل

لاهل مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم) ما خلق الله لكم (من رزق) من حرث وانعام (فجمعتم منه) فقلتم وفعلتم (أم) (حراما) على النساء منفعها يعنى منفعة البحيرة والسائبة والحام (وحلالا) للرجال (قل) لهم يا محمد (الله اذن لكم) أمر بركم بذلك

أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تعملون ذلك باذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه والهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أنفترون على الله تقريراً للاقتراء والآية زاجرة عن التحوير فيما يستل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط ﴿ ٢٦٥ ﴾ فيه وأن ﴿ سورة يونس ﴾ لا يقول أحد في شيء جائز

أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مقتر على الدين (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) ينسبون ذلك اليه (يوم القيمة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنعهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أمرهم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعلم والرحمة والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وما تكون في شأن) مانافية والخطاب لنبى صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وما تتلوا منه) من التنزيل كأنه قيل وما تتلوا من التنزيل (من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل (أم على الله) بل على الله (تفترون) تحتلقون الكذب (وما ظن الذين يفترون) تحتلقون (على الله الكذب)

﴿ أم على الله تفترون ﴾ في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير للاقتراء على الله (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) أي شيء ظنهم ﴿ يوم القيمة ﴾ المحسبون ان لا يجاوزوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كأن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم برسال الرسل وانزال الكتب ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ هذه النعمة ﴿ وما تكون في شأن ﴾ ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في ﴿ وما تتلوا منه ﴾ له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام اولان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو ﴿ من قرآن ﴾ على ان من تبعضية او من زيادة لتأكيد النفي اول القرآن

﴿ أم على الله تفترون ﴾ يعني بل أنتم كاذبون على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا ﴿ وما ظن الذي يفترون على الله الكذب يوم القيمة ﴾ يعني اذا لقوه يوم القيمة المحسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ﴿ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤون تقول العرب ماشأن فلان أي ماحاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوادثها ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء وما تتلو منه من قرآن اختلفوا في الضمير في منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى وما تكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فاعلى هذا يكون المعنى وما تتلو من القرآن من قرآن يعني من سورة وشيء منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى وما تتلوا من الله من قرآن نازل عليك

ماذا يفعل بهم (يوم القيمة ان الله لذو فضل) (قا و خا ٣٤ لث) من (على الناس) بتأخير العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) بذلك ولا يؤمنون (وما تكون) يا محمد (في شأن) في أمر (وما تتلوا) عليهم (منه من قرآن) سورة

(ولا تعملون) أنتم جميعاً (من عمل) أى عمل (الا كنا عليكم شهدوا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه)
تخوضون من أفاض في الامر { الجزء الحادى عشر } اذا تدفع فيه ﴿ ٢٦٦ ﴾ (وما يعزب عن ربك)

واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم لما أوله ﴿ ولا تعملون من عمل ﴾ تميم الخطاب
بعد تخصيصه من هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول
الجليل والحقير ﴿ الا كنا عليكم شهدوا ﴾ رقباء مطلعين عليه ﴿ اذ تفيضون
فيه ﴾ تخوضون فيه وتندفعون ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ ولا يبعد عنه ولا يغيب
عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاء هنا وفي سبأ ﴿ من مثقال ذرة ﴾ موازن ثلثة صغيرة أو هباء
﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ أى فى الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا
غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقدم الارض لان الكلام فى حال اهلها
والمقصود منه البرهان على احاطة علمها ﴿ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين ﴾
كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حجة ويعقوب
بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل القمع بدل الكسر لا متناع
الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ
﴿ ألا ان أولياء الله ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴿ لا خوف عليهم ﴾

﴿ وما قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وأمته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم
وكبيرهم كان القوم داخلين فى ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون
من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم داخلون فى الخطابين الاولين ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ الا كنا عليكم شهدوا ﴾ يعنى شاهدين لا عالمكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد
على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل
ما يدخل فى الوجود من احوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل فى علمه
وهو شاهد عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين
تدخلون وتخوضون فى ذلك العمل والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانتصاب
اليه والانبساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه وتبسطون فى ذكره
وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال أفاض القوم فى الحديث
اذا انتشروا فيه ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ يعنى وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل
خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه وأصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا
كان بعيدا المطلب ﴿ من مثقال ذرة ﴾ يعنى وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة الثمالة
الصغيرة الحماة وهى خفيفة الوزن جدا ﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ فان قلت لم قدم
ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ وما قاندة ذلك
قلت كان حق السماء أن يقدم على الارض كما فى سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر
فى هذا الآية شهادته على أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما
يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء فى هذا الموضع لهذه القاندة ﴿ ولا
اصغر من ذلك ﴾ يعنى من الذرة ﴿ ولا أكبر ﴾ يعنى منها ﴿ الا فى كتاب مبين ﴾ يعنى فى
اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم)

وما يبعد وما يغيب بكسر
الزاء على حيث كان (من)
مثقال ذرة) وزن ثمالة
صغيرة (فى الارض ولا
فى السماء ولا اصغر من ذلك
ولا أكبر) رفعها جزء
على الابتداء والخبر (الا فى
كتاب مبين) يعنى اللوح
المحفوظ ونصبها غيره على
نفي الجنس وقدمت الارض
على السماء هنا فى سبأ قدمت
السموات لان العطف بالواو
وحكمه حكم التثنية (ألا ان
أولياء الله) هم الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
او هم الذين تولى الله
هداهم بالبرهان الذى آتاهم
فتولوا القيام بحقه والرجة
خلقه أو هم المحابون فى الله
على غير أرحام بينهم ولا
أموال يتعاطونها أو هم
المؤمنون المتقون بدليل
الآية الثانية (لا خوف عليهم)

أو آية (ولا تعملون من عمل) ن
خيرا وشر (الا كنا عليكم)
وعلى أمركم وتلاوتكم وعلمكم
(شهدوا) عالما (اذ تفيضون)
تخوضون (فيه) فى القرآن
بالتكذيب (وما يعزب)
ما يغيب (عن ربك من مثقال
ذرة) وزن ثمالة الحماة من
أعمال العباد (فى الارض
ولا فى السماء ولا اصغر من
ذلك) لا أخب من ذلك
(ولا أكبر) ولا أقبل

(الا فى كتاب مبين) مكتوب فى اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله) المؤمنين (لا خوف عليهم) فيما (ولا)

من حقوق مكروه ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ لفوات مأمول والآية كمجمل فسرته قوله
 ولاهم يحزنون ﴿ اعلمنا نحتاج أولاً في تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية
 ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه
 الآية هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسل
 قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله
 وقال ابن زبدهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم
 المتحابون في الله ويبدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناساماهم بانباء ولاشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
 يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يارسو الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على
 غير ارحام بينهم ولا أموال يتساطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور
 لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان اولياء
 الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول
 صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم
 أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالى لهم من نور يغبطهم
 النبيون والشهداء أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الاشعري
 قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عبيد ليسوا بانباء ولاشهداء يغبطهم
 النبيون والشهداء بقرهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابى
 فجننا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يارسو الله عنهم من هم قال فرأيت فى وجه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل
 شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل
 الله وجوههم نوراً ويجعل لهم منار من لؤلؤ قدام الرحمن يفرح الناس ولا يفرحون
 ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك
 وتعالى ان أوليائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى واذكرهم بذكرهم هكذا ذكره
 البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يارسو الله لعلنا
 نجيبهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر
 من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان اولياء الله
 لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا أن الحسد مذموم والغبطة
 محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتقنى زوال ما على المحسود من النعمة
 ونحوها والغبطة هى أن يتقنى الغابط مثل تلك النعمة التى هى على المغبوط من غير زوال
 عنه وقال أبو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق
 العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولا وهو القرب والنصرة فولى الله هو

اذا خاف الناس (ولاهم
 يحزنون) اذا حزن الناس

يستقبلهم من العذاب (ولا
 هم يحزنون) على ما خلفوا
 من خلفهم ثم بين من هم
 فقال

﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه ﴿ لهم ﴾ البشرى فى الحياة الدنيا وهو ما بشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنخ لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ﴿ وفى الآخرة ﴾ بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم

الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مستغلا بالله مستغرق القلب فى معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجهد اجهد فيما يقربه الى الله لا يفتقر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال المتكلمون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ماوردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبنى على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقى العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعنى فى الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعنى على شئ فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم فى الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنكد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شئ ولا يحزن على شئ لان مقام الولاية والمعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ﴿ واما قوله سبحانه وتعالى ﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿ فقد تقدم تفسيره وانه صفة لا ولياء الله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴿ اختلفوا فى هذه البشرى فروى عن عباد بن الصامت قال سألت رسول الله صل الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى لها أخرجه الترمذى وله عن رجل من اهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ما سألتنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ما سألتنى عنها أحد غيرك منذ أنزلت هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة لفظ البخارى ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول ان اذا جلنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لا تحمل هذه الحالة الا لهم

(الذين آمنوا) منصوب باضمار أعنى أولائه صفة لا ولياء أو صرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين آمنوا (وكانوا يتقون) الشرك والمعاصى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهذا لان مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة وكان فى ستة أشهر منها يؤمر فى النوم بالانذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا أو هى محبة الناس له والذكر الحسن أولهم البشرى عند النزع بان يرى مكانه فى الجنة (وفى الآخرة)

(الذين آمنوا) بحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وكانوا يتقون) الكفر والشرك والفواحش (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) بالرؤيا الصالحة برونها أو ترى لهم (وفى الآخرة) بالجنة

لهم ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ أى لا تغيير لاقواله ولا اختلاف لمواعيده ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين ﴿ هو الفوز العظيم ﴾

وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عزوجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولى رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عزوجل لهذا الولى قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لاصر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءاً من أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لانهما جزء من النبوة وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهي جزء من ستة وأربعين جزءاً وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب أبداً فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءاً من النبوة لانه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقاً والله أعلم في تفسير الآية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة ويبدل على ذلك ما روى عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الرجل يعمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخر له في الآخرة بقوله بشرى لكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنه ومحبتة له وتحييته الى الخلق كما قال ثم بوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حده الناس من غير تعرض منه لمجدهم والافا تعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عزوجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويتنون عليه فتلك عاجل بشرى بحسبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويبدل عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يرجعها الى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويبدل عليه قوله تعالى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ يعنى لا خلف لوعد الله الذى وعده أو ليلاه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رساله ولا تغيير لذلك الوعد ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعنى ما وعدهم به في الآخر

هي الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا اختلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) وكلنا الجنة اعترض ولا يجب انه يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت

(لا تبديل لكلمات الله) بالجنة (ذلك) البشرى (هو الفوز العظيم) النجاة الوافر فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها

(ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لأحزن فقيل { الجزء الحادي عشر } ان العزة (لله) ﴿ ٢٧٠ ﴾ ان الغلبة والقهر في ملكه لا يعك

هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم « وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ استئناف بمعنى التعليل ويبدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يعك غيره شيئاً منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم ﴿ هو السميع ﴾ لا قولهم ﴿ العليم ﴾ بزماتهم فيكافئهم عليها ﴿ ألا ان الله من في السموات ومن في الارض ﴾ من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيداً يصلح احدهم للربوبية فما لا يعقل منها حق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ أى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ أى ما يتبعون يقينا

﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين لك ولا يفمك تخويفهم اياك ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز ﴿ هو السميع ﴾ لا قولكم ودعائكم ﴿ العليم ﴾ بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ الا ان الله من في السموات ومن في الارض ﴿ الأكلمة تبييه معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل فهو ملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان الله ما في السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فافائدة ذلك قلت ان لفظه ما تبدل على ما يعقل ولفظة من تبدل على من يعقل فمجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل ملك جميع من في السموات ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظه من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدونها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ لفظه ما استفهام معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تنقيح فعلهم يعني أنهم ليسوا على شيء لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان يتبعون الا الظن ﴾ يعنى ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع

أحد شيئاً منهما لاهم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبين أنا ورسلى ان النصر رسلنا أوبه يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار (جميعا) حال (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعز مون عليه وهو مكافئهم بذلك (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا اله في ملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولان يكون شريكا له فيها فاوراءهم مما يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافية أى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال (ان يتبعون الا الظن) الاظنهم انهم

(ولا يحزنك) يا محمد (قولهم) تكذيبهم اياك (ان العزة) والقدرة والمنعة (لله جميعا) بهلاكهم (هو السميع) لمقاتهم

(العليم) بفعلهم وعقوبتهم (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) من الخلق يحولهم كيف يشاء (وما يتبع) يعبد (لهم)

(الذين يدعون) يعبدون (من دون الله شركاء) آلهة من الاولاد (ان يتبعون) ما يعبدون (الا الظن) الا بالظن بغير

شركاء الله (وان هم الايخرون) يحزرون ويقدرون أن يكونوا شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب يبدعون وعلى الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فاقصر على أحدهما للدلالة والمخوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على ﴿ ٢٧١ ﴾ عظيم قدرته وشمول {سورة يونس} نعمته على عباده بقوله

(هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار (والنهار مبصرا) مضيا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع مذكر معتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتجب من كلمتهم الحقاء (هو الغنى) علة لئفى الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به ولكل أمانة الحاجة فن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيًا ولان الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج الى الغير فكان حادئا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض) ان عندكم

وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة يتبع أو موصولة معطوفة على من * وقرى تدعون بالثناء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين أى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فالك لا يتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة فيكون الزما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ﴿ وان هم الايخرون ﴾ يكذبون فيما ينسبون الى الله أو يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ أى تبناه ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا من يتصور له الولد وتجب من كلمتهم الحقاء ﴿ هو الغنى ﴾ علة لتزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿ له ما فى السموات وما فى الارض ﴾ تقرير لغناه ﴿ ان عندكم

لهم وانما تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقته ﴿ وان هم الايخرون ﴾ يعنى ان هم الايكذبون ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴿ يعنى هو الله ربكم الذى خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه ويزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيا لتبصروا فيه لحوائجكم وأسباب معاشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما مبصر فيه وليس النهار ما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معنادا خاطبهم بلقنهم وما يفهمونه قال جرير * لقد لتنايام غيلان فى سرى * ونبت وما ليل لطفى بنامه فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما يعنى نفسه وان لم يكن نائما هو ولا يعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء ﴿ قوله تعالى ﴾ ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴿ يعنى يسمعون سماع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية فى الوجود ﴿ قالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ اتخذ الله ولدا ﴾ يعنى به قولهم الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد ﴿ هو الغنى ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بحلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها ﴿ له ما فى السموات وما فى الارض ﴾ يعنى انه مالك ما فى السموات وما فى الارض وكلهم عبيده وفى قبضته وتصرفه وهو محمدشهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقرير فقال سبحانه وتعالى ﴿ ان عندكم

يقين (وان هم) ما هم يعنى الرؤساء (الايخرون) يكذبون للسفلة (هو الذى) أى الهكم هو الذى (جعل لكم) خلق لكم (الليل لتسكنوا فيه) لتستقروا فيه (والنهار مبصرا) مضيا لاذهب والجمي (ان فى ذلك) فيما ذكرت (لايات) لبراهن (لقوم يسمعون) مواظع القرآن ويطيعون (قالوا) كفار مكة (اتخذ الله ولدا) من الملائكة الاناث (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (هو الغنى) عن الولد والشريك (له ما فى السموات وما فى الارض) من الخلق والعجائب (ان عندكم)

من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزك أنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله { الجزء الحادى عشر { الكذب } ٢٧٢ ❀ باضافة الولد اليه (لايفلحون) لاينجون

من سلطان بهذا ❀ نفي لمعارض ما قامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل ان عندكم في هذا من سلطان ❀ أتقولون على الله ما لا تعلمون ❀ توبيخ وتقريع على اختلافتهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ ❀ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ❀ بأخذ الولد واضافة الشريك اليه ❀ لايفلحون ❀ لاينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ❀ متاع في الدنيا ❀ خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبه النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به (ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) المخلد (بما كانوا يكفرون) بكفرهم واتل عليهم ❀ خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذلو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر

من سلطان بهذا ❀ يعنى انه لاحجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى ❀ أتقولون على الله ما لا تعلمون ❀ يعنى أتقولون على الله قولاً لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ❀ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ❀ اى قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا ❀ لايفلحون ❀ يعنى لايسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لاينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقت تام يعنى قوله لايفلحون ثم ابتداء فقال تعالى ❀ متاع في الدنيا ❀ وفيه اضمحار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهى أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى ❀ ثم الينا مرجعهم ❀ يعنى بعد الموت ❀ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ❀ يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يحجدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفون بما لا يليق بجلاله ❀ قوله سبحانه وتعالى ❀ واتل عليهم نبأ نوح ❀ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعدا شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسليته ليخف عليه ما يليق من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا يخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هالكا واعظمهم كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وأنه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى وتل عليهم نبأ نوح يعنى واقرا على قومك يا محمد خبر قوم نوح

من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) اى افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبه النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به (ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) المخلد (بما كانوا يكفرون) بكفرهم واتل عليهم) واقرأ عليهم (نبأ نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذلو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر

ما عندكم (من سلطان) من كتاب ولا حجة (بهذا) بما تقولون على الله من الكذب (أتقولون على الله) بل تقولون على الله (ما لا تعلمون) ذلك من الكذب (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب) لايفلحون (لاينجون من عذاب الله) ولا يأمنون (متاع في الدنيا) يعيشون في الدنيا قليلا (ثم الينا مرجعهم) بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب

الشديد) الغليظ (بما كانوا يكفرون) بمحمد صلى الله عليه وسلم وانقرآن ويكذبون على الله (واتل عليهم) اقرأ (اذ) عليهم (نبأ) خبر (نوح) بالقرآن

اذقال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم (عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين (مقامى) مكانى يعنى نفسه كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان اى خاف ﴿٢٧٣﴾ ربه اوقامى ومكثى { سورة يونس } بين أظهركم ألف سنة الا

خسبين عاما اومقامى
(وتذكيرى بآيات الله)
لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة
قاموا على أرجلهم يعظونهم
ليكون مكانهم بنا وكلامهم
مسموعا (فعلى الله توكلت)
أى فوضت أمرى اليه
(فاجعوا أمركم) من اجمع
الامر اذا نواه وعزم عليه
(وشركاءكم) الواو يعنى
مع أى فاجعوا أمركم مع
شركائكم (ثم لا يكن أمركم
عليكم غمة) أى غما عليكم

وهما والغم والغمه كالكرب
والكربة أو ملتبسافى خفية
والغمه السترة من غمه اذا
ستره ومنه الحديث لا غمة
فى فرائض الله أى لا ستر
ولكن يجاهر بها والمعنى
ولا يكن قصدكم الى هلاكى
مستورا عليكم ولكن مكشوفاً
مشهوراً تجاهرونى به (ثم
اقضوا الى) ذلك الامر
الذى تريدون فى أى ادوا
الى ما هو حق عندكم من
هلاكى كايقضى الرجل
غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم
(ولا تنظرون) ولا تعهلونى

(اذقال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم) عظم عليكم
(مقامى) طول مقامى ومكثى
(وتذكيرى) وتذكيرى اياكم
(بآيات الله) من عذاب الله

﴿ اذقال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم ﴾ عظم عليكم وشق ﴿ مقامى ﴾ نفسى كقولك فعلت كذا
لمكان فلان أو كوفى واقامتى بينكم مدة مدبدة أو قيامى على الدعوة ﴿ وتذكيرى ﴾ اياكم ﴿ بآيات
الله فعلى الله توكلت ﴾ وثقت به ﴿ فاجعوا أمركم ﴾ فاعزموا عليه ﴿ وشركاءكم ﴾ اى مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطف على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكده الفصل وقيل انه معطوف
على امركم بخذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركائكم * وقد قرئ به وعن نافع فاجعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده
والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ ثم لا يكن أمركم ﴾ فى قصدى
﴿ عليكم غمة ﴾ مستورا واجملوه ظاهر امكشوفاً من غمه اذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم
غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى ﴿ ثم اقضوا ﴾ ادوا ﴿ الى ﴾ ذلك
الامر الذى تريدون فى * وقرئ ثم اقضوا الى بالفاء اى انتهوا الى بشركم أو ابرزوا الى
من افضى اذا خرج الى الفضاء ﴿ ولا تنظرون ﴾ ولا تعهلونى

﴿ اذقال لقومه يا قوم ﴾ وهم بنو قاتيل ﴿ ان كان كبر ﴾ يعنى ثقل ﴿ عليكم مقامى ﴾
يعنى فيكم ﴿ وتذكيرى بآيات الله ﴾ يعنى ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان
ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم
ألف سنة الاخسبين عما يدعوهوم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو
قوله وتذكيرى بآيات الله يعنى ووعظى بآيات الله وحججه وبيانه فعزمتم
على قتلى وطردى ﴿ فعلى الله توكلت ﴾ يعنى فهو حسبى وثقتى ﴿ فاجعوا أمركم ﴾
يعنى فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء الاجاع الاعداد والعزيمة على الامر
وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من
أمركم شيئاً الا حضرتموه ﴿ وشركاءكم ﴾ يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا
بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانا حشهم على الاستعانة بالاصنام بناء على
مذهبهم واعتقادهم انها نضر وتنفع مع اعتقاده أنها جاد لانضر ولا تنفع فهو كالتيكيت
والتوبخ لهم ﴿ ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ﴾ يعنى لا يكن أمركم عليكم خفياً مبهماً ولكن
ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على
الناس ﴿ ثم اقضوا ﴾ ثم امضوا ﴿ الى ﴾ بما فى أنفسكم من مكروه وما توعدونى به
من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم
اقضوا ما أنتم قاضون ﴿ ولا تنظرون ﴾ أى ولا تؤخرونى ولا تعهلونى بعد اعلامكم
اياى ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التخيير لهم أخبر الله
عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية فى التوكل على الله وانه كان وثقا
بنصره اياه غير خائف من كيدهم علما منه بأنهم وآلهم ليس لهم نفع ولا ضر وان

(فعلى الله توكلت) وثقت وفوضت (قا و خا ٣٥ لث) أمرى الى الله (فاجعوا أمركم) فاجتمعوا على قول وأمر واحد (وشركاءكم)
استعينوا بآلهتكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) لا تلبسوا أمركم وقولكم على أنفسكم (ثم اقضوا الى) امضوا الى (ولا تنظرون) ولا ترقبون

(فان توليتهم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصحي (فمأسألتكم من أجر) فواجب التولى أو فأسألتكم من أجر ففانتي ذلك بتوليتكم (ان أجرى الاعلى الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أى ما نصحتكم الله لا اغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة على منع أخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الدينى (وأمرت ان أكون من المسلمين) من المستسلمين لا وامره ونواهيته ان أجرى بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فداموا على تكذيبه (فنجيناه) من الفرق (ومن معه فى الفلك وجملناهم) الجزء الحادى عشر (خلائف) ﴿ ٢٧٤ ﴾ يخلفون الهالكين بالغرق فى السفينة (واغرقتنا

الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المذنبين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أذرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسليته (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسالا الى قومهم) أى هودا وصالحا و ابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاءهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فمأسألتكم من أجر) فمأسألتكم من أجر

(فان توليتهم) عن الايمان بما جئتمكم به (فمأسألتكم) على الايمان (من أجر) من جعل (ان أجرى) مأثوبى بما دعوتكم الى الايمان (الإعلى الله) وأمرت ان أكون من المسلمين (مع المسلمين) على دينهم (فكذبوه) يعنى نوحا بما أتاهم (فنجيناه) من الفرق (ومن معه)

﴿ فان توليتهم ﴾ اعرضتم عن تذكيري ﴿ فمأسألتكم من أجر ﴾ يوجب توليتكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله أو يفوتنى لتوليتكم ﴿ ان أجرى ﴾ مأثوبى على الدعوة والتذكير ﴿ الاعلى الله ﴾ لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم أو توليتهم ﴿ وأمرت ان أكون من المسلمين ﴾ المقادير لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره ﴿ فكذبوه ﴾ فاصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجج والبرهان ان توليتهم ليس الاعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب ﴿ فنجيناه ﴾ من الفرق ﴿ ومن معه فى الفلك ﴾ وكانوا ثمانين ﴿ وجعلناهم خلائف ﴾ من الهالكين به ﴿ واغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بالطوفان ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المذنبين ﴾ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسليته ﴿ ثم بعثنا ﴾ ارسلنا ﴿ من بعده ﴾ من بعد نوح ﴿ رسالا الى قومهم ﴾ كل رسول الى قومه ﴿ فجاءهم بالبينات ﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ﴿ فمأسألتكم من أجر ﴾ فمأسألتكم من أجر ان يؤمنوا لشدة شكيتهم

مكرهم لا يصل اليه ﴿ فان توليتهم ﴾ يعنى فان أعرضتم عن قولى وقبول نصحى ﴿ فأسألتكم من أجر ﴾ يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شياً كان أقوى تأثيراً فى النفس ﴿ ان أجرى الاعلى الله ﴾ أى مأثوبى وجزائى على تبليغ الرسالة الاعلى الله ﴿ وأمرت ان أكون من المسلمين ﴾ يعنى انى أمرت بدين الاسلام وأماماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت ان أكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة ﴿ فكذبوه ﴾ يعنى فكذبوا نوحا عليه السلام ﴿ فنجيناه ﴾ من معه فى الفلك ﴿ يعنى فى السفينة ﴾ وجعلناهم خلائف ﴿ يعنى وجعلنا الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الارض بعد الهالكين ﴾ واغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المذنبين ﴿ أى فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ﴾ ثم بعثنا من بعده ﴿ يعنى من بعد نوح ﴾ رسالا الى قومهم ﴿ لم يسم هتاً من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل ﴾ فجاءهم بالبينات ﴿ يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التى تدل على صدقهم ﴾ فمأسألتكم من أجر

من المؤمنين (فى الفلك) فى السفينة (وجعلناهم خلائف) خلفاء وسكان الارض (واغرقتنا الذين) كذبوا بآياتنا) بكتابتنا ورسولنا نوح (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المذنبين) كيف صار آخر أمر الذين أذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده) من بعد هالك قوم نوح (رسالا الى قومهم فجاءهم بالبينات) بالامرو والنهى والعلامات (فمأسألتكم من أجر) ليصدقوا

الكفر بعد الحجى* (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريدانهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فواقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نحتم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر ﴿٢٧٥﴾ أن يتهاون {سورة يونس} العيب برسالة ربهم بعد

تبينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفار اذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا سحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف أى هذا ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى

(بما كذبوا به من قبل) من قبل يوم الميثاق (كذلك) هكذا (نطبع) نحتم (على قلوب المعتدين) من الحلال والحرام (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) رؤسائه (بآياتنا) بكتابتنا ويقال بآياتنا التسع اليد والمعصا والطوفان

في الكفر وخذلان الله أيهم ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ أى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتعزيمهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ بخذلانهم لانهما كهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد وقدم تحقيق ذلك ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعده هؤلاء الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا﴾ بالآيات التسع ﴿فاستكبروا﴾ عن اتباعهما ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترأوا على ردها ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك ﴿قالوا﴾ من فرط تمردهم ﴿ان هذا لسحر مبين﴾ ظاهرانه سحر وفاق في فنه واضح فيما بين اخوانه ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ انه لسحر فحذف المحكى المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون ﴿اسحر هذا﴾ لانهم يتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتميونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا في يد كرمهم فيستغنى عن المقول ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر

بما كذبوا به من قبل ﴿يعنى ان أولئك الاقوام والائم التي جاءتهم الرسل جروا على مناج قوم نوح في التكذيب ولم يزرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب﴾ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴿يعنى مثل اعتراف قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نحتم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب﴾ قوله عز وجل ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ يعنى من بعد الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه﴾ يعنى أشرف قومه ﴿بآياتنا فاستكبروا﴾ يعنى عن الايمان بما جاء به موسى وهارون ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ يعنى مستكسبين للائم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله ﴿قالوا ان هذا لسحر مبين﴾ يعنى ان هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا﴾ فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ يعنى حاصل

والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات ويقال الطمس (فاستكبروا) عن الايمان بالكتاب والرسول والآيات (وكانوا قوما مجرمين) مشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا) الكتاب والرسول والآيات (قالوا ان هذا) الذى جاء به موسى (لسحر مبين) كذب بين وان قرأت بالالف أرادوا به موسى ساحرا كذابا (قال) لهم (موسى أتقولون للحق) الكتاب والرسول والآيات (لما جاءكم) حين جاءكم (أسحر هذا ولا يفلح) لا ينجو ولا يأمن (الساحرون) من عذاب الله

لا يظفر (قالوا أجتنبنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (في الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جتّمابه ويكون { الجزء الحادى عشر } حادويحي ٢٧٦ ﴿ وقال فرعون ائتونى بكل

ساحر عليم) سحار حزة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جتّم به السحر) ما موصولة واقعة مبتدأ وجتّم به صلتهما والسحر خبر أى الذى جتّم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله السحر بعد وقصأ بوعمر وعلى الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شئ جتّم به هو السحر (ان الله سيطله) يظهر بطلانه (ان الله لا يصلح على المفسدين) لا يثبت بل يدمره (ويحق الله الحق) ويثبتة (بكلماته) باوامره وقضايه أو يظهر الاسلام بعداته بالنصرة (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن موسى) فى أول أمره (قالوا) لموسى (أجتنبنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاوثان (وتكون لكما الكبرياء) الملك والسلطان (فى الارض) مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر ان ما أتى به موسى سحر ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ انما أمرهم موسى بالبقاء ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد ﴿ فلما ألقوا ﴾ يعنى ما معهم من الحبال والعصى ﴿ قال موسى ما جتّم به السحر ﴾ يعنى الذى جتّم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم ﴿ ان الله سيطله ﴾ يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ﴿ ان الله لا يصلح على المفسدين ﴾ يعنى لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ﴿ ويحق الله الحق ﴾ يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعطيه ﴿ بكلماته ﴾ يعنى بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يطلب السحرة ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فما آمن موسى

لا يسحر أو من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكما كأنهم قالوا أجتنبنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ﴿ قالوا أجتنبنا لتلفتنا ﴾ لتصرفنا واللفت والقتل اخوان ﴿ عما وجدنا عليه آباءنا ﴾ من عبادة الاصنام ﴿ وتكون لكما الكبرياء فى الارض ﴾ الملك فيهاسمى بها الاتصاف الملوك بالكبرأ والتكبر على الناس باستباعتهم ﴿ وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ بمصدقين فيما جتّمابه ﴿ وقال فرعون ائتونى بكل ساحر ﴾ وقرأ حزة والكسائى بكل سحار ﴿ عليم ﴾ حاذق فيه ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جتّم به السحر ﴾ أى الذى جتّم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا ﴿ وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجتّم به خبرها والسحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف أى السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره أى شئ آتيم ﴿ ان الله سيطله ﴾ سيمحقه أو سيظهر بطلانه ﴿ ان الله لا يصلح على المفسدين ﴾ لا يثبتة ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ﴿ ويحق الله الحق ﴾ ويثبتة ﴿ بكلماته ﴾ باوامره وقضايه ﴿ وقرئ بكلمته ﴾ واو كره المجرمون ﴿ ذلك ﴾ فما آمن موسى ﴿ فى مبدأ أمره

السحر تمويه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح أبدا ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال قوم فرعون لموسى ﴿ أجتنبنا لتلفتنا ﴾ يعنى لتصرفنا وتلوينا ﴿ عما وجدنا عليه آباءنا ﴾ يعنى من الدين ﴿ وتكون لكما الكبرياء ﴾ يعنى الملك والسلطان ﴿ فى الارض ﴾ يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا ﴿ وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين ﴿ وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم ﴾ يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر ان ما أتى به موسى سحر ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ انما أمرهم موسى بالبقاء ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد ﴿ فلما ألقوا ﴾ يعنى ما معهم من الحبال والعصى ﴿ قال موسى ما جتّم به السحر ﴾ يعنى الذى جتّم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم ﴿ ان الله سيطله ﴾ يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ﴿ ان الله لا يصلح على المفسدين ﴾ يعنى لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ﴿ ويحق الله الحق ﴾ يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعطيه ﴿ بكلماته ﴾ يعنى بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يطلب السحرة ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فما آمن موسى

ملقون) من العصى والحبال (فلما ألقوا) عصيمه وحبالهم (قال لهم) موسى ما جتّم به ما طرحتم (السحر) (الأذرية) هو السحر (ان الله سيطله) سيهلكه (ان الله لا يصلح) لا يرضى (عمل المفسدين) الساحرين (ويحق الله) يظهر الله لدينه (الحق بكلماته) بتحقيقه (ولو كره المجرمون) وان كره المشركون ان يكون ذلك (فما آمن) فاصدق (لموسى) بما جاء به

(الاذرية من قومه على خوف ﴿ ٢٧٧ ﴾ من فرعون) الاطائفة من { سورة يونس } ذراري بني اسرائيل كأنه قيل

الأولاد من أولاد قومه

وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه

خوفاً من فرعون وأجابته

طائفة من أبنائهم مع الخوف

أو الضمير في قومه لفرعون

والذرية مؤمن آل فرعون

وآسية امرأته وخازنه

وما شتطه والضمير في

(و ملئهم) يرجع الى

فرعون بمعنى آل فرعون

كما يقال ربعة ومضر

أولاده وأصحاب يأتمرون

له أو الى ذرية أي على خوف

من فرعون وخوف من

أشراف بني اسرائيل

لانهم كانوا يمتعون أعقابهم

خوفاً من فرعون عليهم

وعلى أنفسهم دليله قوله

(أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم

فرعون (وأن فرعون لعالم

في الارض) لغالب فيها

قاهر (وأنه لمن المسرفين)

في الظلم والفساد وفي الكبر

والعتو بادعائه الربوبية

(الاذرية من قومه) من قوم

فرعون كان آباؤهم من القبط

وامهاتهم من بني اسرائيل

فأمنوا بموسى (على خوف

من فرعون وملئهم) رؤسائهم

(أن يفتنهم) أن يقتلهم (وأن

فرعون لعالم) المخالف

﴿ الاذرية من قومه ﴾ الأولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون الاطائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وأمرأته آسية وخازنه وزوجته وما شتطه ﴿ على خوف من فرعون وملئهم ﴾ أى مع خوف منهم والضمير لفرعون ووجهه على ما هو المعتاد في ضمير العظمة أو على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربعة ومضر والذرية أولادهم ﴿ ان يفتنهم ﴾ ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملائكة بسببه ﴿ وان فرعون لعالم في الارض ﴾ لغالب فيها ﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

الاذرية من قومه ﴿ لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الاذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلياً لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فيبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امراً عظيماً ومع ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة المددواختلفوا في هاء الكناية في قومه فقيل انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من اولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بني اسرائيل كانت المرأة في بني اسرائيل اذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بني اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى لاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا امهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شتطه قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله في الايمان وذلك كما يقال لا اولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الانبياء لان امهاتهم من غير جنس الآباء ﴿ على خوف من فرعون وملئهم ﴾ الملائكة الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرافهم وهم ملائكة الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل أراد بالملائكة فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفضيل ﴿ أن يفتنهم ﴾ أى يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل أن يفتنهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره ﴿ وان فرعون لعالم في الارض ﴾ يعنى انه لغالب قهار متكبر فيها ﴿ وانه لمن المسرفين ﴾ يعنى من المجاوزين الحد لانه كان

(في الارض) الذين موسى (وأنه لمن المسرفين) المشركين

(وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه استندوا أمركم في العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوه الهه سالمة خالصة لاحظ للشيطان فيه الان التوكل لا يكون مع التخليط (فقالوا على الله توكلنا) {الجزء الحادى عشر} انما قالوا ذلك ﴿٢٧٨﴾ لان القوم كانوا مخلصين لاجرم ان

﴿وقال موسى﴾ للمرأى تخوف المؤمنين به ﴿يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ فتقوا به واعتمدوا عليه ﴿ان كنتم مسلمين﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت ﴿فقالوا﴾ على الله توكلنا ﴿لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجبت دعوتهم﴾ ربنا لا نجعلنا فتنه ﴿موضع فتنه﴾ للقوم الظالمين ﴿أى لا تسلطهم علينا فيقتنونا﴾ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴿من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تشبيهه على ان الداعى ينبغي له ان يتوكل اولاً ليجاب دعوته﴾ واورحينا الى موسى واخيه ان تبوأ ﴿أى اتخذامباة﴾ لقومكما بمصر بيوتا ﴿يسكنون فيها أو يرجعون اليها للعبادة﴾ واجعلوا ﴿اتماو قومكما﴾ بيوتكم ﴿تلك البيوت﴾ قبلة ﴿مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو

عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبي اسرائيل ﴿وقال موسى﴾ يعنى لقومه ﴿يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ يعنى فبه فتقوا ولامره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه ﴿ان كنتم مسلمين﴾ يعنى ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهرى ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره ﴿فقالوا﴾ يعنى قال قوم موسى مجيبين له ﴿على الله توكلنا﴾ يعنى عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربه فقالوا ﴿ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين﴾ يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا اننا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعداب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيقتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيقتنونا ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ يعنى وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة ﴿قوله عز وجل﴾ واورحينا الى موسى وأخيه هارون ﴿أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا﴾ يعنى اتخذنا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة أى وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ اختلف أهل التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فهم من قال أراد بالبيوت المساجد التى يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى

الله قبل توكلهم وأجاب دعاهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين) موضع فتنه لهم أى عذاب يعذبوننا أو يفتنونا عن ديننا أى يضلونا والقائن المضل عن الحق (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى من تعذيبهم وتسخيرهم (واورحينا الى موسى وأخيه ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذ مباءة كقوله توطئه اذا اتخذ وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوت مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا

(وقال موسى يا قوم ان كنتم

آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) اذ كنتم مسلمين (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين) المشركين أى (الكلام) لا تسلطهم علينا فيظنون أنهم على الحق ونحن على الباطل (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من فرعون وقومه (واورحينا الى موسى وأخيه هارون) (أن تبوأ) أن اتخذنا (لقومكما بمصر بيوتا) مساجد في جوف البيت (واجعلوا بيوتكم) مساجدكم (قبلة) نحو القبلة

في أول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهر عليهم فيؤذوهم ويفتوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الاسلام بمكة (واقبوا الصلوة) في بيوتكم حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) يا موسى شي اخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيمها والولامبشر بها (وقال موسى ربنا انك آيت فرعون وملئه زينة) هو ما يزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموال) أي نقدا ونعما وضعية (في الحياة الدنيا

(واقبوا الصلوة)
أتموا الصلوات الخمس
(وبشر المؤمنين)
بالنصرة والنجاة والجنة
(وقال موسى ربنا) ياربنا
(انك آيت) أعطيت
(فرعون وملئه) رؤساءه
(زينة) زهرة (وأموال)
كثيرة (في الحياة الدنيا

القبلة يعني الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلي اليها واقبوا الصلوة فيها امرؤا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما تسمى الضميرا والالان التبول للقوم اتخاذ المعابد بما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة بما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آيت فرعون وملئه زينة ما يزين به من الملابس والمراكب ونحوهما وأموال في الحياة الدنيا

الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لانستطيع ان نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهارون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون بان يتبوأ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة واقبوا الصلوة يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فامرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامرؤا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهارون وأظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى وبشر المؤمنين يعني بانه لا يصل اليهم مكروه قوله سبحانه وتعالى وقال موسى ربنا انك آيت فرعون وملئه زينة وأموال في الحياة الدنيا لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم مصررون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آيت

ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفي ولاوقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآيت وربنا تكرر
الاول للاخاح في التصريح { الجزء الحادى عشر } قال الشيخ ٢٨٠ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم انهم

يضلون الناس عن سبيله
آتاهم ما آتاهم ليضلوا
عن سبيله وهو كقوله انما
على لهم ليزدادوا اثمافتكون
الآية حجة على المعتزلة (ربنا
اطمس على اموالهم) أى
أهلكها واذهب آثارها
لانهم يستعينون بنعمتك
على معصيتك والطمس
المحو والهالك قيل صارت
دراهمهم ودنانيرهم حجارة
كهيأتها منقوشة وقيل
وسأثر أموالهم كذلك
(واشدد على قلوبهم) اطع
على قلوبهم واجعلها قاسية
(فلا يؤمنوا) جواب
الدعاء الذى هو اشدد
(حتى يروا العذاب الاليم)
الى ان يروا العذاب اليم
وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا
الى الغرق وكان ذلك ايمان
يأس فلم يقبل وانما دعا
عليهم بهذا لما أيس من
ايمانهم وعلم بالوحى انهم
لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم
بانهم لا يؤمنون فلايسع له
أن يدعو بهذا الدعاء لانه
أرسل اليهم ليدعوهم الى
الايمان وهو يدل على ان
الدعاء على الغير بالموت على
الكفر لا يكون كفرا

ربنا) ياربنا (ليضلوا) بذلك
عبادك (عن سبيلك) عن
دينك وطاعتك (ربنا

وانواعا من المال ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم
من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى
متعلقة بآيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جملوها سبباً للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكرر لاول تأكيذا
وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمه لقوله ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾
أى اهلكها والطمس المحق وقرئ والطمس بالضم ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ أى واقسها
واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ جواب للدعاء

فرعون وملاءه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يزين به كاللباس
والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه
الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ اختلفوا
فى هذه اللام فقال الفراء هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه
الاموال سبباً لضلالهم لانهم بطروا وطفنوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال
الاخفش انما هى لما يؤل اليه الاسم والمعنى انك آيت فرعون وملاءه زينة
فى الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هى لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن
الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيكون
المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ الطمس ازالة
اثر الشئ بالمحو ومعنى اطمس على اموالهم أزل صورها وهياتها وقال مجاهد
أهلكها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم
وحرورهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظى صارت
صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تجذب
فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع
على انفسهم بالمسح وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة
كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبدالعزيز دعا بخريطة فيها شئ
من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهى حجارة وقال
السدى مسخ الله اموالهم حجارة النمل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس
هو أحد الآيات التسع التى أوتيتها موسى عليه السلام ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ يعنى
اربط على قلوبهم واطبع عليها واقسها حتى لا تلتين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على
القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله
سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولو لذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا
السؤال ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ يعنى الفرق قاله ابن عباس وقال ابن
عباس فى رواية أخرى عنه قال موسى قبل ان يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاه فحال بين فرعون وبين الايمان

اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم) واحفظ قلوبهم (فلا يؤمنوا) فلن يؤمنوا (حتى يروا العذاب الاليم) (حتى)

(قال قد أجيبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى
ن دعاء كما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن ﴿ ٢٨١ ﴾ في وقته { سورة يونس } (فاستقيما) فأبتا على

ما أتما عليه من الدعوة
والتبغ (ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون) ولا تتبعان
طريق الجهلة الذين
لا يعلمون صدق الاجابة
وحكمة الامهال فقد كان
بين الدعاء والاجابة أربعون
سنة ولا تتبعان بتخفيف
النون وكسرهما لالتقاء

الساكين تشبيها بنون
الثنية شامى وخطأه بعضهم
لان النون الخفيفة واجبة
السكون وقيل هو اخبار
عما يكونان عليه وليس
بنهى أو هو حال وتقديره
فاستقيما غير متبعين
(وجاوزنا بنى اسرائيل
البحر) هو دليل لنا على
خلق الافعال (فاتبعهم
فرعون وجنوده) فحقتهم
يقال تبعته حتى أتبعته
(بغيا) تطاولا (وعدوا)
ظلا وانتصبا على الحال

الفرق (قال) الله لموسى
وهارون (قد أجيبت
دعوتكما فاستقيما) على الايمان
وانطاعة الله وتبليغ الرسالة
(ولا تتبعان سبيل) دين
(الذين لا يعلمون) توحيد
الله ولا يصدقونه يعنى فرعون
وقومه (وجاوزنا بنى
اسرائيل) عبرنا (البحر

أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض ﴿ قال قد أجيبت
دعوتكما ﴾ يعنى موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن ﴿ فاستقيما ﴾ فأبتا على ما اتما
عليه من الدعوة والزمام الحجة ولا تستجلا فان ما طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه
مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ طريق الجهلة
فى الاستجلا أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرهما لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان
ايضا ﴿ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴾ أى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط
حافظين لهم * وقرى جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف ﴿ فاتبعهم ﴾
فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته ﴿ فرعون وجنوده بغيا وعدوا ﴾ باغين وعادين وللبنى

حتى أدركه الفرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء اتما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء
لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب
عليهم فى الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم ﴿ قال ﴾ الله عز
وجل لموسى وهارون ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى
هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال
ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى فى الدعاء فلذلك قال تعالى قد
أجيبت دعوتكما ﴿ فاستقيما ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لامسى الى أن يأتيهم
العذاب ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون
حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلا تستجلا
قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون سنة * قال امام فخر الدين
الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما أن
قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه * قوله عز وجل
﴿ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴾ أى وقطعنا بنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه
حتى جاوزوه وعبروه ﴿ فاتبعهم فرعون وجنوده ﴾ يعنى لحقتهم وأدركهم ﴿ بغيا
وعدوا ﴾ أى ظلا وعدوانا وقيل البنى طلب الاستعلاء بغير حق والعدوان الظلم وقيل
بغيا فى القول وعدوا فى الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم
اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألب وذلك انه لما أجب
الله دعاء موسى وهارون امرهما بالخروج بنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى أمرهما
أن يخرجوا فيه بهم ويسرلهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم
ومفارقهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والمخرج
البحر أمامنا وفرعون وراءنا وقد كننا نلقى من فرعون البلاء العظيم فادحى الله
سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق

فاتبعهم فرعون وجنوده) فذهب خلفهم (قا و خا ٣٦ لث) فرعون وجنوده (بغيا) فى المقالة (وعدوا) أرادوا قتلهم

أو على المفعول له (حتى إذا أدركه الفرق) ولا توقع عليه لان (قال آمنت) جواب اذا (انه) حجة وعلى ذل الاستثناف بدل من آمنت وبالفتح { الجزء الحادى عشر } غيرهما على حذف ﴿ ٢٨٢ ﴾ الباء التى هى صلة الايمان (لاله

الالذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى

ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (الآن) أنؤمن بالساعة فى وقت الاضطراب حين أدرك الفرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجئه الفرق والعامل فيه أنؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضالين عن الايمان روى ان جبريل عليه السلام أنه بفتيا ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجدحقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد ابن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يفرق فى البحر فلما ألجئه الفرق ناوله جبريل عليه السلام خطه ففرقه

(حتى اذا أدركه) ألجئه

(الفرق قال آمنت أنه لاله الالذى آمنت به بنوا اسرائيل) موسى وأصحابه (وأنا من المسلمين) مع المسلمين (وقال)

والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا إدركه الفرق لحقه ﴿ قال آمنت انه ﴾ اى بانه ﴿ لاله الالذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ وقرأ حجة والكسائى انه بالكسر على اضممار القول أو الاستثناف بدلا وتفسيرا لآمنت فتكب عن الايمان أو ان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل ﴿ الآن ﴾ أنؤمن الآن وقد است من نفسك ولم يبق لك اختيار ﴿ وقد عصيت قبل ﴾ قبل ذلك مدة عمرك ﴿ وكنت من المفسدين ﴾ الضالين المضالين عن الايمان

(الفرق قال آمنت أنه لاله الالذى آمنت به بنوا اسرائيل) موسى وأصحابه (وأنا من المسلمين) مع المسلمين (وقال)

كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأيس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أبيض وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ربح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أدرك فرعون الفرق أتى بكلمة الاخلاص ظنانه انها تبيحه من الهلاك وهو قوله تعالى ﴿ حتى اذا أدركه الفرق قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ آمنت أنه لاله الالذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة عند معانبة الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لاله الالذى آمنت به بنوا اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك فى ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابهما بحضور الموت ومعانبة الملائكة قيل له ﴿ الآن ﴾ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعنى الآن تتوب وقد أضعت التوبة فى وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القتال لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعده وما كان عليه من الفساد فى الارض ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فالיום ننجيك بسيدك والقول الاول أشهر وبعضه ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت انه لاله الالذى آمنت به بنوا اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فادسه فيه مخافة ان تدركه الرحة أخرجه الترمذى

(الفرق قال آمنت أنه لاله الالذى آمنت به بنوا اسرائيل) موسى وأصحابه (وأنا من المسلمين) مع المسلمين (وقال)

على دينهم فقال له جبريل (الآن) أن تؤمن بعد الفرق (وقد عصيت) كفرت بالله (قبل) اى من قبل الفرق (وكنت من المفسدين) فى أرض مصر بالقتل والشرك والدعاء الى غير عبادة الله

وقال حديث حسن * وفي رواية أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لاله الا الله فيرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

﴿ فصل في الكلام على هذا الحديث لأنه في الظاهر مشكل ﴾

﴿ فيحتاج الى بيان وايضاح ﴾

فتقول قد ورد هذا الحديث على طريقتين مختلفتين عن ابن عباس في الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخاً نبيلاً صدوقاً ولكنه كان سيء الحفظ ويفلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخارى ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلاً وان رواه ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هوسى الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت في الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو جزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب وعدى بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث ووقوله من حال البحر أى من طين البحر كما في الرواية الاخرى

﴿ فصل ﴾

ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازى في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ يملاً فبه بالطين للتأيتوب غضبا عليه والجواب الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتاً أم لا فان كان ثابتاً لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت حينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضاً لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضاً فكيف يليق بحلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا ينطه قول جبريل وما ننزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذى أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتاً لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل

المثبتين للتدبر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للتدبر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا اقلوبنا غلقت بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فاخبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل فرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان او لافس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للتدبر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين بخلق الافعال من اعترف أيضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للبعد على كفره السابق فيحسن منه أن يصله ويطبع على قلبه وينعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق وردة للايمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يحز لجبريل أن ينعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذى منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم ينه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفضل الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر انه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذى نسب الى جبريل فائدة * فجوابه أن يقال ان للناس في تعليل أفعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تملل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثانى ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فاعلمها وكذا وأمره ونواهيها لها غاية محجوبة لاجلها أمرها ونهى عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقق معانيته للموت فلا تكون تلك الكلمة ناعمة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والقاعدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرجة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعا ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أحاط الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معانيته الفرق استجلى جبريل فدس الطين

(قال يوم نحيك) نلقيك
 بنجوة من الارض فرماه
 الماء الى الساحل كأنه ثور
 (بيدك) في موضع الحال
 أى في الحال التى لا روح فيك
 وانما أنت بدن أو بيدك
 كاملا سويا لم ينقص منه
 شئ ولم يتغير أو عريانا لست
 الابدان من غير لباس أو
 بدرع وكانت له درع من
 ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة
 رضى الله عنه بابدانك وهو
 مثل قولهم هو باجرامه أى
 بيدك كله وافية باجزائه
 أو بدرعك لأنه ظاهر
 بينها (لتكون لمن خلفك
 آية) لمن وراءك من الناس
 علامة وهم بنو اسرائيل
 وكان فى أنفسهم ان فرعون
 أعظم شانا من ان يفرق وقيل
 أخبرهم موسى بهلاكه
 فلم يصدقوه فالتقاء الله على
 الساحل حتى عابوه وقيل
 لمن خلفك لمن يأتى بعدك
 من القرون ومعنى كونه آية
 أن يظهر للناس عبوديته وانما
 كان يدعيه من الربوبية محال
 (قال يوم نحيك بيدك)
 نلقيك على النجاة بدرعك
 (لتكون) لكى تكون
 (لمن خلفك) من الكفار
 (آية) عبرة لكى لا يقتدوا
 بعقالتك ويعلموا

﴿ قال يوم نحيك ﴾ نبيدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على
 نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل * وقرأ يعقوب نحيك من انجى « وقرئ نحيك
 بالخاء اى نلقيك بناحية الساحل ﴾ بيدك * في موضع الحال أى بيدك عريانا عن
 الروح أو كاملا سويا أو عريانا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف
 بها « وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه أو بدرعك كأنه كان مظاهرا
 بينها ﴾ لتكون لمن خلفك آية ﴿ لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم

فى فيه لياس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التى وعد الله موسى
 بقوله قدأحييت دعوتكما فيكون سعى جبريل فى تكميل ما سبق فى حكم الله أنه يفعلها فيكون
 سعى جبريل فى مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذ المأموره وقدره وقضاه على فرعون وأما
 قوله لومنته من التوبة لكان قدرضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم
 من ان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما
 أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالمأموره
 فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا فى حقا لانما مورون بازالته
 بحسب الامكان فاذا أقرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا فى حقا لئلا نقتنا ما أمرنا به
 واما من ليس مأورا كما مرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه اذا نفذ ما
 أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا فى حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما
 دس الطين فى فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال
 العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء
 الله وقدره فى فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به « وقوله كيف يليق بجلال الله ان
 يأمر جبريل بان ينمعه من الايمان * فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما
 يفعل * وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله * فجوابه انه انما
 فعل ذلك بأمر الله منفذا لأمر الله والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله سبحانه وتعالى
 ﴿ قال يوم نحيك بيدك ﴾ أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع قال اهل
 التفسير لما أعرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه وأخبر موسى قومه بهلاك فرعون
 وقومه فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمتهم عندهم وما حصل فى
 قلوبهم من الرعب لاجله فأمر الله عز وجل البحر فالتقى فرعون على الساحل أحر قصيرا
 كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فرفوه فن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله
 بيدك يعنى نلقيك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء
 كأنه قيل له نحيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع
 وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رآه فى درعه ذلك عرفوه
 ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ يعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت
 أبدا فأظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان

وانه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمسه الى ماترون لعصيانه ربه فالظن بغيره (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغالون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (ورزقاهم من الطيبات فاختلفوا) افي دينهم (حتى جاءهم العلم) أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلفت أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن والمراد العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بني اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلفهم في صفته انه هو أم ليس هو بعدما جاءهم العلم انه هو (ان ربك

انك لست بالله) وان كثيرا من الناس (يعني الكفار) عن آياتنا) عن كتابنا ورسولنا (لغالون) لجاهلون (ولقد بوأنا) أنزلنا (بني اسرائيل مبوأ صدق) أرضا كريمة أردن وفلسطين (ورزقاهم من الطيبات) المن والسلوى والغنائم (فاختلفوا) اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (حتى جاءهم العلم) البيان ما في كتابهم في محمد عليه السلام بنقته وصفته (ان ربك

من عظمت ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بفرقه الى ان عاينوه مطروحا على محرهم من الساحل أولمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا ما ل اسرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية * وقرى لمن خلقك أي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك باللقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في اسرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وأرادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور * وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغالون * لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها * ولقد بوأنا * أنزلنا * بني اسرائيل مبوأ صدق * منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر * ورزقاهم من الطيبات * من اللذائد * فاختلفوا حتى جاءهم العلم * فاختلفوا في امر دينهم الامن بعدما قرؤا التوراة وعلوا احكامها أو في امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الامن بعدما علوا صدقه بنعوته وتظاهره ومعجزاته * ان ربك

في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد * وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغالون * قوله عز وجل * ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق * يعني أسكناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بمدخر وجههم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولنا أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة * ورزقاهم من الطيبات * يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى * فاختلفوا حتى جاءهم العلم * يعني فاختلف هؤلاء الذين فعلناهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقررين به مجمين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فأمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغيره وحقا فلي هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فاختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويقفحرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغياد وحسدا واثار البقاء الرياسة لهم فأمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون * وقوله تعالى * ان ربك

يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿ ٢٨٧ ﴾ ﴿ فيمزالحق من المبتطل ويجزى كلا جزاءه ﴾ فان

كنت في شك مما أنزلنا اليك
فاسأل الذين يقرؤون الكتاب
من قبلك (لما قدم ذكر بني
اسرائيل وهم قراء الكتاب
ووصفهم بان العلم قد جاءهم
لان امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكتوب في التوراة
والانجيل وهم يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم أراد
أن يؤكد عليهم بصحة
القرآن وبصحة نبوته
صلى الله عليه وسلم وبسالم
في ذلك فقال فان وقع لك
شك فراضا وتقدير او سبيل
من خالجه شبهة أن يسارع
الى حلها بالرجوع الى قوانين
الدين وأدلتها او بمباحثة
العلماء فعمل علماء أهل الكتاب
فانهم من الاحاطة بصحة
ما أنزل اليك بحيث يصلحون
لمراجعة مثلك فضلا عن
غيرك فالمراد وصف الاحبار
بالرؤسوخ في العلم بصحة ما أنزل
الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالشك فيه
يا محمد (يقضى بينهم) بين
اليهود والنصارى (يوم
القيمة فيما كانوا فيه) في الدين
(يختلفون) يختلفون
(فان كنت) يا محمد (في شك
مما أنزلنا اليك) مما أنزلنا
جبريل به يعني القرآن
(فاسأل الذين يقرؤون الكتاب

﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ﴿ فيمزالحق عن المبتطل بالانجاء والاهلاك
﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ ﴿ من القصص على سبيل الفرض والتقدير
﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ ﴿ فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما
ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق
يعنى يا محمد ﴿ يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ﴿ يعنى من أمرك
وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجهنم النار ﴿ قوله
سبحانه وتعالى ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ ﴿ الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين
والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود أمارتين أو اعدم الامارة والشك ضرب
من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شك فاذا قيل فلان شك في
هذا الامر فعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله
فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا
اليك يعنى من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلنا به يعنى القرآن ﴿ فاسأل الذين يقرؤون
الكتاب من قبلك ﴾ ﴿ يعنى علماء اهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة
والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو
ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوته حتى يسأل اهل
الكتاب عن ذلك واذا كان شاكاً في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت
الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فانه أورد
هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فانه
من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم لم جملة بل قد قال ابن عباس لم
يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى
وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة
المفسرين على هذا تم كلام القاضي عياض رحمه الله . ثم اختلفوا في معنى الآية ومن
المخاطب بهذا الخطاب على قولين . أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن أشركت ليحطن علك ومعلوم ان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره . ومن أمثلة العرب « اياك اعنى واسمى
يا حاره » فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك
مما أنزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤون الكتاب
يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس ان
كنتم في شك من ديني الآية فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور
في تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً في نبوته لكان
غيره أولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل

يعنى التوراة (من قبلك) عبد الله بن سلام وأصحابه فلم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بذلك شاكاً انما أراد الله باقال له قومه

لما فيها أو وصف أهل كتاب بالسوخ في العلم بصحة ما نزل اليه أو تهيج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة تتيته لا مكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته أو لكل من يسمع أى ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تبييه على ان كل من حالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿ فلا تكونن من המתرين ﴾ بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ﴾ ايضا من باب التهيج والتثيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين

ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهيج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لأشك يا رب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزله على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال وارد او قيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفى ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثانى ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعجب وتعالى فان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب للجنس الانسان كما في قوله تعالى يا أيها الانسان ما عرك ربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا في المسؤل عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعب الله بن سلام وأصحابه لانهم هو الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضحاك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك ﴿ فلا تكونن من המתرين ﴾ يعنى من الشاكين في صحة ما أنزلنا اليك ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾ يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة ﴿ فتكونن من الخاسرين ﴾ يعنى الذين خسروا أنفسهم واعلم ان هذا كله

(لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما أنك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فلا تكونن من המתرين) الشاكين ولا وقت عليه للعطف (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين) أى

(لقد جاءك) يا محمد (الحق من ربك) يعنى جبريل بالقرآن من ربك فيه خبر الاولين (فلا تكونن من المترين) الشاكين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) كتاب الله ورسوله (فتكونن من الخاسرين) من الغبونين بنفسك

فأبت ودم على مابنت عليه من انتفاء المريعة عنك والتكذيب بآيات الله أو هو على طريقة التهيج والالهاب كتوله
فلاتكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعداذ أنزت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام
عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهدانه الحق أو خطوب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أى وان كنتم فى شك
نما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عر أخوك فهن
أوان للنبي أى فما كنت فى شك فسل أى ولا تأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام
بمعينة احياء الموتى فان قلت انما ﴿ ٢٨٩ ﴾ يجيء ان للنبي { سورة يونس } اذا كان بعده الاكقوله

ان الكافرون الا فى غرور
قلت ذلك غير لازم الا ترى
الى قوله ان أمسكهما من
أحد من بعده فان للنبي
وليس بعده الا (ان الذين
حقت عليهم كلمت ربك)
ثبت عليهم قول الله الذى
كتبه فى اللوح وأخبر به
الملائكة انهم يموتون كفارا
أو قوله لأملأن جهنم الآية
ولا وقف على (لا يؤمنون)
لان (ولوجاءتهم كل آية)
تتعلق بما قبلها (حتى يروا
العذاب اليم) أى عند
اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم
أو عند القيامة ولا يقبل
منهم (فلولا كانت قرية آمنت)
فهلا كانت قرية واحدة
من القرى التى أهلكناها
تابت عن الكفر وأخلصت
الايان قبل المعينة ولم
تؤخر كما أخر فرعون الى

﴿ ان الذين حقت عليهم ﴾ ثبت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ بانهم يموتون على الكفر ويخلدون
فى العذاب ﴿ لا يؤمنون ﴾ اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ﴿ ولوجاءتهم
كل آية ﴾ فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود ﴿ حتى يروا
العذاب اليم ﴾ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون ﴿ فلولا كانت قرية آمنت ﴾
فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معينة العذاب ولم يؤخر اياها
كما أخر فرعون ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴿ الا قوم
يونس ﴾ لكن قوم يونس عليه السلام ﴿ لما آمنوا ﴾ اول مارأوا أماراة العذاب
ولم يؤخروه الى حواره ﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ﴾ ويجوز

على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده
شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله
فثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الذين حقت عليهم ﴿
يعنى وجبت عليهم ﴿ كلمت ربك ﴾ يعنى حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت
هؤلاء للنار ولا أبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم
وقضاه فى الازل ﴿ لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية ﴾ فانهم لا يؤمنون بها ﴿ حتى يروا
العذاب اليم ﴾ فيحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصر فهم
عن الايمان فلا ينفعهم شئ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فلولا ﴿ يعنى فهلا ﴾ كانت
قرية ﴿ وقيل معناه فا كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان فى الاستفهام معنى الحجمة
والمراد هل كانت قرية ﴿ آمنت ﴾ يعنى عند معينة العذاب ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ يعنى
فى حال اليأس ﴿ الا قوم يونس ﴾ هذا استثناء منقطع يعنى لكن قوم يونس فانهم
آمنوا فنفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت وهو قوله ﴿ لما آمنوا ﴾ يعنى لما أخلصوا الايمان
﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ﴾

أن أخذ بحقيقته (فنفعها ايمانها) بان تقبل الله (قا و خا ٣٧ لث) ايمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار (الا قوم يونس)
استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أو متصل والجملة فى معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم
يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا) كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا

(ان الذين حقت) وجبت (عليهم كلمت ربك) بالعذاب (لا يؤمنون) فى علم الله (ولوجاءتهم كل آية) طلبوا منك فلا يؤمنوا (حتى
يروا العذاب اليم) يوم بدر يوم أحد يوم الاحزاب (فلولا كانت) هلا كانت (قرية آمنت) اهل قرية آمنت عند نزول العذاب
(فنفعها ايمانها) يقول لم ينفع ايمانهم عند نزول العذاب (الا قوم يونس) نفع ايمانهم (لما آمنوا) حين آمنوا (كشفنا) صرفنا (عنهم عذاب
الخرى) الشديد (فى الحياة الدنيا)

ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهلها كما أنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البديل * ومتعناهم الى حين * الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما سودا ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه

ومتعناهم الى حين * يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فأمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبدالله بن مسعود وسعيد

ابن جبير ووهب وغيرهم

قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فارسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له أخبرهم ان العذاب مصيبتهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انالم نجرب عايه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصيبتكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فمذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ونسأهم وصيانيهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحن الاولاد الى الامهات والاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنة بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعدما أظلمهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن أبي الجلد خيلان قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقرية علماءهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فاترى قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوا فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين

ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض موصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسأهم وصيانيهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا المانزل بهم العذاب الى شيخ من بقرية علماءهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوا فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ومتعناهم الى حين) تركناهم بلا عذاب الى حين الموت

مجتبئين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر بمن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والاجاء أى لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أى ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفوا لو اعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أفانت بمعنى النفي أى لا تأكل أنت يا محمد أن تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) ولو شاء ربك (يا محمد لآمن من في الارض كلهم

فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسأهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها نحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعبيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرجعهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم ﴾ بحيث لا يشذ منهم احد ﴿ جميعا ﴾ مجتبئين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن بالجملة والتفصيل بمشيئة الاجاء خلاف الظاهر ﴿ أفانت تكره الناس ﴾ يعلم يشأ الله منهم ﴿ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلائها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن ﴾ بالله ﴿ الا باذن الله ﴾ الابارادته والطفاه

وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم وأجل فاعقل بنا ما أنت أهله ولا تعقل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذبا لو كان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستأني القصة في سورة والصفات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته قلت اعجاب العلماء عن هذا باجوبة واحدة ان ذلك كان خاسما بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس ذنابهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمرضى يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه ايمانه والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ﴾ يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبقت له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فالاعتب نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ يعنى ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئتنا وقضائنا وقد رنا ليس ذلك لاحد سوانا ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ﴾ يعنى وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن

بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه (ويجعل الرجس) أى العذاب أو السخط أو الشيطان أى ويسلط الشيطان (على
الذين لا يعقلون) لا ينفعون { الجزء الحادى عشر } بقولهم ونجعل ﴿ ٢٩٢ ﴾ جادوحى (قل انظروا) نظر استدلال

واعتبار (ماذا فى السما
والارض) من الآيات
والعبر باختلاف الليل
والنهار وخروج الزروع
والثمار (وماتغنى الآيات)
مانافية (والنذر) والرسل
المنذرون أو الانذارات (عن
قوم لا يؤمنون) لا يتوقع
إيمانهم وهم الذين لا يعقلون
(فهل ينتظرون الامثل
أيام الذين خلوا من قبلهم)

يعنى وقائع الله فيهم كما يقال
أيام العرب لوقائعها (قل
فانتظروا انى معكم من المنتظرين
ثم نبجى رسلنا) معطوف
على كلام محذوف يدل عليه
الامثل أيام الذين خلوا من
قبلهم كأنه قيل نهلك الامم
ثم نبجى رسلنا على حكاية

بارادة الله وتوفيقه (ويجعل
الرجس) بترك التكذيب
(على الذين) فى قلوب
الذين (لا يعقلون) توحيد
الله نزلت هذه الآية فى شأن
أبى طالب حرص النبي
صلى الله عليه وسلم على إيمانه
ولم يرد الله أن يؤمن (قل)
لهم يا محمد (انظروا ماذا
فى السماوات) من الشمس
والقمر والنجوم (والارض)

وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله ﴿ ويجعل الرجس ﴾ العذاب أو
الخذلان فانه سببه « وقرى بالراء وقرأ ابوبكر ونجمل بالنون ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾
لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحسب والآيات أو لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع ويؤيد الاول قوله ﴿ قل انظروا ﴾ أى تفكروا ﴿ ماذا فى السماوات والارض ﴾
من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علق
انظروا عن العمل ﴿ وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ فى علم الله وحكمه
ومانافية أو استفهامية فى موضع النصب ﴿ فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا
من قبلهم ﴾ مثل وقائهم ونزول بأس الله بهم اذا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب
لوقائعها ﴿ قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ﴾ لذلك أو فانتظروا هلاكى انى معكم
من المنتظرين هلاككم ﴿ ثم نبجى رسلنا

تؤمن وتصديق الايقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن
عباس معنى باذن الله بإسراء الله وقال عطاء بمشيئة الله ﴿ قوله تعالى ﴾ ويجعل ﴿ قرى
بالنون على سبيل التعظيم أى ونجعل نحن وقرى بالياء ومعناه ويجعل الله ﴿ الرجس ﴾ يعنى
العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ يعنى لا يشعرون عن الله أمره
ونهيته ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل انظروا ﴿ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك
الآيات انظروا يعنى انظروا بقلوبكم نظرا اعتبارا وتفكروا وتدبر ﴿ ماذا فى السماوات والارض ﴾
يعنى ماذا خلق الله فى السماوات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته فى السماوات
الشمس والقمر وهما دليان على النهار والليل والنجوم سخرها طاعة وغاربه وانزال
المطر من السماء وفى الارض الجبال والبحار والمادن والانهار والاشجار والنبات كل
ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر
وفى كل شئ له آية • تدل انه واحد

﴿ وماتغنى الآيات والنذر ﴾ يعنى الرسل ﴿ عن قوم لا يؤمنون ﴾ وهذا فى حق
أقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم فى الازل من الشقاء ﴿ فهل ينتظرون ﴾ يعنى
يعنى مشركى مكة ﴿ الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ يعنى من مضى من قبلهم من الامم
السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب
أياما والنعيم أياما كقوله تعالى وذكروهم بأيام الله والمعنى فهل ينتظروا هؤلاء المشركون من قومك
يا محمد الا يوما يعانون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهلكتهم جيعا فان كانوا
ينتظرون ذلك العذاب ﴿ فهل فانتظروا ﴾ يعنى قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب ﴿ انى معكم من
المنتظرين ﴾ يعنى هلاككم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم
أعجى الله رسوله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ﴿ ثم نبجى رسلنا

وماذا فى الارض من الشجر والدواب والجبال والبحار كلها آية لكم ثم قال (وماتغنى الآيات والنذر) الرسل (عن قوم) (و)
لا يؤمنون (فى علم الله) (فهل ينتظرون) (فهل بقى لهم آية) (الامثل أيام الذين خلوا) عذاب الذين مضوا (من قبلهم) (عن الكفار
(قل) يا محمد (فانتظروا) بنزول العذاب وبهلاكى (انى معكم من المنتظرين) بنزول العذاب عليكم وبهلاكم (ثم نبجى رسلنا

الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن ﴿٢٩٣﴾ آمن معهم ﴿سورة بونس﴾ (كذلك حقا علينا نجي

المؤمنين) أى مثل ذلك الانجاء نجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أى وحق ذلك علينا حقا نجي بالتخفيف على وحفص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الاصنام (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يعيتكم وصفه بالتوفى ليربهم انه الحقيق بان يخاف ويتق ويعبدون ما لا يقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أى بان أكون يعنى ان الله أسرنى بذلك بماركب فى من العقل وعما أوحى الى

والذين آمنوا) بالرسول بعد هلاك قومهم (كذلك) هكذا (حقا) واجبا (علينا نجي المؤمنين) مع الرسول (قل) يا محمد (يا أيها الناس) يا اهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) الاسلام (فلا أعبد الذين تعبدون) تدعون (من دون الله) من الاوثان (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يقبض أرواحكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

والذين آمنوا ﴿عطف على محذوف دل عليه الامثل أيام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم نجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية﴾ كذلك حقا علينا نجي المؤمنين ﴿كذلك الانجاء أو انجاء كذلك نجي محمد عليه الصلاة والسلام وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك هو قرأ حفص والكسائي نجي المؤمنين مخففا ﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لاهل مكة ﴿ان كنتم في شك من ديني﴾ وصحته ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم﴾ فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظر وافيهما بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهوانى لا أعبد ما تخلفونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذى هو بوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد ﴿وأمرت ان أكون من المؤمنين﴾ بمآد عليه العقل ونطق به الوحي حذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله

والذين آمنوا ﴿يعنى من العذاب والهلاك كذلك﴾ حقا علينا نجي المؤمنين ﴿يعنى كما أنجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك تنجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بأنه حقيق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالفه شيئا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿قل يا أيها الناس﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرى ولم يؤمنوا بك ﴿ان كنتم في شك من ديني﴾ يعنى الذى أذعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذى أذعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وأنما ينبغي لكم أن تشكوا فى عبادتكم لهذه الاصنام التى لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما أنتم عليه ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ يعنى هذه الاوثان وانما واجب تقديم هذا النقي لان العبادة هى غاية النعظيم للمعبود فلا تليق لآخس الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم﴾ والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام هذه الصفة ان المراد ان الذى يستحق العبادة فاعبده أنا وأنتم هو الذى خلقكم أولا ولم تكونوا شيئا ثم عيتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيه على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر فى هذا المقام ليكون أقوى فى الزجر والردع وقيل انهم لما استجلبوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذى هو قادر على اهلاككم ونصرى عليكم ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ يعنى وأسرنى ربى أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهى من أعمال الجوارح ثم يحييكم بعد ان يميتكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

في كتابه (وان أقم وجهك للدين) أي وأوحى الى أن أقم ليشاكل قوله أمرت أي استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله وأستقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا {الجزء الحادى عشر} (حنيفا) حال ﴿٢٩٤﴾ من الدين او الوجه (ولا تكونن من

المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوتيه (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكفى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم أعظم من الشرك دافع (وان عمسك الله) يصيبك (بضر) مرض (فلا كاشفاله) لذلك الضر (الاهو) الا الله (وان يردك بخير) عاقبة (فلاراد لفضله) فلاراد المراد (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد

مع المؤمنين على دينهم (وان أقم وجهك للدين) اخلص دينك وعملك لله (حنيفا) مسلما (ولا تكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (ولا تدع) لا تبد (من دون الله ما لا ينفعك) في الدنيا والآخرة ان عبدت (ولا يضرك) ان لم تعبد (فان فعلت) عبدت (فانك اذا من الظالمين) من الضارين

أمرتك الخير فافصل ما أمرت به * فقد تركت ذامال وذانيب

﴿وان أقم وجهك للدين﴾ عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبادة فيه باداء الفرائض والانتها عن القبائح أو في الصلاة باستقبال القبلة ﴿حنيفا﴾ حال من الدين أو الوجه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴿بنفسه ان دعوتيه أو خذلته﴾ فان فعلت ﴿فان دعوتيه﴾ فانك اذا من الظالمين ﴿جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء﴾ وان عمسك الله بضر ﴿وان يصيبك﴾ فلا كاشفاله ﴿يدفعه﴾ الاهو ﴿الا الله﴾ وان يردك بخير فلاراد ﴿فلادافع﴾ لفضله الذى ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما سهمه بالاقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده ﴿يصيب به﴾ بالخير ﴿من يشاء من عباده

أتبعها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب ﴿وان أقم وجهك للدين حنيفا﴾ الواو في قوله وان أقم واوعطف معناه وأمرت ان أقيم وجهى بمعنى أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا معنى مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقيل معناه أقم عملك على الدين الحنيفي وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفي غير مائل عنه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ يعنى ولا تكونن ممن يشرك في عبادة به غيره فيهلك وقيل ان النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم في الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له أن يلتفت الى غيره بالكليته وهذا هو الذى تسمعه أصحاب القلوب بالشرك الخفى ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾ يعنى ان عبدته ودعوتيه ﴿ولا يضرك﴾ يعنى ان تركت عبادته ﴿فان فعلت﴾ يعنى ما نهيتك عنه فعبدت غيرى أو طلبت النفع ودفع الضر من غيرى ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ يعنى لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيأ البتة فيكون المعنى ولا تدع أيها الانسان من دون الله ما لا ينفعك الآية ﴿قوله تعالى﴾ وان عمسك الله بضر ﴿يعنى وان يصيبك الله بشدة وبلاء﴾ فلا كاشفاله ﴿يعنى لذلك الضر الذى أنزله بك﴾ الاهو ﴿يعنى لا غيره﴾ وان يردك بخير ﴿يعنى بسعة ورخاء﴾ فلاراد لفضله يعنى فلادافع لرزقه ﴿يصيب به﴾ يعنى بكل واحد من الضر والخير ﴿من يشاء من عباده﴾ قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى

لنفسك (وان عمسك) يصيبك (الله بضر) بشدة وأمرتكرهه (فلا كاشفاله) فلاراد للضر (الاهو) انه (وان يردك) يصيبك (بخير) بنعمة وأمرتسره (فلاراد لفضله) لا مانع له طيبته (يصيب به) يخص بالفضل (من يشاء من عباده) من

الا عليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافي بالعطاء اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجناد الذي لا شعور به وكذا ارادك بخير لم يرد أحد ما يريدك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق اذ بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل من كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل من ممسكات رحته وانما ذكر المس في أحدهما والارادة في الآخر كانه ﴿ ٢٩٥ ﴾ اراد ان يذكر { سورة يونس } الامرين الارادة والاصابة

في كل واحد من الضر والخير وانه لاراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأو جز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيبه من يشاء من عبادة (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فانفع باختياره الانفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن أثر الضلال فاضر الانفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكل الى أمركم انما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدأهم (حتى يحكم الله)

وهو الغفور الرحيم ﴿ فمعرضوا لرحته بالطاعة ولا تياسوا من غفرله بالمصيبة ﴾ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴿ رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر ﴾ فمن اهتدى ﴿ بالايمن والمتابعة ﴾ فانما يهتدى لنفسه ﴿ لان نفعه لها ﴾ ومن ضل ﴿ بالكفر ﴾ فانما يضل عليها ﴿ لان وبال الضلال عليها ﴾ وما أنا عليكم بوكيل ﴿ بحفيظ موكل الى أمركم وانما أنا بشير ونذير ﴾ واتبع ما يوحى اليك ﴿ بالامثال والتبليغ ﴾ واصبر ﴿ على دعوتهم وتحمل اذيتهم ﴾ حتى يحكم الله ﴿ بالنصرة أو بالامر بالقتال ﴾ وهو خير الحاكمين ﴿ اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لا اطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجع جانب الخير على جانب الشر وذلك أنه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني السائر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴿ يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴾ لان نفع ذلك يرجع اليه ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ أى على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء أبدا ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ يعني وأما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴾ يعني الامر الذي يوحيه الله اليك يا محمد ﴿ واصبر ﴾ يعني على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك ﴿ حتى يحكم الله ﴾ يعني ينصرك عليهم باظهار دينك ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه

للك بالنصرة عليهم والغلبة (وهو خير الحاكمين) لاننا المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود

كان أهلا لذلك (وهو الغفور) المتجاوز لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) الكتاب والرسول (من ربكم فمن اهتدى) بالكتاب والرسول (فانما يهتدى لنفسه) يعني ثوابه (ومن ضل) كفر بالكتاب والرسول (فانما يضل عليها) يعني عليها جناية ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بكفيل نسختها آية القتال (واتبع) يا محمد (ما يوحى اليك) بما يؤمر لك في القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ذلك (حتى يحكم الله) بينكم وبينهم بقتلهم وهلاكهم يوم بدر (وهو خير الحاكمين)

أوبالانزال نجما أو فصل فيها ولخص ما يحتاج إليه وقرئ ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وتم للتفاوت في الحكم أول التراخي في الاخبار ﴿ من لدن حكيم خبير ﴾ صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت أو فصلت وهو تقرير لأحكامها وتفصيلها على اكل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما متبدا للاغراء على التوحيد أو الامسا بالتبني عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا أو اتركوا هاتركا ﴿ انى لكم منه ﴾ من الله ﴿ نذير وبشير ﴾ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ﴿ وان استغفروا ربكم ﴾ عطف على ان لا تعبدوا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ ثم تواصلوا الى مطـلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا

تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذى ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص وال اخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وتم في قوله ثم فصلت ليست هى للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل * فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات * قلت ان الاحكام الذى عم به هنا غير الذى خص به هناك فعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أى معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للأغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعام زيد وانما أكلت بهضه * وقوله تعالى ﴿ من لدن حكيم ﴾ يعنى أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله ﴿ خبير ﴾ يعنى باحوال عباده وما يصلحهم ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لثلاث تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى الى عبادته والدخول في دين الاسلام ﴿ انى لكم منه ﴾ أى قل لهم يا محمد انى لكم من عند الله ﴿ نذير ﴾ يندركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه ﴿ وبشير ﴾ يعنى وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة

(من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت وفصلت أى من عندها أحكامها وتفصيلها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أى لثلاث تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انى لكم منه نذير وبشير) أى من الله (وان استغفروا ربكم) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أى استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة

(من لدن) من عند (حكيم) حاكم أمر ان لا يعبد غيره (خبير) عن يعبدون عن لا يعبد (ألا تعبدوا) بان لا توحدا (الا الله انى لكم منه) من الله (نذير) من النار (وبشير) بالجنة (وأن استغفروا ربكم) ارجعوا ربكم (ثم توبوا اليه) اقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامر من
 * يتعمكم متاعا حسنا * يشكم في امن ودعة * الى اجل مسمى * هو آخر اعماركم
 المقنطرة اولايهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
 بالاعمال لكنهما مسماة بالاضافة الى كل احد فلاتغير * ويؤت كل ذى فضل فضله *
 ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا وفى الآخرة وهو وعد للوحد التائب
 بخير الدارين * وان تولوا * وان تولوا

لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طيب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع
 عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فهذا السبب، قدم الاستغفار على
 التوبة وقيل مناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه فى المستقبل وقال
 الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد
 * يتعمكم متاعا حسنا * يعنى انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة
 وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ماتعيشون به
 فى أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقذور
 * الى اجل مسمى * يعنى يتعمكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم
 * فان قلت قدورد فى الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقديضيق على الرجل
 فى بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين
 قوله سبحانه وتعالى يتعمكم متاعا حسنا الى اجل مسمى * قلت أما قوله صلى الله عليه
 وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من الثواب الجزيل
 والنعيم المقيم فانه فى سجن فى الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدله وأما كون الدنيا جنة
 الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذى لا ينقطع
 فهو فى الدنيا فى جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له فى الآخرة وأما ما يضييق على
 الرجل المؤمن فى بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان
 الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن فى جميع أحواله فى عيشة حسنة لانه راض
 عن الله فى جميع أحواله * قوله سبحانه وتعالى * ويؤت كل ذى فضل فضله * أى
 ويعط كل ذى عمل صالح فى الدنيا أجره وثوابه فى الآخرة قال أبو العالية من كثرت
 طاعته فى الدنيا زادت حسناته ودرجاته فى الجنة لان الدرجات تكون على قدر
 الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته
 على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم
 يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة
 كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التى عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات
 وان لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات
 ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه
 الله فى المستقبل لطاعته * وان تولوا * يعنى وان أعرضوا عما جئتم به من الهدى

(يتعمكم متاعا حسنا) يطول
 نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة
 مرضية من عيشة واسعة
 ونعمة متتابعة (الى أجل
 مسمى) الى أن يتوفاكم
 (ويؤت كل ذى فضل فضله)
 ويعط فى الآخرة كل من
 كان له فضل فى العمل وزيادة
 فيه جزاء فضله لا ينحس منه شيئا
 (وان تولوا) وان تولوا

(يتعمكم متاعا) يعشكم عيشا
 (حسنا) بلا عذاب (الى أجل
 مسمى) الى وقت معلوم يعنى
 الموت (ويؤت) ويعط
 (كل ذى فضل) فى الاسلام
 (فضله) ثوابه فى الآخرة
 (وان تولوا) عن الايمان

(فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شىء قدير) فكان قادرا على اعادتكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق ويخرفون عنه لان من اقبل على الشىء - استقبله بصدرة ومن ازور عنه ﴿٢٩٩﴾ وانحرف ﴿سورة هود﴾ ثنى عنه صدره وطوى عنه

كشحه (ليستخفوا منه)

ليطابوا اخفاء من الله فلا

يطلع رسوله والمؤمنون

على ازورارهم (الأحين

يستغشون ثيابهم) يتغشون

بهاى يريدون الاستخفاء

حين يستغشون ثيابهم

كراعة لاستماع كلام الله

كقول نوح عليه السلام

جعلوا أصابعهم في آذانهم

واستغشوا ثيابهم (يعلم

مايسرون وما يعلنون) أى

لا تفاوت في علمه بين

اسرارهم واعلانهم فلا

وجه لتوصلهم الى ما

يريدون من الاستخفاء

والله مطلع على ثنيم

صدورهم واستغشائهم

ثيابهم ونفاقهم غير نافع

عنده قيل نزلت في المنافقين

والتوبة (فانى أخاف

عليكم) أعلم ان يكون عليكم

(عذاب يوم كبير) عظيم

(الى الله مرجعكم) بعد

الموت (وهو على كل شىء)

من الثواب والعقاب

(قدير الأانهم) يعنى أخنس

ابن شريق وأحبابه) يثنون

﴿فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يوم القيامة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرى وان تولوا من ولى ﴿الى الله مرجعكم﴾ رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس ﴿وهو على كل شىء قدير﴾ فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكانه تقرر لركب اليوم ﴿ألا انهم يثنون صدورهم﴾ يثنونها عن الحق ويخرفون عنه أو يعطفونها على الفكر وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرى يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء المبالغة وتثنون واصله يثنون من الثن وهو الكلاء الضعيف ارا دبه ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثنى من اثنان كأيض بالهمزة وتثنوى ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذا الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ﴿الأحين يستغشون ثيابهم﴾ الأحين يأوون الى فراشهم ويتغشون بثيابهم ﴿يعلم مايسرون﴾ في قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ بافواههم يستوى في علم سرهم وعلمهم فكيف يخفى عليه ما عسى بظهوره

﴿فانى أخاف عليكم﴾ أى فقل لهم يا محمد انى أخاف عليكم ﴿عذاب يوم كبير﴾ يعنى عذاب النار في الآخرة ﴿الى الله مرجعكم﴾ يعنى في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اسائه ﴿وهو على كل شىء قدير﴾ يعنى من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿ألا انهم يثنون صدورهم﴾ قال ابن عباس نزلت في اخنس بن شريق وكان رجلا حلوا الكلام حلوا المنظر وكان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فنزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعنى يخفون ما فى صدورهم من الشحنة والعداوة من ثيت الثوب اذا طويته وقال عبدالله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا امر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسموا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستاره ويخفى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى وقال السدى يثنون صدورهم أى يعرضون بقلوبهم من قولهم ثيت عنانى ﴿ليستخفوا منه﴾ يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا ﴿الأحين يستغشون ثيابهم﴾ يعنى يغطون رؤسهم بثيابهم ﴿يعلم مايسرون وما يعلنون﴾

صدورهم) يضمرون في قلوبهم بغض محمد صلى الله عليه وسلم وعداوته (ليستخفوا منه) ليستروا من محمد صلى الله عليه وسلم بغضه وعداوته باظهار المحبة والمجالسة معه (الأحين يستغشون ثيابهم) يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم مايسرون) فيما بينهم وما يضمرون في قلوبهم (وما يعلنون) من القتال والجهاد ويقال من المحبة والمجالسة

﴿ انه علم بذات الصدور ﴾ بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب واحوالها

انه علم بذات الصدور ﴿ ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخارى في افراده عن محمد بن عياش بن جعفر الخزومى انه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يتنون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم

(انه علم بذات الصدور)

بما فيها

(أنه علم بذات الصدور) بما

في القلوب من الخير والشر

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)
 تفضلا لا وجوبا (ويعلم مستقرها) مكانه من الارض
 ومسكنه (ومستودعها) حيث كان مودعا قبل
 الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها
 ومستقرها ومستودعها في اللوح ! يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذي خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة)

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)
 قائم برزقها (ويعلم مستقرها) حيث تأوى بالليل (ومستودعها) حيث تموت فتدفن (كل) أي رزق كل دابة واجلها وأثرها (في كتاب مبين) مكتوب في اللوح المحفوظ مبين معلوم مقدور ذلك عليها (وهو الذي) والهكم هو الذي (خلق السموات والارض في ستة)

الجزء الثاني عشر

فتم خير الرازقين

﴿ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ﴾ غذاؤها وما مشاها تكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحلا على التوكل فيه ﴿ ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ اما كونها في الحياة والممات أو الاصلاب والارحام أو مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقارحين كانت بعد بالقوة ﴿ كل ﴾ كل واحد من الدواب واحوالها ﴿ في كتاب مبين ﴾ مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعد هـ ابيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريبا للتوحيد ولمسبق من الوعد والوعيد ﴿ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ﴾ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما من دابة في الارض ﴾ الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذى أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات ﴿ الا على الله رزقها ﴾ يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لاعلى سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظه على بمعنى من أى من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا ﴿ ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوى اليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر ﴿ كل ﴾ كل في كتاب مبين ﴿ أى كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها ﴾ قوله عز وجل ﴿ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ﴾

أيام ﴿ أي خلقهما وما فيهما كما سببنا في الاعراف أو ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء ﴿ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على

ايام وكان عرشه على الماء ﴿ يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوته خضراء ثم نظر اليها بالهيئة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبغ الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقى بالباب فأتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشري يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يارسول الله ثم قالوا جئنا لتتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم ﴿ عن أبي رزين العقيلي رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمامة فوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحد يريد بالعماء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عمامة وجدته في كتاب عمامة مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فعماء صحاب رقيق ويريد بقوله في عمامة أي فوق صحاب مدبراله وعاليا عليه كما قال سبحانه وتعالى أأنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال تعالى لأصلبكم في جذوع النخل

أيام) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قبل بدأه بخلق ياقوته خضراء فنظر اليها بالهيئة فصارت ماء ثم خلق ريحا فاقر الماء على متته ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (وكان عرشه) قبل ان خلق السموات والارض (على الماء) وكان الله قبل العرش والماء

متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقبل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ﴿ ليلوكم ايكم احسن عملا ﴾ متعلق بخلق أى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المتبلى لأحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعلق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبیح للتحريض على احسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائماً فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم على القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله والمعنى ايكم اكل علما وعملا ﴿ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت

يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء أى ماتحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصوراً فمعناه لاشئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال فى جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أى ليس فوق العمى الذى هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروى صاحب الغرابين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصاراً كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد فى الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف وبدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلاندرى كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فمخن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة وقوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لأنه كان مشغولاً ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمر اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ليلوكم ﴾ يعنى ليختبركم وهو أعلم بكم منكم ﴿ ايكم احسن عملا ﴾ يعنى بطاعة الله وأورع عن محارم الله ﴿ ولئن قلت ﴾ يعنى ولئن قلت يا مجذول الكفار من قومك ﴿ انكم مبعوثون من بعد الموت ﴾ يعنى

(ليلوكم) أى خلق السموات والارض وما بينهما للمتخمين فيهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (ايكم احسن عملا) أكثر شكراً وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فن شكر وأطاع أتابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليلوكم أى ليعمل بكم ما يفعل المتبلى لأحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت

(ليلوكم) ليختبركم بين الحياة والموت (ايكم احسن عملا) أخلص عملا (ولئن قلت) لاهل مكة (انكم مبعوثون) يحيون (من بعد الموت

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد
اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم
العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى الى حين
معلوم (ليقولن ما يحبسها) ما يمنعها من النزول استجمالا على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس)
العذاب (مصرفا عنهم) ويوم منصوب ﴿ ٣٠٥ ﴾ بمصرفا { سورة هود } أى ليس العذاب مصرفا

عنهم يوم يأتيهم (وحاق
بهم) وأحاط بهم (ما كانوا
به يستهزؤون) العذاب
الذى كانوا به يستعجلون
وانما وضع يستهزؤون موضع
يستعجلون لان استجمالهم
كان على وجه الاستهزاء
(ولئن أذقنا الانسان)
هو للجنس (منا رجة)
نعمة من صحة وامن وجدة
واللام فى لئن لتوطئة القسم
(ثم نزعناها منه) ثم سلبناه
تلك النعمة وأجواب القسم
(انه ليؤس) شديد اليبس
من أن يعود اليه مثل تلك
النعمة المسلوبة فاطع رجاءه
من سعة فضل الله من غير
صبر ولا تسليم لقضائه
(كفور) عظيم الكفران
لماسألته من القلب فى نعمة
ليقولن الذين كفروا)
كفار مكة (ان هذا) ما هذا
الذى يقول محمد عليه السلام
(الاسحر مبين) كذب بين
لا يكون (ولئن أخرنا عنهم

ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين ﴿ أى ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن
لذكره الا كاسحر فى الخديعة والبطالين ﴿ وقرأ حزة والكسائى الاسحر على ان الاشارة
الى القائل ﴿ قري أنكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو وان تكون ان بمعنى على أى
ولئن قلت عليكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا يتوبوا بانكاره اعدوه من قبيل ما للاحقيقة
له مبالغة فى انكاره ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب ﴿ الموعود ﴿ الى امة معدودة ﴿
الى جماعة من الاوقات قليلة ﴿ ليقولن ﴿ استهزاء ﴿ ما يحبسها ﴿ ما يمنعها من الوقوع
﴿ الا يوم يأتيهم ﴿ كيوم بدر ﴿ ليس مصرفا عنهم ﴿ ليس العذاب مدفوعا عنهم
ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها ﴿ وحاق
بهم ﴿ واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ﴿ ما كانوا به
يستهزؤون ﴿ أى العذاب الذى كانوا يستعجلون فوضع يستهزؤون موضع يستعجلون
لان استجمالهم كان استهزاء ﴿ ولئن أذقنا الانسان منارحة ﴿ ولئن اعطيناه نعمة بحيث
يحدلتها ﴿ ثم نزعناها منه ﴿ ثم سلبنا تلك النعمة منه ﴿ انه ليؤس ﴿ قطع رجاءه
من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به ﴿ كفور ﴿ مبالغ فى كفران ما سألته

للحساب والجزاء ﴿ ليقولن الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين ﴿ يعنون القرآن
﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ﴿ يعنى الى أجل محدود وأصل
الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكانه قال سبحانه وتعالى الى انقراض أمة ومجيء
أمة أخرى ﴿ ليقولن ما يحبسها ﴿ يعنى أى شىء يحبس العذاب وانما يقولون ذلك
استجمالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشىء قال الله عز وجل ﴿ الا يوم
يأتيهم ﴿ يعنى العذاب ﴿ ليس مصرفا عنهم ﴿ أى لا يصرفه عنهم شىء ﴿ وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤون ﴿ يعنى ونزل بهم وبال استهزأهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ ولئن أذقنا الانسان منارحة ﴿ يعنى رخاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا عليه
من الدنيا ﴿ ثم نزعناها منه ﴿ يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاحتاحت وذابت به
﴿ انه ليؤس كفور ﴿ يعنى يئس قانظا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور أى جود
لنعمتنا عليه ولا قليل الشكر لربه قال بعضهم يابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن

العذاب الى امة معدودة) الى وقت معلوم (قا و خا ٣٩ لك) يوم بدر (ليقولن) يعنى أهل مكة (ما يحبسها) عنا عذاب الاستهزاء
يد (الا يوم يأتيهم) العذاب (ليس مصرفا عنهم) لا يصرف عنهم العذاب (وحاق) دار ووجوب ونزل (بهم ما كانوا يستهزؤون)
عذاب ما كانوا به يستهزؤون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولئن أذقنا الانسان) يعنى الكافر (منارحة) نعمة (ثم نزعناها
منه) أخذناها منه (انه ليؤس) يصير آيس شىء واقنط شىء من رحمة الله (كفور) كافر بنعمة الله

الله نساءه (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله (ليقولن ذهب السيآت عني) أي المصائب التي ساءتني (انه لفرح) أشربطر (فخور) على الناس عأذقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) في المحنة والبلاء { الجزء الثاني عشر } (وعملوا الصالحات) ﴿ ٣٠٦ ﴾ وشكروا في النعمة والرخاء

من النعمة ﴿ وئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لانتفى ﴿ ليقولن ذهب السيآت عني ﴾ أي المصائب التي ساءتني ﴿ انه لفرح ﴾ بطربا لعم معتربها ﴿ فخور ﴾ على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقوقها وفي لفظ الأذقة والمس تنيبه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالأ نموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر باد في شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول ﴿ الا الذين صبروا ﴾ على الضراء ايماناً بالله تعالى واستسلاماً لقضائه ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ شكراً لآله سابقها ولاحقها ﴿ اولئك لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلي باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً ﴿ فلهك تارك ﴾ بعض ما يوحى اليك ﴿ تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزاءهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعوه اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعاً ﴿ وضائق به صدرك ﴾ وعارض لك

وسعة وعافية فاشكرها ولا تحجدها فان نزعتك عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ يعني ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش ﴿ ليقولن ﴾ يعني الذي أصابه الخير والسعة ﴿ ذهب السيآت عني ﴾ يعني ذهب الشدائد والمسر والضيق وانما قال ذلك عزه بالله عز وجل وجرأة عليه لانه لم يضيف الاشياء كلها الى الله وانما اضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال ﴿ انه لفرح فخور ﴾ أي انه أشربطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهي والفخر هو التطاول على الناس بتعدد المناقب وذلك منهى عنه ﴿ ثم استثنى فقال تبارك وتعالى ﴾ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿ قال افراء هذا الاستثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالهم شدة صبروا وان نالهم نعمة شكروا واعلمها ﴿ اولئك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ يعني الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ فلهك تارك بعض ما يوحى اليك ﴿ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لانيه محمد صلى الله عليه وسلم فاعلمك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى من أمرك ان تبلغ ذلك اليه ﴿ وضائق به صدرك ﴾ يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتافهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم

(أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنتالا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لو لا أنزل عليه كنزاً أو جاء معهم ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضييق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهمجه لاداء الرسالة وطرح المبالة بردهم واستهزأهم واقتراحهم بقوله (فلهك تارك بعض ما يوحى اليك) أي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم (وضائق به صدرك) بان تناوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أوسع الناس صدرا ولانه أشكل بتارك لا يشكر (ولئن أذقناه) أصبناه يعني الكافر (نعماء بعد ضراء مسته) شدة أصابته (ليقولن) يعني

الكافر (ذهب السيآت) الشدة (عن انه لفرح) بطر (فخور) بنعمة الله غير شاكر (الا) سجد صلى الله (ظاهرا) عليه وسلم واصحابه (الذين صبروا) على الاعان (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم فانهم لا يفعلون ذلك ولكن يصبرون بالشدّة ويشكرون بالنعمة (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (وأجر كبير) ثواب عظيم في الجنة (فلهك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) أمر لك في القرآن من تبليغ الرسالة وسب آلهتهم وعيها (وضائق به) بما أمرت (صدرك) قلبك

احيانا ضيق صدرك بان تلوه عليهم مخافة ﴿ ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ﴾ ينفقه في الاستتباع كالمملوك ﴿ اوجاء معه ملك ﴾ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم بفسره ان يقولوا ﴿ انما انت نذير ﴾ ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا

ظاهرا فأنزل الله عزوجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لاختطأ ولا عمدا ولا سهوا ولا غطا وان صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكتم منه شئاً وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول احدلان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المتصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقدفانت فائدة الرسالة والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شئاً آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك اجوبة ما حددها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شئاً مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد و غضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثانية ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنيبه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته بما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤن به فاسره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شئ من الوحي والمتصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والنك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شئاً من الوحي هيجمه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بان تلوه عليهم ﴿ ان يقولوا ﴾ يعني مخافة ان يقولوا ﴿ لولا أنزل عليه كنز ﴾ يعني يستغنى به وينفقه ﴿ اوجاء معه ملك ﴾ يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية الخزرجي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شئ وانت عزيز عنده مع انك تغير فها لا أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهدك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عزوجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عزوجل ﴿ انما انت نذير ﴾ تنذر بالعقاب

(ان يقولوا) مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز اوجاء معه ملك) هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لنصدقه ولم أنزل عليه ما لا يريد ولا تقترحه (انما انت نذير) أي ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أسرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تهاونوا

(أن يقولوا) بان يقولوا كفار إمكة (لولا أنزل) هلا أنزل (عليه) على محمد (كنز) مال من السماء فيعيش به (أو جاء معه ملك) يشهد له (انما أنت) يا محمد (نذير) رسول

(والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غيره لمتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفهم واستهزائهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراء) الضمير لما يوحى اليك { الجزء الثاني عشر } (قل فأتوا ﴿ ٣٠٨ ﴾ بعشر سور) تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة

واحدة كما يقول المخبر في في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واخترتته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اخترتته من عندنفسى فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم

خوف) (والله على كل شيء) من مقاتلهم وعدابهم (وكيل) كفيل ويقال شهيد (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراء) اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه فأتانا به (قل) لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله)

أواقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ﴿ أم يقولون افتراء ﴾ أم منقطعة والهاء لما يوحى ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله ﴾ في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد ﴿ مفتريات ﴾ مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اخترتته من عندنفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرتون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ الى المعاونة على المعارضة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ انه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ باتيان مادعوتهم اليه

لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ أم تقولون افتراء ﴿ يعنى بل يقول كفار مكة اخترتته يعنى ما أوحى اليه من القرآن ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ لما قالوا افتريت هذا القرآن واخترتته من عندنفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا أنى اخترتته من عندنفسى ولم يوح الى شيء وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلى من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب اللسان فأتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جئتكم به مختلق من عند أنفسكم فانكم تقدرتون على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلماذا قال سبحانه وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراء فان قلت قد تحداهم بان يأتوا بسورة مثله فيقدر واعلى ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعنى مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعنى مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب لا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بان يقول لهم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ حتى يعينوكم على ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنى في قولكم انه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ اعلم انه لما شملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى أمر وخطاب للكفار وهو

مثل سور القرآن مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس (قوله) وهود (مفتريات) مختلقات من تلقاء أنفسكم (وادعوا من استطعتم) استعينوا بمن عبيدتم (من دون الله ان كنتم صادقين) ان محمد صلى الله عليه وسلم يختلقه من تلقاء نفسه فسكتوا عن ذلك فقال الله (فان لم يستجيبوا لكم) لم يجبك الظلمة

فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو (آى أنزل ملتبساً بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز الخلق واخبار بغيوب لاسبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله ﴿ ٣٠٩ ﴾ وحده وان توحيدوه واجب {سورة هود} والاشراك به ظلم عظيم

وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم اولان الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعت أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى بأذنه أو بإمره (فهل أنتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحججة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فعناه فأثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها

(فاعلموا) يا معشر الكفار (أنما أنزل) جبريل بالقرآن (بعلم الله) وأمره (وأن لا اله الا هو) فهل أنتم مسلمون) مقرون بمحمد عليه السلام والقرآن (من كان يريد

وجع الضمير اما التعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أولان المؤمنون كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متساو لالههم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبية على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ ملتبساً بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم وتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقطاط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندهم اعجازه مطلقاً ويجوز ان يكون الشكل خطاباً للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعت أى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرقتهم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان مادعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحججة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ باحسانه وبره ﴿ نوف اليهم أعمالهم فيها ﴾

قوله تعالى وادعوا من استطعت من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احمّل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة فهذا السبب اختلف المفسرون فى معنى الآية على قولين أحدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه ﴿ فاعلموا انما أنزل بعلم الله ﴾ يعنى فأثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً وشاكاً لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقبل الخطاب فى قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم القول الثانى ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى للمقال فى الآية المتقدمة وادعوا من استطعت من دون الله قال الله عز وجل فى هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان الله ليس مفترى على الله بل هو أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وان لا اله الا هو ﴾ يعنى الذى أنزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو لان من تدعون من دونه ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ فيه معنى الامر أى أسلموا أو اخلصوا لله العباداة وان جلتا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الترغيب أى دو موا على ما أنتم عليه من الاسلام ﴿ قوله عز وجل ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ يعنى بعمله الذى يعمله من أعمال البر نزلت فى كل من عمل عملاً يتبغى به غير الله عز وجل ﴿ نوف اليهم أعمالهم فيها ﴾ يعنى أجور

الحياة الدنيا) بعلمه الذى افترض الله عليه (وزينتها) زهرتها (نوف اليهم أعمالهم) ثواب نوفر لهم (فيها) فى الدنيا

نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرى يوف بالياء أي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

وان اتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

وهم فيها لا ينجسون * لا ينقصون شيئاً من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم * اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار * مطلقاً في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار الغزائم السيئة * وحبط ما صنعوا فيها * لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة أو لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق النظر بصنعوا على ان الضمير للدنيا * وباطل * في نفسه * ما كانوا يعملون * لانهم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها * وقرى باطلا على انه مفعول

اعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكارة في الدنيا ونحو ذلك * وهم فيها لا ينجسون * يعني انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم كاملة موفرة * اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها * يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر * وباطل ما كانوا يعملون * لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضمك من عمل عملاً صالحاً في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجلاً أو يعطى سائلاً أو يرحم مضطراً أو نحو هذا من أعمال البر فيجعل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكارة في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حل الآية على العموم أولى فيسدرج الكافر والمنافق الذي هذه صفة المؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسعنة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلمها الوعيد الشديد وهو عذاب النار * ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً مما يبتغى

وهم فيها لا ينجسون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير نجس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة ما صنعوه وأصنعهم أي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له

(وهم فيها) في الدنيا (لا ينجسون) لا ينقص من ثواب اعمالهم (أولئك الذين) عملوا لغير الله (ليس لهم في الآخرة الا النار) وحبط ما صنعوا فيها (رد عليهم ما عملوا في الدنيا من الخيرات) (وباطل ما كانوا يعملون) ولا يثابون في الآخرة بما كانوا يعملون في الدنيا من الخيرات لانهم عملوا لغير الله

يعملون وما بهامية أو في معنى المصدر كقوله

ولا خارجا من في زور كلام

وبطل على الفعل ﴿ أفن كان على بينة من ربه ﴾ برهان من الله يدل على الحق والصواب فيما يأتيه وينذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب ينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم بعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا أهل الكتاب ﴿ ويتلوه ﴾ ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل ﴿ شاهد منه ﴾ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن

به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجه أبو داود ﴿ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جبال الحزن قالوا يا رسول الله وما جبال الحزن قال وادفي جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿ قال البغوي وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند « والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أو ليعتقدوا فيه الصلاح أو ليقتصدوه بالعطاء فهذا العمل هو الذي تغير الله تعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة واراثة الآخرة غالبية فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيطمع بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا أخرجه البغوي بغير سند ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفن كان على بينة من ربه ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفن كان على بينة من ربه أي كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفروا والمراد بالبينه الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينه اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق ﴿ ويتلوه شاهد منه ﴾ يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني علي ابن أبي

(أفن كان على بينة من ربه)
أمن كان يريد الحياة الدنيا
كمن كان على بينة من ربه أي
لا يعقبونهم في المنزلة ولا
يقاربونهم يعني ان بين
الفريقين تباينا بينا وأراد
بهم من آمن من اليهود كعبد
الله بن سلام وغيره كان
على بينة من ربه أي على
برهان من الله وبيان ان
دين الاسلام حق وهو دليل
العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك
البرهان (شاهد) يشهد
بصحته وهو القرآن (منه)
من الله أو من القرآن فقد
مر ذكره آنفا

(أفن كان على بينة من ربه)
على بيان نزل من ربه يعني
القرآن (ويتلوه) يقرأ
عليه القرآن (شاهد منه)
من الله يعني جبريل

﴿ ومن قبله ﴾ ومن قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعني التوراة فانها ايضا تلاوته في التصديق أو اليقنة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له أو من التلوه والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن أو لليقنة باعتبار المعنى ﴿ ومن قبله ﴾ كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتابا بالنصب عطفًا على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد من كان على يقنة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل يقرأ من قبل القرآن التوراة ﴿ اماما ﴾ كتابا مؤتمنه في الدين ﴿ ورجة ﴾ على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من كان على يقنة ﴿ يؤمنون به ﴾ بالقرآن ﴿ ومن يكفر به ﴾ من الاحزاب ﴿ من اهل مكة ﴾ ومن تحزب معهم على رسول

طالب رضى الله عنه أنت التالى قال وماتعنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن أبى طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وأنت أى آية نزلت فيك فقال على ماتقرأ الآية التى في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن أبى طالب وقوله منه معنى من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا الشاهد وهو على لانصاه بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعنى الانجيل وهو اختيار القراء والمعنى ان الانجيل يتلو القرآن في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ ومن قبله ﴾ يعنى ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كتاب موسى ﴾ يعنى التوراة ﴿ اماما ورجة ﴾ يعنى انه كان اماما لهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرايع وكونه رجة لانه الهادى من الضلال وذلك سبب حصول الرجة ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ يعنى ان الذين وصفتهم الله بأنهم على يقنة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ ومن يكفر به ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من الاحزاب ﴾ يعنى من جميع الكفار وأصحاب الاديان

(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أى ويتلوه ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماما) كتابا مؤتمنه في الدين قدوة فيد (ورجة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أى من كان على يقنة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الاحزاب) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومن قبله) من قبل القرآن (كتاب موسى) توراة موسى قرأ عليه جبريل (اماما) يقتدى به (ورجة) لمن آمن به (أولئك) من آمن بكتاب موسى (يؤمنون به) بمحمد عليه السلام والقرآن وهو عبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) بمحمد عليه السلام والقرآن (من الاحزاب) من جميع الكفار

(فالنار موعده) مصيره

ومورده (فلاتك في صرية)
شك (منه) من القرآن أو من
الموعد (انه الحق من ربك
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
على الله كذبا) كأن اسند اليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما انزله * أولئك يعرضون
على ربهم * في الموقف بان يحبسوا وتعرض أعمالهم * ويقول الاشهاد * من الملائكة
والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كاحباب أو شهيد كاشراف جمع شريف
* هؤلاء الذين كذبوا على ربهم أللعنة الله على الظالمين * تهويل عظيم مما يحق بهم

المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب
الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء * فالنار موعده * يعنى في الآخرة
* روى البغوى بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن
بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز
وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد
فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى
قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب أهل
الملل كلها * ثم قال سبحانه وتعالى * فلاتك في صرية منه انه الحق من ربك * فيه
قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا
من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراء والقول
الثانى أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده يعنى فلاتك في شك
من ان النار موعده من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلاتك في صرية للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا
القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى * ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * يعنى
لا يصدقون بما أوحيانا اليك أو من ان موعدا الكفار النار * قوله عز وجل * ومن
أظلم ممن افترى على الله كذبا * يعنى أى الناس أشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا
فيكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا وفي الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم
أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغه
* أولئك * يعنى المفتريين على الله الكذب * يعرضون على ربهم * يعنى يوم القيامة
فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا * ويقول الاشهاد * يعنى الملائكة الذين يحفظون أعمال
بنى آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسول وبه قال الضحاك وقال قتادة
الاشهاد الخلق كلهم * هؤلاء الذين كذبوا على ربهم * يعنى في الدنيا وهذه الفضيحة
تكون في الآخرة لكل من كذب على الله * أللعنة الله على الظالمين * يعنى يقول الله

(فالنار موعده) مصيره
(فلاتك) يا محمد (في صرية)
في شك (منه) من مصير من كفر
بالقرآن (انه الحق من ربك)
أن مصير من كفر بالقرآن
النار ويقال فلاتك في صرية
في شك منه من القرآن انه
الحق من ربك نزل به جبريل
(ولكن أكثر الناس) أهل
مكة (لا يؤمنون ومن أظلم)
أعنى وأجرأ (من افترى)
اختلق (على الله كذبا)
أولئك يعرضون على ربهم
يساقون الى ربهم (ويقول
الاشهاد) الملائكة والانبياء
(هؤلاء) الكفار (الذين
كذبوا على ربهم) (على الظالمين)

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصر فون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يوجوا بالارتداد { الجزء الثاني عشر } (وهم بالآخرة) ٣١٤ (هم كافرون) هم الثانية التأكيدهم كفرهم

بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا) أي ما كانوا (معجزين في الارض) بمعجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويعنهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) لانهم أصلوا الناس عن دين الله يضعف مكي وشامى (ما كانوا يستطيعون السمع) أي استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق

المشركين (الذين يصدون) يصر فون (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (ويبغونها عوجا) يطلبونها زيفا ويقال غيرا (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كافرون) جاحدون (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) بفأنتين من عذاب الله (وما كان لهم من دون الله) من عذاب الله (من أولياء) يحفظهم (يضاعف لهم العذاب) يعني الرؤساء (ما كانوا يستطيعون السمع)

حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الارض أي ما كانوا معجزين الله ان يعاقبهم في الدنيا وما كان لهم من دون الله من أولياء يعنونه من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون تعاميمهم عن آيات الله وكأنه العلة في مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لمانفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب

ذلك يوم القيامة فياعنهم ويتردهم من رحته (ق) عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يلوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كتفه فيقره بذنوبه تعرف ذنب كذا كذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أعفها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسنة وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسنة وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادى ربهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذي هو دين الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام وهم بالآخرة هم كافرون يعني وهم مع صدمهم عن سبيل الله يحجدون البعث بعد الموت وينكرونه أولئك يعني من هذه صفتهم لم يكونوا معجزين في الارض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته ومملكه لا يقدر على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يعني وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار يعنونهم من دون الله اذا أرادهم سواء أوعذابا يضاعف لهم العذاب يعني في الآخرة يزداد عذابهم بسبب صدمهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفون به ولا يبصرون خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى

الاستماع الى كلام محمد صلى الله عليه وسلم من بغضه ويقال بما كانوا لا يستطيعون السمع الاستماع الى كلام محمد السلام (وما كانوا يبصرون) الى محمد عليه السلام من بغضه ويقال وما كانوا يبصرون محمدا صلى الله عليه وسلم (انه)

(أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) بالصدود والصدود وفي لاجرم أقوال أحدها ان لاردلكلام سابق ﴿ ٣١٥ ﴾ أى ليس { سورة هود } الامر كما زعموا و معنى

جرم كسب وفاعله مضمير وانهم في الآخرة في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة وثانيها أن لاجرم كتمان ركبنا فصار معناها حقا وأن في موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها ان معناه لا محالة (ان الذى آمنوا وعملوا الصالحات و اخبثوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعشى والاصم والبصير والسميع)

من بعضه (أولئك) الرساء هم (الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم وأهاليهم ومنزلهم وخدمهم في الجنة وورثه غيرهم من المؤمنين (وضل عنهم) بطل واشتغل عنهم بانفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون من دون الله بالكذب (لاجرم) حقا (أنهم في الآخرة هم الاخسرون) الغبونون بذهاب الجنة

اعتراض ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ﴿ لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ لا احدا بين واكثر خسرا منهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات و اخبثوا الى ربهم ﴾ اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دائمون ﴿ مثل الفريقين ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ كالاعشى والاصم والبصير والسميع ﴾ يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعشى لتعاميه

انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعائهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم ﴿ لاجرم ﴾ يعنى حقا وقال الفراء لا محالة ﴿ أنهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات و اخبثوا الى ربهم ﴿ لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة أنبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والاحبات في اللذة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاحبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أختبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أختبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع أعمال الجوارح وقوله و اخبثوا اشارة الى أعمال القلوب وهى الخشوع والخشوع لله عز وجل يعنى ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة الا بمحصول أعمال القلب وهى الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاحبات بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأنون بالاعمال الصالحة مطمئين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاحبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأنون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع ﴿ أولئك ﴾ يعنى الذين هذه صفتهم ﴿ أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ أخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من اهل الجنة التى لا انقطاع لنعيمها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ مثل الفريقين كالاعشى والاصم والبصير والسميع ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى

وما فيها (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (و اخبثوا الى ربهم) اخلصوا اليه وخضعوا اليه وخشعوا من ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) مقيمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (من) كالاعشى والاصم) يقول مثل الكافر كالاعشى لا يبصر الحق والهدى وكالاصم لا يسمع الحق والهدى (والبصير والسميع)

شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها وهو نصب على التمييز (أفلاتدكرون) فتتفعون {الجزء الثاني عشر} بضرب ﴿ ٣١٦ ﴾ المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه

انى لكم نذير مبين) أى بانى والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحزه على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير (أنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فقال الملائة الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف لانهم علون القلوب هيسة والمجالس أبهة أو لانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) أرادوا انه كان ينبغى أن يكون ملكا

يقول ومثل المؤمن كمثل البصير يبصر الحق والهدى وكالسميع يسمع الحق والهدى (هل يستويان مثلا) فى المثل يقول هل يستوى الكافر مع المؤمن فى الطاعة والثواب (أفلاتدكرون) أفلاتدعونوا بامثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) فلما جاءهم قال لهم (انى لكم) من الله (نذير) رسول مخوف (مبين) بليغة تعلمونها

عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأنيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالصد فيكون كل واحد منهما مشبها بآيتين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله

الصالح فالغائم فالآيب

وهذا من باب اللف والطباق ﴿ هل يستويان ﴾ هل يستوى الفريقان ﴿ مثلا ﴾ أى تمثيلا أو صفة أو حالا ﴿ أفلاتدكرون ﴾ بضرب الامثال والتأمل فيها ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم ﴾ بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحزة بالكسر على ارادة القول ﴿ نذير مبين ﴾ ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ﴿ ان لا تعبدوا الا الله ﴾ بدل من انى لكم أو مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير ﴿ أنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ مؤلم وهو فى الحقيقة صفة العذاب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهاره صائم للمبالغة ﴿ فقال الملائة الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ﴾

أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والالتقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعنى فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو الذى لا يتهدى لرشده والاصم وهو الذى لا يسمع شيا ألبتة والبصير وهو الذى يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذى يسمع الاصوات ويحيب الداعى فمثل المؤمنين كمثل الذى يسمع ويبصر وهو الكامل فى نفسه ومثل الكافر كمثل الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص فى نفسه ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ قال الفراء لم يقل هل يستويان لان الأعمى والاصم فى حيز كأههما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كأههما واحد وهما من وصف المؤمن ﴿ أفلاتدكرون ﴾ يعنى فتتعتون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ﴿ يعنى أن نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم انى لكم ايها القوم نذير مبين يعنى بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ يعنى مؤلم موجه قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة ﴿ فقال الملائة الذين كفروا من قومه ﴾ يعنى الاشراف والرؤساء من قوم نوح ﴿ ما نراك ﴾ يا نوح ﴿ الا بشرا مثلنا ﴾ يعنى

(أن لا تعبدوا) ان لا توحدا (الا الله انى أخاف عليكم) اعلم بان يكون عليكم ان لم تؤمنوا (عذاب يوم) (آدميا) (أليم) وجيع وهو الغرق (فقال الملائة) الرؤساء (الذين كفروا من قومه) من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (لا بشرا) آدميا (مثلنا)

أوملكا (ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخسأؤ ناجع الارذل (بادى) وبالهمزة أبو عمرو (الرأى) وبغير همز أبو عمرو وأى اتبعك ظاهر الرأى أو أول الرأى من بدايدوا واذ اظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشئ أو لا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم تحذف ﴿ ٣١٧ ﴾ ذلك وأقيم المضاف في سورة هود { إليه مقامه أرادوا أن

اتباعهم لك شئ عن لهم بدية من غير روية ونظر ولوتفكروا ما اتبعوك وانما استرذلو المؤمنين لفقروهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك وينون عليه كرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفع بل يضعه (ومازى لكم علينا من فضل) في مال ورأى عنونا نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أى نوحا في الدعوة ومتبعيه في الاجابة والتصديق يعنى تواطئتم على الدعوة والاجابة تسيبيا للرياسة (قال يا قوم أرايتم) أخبروني (ان كنت على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بحة دعواى (وآتاني رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى (ومانراك اتبعك) آمن بك (الا الذين هم أراذلنا)

لامرزية لك علينا تحصىك بالنبوة ووجوب الطاعة ﴿ ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا ﴾ اخسأؤ ناجع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر أو ارذل جمع رذل ﴿ بادى الرأى ﴾ ظاهر الرأى من غير تعمق من البدوا وأول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها ﴿ وقرأ أبو عمرو وبالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيها اتبعك وانما استرذلوهم لذلك أو لفقروهم فانهم للم يعلموا الاظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل ﴿ ومانرى لكم ﴾ لك ولتبعيك ﴿ علينا من فضل ﴾ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿ قال يا قوم أرايتم ﴾ أخبروني ﴿ ان كنت على بينة من ربي ﴾ حجة شاهدة بصحة دعواى ﴿ وآتاني رحمة من عنده ﴾ بايتاء اليئة أو النبوة ﴿ فعميت عليكم ﴾ فعميت عليكم فلم تهديكم

أدميا مثلنا لافضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يتمتع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى عباده ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى أخبرا عن قوم نوح ﴾ ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا ﴿ يعنى سفلتنا وارذل الدون من كل شئ قيل هم الحاكمة والاسا كفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالاشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين ﴿ بادى الرأى ﴾ يعنى يعنى انهم اتبعوك في أول الرأى من غير تثبت وتفكر في أمرك ولوتفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأى يعنى انهم اتبعوك ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا ﴿ ومانرى لكم علينا من فضل ﴾ يعنى بالمال والاشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة بالاشرف والرياسة ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم ﴿ قال ﴾ يعنى نوحا ﴿ يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ يعنى على بيسان ويقين من ربي بالذى أنذرتكم به ﴿ وآتاني رحمة من عنده ﴾ يعنى هديا ومعرفة ونبوة ﴿ فعميت عليكم ﴾

سفلتنا وضعفاؤنا (بادى الرأى) ظاهر الرأى الضيف ويقال سوء رأيهم حمله على ذلك (ومانرى لكم علينا من فضل) بما تقولون تأكلون وتشربون كما تأكل وتشرب (بل نظنكم كاذبين) بما تقولون (قال) نوح (يا قوم أرايتم ان كنت) يقول انى (على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (وآتاني رحمة من عنده) اكرمته بالنبوة والاسلام (فعميت) التبت وان قرأت فعميت يقول البست (عليكم)

خفيت فعميت حزة وعلى وحفص أى أخفيت أى فعميت عليكم البينة فلم تهديكم كالوعى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا
بغير هاد وحققيقته أن الحجة كاجملت بصيرة ومبصرة جعلت عياء لان الاعى لا يهدى ولا يهدى غيره (أنزلكموها)
أى الرحمة (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها والواو دخلت هنا تامة للميم وعن أبى عمرو واستكان الميم ووجهه ان الحركة
لم تكن الاخسة خفيفة فظن الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة لا عرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر (ويا قوم
لا أسئلكم عليه) على { الجزء الثانى عشر } تبليغ الرسالة ﴿ ٣١٨ ﴾ لانه مدلول قوله انى لكم نذير

(مالا) أجرا يثقل عليكم
ان أدتيم أو على ان
أبئتم (ان أجرى) مدنى
وشامى وأبو عمرو وحفص
(الا على الله وما أنا بطارد
الذين آمنوا) جواب
لهم حين سألو طردهم
ليؤمنوا به أنفة من المجالسة
معه (انهم ملاقوار بهم)
فيشكرونى اليه ان طردهم
(ولكنى أراكم قوما
تجهلون) تتسافهون على
المؤمنين وتدعونهم أراذل
أو تجهلون لقاء ربكم
أو انهم خير منكم (ويا
قوم من ينصرنى من الله)
من يعنى من انتقامه
(ان طردهم أفلا تذكرون)
تتعظون (ولا أقول لكم
عندى خزائن الله) فادعى
فضلا عليكم بالغنى حتى
تتجددوا فضلى بقولكم
وما نرى لكم علينا من

نبوتى ودينى (أنزلكموها)
انلهمكموها ونعرفكموها

وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة أو لان خفاءها يوجب خفاء النبوة وعلى
تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصاص أروا لانه لكل واحدة منهما * وقرأ حزة
والكسائى وحفص فعميت أى أخفيت وقرئ فعمها على ان الفعل لله ﴿ أنزلكموها ﴾
أنزلكم على الاهتداء بها ﴿ وأنتم لها كارهون ﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث
اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل
والوصل ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه ﴾ على التبليغ وهو وان لم يذكر فعلوم مما ذكر
﴿ مالا ﴾ جملا ﴿ ان أجرى الاعلى الله ﴾ فانه المأمول منه ﴿ وما أنا بطارد الذين
آمنوا ﴾ جواب لهم حين سألو طردهم ﴿ انهم ملاقوار بهم ﴾ فيخاصمون طردهم
عنده أو انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾
بلقاء ربكم أو باقدارهم أو فى التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل
﴿ ويا قوم من ينصرنى من الله ﴾ يدفع انتقامه ﴿ ان طردهم ﴾ وهم بتلك الصفة
والمثابة ﴿ أفلا تذكرون ﴾ لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس
بصواب ﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ﴾ خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم

يعنى خفيت وأبست عليكم ﴿ أنزلكموها ﴾ الهاء عائدة على الرحمة والمعنى أنزلكم أياها
القوم قبول الرحمة يعنى اننا لنقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا ﴿ وأنتم لها كارهون ﴾
وهذا استفهام معناه الانكار أى لا أقدر على ذلك والذى أقدر عليه أن أدعوكم الى الله
وليس لى أن أضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبى الله لالزمها قومه ولكنهم
ملك ذلك ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ﴾ يعنى لا أسألكم ولا أطلب منكم على تبليغ
الرسالة جملا ﴿ ان أجرى الاعلى الله ﴾ وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴿ وذلك انهم طلبوا
من نوح أن يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون
﴿ انهم ملاقوار بهم ﴾ فلا اطردهم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ يعنى عظمة الله
ووجدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنى خير منكم ﴿ ويا قوم
من ينصرنى من الله ان طردهم ﴾ يعنى من يعنى من عذاب الله ان طردهم عنى لانهم مؤمنون
مخلصون ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعنى فتتعظون ﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ﴾ هذا
عطف على قوله لا أسئلكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندى خزائن

(وأنتم لها كارهون) جاحدون (ويا قوم لا أسئلكم عليه) على التوحيد (مالا) جملا (ان أجرى) ما ثوابى (الله)
(الاعلى الله) وما أنا بطارد الذين آمنوا) بقولكم (انهم ملاقوا) معانيو (ربهم) فيخاصموننى عنده (ولكنى أراكم قوما تجهلون)
أسر الله (ويا قوم من ينصرنى) من يعنى (من الله) من عذاب الله (ان طردهم) بقولكم (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون
علا أقول لكم فتؤمنوا (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) مفاتيح خزائن الله

وهو معطوف على عندي خزائن أي لأقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول أني ملك) حتى تقولوا لي ما أنت الا بشري مثلي (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) ولا أحكم على من استرذلتهم من المؤمنين فقهرهم (لن يؤتيمهم الله خيراً) في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولاً على هواكم (الله أعلم بما في أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطلع على خفي أسرارهم (اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيئاً من ذلك والازدراء افتعال من ذري عليه اذا عبه وأصله تزدرى في الرزق (ولا أعلم الغيب) متى نزول العذاب وما غاب عنى (ولا أقول اني ملك) من السماء (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) لا تأخذهم أعينكم يقولون يحقرون في أعينكم (لن يؤتيمهم الله خيراً) لن يكرههم الله بتصديق الايمان (الله أعلم بما في أنفسهم) بما في قلوبهم من التصديق (اني اذا) ان طردتهم (لمن الظالمين) الضارين بنفسى

فضل ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ عطف على عندي خزائن الله أي ولا أقول لكم انا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعاداً أو حتى اعلم ان هؤلاء تبونني باده الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ﴿ ولا أقول اني ملك ﴾ حتى تقولوا ما أنت الا بشر مثلنا ﴿ ولا أقول للذين تزدرى أعينكم ﴾ ولا أقول في شأن من استرذلتهم لفقرهم ﴿ لن يؤتيمهم الله خيراً ﴾ فان ما عدا الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا ﴿ الله أعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين ﴾ ان قلت شيئاً من ذلك والازدراء به افتعال من ذري عليه اذا عبه قلبت تأوه دال التجانس الزاء في الجهر واسناده الى الاعين للمباغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير رؤية وما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم

الله يعني التي لا يفنيها شيء فادعوكم الى اتباعي عليها أعطيكم منها وقال ابن الانباري الخزائن هنا معنى غيوب الله وما هو منطوع عن الخلق وانما واجب أن يكون هذا جواباً من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وادعوا أن المؤمنين انما يتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال محبيهم ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما يظهر منه الا هو وانما قيل للغيوب خزائن لغرضها عن الناس واستئثارها عنهم والقول الاول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ يعني ولا أدعي علم ما يغيب عنى مما يسرونه في نفوسهم فسيبلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم الا الله ﴿ ولا أقول اني ملك ﴾ وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشراً مثلنا أي لأدعي اني من الملائكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وأبلغكم ما أرسلت به اليكم

فصل

استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه الصلاة والسلام قال ولا أقول اني ملك لان الانسان اذا قال أنا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قوله ما نراك الا بشراً مثلنا لما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول اني ملك ولم يردان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا أقول للذين تزدرى أعينكم ﴾ يعني يحقر وتستصغر أعينكم يعني المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أراذلنا من الرذال وهى الحسة ﴿ لن يؤتيمهم الله خيراً ﴾ يعني توفيقاً وهداية وإيمانا وأجراً ﴿ الله أعلم بما في أنفسهم ﴾ يعني من الخير والشر ﴿ اني اذا لمن الظالمين ﴾ يعني ان طردتهم مكذباً بالظاهرهم ومبطلاً لايمانهم يعني أني ان فعلت هذا فكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فأنا من الظالمين

فأبدت التاء دالا (قالوا يا نوح قد جادلنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا فأنابنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) أي ليس الايمان بالعذاب الى انما هو الى من كفرتم به (وما أنتم بمعجزين) أي لم تقدرُوا على الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام موضع التي لیتیق والرشد لیتقني ولكنی انی نصحي مدنی وأبو عمرو (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أي يضلکم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدما في الحكم لما عرف تقديره { الجزء الثاني عشر } ان كان الله يريد ﴿ ٣٢٠ ﴾ أن يغويكم لا ينفعكم نصحي أن أردت

أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا في ارادة المعاصي (هو ربكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون افتراه) بل أي يقولون افتراه (قل ان افتريته فعلى اجراي) أي ان صبح أنى افتريته فعلى عقوبة اجراي أي افترائى يقال أجرم الرجل اذا أذنب (وأنا بريء) أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون)

(قالوا يا نوح قد جادلنا) خاصمتنا ودعوتنا الى دين غير دين آبائنا (فاكثرت جدالنا) خصومتنا ودعاهنا (فأنابنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) انما يأتيكم به الله يقول يا أيكم الله بعذابكم (ان شاء) فيعذبكم (وما أنتم بمعجزين) بنائين من عذاب الله (ولا

وكالاتهم ﴿ قالوا يا نوح قد جادلنا ﴾ خاصمتنا ﴿ فاكثرت جدالنا ﴾ فاطلته أو آتيت بانواعه ﴿ فأنابنا بما تعدنا ﴾ من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ﴿ قال انما يأتيكم به الله ان شاء ﴾ عاجلا أو آجلا ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه ﴿ ولا ينفعكم نصحي ان لهدت ان انصح لكم ﴾ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ﴿ ان كان الله يريد ان يغويكم ﴾ وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كنت زيدا فدخلت ثم قلت لم تطلق وهو جواب لما وهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصل غوى اذا بشم فهلاك ﴿ هو ربكم ﴾ خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته ﴿ واليه ترجعون ﴾ فيجازيكم على أعمالكم ﴿ أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجراي ﴾ وبالله وقرء اجراي على الجمع ﴿ وانابرى ﴾ مما تجرمون ﴿ من اجرامكم في اسناد

﴿ قالوا يا نوح قد جادلنا ﴾ يعني خاصمتنا ﴿ فاكثرت جدالنا ﴾ يعني خصومتنا ﴿ فأنابنا بما تعدنا ﴾ يعني من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ يعني في دعواك انك رسول من الله الينا ﴿ قال انما يأتيكم به الله ان شاء ﴾ يعني قال نوح لقومه حين استجلبوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزل متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ يعني وما أنتم بفائزين ان أراد الله نزول العذاب بكم ﴿ ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ﴾ يعني ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ﴿ ان كان الله يريد ان يغويكم ﴾ يعني يضلکم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدي الى الهلاك ﴿ هو ربكم ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدرُونَ على الخروج من سلطانه ﴿ واليه ترجعون ﴾ يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذى جاءهم به ﴿ قل ان افتريته ﴾ أي اختلقته ﴿ فعلى اجراي ﴾ أي اثم اجراي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنه اكتسب الذنب واقعله ﴿ وأنا بريء ﴾ مما تجرمون ﴿ يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين

ينفعكم نصحي) دعائى وتحذيرى اياكم من عذب الله (ان أردت ان أنصح لكم) أحذرکم من عذاب الله (على) وأدعوکم الى التوحيد (ان كان الله) قد كان الله (يريد ان يغويكم) ان يضلکم عن الهدى (هو ربكم) أولى بكم منى (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم (أم يقولون) بل يقولون قوم نوح (افتراه) اختلق نوح بما أناب به من تلقاء نفسه (قل) لهم يا نوح (ان افتريته) اختلقته من تلقاء نفسى (فعلى اجراي) آثامى (وأنا بريء) مما تجرمون (مما تجرمون) تأثمون ويقال

من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلاوجه لاعراضكم ومعاداتكم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اقتطاط من ايمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على أن الايمان حكم التجدد كأنه قال ان الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج ﴿ ٣٢١ ﴾ الزيادة التي ذكرت { سورة هود } في الايمان بالقرآن (فلا

تبتئس بما كانوا يفعلون)
فلا تحزن حزن بائس
مستكين والابتاس افتعال
من البؤس وهو الحزن
والفقر والمعنى فلا تحزن
بما فعلوه من تكذيبك
وايدأئك فقد حان وقت
الانتقام من أعدائك
(واصنع الفلك باعيننا)
هو في موضع الحال أى
اصنعها محفوظا وحقيقته
ملتبسا باعيننا كان الله معه
أعيننا تكلؤه من أن يزيع
في صنعته عن الصواب
(ووحينا) وانا نوحى
اليك ونلهمك كيف
تصنع عن ابن عباس
رضى الله عنهما لم يعلم
كيف صنعة الفلك فاوحى
الله اليه أن يصنعها مثل
جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبني

الافتراء الى ﴿ و اوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ اقتطاط الله تعالى من ايمانهم ونراه ان يتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء ﴿ واصنع الفلك باعيننا ﴾ ملتبسا باعيننا عبر بكثرة التأمل الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ﴿ ووحينا ﴾ اليك كيف تصنعها ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ﴿ انهم مفرقون ﴾ محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه

على أن هذا من محاوره نوح قومه فهي من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقوون يعنى المشركين من كفار مكة افتراء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ﴿ ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى ﴿ وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴾ قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلغونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله ويروي ان شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بنى لا يفرك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت أمكنى من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجبه شجرة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿ فلا تبتئس ﴾ يعنى فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ يعنى بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجليل بعد الجليل فلا يأتى قرن الا كان أحسن من الذى قبله ولقد كان يأتى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوننا فلا يقبلون منه شيئا فشكا نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ﴿ واصنع الفلك ﴾ يعنى السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع ﴿ باعيننا ﴾ قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ يعنى بأمرنا ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ انهم مفرقون ﴿ يعنى بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست بنجارا

نزلت هذه الآية في محمد صلى الله عليه وسلم (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من) سوى من

(قد آمن فلا تبتئس) فلا تحزن بهلاكهم (بما كانوا) (قا و خا ٤١ لث) يفعلون) في كفرهم (واصنع الفلك) خذ في علاج السفينة (باعيننا) بنظر منا (ووحينا) بأمرنا (ولا تخاطبني) لا تراجعني (في الذين ظلموا) في نجاة الذين كفروا (انهم مفرقون) بالطوفان

فلا سبيل الى كفه (ويصنع

الفلك) حكاية حال ماضية
(وكلاما سر عليه ملاء من
قومه سخر وامنه) من عمله
السفينة وكان يمامها في برية
في ابعد موضع من الماء
فكانوا يتضاحكون منه
ويقولون له يا نوح صرت
نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان
تسخر وامننا فاناسخر منكم)
عند رؤية الهلاك (كما
تسخر) متاعند رؤية
الفلك روى ان نوحا عليه
السلام اتخذ السفينة من
خشب الساج في سنتين
وكان طولها ثلاثمائة ذراع
أو ألفا ومائتي ذراع
وعرضها خمسون ذراعا أو
تمائة ذراع وطولها في السماء
ثلاثون ذراعا وجعل لها
ثلاثة بطون فحمل في البطن
الاسفل الوحوش والسباع
والهوام وفي البطن الاوسط
الدواب والانعام وركب
نوح ومن معه في البطن
الاعلى مع ما يحتاج اليه من
الزاد وحل معه جسد آدم
عليه السلام وجعله حاجزا

(ويصنع الفلك) أخذ في علاج
السفينة (وكلاما سر عليه ملاء)
رؤساء (من قوم سخر وامنه)
هزؤابه بمعالجته السفينة
(قال ان تسخر وامننا) اليوم
(فاناسخر منكم) بعد اليوم
(كما تسخر) اليوم منا

﴿ ويصنع الفلك ﴾ حكاية حال ماضية ﴿ وكلما سر عليه ملاء من قوم سخر وامنه ﴾ استهزؤابه
لعمله السفينة فانه كان يمامها في برية بعيدة من الماء أو از عزته فكانوا يضحكون منه
ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا ﴿ قال ان تسخر وامننا فاناسخر منكم كما تسخرون ﴾
اذا اخذكم الفرق في لدنيا والخرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهاال
فقال ان ربك يقول اصنع فذلك باعيننا فاخذنا القوم وجعل ينجر ولا يخطى فصنعها
مثل جوجؤ الطير وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويصنع الفلك ﴾ يعني كما أمره الله
سبحانه وتعالى قال أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة أقبل على
عالمها ولها عن قومها وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهي القار وكل ما يحتاج
اليه في عمل الفلك وجعل قومه يعرون به وهو في عمله فيسخر من منة ويقولون يا نوح
قد صرت نجارا بعد النبوة وأقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم
أهل التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله
وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين
ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى
فصنعه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح السفينة في
سنتين فكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت
من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام
وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج
اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا ومائتي
ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثلاثمائة ذراع وقال
زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يفرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك
وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة
أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للاناس والطبقة العليا
للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغز
ذنب الفيل فغمزه فوقه منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقه منه الفأر
فاقبلوا على الروث فااكلوه فلما افسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها
أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره
سنور وسنورة وهي القطعة والقط فاقبل على الفأر فاكلاه ﴿ قوله سبحانه وتعالى
﴿ وكلما سر عليه ملاء من قوم ﴾ أي جماعة من قومهم ﴿ سخر وامنه ﴾ يعني استهزؤابه
وذلك أنهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح
ماذا تصنع قال اصنع بيتا يمشى على الماء فضحكوا منه ﴿ قال ﴾ يعني نوحا لقومه
﴿ ان تسخر وامننا فاناسخر منكم كما تسخرون ﴾ يعني ان تستجهلوننا في صنعنا فاننا
تستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب

بين الرجال والنساء (فسوف

تعملون من بآتيه) من في محل نصب بتعملون أي فسوف تعملون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به ايهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو العرق (ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يتبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملا من قومه وسخر وامنه وجواب كلاسخرها وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخر وأبدل من مرأوصفة للأ (إذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التور) هو كناية عن اشداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام وقيل التور وجه (فسوف تعملون من بآتيه عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ويحل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم في الآخرة (حتى إذا جاء أمرنا)

﴿ فسوف تعملون من بآتيه عذاب يخزيه ﴾ يعني به ايهم وبالعذاب العرق ﴿ ويحل عليه ﴾ وينزل أو يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه ﴿ عذاب مقيم ﴾ دائم وهو عذاب النار ﴿ حتى إذا جاء أمرنا ﴾ غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يتبدأ بعدها الكلام ﴿ وفار التور ﴾ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تقور والتور تنور الخبز ابتدئ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل

النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون . قلت انما سمي هذا الفلك سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه وتعالى وجزا سبيته سيئة مثلها والمعنى انما سري غب سخرتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى ﴿ فسوف تعملون ﴾ يعني فسترون ﴿ من بآتيه ﴾ يعني اينما يأتيه نحن أو انتم ﴿ عذاب يخزيه ﴾ يعني بهيته ﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ يعني في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو العرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى اذا جاء أمرنا وفار التور ﴿ يعني وعلى الفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتور فارسي معرب لا تعرفه العرب اسما غير هذا فلذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فحطوبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي وقيل ان لفظ التور أصله أعجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التور فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار التور أي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التور هو الذي يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وهذا القول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحتمية والمجاز كان جملة على الحتمية أولى ولفظ التور حتمية في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه * فان قلت الالف واللام في لفظ التور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب جملة على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فاج بنفسك ومن معك * قلت لا يبعد أن يكون ذلك التور معاوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار إلى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من لتور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا في موضع التور فقال مجاهد نبع الماء من التور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التور تنور آدم وكان بالشأم بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند

وقت عذابنا (وفار التور) نبع الماء من التور ويقال

الارض (قلنا اجل فيها) في السفينة (من كل زوجين اثنين) تفسيره في سورة المؤمنين (وأهلك الامن سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واجل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا لعلم بأنه يختار الكفر بتقديره و ارادته جل خالق العباد عن أن يقع في الكون خلاف ما أراد (وما آمن معه الا قليل) قال عليه السلام كانوا اثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونسأؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا ونساء وأولاد نوح سام وحام وياث ونسأؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء

طلع الفجر (قلنا اجل فيها) في السفينة (من كل زوجين) من كل صنفين (اثنين) ذكر وأثى (وأهلك الامن سبق عليه) وجب عليه (القول) بالعذاب (ومن آمن) معك أيضا اجل معك في السفينة (وما آمن معه الا قليل) ثمانون انسانا

التنور وجه الارض أو اشرف موضع فيها ﴿ قلنا اجل فيها ﴾ في السفينة ﴿ من كل ﴾ من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها ﴿ زوجين اثنين ﴾ ذكر وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى اجل اثنين من كل زوجين أى من كل صنف ذكر وصنف انثى ﴿ واهلك ﴾ عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونسأؤهم ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ بأنه من المعرقين يريدانه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ﴿ ومن آمن ﴾ والمؤمنين من غيرهم ﴿ وما آمن معه الا قليل ﴾ قبل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام وياث ونسأؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم * روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة

قال والفوران الغليان ﴿ قلنا اجل فيها ﴾ يعنى قلنا لنوح اجل في السفينة ﴿ من كل زوجين اثنين ﴾ الزوجان كل اثنين لا يستغنى احدهما عن الآخر كالتذكر والاثنى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وانثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطيور فجعل نوح يضرب بيديه في كل جنس منها فيقع الذكور في يده البني والاثنى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة ﴿ وأهلك ﴾ أى واجل أهلك ولدك وعيالك ﴿ الامن سبق عليه القول ﴾ يعنى بالهلاك وأراد به امرأته واعلة وولده كنعان ﴿ ومن آمن ﴾ يعنى واجل معك من آمن من قومك ﴿ وما آمن معه الا قليل ﴾ اختلفوا في عدد من حل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظى لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام وياث ونسأؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنانن له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسأؤهم وهم نوح وبنوه سام وحام وياث وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال الطبرى والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقلة ولم يحدهم عددا بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضين الرجال والنساء وقصدنوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس رضى الله عنهما أول ما حل نوح الذرة وآخر ما حل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تتقل رجلاه ووجه نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عدو الله قال ألم تتقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عدو الله قال لا بد من أن تحملنى معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بسم الله متصل باركبا واحلا من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها المالن ﴿ ٣٢٥ ﴾ المجرى والمرسى { سورة هود } للوقت واما لانهما مصدران

كلا اجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجزت واذا أرد ان ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت جزء وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (ان ربي لغفور رحيم) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتر وتمررة (وقال) لهم (اركبوا

في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير ﴿ وقال اركبوا فيها ﴾ أى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالركوب في الارض ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ متصل باركبا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضية لاتعلق لها بما قبلها أو حال مقدره من الواو أو الهاء * وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجزت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وقرأ حذرة والكسائى وعاصم براوية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ﴿ ان ربي لغفور رحيم ﴾ أى لولا مغفرته لفرطتكم ورجته اياكم لما نجاكم ﴿ وهى تجرى بهم ﴾ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها ﴿ في موج كالجبال ﴾

وقال الامام فخر الدين الرازى وأما الذى يروى ان ابليس دخل السفينة فبيد لانه من الجن وهو جسم نارى أو هو اى فكيف يفر من الفرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أجلكما فقالتا اجلنا فحين نضمن لك أن لانضر أحدا ذكرك فن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وقال اركبوا فيها ﴾ يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ﴾ يعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها وقال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله فجزت وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو أى تقف وهذا تعليم من الله لعباده أنه من أراد أمرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور ﴿ وهى تجرى بهم في موج كالجبال ﴾ الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء

فيها) في السفينة (بسم الله مجريها) حيث تجرى (ومرساها) حيث تجرس وان قرأت مجريها ومرسيها يقول الله مجريها حيث شاء ومرسيها حيث شاء (ان ربي لغفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (وهى تجرى بهم) باهاها (في موج) في غير الماء (كالجبال) كجبل عظيم

وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلي وقيل كان ابن امرأته (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة مقل من عزله {الجزء الثاني عشر} عنه اذا نجاه ﴿٣٢٦﴾ وأبعده أو في معزل عن دين أبيه (يا بني)

بقبح الياه عاصم اقتصارا عليه من الالف المبذلة من ياء الاضافة من قولك يابنياعيره بكسر الياه اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) في السفينة أي اسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) ألقأ (الى جبل يعصمى من الماء) بمعنى من الفرق (قال لاعاصم اليوم من أمرالله الامن رحم) الا الراح وهو الله تعالى أو لاعاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أي الامكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك

اليوم معصم قط من جبل ونحوه سوى معصم واحد وهو مكان من رحمة الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو

في ارتفاع (ونادى نوح) دعانوح (ابنه) كنعان (وكان في معزل) في ناحية من السفينة ويقال في ناحية الجبل (يا بني اركب معنا) انج معنا بالاله الا الله (ولا تكن مع الكافرين) على دينهم ففرق بالطوفان (قال سآوى)

في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علاشوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فعل ذلك قبل التطبيق ﴿ونادى نوح ابنه﴾ كنعان وقرى ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذا لانياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرى ابنه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف ﴿وكان في معزل﴾ عزل فيه نفسه عن ابيه أو عن دينه مقل للمكان من عزله عنه اذا ابعده ﴿يا بني اركب معنا﴾ في السفينة والجمهور كسروا الياه لبدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضوع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبذلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ في الدين والانزال ﴿قال سآوى الى جبل يعصمى من الماء﴾ ان يعرقنى ﴿قال لاعاصم اليوم من امرالله الامن رحم﴾ الا الراح وهو الله تعالى أو الامكان من رحمة الله وهو المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معصم من جبل ونحوه يعصم الاثنيب الامتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لا ذاعصمة كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي لكن

بالسير أرسل الله المطر أربعين يوما و ليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى انه لما كثرت الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الفرق وكانت تحبه جباشديد فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثة ففتحها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبته ارتفعت الصبي بيديها حتى ذهب بها الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي ﴿ونادى نوح ابنه﴾ يعنى كنعان وكان كافرا ﴿وكان في معزل﴾ يعنى عن نوح لم يركب معه ﴿يا بني اركب معنا﴾ يعنى في السفينة ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ يعنى فتهلك معهم ﴿قال﴾ يعنى قال كنعان ﴿سآوى﴾ يعنى سألنجي وأصير ﴿الى جبل يعصمى﴾ يعنى يعنى من الماء ﴿قال﴾ يعنى قال له نوح ﴿لاعاصم﴾ يعنى لا مانع ﴿اليوم من أمرالله﴾ يعنى من عذابه ﴿الامن رحم﴾ يعنى الامن رحمه الله فينجيه من الفرق

سأذهب (الى جبل يعصمى) يعنى (من الماء) من الفرق (قال) نوح (لاعاصم اليوم) لا مانع اليوم (من) (و حال) أمرالله (من عذاب الله الفرق) (الامن رحم) الله

ثم استعار الماء للغذاء تشبيهاً به بالغذاء لتقوى الأرض بالماء في النباتات كتقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالملك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل للفعل للشبه بينهما في عدم التاني ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح عن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا كالم يصرح بقائل يأرض ويأسماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لاتكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلي ماءك ويأسماء أقلعي ولا أن يكون الفاعض والقاضي والمسوي غيره ثم حتم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختيار يادون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدالاتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون اذا الاضافة تستدعي القرب ولم يقل يايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما أخف وادور واختير ابلي على ابتلي لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين { الجزء الثاني عشر } أقلعي ٣٢٨ وقيل أقلعي ولم يقل عن المطر

وكذا لم يقل يا أرض ابلي ماءك فبليت ويأسماء أقلعي فأقلعت اختصارا واختير غيض على غيظ وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على

في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وإيراد الأخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره إذ لا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال

فعل نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يأنف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فن ثم تألف البيوت وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر وصرت بالبيت الحرام قد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبي قيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا

الجودي أي أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجرى بهم إرادة (قرية)

للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليعمد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلي ويأسماء أقلعي ولم يقل ابلي يا أرض وأقلعي يا أسماء جريا على مقتضى الكلام فبين كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقبيه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأه لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذ بحججها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أي أنجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبره ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كاترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مينة لاتعقيد يثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشبك الطريق الى المراد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التناثر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآيات والله درشان التبريل لا يتأمل العالم آية من آياته الا ادرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظنن الآيات مقصورة على المذكور فعمل المتروك أكثر من المسطور

لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ و اراد نداءه بدليل عطف قوله ﴿ فقال رب ان ابني من اهلي ﴾ فانه النداء ﴿ وان وعدك الحق ﴾ وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فاحاله اوفاله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه ﴿ وانت احكم الحاكمين ﴾ لانك اعلمهم واعدلهم اولائك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ﴿ قال يا نوح انه ليس من اهلك ﴾ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر

قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عرج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحملة عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك * فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبالغوا الخ من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم * قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطيور وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع آباؤهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم يستلون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ونادى نوح ربه ﴿ أى دعاه وسأله ﴾ فقال رب ان ابني من اهلي ﴿ يعنى وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي ﴾ وان وعدك الحق ﴿ يعنى الصدق الذى لاخلف فيه ﴾ وانت احكم الحاكمين ﴿ يعنى انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك ﴾ قال ﴿ يعنى قال الله تعالى ﴾ يا نوح انه ﴿ يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاته ﴾ ليس من اهلك ﴿ اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من اهلي ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك رضى الله عنهم وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس انه قال ما بنت امرأة نبي قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة ليجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعائه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تسمية أهله (ان ابني من أهلي) أى بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه وكان ربياله فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجيني أهلي فابال ولى (وانت احكم الحاكمين) أى اعلم الحاكم وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غرق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يا نوح انه ليس من اهلك) ثم علل لانشاء كونه من اهله بقوله

(ونادى نوح) دعاه (رب) فقال رب (ان ابني) كنعان (من أهلي) الذى وعدت أن تنجيه (وان وعدك الحق) الصدق (وانت احكم) أعدل (الحاكمين) وعدتني نجاتي ونجاة أهلي (قال) الله (يا نوح انه ليس من اهلك) الذى وعدت ان أنجيته

(انه عمل غير صالح) وفيه ايدان بان قرابة الدين عامرة لقرابة النسب وان نسيك في دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقتك
ومن لم يكن على دينك وان { الجزء الثاني عشر } كان أمس أقاربك ﴿ ٣٣٠ ﴾ رجافهـ و أبعد بعيد منك

واشار اليه بقوله ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ فانه تعليل لثني كونه من اهله واصله انه
ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للبالغة كقول الخنساء تصف ناقه
ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت * فانما هي اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما واجب النجاة
لمن نجا من اهله عنه * وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح
﴿ فلا تستلن ما ليس لك به علم ﴾ مالا تعلم أصواب هوأم ليس بصواب وانما سمي
نداؤه سؤالاً يتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله

وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله
سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين
الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى اخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو
نبي وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهونبي وكان آزر كافرا فكذلك
أخرج كنعان وهو كافرا من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء
* فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة
والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما حمله
على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاهوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من
الغرق فأجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعني أنه ليس من أهل دينك
لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ماجرى مجراهما ولما حكمت
الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه
وتعالى لنوح انه ليس من أهلك ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ قرأ الكسائي ويعقوب
عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك
والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم
ورفع اللام مع التثوين وغير يضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان أنجي من الغرق عمل
غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فالهنا قال سبحانه
وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير في انه على ابن نوح أيضا ويكون
التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف
كما قالت الخنساء * فانما هي اقبال وادبار * قال الواحدى وهذا قول أبي اسحق يعني
الزجاج وأبي بكر بن الأنبارى وأبي على الفارسي قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح
عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر
زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعلى هذا لا حذف ﴿ فلا تستلن ما ليس لك به علم ﴾
وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد

وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها
* فانما هي اقبال وادبار *
أو التقدير انه ذو عمل وفيه
اشعار بأنه انما أبحى من
أنجي من أهله لصلاحهم
لأنهم أهله وهذا الماتنى
عنه الصلاح لم تنفعه أبوته
عمل غير صالح على قال
الشيخ أبو منصور رحمه الله
كان عند نوح عليه السلام
ان ابنه كان على دينه لانه
كان يوافق والا لا يحتمل
أن يقول ابني من أهلى
ويسأله نجاته وقد سبق
منه النهى عن سؤال مثله
بقوله ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرورون فكان
يسأله على الظاهر الذى
عنده كما كان اهل النفاق
يظهرون الموافقة لئيبنا عليه
السلام ويضربون الخلاف
له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه
الله عليه وقوله ليس من
أهلك أى من الذين وعدت
النجاة لهم وهم المؤمنون
حقيقة في السر والظاهر
(فلا تستلن) اجترأ
بالكسرة عن الياء كوفي
تسألنى بصرى تسألنى
مدنى تسألنى شامى فحذف

الياء واجترأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألنى مكى (ما ليس لك به علم) بجواز مسئلته (على)

(انه عمل) في الشرك (غير صالح) غير مرضى وان قرأت انه عمل غير صالح يقول دعائك اياي بنجاته غير مرضى
(فلا تستلن) نجاة (ما ليس لك به علم) أنه أهل للنجاة

استبحازه في شأن ولده أو استفسار المانع للانجاز في حقه وإنما سماه جهلاً وزجر عنه بقوله ﴿ انى أعظك ان تكون من الجاهلين ﴾ لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسروا النون على اصله تسلياً فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية رويس اثباتها في الاصل ﴿ قال رب انى اعوزبك ان اسألك ﴾ فيما يستقبل ﴿ ما ليس لى به علم ﴾ مالا علم لى بصحته ﴿ والاتفقر لى ﴾ وان لم تغفر لى مافرط منى من السؤال ﴿ وترجى ﴾ بالتوبة والتفضل على ﴿ أكن من الخاسرين ﴾ اعمالاً ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا ﴾ انزل من السفينة مسلماً من المكاره من جهتنا أو مسلماً عليك

(انى أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كانهى رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قال رب انى أعوزبك أن أسألك ما ليس لى به علم) أى من أن أطلب منك فى المستقبل ما لا أعلم لى بصحته تأدباً بآدابك واطعاً بوعظتك (والاتفقر لى) مافرط منى (وترجى) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا) بتحية منا أو بسلامة من الفرق

على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محذور لاصرار ولده على الكفر فنهأ الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألنى ما ليس لك به علم بجواز مسئلته ﴿ انى أعظك ﴾ يعنى أنهاك ﴿ أن تكون من الجاهلين ﴾ يعنى لمثل هذا السؤال ﴿ قال ﴾ يعنى قال نوح ﴿ رب انى أعوزبك ﴾ يعنى ألبأ اليك وأعتذر اليك ﴿ ان أسألك ما ليس لى به علم ﴾ يعنى انك أنت علام الغيوب وانا لا أعلم ما غاب عنى فاعتذر اليك من مسلتى ما ليس لى به علم ﴿ والاتفقر لى ﴾ يعنى جهلى واقدامى على سؤال ما ليس لى به علم ﴿ وترجى ﴾ يعنى برجتك التى وسعت كل شىء ﴿ أكن من الخاسرين ﴾

فصل

(انى أعظك) أنهاك (ان تكون) أن لا تكون (من الجاهلين) بسؤالك اياى ما لم تعلم (قال) نوح (رب) يارب (انى أعوزبك) اتمتع بك (أن أسألك) نجاة (ما ليس لى به علم) أنه أهل للنجاة (والا تفقر لى) يقول ان لم تفقر لى يعنى ان لم تجاوز عنى (وترجى) ولا ترجى فعتدبى (أكن من الخاسرين) بالعقوبة (قيل يا نوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام منا) بسلامة منا

وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلهدأناه عنه بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلاً ففهد زجروا به ويطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحاً عليه السلام بأن ينجيهم وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ وأسمع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين اما انه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدمه على سؤال ربه فيما لم يؤذنه فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذبه وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقرين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدمه على سؤاله ما لم يؤذنه فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ قيل يا نوح اهبط ﴿ أى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض ﴾ بسلام ﴿ أى

(وبركات عليك) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته واتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله (وعلى أم من معك) من ليسان فتزاد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أم لان الامم تشعب منهم أو لابتداء الغياية أي على أم ناشئة من معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (ستمتعهم) في الدنيا بالسعة في الرزق واخفص في العيش صفة والخبر محذوف تقديره ومن معك أم ستمتعهم وانما حذف لان من معك يدل عليه (ثم يسهم منا عذاب أليم) أي في الآخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى أم مؤمنين ينشؤون من معك ومن معك أم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء واخلق بعد الطوفان منه ومن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة { الجزء الثاني عشر } وفيما بعده ﴿ ٢٣٢ ﴾ من المتاع والعذاب كل كافر (تلك)

اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلهما الرفع على الابتداء والجل بعدها وهي (من أبناء الغيب نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) أخبار أي تلك القصة بعض أبناء الغيب موحة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من

﴿ وبركات عليك ﴾ ومبارك عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدمانيا * وقرى أهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير الناحي ﴿ وعلى ام من معك ﴾ وعلى ام هم الذين معك سمو أبا العزبهم أو لتشعب الامم منهم أو على ام ناشئة من معك والمراد بهم المؤمنون اقوله ﴿ وام ستمتعهم ﴾ أي ومن معك ام ستمتعهم في الدنيا ﴿ ثم يسهم منا عذاب أليم ﴾ في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب ما نزل بهم ﴿ تلك ﴾ اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلهما الرفع بالابتداء وخبرها ﴿ من أبناء الغيب ﴾ أي بعضها ﴿ نوحها اليك ﴾ خبر ثان والضمير لها أي موحة اليك أو حال من الانبياء أو هو الخبر ومن انبياء متعلق به أو حال من الهاء ﴿ ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا

(وبركات) سعادات (عليك وعلى أم) جماعة (من معك) في السفينة من أهل السعادة (وأمم) جماعة في أصلابهم (ستمتعهم) سنعيشهم بعد خروجهم من أصلاب آبائهم (ثم يسهم) يصيبهم (منا عذاب أليم) وجع بعدما كفروا وهم أهل الشقاوة قال ابن عباس رضي الله عنهما أوحى الله الى

بامن وسلامة ﴿ منا وبركات عليك ﴾ البركة هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريتهم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم ﴿ وعلى أم من معك ﴾ يعني وعلى ذرية أم من كانوا معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجي من بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة ﴿ وأم ستمتعهم ﴾ هذا ابتداء كلام أي وأم كفرة يمدحون بعدك ستمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى آجالهم ﴿ ثم يسهم منا عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ تلك من أبناء الغيب ﴾ هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أبناء الغيب يعني من أخبار الغيب ﴿ نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ يعني من قبل نزول القرآن عليك ﴿ فان قلت ان قصة نوح كانت شهورة معروفة

نوح عليه السلام وهو ابن أربع مائة وثمانين سنة ودعا قومه مائة وعشرين سنة وركب في السفينة وهو ابن (في) ستمائة سنة وعاش بعد ما ركب في السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة وبق في السفينة خمسة أشهر وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع بذراعها وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض جل في الباب الاسفل السباع والهوام وجل في الباب الاوسط الوحوش والبهائم وجل في الباب الاعلى بنى آدم وكانوا ثمانين انساناً أربعون رجلاً وأربعون امرأة وكان بين الرجال والنساء جسد آدم صلوات الله عليه وكان معه ثلاثة بنين سام وحام ويافت (تلك) هذه (من أبناء الغيب) من أخبار الغائب عنك (نوحها اليك) نرسل جبريل اليك يا محمد بأخبار الامم الماضية (ما كنت تعلمها) يعني أخبار الامم (أنت ولا قومك من قبل هذا) القرآن

قبل يحائى اليك واخبارك بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كاصبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عادأخاهم) واحدا منهم وانتصاه له عطف على أرسلنا نوحا أى وأرسلنا ﴿ ٣٣٣ ﴾ الى عادأخاهم (هودا) عطف { سورة هود } بيان (قال يا قوم اعبدوا

الله) وحدوه (مالكم من اله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ (ان أتم الامفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لأستلکم عليه أجر ان أجرى الاعلى الذى فطرنى) ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضها الاحسم المطامع وما دام يتوهم شىء منها لم تنفع ولم تنفع (أفلاتعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجر الامن الله وهو ثواب الآخرة ولا شىء أنفى للهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره

خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل يحائى اليك أوحال من الهاء في نوحها أو الكاف في اليك أى جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يعلمها اذ لم يحاط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسموها فكيف بواحد منهم ﴿ فاصبر ﴾ على مشاق الرسالة وأذى القوم كاصبر نوح عليه السلام ﴿ ان العاقبة ﴾ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز ﴿ للمتقين ﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿ والى عاد اخاهم هودا ﴾ عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقرىء بالجر جملا على المجرور وحده ﴿ ان اتم الامفترون ﴾ على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعا ﴿ يا قوم لا اسألکم عليه اجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى ﴾ خاطب كل رسول به قومه ازاحة للهمة وتحضيضا للنصيحة فانها لا تنفع مادامت مشوبة بالمطامع ﴿ أفلاتعقلون ﴾ أفلاتستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل والصواب من الخطأ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة

في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميلا يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصيح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى مشركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه ﴿ ان العاقبة ﴾ يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية ﴿ للمتقين ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى عاد ﴿ يعنى وأرسلنا الى عاد ﴾ أخاهم هودا ﴿ يعنى أخاهم في النسب لافى الدين ﴾ قال يا قوم اعبدوا الله ﴿ يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شىء فى العبادة ﴾ مالكم من اله غيره ﴿ يعنى انه تعالى هو الهكم لاهذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ﴿ ان اتم الامفترون ﴾ يعنى ما أتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره ﴿ يا قوم لأستلکم عليه ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة ﴿ اجرا ﴾ يعنى جمعا آخذ منكم ﴿ ان أجرى ﴾ يعنى ما ثوابى ﴿ الاعلى الذى فطرنى ﴾ يعنى خلقى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويثيبنى فى الآخرة ﴿ أفلاتعقلون ﴾ يعنى فتعظون ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ أى آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم

والفواحش (والى عاد) وأرسلنا الى عاد (أخاهم) نبيهم (هودا) قال يا قوم اعبدوا الله (وحدوا الله) (مالكم من اله غيره) غير الذى أمركم أن تؤمنوا به (ان اتم) ما أتم بعبادة الاوثان (الامفترون) كاذبون على الله لم يأمركم بعبادتها (يا قوم لأستلکم عليه) على التوحيد (اجرا) جملا (ان أجرى) ما ثوابى (الاعلى الذى فطرنى) خلقنى (أفلاتعقلون) أفلا تصدقون أفليس لكم ذهن الانسانية (ويا قوم استغفروا ربكم) وحدوا ربكم (ثم توبوا اليه) اقبلوا اليه بالتوبة والاخلاص

(يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثرة الدرور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استمالهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض صحابه انى رجل ذومال ولا يولدلى علمنى شياً لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار الجزء الثاني عشر حتى ربا استغفر ﴿ ٣٣٤ ﴾ في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له

عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألتهم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويزدكم بأموال وبنين (ولاتواوا) ولا تعرضوا عنى وعمادعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا يا هود ما جئنا ببينة)

كذب منهم وجحد كافات قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا على قولك) وهو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالك أن يصدقوا مثلك فيما يدعوه اليه اقناطاله من الاجابة (ان نقول الاعتراك)

فما عنده ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ كثير الدر ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ ويضعف قوتكم وانما رغبتهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ﴿ ولا تتولوا ﴾ ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه ﴿ مجرمين ﴾ مصرين على اجرامكم ﴿ قالوا يا هود ما جئنا ببينة ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات ﴿ وما نحن بتاركى الهتنا ﴾ بتاركى عبادتهم ﴿ عن قولك ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ اقناطاله من الاجابة والتصديق ﴿ ان نقول الاعتراك ﴾ ما نقول الا قولنا اعتراك أى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه ﴿ بعض آلهتنا بسوء ﴾ يجنون لسبك اياها وصدق عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول ولا نعولان الاستثناء مفرغ

﴿ يرسل السماء عليكم مدرار ﴾ يعنى ينزل المطر عليكم متتابعاً بعد مرة فى أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوا برسول الله اليهم المطر فأحياه بلادهم كما كانت أول مرة ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم يقوكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فترزادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فترزادون قوة بالاموال والاولاد وقيل ترزادون قوة فى الدين الى قررة الابدان ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾ يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى وانصحى حال كونكم مشركين ﴿ قالوا يا هود ما جئنا ببينة ﴾ أى يبرهان وجة واضحة على صحة ما نقول ﴿ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ﴾ يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين ﴿ ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ يعنى أنك يا هود لست تتعاطى ما تعاطاه

بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نى فنى جميع القول الا قولوا واحدا وهو قولهم اعتراك اصابك بعض آلهتنا بسوء (من) يجنون وخبل وتقديره ما نقول قوله الا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء

(يرسل السماء عليكم مدرار) مطرا اذا مدريرا كلما احتاجون اليه (ويزدكم قوة الى قوتكم) شدة الى شدتكم بالمال والبنين (ولاتواوا) عن الايمان والتوبة (مجرمين) مشركين بالله (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) بيان ما نقول (وما نحن بتاركى آلهتنا) عباد آلهتنا (عن قولك) بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين بالرسالة (ان نقول) ما نقول فيما ننهك (الاعتراك) يصيبك (بعض آلهتنا بسوء) بخبل لانك تستهها

(قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برى مما تشركون من دونه) أى من اشرككم آلهة من دونه والمعنى انى أشهد الله انى برى مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا أنى برى من ذلك وحجى به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لأحبك كما به واستهانة ﴿ ٣٣٥ ﴾ بحاله { سورة هود } (فكيدونى جميعا) أنتم

والآلهتم (ثم لا تنظرون) لا تملون فانى لأبالى بكم وبيدكم ولأخاف معرفتكم وان تعاونتم على وكيف تضرنى آلهتم وماهى الا جاد لا يضر ولا ينفع وكيف تنقسم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكمها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربيوبته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بناصية تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم

﴿ قال انى أشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ﴾ اجاب به عن مقاتلهم الحقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراعه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتمعوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضره لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جاد لا تضر ولا تنفع لا تمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقتة بالله وتبسطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرولى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحقيق بى ما لم يردى ولا تقدرولى على ما لم يقدره ثم يرهن عليه بقوله ﴿ مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ﴾ أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالناصية تمثيل لذلك ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده

من مخالفتنا وسب آلهتنا الا ان بعض آلهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فالتعموا منك بذلك ولا تحمل امرك الا على هذا ﴿ قال ﴾ يعنى قال هود محببها لهم ﴿ انى أشهد الله ﴾ يعنى على نفسى ﴿ واشهدوا ﴾ يعنى واشهدوا أنتم أيضا على ﴿ انى برى مما تشركون من دونه ﴾ يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿ فكيدونى جميعا ﴾ يعنى احتالوا فى كيدى وضرى أنتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ يعنى ثم لا تملون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فاقال لهم هذه المقالة ولم يهيم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقتة بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى ﴿ انى توكلت على الله ربي وربكم ﴾ يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه ﴿ مامن دابة ﴾ يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحسوان لانهم يدبون على الارض ﴿ الا هو آخذ بناصيتها ﴾ يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا سروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته لينوا عليه ويمتقدوا بذلك فخر اعليه فحاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم ﴿ ان ربي على صراط مستقيم ﴾ يعنى ان ربي وان كان قادرا وأنتم فى قبضته كالعبد

على الله) فوضت أمرى اليه (ربي) خالقى ورازقى (وربكم) خالقكم ورازقكم (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) يمتها ويحييها ويقال فى قبضته يفعل ما يشاء (ان ربي على صراط مستقيم)

ان ربي على الحق لا يعدل عنه وان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) هوني موضع فقد ثبتت الحجة عليكم { الجزء الثاني عشر } (ويستخلف ربي ﴿ ٣٣٦ ﴾ قوما غيركم) كلام مستأنف أي ويهلككم

الله ويحییء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واما لكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) عن ضرر قطاذلا يجوز عليه المضار واما تضرون أنفسكم (ان ربي على كل شيء حفيظ) رقيب عليه مهين فاتخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفقورة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برجة منا) أي بفضل منا لا بعملهم أو بالايان الذي أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أعظم منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم

الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط مستقيم ﴿ فان تولوا ﴾ يعني تولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم ﴿ فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ﴾ يعني اني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك ﴿ ويستخلف ربي قوما غيركم ﴾ يعني أنكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد ﴿ ولا تضرونه شيأ ﴾ يعني بتوليكم انما تضرون أنفسكم بذلك وقيل لا تقصونه شيأ اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ﴿ ان ربي على كل شيء حفيظ ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من أن تنالوني بسوء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولما جاء أمرنا ﴿ يعني باهلاكهم وعذابهم ﴾ نجينا هودا والذين آمنوا معه ﴿ وكانوا أربعة آلاف ﴾ برجة منا ﴿ وذلك ان العذاب اذا نزل قديم المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برجته وفضله وكرمه ﴿ ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ يعني الریح التي أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهي الايام الخمسات فاهلكتهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا لم تضرم شيأ وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا ﴿ وتلك عاد

الله ويحییء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واما لكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) عن ضرر قطاذلا يجوز عليه المضار واما تضرون أنفسكم (ان ربي على كل شيء حفيظ) رقيب عليه مهين فاتخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفقورة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برجة منا) أي بفضل منا لا بعملهم أو بالايان الذي أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أعظم منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم

عليه مما خلق ويقال يدعو الخلق الى صراط مستقيم دين قائم برضاه وهو الاسلام (فان تولوا) أعرضوا عن الايمان والتوبة (فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) من الرسالة ويهلككم (ويستخلف ربي قوما غيركم) خيرا منكم وأطوع (ولا

تضرونه شيأ) ولا يضر الله هلاككم شيأ (ان ربي على كل شيء) من أعمالكم (حفيظ) حافظ شهيد (ولما جاء أمرنا) (محمدوا) عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برجة) بنعمة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) وهذه عاد

كأنه قال سبحوا في الأرض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جمع رسل الله ﴿ ٣٣٧ ﴾ لان فرق بين { سورة هود } أحد من رسله (وأتبعوا

أمر كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعهم اتباع أمرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل حملت اللعنة تابعة لهم في الدارين (لأن عادا كفروا وهم الأبعد العاد) تكرار الأعم النداء على كفرهم والنداء عليهم تهويل لأمرهم أو بعث على الاعتبار بهم والحد من مثل حالهم والنداء بالبعد هلاكهم وهو دواعي الهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادات الأولى القديمة التي هي قوم هود والتقصير فيهم والآخرى ارم (والى عمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره

جحدوا بآيات ربهم) التي أنامهم بها هود (وعصوا رسله) بالتوحيد (وأتبعوا أمر كل جبار) قول كل قتال على الغضب (عنيد) معرض عن الله (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أهل كوا في الدنيا بالريح (ويوم القيمة) لهم لعنة

القبيلة أولان الإشارة الى قبورهم وآثارهم ﴿ جحدوا بآيات ربهم ﴾ كفروا بها ﴿ وعصوا رسله ﴾ لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول ﴿ وأتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ يعني كبارهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا ظني والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرد بهم ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ﴾ أى جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين نكبتهم في العذاب ﴿ إلا ان عادا كفروا ربهم ﴾ جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار ﴿ الأبعد العاد ﴾ دعاه عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الأوعاد ذكرهم تفظيحا لاسمهم وحثا على الاعتبار بحالهم ﴿ قوم هود ﴾ عطف بيان لعاد وفائدة تمييزهم عن عاد الثانية عازارم والاياء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود ﴿ والى عمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره

جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ﴾ لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد ردة الى القبيلة وفيه إشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيروا في الأرض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أنى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما أنى به بلفظ الجمع امالة تعظيم أولان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل ﴿ وأتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ يعني ان السفلة منهم أتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ يعني أردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله ﴿ ويوم القيمة ﴾ يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كاتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى ﴿ إلا ان عادا كفروا ربهم ﴾ أى كفروا بربهم ﴿ الأبعد العاد ﴾ يعني هلاكهم وقيل بعدا عن الرحمة * فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فالقائفة في قوله إلا بعد العاد لان الثاني هو الأول بعينه * قلت الفائدة فيه ان التكرار بمراتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيدهم وانهم كانوا مستحقين له ﴿ قوم هود ﴾ عطف بيان لعاده فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فالفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عادا الأولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى عمود أخاهم صالحا ﴿ يعني وأرسلنا الى عمودهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعني في النسب لافي الدين ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ يعني هو الهكم المستحق للعبادة لانه لا اله الا هو ثم ذكر سبحانه وتعالى

أخرى وهي النار (إلا ان عادا كفروا ربهم) (قا و خا ٤٣ لث) جحدوا بآيات ربهم (الأبعد العادة) قوم هود من رحمة الله (والى عمود) وأرسلنا الى عمود (أخاهم) نبيهم (صالحا) قال يا قوم اعبدوا الله (وحدوا الله) مالكم من اله غيره (غير الذي أمركم أن تؤمنوا به

هو انشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشأوهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها واستعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلاثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعييرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فماش فيها عبادى (فاستغفروه) فاسألو ما غفرتة بالاعان (ثم توبوا اليه ان ربي قريب) {الجزء الثاني عشر} داني الرحمة ﴿ ٣٣٨ ﴾ (محب) لمن دعاه) قالوا يا صالح قد كنت

فينا) فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) للسادوا المشاورة في الامور وكنا نرجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (أنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا لفي شك مما تدعوننا اليه) من التوحيد (مريب) موقع في الريبة من اراهه

اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أريتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رجة) نبوة اتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا انى على بينة من ربي واتى نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعكم وعصيت ربي في أوامره (فمن ينصرنى من الله) فمن

(هو انشأكم من الارض) خلقكم من آدم و آدم من الارض (واستعمركم فيها) عمركم في الارض وجعلكم سكانها (فاستغفروه) فوحدوه

هو انشأكم من الارض ﴿ هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خاق نسله منها من التراب ﴿ واستعمركم فيها ﴿ عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى عمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ﴿ فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب ﴿ قريب الرحمة ﴿ محب ﴿ لداعيه ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ﴿ لما ترى فيك من مخايل الرشد والساد ان تكون لنا سيذا أو مستشارا في الامور أو ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ﴿ أنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا ﴿ على حكاية الحال الماضية ﴿ واننا لفي شك مما تدعوننا اليه ﴿ من التوحيد والتبرىء من الاثان ﴿ مريب ﴿ موقع في الريبة من اراهه او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب في الامر ﴿ قال يا قوم اريتم ان كنت على بينة من ربي ﴿ بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين ﴿ وآتاني منه رجة ﴿ نبوة ﴿ فمن ينصرنى من الله ﴿ فن يعنى من عذابه

الدلائل الدالة على وحدانيته وكال قدرته فقال تعالى ﴿ هو انشأكم من الارض ﴾ يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك أنهم من بنى آدم و آدم خلق من الارض ﴿ واستعمركم فيها ﴾ يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضمك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من العمرى أى جعلها لكم ما عشم ﴿ فاستغفروه ﴾ يعنى من ذنوبكم ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ يعنى من الشرك ﴿ ان ربي قريب ﴾ يعنى من المؤمنين ﴿ محب ﴿ لداعيه ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ﴿ يعنى قبل هذا القول الذى جئت به والمعنى انا كنا نرجوان تكون فينا سيذا لانه كان من قبيلتهم وكان يمين ضعيفهم ويعنى فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما ظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه ﴿ أنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾ يعنى الآلهة ﴿ واننا لفي شك مما تدعوننا اليه ﴾ يعنى من عبادة الله ﴿ مريب ﴾ يعنى انا مرتابون في قولك من اراهه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقعها في التهمة ﴿ قال ﴾ يعنى قال صالح محبيا للقومه ﴿ يا قوم أريتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ يعنى على يقين وبرهان ﴿ وآتاني منه رجة ﴾ يعنى نبوة وحكمة ﴿ فمن ينصرنى من الله ﴾ أى فن يعنى من عذاب الله

(ثم توبوا اليه) أقبلوا اليه بالانوحيد والتوبة والاخلاص (ان ربي قريب) بالاجابة (محب) لمن وحده (قالوا يا صالح) (ان) قد كنت فينا مرجوا) نرجوك (قبل هذا) قبل ان تأمرنا بدين غير دين آباؤنا (أنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) (من الاوثان) (واننا لفي شك مما تدعوننا اليه) من دينك (مريب) ظاهر الشك به (قال يا قوم أريتم ان كنت على بينة من ربي) على بيان نزل من ربي (وآتاني منه رجة) أكرمنى بالنبوة والاسلام (فمن ينصرنى) يعنى (من) عذاب (الله)

يعنى من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن عادة الاوثان (فما تزيدونى) بقولكم أنها ما نعبد ما يعبد آباءنا (غير تحسير) بنسبتكم اياى الى الخسار أو بنسبى اياكم الى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكنت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال ﴿ ٣٣٩ ﴾ (فذروها تأكل } سورة هود { في أرض الله) أى ليس

عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (ولا تمسوها بسوء) عقر أو نحر (فإخذكم عذاب قريب) عاجل (فعقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أى يتصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أى

﴿ ان عصيته ﴾ في تبليغ رسالته والمنع عن الاشرار كبه ﴿ فما تزيدونى ﴾ اذن باستباحتكم اياى ﴿ غير تحسير ﴾ غير ان تحسرونى بابطال ما منحنى الله به والتعرض لعذابه أو فما تزيدونى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران ﴿ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتكبيرها ﴿ فذروها تأكل في أرض الله ﴾ ترع نباتها وتشرب ماءها ﴿ ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب قريب ﴾ عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام ﴿ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ﴾ عيشوا في منازلكم أو في داركم الدنيا ﴿ ثلاثة ايام ﴾ الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ﴿ ذلك وعد غير مكذوب ﴾ أى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله

ويوم شهدنا سليمان وامرنا
أو غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له أفى بك فان وفى به صدقه والاكذب
أو وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول ﴿ فلما جاء امرنا

غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمعقول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب ان عصيته) وتركت أمره (فما تزيدونى غير تحسير) فإزداد الابصيرة في خسارتكم (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) علامة (فذروها) فاتركوها (تأكل في أرض الله) في ارض الحجر ليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء)

﴿ ان عصيته ﴾ يعنى ان خالفت أمره ﴿ فما تزيدونى غير تحسير ﴾ قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونى غير تحسير وانما المعنى فما تزيدونى بما تقولون الانسبى الى الخسارة ﴿ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا اليها فدعا الله عز وجل فأخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله و عبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام ﴿ فذروها تأكل ﴾ يعنى من العشب والنبات ﴿ في أرض الله ﴾ يعنى فليس عليكم مؤنتها ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ يعنى بعقر ﴿ فإخذكم ﴾ يعنى ان قتلتموها ﴿ عذاب قريب ﴾ يعنى في الدنيا ﴿ فعقروها ﴾ يعنى فخالقوا أمر ربهم فمقروها ﴿ فقال ﴾ يعنى فقال لهم صالح ﴿ تمتعوا ﴾ يعنى عيشوا ﴿ في داركم ﴾ أى في بلدكم ﴿ ثلاثة أيام ﴾ يعنى ثم تهلكون ﴿ ذلك ﴾ يعنى العذاب الذى أوعدهم به بعد ثلاثة أيام ﴿ وعد غير مكذوب ﴾ أى هو غير كذب روى انه قال لهم يأتىكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثانى حجرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كإل قال وأتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ يعنى العذاب

بعقر (فإخذكم عذاب قريب) بعد ثلاثة أيام (فعقروها) قتلوها قتلها قدار بن سالف ومصدع بن زهر وقسموا لهما على ألف وخمسائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تمتعوا) عيشوا (في داركم) في مدينتكم (ثلاثة أيام) ثم يأتىكم العذاب اليوم الرابع قالوا يا صالح ما علامة العذاب قال ان تصبحوا اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وتصبحوا اليوم الثانى ووجوهكم حجرة وتصبحوا اليوم الثالث ووجوههم مسودة ثم يأتىكم العذاب اليوم الرابع (ذلك) العذاب (وعد غير مكذوب) غير مردود (فلما جاء أمرنا) عذابنا

أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجى انجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) باضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة و بفحها مدني وعلى لانه مضاف الى اذوه هو مني وظروف الزمان اذا اضيفت الى الاسماء المهمة والافعال الماضية بذت واكتسبت البناء { الجزء الثاني عشر } من المضاف اليه ﴿ ٣٤٠ ﴾ كقوله * على حين عابت المشيب

على الصبا * والوالعطف
وتقديره ونجينا من
خزي يومئذ أي من ذله
وفضيخته ولاخزي أعظم
من خزي من كان هالكا
بغضب الله وانتقامه وجاز
أن يريد يومئذ يوم القيامة
كما فسر العذاب الغليظ
بعذاب الآخرة (ان ربك
هو القوي) القادر على
تجية أوليائه (العزير)
الغاب باهلاك أعدائه
(وأخذ الذين ظلموا الصيحة)
أي صيحة جبريل عليه
السلام (فصحبوا في ديارهم)
منازلهم (جائين) ميتين
(كأن لم يغنوا فيها) لم يقبوا
فيها (ألا ان ثمودا كفروا
رجم) ثمود حزة وحنص
(الأبدانثود) على فالصرف
لذهاب الى الحى أو الاب
الاكبر ومنعه للتعريف
والثأيت بمعنى القيلة
(ولقد جات رسلنا) جبريل
وميكائيل واسرافيل
أو جبريل مع أحد عشر

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ * أي ونجينا من
خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة * وعن نافع يومئذ بالفتح
على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه * والمارج في قوله من عذاب يومئذ * ان
ربك هو القوي العزيز * القادر على كل شيء * والغاب عليه * وأخذ الذين ظلموا الصيحة
فصحبوا في ديارهم جائين * قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف * كأن لم يغنوا فيها
ألا ان ثمودا كفروا رجم * نونه ابوبكر ههنا وفي التميمي والسباني في جمع القرآن
وابن كثير ونافع وابن عمر وابوعمر و في قوله * الأبدانثود * ذهابا الى الحى
أوالاب الاكبر * ولقد جات رسلنا ابراهيم * يعني الملائكة قبل كنو اتسعة وقبل ثلاثة
جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام * بالبشرى * بشارة الولد وقبل بهلاك

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا * أي بنعمة منابان هديناهم الى الايمان فامنوا
* ومن خزي يومئذ * يعني ونجينا من عذاب يومئذ * خزي لان في خزي الكافرين
* ان ربك * الخطاب لاني صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد * هو القوي *
يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين * (العزير) * يعني القاهر الذي
لا يغلبه شيء * ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى * وأخذ الذين ظلموا *
يعني أنفسهم بالكفر * الصيحة * وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا
جميعا وقبل انهم صيحة من السماء فيها صوت كل صائقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت
قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا * (فصحبوا في ديارهم جائين) * يعني صرعى هلكي * كأن لم
يغنوا فيها * يعني كان لم يقبوا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقابل غيب
بالمكان اذا أتته وأتت به * ألا ان ثمودا كفروا رجم الأبدانثود * وهذه القصص
قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف * قوله عز وجل * ولقد جات رسلنا
ابراهيم بالبشرى * أراد بالرسول الملائكة واختافوا في عددهم فقال ابن عباس
وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل
كانوا اثني عشر ملكا وقل محمد بن كعب القرظي كان جبريل و معه سبعة أملاك
وقال السدي كانوا أحد عشر ملكا على صور القامان الحسنان الوجوه وقول ابن
عباس هو الاولى لان أنل الجع ثلاثة وتوله رسلنا جمع فيعمل على الاقل وما بعده
غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة باسمحق وبعقوب وقبل باهلاك قوم لوط

(قالوا)

ملكاً (ابراهيم بالبشرى) هي البشارة بالولد أو بهلاك

نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة) بنعمة (منا ومن خزي يومئذ) من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوي) بنجاة أوليائه (العزير)
بنعمة أعدائه (وأخذ الذين ظلموا) أشركوا (الصيحة) العذاب (فصحبوا في ديارهم) مساكنهم (جائين) ميتين لا يتحركون في أي
صاروا رمادا (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يكونوا في الارض قط (ألا ان ثمودا) قوم صالح (كفروا رجم) كفروا ببرهم (الأبدانثود)
اقوم صالح من رحمة الله (ولقد جات رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة اثنا عشر ملكا (ابراهيم) الى ابراهيم (البشرى) بالبشارة

قوم لوط والاول اظهر (قلوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قل سلام) أمركم سلام سلم جزوة وعلى بمعنى السلام (فألبث أن جاء بعجل) فألبث في الحجى به بل بعجل فيه ﴿ ٣٤١ ﴾ أو فألبث بحجته { سورة هود } والجبل ولد البقرة وكان

مال ابراهيم البقر (حنيد)
مشوى بالحجارة المحماة
(فلما رأى أيديهم لاتصل
اليه نكرهم) نكروا ونكر
بمعنى وكانت عادتهم أنه
اذا من من يطرقهم طعامهم
أمنوه والاخافوه والظاهر
أنه أحسن بانهم ملائكة
ونكرهم لانه نخوف أن
يكون نزولهم لامر أنكره
الله عليه أول تعذيب قومه
دليله قوله (وأوجس منهم
خيفة) أي أضمر منهم خوفا
(قلوا لاتخف انا أرسلنا
الى قوم لوط) بالعذاب
وانما قال هذا لمن عرفهم
ولم يعرف فيم أرسلوا
وانما قالوا لاتخف لانهم
رأوا أثر الخوف والتغير
في وجهه (وامرأته قائمة)
وراء الستر تسمع محاورهم
أو على رؤسهم تخدمهم
(فضحكت) سرورا بزوال

له بالولد (قالوا سلاما)
سلموا على ابراهيم حين
دخلوا عليه (قال سلام) رد
عليهم السلام وان قرأت سلم
يقول امرى سلم من السلامة
(فألبث) مكث ابراهيم ان
جاء بعجل) سمين (حنيد)
مشوى فوضعه بين أيديهم
(فلما رأى أيديهم لاتصل اليه)
الى طعامه لانهم لم يحتاجوا

قوم لوط ﴿ قلوا سلاما ﴾ سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما ﴿ قل سلام ﴾ أي أمركم سلام أو جواى سلام أو و عليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان حرم و حرام وقيل المراد به الصلح ﴿ فألبث ان جاء بعجل حنيد ﴾ فما ابطأ بحجته أوفيا ابطأ في الحجى به أوفيا تأخر عنه والجار في ان مقدر أو محذوف والحنيد المشوى بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا حرقته بالجلال لقوله بعجل سمين ﴿ فلما رأى أيديهم لاتصل اليه ﴾ لا يدون اليه أيديهم ﴿ نكرهم و اوجس منهم خيفة ﴾ انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكروا ونكر واستنكرو بمعنى والايحاس الادراك وقيل الاضمار ﴿ قالوا ﴾ لهلما احسوا منه اثر الخوف ﴿ لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط ﴾ انا ملائكة مرسله اليهم بالعذاب وانما لم تعد اليه أيدينا لاننا نأكل ﴿ وامرأته قائمة ﴾ وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة ﴿ فضحكت ﴾ سرورا بزوال الخيفة

﴿ قلوا سلاما ﴾ يعنى ان الملائكة سلموا سلاما ﴿ قال ﴾ يعنى لهم ابراهيم ﴿ سلام ﴾ أى عليكم أو أمركم سلام ﴿ فألبث أن جاء بعجل حنيد ﴾ يعنى مشويا والحنيد هو المشوى على الحجارة المحماة فى حفرة من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاعتم لذلك وكان يجب الضيف ولا يأكل الامعه فلما جاءت الملائكة رأى أيضا قال لم ير مثله قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوى ﴿ فلما رأى أيديهم ﴾ يعنى أيدي الاضياف ﴿ لاتصل اليه ﴾ يعنى الى الجبل المشوى ﴿ نكرهم ﴾ يعنى أنكروهم وأنكر حالهم وانما أنكروا حالهم لامتناعهم من الطعام ﴿ و اوجس منهم خيفة ﴾ يعنى ووقع فى قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة فى اول الامر ويدل على صحة هذا أنه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما قدمه اليهم لعله ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام ﴿ قالوا لاتخف ﴾ يا ابراهيم ﴿ انا ﴾ ملائكة الله ﴿ أرسلنا الى قوم لوط وامرأته ﴾ يعنى سارة زوجة ابراهيم وهى ابنة هاران بن ناحور أو هى ابنة عم ابراهيم ﴿ قائمة ﴾ يعنى من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل و ابراهيم جالس معهم ﴿ فضحكت ﴾

الى طعام (نكرهم) أنكروهم ذلك (وأوجس منهم خيفة) أو وقع في نفسه خوفا منهم وظن أنهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لاتخف) من ابراهيم (انا أرسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (وامرأته) سارة (قائمة) بالخدمة (فضحكت) تعجبت من خوف

أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطا فاني
اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال
وعهدى بسلى ضاحكا في لبابة * ولم تعد حقا نديها ان تحلما
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها * وقرى بفتح

أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت
مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور الجرد وفي التعجب الجرد أيضا
والعلماء في تفسير هذا الضحك قولان * أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر
المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب إبراهيم الطعام
الى أضيافه فلم يأكلوا خاف إبراهيم منهم فقال ألتأكلون فقالوا انا لاناأكل
طعاما الا بئس قال فان له ثمنا قالوا ومائنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدهونه
على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ ربه خليلا فلما رأى
إبراهيم وسارة ايديهم لاتصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيفنا نخدعهم
بانفسنا تكرمه لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط
وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو
فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن إبراهيم
وذلك انها خافت لخوفه فحين قالوا لاتخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا
بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها
وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسمع
فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لإبراهيم اضمم إليك ابن أخيك لوطا
فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بهذا بهم سرت سارة بذلك
وضحكت لموافقة ما ظنت * القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد
أى حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت
ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى
حاضت وانما ذكر ذلك تنصيحا لحالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحبيضا
في الوقت لتعلم أن جلها ليس بمنكر لان المرأة مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء
ضحكت بمعنى حاضت لم نسمة من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت
وقال ابن الانباري قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد
عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع لقتلي هذيل * وترى الذئب بها يستل

فالأراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أى طمشت وحيكى
الازهرى عن بعضهم في قوله فضحكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحاك
الطلمة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

الخيفة أو بهلاك أهل
الخبائث أو من غفلة قوم
لوط مع قرب العذاب
أو فحاضت

إبراهيم من اضيافه

(فبشرناها باسمحق)

وخصت بالبشارة لان
النساء أعظم سرورا بالولد
من الرجال ولانه لم يكن
لها ولد وكان لابراهيم ولد
وهو اسمعيل (ومن وراء
اسمحق) ومن بعده (يعقوب)
بالنصب شامى وحجزة
وحفص بفعل مضمر دل
عليه فبشرناها اي فبشرناها
باسمحق ووهبناها ليعقوب من
وراء اسمحق وبالرفع غيرهم
على الابتداء والظرف قبله
خبر كما تقول في الدار زيد
(قالت ياويلتا) الالف مبدلة

من ياء الاضافة وقرأ الحسن
ياويلتى بالياء على الاصل
(ألدوانا عجوز) ابنة
تسعين سنة (وهذا بعلى
شيخا) ابن مائة وعشرين
سنة هذا مبتدأ وبعلى خبر
وشيخا حال والعامل معنى
الاشارة التى دلت عليه
ذأ ومعنى التنبيه الذى دل

(فبشرناها باسمحق ومن
وراء اسمحق يعقوب)
ولد الولد فضحكت فحاضت
مقدم ومؤخر (قالت
ياويلتى ألدوانا عجوز)
بنت ثمان وتسعين سنة
للعجوز الكبيرة ولد كيف
هذا (وهذا بعلى) زوجى
ابراهيم (شيخا) ابن تسع
وتسعين سنة

الحاء ﴿ فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب ﴾ نصبه ابن عامر وحجزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسمحق يعقوب وقيل انه
معطوف على موضع باسمحق أو على لفظ اسمحق وقمته للجرفانه غير منصرف ورد للفضل
بينه وبين ما عطف عليه بالظرف ﴿ وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف
أى ويعقوب مولود من بعده وقيل الراء ولد الولد وعلله سمي به لانه بعد الولد وعلى
هذا تكون اضافته الى اسمحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء
ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيمي ويحتمل
وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسمياه وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد
المبشربه يكون منها ولانها كانت هقيمة حريصة على الولد ﴿ قالت ياويلتا ﴾ يا عجباً
واصله فى الشر فاطلق على كل امر فظيع وقرىء بالياء على الاصل ﴿ ألد وانا عجوز ﴾
ابنة تسعين أو تسع وتسعين ﴿ وهذا بعلى ﴾ زوجى واصله القائم بالامر ﴿ شيخا ﴾
ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة ﴿ وقرىء
بالرفع على انه خبر محذوف أى هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلى بدل

تضحك الضبع من دماء سليم * اذراتها على الحراب تمور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت
فبشرناها باسمحق وضحكت الارنب ضحكا يعنى حاضت حياضاً قال

وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم الالقا

يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكر أن يكون الضحك بمعنى الحيض
قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد
الشاعر تكشراً ل كل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حياضاً وقيل معناه
انها تستبشر بالقتلى فهز بعضها على بعض فجعل هزيزها ضحكا وقيل لانها تسربهم
فجعل سرورها ضحكا فان قلت أى القواين أصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى
عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالله أعلم أى ذلك كان * وقوله سبحانه
تعالى ﴿ فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب ﴾ يعنى ومن بعد اسمحق يعقوب وهو ولد
الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها
أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تبججا ﴿ قالت
ياويلتا ﴾ نداء ندبة وأصلها ياويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب
منه مثل يا عجباً ﴿ ألدوانا عجوز ﴾ وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسمحق
وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة ﴿ وهذا بعلى ﴾ يعنى زوجى والبعلى
هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائماً بامرها سمي بعلا
لذلك ﴿ شيخا ﴾ وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن اسمحق

عليه هذا (ان هذا لشيء عجب) أن يولد ولد من هر مین وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أنجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادة فكان عليها أن تنوقر ولا يزد عليها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتحمده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته { الجزء الثاني عشر } عليكم أهل البيت) ﴿ ٣٤٤ ﴾ أرادوا ان هذه وأمثالها ما يكرمكم

به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولدا ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه جيد) محمود بتعجيل النعم (مجيد) ظاهر الكرم بتأجيل النعم (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين نكر أضيفه (وجاءته البشرية) بالولد (يجادلنا في قوم لوط) أي لما اطمان قلبه بعد الخوف وملى سرورا بسبب البشرية فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل مجادلنا أو يجادلنا جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انما يهلكوا أهل

﴿ ان هذا لشيء عجب ﴾ يعني الولد من هر مین وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قالوا أنجبين من أمر الله ﴾ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴿ منكرين عليها ﴾ فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس بدع ولا حتميق بان يستغربه عاقل فضا لا عن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لتقصده التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايها العصاة ﴿ انه جيد ﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد ﴿ مجيد ﴾ كثير الخير والاحسان ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروح ﴾ أي ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم ﴿ وجاءته البشرية ﴾ بدت ازوع ﴿ يجادلنا في قوم لوط ﴾ يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال أولانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل

وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة ﴿ ان هذا لشيء عجب ﴾ لم تشكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما ﴿ قالوا ﴾ يعني قالت الملائكة لسارة ﴿ أنجبين من أمر الله ﴾ معناه لا تعجبي من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء فاذا أراد شيئا كان سريرا ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته ﴿ انه جيد ﴾ يعني هو الحمود الذي يحمد على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال ﴿ مجيد ﴾ ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل الحمد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذوالشرف والكرم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروح ﴾ يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل ﴿ وجاءته البشرية ﴾ يعني زال عنه الخوف بسبب البشرية التي جاءته وهي البشارة بالولد ﴿ يجادلنا ﴾ فيه اضممار تقديره أخذ يجادلنا أو جعل يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا ﴿ في قوم لوط ﴾ لان العبد لا يقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرايتم

هذه القرية فقال أرايتم لو كان بها خسون مؤمنا أهلها كانوا قالوا لا قالوا فاربعون قالوا الا قالوا فقالوا لا قالوا حتى بلغ (لو كان) العشرة قالوا الا قالوا أرايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أهلها كانوا قالوا الا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها نجيبه وأهله

(ان هذا لشيء عجب) عجب (قالوا) لها (أنجبين من أمر الله) من قدرة الله (رحمة الله وبركاته) (عليكم أهل البيت) ابراهيم (انه جيد) (بإعالكم) (مجيد) كريم بكم بولد صالح (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) (الخوف) (وجاءته البشرية) (بشارة بالولد) (يجادلنا) (يخاصمنا) (في قوم لوط) (في هلاك قوم لوط)

(ان ابراهيم الحليم) غير عجول على كل من أساء اليه أو كثير الاحتمال من آذاه الصفوح عن عصاه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب) تائب راجع الى الله وهذه ﴿ ٣٤٥ ﴾ الصفات دالة { سورة هود } على رقة القلب والرأفة

والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا عليهم يحدثون التوبة كاحله على الاستغفار لايه فقالت الملائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك (انه قد جاء أمر ربك) قضاؤه وحكمه (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم ثم تقديره وانهم يأتيهم ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أنوه ورأى هياتهم وجالهم (سئ بهم) أحزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبت قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) تمييزاً لى وضاق بمكانهم صدره

(ان ابراهيم الحليم) عن الجهل (أواه) رحيم (منيب) مقبل الى الله (يا ابراهيم) أعرض عن هذا (عن جدالك هذا) انه قد جاء أمر ربك

اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ أو اقبل يجادلنا ﴿ ان ابراهيم الحليم ﴾ غير عجول على الانتقام من المسمى اليه ﴿ أواه ﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس ﴿ منيب ﴾ راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترجمه ﴿ يا ابراهيم ﴾ على ارادة القول أى قالت الملائكة يا ابراهيم ﴿ اعرض عن هذا ﴾ الجدال ﴿ انه قد جاء أمر ربك ﴾ قدره بمقتضى قضاؤه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم ﴿ وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ مصروف بجدال ولادعاء ولا غير ذلك ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم ﴾ ساء مجيئهم لانهم جاؤه في صورة غلمان فظن انهم انس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض

لو كان في مدائن قوم لوط خسون رجلا من المؤمنين أهل كونها قالوا الاقال فاربعون قالوا الاقال فثلاثون قالوا الاقال فمال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أهل كونها قالوا الاقال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها لننجينه وأهله الامر أنه كانت من العابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج كان في قرى قوم لوط أربعة آلاف مقاتل ﴿ ان ابراهيم الحليم أواه منيب ﴾ تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة ل ابراهيم ﴿ يا ابراهيم أعرض عن هذا ﴾ يعنى أعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال ﴿ انه قد جاء أمر ربك ﴾ يعنى ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ يعنى ان العذاب الذى نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولما جاءت رسلنا لوطا ﴿ يعنى هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه ﴿ سئ بهم ﴾ يعنى أحزن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع ببديه في سيره ذرعا على قدر سرعة خطوه فاذا حل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومدعنته فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرعا اذ لم يجدهم من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يتصدوهم بمكروه

عذاب ربك بهلاك قوم لوط (وانهم آتيهم) (قاو خاء ع لث) يأتيهم (عذاب غير مردود) غير مصروف عنهم (ولما جاءت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة (لوطا) الى لوط (سئ بهم) ساء مجيئهم (وضاق بهم) اعتم بمجيئهم (ذرعا) اعتما شديدا خاف عليهم من

(وقال هذا يوم عصيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما { الجزء الثاني عشر } بلغكم ﴿ ٣٤٦ ﴾ أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم

قال أشهد بالله انها لشرقية في الارض عملا قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى صرنا عليها وقل عندهم استباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتي) فتزوجهن أراد أن يني أضيافه بناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذا الأمة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد لوط أن يزوجهما ابنته

صنيع قومه (وقال) في نفسه (هذا يوم عصيب) شديد على (وجاءه قومه) قوم لوط

للعجز عن مدافعة المكروه والاحتياط فيه ﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ شديد من عصبه اذاشده ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ﴿ ومن قبل ﴾ ومن قبل ذلك الوقت ﴿ كانوا يعملون السيئات ﴾ الفواحش فمترنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين ﴿ قل يا قوم هؤلاء بناتي ﴾ فدى بهن اضيافه كرم او حمية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لالحرمات المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ أو مبالغة في تناسه خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له و قيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابواته من حيث

أوفاحشة وعلم انه سيجتاج الى المدافعة عنهم ﴿ وقال ﴾ يعني لوطا ﴿ هذا يوم عصيب ﴾ أى شديد كأنه قد عصب به الشر والبلاء أى شديده مأخوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرضه وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشرقية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتعاضروا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتعاضروا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أو لاحتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهرع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخب والجز ﴿ ومن قبل ﴾ يعني ومن قبل مجيء الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط ﴿ كانوا يعملون السيئات ﴾ يعني الفعالت الخبيثة والفاحشة القبيحة وهى اتيان الرجال في أدبارهم ﴿ قال ﴾ يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من نبي آدم ﴿ يا قوم هؤلاء بناتي ﴾ يعني أزواجكم ايهن وفي اضيافه بناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لان كل نبي ابواته وهو كالوالد لهم وهذا

(يهرعون اليه) يسرعون الى داره ويهرولون هرولة (ومن قبل) أى ومن قبل مجيء جبريل (كانوا يعملون) (القول) (السيئات) علمهم الخبيث (قال) لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتي) ويقال بنات قومي

(هن أظهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبنائى عطف بيان وهن فصل وأظهر خبر المبتدأ أو بنائى خبر وهن أظهر مبتدأ وخبر (فاتقوا الله) بإيثار هن عليهم (ولا ﴿ ٣٤٧ ﴾ تخزون) { سورة هود } ولا تمنوني ولا تفضحوني من الخزي

أو ولا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء وبالياء أبو
عمرو في الوصل (في ضيفي)
في حق ضيوفي فانه اذا
خزي ضيف الرجل أو
جازه فقد خزي الرجل
وذلك من عراقة الكرم
واصل المروءة (أليس منك
رجل رشيد) أى رجل
واحد يهتدى الى طريق
الحق وفعل الجليل والكف
عن السوء (قالوا لقد علمت
مالنا في بناتك من حق)
حاجة لان نكاح الاناث
أمر خارج عن مذهبنا
فذهبنا آتيان الذكران
(وانك تعلم ما نريد) عنوا
آتيان الذكور ومالهم فيه
من الشهوة (قال لو أنى
بكم قوة أو آوى الى ركن
شديد) جواب لو محذوف
أى لفعلت بكم ولصنعت
والمعنى لو قويت عليكم

(هن أظهر لكم) أنا أزوجهكم
(فاتقوا الله) فأخشوا الله
في الحرام (ولا تخزون في
ضيبي) لا تفضحوني في أضيبي
(أليس منك رجل رشيد)
يدلهم على الصواب ويأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن
المنكر (قالوا لقد علمت)

الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم ﴿ هن اظهر لكم ﴾ انظف فعلا أو اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المنصوب واحل منه وقرى اظهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بنائى كقولك هذا اخى هو لافصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها ﴿ فاتقوا الله ﴾ بترك الفواحش أو بإيثار هن عليهم ﴿ ولا تخزون ﴾ ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء ﴿ في ضيفي ﴾ في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزأوه ﴿ أليس منك رجل رشيد ﴾ يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح ﴿ قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق ﴾ من حاجة ﴿ وانك لتعلم ما نريد ﴾ وهو آتيان الذكران ﴿ قال لو ان لى بكم قوة ﴾ لو قويت بنفسى على دفعكم ﴿ أو آوى الى ركن شديد ﴾ الى قوى اتنخبه عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرى

القول هو الصحيح وأشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكا فيتين للجماعة قول ليس من المروءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن ايهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل المدفع لقومه لاعلى سبيل التحميق ﴿ وفي قوله ﴾ (هن أظهر لكم) سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أظهر لكم من باب أفعل التفضيل فيتمضى أن يكون الذى يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن أظهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزالا أم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعلى وأجل اذ لمائلة بين الله عز وجل والصم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظار كثيرة ﴿ وقوله ﴾ (فاتقوا الله) يعنى خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان ﴿ ولا تخزون في ضيفي ﴾ يعنى ولا تسوؤنى في أضيبي ولا تفضحوني معهم ﴿ أليس منك رجل رشيد ﴾ أى صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لاله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح ﴿ قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق ﴾ يعنى ليس لنا بهن حاجة ولاننا فيهن شهرة وقيل معناه ليست بناتك لنا بازواج ولا مستحتمين نكاحهن وقيل معناه مالنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك ﴿ وانك تعلم ما نريد ﴾ يعنى من آتيان الرجال فى أديارهم فعند ذلك ﴿ قال ﴾ لوط عليه السلام ﴿ لو أنى لى بكم قوة ﴾ أى لو انى أقدر أن أتقوى عليكم ﴿ أو آوى الى ركن شديد ﴾ يعنى أو أنضم الى عشيرة ينعونى منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة

يا لوط (مالنا في بناتك من حق) من حاجة (وانك تعلم ما نريد) يعنون عملهم الخبيث (قال) لوط في نفسه لو أنى لى بكم قوة (بالبدن والولد) (أو آوى) أقدر أن أرجع (الى ركن شديد) الى عشيرة كثيرة لمنعت نفسى منكم فلما علم

بنفسى أو أويت الى قوى أستند اليه وأتمنع به فيمحميني منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روى انه أغلق بابيه حين جاؤا وجعل { الجزء الثاني عشر } يرادهم ما حكى ﴿ ٣٤٨ ﴾ الله عنه ويجادلهم قسوروا الجدار

فلما رأت الملائكة مالتى لوط من الكرب (قالوا يالوط) ان ركنك لشديد (انارسل ربك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فاعمهم كما قال الله

أو آوى بالنصب على اضمار ان كأنه قال لو ان لي بكم قوة أو أويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتم روى انه اغلق بابيه دون اضيفه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب ﴿ قالوا يالوط انارسل ربك ان يصلوا اليك ﴾ ان يصلوا الى اضراكم باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم واعمهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة ﴿ فاسر باهلك ﴾ بالقطع من الاسراء * قرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى ﴿ بقطع من الليل ﴾ بطائفة منه ﴿ ولا يلتفت منكم احد ﴾ ولا يتخلف أو لا ينظر الى ورائه والنهى في اللفظ لاحد في المعنى للوط ﴿ الامر أنك ﴾ استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ

تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان بيت لوط قوما سحرة (لن يصلوا اليك) جلة موضحة لتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره (فاسر) بالوصل مجازى من سرى (باهلك بقطع من الليل) طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم احد) بقلبه الى ما خلف أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم احد (الامر أنك)

لا انضمت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولوليت في السجين ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لاجبته قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركار وأقواها وأمنها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيفه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسى أو آوى الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيفه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابيه والملائكة معه في الدار وجعل ينظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت الملائكة مالتى لوط بسببهم ﴿ قالوا يالوط ﴾ ركنك شديد ﴿ انا رسل ربك لن يصلوا اليك ﴾ يعنى بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الشيايا أجلى الجبين ورأسه حباك مثل المرجان كأنه كالثلج بيضا وقدماء الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم واعمهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يالوط كما أنت حتى تصبح وسترى ماتلقى مناغدا يوعدهونه بذلك ﴿ فاسر باهلك ﴾ يعنى بيتك ﴿ بقطع من الليل ﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضى أوله وقيل انه السحر الاول ﴿ ولا يلتفت منكم احد ﴾ يعنى ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه ﴿ الامر أنك ﴾ فانها

جبريل والملائكة خوف لوط من تهديد قومه (قالوا يالوط انارسل ربك لن يصلوا اليك) بالهالك نحن نهلكهم (فاسر بأهلك) فسر بأهلك ويقال أدج لهم (بقطع من الليل) في بعض

من الليل آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) لا يتخلف منكم (أحد الامر أنك) واعلة المناققة (من)

مستثنى من فاسر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد وفي آخرها جهامع أهله رواه ابن روى أنه أخرجهامعهم
وأمر أن لا يلتفت منهم أحدا لاهى فلما سمعت ﴿٣٤٩﴾ هدة العذاب { سورة هود } التفت وقالت يا قوم ما فادركها

حجر فقتلها وروى أنه
أمر بان يخلفها مع قومها
فان هواها اليهم فلم يسربها
واختلاف القراءتين
لاختلاف الروايتين (انه
مصيبيها ما أصابهم) أى ان
الامر وروى أنه قال لهم متى
موعد هلاككم قالوا (ان
موعدهم الصبح) فقال أريد
أسرع من ذلك فقالوا
(أليس الصبح بقريب فلما
جاء أمرنا جعلنا عاليها
سافلها) جعل جبريل
عليه السلام جناحه في
أسفلها أى أسفل قراها
ثم رفعها الى السماء حتى
سمع أهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم
قلبا عليهم واتبوا الحجارة
من فوقهم وذلك قوله
(وأمرنا عليها حجارة من
سجبل) هى كلمة معربة
من «سككل» بدليل قوله
(انه مصيبيها) سيصبيها
(ما أصابهم) ما يصيبهم
من العذاب (ان موعدهم)
بالهلاك (الصبح) عند
الصبح قال لوط الآن
يا جبريل قال جبريل يا لوط
(أليس الصبح بقريب)
لانراه ولم يروى (فلما
جاء أمرنا) عذابنا هلاكهم
(جعلنا عاليها سافلها) قلينا

فاسر بأهلك بقطع من الليل الامر أنك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالخلف فانه
ان فسر بالنظر الى الورا في الذهب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو وبالرفع على
البدل من احد ولا يجوز جل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها
أو أخرجهما فلما سمعت صوت العذاب التفت وقالت يا قوم ما فادركها حجر فقتلها لان
القواطع لا يصح جعلها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله
ولا يلتفت مثله في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الاصحح
ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستئناف بقوله ﴿انه مصيبيها ما أصابهم﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ﴿ان موعدهم الصبح﴾ كأنه علة الامر بالاسراء ﴿أليس الصبح بقريب﴾
جواب لاستعجال لوط واستعجاب العذاب ﴿فلما جاء أمرنا﴾ عذابنا أو أمرنا به
ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسبا عنه بقوله ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه
المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت
مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
﴿وامطرنا عليها﴾ على المدن أو على شذاها ﴿حجارة من سجبل﴾ من طين متحجر
لقوله حجارة من طين واصله «سككل» فعرّب وقيل انه من اسجبل اذا ارسله وأدر عطيته

من الملتفات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿انه مصيبيها ما
أصابهم﴾ فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ﴿ان موعدهم الصبح﴾ قال لوط
انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له ﴿أليس الصبح بقريب﴾ فلما خرج لوط من
قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامراته فانها لما سمعت
هدة العذاب وهو نازل بهم التفت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم
﴿فلما جاء أمرنا﴾ يعنى أمرنا بالعذاب ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ وذلك ان جبريل
عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهى خمس مدائن أكبرها سدوم
وهى المؤسكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربعة
آلاف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح
الكلاب لم يكف لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ﴿وامطرنا
عليها﴾ يعنى على شذاها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعدما قلبها أمطر عليهم
﴿حجارة من سجبل﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه «سككل» فارسى معرب
لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسى صازغة للعرب ولا يضاف الى الفارسى مثل
قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فاسية تكلمت بها العرب
واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجبل الطين دليله قوله

وجعلنا أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها (وامطرنا عليها) على شذاها ومسافريها (حجارة من سجبل) من سبخ ووحل مثل الآجر ويقال

حجارة من طين (منضود) { الجزء الثاني عشر } نعت لسجيل ﴿ ٣٥٠ ﴾ أى متابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة)

نعت لحجارة أى معلمة للعذاب
قيل مكتوب على كل واحد
اسم من يرمى به (عند ربك)
في خزائنه أو في حكمه
(وماهى من الظالمين بعيد)
بشئ بعيد وفيه وعيد
لاهل مكة فان جبريل
عليه السلام قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعنى
ظلمى أمتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط
عليه من ساعة الى ساعة
أو الضمير للقرى أى هى
قريبة من ظالمى مكة يمرون
بها في مسائرهم (والى
مدين أخاهم شعيبا) هو
اسم مدينتهم أو اسم جدهم
مدين بن ابراهيم أى
وأرسلنا شعيبا الى ساكنى
مدين أو الى بنى مدين (قال
يا قوم اعبدوا الله مالكم
من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال) أى المكيال
بالمكيال (والميزان)
من سماء الدنيا (منضود)
متابع بعضها على أثر بعض
(مسومة) مخططة بالسواد و
الحجرة والبياض ويقال مكتوب
عليها اسم من هلك بها (عند
ربك) من عند ربك يا محمد تأتى
تلك الحجارة (وماهى)
يعنى الحجارة (من الظالمين
بعيد) لم تخطهم بل أصابتهم

والمعنى من مثل الشئ المرسل أو من مثل العطية في الادرار أو من السجيل أى مما كتب الله
ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين أى من جهنم فابذلت نونه لاما ﴿ منضود ﴾ نضد معدا
لعذابهم أو نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أو نضد بعضه على بعض،
وأصق به ﴿ مسومة ﴾ معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وجره أو بسما تميزه عن حجارة
الارض أو باسم من يرمى بها ﴿ عند ربك ﴾ في خزائنه ﴿ وماهى من الظالمين بعيد ﴾
فانهم بظلمهم حقيق بان يعطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه
سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظلمى أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط
عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها
في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان ﴿ والى مدين اخاهم
شعيبا ﴾ ازاد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو اهل مدين وهو بلد بناء فسمى باسمه
﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ امرهم

في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل
الحجارة طين فشدت وقال الضمك يعنى الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل
هو جبل في سماء الدنيا ﴿ منضود ﴾ قال ابن عباس متابع يتبع بعضها بعضا مفعول
من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض ﴿ مسومة عند ربك ﴾ صفة للحجارة
يعنى معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشا كل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة
عليها خطوط حجر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مخنومة عليها أمثال
الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أى على كل حجر اسم صاحبه الذى يرمى به ﴿ وماهى ﴾
يعنى تلك الحجارة ﴿ من الظالمين ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ بعيد ﴾ قال قتادة وعكرمة
يعنى ظلمى هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظلما بعده وفى بعض الآثار ما من ظالم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ
قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء أربعين يوما
حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه ﴿ قوله عز وجل
﴿ والى مدين ﴾ يعنى وأرسلنا الى مدين ﴿ أخاهم شعيبا ﴾ مدين اسم لابن ابراهيم
الخليل عليه السلام ثم صار اسم القبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين
ابن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا الى أهل مدين فحذف المضاف للدلالة
الكلام عليه ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ يعنى وحدوا الله ولا تعبدوا
معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت
الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله مالكم من اله غيره
ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرح فياهم فيه ولما كان المعتاد من أهل مدين البنس
في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهى تطفيف الكيل والوزن
فقال ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ النقص فى الكيل والوزن على وجهين أحدهما

ويقال ماهى من ظلمى أمتك بعيد من يقتدى بهم أى يفعلهم (والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم) بينهم (شعيبا قال (ان)
يا قوم اعبدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى أمركم ان تؤمنوا به (ولا تنقصوا المكيال والميزان) أى حقوق الناس

أوأراكم بنعمة من الله
حقها أن تقابل بغير ما تقبلون
(وانى أخاف عليكم عذاب
يوم محيظ) مهلك من قوله
وأحيظ بثمره وأصله
من احاطة العدو والمراد
عذاب الاستئصال فى الدنيا
أو عذاب الآخرة (وياقوم
أوفوا المكيال والميزان)
أتموها (بالقسط) بالعدل نوا
أولاعن عين القبيح الذى
كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان ثم ورد الامر
بالايفاء الذى هو حسن
فى العقول لزيادة الترغيب
فيه وحى به مقيدا بالقسط
أى ليكن الايفاء على وجه
العدل والتسوية من غير
زيادة ولا نقصان (ولا
تبغسوا الناس اشياءهم)
النجس النقص كانوا
ينقصون من أمان ما
يشترون من الاشياء فها

بالكيل والوزون (انى
أراكم بخير) بسعة ومال
ورخص السعر (وانى
أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا به
ولم توفوا بالكيل والوزن
(عذاب يوم محيظ) يحيط بكم
ولاينقلت منكم أحد من
القحط والجذوبة وغير
ذلك (وياقوم أوفوا المكيال
والميزان) أى أتموا الكيل

بالتوحيد اولافانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من النجس المنافى للعدل المخل بحكمة
التعاض ﴿ انى أراكم بخير ﴾ بسعة تفنيكم عن النجس أو بنعمة حقها ان تفضلوا على
الناس شكرا عليها لان تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلونها بما اتم عليه وهو فى الجملة
علة النهى ﴿ وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيظ ﴾ لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب
مهلك من قوله واحيظ بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف
اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾
صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتبيينها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم
التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لايتأتى دونها ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل
والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأوربه وقد
يكون محظورا ﴿ ولا تبغسوا الناس اشياءهم ﴾ تعميم بمد تخصيص فانه اعم من ان يكون

ان يكون الاستنقص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء
الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصا فى مال الغير وكلا الوجهين
مذموم فلهدا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿ انى أراكم
بخير ﴾ قال ابن عباس كانوا موسرين فى نعمة وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة
فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النعمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا
وهو قوله ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيظ ﴾ يعنى يحيط بكم فيها سلككم
جميعا وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه
وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾ أى أتموها
ولا تطففوا فيها ﴿ بالقسط ﴾ أى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل
المكيال ﴿ ولا تبغسوا الناس ﴾ أى ولا تنقصوا الناس ﴿ اشياءهم ﴾ يعنى اموالهم فان
قلت وقد وقع التكرار فى هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان
ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبغسوا الناس اشياءهم وهذا عين
ما تقدم فالقائدة فى هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو
تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج فى المنع منه الى المبالغة فى التأكيد والتكرار
يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكد لهذا كردد ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل
ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر
بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له لقائل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم
على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قديحوزان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء الكيل
والوزن فلهدا جمع بينهما فهو كقولك صل رحك ولا تقطعها فتريد المبالغة فى الامر والنهى
وأما قوله نأيا ولا تبغسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير أيضا لانه سبحانه وتعالى لما خصص
النهى عن التنقيص والامر بايفاء الحق فى الكيل والوزن عم الحكم فى جميع الاشياء التى يجب
ايفاء الحق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان قاندة التكرار

والميزان) أى أتموا الكيل والوزن (بالقسط) بالعدل (ولا تبغسوا الناس اشياءهم) لا تنقصوا حقوق الناس

عن ذلك (ولا تعشوا في الارض مفسدين) العنى والعبث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل
 البنس والتطيف عثامهم في الارض (بقيت الله) ما يسبق لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم
 ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا ببقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلمون معها من تبعه البنس والتطيف الا ان فائدتها
 تظهر مع الايمان من حصول { الجزء الثاني عشر } الثواب مع النجاة ﴿ ٣٥٢ ﴾ من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس

صاحبها في غمرات
 الكفر وفي ذلك تعظيم
 للايمان وتبنيه على جلالته
 شأنه أو المراد ان كنتم
 مصدقين لي فيما أقول لكم
 وأنصح به اياكم (وما أنا
 عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم
 فاخفظوها بترك البنس (قالوا
 يا شعيب أصلوتك) وبالتوحيد
 كوفي غير أبي بكر (تأمرك
 أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن
 نفعل في أموالنا ما نشاء)
 كان شعيب عليه السلام كثير
 الصلوات وكان قومه يقولون
 له ما تستفيد بهذا فكان يقول
 انها تأمر بالحسن وتنهى
 عن القبائح فقالوا له على وجه
 الاستهزاء أصلواتك تأمرك
 أن تأمرنا بترك عبادة ما كان
 يعبد آباؤنا أو أن تترك
 التبسط في أموالنا ما نشاء
 من ايفاء ونقص وجاز أن
 تكون الصلوات أمرة مجازا
 كما سماها الله تعالى ناهية مجازا
 بالكيل والوزن (ولا تعشوا
 في الارض مفسدين)
 لا تعملوا في الارض بالفساد

في المقدار أو في غيره وكذا قوله ﴿ ولا تعشوا في الارض مفسدين ﴾ فان العشويتم تنقيص
 الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبنس المكس كاخذ العشور من المعاملات
 والعشو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحلال اخراج ما يقصده الاصلاح كإفعله
 الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعشوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم
 ﴿ بقية الله ﴾ ما بقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم ﴿ خير لكم ﴾ مما
 تجمعون بالتطيف ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بشرط ان تؤمنوا فان خيرتها باستتباع
 الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أو ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية
 الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ بقية الله بالياء وهي تقواه التي تكف عن
 المعاصي ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ احفظكم عن القبائح أو احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم
 عليها وانما أنا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت أولست بحافظ عليكم نعم الله لو لم
 تتركوا سوء صنيعكم ﴿ قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ﴾ من الاصنام
 اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا
 يدعو اليه داع عقلي وانعادك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب
 كثير الصلاة فلذلك جمعا وخصوصا الصلوة بالذكر وقرأ أجزاء الكسائي وحفص على الافراد
 والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف ان تترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
 ﴿ أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ عطف على ما أي وان تترك فعلنا ما نشاء في أموالنا وقرئ
 بالياء فيهما على ان العطف على ان تترك وهو جواب النهي عن التطيف والامر بالايفاء

والله أعلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ولا تعشوا في الارض مفسدين ﴿ يعني بتنقيص الكيل
 والوزن ومنع الناس حقوقهم ﴿ بقيت الله خير لكم ﴾ قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم
 من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطيف وقال مجاهد بقية الله
 يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما بقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما
 يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعني مصدقين بما قلت لكم و
 أمرتكم به ونهيتكم عنه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم
 شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم ﴿ قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ﴾
 يعني من الاصنام ﴿ أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس
 كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمررون به فيرونه يصلي فيستهزؤن

وبعبادة الاوثان ودعاء الناس اليها وبنس الكيل والوزن (بقيت الله) ثواب الله على وفاء الكيل والوزن (به)
 (خير لكم) ويقال ما يبقى الله لكم من الحلال خير لكم مما تجنسون بالكيل والوزن (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بما أقول لكم
 (وما أنا عليكم بحفيظ) بكفيل احفظكم لانه لم يكن مأمورا بقتالهم (قالوا يا شعيب اصلواتك) كثرة صلواتك (تأمرك
 أن تترك ما يعبد آباؤنا) من الاوثان (أو ان نفعل) لانفعل (في أموالنا ما نشاء) من البنس في الكيل والوزن

(انك لانت الحليم الرشيد) أي السفية الضال ﴿ ٣٥٣ ﴾ وهذه تسمية { سورة هود } على القلب استهزاء أو أنك

حليم رشيد عندنا ولست
تفعل بنا ما تقتضيه حالك
(قال يا قوم أرايتم ان كنت على
بينه من ربي ورزقي منه)
من لدنه (رزقا حسنا)
يعني النبوة والرسالة أو
ملا احلالا من غير نجس
وتظيف وجواب أرايتم
مخدوف أي اخبروني ان
كنت على سجة واضحة من
ربي وكنت نبيا على الحقيقة
أصبح لي أن لا أمركم بترك
عبادة الاوثان والكف
عن المعاصي والانياس
لا يسمون الا ذلك يقال خالفني
فلان لي كذا اذا قصده
وأنت مول عنه وخالفني عنه
اذ اولى عنه وأنت قاصده
ويلقاك الرجل صادر عن الماء
فتسأله عن صاحبه فيقول
خالفني الى الماء يريد أنه قد
ذهب اليه واردا وأنا
ذاهب عنه صادرا ومنه
قوله (وما أريدان أخالفكم
الى ما انها كم عنه) يعني أن
أسبقكم الى شهواتكم

(انك لانت الحليم الرشيد)
السفيه الضال استهزاء به
(قال يا قوم أرايتم ان كنت)
يقول اني (على بينه من ربي)
على بيان نزل من ربي
(ورزقي منه رزقا حسنا)
أكرمني بالنبوة والاسلام
وأعطاني ملا احلالا (وما

وقيل كان ينههم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك ﴿ انك لانت الحليم الرشيد ﴾
تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم
بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك ﴿ قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة
من ربي ﴾ اشارة الى ما آناه الله من العلم والنبوة ﴿ ورزقي منه رزقا حسنا ﴾ اشارة
الى ما آناه الله من المال الحلال وجواب الشرط مخدوف تقديره فهل يسع لي مع هذا
الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره
ونبيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في
منه لله أي من عنده وباعائه بلا كد مني في تحصيله ﴿ وما يريد ان اخالفكم الى ما انها كم
عنه ﴾ أي وما يريد ان آني ما انها كم عنه لاستبدبه دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم
اعرض عنه فضلا عن ان انهي عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصده وهو مول عنه

به ويقولون هذه المقالة وقال الاعشى أقرأك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل
المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك بأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء
وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب عليه السلام ينههم عن ذلك
ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم شعائر الدين ﴿ انك لانت الحليم
الرشيد ﴾ قال ابن عباس أرادوا السفية الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون
للديع سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابيه من الصحة ومعناه
انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحمدك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم ﴿ قال ﴾ يعني
قال لهم شعيب ﴿ يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ يعني على بصيرة وهداية وبيان
﴿ ورزقي منه رزقا حسنا ﴾ يعني حلالا قليل كان شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق
الحسن ما آناه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية مخدوف تقديره
أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني
مع هذه النعمة أن اخون في وحيه أو أن اخالف أمره أو أتبع الضلال أو أنجس الناس اشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى
فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة ﴿ وقوله ﴾ وما أريدان
أخالفكم الى ما انها كم عنه ﴿ قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت
مول عنه وخالفني عنه اذ اولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادر عن الماء فتسأله عن
صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد أنه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
وما أريدان أخالفكم الى ما انها كم عنه أي أن أسبقكم الى شقوتكم التي نهيتكم عنها لاستبدبها
دونكم وقال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا فيها بان حليم
رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الا صوب
الاصح فكأنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا أن الذي اخترته لنفسى هو

أريد ان أخالفكم الى ما انها كم عنه) (قا و خا ٤٥ لث) يقول ما يريدان افعل ما أنها كم عنه من الجس في الكيل والوزن

التي نهيتكم عنها الاستبد بها
دونكم (ان أريد الا
الاصلاح) ما اريد الأنا
أصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وأمرى بالمعروف
ونهي عن المنكر (ما استطعت)
ظرف أى مدة استطاعتى
للاصلاح وما دمت متمكنا
منه لا ألسوفيه جهدا
(وما توفيقى الا بالله) وما
كونى موفقا لاصابة الحق
فيما آتى وأزر الا بمعونته
وتأييده (عليه توكلت)
اعتمدت (واليه أنيب)
أرجع فى السراء والضراء
جرم مثل كسب فى تعديه
الى مفعول واحد والى
مفعولين ومنه قوله (ويا قوم
لا يجرمنكم شقاقى أن
يصيبيكم) أى لا يكسبكم
خلافى اصابة العذاب
(مثل ما أصاب قوم نوح
أو قوم هود أو قوم صالح
(ان أريد) ما أريد (الا
الاصلاح) العدل بالكيل
والوزن (ما استطعت وما
توفيقى) بوفاء الكيل والوزن
(الا بالله) من الله (عليه
توكلت) فوضت أمرى
اليه (واليه أنيب) اقبل
ويا قوم لا يجرمنكم)
يحملنكم (شقاقى) بغضى
وعداوتى حتى لا تؤمنوا
ولا توفوا بالكيل والوزن
(أن يصيبكم) فيصيبكم
(مثل ما أصاب قوم نوح)

وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ﴿ ان اريد الا اصلاح ما استطعت ﴾ ما اريد الا ان
اصلحكم بأمرى بالمعروف ونهى عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما تم عليه لما نهيتكم عنه وهلهه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو
التنبه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتية ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها
واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان أمركم
بما أمرتكم به وانها كم بما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل
من الاصلاح أى المقدر الذى استطعته أو اصلاح ما استطعته فحذف المضاف ﴿ وما
توفيقى الا بالله ﴾ وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الاهدائيه ومعونته ﴿ عليه
توكلت ﴾ فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ
﴿ واليه أنيب ﴾ اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا فيد الحصر بتقديم الصلة على الله
وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتية ويذره من الله تعالى والاستعانة
به فى مجامع امره والاقبال عليه بشرائره وحسم اطماع الكفشار و اظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم ﴾
لا يكسبنكم ﴿ شقاقى ﴾ معادى ﴿ ان يصيبكم ﴾ مثل ما أصاب قوم نوح ﴿ من الفرق
﴿ أو قوم هود ﴾ من الریح ﴿ أو قوم صالح ﴾ من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى

أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك الجنس والنقصان فأما مواظب
عليها غير تارك لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما أنتم عليه وقل الزجاج
معناه أنى لست أنها كم عن شئ وأدخل فيه انما أختار لكم ما أختار لنفسى وقال ابن الانبارى
بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك الجنس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه
ولا ينطوى الاعليه فكان هذا محض النصيحة لهم ﴿ ان أريد ﴾ يعنى ما أريد فيما أمركم به وانها كم
عنه ﴿ الا الاصلاح ﴾ يعنى فيما بينى وبينكم ﴿ ما استطعت ﴾ يعنى ما استطعت الا الاصلاح
وهو الا بلاغ والانداز فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدى
من يشاء ويضل من يشاء ﴿ وما توفيقى الا بالله ﴾ التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة
على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقى الا بالله ﴿ عليه توكلت ﴾
يعنى على الله اعتمدت فى جميع أمورى ﴿ واليه أنيب ﴾ يعنى واليه أرجع فيما ينزل
من النوائب وقيل اليه ارجع فى معادى روى ان رسواله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر
شعيا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ﴿ وقوله تعالى ﴾ ويا قوم لا يجرمنكم
شقاقى ﴿ أى لا يحملنكم خلافى وعداوتى ﴿ أن يصيبكم ﴾ يعنى عذاب العاجلة على كفركم
وأفعالكم الخبيثة ﴿ مثل ما أصاب قوم نوح ﴾ يعنى الفرق ﴿ أو قوم هود ﴾ يعنى الریح التى
أهلكتهم ﴿ أو قوم صالح ﴾ يعنى ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا

يعنى عذاب قوم نوح من الفرق والظوفان (أو قوم هود) الهلاك بالريح (أو قوم صالح) الصيحة (وما)

الهالكين منكم أو في المكان
فنازلهم قريبة منكم أو فيما
يستحق به الهلاك وهو

الكفر والمساوى وسوى

في قريب وبعيد وقليل

وكثير بين المذكر والمؤنث

لورودها على زنة المصادر

التي هي الصهيل والنهيق

ونحوهما (واستغفروا ربكم

ثم توبوا إليه ان ربي رحيم)

يفغر لاهل الجفاء من المؤمنين

(ودود) يحب أهل الوفاء

من الصالحين (قالوا يا شعيب

مانفقه كثيرا مما تقول) أى

لانفهم صحة ما تقول والا

فكيف لانفهم كلامه وهو

خطيب الانبياء (وانا

لنراك فينا ضعيفا) لا قوة

لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر

على الامتناع من ان أردنا

بك مكروها (ولولا رهطك

لرجناك) ولولا عشيرتك

لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة

وكان رهطه من أهل ملتهم

(وماقوم لوط) ما خبر قوم لوط

(منكم ببعيد) قد بلغكم

ما أصابهم (واستغفروا ربكم)

وحدوا ربكم (ثم توبوا

إليه) اقبلوا إليه بالتوبة

والاخلاص (ان ربي رحيم)

بعباده المؤمنين (ودود)

متودد اليهم بالمغفرة والثواب

ويقال محب لهم ويحبهم

إلى الخلق ويقال محبب

اليهم طاعته (قالوا يا شعيب

جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير تجر منكم بالضم وهو منقول من
المعدى الى مفعول والاول افسح فان جرم اقل دورانا على السنة الفخماء وقرىء مثل
بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نظقت * جامدة في غصون ذات اوقال

﴿وماقوم لوط منكم ببعيد﴾ زمانا أو مكانا فان لم تعتبروا بن قبلهم فاعتبروا بهم
أوليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما أصابهم وافراده البعيدان المراد
وما أهالكهم أو وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لانها
على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ عاانتم عليه
﴿ان ربي رحيم﴾ عظيم الرحمة للتأنيين ﴿ودود﴾ فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودعة بن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار ﴿قالوا يا شعيب
مانفقه﴾ مانفهم ﴿كثيرا مما تقول﴾ كوجوب التوحيد وحرمة الخس وما ذكرت
دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكيرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لانهم
لم يلقوا إليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه ﴿وانالتراك فينا ضعيفا﴾ لا قوة لك فتمتنع من ان
اردنا بك سوا أو مهينا لا عز لك وقيل اعنى بلغة جبروهو مع عدم مناسبتة يرده التقيد
بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعنى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين
﴿ولولا رهطك﴾ قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا خوف من شوكتهم فان
الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ﴿لرجناك﴾ لقتلناك برمي الاجار أو باصعب

﴿وماقوم لوط منكم ببعيد﴾ وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم
لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم ﴿واستغفروا
ربكم﴾ يعنى من عبادة الاصنام ﴿ثم توبوا إليه﴾ يعنى من الخس والنقصان فى الكيل
والوزن ﴿ان ربي رحيم﴾ يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا ﴿ودود﴾ قال ابن عباس الردود
الحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أو دده اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون
ودود فمولى بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه
اليهم وقال الخليلي هو الواد لاهل طاعته أى الراضى عنهم باعمالهم والحسن اليهم لاجلها والموادح
لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه ﴿قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا
مما تقول﴾ يعنى مانفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تبص
ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون ﴿وانالتراك فينا ضعيفا﴾ قال
ابن عباس وقبادة كان اعنى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمعون المكفوف ضعيفا وقال
الحسن وأبو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا اعنى
ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف
وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله
﴿ولولا رهطك﴾ يعنى جماعتك وعشيرتك قبل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل
الى السبعة ﴿لرجناك﴾

مانفقه) مانفقل (كثيرا مما تقول) مما أمرنا (وانالتراك فينا ضعيفا) ضير البصر (ولولا رهطك) قومك (لرجناك) لقتلناك

فلذلك أظهروا الميل إليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزير) أي لاتعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لافي الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح { الجزء الثاني عشر } هذا الجواب ﴿ ٣٥٦ ﴾ وانما قال ارهطى أعز عليكم من الله

والكلام واقع فيد وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونهم كان رهطاً أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبذ وراء الظهر لا يعاب به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس امسى (ان ربي بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) هي بمعنى المكان يقال مكان مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكن اذا تمكن من الشيء يعني اعملوا قارين على جهتك التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى

وجه ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيد لافي تبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قوميه ولذلك ﴿ قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ وجعلتموه كالمنسى المنبذ وراء الظهر باسرا ككم به والاهانة برسوله فلا يتقبون على لله وتقبون على لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهر يامنسوب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب ﴿ ان ربي بما تعملون محيط ﴾ فلا يخفى عليه شيء منها فيجازى عليها ﴿ يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون

يعنى لقتلتك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتنناك وأغلظنا لك القول ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ يعنى بكريم وقيل بتمتع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم يبنوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسموه بالكلام الفليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله ﴿ قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله ﴾ يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظونى فى الله ولاجل الله لارهطى لان الله أعز وأعظم ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ يعنى ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء الملقى الذى لا يلتفت اليه ﴿ ان ربي بما تعملون محيط ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه مناشئ فيجازيكم بها يوم القيامة ﴿ يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ يعنى على تؤدركم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدرة من الشر ﴿ انى عامل ﴾ يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ سوف تعلمون ﴾ أينما الجانى على نفسه المخطئ في فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فايكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف

مطيعين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتىنى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون) (للتفنن)

(وما أنت علينا بعزير) كريم (قال يا قوم ارهطى) قومي (أعز عليكم من الله) من كتابه ودينه ويقال عقوبة رهطى اشد عليكم من عقوبة الله (واتخذتموه) نبذتموه (وراءكم ظهريا) خلف ظهركم ماجئت به من الكتاب (ان ربي بما تعملون) بعقوبة ما تعملون (محيط) عالم (يا قوم اعملوا على مكانتكم) على دينكم في منازلكم بهلاكى (انى عامل) بهلاككم (سوف تعلمون)

من يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينما يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه وأينما هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون والأتیان بالوجهين للتفنن في البلاغة وأبلغهما ﴿ ٣٥٧ ﴾ الاستئناف { سورة هود } (وارتقبوا) وانتظروا

العاقبة وما أقول لكم (اني معكم رقيب) منتظر والرقيب بمعنى الرقيب من رقبته كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشيرين بمعنى المعاشرة وبمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذي هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخرين فقد وقعنا مبتدأتين فكان حقهما ان تعظفا بحرف الجمع على ما قبلهما كالتعطف قصة على قصة (فاصبحوا

من يأتيه عذاب يخزيه ﴿ سبق مثله في سورة الانعام والفاء في سوف تعلمون ثمه للتصریح بان الأصرار والتمكن فيهام عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فاذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ﴿ ومن هو كاذب ﴾ عطف على من يأتيه لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما وعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعبذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ﴿ وارتقبوا ﴾ وانتظروا ما أقول لكم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ منتظر فعيل بمعنى الرقيب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية ﴿ واخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ كأن لم يقيموا فيها

للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ يعني بسبب عمله السيء أو أينما الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ﴿ ومن هو كاذب ﴾ يعني فيما يدعيه ﴿ وارتقبوا ﴾ يعني وانتظروا والعاقبة وما يؤول اليه أمرى وأمرم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ أي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ يعني بعد اذ بهم واهلاكهم ﴿ نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ يعني بفضل منابنا هديناهم للايمان ووقفناهم للطاعة ﴿ واخذت الذين ظلموا ﴾ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس ﴿ الصيحة ﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فاتوا جميعا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطأ بالارض ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ يعني كأن

في ديارهم جاثمين (الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بقعة (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين

من يأتيه) الى من يأتيه (عذاب يخزيه) يذله ويهلكه (ومن هو كاذب) على الله (وارتقبوا) انتظروا والهلاكي (اني معكم رقيب) منتظر لهلاككم (ولما جاء أمرنا) عذابنا (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) (بنعمة منا) (واخذت الذين ظلموا) أشركوا يعني قوم شعيب (الصيحة) بالعذاب (فأصبحوا في ديارهم) فصاروا في مساكنهم (جاثمين) ميتين رمادا (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يكونوا في الارض

مترددین (الأبعد المدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشداً لا ترى الى قوله (كأبعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البنائين واحد وهو تقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كافر قوا بين ضمانا للخير والشر فقالوا وعدوا وعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها أهداها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أى {الجزء الثاني عشر} الملاء (أمر فرعون) ٣٥٨ وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل

لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله عمزول عن الألوهية وفيه انهم عينوا الآيات والسلطان المبين وعلما ان مع موسى الرشداً والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشداً قط والمراد وما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيمة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيراً له وايضاً أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشداً يستعمل في كل ما يحمى ويرتضى كما يستعمل النى في كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فاوردهم النار) ادخلهم وجيء بلفظ الماضى لان الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه قبل قط (الأبعد المدين) لقوم

الأبعد المدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضاً بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة أو العصا وفردها بالزكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحداً ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتاً وسلطاناً على نبوته ووضوحها ايها فان ابان جاء لازماً ومتعدياً والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فاتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقتة فرعون المنهك في الضلال والطغيان الداعى الى المالا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما أمر فرعون برشيد مرشداً وذى رشداً وانا هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسبى

لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنياً عن غيره الأبعدا بمعنى هالكا لمدين كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم قوله عز وجل ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعنى بحججنا والبراهين التى اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وسلطان مبين ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضاً قال بعض المفسرين المحققين سميت الحججة سلطاناً لان صاحب الحججة يقهر من لاجحة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحججة وسمى السلطان سلطاناً لانه حججة الله فى الارض الى فرعون وملئه يعنى اتباعه وأشرف قومه فاتبعوا أمر فرعون يعنى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى وما أمر فرعون برشيد يعنى وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حيد العاقبة ولا يدعوا الى خير يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار يعنى كما تقدم قومه فادخلهم البحر فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة

شعيب من رحمة الله (كأبعدت ثمود) قوم صالح من رحمة الله وكان عذاب قوم صالح وقوم شعيب (فدخلهم) سواء كلاهما كان الصيحة بالعذاب اصحابهم حرشيد فقوم صالح اتاهم من تحت ارجلهم العذاب وقوم شعيب اتاهم من فوق رؤسهم العذاب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة بينة والآيات هى حجة بينة (الى فرعون وملئه) رؤسائه (فاتبعوا أمر فرعون) وتركوا قول موسى (وما أمر فرعون) قول فرعون (برشيد) بصواب (يقدم قومه) يتقدم ويقود قومه (يوم القيمة) فاوردهم النار

يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس الورد) الموردو (المورود) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد المورد الذي بردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة ويوم القيمة) أي يلعنون في الدنيا ويلعنون ﴿ ٣٥٩ ﴾ في الآخرة (بئس { سورة هود } الرغد المرفود) رغدهم

أي بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبا بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أي بعضها باق وبعضها عاقب الاثر كالزراع القائم على ساقه والذي حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلا كنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب

فأدخلهم النار (وبئس الورد المورد) بئس المدخل فرعون وبئس المدخل قومه ويقال بئس الداخل فرعون وبئس المدخل قومه ويقال بئس الداخل فرعون وقومه وبئس المدخل النار (وأتبعوا في هذه لعنة) اهلكوا في هذه الدنيا بالفرق (ويوم القيمة) لهم لعنة أخرى وهي النار (بئس الرغد المرفود) يقول بئس الفرق ورفده النار ويقال

اتباعها موردا ثم قال ﴿ وبئس الورد المورد ﴾ أي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الالكاد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشداً أو تفسيره على ان المراد بالرشد ما يكون مأمون العاقبة جيدها ﴿ واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة ﴾ أي يلعنون في الدنيا والآخرة ﴿ بئس الرغد المرفود ﴾ بئس العون المعان أو العطاء المعطى واصل الرغد ما يضاف الى غيره ليعمد والمخصوص بالذم محذوف أي رغدهم وهو اللعنة في الدارين ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك النبا ﴿ من انباء القرى ﴾ المهلكة ﴿ نقصه عليك ﴾ مقصوص عليك ﴿ منها قائم ﴾ من تلك القرى باق كالزراع القائم ﴿ وحصيد ﴾ ومنها عاقب الاثر كالزراع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير ﴿ وما ظلمناهم ﴾ باهلا كنا اياهم ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بان

فدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم و امامهم في النار ﴿ وبئس الورد المورد ﴾ يعني وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه أتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون وأتباعه فأوردهم النار وبئس الورد المورد لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل القطاعة ﴿ واتبعوا في هذه ﴾ يعني في هذه الدنيا ﴿ لعنة ﴾ يعني طردا وبعدا عن الرحمة ﴿ ويوم القيمة ﴾ يعني واتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا ﴿ بئس الرغد المرفود ﴾ يعني بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رغد للنعنة في الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ذلك من انباء القرى ﴿ يعني من أخبار أهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية ﴾ نقصه عليك ﴿ يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب ﴿ منها ﴾ يعني من القرى التي اهلكنا أهلها ﴿ قائم وحصيد ﴾ يعني منها عاصرونها ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيوان بغير سقوف ومنها ما قدحى أثره بالكلية شبه الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود ﴿ وما ظلمناهم ﴾ يعني بالعذاب والاهلاك ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ يعني بالكفر والمعاصي

بئس العون وبئس المعان (ذلك) الذي ذكرت (من انباء القرى) في الدنيا من أخبار قرى الماضية (نقصه عليك) نزل عليك جبريل بأخبارها (منها قائم) ينظر اليها قد باد أهلها (وحصيد) منها ما قد خرب وهلك أهلها (وما ظلمناهم) باهلا كنا لهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والشرك وعادة الاوثان

ما به أهلكوا (فإغنت عنهم آلهتهم) فإقدرت أن ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من شيء) لما جاء أمر ربك) عذابه ولما منسوب بما أغنت (وما زادهم وغير تيب) تخسير يقال تب اذا خسرو تيبه غيره أو وقع في الخسران يعني وما أفادتهم { الجزء الثاني عشر } عبادة غير الله ﴿ ٣٦٠ ﴾ شيئاً بل اهلكتم (وكذلك) محل

الكاف الرفع أى ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك اذا أخذ القرى) أى أهلها (وهي ظالمة) حال من القرى (ان أخذه أليم شديد) مؤلم شديد يصعب على المأخوذ وهذا تخدير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ان في ذلك) فيما قص الله من قصص الامم الهالكة (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أى اعتقد صحته ووجوده (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كإرفع فعله اذا قلت

(فإغنت عنهم آلهتهم التي يدعون) يعبدون (من دون الله) من عذاب الله من شيء (لما جاء أمر ربك) حين جاء عذاب ربك (وما زادهم) عبادة الاثان (غير تيب) غير تخسير (وكذلك) اخذ ربك (اذا اخذ القرى) عذب أهل القرى (وهي ظالمة) مشركة كافر

عرضوا له بار تكاب ما يوجه ﴿ فإغنت عنهم ﴾ فأنفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضررتهم ﴿ آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء ﴾ لما جاء أمر ربك ﴿ حين جاءهم عذابه ونقمته ﴾ وما زادهم غير تيب ﴿ هلاكاً وتخسير ﴾ وكذلك ﴿ ومثل ذلك الاخذ ﴾ اخذ ربك ﴿ وقرى ﴾ اخذ ربك بالفعل فعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿ اذا اخذ القرى ﴾ أى أهلها وقرى اذ لان المعنى على المضى ﴿ وهي ظالمة ﴾ حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفأندتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ﴿ ان اخذه اليم شديد ﴾ وجميع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغه في التهديد والتخدير ﴿ ان في ذلك ﴾ أى فيما نزل بالامم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم ﴿ لآية ﴾ لعبرة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم ان عودج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجهاته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لاندوب المهلكين بها ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه ﴿ يوم مجموع له الناس ﴾ أى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه للاحالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة

﴿ فإغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء ﴾ لما جاء أمر ربك ﴿ يعنى بعذابهم أى لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب ﴾ وما زادهم غير تيب ﴿ يعنى غير تخسير وقيل غير تدمير ﴾ وكذلك أخذ ربك ﴿ يعنى وهكذا أخذ ربك ﴾ اذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴿ الضمير في وهى عائد على القرى والمراد أهلها ﴾ ان أخذه أليم شديد ﴿ (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليبلي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من أقدم على ظم فإنه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مختص بظلمى الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم وبعضه الحديث والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان في ذلك لآية ﴿ يعنى ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ يعنى ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله باولئك الكفار في الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ يعنى يوم القيامة

(ان أخذه) عذابه (أليم) وجميع (شديدان في ذلك) فيما ذكرت لك (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب) (تجمع) (الآخرة) فلا يقتدى بهم (ذلك) يوم القيامة (يوم مجموع له الناس) يجمع فيه

يجمع له الناس وانما أراسم المفعول على فعله ما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانما أثبت أيضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه مجعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أي بشهود ﴿ ٣٦١ ﴾ فيه الخلائق الموقف { سورة هود } لا يغب عنه أحد (وما تؤخره)

﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ أي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله

في محفل من نواصي الناس مشهود

ايكثر شاهده ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان اسائر الايام كذلك ﴿ وما تؤخره ﴾ أي اليوم ﴿ الا لأجل معدود ﴾ الا لانتها مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واردة مدة التأجيل كلها بالاجل لامتها فانه غير معدود ﴿ يوم يأتي ﴾ أي الجزاء أو اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه * وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة يأت محذوف الياء اجترأ عنها بالكسرة ﴿ لا تكلم نفس ﴾ لا تكلم بما ينفع ويهجي من جواب أو شفاعاة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه اكتفاء بما ضمير اذكر أو بالانتها المحذوف ﴿ الاباذنه ﴾ الاباذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيمتدرون في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحققة والمنوع عنه هي الاعذار الباطلة ﴿ ففهم شقي ﴾ وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿ وسعيد ﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف

تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين ﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ يعني يشهده اهل السماء وأهل الارض ﴿ وما تؤخره الا لأجل معدود ﴾ يعني وما تؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيمة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه أحد الا الله تعالى ﴿ يوم يأت ﴾ يعني ذلك اليوم ﴿ لا تكلم نفس الا باذن الله تعالى ﴾ قيل ان جميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الا باذن الله تعالى * فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يتكلمون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيمجاون ويمجادون ويشكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذن الشفاعاة يعني لا تشفع نفس لنفس شيأ الا أن يأذن الله لها في الشفاعاة ﴿ ففهم ﴾ يعني فن اهل الموقف ﴿ شقي وسعيد ﴾ الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصالح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية

أي اليوم المذكور (الا لأجل معدود) الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو المدة لانغاتها ومنتهاها ففي قوله وما تؤخره الا لانتها مدة معدودة بحذف المضاف أو ما تؤخر هذا اليوم الا لنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا (يوم يأت) وبالياء مكي واقفه أبو عمرو ونافع وعلى في الوصل وأثبت الياء هو الاصل اذ لا حاجة لتوجب حذفها وحذف الياء والاجترأ عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجوع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لا تكلم) أي لا يتكلم (نفس الا باذن) أي لا يشفع أحد الا باذن الله من الذي يشفع عنده الا باذن (فهم) الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقدم ذكر الناس في قوله مجوع له الناس (شقي) معذب (وسعيد)

الاولون والآخرون (وذلك يوم مشهود) يشهده اهل السماء وأهل الارض (وما تؤخره) يعني ذلك اليوم (قاو خا ٤٦ لث) (الا لأجل معدود) لوقت معلوم (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم نفس) لا تشفع نفس صالحة لا أحد (الا باذن) بأمره (ففهم) من الناس يومئذ (شقي) قد كتب عليه الشقاوة (وسعيد) قد كتب له السعادة

أى ومنهم سعيد أى منع (فأما الذين { الجزء الثاني عشر } شقوا في النار ﴿ ٣٦٢ ﴾ لهم فيها زفير) هو اول نهيق الحمار

(وشهيق) هو آخره وأوهما
اخراج النفس ورده والجملة
في موضع الحال والعامل
فيها الاستقرار الذي في النار
(خالدين فيها) حال مقدرة (ما
دامت السموات والارض)
في موضع النصب أى مدة
دوام السموات والارض
والمراد سموات الآخرة
وأرضها وهي دائماً مخلوقة
للأبد والدليل على ان لها
سموات وأرضاً قوله يوم
تبدل الارض غير الارض
والسموات وقيل مادام فوق
وتحت ولانه لا بد لاهل
الآخرة مما يقلهم ويظلمهم
اماسماء أو عرش وكل ما
أظلم فهو سماء أو هو عبارة
عن التأييد ونفي الانقطاع
كقول العرب ملاح كوكب
وغير ذلك من كلمات

(فأما الذين شقوا) كتب
عليهم الشقاوة (في النار لهم
فيها زفير) صوت كزفير
الحمار في صدره وهو أول
ما ينهق (وشهيق) كشهيق
الحمار في حلقه وهو آخر ما
يفرغ من نهيقه (خالدين
فيها) دائمين في النار
(مادامت السموات
والارض) كدوام السموات
والارض منذ

وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أول الناس ﴿ فأما الذين شقوا في
النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول
النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ونهمهم وتشبيه حالهم بمن استوت
الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمار وقريء شقوا
بالضم ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والارض ﴾ ليس لارتباط دوامهم في النار
بدوامهما فان النصوص دالة على تأييد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأييد
والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضاً
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم
لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد

وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد
من سبقت له السعادة في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع
الفرقد فانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمعد وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس
وجعل ينكت بمخضرتة ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده
من النار فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق
له أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة
فسيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره
لليسرى الآية بقيع الفرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنتهم والمخضرة
كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من
فوق ضرب الشيء بتلك المخضرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض
العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لثالث لهما
وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت
حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لاحسنات
لهم ولاسيئات فهو لاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة
يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث
﴿ فأما الذين شقوا في النار لهم فيها ﴾ أى في النار من العذاب والهوان ﴿ زفير
وشهيق ﴾ أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق
رد النفس الى الصدر أو الزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير
الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول
صوت الحمار والشهيق آخره اذا رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير في الحلق
والشهيق في الجوف ﴿ خالدين فيها ﴾ يعني لآبئين مقيمين في النار ﴿ مادامت السموات
والارض ﴾ قال الضحاك يعني مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولا بد لاهل
الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تقلمهم فكل ما علاك فاظلك فهو سماء وكل

هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالمزهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار اياما فهو لا علم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأييد ولا سعدوا سعادة من لامسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقيادة رضى الله عنهم

خلقت الى ان تقضى (الاما شاء ربك) وقد شاء ربك أن يخلدوا في النار ويقال يخلد من كتب عليه الشقاوة مادامت السموات والارض وبنو آدم الا ماشاء ربك أن يحوله من الشقاوة الى السعادة بقوله يحول الله ما يشاء ويثبت ويقال يكونون دائمين في النار مادامت السموات والارض سماء النار وارض النار الاماشاء ربك أن يخرجهم من أهل التوحيد من كانت شقاوته بذنب دون الكفر فيدخله الجنة بايمان خالصا

سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا يبدلهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه ﴿ الاماشاء ربك ﴾ استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهو المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعضيائهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فتمهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم متفدية عن قسمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيق أو مانع من الجمع وهما المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين أولان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الاهنيا بمعنى سوى كقولك على ألف الا الاقان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض

ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأييد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأييد وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الاماشاء ربك ﴾ اختلف العلماء في معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء ﴿ ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشقاوة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخارى ومسلم ﴿ عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سقم فيدخلون الجنة فيسبهم أهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصين أقواما سقم من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة اسمون الجهنميين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل

(ان ربك فعال لما يريد) بالشقي والسعيد (و أما الذين سعدوا) سعدوا جزوة وعلى وحفض سعد لازم وسعدوه يسعدوه متعد
 (ففي الجنة خالدین فیها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم
 سوى الجنة ما هو أكبر (الجزء الثاني عشر) منها هو رؤية الله ﷻ ٣٦٤ تعالى ورضوانه أو معناه الامن

شاء أن يعذبه بقدر ذنبه
 قبل أن يدخله الجنة وعن
 أبي هريرة رضي الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال الاستثناء في الآيتين
 لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا
 أنه لا يكون للسلم العاصي
 الذي دخل النار خلود
 في النار حتى يخرج منها
 ولا يكون له أيضا خلود
 في الجنة لانه لم يدخل
 الجنة ابتداء والمعتزلة لما
 لم يروا خروج العصاة
 من النار ردوا الاحاديث
 المروية في هذا الباب وكفى
 بها غامبين (عطاء غير مجذوذ)
 غير مقطوع ولكنه تمتدلى
 غير نهاية كقوله اهم أجر
 (ان ربك فعال لما يريد) كما
 يريد (وأما الذين سعدوا)
 كتب لهم السعادة (ففي الجنة
 خالدین فيها) دائماً في الجنة
 (مادامت السموات
 والارض) كدوام السموات
 والارض منذ خلقتنا
 (الاماشاء ربك) وقد شاء
 ربك أن يحوله من السعادة
 الى الشقاوة لقوله مع والله
 ما يشاء من السعادة الى
 الشقاوة ويثبت ويترك
 ويقال يكونون في الجنة

﴿ان ربك فعال لما يريد﴾ من غير اعتراض ﴿ واما الذين سعدوا في الجنة خالدین
 فیها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ غير مقطوع وهو تصريح
 دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير
 وشهيق خالدین فیها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم
 الجنة ﴿ان ربك فعال لما يريد﴾ وأما الذين سعدوا في الجنة خالدین فیها مادامت السموات
 والارض الاماشاء ربك ﴿ أن يدخله النار اولاً ثم يخرجهم منها فيدخله الجنة فخالص
 هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة
 سعداء أصابوا ذنوباً استوجبوا عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان
 اجاع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبداً وقيل ان الاستثناءين يرجعان الى الفريقين
 السعداء والاشقياء وهو مدة تعبيرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين
 الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
 فيكون المعنى خالدین في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الاماشاء ربك سوى
 ماشاء ربك فيكون المعنى خالدین فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك من
 الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف الألفين أى سوى ألفين وقيل الا
 بمعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو
 كقوله تمجد وتعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أى والذين ظلموا
 وقيل معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها
 قل الفراء هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله كقوله والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك
 وعزمه أن يضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو
 القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج
 من أراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجال في حال الفريقين فاما على التفصيل
 فقوله الاماشاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد
 حصول الزفير والشهيق مع خلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل
 فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الاماشاء
 ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب
 الاشقياء معناه الاماشاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والزهم يروى في جانب
 السعداء معناه الاماشاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول
 الاول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج
 منها بل هو خالد فيها ﴿ وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء ﴿ عطاء غير مجذوذ﴾

دائمين مادامت السموات والارض سماء الجنة وأرض الجنة الاماشاء ربك أن يعذبه في النار قبل أن يدخله (يعنى)
 الجنة ثم يخرجهم من النار ويدخله الجنة فيكون بعد ذلك دائماً في الجنة (عطاء) ثواباً لهم (غير مجذوذ) غير منقوص وغير مقطوع

غير ممنون وهو نصب على المصدر أى أعطوا عطاء قبل كفرت الجهنمية باربع آيات عطاء غير مجذوذاً كلها دأتم وما عند الله باق
لامقطوعة ولا ممنوعة لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكروا محلهم من نعمة وما أعد لهم من عذابه قال (فلاتك في صرية
مما يعبد هؤلاء) أى فلاتك بعد ﴿ ٣٦٥ ﴾ ما نزل عليك { سورة هود } من هذه القصص في سوء عاقبة

عبادتهم لما اصاب أمثالهم
قبلهم تسليية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعدة
بالانتقام منهم ووعيدا لهم
ثم قال (ما يعبدون الا كما
يعبد آباؤهم من قبل) يريد
أن حالهم في الشرك مثل
حال آباؤهم وقد بلغك ما نزل
بآبائهم فسيترن بهم مثله وهو
استئناف معناه تعليل النهى
عن المربة وما في وما وكا
مصدرية أو موصولة أى
من عبادتهم وعبادتهم أو ما
يعبدون من الاوثان ومثل
ما يعبدون منها (وانا لموفوهم
نصيبيهم) حظهم من
العذاب كما وفينا آباءهم
انصباهم (غير منقوص)
حال من نصيبهم أى كاملا
(ولقد آتينا موسى
الكتاب) التوراة (فاختلف
فيه) آمن به قوم وكفر به
قوم كما اختلف في القرآن
وهو تسليية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم (ولولا كلمة
سبقت من ربك) انه

بان الثوب لا ينقطع وتبنيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانتطاع ولا جله فرق
بين الثواب والعقاب في التأيد * وقرا حزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من
سعد الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أى اعطوا عطاء أو الحال من الجنة
﴿ فلاتك في صرية ﴾ شك بعدما نزل عليك من مال امر الناس ﴿ مما يعبد هؤلاء ﴾ من
عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤدالى مثل ما حل بمن قبلهم عن قصصت عليك
سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ﴿ ما يعبدون الا كما يعبد
آباؤهم من قبل ﴾ استئناف معناه تعليل النهى عن المربة أى هم وآباؤهم سواء في الشرك
أى ما يعبدون عبادة الاكبادة آباؤهم أو ما يعبدون شيأ الا مثل ما عبده من الاوثان
وقد بلغك ما لحق آباؤهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضى التماثل
في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه ﴿ وانا لموفوهم نصيبهم ﴾
حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبهم ﴿ غير منقوص ﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيه حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ فآمن به
قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ يعنى كلمة
يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال
تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود
أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا وعن أبي هريرة
نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبي هريرة فمحمول عند أهل السنة على اخلاء أما كن
المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج
جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون محجولا على اخراج الكفار من حر النار الى
برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ فلاتك
في صرية مما يعبد هؤلاء ﴾ يعنى فلاتك في شك يا محمد في هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء
الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ﴿ ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ يعنى انه ليس
لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم ﴿ وانا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ يعنى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى
قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب
الذى قدر لهم في الآخرة كاملا موفرا غير ناقص ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد آتينا
موسى الكتاب ﴿ يعنى التوراة ﴾ فاختلف فيه ﴾ يعنى في الكتاب فمنهم مصدق به
ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ولولا
كلمة سبقت من ربك ﴾

(غير منقوص) ويقال نزلت هذه الآية وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص في القدرية (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى
التوراة (فاختلف فيه) في كتاب موسى آمن به بعض وكفر به بعض (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عن

لا يعاجلهم بالعذاب (لقد قضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن أو من العذاب (مرئب) من أرب الرجل اذا كان ذاربية على الاسناد المجازي (وان كلا) التون عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم أى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصري وعلى ما مزيدة جى به ليفصل جابين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى الموطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم من ايمان وجمود وحسن وقبح بعكس الاولى ابوبكر مخففان مكى ونافع على اعمال الخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل ولان ان تشبه { الجزء الثانى عشر } الفعل والفعل ﴿ ٣٦٦ ﴾ يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن

ولم يك فكذا المشبه به
مشددتان غيرهم وهو
مشكل وأحسن ما قيل
فيه انه من لممت الشيء
جمعه لما تم وقف فصار
لما تم أجرى الوصل مجرى
الوقف وجاز أن يكون
مثل الدعوى والثروى
وما فيه ألف التأنيث
من المصادر وقرأ الزهرى
وان كلا بالتون كقوله
أ كلا لما هو يؤيد ما ذكرنا
والمعنى وان كلا ملومين
أى مجموعين كأنه قيل
وان كلا جميعا كقوله
فسيجد الملائكة كلهم أجمعون
وقال صاحب الايجاز لما
فيه معنى الظرف وقد دخل
فى الكلام اختصارا كأنه
قيل وان كلا لما بعثوا
ليوفينهم ربك أعمالهم
وقال الكسائى ليس لى بتشديد
لما علم (انه بما يعملون خبير
فاستقم كأمرت) فاستقم

الانظار الى يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ بانزال ما يستحقه الميطل ليميزه عن الحق
﴿ وانهم ﴾ وان كفار قومك ﴿ لفي شك منه ﴾ من القرآن ﴿ مرئب ﴾ موقع
للريبة ﴿ وان كلا ﴾ وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتون بدل
من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
﴿ لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد
أوبالعكس وما مزيد للفصل بينهما وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة لما بالتشديد على ان اصله
لمن ما قبلت التون مما اللادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين
ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لما بالتون اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على
ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾ فلا يفوت عنه شئ منه
وان خفى ﴿ فاستقم كأمرت ﴾ لما بين امر المختلفين فى التوحيد والنبوة واظن فى شرح
الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهى شاملة
للاستقامة فى المقائد كالوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين
يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة
فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ لقضى بينهم ﴾
يعنى لعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم ﴿ وانهم لفي شك منه ﴾ يعنى
من القرآن ونزوله عليك يا محمد ﴿ مرئب ﴾ يعنى انهم قد وقعوا فى الريب
والتهمة ﴿ وان كلا ﴾ يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب ﴿ لما ليوفينهم
ربك أعمالهم ﴾ اللام لام القسم تقديره والله لنوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى
المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار ﴿ انه بما يعملون
خبير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت فقيه
وعد للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذابين الكافرين ﴿ قوله سبحانه
وتعالى ﴿ فاستقم كأمرت ﴾ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد
على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كأمرك ربك والامر فى فاستقم للتأكيد لان

(النبي)

استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل

أمتك (لقد قضى بينهم) لفرغ من هلاكهم ولجاء هم العذاب (وانهم لفي شك منه مرئب) ظاهر الشك (وان كلا) كلا
الفريقين (لما ليوفينهم) يقول يوفهم (ربك أعمالهم) ثواب أعمالهم بالحسن حسنا وبالسيئ سيئا (انه بما يعملون) من الخير
والشر والثواب والعقاب (خبير فاستقم) على طاعة الله (كأمرت) فى القرآن

عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وجاز للفواصل يعني فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله
مخلصا (ولا تظفوا) ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿ ٣٦٧ ﴾ (انه بما { سورة هود } تعملون بصير) فهو مجازيكم

فاتقوه قيل ما نزلت على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آية كانت أشق عليه
من هذه الآية ولهذا قال
شيبتي هود (ولا تركنوا
الى الذين ظلموا) ولا تملوا
قال الشيخ رحمه الله هذا
خطاب لاتباع الكفرة أي
لا تركنوا الى القادة
والكبراء في ظلمهم وفيما
يدعونكم اليه (فتمسك
النار) وقيل الركون اليهم
الرضا بكفرهم وقال قتادة
ولا تلحقوا بالمشركين وعن
الموفق انه صلى خلف الامام
فلما قرأ هذه الآية غشى
عليه فلما أفاق قيل له فقال
هذا فيمن ركن الى من ظلم
فكيف بالظالم وعن الحسن
جعل الله الدين بين لائين
ولا تظفوا ولا تركنوا وقال
سفيان في جهنم وادلا يسكنه
الا القراء الزائرون للملوك
وعن الازاعي ما من شيء
أبغض الى الله من عالم يزور
عاملا وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من دعا الظالم
بالبقاء فقد أحب أن يعصى
الله في أرضه ولقد سئل
سفيان عن ظالم أشرف
(ومن تاب معك) من الكفر

والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما نزل والقيام بوظائف العبادات من غير
تقريب وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام شيبتي سورة هود ﴿ ومن تاب معك ﴾ أي ومن تاب من الشرك والكفر
وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمفصل لقيام الفاصل مقامه
﴿ ولا تظفوا ﴾ ولا تخرجوا عما حدلكم ﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ فهو
مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي * وفي الآية دليل على وجوب اتباع
النصوص من غير تصرف وانحراف بخوق قياس واستحسان ﴿ ولا تركنوا الى الذين
ظلموا ﴾ ولا تملوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزني بزيهم وتعظيم
ذكرهم ﴿ فتمسك النار ﴾ بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمي ظلما
كذلك فاظنك بالركون الى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم

النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى
آتيك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك ﴿ ومن تاب معك ﴾ يعني ومن
آمن معك من أمتك فليستقيوا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب
الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه روغان الثعلب (م) عن
سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قول لا أسأل عنه احدا
بعدي قال قل آمنت بالله ثم استقم ﴿ ولا تظفوا ﴾ يعني ولا تجاوزوا أمرى الى غير
ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم عنه ﴿ انه بما تعملون
بصير ﴾ يعني انه سبحانه وتعالى عالم باعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس
ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال
شيبتي هود وأخواتها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين
يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلبه فسدوا وقاربوا وأبشروا واستمعينا بالغدوة
والروحة وشيء من الدلجة * قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل
في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى
فسدوا أي اقصوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا أي أظلموا المقاربة
وهي القصد الذي لا غلوه فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والروحة الرجوع
عشيا والمراد منه اعملوا أطراف النهار وتاوتوا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا
بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شيء من الدلجة إشارة الى تقيله ﴿ وقوله تعالى
﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾ قال ابن عباس ولا تملوا والركون هو المحبة
والميل بالقلب وقال أبو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال السدي لا تدهنوا الظلمة
وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا ﴿ فتمسك النار ﴾ يعني

والشرك أيضا فليستقم معك (ولا تظفوا) لا تكفروا ولا تعصوا بما في القرآن من الحلال والحرام (انه بما تعملون) من الخير
والشر (بصير ولا تركنوا) لا تملوا (الى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي (فتمسك) فتصيبكم (النار) كأنصيبهم

نفسه والانهماك فيدولعل الآية بائنا بمتصور في النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها الميل الى احد طرفي افراط وتفریط فانه ظلم على نفسه وغيره بل ظلم في نفسه ووقرى تركنوا فتمسكتم النار بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنوه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار ينعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون أي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم ثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلة منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم اتبع ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه

فتصيبكم النار بجرها وما لكم من دون الله من اولياء يعني اعداها وانصارا ينعونكم من عذابه ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة ارضى باعمالهم أو أحبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار سبب نزول هذه الآية مارواه الترمذي عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمر اقلقت ان في البيت تمر اهو اطيب مند فدخلت معي البيت فاهوت اليها فقبلتها فايتتني ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فايتت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فايتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال أبو اليسر فايتته بقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبدالله ابن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألى هذه الآية قال لمن عمل بها من أمية وفي رواية فقال رجل من القوم ياتي الله هذه خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرأيت رجلا لقي امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يحامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فامر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلى قال معاذ فقلت يا رسول الله أهى له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث

على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقيل لا فقيل له يموت قال دعته يموت (وما لكم من دون الله من اولياء) حال من قوله فتمسكتم النار أي فتمسكتم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من اولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه حكم بتمذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة (واقم الصلوة طرفي النهار) غدوة وعشية

(وما لكم من دون الله) من عذاب الله (من اولياء) من اقرباء تحفظكم من عذاب الله (ثم لا تنصرون) لا تمنعون مما يراد بكم (واقم الصلوة) اتم الصلاة (طرفي النهار) صلاة الغداة والظهر ويقال صلاة الغداة والظهر والعصر

مضاف إليه ﴿ وزلفا من الليل ﴾ وساعات منه قريبة من النهار فانه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلاة من اول النهار وصلاة العشيية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء * وقرئ زلفا بضمين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلاني بمعنى زلفة كقربى وقربة ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾ يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر * وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى

ليس بتصل لان عبدالرحمن بن أبي ليل لم يسمع من معاذ * أما التفسير فقوله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر أن الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حل الطرف الثاني على صلاة العصر ﴿ وزلفا من الليل ﴾ يعني وأقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاته واحدا زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾ يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها ﴿ م ﴾ عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن * زاد في رواية ما لم تفش الكبائر * وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر ﴿ ق ﴾ عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا ﴿ خ ﴾ عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبق من الدرر قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والأستغفار ونحو ذلك من أعمال البر * وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط * الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية * الثاني الندم على فعله * الثالث العزم التام أن لا يعود إليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله

(وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وصلاة القدوة الفجر وصلاة العشيية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانها مضافان الى الوقت كقولك أقت عنده جميع النهار وأيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ان الحسنات يذهبن السيئات ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب والطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

(وزلفا من الليل) دخول الليل صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات) الصلوات الخمس (يذهبن السيئات) يكفرن السيئات دون الكبائر ويقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

(ذلك) اشارة الى فاستقم فابعده أو القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعمقين نزلت في عمرو بن غزيرة الانصاري بائع التمرة لامرأة في البيت تمرا وجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيا با كيا فزت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك قليل أله خاصة بل للناس عامة (واصبر) على امثال ما أمرت به والانتها عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتق على جميع الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون { الجزء الثاني عشر { من قبلكم } ٣٧٠ ﴿ فلولا كان وهو موضوع للتخصيص

وخصوص بالفعل (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبق مما يخرج أجمده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (يهون

عن الفساد في الارض) عجب محمد عليه السلام وأتمه ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين يهون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الاقبلا ممن انجينا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا ممن انجينا من القرون هوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن أنجينا للبيان للتبعيض لان النجاة للناهيين وحدهم بدليل

عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتھا فزت ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ﴿ ذكرى للذاكرين ﴾ عظة للمتعمقين ﴿ واصبر ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان واعماله لا يمتد بهما دون الاخلاص ﴿ فلولا كان ﴾ فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ﴿ من الرأي والعقل أو لو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبق افضل مما يخرج منه ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية أي ذوا بقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ ببقية وهي المرة من مصدر بقاء ببقية اذا رقبه ﴿ يهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم ﴾ لكن قليلا منهم انجينا لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جمل استثناء من النفي اللازم للتخصيص

أكبر والقول الاول أصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدي الروايتين عنده وكتب القرظي والضحاك وجهور المفسرين ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن ﴿ ذكرى للذاكرين ﴾ يعني عظة للمؤمنين المطيعين ﴿ واصبر ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني المصلين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلولا كان من القرون ﴾ يعني فلولا كان من القرون التي اهلكناهم ﴿ من قبلكم ﴾ يعني يا أمة محمد ﴿ أولوا بقية ﴾ يعني أولو تميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ﴿ يهون عن الفساد في الارض ﴾ يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم ﴿ الا قليلا ﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا ﴿ ممن أنجينا منهم ﴾ يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا يهون عن الفساد في الارض

(واتبع)

قوله أنجينا الذين يهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا

(ذلك ذكرى للذاكرين) توبة للتائبين ويقال كفارات لذنوب التائبين نزلت في شأن رجل تمار يقال له أبو اليسر بن عمرو (واصبر) يا محمد على ما أمرت وعلى أذاهم (فان الله لا يضيع) لا يبطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (فلولا كان من القرون) يقول لم يكن من القرون الماضية (من قبلكم أولوا بقية) من المؤمنين (يهون عن الفساد في الارض) عن الكفر والشرك وعبادة الاوثان وسائر المعاصي (الاقبلا ممن انجينا منهم) من المؤمنين

(واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمراً أي الاقليات من أئمتنا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (ما ترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والترفة من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الأمر ﴿ ٣٧١ ﴾ بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين)

اعترض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفي (بظلم) حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القرى ظالماً لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيه الذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أي لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمنون إلى شركهم فساداً آخر (ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة) أي متفقين على الإيمان والطاعات عن الاختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هي مشيئة قسرو ذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والإيمان أي ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار (واتبع الذين ظلموا) اشتغل الذين اشركوا (ما ترفوا فيه) بما نعموا فيه في الدنيا من المال (وكانوا

﴿ واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه ﴾ أي ما نعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها واعتراضوا عما وراء ذلك ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ كافرين كأنه أراد أن بين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف على مضمراً دل عليه الكلام إذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض * وقرئ واتبع أي واتبعوا جزء ما ترفوا فتكون الواو للتحال ويجوز أن يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ﴾ بشرك ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ فيما بينهم لا يضمنون إلى شركهم فساداً وتباغياً وذلك لفرط رحمة ومساحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراحح الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ﴿ ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة ﴾ مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وإن ما اراده يجب وقوعه ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لانكاد

﴿ واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه ﴾ يعني واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ما نعموا فيه والترفة التمتع والمعنى أنهم اتبعوا ما تعودوا به من التمتع وابتاعوا اللذات على الآخرة ونعيمها ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ يعني كافرين ﴿ وما كان ربك ﴾ يعني وما كان ربك يا محمد ﴿ ليهلك القرى بظلم ﴾ يعني لا يهلكهم بظلم منه ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ يعني في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل في معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضاً بالصالح والسادد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال في الدنيا أم عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء إن حقوق الله منها على المساحة والمساهلة وحقوق العباد منها على التضييق والتشديد ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة ﴿ يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ يعني على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضاً اختلافاً كثيراً لا ينضبط ﴿ عن أبي هريرة ﴾ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وأثنى وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذي بنحوه ﴿ عن معاوية ﴾ رضي الله عنه قال قام فينا رسول

مجرمين) مشركين (وما كان ربك ليهلك) أهل (القرى بظلم) منهم (وأهلها مصلحون) فيما من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون مقيمون على الطاعة مستسكون بها (ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة) لجمعهم على ملة واحدة ملة الإسلام (ولا يزالون) ولكن لا يزالون (مختلفين) في الدين والباطل

ذلك (الامن رحم ربك) { الجزء الثاني عشر } الاناس اعصمهم ﴿ ٣٧٢ ﴾ الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين

الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعدنا خلقهم للذى علم انهم يصيرون اليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم انهم يصيرون اليه كذا فى شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التوطين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (مانتبت به فؤادك) بدل من كلا

(الامن رحم) عصم (ربك) من الباطل والاديان المختلفة وهم المؤمنون (ولذالك خلقهم) للرجة خلق أهل الرجة والاختلاف خلق أهل الاختلاف (وتمت كلمة ربك) وجب قبول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس) من كفار الجن والانس (أجمعين وكلا نقص عليك) كما بينت لك (من أنباء الرسل) من أخبار

تجد اثنين يتفقان مطلقا ﴿ الامن رحم ربك ﴾ الاناس اهداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ ان كان الضمير للناس فالإشارة الى للاختلاف واللام للعاقبة وأوليه الى الرجة وان كان لمن فالى الرحم ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ وعيده أو قوله للملائكة ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس ﴾ أى من عصائهما ﴿ اجمعين ﴾ او منهما اجمعين لان احدهما ﴿ وكلا ﴾ وكل نبأ ﴿ نقص عليك من أنباء الرسل ﴾ نخبك به ﴿ مانثبت به فؤادك ﴾ بيان لكل أو بدل منه وفأنته التنيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع

الله صلى الله عليه وسلم فقال لأن من قبلكم من اهل الكتاب افرقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود قال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفرق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهر وابعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (الا من رحم ربك) يعنى لكن من رحم ربك فن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصرط المستقيم فهم لا يختلفون ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال الحسن وعطاء والاختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والرجة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرجة للرجة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرجة للرجة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فحاصل الآية ان الله خلق اهل الباطل وجمعاهم مختلفين وخلق أهل الحق وجمعهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرجة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويندل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة وللرجة فهداهم ووقفهم لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل

(يعنى)

الرسل (مانثبت به فؤادك) لى نطيب به قلبك أنه قد فعل بغيرك من الأنبياء ما فعل بك

(وجاءك في هذه الحق) أى في هذه السورة أوفى هذه الانباء المقتصة ما هو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة أثبت للقلب (وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا على مكاتكم) على حالكم وجهتكم ﴿ ٣٧٣ ﴾ التى أتت { سورة هود } عليها (انا عاملون) على مكاتنا (وانظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون)

أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما جرى فيها فلا تخفى عليه أعمالكم (واله يرجع الامر كله) فلا بد أن يرجع اليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم يرجع نافع وحفص (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (ومارباك بغافل عما يعملون) وباتاء مدنى وشامى وحفص أى أنت وهم على تغليب الخطاب قيل خاتمة التوراة

(وجاءك في هذه) السورة

(الحق) خبر الحق (وموعظة)

من المعاصى (وذكرى) عظة

للمؤمنين (وقل للذين لا

يؤمنون) بالله وباليوم الآخر

وبالملائكة وبالكتب

وبالنبين (اعملوا على مكاتكم)

على دينكم في منازلكم

بهلاكى (انا عاملون)

في هلاككم (وانظروا)

هلاكى (انا منتظرون) هلاككم

(ولله غيب السموات

والارض) ما غاب عن العباد (واله يرجع الامر) الى الله يرجع أمر العباد (كله) في الآخرة (فاعبده) فاطعه (وتوكل عليه)

تق به (ومارباك بغافل عما تعملون) من

الاقتصاص نقص عليك ما ثبت به فؤادك من انباء الرسل ﴿ وجاءك في هذه ﴾ السورة أو الانباء المقتصة عليك ﴿ الحق ﴾ ما هو حق ﴿ وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ إشارة الى سائر فوائده العامة ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعلموا على مكاتكم ﴾ على حالكم ﴿ انا عاملون ﴾ على حالنا ﴿ وانظروا ﴾ بنا الدوائر ﴿ انا منتظرون ﴾ ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيها ﴿ واليه يرجع الامر كله ﴾ فيرجع لامرهم وامرهم اليه ﴿ وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول ﴾ فاعبده وتوكل عليه ﴿ فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد ﴿ ومارباك بغافل عما تعملون ﴾ انت وهم فيجازى كلا ما يستحقه ﴿ قرأ نافع وابن

يعنى من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما ثبت به فؤادك يعنى ما تقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه ﴿ وجاءك ﴾ يا محمد ﴿ في هذه الحق ﴾ اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين ﴿ فان قلت قد جاءه الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها ﴿ وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ أى وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعلموا على مكاتكم ﴾ فيه وعيد وتهديد يعنى اعلموا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقولهم اعلموا ما شئتم ﴿ انا عاملون ﴾ يعنى ما أمرنا به ربنا ﴿ وانظروا ﴾ يعنى ما يعدكم به الشيطان ﴿ انا منتظرون ﴾ يعنى ما يحمل بكم من نعمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الآخرة ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ يعنى يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء ﴿ واليه يرجع الامر كله ﴾ يعنى الى الله يرجع أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة ﴿ فاعبده ﴾ يعنى ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشغل بعبادة غيره ﴿ وتوكل عليه ﴾ يعنى وثق به في جميع أمورك فانه يكفيك ﴿ ومارباك بغافل عما تعملون ﴾ قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها

هذه الآية وفي الحديث من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ﴿ سورة يوسف عليه السلام وهي مائة واحد ﴾ الجزء الثاني عشر { عشرة آية ﴿ ٣٧٤ ﴾ شامى واثنا عشرة مكي ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(أر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه الصورة والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة

الظاهر أمرها فى اعجاز العرب وألتي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لا تشبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قدأبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة

المعاصى ويقال بتارك عقوبة ماتعملون كالم يقفل

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها يوسف وهى كلها مكية آياتها مائة واحد عشرة وكلها ألف وسبع مائة وست وسبعون وحرروفها سبعة آلاف ومائة وست وتسعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وبأسناده عن ابن عباس فى

قوله تعالى (الر) يقول أنا الله ارى ماتقولون وماتعملون وان مايقرا عليكم محمد صلى الله عليه وسلم هو وكلاي (انا) ويقال قسم اقسام به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين الحلال والحرام والامر

عاصم وحفص بالتاء هنا وفى آخر النمل ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحد عشر ﴿

﴿ قيل الاثنت آيات من اولها ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

الرتك آيات الكتاب المبين ﴿ تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب أى تلك الآيات آيات السورة الظاهر أمرها فى الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها انها من عند الله أو لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت

شئ فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باسائه قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿

وهى مكية باجاءهم وهى مائة واحد عشرة آية وألف وست مائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى وفى سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى أر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القبول الثانى رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل أر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿

﴿ قوله عز وجل ﴿ أر ﴿ تقدم تفسيره فى أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴿ تلك ﴿ اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالر هذه ﴿ آيات الكتاب المبين ﴿ وهو القرآن أى البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين

(انا) ويقال قسم اقسام به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين الحلال والحرام والامر

يوسف عليه السلام (انا أنزلناه ﴿ ٣٧٥ ﴾ قرآنا عربيا) أي { سورة يوسف } أنزلنا هذا الكتاب الذي

فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه ولوجعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقصص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالتقص والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما اوحينا اليك هذا القرآن) أي بإيحاءنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لضافته اليه والمخصوص محذوف لان والهي (انا أنزلناه قرآنا عربيا) يقول انا أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد على مجرى لغة العربية (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا ما مرتم به وما نهيتهم عنه (نحن نقص عليك) نبين لك (احسن القصص) احسن الخبر من

﴿ انا أنزلناه ﴾ أي الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ سمي البعض قرآنا لأنه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا وأحوال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فبدأ أحوال بعد حال وفي كل ذلك خلاف ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ علة لانزاله بهذه الصفة أي انزاله مجموعا أو مقررا ببلغتهم كي تفهموه ويحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالإيحاء ﴿ نحن نقص عليك احسن القصص ﴾ احسن الاقتصاص لأنه اقتصص على ابداع الاساليب أو احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبير فعل بمعنى مفعول كالتقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه ﴿ بما اوحينا ﴾ أي بإيحاءنا ﴿ اليك هذا القرآن ﴾ يعني

﴿ انا أنزلناه ﴾ يعني هذا الكتاب ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أي أنزلناه ببلغتهم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمد صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لأنه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شيء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ يعني تفهمون أيها العرب لأنه نازل ببلغتهم ﴿ قوله تعالى ﴾ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴿ الاصل في معنى القصص اتباع الخبر ببعضه بعضا والقصص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قص الاثر اذا تبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والاماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من القوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها ﴿ وقوله تعالى ﴾ بما اوحينا اليك ﴿ يعني بإيحاءنا اليك يا محمد ﴿ هذا القرآن

أخبار يوسف واخوته (بما اوحينا اليك) بالذي اوحينا اليك جبريل به (هذا القرآن) في هذا القرآن

بما أوحينا اليك هذا القرآن معن عنه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابداع طريقة وأعجب أسلوب فانك لا ترى اقتصاصه في كتب الاولين مقار بالاقصاصه في القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والنجائب التي ليست في غيره والظاهر انه أحسن ما يقص في باب كايقال فلان أعلم الناس أي في فنه والجزء الثاني عشر اشتقاق القصص من قص ٣٧٦ أثره اذ تبعه لان الذي يقص الحديث

يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وان الشأن والحديث كنت من قبل ابحاثنا اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر اذ قال (يوسف) اسم عبراني لاعربى اذ لو كان عربياً لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لايه) يعقوب (بأبت) ابت شامى وهى تاء التأنيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحدة منهما ما زالت في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر كما في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من ياءتواستبقى الفحة قبلها كما فعل من حذف الياء في

السورة ويجوز ان يحمل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر * وان كنت من قبله لمن الغافلين * عن هذه القصة لم تحظر ببالك ولم تفرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة * اذ قال يوسف * بدل من احسن القصص ان جعل مفعولاً لبديل الاشتمال أو منصوباً باضمار اذ كبر يوسف عبرى ولو كان عربياً لانصرف * وقرئ * بفتح السين وكسرها على التلعب به لاعلى انه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بجمته * لايه * يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم * يابت * اصله يابى فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها أولانه كان يابتاً فحذف الالف وبقى الفحة وانما جاز يابا ولم يحز يابى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ * بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاعلم لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب * انى رأيت * من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذاتأويل رؤياى من قبل * احد عشر كوكبا والشمس والقمر * روى

وان كنت * أى وقد كنت * من قبله * يعنى من قبل وحين اليك * لمن الغافلين * يعنى عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثنا فنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فنزل الله عز وجل ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله * قوله عز وجل * اذ قال يوسف لايه * أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لايه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبرى ولذلك لا يجزى فيه الصرف وقيل هو عربى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمع في يوسف فسمى به * يابى * انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

يا غلام (انى رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماؤها بيان النبي عليه السلام جريان والذليل (رأيتهم) والطارق وقابس وعمودان والقلبيق والمصيح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه وأبوه وخالته (وان كنت) وقد كنت (من قبله) من قبل نزول جبريل عليك بالقرآن (لمن الغافلين) عن خبر يوسف واخوته (اذ قال) قد قال (يوسف لايه يابى انى رأيت) في منام النهار (أحد عشر كوكبا) نزلن من أما كهن وسجدن لى سجدة التحية وهم اخوته أحد عشر اها (والشمس والقمر)

والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء فى (رأيتهم لى
ساجدين) لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء ﴿ ٢٧٧ ﴾ وهو السجود { سورة يوسف } وكررت الرؤيا لى الان الاولى

تتعلق بالذات والثانية
بالحال أو الثانية كلام مستأنف

على تقدير سؤال وقع جوابا

له كأن أباه قال له كيف

رأيتها فقال رأيتهم لى

ساجدين أى متواضعين

وهو حال وكان ابن ثنى

عشرة سنة يومئذ وكان بين

رؤيا يوسف ومصيراخوته

اليه أربعون سنة أو ثمانون

(قال يابى) بالفتح حيث

كان حفص (لا تقصص
رؤياك) هى معنى الرؤيا الا

انها مختصة بما كان منها فى

النام دون اليقظة و فرق

بينهما بجرى التأنيث كما فى

القربة والقربى (على

اخوتك فيكيدوا لك) جواب

النهى أى ان قصصتها عليهم

كادوك عرف يعقوب عليه

السلام ان الله يصطفيه

للبوة وينعم عليه بشرف

الدارين فخاف عليه حسد

الاخوة وانما يقل فيكيدوك

كأقال فيكيدونى لانه ضمن

معنى فعل يتعدى باللام

ليفيد معنى فعل الكيد مع

افادة معنى الفعل المضمن

فيكون أكد وأبلغ فى

التخوف وذلك نحو فيجتالوا
لك الأترى الى تأكيده

بالمصدر وهو (كيدا

عن جابر رضى الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن
النجوم التى رأى ن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك
فهل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيان وقابس وعمودان والفليق والمصيح
والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين وآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودى أى والله انها لاسماؤها ﴿ رأيتهم لى ساجدين ﴾ استأنف
ليبان حالهم التى رأى عليهم فلان تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
﴿ قال يابى ﴾ تصغير ابن صغره للشفقة أو لاصغر السن لانه كان ابن اثنى عشرة سنة * وقرأ
حفص هنا فى الصفات بفتح الياء ﴿ لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴾
فيجتالوا لاهلاك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه

رأيتهم لى ساجدين ﴿ معناه قال أهل التفسير رأى يوسف فى منامه كأن أحد عشر كوكبا
نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلية الجمعة وكانت ليلة
القدر وكان النجوم فى التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كاستضاء بالنجوم
والشمس أبوه والقمر أمه فى قول قتادة وقال السدى القمر خالته لان أمه راحيل كانت قد
ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان
يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد
بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أسرهم وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان فى ذلك
الزمان التحية فيما بينهم بالسجود * فان قلت ان الكواكب جاد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية
من يعقل فى قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات * قلت لما أخبر عنها
بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقولها يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم
وقيل ان الفلاسفة والمجتمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر
عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح * فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر
كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد لفظا الرؤيا ثانيا فقال رأيتهم لى ساجدين فافادة هذا التكرار
* قلت معنى الرؤيا الاولى رأى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه
أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا
من جلة الكواكب للدلالة على فضلها وشرفها على سائر الكواكب قال أهل التفسير
ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديدا لى لىوسف عليه الصلاة والسلام فسده
اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان
اخوته وأبويه يخضعون له فهذا ﴿ قال ﴾ يعقوب ﴿ يابى ﴾ لا تقصص رؤياك على اخوتك ﴿
يعنى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها ﴿ فيكيدوا لك كيدا ﴾ أى فيجتالوا

رأيتهم لى ساجدين يقول رأيت الشمس والقمر (قا و خا ٤٨ لث) نزل من أمكنتهما وسجدا لى سجدة التحية وهما أبواه
راحيل ويعقوب (قال) يعقوب لىوسف فى السر (يابى) اذا رأيت رؤيا بعد هذا (لا تقصص) لا تخبر (رؤياك على
اخوتك) لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيدا) فيجتالوا لك حيلة ليكون فيها هلاكك

على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيتهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم
ففرق بينهما بجر في التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق
التمخيلة الى الحس المشترك والصادقة منهما انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتصور بما فيها بما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان التخميلة تحاكيه بصورة تناسبه فتتساها الى الحس المشترك فتصير
مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والاحتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد
بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدي به تأكيداً لذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله ﴿ ان الشيطان
للانسان عدومين ﴾ ظاهر العداوة كالفعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهداً في

في اهلاكه فامر به بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحي وحق واللام في فيكيدوا
لك كيدا تأكيداً للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك ﴿ ان الشيطان
للانسان عدومين ﴾ يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان
ذلك مضافاً الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال كنت أرى
الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا
السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم
ما يكره فليقل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره
(خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى
غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها
لاسدقها فانها لن تضره (م) عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً
وليتحول عن جنبه الذي كان عليه ﴿ عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعة ﴿ وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزءاً من
النبوذة وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قل وأحسبه قال ولا يحدث
بها الا لبيبا أوحياً أخرجه الترمذي ولا يابى داود نحوه قال الشيخ محي الدين النووي قال
المازري مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها
في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يتعنه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه
الاعتقادات فكأنه جعلها علماء على أمور آخر يجعلها في نافي الحال والجميع خلق الله تعالى
ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها علماء على ما يسر بغير حضرة الشيطان
فاذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازاً وان
كان لافضل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من
الشيطان لاعلى أن الشيطان يفعل شيئاً والرؤيا اسم للمحجوب والحلم اسم للمكروه وقال

ان الشيطان للانسان عدو
مبين (ظاهر العداوة
فيحملهم على الحسد والكيد
(ان الشيطان للانسان)
لبنى آدم (عدومين) ظاهر
العداوة يحملهم على الحسد

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتهاد الذي دلت عليه رؤياك (يحتيك ربك) يصطفيك والاجتهاد والاصطفاء افعال من حيث
 شيء اذا حصلته لنفسك وجيت الماء ﴿ ٣٧٩ ﴾ في الحوض { سورة يوسف } جفته (ويعلمك) كلام مبتدأ

غير داخل في حكم التشبيه
 كأنه قيل وهو يعلمك (من
 تأويل الاحاديث) أي
 تأويل الرؤيا وتأويلها
 عبارتها وتفسيرها وكان
 يوسف أعبرا للناس للرؤيا
 أو تأويل أحاديث الانبياء
 وكتب الله وهو اسم جمع
 للحديث وليس بجمع
 أحدوثه (وتم نعمته عليك
 وعلى آل يعقوب) بأن
 وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة
 الآخرة أي جعلهم أنبياء
 في الدنيا وملوكا وتلقاهم
 عنها الى الدرجات العلى
 في الجنة وآل يعقوب أهله
 وهم نسله وغيرهم وأصل
 آل أهل بدليل تصغيره على
 أهيل الا انه لا يستعمل الا
 فحين له خطر يقال آل
 النبي وآل الملك ولا يقال
 آل الحجاج ولكن أهله وانما
 علم يعقوب ان يوسف يكون
 نبيا واخوته أدياء استدلالا
 بضوء الكواكب فلذا قال
 وعلى آل يعقوب (كما
 أتمها على أبويك من قبل)
 أراد الجدد وأبا الجدد (ابراهيم
 واسحق) عطف بيان
 لأبويك

تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما اجبتك لمثل
 هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكان نفس ﴿ يحتيك ربك ﴾ للنبوة والملك أو
 لامور عظام والاجتهاد من حيث الشيء اذا حصلته لنفسك ﴿ ويعلمك ﴾ كلام مبتدأ
 خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ﴿ من تأويل الاحاديث ﴾ من تعبير الرؤيا لانها
 احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس أو الشيطان ان كانت كاذبة أو من تأويل
 غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كما بطيل اسم
 جمع للباطل ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ بالنبوة أو بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
 ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ يريد به سائر بنيهم وعلاه استدلالا على نبوتهم بضوء الكواكب
 أو نسله ﴿ كما أتمها على أبويك ﴾ بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى
 اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبحه عظيم ﴿ من قبل ﴾ أي من قبلك أو من قبل هذا
 الوقت ﴿ ابراهيم واسحق ﴾ عطف بيان لأبويك

غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان
 كانتا جميعا من خلق الله وتدييره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة
 ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من محب واذ رأى ما يكره فلا
 يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شره او ليتقل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر
 فانها لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا
 لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ وكذلك يحتيك ربك ﴿ يعني
 يقول يعقوب وليوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا
 الشريفة العظيمة كذلك يحتيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتهاء الله تعالى العبد
 تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلاسعى من العبد وذلك
 مختص بالانبياء أو بعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين ﴿ ويعلمك ﴾
 من تأويل الاحاديث ﴿ يعني به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لانه يؤل أمره الى ما رأى في
 منامه يعني يعلمك تأويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة
 والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل احاديث الانبياء والامم السالفة
 والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ يعني
 بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون
 درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتبة والمناصب
 ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ المراد بالآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من تمام
 النعمة عليهم ﴿ كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ﴾ بأن جعلهما نبين
 وهو المراد من تمام النعمة عليهما وقيل المراد من تمام النعمة على ابراهيم صلى الله

(وكذلك) هكذا
 (يحتيك) يصطفيك (ربك)

بالنبوة (ويعلمك من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا (وتم نعمته عليك) بالنبوة والاسلام أي عمتك على ذلك (وعلى آل يعقوب)
 بك أي ويتم نعمته على أولاد يعقوب بك (كما أتمها) نعمته بالنبوة والاسلام (على أبويك من قبل) من قبلك (ابراهيم واسحق)

﴿ ان ربك عليم ﴾ من يستحق الاجتناب ﴿ حكيم ﴾ يفعل الاشياء على ما ينبغي ﴿ لقد كان في يوسف واخوته ﴾ أى في قصتهم ﴿ آيات ﴾ دلائل قدرة الله وحكمته وأعلامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية ﴿ للسائلين ﴾ لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهود اوروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينه من بنت خالته لياتزوجها يعقوب اولاً فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرماً حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة

عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذة خليلاً والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشىء والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لأعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد ﴿ ان ربك عليم ﴾ يعنى بمصالح خلقه ﴿ حكيم ﴾ يعنى انه تعالى لايفعل شيئاً إلا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد كان في يوسف واخوته ﴿ يعنى في خبره وخبر اخوته وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت خال يعقوب وولد يعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والآخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالى وجاد وآشر ثم توفيت لياتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفراً ﴿ آيات للسائلين ﴾ وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع أخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة ففجوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئاً فهل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أو حاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل ألقائه في الجب وبيعه عبداً وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ

(ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتناب (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أى في قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شىء آية مكي (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت لياتزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف

ان ربك عليم (بنعمته)
(حكيم) باتمامها ويقال عليهم برؤياك حكيم بما يصيبك (لقد كان في يوسف) في خبر يوسف (واخوته آيات) عبرات (للسائلين) عن خبرهم نزلت هذه الآية في خبر من اليهود

(اذ قال اليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته
لهما أمر ثات لاشبهته فيده وانما قالوا ﴿ ٣٨١ ﴾ وأخوه وهم ﴿ سورة يوسف ﴾ اخوته أيضا لان أمهما

كانت واحدة وانما قيل
أحب في الاثنين لان أفضل
من لا يفرق فيه بين الواحد
وما فوقه ولا بين المذكر
والمؤنث ولا بد من الفرق
مع لام التعريف واذا
أضيف سماع الامران
والواو في (ونحن عصبه)
للحال أى انه يفضلهما
في المحبة علينا وهما صغيران
لا كفاية فيهما ونحن
عشرة رجال كفاة تقوم
بمراقبته فنحن أحق بزيادة
المحبة منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما (ان ابانا
لنى ضلال ميين) غلط في
تدبير أمر الدنيا ولوصفوه
بالضلاله في الذين لكفروا
والعصبة العشرة فصاعدا
(اقتلوا يوسف) من جملة
ما حكى بعد قوله اذ قالوا
كأنهم اطبقوا على ذلك الا
من قال لاقتلوا يوسف وقيل
الامر بالقتل شمعون
والباقون كانوا راضين
فجعلوا أمرين (أواطرحوه
أرضا) منكورة مجهولة
بعيدة عن العمران وهو

﴿ اذ قالوا ليوسف وأخوه ﴿ بنيامين ونحسب بالاضافة لا اختصاصه بالاخوة من الصرفين
﴿ أحب الى أبينا منا ﴾ وحده لان افعال من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
تخالف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ﴿ ونحن عصبه ﴾ والحال انما جاعة
اقوياء حق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة العشرة فصاعدا سمو بذلك
لان الامور تعصب بهم ﴿ ان ابانا لنى ضلال ميين ﴾ لتفضيله المفضول أو لترك التعديل
في المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من الخيائل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى
الزؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى جعلهم على التعرض له
﴿ اقتلوا يوسف ﴾ من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامن قال
لاقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون أودان ورضى به الآخرون ﴿ أواطرحوه أرضا ﴾

﴿ اذ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ يوسف ﴾ اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف
﴿ وأخوه ﴾ يعنى بنيامين وهما من أم واحدة ﴿ أحب الى أبينا منا ونحن عصبه ﴾ انما قالوا
هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقتة عليه
والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هى العشرة فإزاد وقيل هى ما بين
الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هى ما بين العشرة الى
خسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض
يسمون عصبه والعصبة لا واحد لها من لفظها كالحرط والفر ﴿ ان ابانا لنى ضلال ميين ﴾
يعنى لنى خطأ بين في ايشاره حب يوسف علينا مع صغره لانفع فيه ونحن عصبه
ننقمه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا
الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر
الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطى في صرف محبته اليه
لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن
يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة
المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف
بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير أو لانه رأى فيه من آيات الرشد
والنجابة ما لم يره في سائر اخوته ﴿ فان قلت الذى فعله اخوة يوسف بيوسف هو
محض الحسد والحسد من أمهات الكبار وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض
المقوق وهو من الكبار أيضا وكل ذلك قاذح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه ﴿ قلت
هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة
الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مرهقين غير
بالنبي ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قاذحة في عصمة
الانبياء ﴿ قوله تعالى حكايت عن اخوة يوسف ﴾ اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا

(اذ قالوا) اخوة يوسف
بعضهم لبعض (ليوسف
واخوه) بنيامين (أحب الى
ابينا) آثر عنده (منا ونحن
عصبه) عشرة (ان ابانا

لنى ضلال ميين) في خطأ بين في حب يوسف واختياره علينا ثم قال بعضهم لبعض (اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا) في جب

معنى تشكيروها واخلاؤها عن الوصف ولهذا الإبهام نصبت الظروف المبهمة (يخل لكم وجه) أي بيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم { الجزء الثاني عشر } والمراد ﴿ ٣٨٢ ﴾ سلامة محبته لهم عن يشاركهم فيها

فكان ذكر الوجه لتسوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا قبل على الشيء قبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات كاقبال ويبقى وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطف على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التعريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تأبين الى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أيكم (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً (لاقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقيوه في غيابة الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني

(يخل لكم وجه أيكم) يقول يقبل عليكم أبوكم بوجهه (وتكونوا من بعده) من بعد قتله (قوما صالحين) تأبين من قتله ويقال صلحت حالكم مع أيكم (قال قائل منهم) من اخوة يوسف وهو يهوذا

منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تشكيروها وإبهامها ولذلك نصبت الظروف المبهمة ﴿ يخل لكم وجه أيكم ﴾ جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه أيكم فيقبل بكلية عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد ﴿ وتكونوا ﴾ جزم بالعطف على يخل أو نصب باخماران ﴿ من بعده ﴾ من بعد يوسف والقراغ من امره أو قتله أو طرحه ﴿ قوما صالحين ﴾ تأبين الى الله تعالى عما جنيتم أو صالحين مع أيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تهمدونه أو صالحين في امر دنياكم فانه ينظم لكم بعده بخلو وجهاً أيكم ﴿ قال قائل منهم ﴾ يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأياً وقيل روبيل ﴿ لاقتلوا يوسف ﴾ فان القتل عظيم ﴿ وألقيوه في غيابة الجب ﴾ في قعره سمي به لغيوبته عن عين الناظرين * وقرأنا في غيابات في الموضوعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات * وقرئ

يخل لكم وجه أيكم ﴿ لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تباعد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة أو التعريب الى الارض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بان تقترسه الاسد والسباع أو يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ يعني من بعد قتل يوسف أو إبعاده عن أبيه ﴿ قوما صالحين ﴾ يعني تأبين فتوبوا الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزوا عليه من الذنوب الكبائر قالوا توب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أيكم فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه منهم وهم أنبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادمة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبياً شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله ﴿ قال قائل منهم لاقتلوا يوسف ﴾ يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً فيه فهاهم عن قتله وقال القتيل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سناً ﴿ وألقيوه في غيابة الجب ﴾ يعني ألقوه في أسفل الجب وظلمته والقبابة كل موضع ستر شيئاً وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واخلقوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب لليلة التي ذكروها وهي قولهم

لاخوته (لاقتلوا يوسف وألقيوه) ولكن اطرحوه (في غيابة الجب) في أسفل الجب ويقال في ظلمته (يلتقطه)

(يلتقطه بعض السيارة)
 بعض الاقوام الذين
 يسبون في الطريق
 (ان كنتم فاعلين) به شيئاً
 (قلوا يا ابا ناسا مالك لا تأمنا
 على يوسف وانا له لناصحون)
 أي لم تخافنا عليه ونحن
 نريد له الخير ونشقق عليه
 وأرادوا بذلك لما عزموا
 على كيد يوسف استنزاله
 عن رأيه وعادته في حفظه
 منهم وفيه دليل على أنه
 أحسن منهم بما أوجب ان
 لا يأمنهم عليه (أرسله معنا
 غدا نرتع) تتسع في أكل
 الفواكه وغيرها والرتعة
 السمعة (ونلعب) نتفرج
 بما يباح كالصيد والرمي
 والركض بالياء فيهما مدني
 وكوفي وبالنون فيهما
 مكي وشامي وأبو عمرو
 وبكسر العين مجازي من
 ارتعى يرتعى افتعال من الرعى

(يلتقطه) يرفعه
 (بعض السيارة) ماري
 الطريق من المسافرين
 (ان كنتم فاعلين) به أمرهم
 جاؤا الى أبيهم (قالوا)
 لايبهم (يا ابا ناسا مالك لا تأمنا
 على يوسف وانا له لناصحون)
 حافظون (أرسله معنا غدا
 نرتع) يذهب ويجي
 وينشط (ونلعب) يله

غيبه وغيابات بالتشديد ﴿ يلتقطه ﴾ يأخذه ﴿ بعض السيارة ﴾ بعض الذين يسبون
 في الارض ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ بمشورتي أو ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه
 ﴿ قالوا يا ابا ناسا مالك لا تأمنا على يوسف ﴾ لم تخافنا عليه ﴿ وانا له لناصحون ﴾ ونحن
 نشقق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما نسب من حسدهم
 والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما
 من كلمتين وتسمنا بكسر التاء ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ الى الصحراء ﴿ نرتع ﴾ تتسع في اكل الفواكه
 ونحوها من الرتعة وهي الخصب ﴿ ونلعب ﴾ بالاستباق والانتضال ﴿ وقرأ ابن كثير نرتع بكسر
 العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب ﴾ وقرأ الكوفيون ويعقوب
 بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف ﴿ وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر

﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ وذلك ان هذا الجب كان معروفاً ردد عليه كثير من المسافرين والالتقاط
 أخذ الشيء من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض
 المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ فيه اشارة الى ترك
 الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيئاً من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدران
 كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء الابعده وقيل لم
 يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا
 يا ابا ناسا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل
 فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير
 الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفالة عن ذلك
 كله حتى لايبأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله
 وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم
 الله فلما أجموا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل ﴿ قالوا ﴾
 يعني قال اخوة يوسف ليعقوب ﴿ يا ابا ناسا مالك لا تأمنا على يوسف ﴾ بدؤا بالانكار
 عليه في ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا أنخافنا عليه اذا ارسلته معنا ﴿ وانا له
 لناصحون ﴾ المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والمطف والمغنى وانا
 لماطفون عليه قائلون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك
 انهم قالوا لايبهم أرسله معنا فقال يعقوب اني ليجزتي ان تذهبوا به فيئنذ قالوا مالك
 لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قال ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ يعني الى الصحراء
 ﴿ نرتع ﴾ الرتعة هو الاتساع في الملاذ يقال رتعت فلان في ماله اذا انفق في شهوته والاصل في الرتعة
 أكل البهائم في الخصب زمن الربيع ويستعمار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير
 ﴿ ونلعب ﴾ اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصده
 مقصدا صححا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا
 يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح

(واناله لحافظون) من ان يناله مكروه (قال اني ليحزني أن تذهبوا به) أي يحزني ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنده { الجزء الثاني عشر { غافلون) اعتذر ٣٨٤ اللهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه

كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذ غفلوا عنه برعيهم ولهم (قالوا لئن أكله الذئب) اللام موطنة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو في (ونحن عصبه) أي فرقة مجتمعة مقادرة على الدفع للحال (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط أي ان لم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وأجاوعنا عنده الثاني دون الاول لان ذلك كان يعيظهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) أي عزموا على ألقائه في البئر وهي بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فملوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى

(واناله لحافظون) مشفقون (قال) أبوهم (ان ليحزني أن تذهبوا به) فلأراه (وأخاف أن يأكله الذئب) لانه رأى في منامه ان ذئبا يشد عليه فمن ذلك قال وأخاف ان يأكله الذئب (وأنتم عنه غافلون) باللعب ونقال مشغولون بعمالكم (قالوا)

العين ويلعب بالرفع على الاتماء * واناله لحافظون * ان يناله مكروه * قال اني ليحزني ان تذهبوا به * لشدة مفارقتة على وقلة صبري عنه * وأخاف ان يأكله الذئب * لان الارض كانت مذابة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحزده * وقد همز ما على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وابو عمرو ووقفا وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحزة درجا واشتقاقه من تذابرت اذ اذهبت من كل جهة * وانتم عنه غافلون * لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه * قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبه * اللام موطنة للقسم وجوابه * انا اذا لخاسرون * ضعفاء مغبونون أو مستحقون لان يدعي عليهم بالخسار والواو في ونحن عصبه للحال * فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب * وعزموا على ألقائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو ببئر ارض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم

الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرة تلاحبها وتلاحبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معنى ترتع وتلعب تنتعم وتأكل وتلهو وتنتشط * واناله لحافظون * يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى زرده اليك سالما * قال * يعني قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام * اني ليحزني أن تذهبوا به * أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية أنه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بمذرين احدهما ان ذهابهم به ومفارقتة اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله * وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون * يعني اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام ان ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئب في أرضهم كثيرة * قالوا * يعني قال اخوة يوسف محبين ليعقوب * لئن أكله الذئب ونحن عصبه * أي جماعة عشرة درجا * انا اذا لخاسرون * يعني عجزه ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم تقدر على حفظ أخينا فكيف تقدر على حفظ مواشينا فمن اذا خاسرون * قوله عز وجل * فلما ذهبوا به فيها خسار واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به * وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب * يعني وعزموا على أن يلقوه في غيابة الجب

ذكر قصة ذهابهم يوسف عليه الصلاة والسلام

قال وهب وغيره من أهل السير والايخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما تشتاق ان

لايسهم (لئن أكله الذئب ونحن عصبه) عشرة (انا اذا لخاسرون) يقال مغبونون بترك حرمة (مخرج) الوالد والاخ (فلما ذهبوا به) بعدما أخذ لهم بذهابه (وأجمعوا أن يجعلوه) يقول اجتمعوا على ان يطرحوه (في غيابة الجب)

لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قصي انوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيهما ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه

انهم لما برزوا به الى البرية أظهر والله العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فنعهم يهوذا فلما أرادوا ألقائه في الجب تعلق بثيابه فنزعوهما من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قيصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم وادلوه في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروي ان ابراهيم عليه السلام حين أتى في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تيممة علقها في عنق يوسف فاخرجه جبريل وألبسه اياه

في أسفل الجب

تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له أنسئله أبك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا أبت انى أرى من اخوتى اللين واللاطف فاحب ان تأذنلى وكان يعقوب يكره مفارقتة ويحب مرضاته فاذنله وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض وأظهروا له ما فى أنفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا أبتاه يا يعقوب لورأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذته روبيل وجلده به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخى لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا لوى عنقه فاستغاث يوسف يهوذا وقال له اائق الله في وحل بنى وبين من يريد قتلى فادركته رجعة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتى ما على هذا عاهدتموني الأ أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب اما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصه فقال يا اخوتاه ردوا على قصي لاستتره في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال انى لم ارشياً فألقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه أئذعونى فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنها رجعة أدركتهم فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فنعهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بشه مع اخوته أخرج له قميص ابراهيم الذى كساه الله اياه من الجنة حين أتى في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين أتى في الجب فاضاءه الجب وقال الحسن لما أتى يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به

جبرائيل عليه السلام بالوحي كما قال ﴿ واوحينا اليه ﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه في صغره كما وحي الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها ب يوسف فاخرجه جبريل عليه السلام وألبسه اياه ﴿ لتنبئهم بأمرهم هذا ﴾ لتحدثهم بما فعلوا بك ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ انك يوسف املو شأنك وبعده عن اوهاهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره اناساله وتطيبها لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل

فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذارهبت شيأ فقل يا صريح المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شئ من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقى يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فما بات فيه واختلقوا في قدر عمر يوسف يوم ألقى في الجب فقال الضحاک ست سنين وقال الحسن اثنا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى ﴿ واوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا ﴾ يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه وبشره بالخروج ويخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغافي ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا أن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من أرسل اليه قلت لا يتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والنغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحى الهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يعني يا بحاشا اليك وأنت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما زاد حسدهم له وقيل ان الله تعالى اوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وأنه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير

(واوحينا اليه) قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا (لتنبئهم بأمرهم هذا) أي لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف املو شأنك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فظن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وانكم ألقىتموه في غيابة الجب وقتلتم لايه أكله الذنب وبعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا أي آسناء بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك

(واوحينا اليه) الى يوسف أرسلنا اليه جبريل ويقال اللهم (لتنبئهم) لتخبرنهم يا يوسف (بأمرهم) بصنيعهم (هذا) بك (وهم لا يشعرون) وهم لا يعلمون انك يوسف حتى تخبرهم ويقال لا يعلمون بوحي الى يوسف

(وجاؤا أباهم عشاء) للاستتار والتجسس على الاعتذار (يكون) حال عن الاعمش لاتصدق باكية بعد اخوة يوسف
فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فإياكم وأين يوسف (قالوا يا أباانا انا ذهنا نستيق) أي
تسابق في العدو أو في الرمي والافتعال ﴿ ٣٨٧ ﴾ والتفاعل يشتركان (سورة يوسف) كالارتقاء والترامى وغير

ذلك (وتركنا يوسف عند
متاعنا فاكله الذئب وما
أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا
(ولو كنا صادقين) ولو كنا
عندك من أهل الصدق
والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وأنت سي الظن
بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا
على قيصه بدم كذب)
ذى كذب ووصف بالمصدر
مبالغة كأنه نفس الكذب
وعينه كما يقال للكذاب
هو الكذب بعينه والزور
بذاته روى أنهم ذبحوا
سحلة ولطخوا القميص
بدمها وزل عنهم ان يزقوه
وروى ان يعقوب عليه
السلام لما سمع بخبر يوسف
صاح باعلى صوته وقال أين
القميص فأخذته وألقاه
على وجهه وبكى حتى خضب
وجهه بدم القميص وقال
تالله ما رأيت كاليوم ذنبا
أحل من هذا أكل ابني ولم
يزق عليه قيصه وقيل كان
في قيص يوسف ثلاث آيات
كان دليلا يعقوب على

باوحيناى آتسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ أى آخر النهار وقرى
عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أى عشوان من البكاء ﴿يكون﴾
متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بني واين يوسف ﴿قالوا يا اباانا انا ذهنا
نستيق﴾ تسابق في العدو أو في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضان والتناضل
﴿وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا
صادقين﴾ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف ﴿وجاؤا على قيصه بدم كذب﴾ أى
ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرى بالنصب على
الحال من الواو أى جاؤا كاذبين وكذب بالدال غير المعجمة أى كذرا وطرى وقيل اصله
البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبده الدم اللاصق على القميص وعلى قيصه فى موضع
النصب على الظرف أى فوق قيصه أو على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور
مستوليا عليهم ويصرون تحت أمره وقهره ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ يكون ﴿
قال المفسرون لما طرحوا يوسف فى الحب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا فى الظلمة
اجتراء على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون وبصرخون
فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بني هل أصابكم شيء
فى غنمكم قالوا لا قال فإياكم وأين يوسف ﴿قالوا يا اباانا انا ذهنا نستيق﴾ قال ابن
عباس يعنى نتضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا فى الرمي والاصل فى السبق الرمي
بالسهم وهو التناضل أيضا وسمى للمترايمان بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك
ليتبين أيما أبعد سهما وقال السدى يعنى نشد ونعدو والمعنى نستيق على الاقدام
ليتبين أيما أسرع عدوا وأخذ حركة وقال مقاتل نصيد والمعنى نستيق الى الصيد
﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ يعنى عند ثيابنا ﴿فأكله الذئب﴾ يعنى فى حال استبقانا
وغفلت اعننه ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ يعنى وما أنت بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ يعنى فى قولنا
والمعنى انا وان كنا صادقين لكنتك لاتصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك
تتهمنا فى قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانهم
تظهر عندك أمانة تدل على صدقنا ﴿وجاؤا على قيصه﴾ يعنى قيص يوسف ﴿بدم
كذب﴾ أى مكذوب فيه قال ابن عباس أنهم ذبحوا سحلة وجعلوا دمها على قيص
يوسف ثم جاؤا أباهم وفى القصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب
لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قيصه فاتهم بذلك وقيل أنهم أتوه بذئب وقالوا
هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فأطلقه الله

كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قدم من دبره ومحل على قيصه النهب على الظرف كانه

(وجاؤا أباهم) الى أبيهم (عشاء) بعد الظهر (يكون) على يوسف (قالوا يا أباانا انا ذهنا نستيق) نتضل ونصطاد
(وتركنا يوسف عند متاعنا) ليحفظه (فاكله الذئب) كآقت (وما أنت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا) وان كنا
(صادقين) فى قولنا (وجاؤا على قيصه) لطخوا على قيصه (بدم كذب) دم جدى ويقال طرى

قيل وجاؤا فوق قيصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سوات) زينت أوسهات (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتوه (فصبر جيل) خبرا ومبتدا لكونه موصوفا أي فامرئ صبر جيل أو فصبر جيل أجل وهو مالا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أي أستعينه (على) احتمال (ماتصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه (وجاءت سيارة) رفقة تصير من قبل مدين الى مصر وذلك { الجزء الثاني عشر } بعد ثلاثة ﴿ ٣٨٨ ﴾ أيام من ألقاء يوسف في الجب فأخطوا

الطريق فزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فإرسلوا واردهم) هو الذي يرده الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزامي (فادلى داوه) أرسل الدلو ليملاها

ان قرأت بالبدال (قال بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا) في هلاك يوسف ففعلتم (فصبر جيل) فعلى صبر جيل بلا جزع (والله المستعان) منه أستعين (على ماتصفون) على صبري على ماتقولون من هلاكه ولم يصد قهم في قولهم لانهم قالوا مرة أخرى قبل هذا قتله الاصوص (وجاءت سيارة) قافلة من المسافرين من قبل مدين يريدون مصر فتميروا في الطريق فأخطوا الطريق فجعلوا يهيمون في الارض حتى وقعوا في الاراضي التي فيها الجب وهي أرض دوش بين مدين ومصر فزلوا

روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قيصه فاخذته وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذنبا احلم من هذا اكل ابني ولم عزق عليه قيصه ولذلك ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ أي سهلت لكم أنفسكم وهونت في أعينكم امرا عظيما من السؤل وهو الاسترخاء ﴿ فصبر جيل ﴾ أي فامرئ صبر جيل أو فصبر جيل أجل وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه أي الى الخلق ﴿ والله المستعان على ماتصفون ﴾ على احتمال ماتصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبأهم ان صبح ﴿ وجاءت سيارة ﴾ رفقة يسرون من مدين الى مصر فزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من ألقائه فيه ﴿ فإرسلوا واردهم ﴾ الذي يرده الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزامي ﴿ فادلى داوه ﴾ فأرسلها في الجب ليملاها فاعتدى بها يوسف فلما رآه

عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقمت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهي قرابة لي فأخذوني وأنابني اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكرا أخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص المنطوخ بالدم ﴿ قال ﴾ يعقوب ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السؤل وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيم ارتكبتوه من يوسف وهو نتوه في أنفسكم وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فاكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ماتصفون ﴿ فصبر جيل ﴾ أي فشأن صبر جيل وقيل معناه فصبري صبر جيل والصبر الجليل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تتحدث بعصيتك ولا تتركين نفسك ﴿ والله المستعان على ماتصفون ﴾ يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حل ماتصفون ﴿ قوله عز وجل ﴾ وجاءت سيارة ﴿ وهم القوم المسافرون بسوا سيارة لمسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فزلوا قريبا من الجب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما ألقى يوسف فيه عذب فلما زلوا أرسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزامي ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل ﴿ فأرسلوا واردهم فادلى داوه ﴾ قال والوارد الذي هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارضية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودابرتها اذا أخرجتها قال فتمتلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال

عليه (فإرسلوا واردهم) فأرسل كل قوم طالب الماء وهو ساقيم فوافق جب يوسف مالك بن ذعر (وكان) رجل من العرب من أهل مدين ابن أخي شبيب النبي عليه السلام (فادلى داوه) فأرخصه داوه في جب يوسف فتمتلق يوسف فلم يقدر على نزعه من البئر فنظر فيه فمرأى غلاما قمتلق بالدلو فتنادى أصحابه

فتشبت يوسف بالدولوفنزوه (قال ﴿ ٣٨٩ ﴾ يا بشرى) { سورة يوسف } كوفي نادى البشرى كأنه

يقول تعالى فهذا أوانك
غيرهم بشرى على اضافتها
الى نفسه أو هو اسم غلامه
فناداه مضافا الى نفسه
(هذا غلام) قيل ذهب به
فلما دنا من أصحابه صاح
بذلك يشهرهم به (وأسروه)
الضمير للوارد وأصحابه
أخفوه من الرفقة أو لآخوة
يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا قد أبق فاشتروه
مناوسكت يوسف مخافة أن
يقاتلوه (بضاعة) حال أى
أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة
ما يوضع من المال للتجارة
أى قطع (والله عليم بما
يعملون) بما يعمل آخوة
يوسف بأبيهم وأخبرهم من
سوء الصنيع (وشروه)
وباعوه

(قال يا بشرى) هذا بشرى
يا أصحابي قالوا ما ذلك يا مالك
قال (هذا غلام) أحسن
ما يكون من الغلمان فاجتمعوا
عليه فأخرجوه من الجب
(وأسروه بضاعة) وكنموه
من القوم وقالوا لقومهم
هذه بضاعة استبضعها أهل
الماء لنبيهم لهم بمصر (والله
عليم بما يعملون) يوسف
يعنى آخوة يوسف ويقال
أهل القافلة (وشروه)
باعوه آخوته من مالك بن

﴿ قال يا بشرى هذا غلام ﴾ نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا
أوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى بالاضافة
* وقرأ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشرى بالسكون على قصد الوقف * وأسروه * أى
الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيهم لهم
بمصر وقيل الضمير لآخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ
فلم يجده فيها فأخبر آخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه ﴿ بضاعة ﴾ نصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة واشتاقه من البضع
فانه ما يوضع من المال للتجارة ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ لم يخف عليه أسرهم أو صنيع
آخوة يوسف بأبيهم وأخبرهم ﴿ وشروه ﴾ وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه

وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان * وذكر البغوى بسند متصل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمل من جدته
سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثلى
الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جمعدا للشرع ضم
العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والمضدين والساقين اخيصر البطن
صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا
يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام
يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن زعر
كاحسن ما يكون من الغلمان ﴿ قال ﴾ يعنى الوارد وهو مالك بن زعر ﴿ يا بشرى ﴾
يعنى يقول الوارد لأصحابه أبشروا ﴿ هذا غلام ﴾ وقرئ يا بشرى بغير اضافة ومعناه
ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال ان جدران البئر كتبت
على يوسف حين خرج منها ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ قال مجاهد أسره مالك بن زعر وأصحابه
من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال الى مصر
وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان آخوة يوسف أسروا
شأن يوسف يعنى أنهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا أبق وصدقهم
يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن زعر وأصحابه والقول الاول
أصح لان مالك بن زعر هو الذى أسره بضاعة وأصحابه ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾
يعنى من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه ان يصير ملك
مصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتي يوسف بالطعام فأتاه
فلم يجده فى الجب فأخبر آخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن زعر وأصحابه نزولا
قريبا من البئر فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا أبق منا ويقال أنهم
هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم أنهم باعوه منهم فذلك
قوله تعالى ﴿ وشروه ﴾ أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت

من اخوته * ثمن بنحس * منحوس لزيف أو نقصان * دراهم * بدل من الثمن * معدودة * قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويمدون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين درهما * وكانوا فيه * في يوسف * من الزاهدين * الراغبين عنده والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو معلق بمخدوف بينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول

الشيء بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه * ثمن بنحس * قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي بنحس أي حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الجرام بنحسا لانه منحوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بنحس أي زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بنحس أي ظم والظم نقصان الحق يقال ظمته اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بنحس أي قليل وعلى الاقوال كلها فالنحس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والنحس والباخس الشيء الطفيف * دراهم معدودة * فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون مادونها عددا فاذا بلغت أربعين درهما وهي أوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقاتادة كانت عشرين درهما فاقسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما * وكانوا فيه من الزاهدين * يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليستتروه بثمن بنحس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد آبق أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يآبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطيفير قاله ابن عباس وكان قطيفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان

القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون مادون الأربعين ويزنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف أو معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروي ان اخوته اتبعوه وقالوا استوثقوا منه لا يآبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا يتقدم على الموصول وانما هو بيان كانه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه

ذعر (ثمن بنحس) نقصان بالوزن ويقال زيوف ويقال حرام (دراهم معدودة) عشرين درهما ويقال اثنين وثلاثين درهما (وكانوا فيه) في ثمن يوسف (من الزاهدين) لم يحتاجوا اليه ويقال كان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لم يعرفوا قدره ومنزلته عند الله تعالى ويقال كان أهل القافلة في يوسف من الزاهدين

(وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ٣٩١ ثلاثين سنة وآتاه { سورة يوسف } الله الحكمة والعلم وهو ابن

ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أوزليخا والام متعلقة يقال لاباشزاه (اكرمي مشواه) اجعل منزله ومقامه عندنا كراعيل حسنا مريبا بدليل قوله انه ربي أحسن مشواي وعن الضحاك بطيب معاشه وابن لبسه ووطى فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم محاربا نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذ ولدًا) أو نتبناه ونقيم مقام الولد وكان قطفير عقيبا وقد تفرس فيه الرشديقال ذلك (وكذلك) اشارة الى ما تقدمه انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكننا ليوسف) أي كما انجيناها وعطفنا عليه العزيز كذلك مكننا له (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره (وقال الذي اشتراه) اشترى يوسف (من مصر) في مصر

وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو قطفير وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انها اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين واعطاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شرائه غير الاول فقيل عشرين دينارًا وزوجان نعل وثوبان ايضاً وقيل مائة فضة وقيل ذهباً لامرأته راعيل أوزليخا اكرمي مشواه اجعل مقامه عندنا كراعيل حسنا والمعنى احسن تعمهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا أو نتخذ ولدًا نتبناه وكان عقيبا لما تفرس فيه من الرشيد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابوبكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما وكذلك مكننا ليوسف في الارض وكننا محبة في قلب العزيز أو كما مكناه في منزله أو كما انجيناها وعطفنا عليه العزيز مكناه له فيها

ابن الوليد بن زوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارًا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر يعني قطفير من أهل مصر لامرأته وكان اسمها راعيل وقيل زليخا اكرمي مشواه يعني اكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل اكرمي في المطعم والملبس والمقام عسى أن ينفعنا يعني ان أردنا بيعه بعناه بريح أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ أو نتخذ ولدًا يعني نتبناه وكان حضورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته اكرمي مشواه عسى أن ينفعنا أو نتخذ ولدًا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لا يبيها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبكر في عر حيث استخلفه بعده وكذلك مكننا ليوسف في الارض يعني كما مننا على يوسف بان أنقذنا من القتل وأخرجنا من الحب كذلك مكننا في الارض يعني

وهو العزيز خازن الملك وهو صاحب جنوده وكان يسمى قطفير (لامرأته) زليخا (اكرمي مشواه) قدره ومنزله (عسى أن ينفعنا) في ضيقتنا (أو نتخذ ولدًا) أو نتبناه وكان اشتراه من مالك بن ذعر بعشرين درهما وحللة ونعلين (وكذلك) هكذا (مكننا ليوسف) ملكنا يوسف (في الارض) أرض مصر

ونخيه (ولتعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على امره) لا يمنع عما شاء او على امر يوسف بتبليغه ما اراد له دون ما اراد اخوته { الجزء الثاني عشر } (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ اشده)

منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون (آيناه حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عصفوان امره (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي طلبت يوسف أن يواقعها والمرادة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت فعل الخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التحلل لمواقفة اياها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال وأقبل

(ولتعلمه من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (والله غالب على امره) على مقدوره لا يرد مقدور ما أحد (ولكن أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون ويقال لا يعلمون أن الله غالب على امره (ولما بلغ اشده) والاشد من ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين سنة (آيناه)

ولتعلمه من تأويل الاحاديث عطف على مضمرة تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولتعلمه أي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويستعمل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه (والله غالب على امره) لا يرد شيئا ولا ينازعه فيما يشاء أو على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلا يكن الا ما اراده (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان الامر كله بيده أو اطائف صنعه وخفيا لطفه (ولما بلغ اشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلم (آيناه حكما) أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس (وعلما) يعني علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عصفوان امره (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) طلبت منه وتخلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الايثاق (وقالت هيت لك) أي اقبل وبادرا أو تهيأت والكلمة

أرض مصر فحملناه على خزائنها (ولتعلمه من تأويل الاحاديث) أي مكنا له في الارض لكي تعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على امره) قيل الكناية في امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يرد منه (ولما بلغ اشده) يعني منتهى شبابه وشده وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضمك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (آيناه حكما وعلما) يعني آيناه يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعالم هو العلم النظري (وكذلك) يعني وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضمك يعني الصابرين على النوائب كصبر يوسف (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الابواب) أي أطبقتهما وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية وأما أغلقها لشدة خوفها (وقالت هيت لك) أي هلم واقبل قال أبو عبيدة كان الكسافي

أعطيناه (حكما وعلما) فهما ونبوة (وكذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالعلم والحكمة (يقول) (وراودته) طلبته (التي هو في بيتها عن نفسه) ان تستمكن من نفسه (وغلقت الابواب) عليها وعلى يوسف (وقالت) ليوسف (هيت لك) هلم انالك ويقال تعال أنالك ويقال تهيأت لك معناه ان قرأت بنصب الهاء

وهو مبنى على الفتح هيت مكي بناء على الضم هت مدني وشامي واللام لليان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول لهم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذ (انه) أي ان الشأن والحديث (ربي) سيدي ومالكي يريد قطفير (أحسن مثواي) حين قال لك أكرمي مثواه فاجزاؤه ان اخونه في أهله (انه لا يفلح الظالمون) ﴿٣٩٣﴾ الخائثون أو الزناة ﴿سورة يوسف﴾ أو أراد بقوله انه ربي الله تعالى لانه

مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو المنصور رجه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للبعد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المحلصين وقيل هم بها وشارف أن يهيم بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أي لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخل في حكم القسم في قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على به وبتدي بقوله

على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كأي واللام للتبيين كالتى فى سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمزها وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجبر وهت كجئت من هاء يبي اذا تهيا وقرئ هيت وعلى هذا فاللام من صلته ﴿قال معاذ الله﴾ أعوذ بالله معاذ ﴿انه﴾ أي الشأن ﴿ربي احسن مثواي﴾ سيدي قطفير احسن تعهدى اذ قال لك فى اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه فى أهله وقيل الضمير لله تعالى أي انه خالتي واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله ﴿واقدم همت به وهم بها﴾ قصدت مخالطته وقصدت مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ومشاركة الهم كقولك قتلته لولم اخف الله ﴿لولا ان رأى برهان ربه﴾ فى قبح الزنا وسوء مغيبه مخالطها

يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث واقبال على الشئ وقيل هي بالعبرانية وأصلها هيتالج أي تعال فعربت فقيل هيت لك فن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التور ولغة العرب الترك فى الفساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهأت لك ﴿قال﴾ يعنى يوسف ﴿معاذ الله﴾ أي أعوذ بالله وأعصم به وألجأ اليه فيما دعوتى اليه ﴿انه ربي﴾ يعنى ان العزيز قطفير سيدي ﴿أحسن مثواي﴾ أي أكرم منزلتى فلا أخونه وقيل ان الهاء فى انه ربي راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربي أحسن مثواي يعنى انه آوانى ومن بلاه الحب نجاني ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ يعنى ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسمع الزناة قوله عز وجل ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين الاول فى ذكر أقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت بالشئ اذا أردته وحدثك نفسك به وقاربته من غير

التاء تعال أالك (قال) يوسف (معاذ الله) (قاوخوا ٥٠ لث) أعوذ بالله من هذا الامر (انه ربي) سيدي العزيز (أحسن مثواي) قدرى ومنزلتى لأخونه فى أهله (انه لا يفلح) لا يأمن ولا ينجو (الظالمون) الزانون من عذاب الله (ولقد همت به) المرأة (وهم بها) يوسف (لولا ان رأى برهان ربه) عذاب ربه لازما على نفسه ويقال رأى برهان ربه له مقدم ومؤخر

لشبق الغلظة وكثرة المبالغة ولا يجوز أن يجعل بهم جواب لولا فانها في حكم ادوات دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به أى أرادته وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزخشمى هم بالامر اذا قصدته وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن صابئ
البرجى

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكي حلاله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم به أى وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لمخالطتها قال البغوى وأما همه بها فروى عن ابن عباس أنه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوى والتول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا فى الانبياء من غير علم قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز سراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما يثتر عن جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هى أول ما يسيل على خدى فى قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو والتراب يأكله و قيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقتض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطعمه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجرد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهى امرأة حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذى ذكره وسيأتى الكلام على تفسير البرهان الذى رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون فى هذه الآية * أما المقام الثانى فى تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التى ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضامثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فآكتبوها عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فآكتبوها له حسنة فان عملها فآكتبوها له عشرة لفظ مسلم والبخارى بمعناه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما روي عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعلمها كتبها الله عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعلمها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد فى رواية

وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسرهم يوسف بأنه حل تكة سراويله وقدين شعها الاربع وهى مستقيمة على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا ياك واياها مرتين فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أعلته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هو راودتى عن نفسى

الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب مخدوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام
 أو محامها ولن يهلك على الله إلا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى مذهب
 كثير من الفقهاء والمحدثين إن هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم
 فلا معصية فيهم يوسف إذا * وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن
 الهم إذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها
 وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون
 قوله وما برى نفسى الآية أى ما أبرها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع
 والاعتراف بخالفه النفس لما زكى قبل وبرى فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي
 عبيدة إن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يبهن وإن الكلام فيه تقديم وتأخير أى
 ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة
 ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
 وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم
 بها أى بزجرها ووعظها وقيل هم بها أى همها امتناعه وقيل هم بها أى نظر اليها
 وقيل هم بضرها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم مازال
 النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأ الله فالتقى عليه هيئة النبوة فشغلت
 هيئته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله * وأما الامام
 فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول
 قال الامام فخر الدين الرازى إن يوسف عليه الصلاة والسلام كان برينا من العمل
 الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه
 نذب فإن الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت إلى ما نقله
 بعض المفسرين عن الأئمة المتقدمين فإن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم
 زلة أو هفوة استظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم
 عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام
 فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيأ من ذلك
 في هذه الواقعة لأنه لو صدر منه شئ لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك
 عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيأ علمنا براءته مما قيل فيه
 ولم يصدر عنه شئ كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك أيضا أن كل من كان له تعلق
 بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب إليه وعلم أن الذين لهم تعلق
 بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيديهن والمولود الذى
 شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان
 أن يوسف ادعى براءته مما نسب إليه فقوله هى راودتنى عن نفسى وقوله رب السجن
 أحب إلى مما يدعوننى إليه وأما بيان أن المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة

ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ
 نفسه من ذلك وقوله كذلك
 لنصرف عنه السوء والفحشاء
 ولو كان كذلك لم يكن السوء
 مصروفا عنه وقوله ذلك
 ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ولو
 كان كذلك لخانه بالغيب
 وقوله ما علمنا عليه من سوء
 وقوله الآن ححص الحق أنا
 راودته عن نفسه وانعلمن
 الصادقين ولأنه لو جدمنه
 ذلك لذكرت توبته واستغفاره

وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقبل قطفيرو قيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء يوسف ونزاهته فقواها أنا راودته عن نفسه فاستصم وتواها الآن ححص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا براءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وأما شهادة المولود ببراءة فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لا غوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين وبطل هذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روى عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن فحاشا ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فأنذرت في أعظم القوائد وبيانه من وجهين • أحدهما انه تعالى أعلم يوسف أنه لوهم بدفعها لقتله فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك الوجه الثاني أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه لوتمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت هي الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فأثبت بذلك الشاهد حقه لاعليه • وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتواقها انما مثلك مالم تواقها مثل الطير في جوار السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقمتها كمثلها اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيأ ومثلك مالم تواقها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقمتها كمثلها اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تقعون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى

كما كان لآدم ونوح وذو النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام ومجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء وعمل الكاف في

(كذلك) نصب أى مثل ذلك التثيت ثبته أو رفع أى الامر مثل ذلك (نصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث ﴿ ٣٩٧ ﴾ كان { سورة يوسف } مدنى وكوفى أى الذين

أخلصهم الله لطاغته وبكسر ها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار واىصال الفعل كقوله واختر موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففرها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرت وراءه لتمنعه الخروج ووجد الباب وان كان جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف حمل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قيصه من دبر) اجتذبت من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (والفيا سيدها لى الباب)

(كذلك) هكذا (نصرف عنه السوء) القبيح (والفحشاء) يعنى الزنا (انه من عبادنا المخلصين) المصومين من الزنا (واستبقا الباب) تبادر الى الباب أراد يوسف

وتعمل عمل السفهاء ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التثيت ثبته أو الامر مثل ذلك ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ خيانة السيد ﴿ والفحشاء ﴾ الزنا ﴿ انه من عبادنا المخلصين ﴾ الذين اخلصهم الله لطاغته ﴿ وقرأ بن كثير و ابو عمرو و ابن عامر و يعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام أى الذين اخلصوا دينهم لله ﴾ واستبقا الباب ﴿ أى تسابقا الى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف فر منها ليخرج وأسرت وراءه لتمنعه الخروج ﴿ وقدت قيصه من دبر ﴾ اجتذبت من وراءه فانقد قيصه والقد الشق طولاً والقط الشق عرضاً ﴿ والفا سيدها ﴾ وصادقاً زوجها ﴿ لى الباب

هارباً ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فاحط جبريل عاضاً على أصبعه يقول يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتاباً في حائط فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سيلاً وفي رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسن قال كان في البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف أستحيين ممن لا يسمع ولا يصر ولا يفقه شيئاً فانا أحق أن استحي من ربى فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه ﴿ أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجلبهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما يليق فعله ﴿ كذلك ﴾ يعنى كما رأينا البرهان كذلك ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ يعنى الاثم ﴿ والفحشاء ﴾ يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فنصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله ﴿ انه ﴾ يعنى يوسف ﴿ من عبادنا المخلصين ﴾ قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبانا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل ﴿ قوله تعالى ﴾ واستبقا الباب ﴿ وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هارباً مبادراً الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب سبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبتة اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل ﴿ وقدت قيصه من دبر ﴾ يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه ﴿ والفا سيدها لى الباب ﴾

ليخرج وأرادت المرأة لتعلق الباب على يوسف فسبقتة المرأة (وقدت قيصه) شقت قيص يوسف بنصفين (من دبر) من الخلف من وسطه الى قدمه (وأفيا) ووجدا (سيدها) زوج المرأة ويقال ابن عم (لدى الباب) عند الباب

وصادفا بعلمها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والتخويف يوسف طمعافي أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ماجزاء من أراد باهلك سوء الا ان يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أى ليس جزاؤه الا السجين { الجزء الثاني عشر } أو عذاب أليم ﴿ ٣٩٨ ﴾ وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر

يوسف وانه أراد بها سوء لانها قصدت العموم أى كل من أراد باهلك سوء فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجين والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما التي الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صيبا في المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها (ان كان قيصه قدم من قبل فصدقت وهو من الكاذبين

يعنى فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسامع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت الهمة فسبقت يوسف بالقول ﴿ قالت ﴾ يعنى لزوجها ﴿ ماجزاء من أراد بأهلك سوء ﴾ يعنى الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبهاله فقالت ﴿ الا أن يسجن ﴾ أى يحبس في السجين ويمنع التصرف ﴿ أو عذاب أليم ﴾ يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجين دون العذاب لان المحب لا يشهى ايلام المحبوب وانما أرادت ان يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجين الطويل وهذه لطيفة فافهمهما فلما سمع يوسف مقالها أراد ان يبرهن عن نفسه ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ يعنى طلبت منى الفحشاء فابت وفررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه الهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صيبا في المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صفار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوى بغير سند والذى جاء في الصحيحين ثلاثه عيسى ابن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم خرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقاتدة ومجاهد لم يكن صيبا ولكنه كان رجلا حكيما ذارأى وقال السدى هو ابن عم المرأة فحكم فقال ﴿ ان كان قيصه قد من قبل ﴾ أى من قدام ﴿ فصدقت وهو من الكاذبين

يوسف وانه أراد بها سوء لانها قصدت العموم أى كل من أراد باهلك سوء فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجين والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما التي الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صيبا في المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها (ان كان قيصه قدم من قبل فصدقت وهو من الكاذبين

دعتني وطلبت ان تستمكن من نفسي (وشهد شاهد) حكم حاكم (من أهلها) وهو أخوها ويقال ابن عمها (وان) (ان كان قيصه) قيص يوسف (قد) شق (من قبل) من قدام (فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين

وان كان قيصه قدم من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قيصه وانما دل قد قيصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليحتمل فيعثر في مقدم قيصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتحرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فعناه من جهة يقال ﴿ ٣٩٩ ﴾ لهاتقبل ومن { سورة يوسف } جهة يقال لها دبر وانما

جمع بين ان التي الاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قيصه قد (فما رأى) قطفير (قيصه قدم من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ماجزاء من أراد باهلك سوءاً أو ان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيد كن)

﴿ وان كان قيصه قدم من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ لانه يدل على انها تبغته فاجتذبت ثوبه فقدمته والشرطية محكية على ارادة القول أو على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها دت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان اجسنت الى اليوم فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنى على باحسانك امن عليك باحسانك لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعاعن الاضافة كقبل وبعده وبالفتح كأنهما جماعا لعين للجهتين فمعنا الصنف وبسكون العين ﴿ فلما رأى قيصه قدم من دبر قال انه ﴾ ان قولك ماجزاء من اراد باهلك سوءاً أو ان السوء أو ان هذا الامر ﴿ من كيد كن ﴾ من حيلتك والخطاب لها والامثالها وسائر النساء ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان كيد النساء أطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارة ﴿ يوسف ﴾ حذف منه حرف النداء لقربه وتقطنه للحديث ﴿ اعرض عن هذا ﴾

وان كان قيصه قدم من دبر ﴿ أى من خلف ﴾ فكذبت وهو من الصادقين ﴿ وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يبسط يديه الى سيدهته ومنها انه شاهدوا يوسف يعدوه اربا منها والطالب لا يهرب ومنها انه رأى المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انه عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدمه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا ﴿ فلما رأى قيصه قدم من دبر ﴾ يعنى فلما رأى قطفير زوج المرأة قيص يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعنى قدم من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعنى قال لهاز وجها قطفير ﴿ انه ﴾ يعنى هذا الصنيع ﴿ من كيد كن ﴾ يعنى من حيلكن ومكر كن ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلاك مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لانهن من المكر والحيل والكيد في اعام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيد كن ان كيد كن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة ﴿ يوسف ﴾ يعنى يا يوسف ﴿ اعرض عن هذا ﴾ يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره

وان كان قيصه قدم من دبر ﴿ أى من خلف ﴾ فكذبت وهو من الصادقين ﴿ وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يبسط يديه الى سيدهته ومنها انه شاهدوا يوسف يعدوه اربا منها والطالب لا يهرب ومنها انه رأى المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انه عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدمه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا ﴿ فلما رأى قيصه قدم من دبر ﴾ يعنى فلما رأى قطفير زوج المرأة قيص يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعنى قدم من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قال ﴾ يعنى قال لهاز وجها قطفير ﴿ انه ﴾ يعنى هذا الصنيع ﴿ من كيد كن ﴾ يعنى من حيلكن ومكر كن ﴿ ان كيد كن عظيم ﴾ فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلاك مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لانهن من المكر والحيل والكيد في اعام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيد كن ان كيد كن عظيم من قول الشاهد وذلك أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة ﴿ يوسف ﴾ يعنى يا يوسف ﴿ اعرض عن هذا ﴾ يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره

دبر) من خلف فكذبت المرأة (وهو من الصادقين) في قوله انها رادتني (فلما رأى قيصه قدم) شق (من دبر) من خلف (قال) أخوها (انه من كيد كن) من مكر كن وصنيعكن (ان كيد كن) مكر كن وصنيعكن (عظيم) يخلص الى البرى والسقيم ثم قال أخوها ليوسف (يوسف) يعنى يا يوسف (اعرض عن هذا) الامر

ولا تحدث به ثم قال لراعي (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقسال خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للتذكير على الاناث وكان العزيز رجلا حلما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجين وامرأة { الجزء الثاني عشر } الحاجب ٤٠٠ والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها

اكتبه ولا تذكره * واستغفري لذنبك * ياراعيل * انك كنت من الخاطئين * من القوم المذنبين من خطي * اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب * وقال نسوة * هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لثقلها في المدينة * ظرف لقال أى اشعن الحكاية في مصر أو صفة نسوة وكن خسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجين وصاحب الدواب * امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه * تطلب موافقة غلامها اياها والعزير بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقلوبهم فتيان والفتوة شاذة * قد شغفها حبا * شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل الى مؤاذاها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه * وقرى * شغفها من شغف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه * انا لنها في ضلال مبين * في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب

لاحدث حتى لايفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يايوسف لانكثرت بهذا الامر ولاتهم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها * واستغفري لذنبك * يعنى توبى الى الله مما ريت يوسف به من الخطيئة وهو برى منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك * انك كنت من الخاطئين * يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو برى وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين * قوله عز وجل * وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه * يعنى وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمنع منها والفتى الشاب الحديث السن * قد شغفها حبا * يعنى قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطه بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه قد احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تمقل شيأ سواه * انا لنها في ضلال مبين * يعنى في خطأ بين ظاهر حيث

غير حقيقى ولذا لم يقل قالت وفيه لفتان كسر لفتان وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العزيز) يردن قطفير والعزير الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاى أى غلامى وجارىتى (عن نفسه) لتلث شهوتها منه (قد شغفها حبا) تميز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وجلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (انا لنها في ضلال مبين) في خطأ وبعد عن طريق الصواب

ولا تخبر أحدا ثم اعرض الى المرأة وقال (واستغفري لذنبك) استخلى واعتذرى الى زوجها من سوء صنعك أيتها المرأة (انك كنت من الخاطئين) من الخاطئين لزوجك ففشا أمرهما بعد ذلك في المدينة (وقال نسوة في المدينة) وهن أربع نسوة امرأة ساقى الملك وامرأة صاحب سجنه

وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه (امرات العزيز) زليخا (تراود فتاها) تدعو عبدها أن (تركت) يستمكنها (عن نفسه) من نفسه (قد شغفها حبا) قد شق شغاف قلبها حب يوسف ويقال بطنها حب يوسف ان قرأت بالشين والعين (انا لنها في ضلال مبين) في خطأ بين في حب عبدها يوسف

(فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتياهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرًا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره و قيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن ﴿ ٤٠١ ﴾ الخمس { سورة يوسف } المذكورات (وأعدت)

وفيات افعلت من العناد (لهن متكا) ما يتكئن عليه من عمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أي يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها الخناجر وقيل متكا طعاما أو مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهى عنه قال جيل

فظلانا نعمة واتكأنا وشرنا الحلال من قلله

وقيل المتكا طعام يحز حزا كأن القاطع يتكى عليه بالسكين وقرى متكأ بحذف الهمزة ومتكأه باشباع الفتحمة كمنزاح ومتكاه هو الأترج أو ما يقطع من متك الشيء إذا تكه ومتكأ من تكى يتكأ إذا تكأ ﴿ وقال أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ﴾ عظمنه وهبن حسنه

تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأجبت فتاها ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكرًا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجاله فقصدن أن يرينه وقيل ان امرأة العزيز أفضت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرًا ﴿ أرسلت اليهن ﴾ يعني أنها لما سمعت بأنهن يلينها على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم عندها عندهن قال وهب اتخذت مأثمة يعني صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي غيرنها ﴿ وأعدت لهن متكا ﴾ يعني ووضعت لهن عمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جرير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما وانما سمي الطعام متكاً لأن كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكى عليها فسمي الطعام متكاً على الاستعارة ويقال أتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تأكل متكأ وقيل المتكا الأترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحزبها يقال ان المرأة زيت البيت بألوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي غيرنها بحب يوسف ﴿ وآت كل واحدة منهن سكيناً ﴾ يعني وأعطت كل واحدة من النساء سكيناً لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين ﴿ وقالت أخرج عليهن ﴾ يعني وقالت زليخا ليوسف أخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زيتته واختبأته في مكان آخر ﴿ فلما رأينه ﴾ يعني النسوة ﴿ أكبرنه ﴾ يعني أعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر

فلما سمعت بمكرهن (بقولهن) (أرسلت اليهن) (ودعتهن) الى الضيافة (وأعدت لهن متكا) (وسائد يتكئن عليها) ان قرأت مشددة وان قرأت مخففة يقول اترنجة وجاءت باللحم والخبز فوضعت بين أيديهن (وآت) (أعطت) (كل واحدة منهن سكيناً)

تقطع بها اللحم لانهم كانوا لا يأكلون (قا و خا ٥١ لث) من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينهم (وقالت) زليخا ليوسف (أخرج عليهن) يا يوسف (فلما رأينه أكبرنه) اعظمنه

الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في أزقة مصر يرى تلاً أو وجهه على الجدران وكان يشبه آدم { الجزء الثاني عشر } يوم خلقه ﴿ ٤٠٢ ﴾ ربه وقيل ورث الجمال

من جدته سارة وقيل أكبر
بمعنى حُضْنِ والهاء للسكت
اذ لا يقال النساء قد حُضِنَتْ
لانه لا يتعدى الى مفعول
يقال أكبرت المرأة اذا
حاضت وحقيقته دخلت
في الكبر لانها بالحيض تخرج
من حد الصغر وكان أبا
الطيب أخذ من هذا
التفسير قوله *خف الله واستر
ذا الجمال برفع * فان لحث
حاضت في الخدور العواتق *
(وقطن أيديهن) وجرحها
كما تقول كنت اقطع اللحم
فقطمت يدي تريد جرحها
أي أردن أن يقطعن الطعام
الذي في أيديهن فدهشن
لما رأينه فخدشن أيديهن
(وقلن حاشا لله) حاشا كلمة
تفيد معنى التنزيه في باب
الاستثناء تقول اساء القوم
حاشا زيدوهى حرف من
حروف الجر فوضعت
موضع التنزيه والبراءة
فمعنى حاشا الله براءة الله
وتنزيهه وقراءة أبي عمرو
حاشالله نحو قولك سقيالك
كانه قال براءة ثم قال الله
ليسان من يبرأ وينزه وغيره
حاش الله بحذف الالف

الفائق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ايلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يرى تلاً أو وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حُضْنِ من أكبرت المرأة
اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف عليه الصلاة والسلام
على حذف اللام أي حُضِنَتْ له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واسترذا الجمال برفع * فان لحث حاضت في الخدور العواتق

﴿ وقطن أيديهن ﴾ جرحها بالسكاكين من فرط الدهشة ﴿ وقلن حاشا لله ﴾ تنزيهه من
صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه
الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان
كافي قولك سقيالك وقرى حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيهه منزلة

الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر
على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره
البعوى بغير سند وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاً أو
وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان
يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن أمره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس
قال أكبرنه أي حُضِنَتْ ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حُضِنَتْ من الفرح وأنكر
أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء
في أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حُضِنَتْ لان حُضِنَتْ لا يتعدى
الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة
اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها
أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناه وجعلنا
الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقف لاهاء الكتابة وقيل ان المرأة اذا خافت أو فزعت
فربما أسقطت ولدها وتحيض فان كان ثمه حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن
من أمر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازى وعندى أنه يحتمل وجها
آخر وهو أنهن انما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع
والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهى عدم الالتفات الى المطموم
والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهبة والهيبة فتعجبن
من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمته ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحل
الآية على هذا الوجه أولى ﴿ وقطن أيديهن ﴾ يعنى وجعلن يقطعن أيديهن
بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يحدن الالم لدهشتهن
وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فأسحسسن الابل بالدم وقال قتادة ابن أيديهن حتى ألقينها
الاصح انه كان قطعاً من غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهن ﴿ وقلن ﴾ يعنى النسوة ﴿ حاشا لله

(ما هذا)

الاخيرة والمعنى تنزيهه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جليل مثله

(وقطن) خدشن وخشن (أيديهن) بالسكاكين من الدهشة والتعجب مما رأين من حسن يوسف (وقلن حاشا لله) معاذ الله

(ما هذا بشر ان هذا الاملك كريم) نفي عن البشرية لغرابته واثبت له الملكية وبتن بها الحكم لما ركز في الطباع ان
 لأحسن من الملك كاركز فيها أن لا أفع من الشيطان (قالت فذلكن الذي لمتنى فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
 صورتن في أنفسكن ثم لمتنى فيه ﴿ ٤٠٣ ﴾ تعنى انكن لم { سورة يوسف } تصورنه حق صورته والالا

لعدرتنى في الافتتان به
 (ولقدراودته عن نفسه
 فاستعصم) الاستعصام بتاء
 مبالغة يدل على الامتناع
 البليغ والتحفظ الشديد
 كانه في عصمة وهو يجتهد
 في الاستزادة منها وهذا
 بيان جلي على ان يوسف
 عليه السلام برى مما فسره
 أولئك الفريق الهم والبرهان
 ثم قلن له أطع مولاتك
 فقالت راعيل (ولئن
 لم يفعل ما أمره) الضمير
 راجع الى ما وهى موصولة
 والمعنى ما أمره به فحذف
 الجار كما في قوله أمرتك
 الخير أو مامصدرية والضمير
 يرجع الى يوسف أى
 ولئن لم يفعل أمرى اياه
 أى موجب أمرى ومقتضاه
 (ليسجنن) ليسجنن والالف
 فى (وليكونا) بدل من نون
 التأكيد الخفيفة (من
 الصاغرين) مع السراق
 والسفالك والاباق كاسرق
 قلبى وأبق منى وسفك
 دى بالفراق فلايتها يوسف
 الطعام والشراب والنوم
 هنالك كما معنى هناك
 ذلك ومن لم يرض بتلى
 فى الحرير على السرير أميرا
 حصل فى الحصر على الحصر
 حسيرا فلما سمع يوسف تهديدا

المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أى صار فى
 ناحية الله بما يتوهم فيه ﴿ ما هذا بشرا ﴾ لان هذا الجمال غير معه ودل البشر وهو على لغة الحجاز
 فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفي الجلال وقرى بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعد
 مشترى لئيم ﴿ ان هذا الاملك كريم ﴾ فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة
 البالغة من خواص الملائكة او لان جلاله فوق جلال البشر ولا يفوقه فيه الاملك ﴿ قالت فذلكن
 الذى لمتنى فيه ﴾ أى فهو ذلك العبد الكنعاني الذى لمتنى فى الافتتان به قبل ان تصورنه حق
 تصورره ولو صورته بما عاينتن لعدرتنى أو فهذا هو الذى لمتنى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفاعا
 لمنزلة المشار اليه ﴿ ولقدراودته عن نفسه فاستعصم ﴾ فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت
 انهن يعذرنها كى يعاونها على الاثمة عريكته ﴿ ولئن لم يفعل ما أمره ﴾ أى ما أمره
 فحذف الجار أو امرى اياه معنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف عليه السلام ﴿ ليسجنن
 وليكونا من الصاغرين ﴾ من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صفرا وصغارا والصغير
 من صغر بالضم صفرا وقرى ليكون وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه

ما هذا بشرا ﴿ أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا ﴾ ان هذا الاملك كريم ﴿
 يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد
 ركز فى النفوس أن لا شئ أحسن من الملك فذلك وصفه بكونه ملكا وقيل
 لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التى تحصل للبشر
 وصفن يوسف بذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ قالت فذلكن الذى لمتنى فيه ﴿ يعنى قالت
 امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتنى فى محبته
 وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتاها
 الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن الخ بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب
 الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفاعا لمنزلة فى الحسن واستحقاق
 أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقواهن عشقت عبدها الكنعاني
 تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتنى فيه ثم ان امرأة
 العزيز صرحت بما فعلت فقالت ﴿ ولقدراودته عن نفسه فاستعصم ﴾ يعنى
 فامتنع من ذلك الفعل الذى طلبته منه وانما صرحت بذلك لانه علمت انه لا ملامة
 عليها منهن وانهن قد أصابن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت ﴿ ولئن
 لم يفعل ما أمره ﴾ يعنى وان لم بطاوعنى فيما دعوته اليه ﴿ ليسجنن ﴾ أى ليعاقبن بالسجن
 والحبس ﴿ وليكونا من الصاغرين ﴾ يعنى من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف
 أطع مولاتك فيما دعوتك اليه فاختر يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة

(ما هذا بشرا) آدميا (ان هذا) ما هذا (الاملك كريم) على ربه (قالت) زليخا (فذلكن الذى لمتنى) عدلتنى وعيبتنى
 (فيه) ولقدراودته عن نفسه (دعوته الى نفسى) وطلبته لاستمكتن من نفسه (فاستعصم) فامتنع عنى بالغة (ولئن لم يفعل ما أمره
 يسجنن) فى السجن (وليكونا من الصاغرين) من الذليلين فيه وقلن هؤلاء النسوة ليوسف أطع مولاتك

(قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أحببت مولاتك وأفتنت كل واحدة به فعدت الي نفسها رافا لتجاء { الجزء الثاني عشر } الي ربه قال رب ﴿ ٤٠٤ ﴾ السجن أحب الي من ركوب المعصية

(والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى الله في طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبالان النفوس تصبو اليها لطيب نسيها وروحها) (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعملون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء او من السفهاء فلما كان في قوله والاصرف عنى كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بحاله وحالهن (ثم بداهم) فاعله مضمير لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجنته والمعنى بداهم بداء أى ظهر لهم رأى والضمير (قال) يوسف (رب) يارب (السجن) أحب الي مما يدعونني اليه (من الزنا) (والاصرف) ان لم تصرف (عنى كيدهن) مكرهن (صب اليهن) أمل اليهن (وأكن من الجاهلين) بنعمتك ويقال من الزانين

بالالف كنسفا على حكم الوقت وذلك في الخفية لشبههم بالتنوين ﴿ قال رب السجن ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ﴿ أحب الي مما يدعونني اليه ﴾ أى آثر عندي من مؤاناتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشبهه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ﴿ والاصرف ﴾ وان لم تصرف ﴿ عنى كيدهن ﴾ في تحب ذلك الى وتحسينه عندي بالثبوت على العصمة ﴿ اصب اليهن ﴾ أمل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبالان النفوس تستطيهما وتميل اليها وقرى اصب من الصباية وهى الشوق ﴿ واكن من الجاهلين ﴾ من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعملون فانهم والجهال سواء ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والاصرف ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان ﴿ انه هو السميع ﴾ لدعاء الملتجئين اليه ﴿ العليم ﴾ باحوالهم وما يصلحهم ﴿ ثم بداهم ﴾

بذلك ﴿ قال رب ﴾ أى يارب ﴿ السجن أحب الي مما يدعونني اليه ﴾ قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما اضافته اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان بحضورهن قال بعضهم لولم يقل السجن أحب الي لم يتبل بالسجن والاولى بالبعد ان يسأل الله العافية ﴿ والاصرف عنى كيدهن ﴾ يعنى ما اردن منى ﴿ اصب اليهن ﴾ أى أمل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه ﴿ وأكن من الجاهلين ﴾ يعنى من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ يعنى فاجاب الله تعالى دعاء يوسف ﴿ فصرف عنه كيدهن انه هو السميع ﴾ يعنى لدعاء يوسف وغيره ﴿ العليم ﴾ يعنى بحاله وفى الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلمت البلية بكيد النساء ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ثم بداهم ﴾ يعنى للعزير واصحابه فى رأى وذلك انهم أرادوا ان يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكنتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم بانى قدر اودته عن نفسه فاما ان تأذنلى فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسها

(فاستجاب له ربه) دعوته (فصرف عنه كيدهن) مكرهن (انه هو السميع) للدعاء (العليم) بالاجابة (فرأى)

و يقال السميع لمقاتلتهن العليم مكرهن (ثم بداهم) ظهر لهم يعنى للعزير

في لهم للعزير وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على براءته كقصد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليسجنته) لا بداء عند الرجال أو إرخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك إلا باستئصال المرأة لزوجها وكان مطوآعا لها وحيا لا ذلولا زمامة في يدها وقد طمعت أن يذللها السجين ويسخره لها وخافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فالجأها الخجل من الناس والوجل من الأبس ﴿٤٠٥﴾ إلى أن رضيت {سورة يوسف} بالحجاب مكان خوف

الذهاب لتشتفي بخبره إذا منعت من نظره (حتى حين) إلى زمان كأنها اقتربت أن يسجين زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجين فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابه بثمة السم فادخلا السجين ساعة أدخل يوسف لأن مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبته فيجب أن يكون دخولهما السجين مصاحبين له (قال أحدهما) أي شرابه (أنى أرى) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خرا) أي عنبا تسمية للعنب بما يؤل إليه أو الخمر بلغة عمان

(من بعد ما رأوا الآيات) شق القميص وقضاء أخيهما (ليسجنته حتى حين) إلى سنين ويقال إلى حين يقطع مقالة الناس (ودخل معه السجين) بعد دخوله إلى خمس سنين (فتيان) عبدان للملك صاحب شرابه وصاحب مطبخه غضب عليهما

من بعد ما رأوا الآيات ﴿ ثم ظهر للعزير وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقصد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وقاعل بدا مضمر يفسره ﴿ ليسجنته حتى حين ﴾ وذلك لأنها خدعت زوجها وولته على سجينه زمانا حتى تبصر ما يكون منه أو يحسب الناس أنه المحرم فلبث في السجين سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على العظيم أو العزيز ومن يليه وعق بلغة هذيل ﴿ ودخل معه السجين فتيان ﴾ أي أدخل يوسف السجين وأتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابه وخبازه للاتهام بانهما يريدان أن يسماه ﴿ قال أحدهما ﴾ يعني الشرابي ﴿ أنى أرى ﴾ أي أرى في المنام هي حكاية حال ماضية ﴿ أعصر خرا ﴾

فأرى حبسه ﴿ من بعد ما رأوا الآيات ﴾ يعني الدالة على صدق يوسف وبرأته من قصد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته ﴿ ليسجنته ﴾ أي ليحبس يوسف في السجين ﴿ حتى حين ﴾ يعني إلى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء إلى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة إلى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة ﴿ ودخل معه السجين فتيان ﴾ وهما غلامان كانا وليدين نزان العمليق ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشرف مصر أرادوا المكر بالملك واعتاله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على أن يسميا الملك في طعامه وشرابه فاجابا إلى ذلك ثم إن الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسهم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجين جعل ينشر علمه ويقول أنى أعبير الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فترأى له رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيئا إنما تحالما ليحربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكر أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا تدغمتهما فقال يوسف قصصا على ما رأيتما فقصصا عليه ما رأياه فذلك قوله تعالى ﴿ قال أحدهما ﴾ وهو صاحب شراب الملك ﴿ أنى أرى ﴾ أي أعصر خرا ﴿ يعني عنبا سمي

وادخلهما السجين (قال أحدهما) وهو الساقى (أنى أرى) رأيت نفسى (أعصر خرا) عنبا وأسقى الملك وكان رؤياه أنه رأى في منامه كأنه يدخل كراما فرأى في الكرم حبة حسنة فيها ثلاثة قضبان وعلى قضبان عنقايد العنب فاجتنى العنب فمصره وناوله الملك فقال له يوسف ما أحسن ما رأيت أما الكرم فهو العمل الذي كنت فيه وأما الحبة فهي سلطانك على ذلك وأما حسنها فهو عزك وكرامتك في ذلك العمل وأما ثلاثة قضبان على الحبة فهي ثلاثة أيام تكون في السجين فتخرج فتعود إلى عملك وأما العنب الذي عصرت وناولت الملك فهو

اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (اني أراي أحجل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه بثنا وأويله) بتأويل ما رأيتناه (اناراك من المحسنين) من الذين { الجزء الثاني عشر } يحسنون عبارة ﴿ ٤٠٦ ﴾ الرؤيا أو من المحسنين الى أهل

السجن فانك تداوى المريض وتعزى الحزين وتوسع على الفقير فاحسن اليه بتأويل ما رأيتنا وقيل انهما تخالفا لليمتحناه فقال الشرايبي أني رأيت كأنني في بستان فاذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطقتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبأ تيكما تأويله) أي ببيان ماهيته

ان يردك الى عملك ويكرمك ويحسن اليك (وقال الآخر) وهو الخباز (اني أراي) رأيت نفسى (أجل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) وكان رؤياه انه رأى في منامه كأنه يخرج من مطبخ الملك وعلى رأسه ثلاث سلال من الخبز فوق طير على أعلاها وأكل منها فقال له يوسف بئس ما رأيت اما خروجك من المطبخ فهو أن يخرج من عملك واما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون في السجن وأما أكل الطير من رأسك فهو أن يخرجك الملك بعد ثلاثة أيام ويصلبك وتأكل الطير من رأسك

أي عنبا وسماه خرا باعتبار ما يؤل اليه ﴿ وقال الآخر ﴾ أي الخباز ﴿ اني أراي أحجل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ﴾ تنهش منه ﴿ بثنا بتأويله اناراك من المحسنين ﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وانما قال ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين الى أهل السجن فاحسن اليه بتأويل ما رأيتناه ان كنت تعرفه ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبأ تكما بتأويله ﴾ أي بتأويل ما قصصتها على أوتأويل

العنب خرا باسم ما يؤل اليه يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأنني في بستان واذا فيه أصل حبله وعليها ثلاثة عناقيد عنب فخبزها وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه ﴿ وقال الآخر ﴾ وهو صاحب طعام الملك ﴿ اني أراي أحجل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ﴾ وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها ﴿ بثنا بتأويله ﴾ أي أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤل اليه امر هذه الرؤيا ﴿ اناراك من المحسنين ﴾ يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واذا احتاج أحد جمع له شياً وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقبل انه لمادخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وأقطع رجائهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقت وحديثك اهدد بورك لنا في جوارك فن أن أنت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسمعق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت خلعت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واخترأي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتين لما رأيا يوسف قالانا قد أحببناك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله أن لا تحباني فولله ما أحبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتني عتي فدخل على من ذلك بلاء وأحبنى أبي فالقيت في الحب وأحبتني امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما واعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته في العلم أعلى وأعظم مما عقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك بما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن القيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فظهر له المعجزة لهذا السبب ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبأ تيكما بتأويله ﴾ قيل أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام

وقال قيل تعبيره (بثنا بتأويله) أخبرنا بتأويل رؤيانا (اناراك من المحسنين) الى أهل السجن ويقال من (ترزقانه) الصادقين فيما تقول (قال) لهما يوسف وأراد ان يعلمهما علمه بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام ترزقانه) تطعمانه (الانبأ تيكما بتأويله)

وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استبراه ووصفاه بالاحسان أفترض ذلك فوصل به وصف نفسه
عاهو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينههما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول
اليوم يأتيكما طعام من صفتكيت وكيت ﴿٤٠٧﴾ فيكون كذلك { سورة يوسف } وجعل ذلك تخلصا الى

أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به الى ولم أقله عن تكهن وتنجيم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به الى لاني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (واتبعت ملة آباءي ابراهيم واسحق ويعقوب) وهي الملة الخنيفية وتكريرهم للتوكيد وذكر الآباء ليربها انه من بيت النبوة بعد ان عرفها منه نبي يوحى اليه بما ذكر

الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى مأساة له منه كما هو طريقة الانبياء عليهم السلام وانا لذين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزه لهم من الاخبار بالغيب ليدلها على صدقه في الدعوة والتعبير ﴿٤٠٧﴾ قبل ان يأتيكما ذلكما أي ذلك التأويل ﴿٤٠٧﴾ مما علمني ربي ﴿٤٠٧﴾ بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن أو التنجيم ﴿٤٠٧﴾ اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴿٤٠٧﴾ تعليل لما قبله أي علمني ذلك لاني تركت ملة أولئك ﴿٤٠٧﴾ واتبعت ملة آباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿٤٠٧﴾ أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز

ترزقانه في نومكما الا خبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتأكلانه الانبأ تكما بتأويله يعني أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه ﴿٤٠٧﴾ قبل ان يأتيكما ﴿٤٠٧﴾ يعني قبل أن يصل اليكما وأي طعام أكلتم وكم أكلتم وكم أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليلوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فن أن لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به ﴿٤٠٧﴾ ذلكما بما علمني ربي ﴿٤٠٧﴾ يعني ان هذا الذي أخبرتكما به وحى من الله أوحاه الى وعلم علمني ﴿٤٠٧﴾ اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴿٤٠٧﴾ فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فامعنى هذا الترك في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والاتفات اليه بالمره وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴿٤٠٧﴾ وهم بالآخرة هم كافرون ﴿٤٠٧﴾ فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظهم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله ﴿٤٠٧﴾ واتبعت ملة آباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿٤٠٧﴾ لما دعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهرانه من أهل بيت

ن اخباره بالغيب ليقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لانه كان فيه ثم تركه

ينه وحنس (قبل أن يأتيكما) كيف لا علم تعبير رؤيا كما (ذلكما) التعبير (مما علمني ربي اني تركت ملة قوم) لم أتبع دين قوم (لا يؤمنون بهم وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم كافرون) جاحدون (واتبعت ملة آباءي) استمتمت على دين آباءي (ابراهيم واسحق ويعقوب)

(ما كان لنا) ماصح لنا معشر { الجزء الثاني عشر } الانبياء (ان نشرك **٤٠٨** بالله من شئ) أى شئ كان صما

أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد
(من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون) فضل الله
فيشركون به ولا يتهون
(يا صاحبي السجن) يا ساكني
السجن كقولها أصحاب النار
وأصحاب الجنة (أرباب
مترقون خير أم الله
الواحد القهار) يريد
الترق في العدد والتكاثر
أى ان تكون أرباب شتى
يستعبد كما هذا ويستعبد كما
هذا خير لكما أم يكون لكما
رب واحد قهار لا يغالب
ولا يشارك في الربوبية وهذا
مثل ضربه لعبادة الله وحده
وعبادته الاصنام

ما كان لنا (ما جاز لنا
(ان نشرك بالله من شئ)
شياً من الاصنام (ذلك) الدين
القيم النبوة والاسلام اللذان
أكرمنا الله بهما (من فضل
الله علينا) من من الله علينا
(وعلى الناس) بارساننا
اليهم ويقال على المؤمنين
بالايان (ولكن أكثر الناس)
أهل مصر (لا يشكرون)
لا يؤمنون بذلك (يا صاحبي
السجن) قال هذا للسجين
ولا هل السجن (أرباب
مترقون خير) يقول عبادة
آلهة شتى خير (أم الله الواحد
القهار) أم عبادة الله الواحد

للخامل العالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرر الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتأكيد كفرهم بالآخرة (ما كان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ)
أى شئ كان (ذلك) أى التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس)
وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتبديهم عليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم
(لا يشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتبهون أو من فضل الله علينا وعليهم
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها
كن يكفر النعمة ولا يشكرها (يا صاحبي السجن) أى يا ساكنيه أو يا صاحبي فيه فاضافهما
اليه على الاتساع كقوله

ياسارق الليلة اهل الدار

(أرباب مترقون) شتى متعددة متساوية الاقدام (خير أم الله الواحد) المتوحد
بالالوهية (القهار) الغالب الذى لا يعادله

النبوة وان آباءه كلهم كانوا أنبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين
بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة أظهر
يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله
ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ) معناه
ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان
ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التى اختصاصها قال الواحدى لفظة من فى
قوله من شئ زائد مؤكدة كقولك ما جاءنى من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا
ماصح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شئ أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا
أن نشرك به صملا لئسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعنى ذلك التوحيد وعدم
الاشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعنى بما نصب لهم من
الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على
عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعنى أن أكثرهم لا يشكرون الله على هذه
النعم التى أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاها الى الاسلام فقال
(يا صاحبي السجن) يريد يا صاحبي فى السجن فاضافهما الى السجن كاقول ياسارق
الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ومحوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار
وأصحاب الجنة (أرباب مترقون) يعنى آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب
وجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون فى الصفة وهى مع ذلك لا تضر ولا تنفع
(خير أم الله الواحد القهار) يعنى ان هذه الاصنام أعظم صفة فى المدح واستحقاق اسم
الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابى الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل
هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة
لان ذلك قديكثيرا بضمها لبعض وانواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لا مثل
له ولا يشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابى القهار هو الذى قهر الجبارة من خلقه بالعقوبة
وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شئ وذلّه فاستسلم وانقاد وذلّه

(والمعنى)

بلاولاد ولا شريك القهار الغالب على خلقه

(ماتعدون) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الأسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) أى سميت
ماليستحق الإلهية ألهمه ثم طفتم تعبدونها ﴿ ٤٠٩ ﴾ فكأنكم { سورة يوسف } لاتعدون الاسماء لامسيات

لها ومعنى سميتوها سميت بها
يقال سميته زيدا وسميته بزيدا
(مأ نزل الله بها) بتسميتها
(من سلطان) حجة (ان
الحكم) فى أمر العباد
والدين (الاله) ثم بين
ما حكم به فقال (أمراً
تعدوا الاياه ذلك الدين
القيم) الثابت الذى دلت
عليه البراهين (ولكن
أكثر الناس لا يعلمون)
وهذا يدل على ان العقوبة
تلتزم العبد وان جهل اذا
أمكن له العلم بطريقه ثم
عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي
السيجن أما أحدك) يريد
الشرابي (فيسقى ربه) سيده
(خرا) أى يعود الى عمله
(وأما الآخر) أى الخباز
(فيصلب

(ماتعدون من دونه)
من دون الله (الاسماء)
أصناماً أمواتاً (سميتوها
أنتم وآباؤكم) (الالهة ما
أنزل الله بها) بعبادتك لها
(من سلطان) من كتاب
ولاحجة (ان الحكم) ما الحكم
بالامر والنهي ويقال ما التقضما
فى الدنيا والآخرة (الاله
أمر) فى الكتب كلها (الا
تعدوا) ان لا توحدا (الا
اياه) (الاله) (ذلك)

ولا يقاومه غيره ﴿ ماتعدون من دونه ﴾ خطاب لهما وان على دينهما من اهل مصر
﴿ الاسماء سميتوها انتم وآباؤكم ما نزل الله بهامن سلطان ﴾ اى الاشياء باعتبار اسم
اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فيها فكأنكم لاتعدون الاسماء
المجردة والمعنى انكم سميتم لم تبدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم
تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ﴿ ان الحكم ﴾ فى امر العباد ﴿ الله ﴾ لانه المستحق
لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد لكل والمالك لامره ﴿ أمر ﴾ على لسان
انبيائه ﴿ ألاتعدوا الاياه ﴾ الذى دلت عليه الحجج ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ الحق وانتم
لاتميزون الموعود عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزمام الحجة بين لهم أولار جحان
التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها
لاتستحق الالهية فان استحقاق العباد ما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنهما نص
على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه
﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فيخبطون فى جهالاتهم ﴿ يا صاحبي السيجن اما
احد كما ﴾ يعنى الشرابي ﴿ فيسقى ربه خرا ﴾ كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه
﴿ واما الآخر ﴾ يريد الخباز ﴿ فيصلب

والمعنى ان هذه الاصنام التى تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها واهانتها
قدر عليه والله هو الواحد فى ملكه القهار لعباده الذى لا يغلبه شئ وهو الغالب
لكل شئ سبحانه وتعالى ﴿ ثم بين عجز الاصنام وانها لاشئ البتة فقال ﴾ ماتعدون
من دونه ﴿ يعنى من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية فى المخاطبة
لانه أراد جميع من فى السيجن من المشركين ﴿ الاسماء سميتوها ﴾ يعنى سميتوها
آلهة وأربابا وهى حجارة جمادات خالية عن المعنى لاحقيقة لها ﴿ أنتم وآباؤكم ﴾
يعنى من قبلكم سموها آلهة ﴿ ما نزل الله بها من سلطان ﴾ يعنى ان تسمية
الاصنام آلهة لاجحة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله
أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما نزل الله بها من سلطان ﴿ ان الحكم الله ﴾
يعنى ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا شريك له فى ذلك ﴿ أمراً لاتعدوا
الاياه ﴾ لانه هو المستحق للعبادة لانه الاصنام التى سميتوها آلهة ﴿ ذلك الدين
القيم ﴾ يعنى عبادة الله هى الدين المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك ولما
فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما
فقال ﴿ يا صاحبي السيجن أما أحدك كما فيسقى ربه خرا ﴾ يعنى ان صاحب شراب الملك يرجع
الى منزله ويسقى الملك خرا كما كان يسقيه أولاً والعنايد الثلاثة هى ثلاثة أيام يبقى
فى السيجن ثم يدعوه الملك ويرده الى منزله التى كان عليها ﴿ وأما الآخر فيصلب ﴾ يعنى

التوحيد (الدين القيم) وهو الدين القائم الذى (قاو خا ٥٢ لث) يرضاه وهو الاسلام (ولكن أكثر الناس) أهل مصر
(لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون ثم بين تعبير رؤيا القتين فقال (يا صاحبي السيجن اما احدك) وهو الساقى فيرجع الى مكانه وسلطانه
الذى كان فيه (فيسقى ربه) سيده الملك (خرا واما الآخر) وهو الخباز يخرج من السيجن (فيصلب

فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول مارأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني مارأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال مارأيت شيئاً فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمر كما وشأنكما أي { الجزء الثاني عشر } ما يجزئ اليه من العاقبة ﴿ ٤١٠ ﴾ وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر

(وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطرق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذ كرتي عند ربك) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة (فانساء الشيطان) فانسى الشرابي (ذكر ربه) ان يذكره لربه أو عند ربه أو فانسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفي الحديث رحم الله أخي يوسف لولم يقل اذ كرتي عند ربك لما لبث في السجن سبعا

فتأكل الطير من رأسه ﴿ فقال كذبتنا فقال ﴾ قضى الامر الذي فيه تستفتيان ﴿ أي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امر كما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما ﴿ وقال للذي ظن انه ناج منهما ﴾ الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكر عن وحي فهو الناجي الا ان يأول الظن باليقين ﴿ اذ كرتي عند ربك ﴾ اذ كرتي عند الملك كي يخلصني ﴿ فانساء الشيطان ذكر ربه ﴾ فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر للملابسته له أو على تقدير ذكر اخبار ربه أو انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخي يوسف لولم يقل اذ كرتي عند ربك للابث في السجن سبعا بعد الخس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محجوة

يعنى صاحب طعام الملك والسهال الثالث ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه ﴿ فتأكل الطير من رأسه ﴾ قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سمع قول يوسف عليه الصلاة والسلام قال مارأيت شيئاً انما كنا نلعب قال يوسف ﴿ قضى الامر الذي فيه تستفتيان ﴾ يعنى فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما شيئاً لم تريا ﴿ وقال ﴾ يعنى يوسف ﴿ للذي ظن ﴾ يعنى علم وتحقق فالظن بمعنى العلم ﴿ أنه ناج منهما ﴾ يعنى ساقى الملك ﴿ اذ كرتي عند ربك ﴾ يعنى سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه ﴿ فانساء الشيطان ذكر ربه ﴾ في هاء الكناية في فانساء الى من تعود قولان أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فانسى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى لبثني الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابارسيات المقربين * فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكر ربه * قلت بشغل الخاطر وألقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر

فتأكل الطير من رأسه) ففزعاً لتعبير رؤيا الخباز وقالاجيما مارأيت شيئاً قال لهما يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) تسألان فكما قلتما وقلت لكما كذلك يكون رأيتما أولم تريا (وقال للذي ظن)

علم (انه ناج منهما) من السجن والقتل وهو الساقى (اذ كرتي عند ربك) عند سيدك الملك انى مظلوم عدا (وازاته) على اخوتي فباعوني وأنا حر وحسبت في السجن وأنا مظلوم (فانساء الشيطان ذكر ربه) فاشغله الشيطان حتى نسى ذكر يوسف عند سيده الملك ويقال وسوس له الشيطان ان ذكرت السجن للملك يرجعك الى السجن فلذلك لم يذكره ويقال فانساء الشيطان انسى الشيطان يوسف ذكر ربه حتى ترك ذكر ربه وذكركم مخلوقا دونه

(فلبث في السجن بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات ﴿٤١١﴾ خضر وأخر يابسات) { سورة يوسف } لمادنا فرج يوسف رأى ملك

مصر الريان بن الوليد رؤيا عجبية هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبا وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت الياابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاة أيضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذي ليس بعده سمانة والسبب في وقوع عجاف جمع العجفاء وأفضل وفلاء لا يجمعان على فقال جلله على تقيضه وهو سمان ومن دأبهم حل النظر

(فلبث) فكث (في السجن بضع سنين) سبع سنين عقوبة بترك ذكر الله وكان قبل هذا في السجن خمس سنين (وقال الملك اني ارى) رأيت في المنام (سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يأكلهن) يتلعهن (سبع عجاف) بقرات هالكات من الهزال خرجن

في الجملة لكنها التليق بمنصب الانبياء ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع ﴿وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ لمادنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلت المهازيل السمان ﴿وسبع سنبلات خضر﴾ قد انعقد حبا ﴿وأخر يابسات﴾ وسبعا أخر يابسات قد ادركت فالتوت الياابسات على الخضر حتى غلبن عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف

وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ فلبث في السجن بضع سنين ﴿اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى التسع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذ كرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلالا طيلن حبسك فبكي يوسف وقال يارب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذ كرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فرزنا عننا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلوا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا خال المنذرين مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهر ينقر عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني أن استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عنى راض قال نعم قال اذا لأبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فن رزقك قال الله قال فن حبيك الى أبيك قال الله قال فن نجاك من كرب البئر قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجبية هالته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يرمنهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبا وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت الياابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شئ فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياها التي رآها فذلك قوله تعالى ﴿وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات

من بعد السمان ولم يستين عليهن شئ (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) التوين على الخضر وغلبن خضرتهن ولم يستين عليهن

على النظر والتقيص على التقيص وفي الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لان الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والجفاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الإخر السبع ويكون قوله وأخرياسات بمعنى وسبعا آخر (يا أيها الملاء) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء (أفتونى في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام في الرؤيا لليسان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضدها تقول { الجزء الثاني عشر } عبرت الرؤيا ﴿ ٤١٢ ﴾ وللا رؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان

كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أوحال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وأخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قططته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مألها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الانبياء ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أى هى أضغاث أحلام أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من احلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايد فى وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل (ينى) الاحلام بعلمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذى نجى) من القتل (منها)

لتنعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه تقيضه ﴿ يا أيها الملاء افتونى فى رؤياى ﴾ وعبروها ﴿ ان كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ ان كنتم عالمين بعبارة الرويا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبر وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرها واللام لليسان أولتقوية العامل فان الفعل لما خرج عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعمدى باللام كأنه قيل ان كنتم تتدبون لعبارة الرؤيا ﴿ قالوا أضغاث احلام ﴾ أى هذه أضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمباغاة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أى تتضمنه اشياء مختلفة ﴿ وما نحن بتأويل الاحلام بعلمين ﴾ يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعدر فى جهلهم بتأويله ﴿ وقال الذى نجى منهما ﴾ من صاحبي السجن

يا أيها الملاء افتونى فى رؤياى ﴿ يعنى يا أيها الاشراف أخبرونى بتأويل رؤياى ﴾ ان كنتم للرؤيا تعبرون ﴿ يعنى ان كنتم يحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفى غيره ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال جماعة الملاء وهم السحرة والكهنة والمعبرون محيين للملك ﴿ أضغاث أحلام ﴾ يعنى أخلاط مشبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التى يراها الانسان فى منامه ﴿ وما نحن بتأويل الاحلام بعلمين ﴾ لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى ﴿ وقال الذى نجى منهما ﴾

وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل (ينى) الاحلام بعلمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذى نجى) من القتل (منها)

شىء (يا أيها الملاء) يعنى العرافين والسحرة والكهنة (أفتونى فى رؤياى) فى تفسير رؤياى (ان كنتم للرؤيا تعبرون) تعلمون (قالوا) يعنى العرافين والكهنة والسحرة (أضغاث أحلام) هذه باطيل أحلام كاذبة مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام) يقول بتعبير رؤيا الاحلام (بعلمين وقال الذى نجى منهما)

من صاحبي السجن (وادكر) بالدال هو الفصيح واصله اذ تكرر فأبدت الدال دالا والتاء دالا وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكرو وجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أي تذكري يوسف وما شاهد منه (بعدامة) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤياه صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عن عنده عمله (فارسلون) وبالياء يعقوب أي فابعثوني اليه لاسأله فارسلوه الى ﴿ ٤١٣ ﴾ يوسف فاتاه ﴿ سورة يوسف ﴾ فقال (يوسف أيها

الصديق) أيها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤياه صاحبها حيث جاء كما اول (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) أي فافتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلني أرجع الى الناس الى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محتك (قال تزرعون

وهو الشرابي ﴿ وادكر بعدامة ﴾ وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقري أمة بكسرة الهززة وهي النعمة أي بعد ما نعم عليه بالنجاة واهه أي نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فارسلون ﴾ أي الى من عنده علم أو الى السجن ﴿ يوسف أيها الصديق ﴾ أي فارسل الى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق هو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤياه صاحبه ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ أي في رؤياه ذلك ﴿ لعلني أرجع الى الناس ﴾ اعود الى الملك ومن عنده أو الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ تأويلها أو فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيه مما لانه لم يكن جاز ما من الرجوع فرما اخترتم دونه ولا من علمهم ﴿ قال تزرعون يعني وقال الساقى الذي نجح من السجن والقتل بعده الاك صاحبه الخباز ﴾ وادكر بعدامة ﴿ يعني انه تذكر قول يوسف اذ كرني عند ربك بعدامة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة ﴿ أنا أنبئكم ﴾ يعني أخبركم ﴿ بتأويله ﴾ وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة الصحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التظيم وذلك ان الفتى الساقى جثابين يدى الملك وقال ان في السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا ﴿ فارسلون ﴾ فيه اختصار تقديره فارسلني أيها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة ﴿ يوسف ﴾ أي يا يوسف ﴿ أيها الصديق ﴾ اتمامه صديقا لانه لم يجرب عليه كذباقط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تفسير رؤياه التي رآها في السجن ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ فان الملك رأى هذه الرؤيا ﴿ لعلني أرجع الى الناس ﴾ يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم ﴿ قال ﴾ يعني قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين محضبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجذبة فذلك قوله تعالى ﴿ تزرعون ﴾ وهذا خبر

من السجن والقتل وهو الساقى (وادكر) تذكر يوسف (بعدامة) سبع سنين ويقال بعد النسيان ان قرأت بالهاء (أنا أنبئكم بتأويله) قال الملك أنا أخبرك بتعبير الرؤيا يا أيها الملائ (فارسلون) الى السجن فان فيه رجلا ووصف علمه وحله واحسانه الى أهل السجن وصدقه بتأويل الرؤيا فأرسله

فجاءه فقال ليوسف يا (يوسف أيها الصديق) الصادق في تعبیر الرؤيا الاولى (أفتنا في سبع بقرات سمان) خرجن من نهر (يأكلهن) يتلعهن (سبع عجاف) هزالها كات (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) التوين على الخضرة وغلبن خضر تهن (لعلني أرجع الى الناس) الى الملك (لعلهم يعلمون) لكي يعلموا رؤيا الملك فقال يوسف نعم اما السبع بقرات السمان فهن سبع سنين محضبة واما السبع سنبلات الخضر فهو الخصب والرخص في السنين الخصبية واما السبع بقرات الهزالها كات فهي سبع سنين مجذبة واما السبع سنبلات اليابسات فهو التحط والغلاء في السنين المجذبة ثم علمهم يوسف كيف يصنعون (قال تزرعون

سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحفص بحركة وهما مصدر دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دأبين (فاحصدتم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الا قليلا مما تأكلون) في تلك الجزء الثاني عشر { السنين ٤١٤ } (ثم يأتي من بعد ذلك سبع

شدادياً كلن) هو من اسناد الحجاز جعل أكلهن مستدا اليهن (ما قدمتم لهن) أي في السنين المحصبة (الاقليلا مما تحصنون) محرزون وتحبثون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يفاث الناس) من الفوثن أي يحسب مستغيثهم أو من الفيث أي يظرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) الغنم والزيتون والسمن فيخذون الاشربة والادهان يعصرون حزة قاول البقرات السمان والسنبلات الخضريه بسنين محاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجي مبارك كثير الخير عزيز النعم وذلك من جهة الوحي

سبع سنين) المحصبة (دأبا) دائماً كل عام (فاحصدتم) من الزرع (فذروه في سنبله) في قواقره ولا تدوسوه لاندأبقي له (الاقليلا

سبع سنين دأبا) أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دأبين أو المصدر باضمار فعله أي تدأبون دأباً وتكون الجملة حالا * وقرأ حفص دأباً بفتح الهمزة كلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجته في صورة الخبر للمبالغة لقوله ﴿ فاحصدتم فذروه في سنبله ﴾ لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾ في تلك السنين ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادياً كلن ما قدمتم لهن ﴾ أي يأكل اهلهم ما اخترتم لاجلهم فاسند اليهن على الحجاز تطبيقين المعبر والمعبره ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ تحرزون لبذور الزراعة ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس ﴾ يظرون من الفيث أو يعاثنون من القحط من الفوثن ﴿ وفيه يعصرون ﴾ ما يعصر كالغنم والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حزة والكسائي بالياء على تغليب المستقوى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاء ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه أي يغنيهم الله ويغيث بعضهم بعضاً أو من اعصرت السحابة عليهم فعدى بزرع الخفافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بهابعدان اول البقرات السمان والسنبلات الخضريه بسنين محصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة

بمعنى الامر أي ازرعوا ﴿ سبع سنين دأبا ﴾ يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بمجدوا جهاداً ﴿ فاحصدتم فذروه في سنبله ﴾ انما امرهم بترك ما حصدوه من الخنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾ يعني ادرسوا قليلا من الخنطة للاكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضاً وهو وقت السنين الجديدة وهو قوله ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد السنين المحصبة ﴿ سبع شداد ﴾ يعني سبع سنين مجدبة تمحلة شديدة على الناس ﴿ يأكلن ﴾ يعني يفنين ﴿ ما قدمتم لهن ﴾ يعني يؤكل فيهن كل ما أعدتم وادخرتم لهن من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد هذه السنين الجديدة ﴿ عام فيه يفاث الناس ﴾ أي يظرون من الفيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثني من الفوثن ﴿ وفيه يعصرون ﴾ يعني يعصرون الغنم خرا والزيتون زيتا والسمن دهنأرادبه كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة

مما تأكلون) تقول بقدر ما تأكلون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين المحصبة (سبع شداد) سبع سنين قحظة (والجدب) (يأكلن ما قدمتم لهن) ما رفعتم لهن للسنين الجديدة في السنين المحصبة (الاقليلا مما تحصنون) تحرزون (ثم يأتي من بعد ذلك) من بعد السنين الجديدة (عام فيه يفاث الناس) اهل مصر بالطعام والمطر (وفيه يعصرون) الكروم والادهان والزيت فرجع الرسول وأخبر الملك بذلك

(وقال الملك اثونى به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) اى الملك (فاستله ما بال النسوة) اى حال النسوة (اللاتي قطعن ايديهن) انما ثبت وتانى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عارى به وسجن فيه لثلاثا يتسلق به الحاسدون الى تقيج امره عنده ويحملوه سمالا الى حط منزله لديه ولثلاثا يقواوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم ﴿ ٤١٥ ﴾ واجب وجوب { سورة يوسف } اتقاء الوقوف في موافقها

وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخرجتهم حتى أشرطان يخرجونى واقعد عجبت منه حين أناه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذران كان حلما ذائناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سليلته مع ما صنعت به وتسيبت فيه من السجن والعذاب واقصر على ذلك المقطعات أيديهن (ان ربي بكيدهن علم) اى ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازين عليه فرجع الرسول الى الملك

(وقال الملك اثونى به) يوسف (فلما جاءه الرسول) وهو الساقى الى يوسف فقال ان الملك يدعوك (قال) له يوسف (ارجع الى ربك)

وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين الخصبية في السنين المجذبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بان انتهاء الجذب بالخصب أو بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم ﴿ وقال الملك اثونى به ﴾ بعدما جاءه الرسول بالتمبير ﴿ فلما جاءه الرسول ﴾ ليخرجه ﴿ قال ارجع الى ربك فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ﴾ انما تانى في الخروج وقدم سؤال النسوة وتفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقيج امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يحتمد في نفي التهم وبتقى موافقها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاستله ما بال النسوة ولم يقل فاستله ان يقتش عن حالهن تهيجاله على البحث وتحقيق الحال وانما يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومرعاة الادب وقرئ النسوة بضم النون ﴿ ان ربي بكيدهن علم ﴾ حين قلن لى اطعم مولاتك

والجذب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقال الملك اثونى به ﴿ وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبره رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذى قاله كائن لاحالة فقال اثونى به حتى أبصر هذا الرجل الذى قد عبر رؤياى بهذه العبارة فرجم الساقى الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى ﴿ فلما جاءه الرسول ﴾ فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص ﴿ قال ﴾ يعنى قال يوسف للرسول ﴿ ارجع الى ربك ﴾ يعنى الى سيدك وهو الملك ﴿ فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ﴾ ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أذبا واحتراما لها (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولبت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعى اخرجته الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وراسل الملك في كشف أمره الذى سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء ﴿ وقوله ﴾ ان ربي بكيدهن علم ﴿ يعنى ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الخيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف

الى سيدك الملك (فاستله ما بال النسوة) يقول قل الملك حتى يسأل عن خبر النسوة (اللاتي قطعن) خدشن وخشن (أيديهن ان ربي) سيدى (بكيدهن) بمكرهن وصنيعهن (علم) فرجع الرسول وأخبر الملك فجمع الملك هؤلاء النسوة كلهن وكن أربع نسوة امرأة ساقيه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وامرأة العزيز أيضا ولم يكن في مصر أعظم منهن

من عند يوسف برسائه فدعا الملك النسوة المقطعات أيدين ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ماخطبكن) ماشأنتكن (اذراودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا يكن (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت) الجزء الثاني عشر { امراءات العزيز } ٤١٦ { الآن حصص الحق } ظهر

وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برى مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن ﴿ قال ماخطبكن ﴾ قال الملك لهن ماشأنتكن واخطب امرئ يحق ان يخاطب فيه صاحبه ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ﴾ تنزيهه وتجب من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ من ذنب ﴿ قالت امراءات العزيز الآن حصص الحق ﴾ ثبت واستقر من حصص البعير اذا التى مباركة ليناخ قال
فحصص في صم الصفاتفتاته * وناه بسلمى نوءة ثم صمما
اوظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه * وقرئ على البناء للمفعول ﴿ انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ في قوله هي راودتى عن نفسى ﴿ ذلك ليعلم ﴾ قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن أى ذلك التثبت ليعلم العزيز ﴿ انى لم اخنه بالغيب ﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أى لم اخنه وانا غائب عنه أو هو غائب عنى أو ظرف أى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة ﴿ وان الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾

الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و ﴿ قال ﴾ لهن ﴿ ماخطبكن ﴾ أى ماشأنتكن وأمركن ﴿ اذراودتن يوسف عن نفسه ﴾ انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب ﴿ قلن ﴾ يعنى النسوة جميعا محبيات للملك ﴿ حاش لله ﴾ يعنى معاذ الله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ يعنى من خيانة فى شئ من الاشياء ﴿ قالت امراءات العزيز الآن حصص الحق ﴾ يعنى ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فغزرنها وقيل خافت أن يشهدن عليها فأقرت فقالت ﴿ انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ يعنى فى قوله هي راودتنى عن نفسى واختلفو فى قوله ﴿ ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ﴾ على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قوله وهو قول المرأة الآن حصص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف انى لم اخنه فى حال غيبته وهو السجن ولم أكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ثم بالفت فى تأكيد هذا القول فقالت ﴿ وان الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾ يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم انى اقتضحت لان الله

واستقر (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هي راودتنى عن نفسى ولا مزيد على شهادتهن لله للبراءة والزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشئ مما قذف به ثم رجع الرسول الى يوسف واخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أى امتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (انى لم اخنه بالغيب) بظهر الغيب فى حرمة وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو هو غائب عنى أو ليعلم الملك انى لم اخن العزيز (وان الله) أى وليعلم أن الله لا يهدى كيد الخائنين لا يسدده وكأنه تمريض بامرأته فى حياتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها شركيا وليبين

دون الملك (قال) لهن الملك (ماخطبكن) ماشأنتكن وما حالكن (اذراودتن

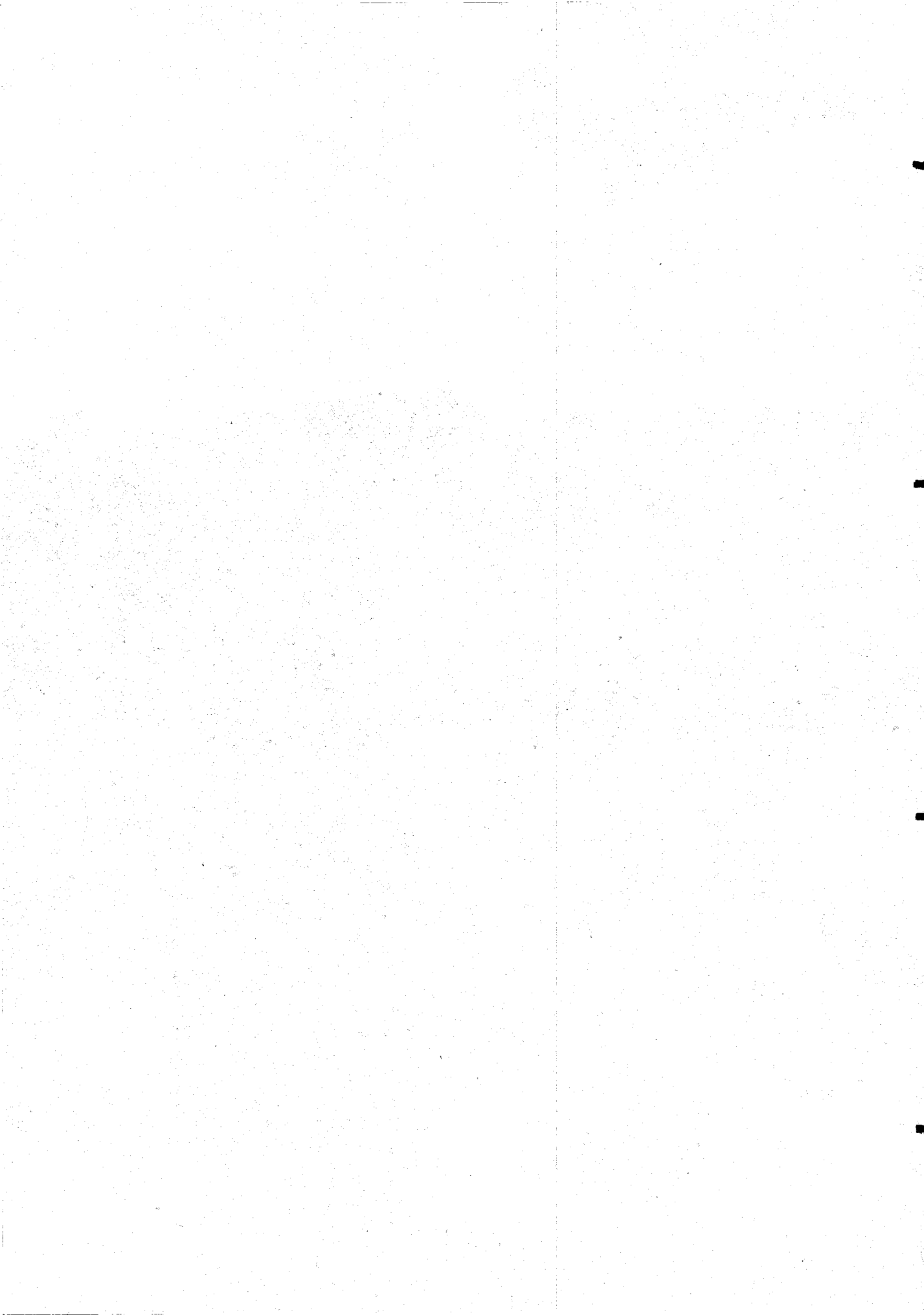
يوسف عن نفسه قلن حاش لله) معاذ الله (ماعلمنا عليه) ما رأينا منه (من سوء) من قبيح (قالت امراءات العزيز الآن (لا يرشد) حصص الحق) الآن تبين الحق ليوسف ويقال الآن خبر الصدق (انا راودته عن نفسه) نادعوتها الى نفسى (وانه لمن الصادقين) فى قوله انه لم يراودتنى قال يوسف (ذلك ليعلم) العزيز (انى لم اخنه) فى امرأته (بالغيب) اذا غاب عنى (وان الله لا يهدى) لا يصبوب ولا يرضى (كيد الخائنين) عمل الزانين

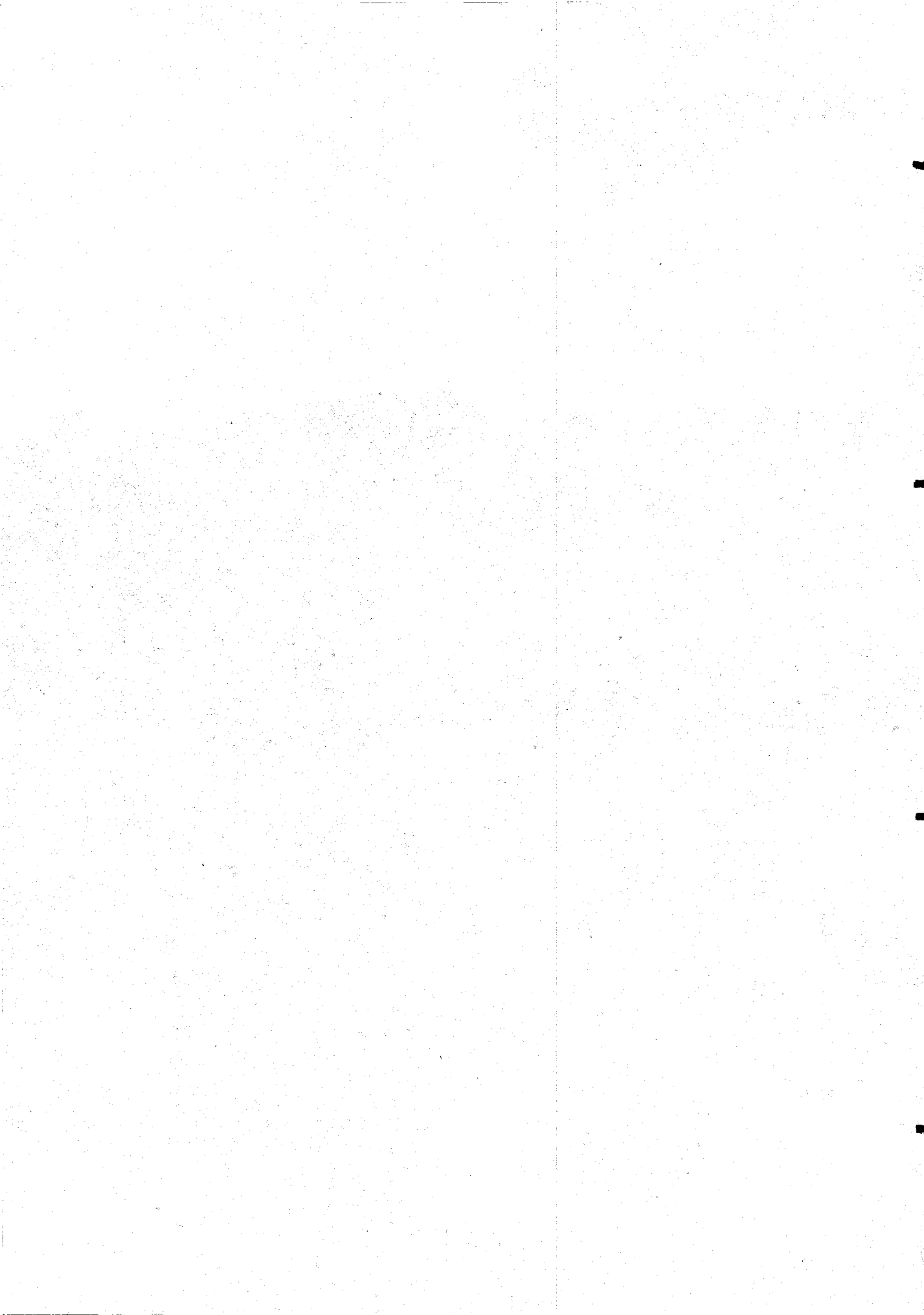
لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه
تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه

لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام
وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يعود وصل كلام
انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف
قول المرأة أنا ارودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من
ردى رسول الملك اليه ليعلم أي لم أخنه في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته
فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا ارودته عن نفسه من غير تمييز
بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان
آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا
من قول الملائكة إذ أتوا من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا
من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقاً لها وعلى هذا القول اختلفوا
أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين * أحدهما انه كان في السجن وذلك انه لما
رجع اليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ
ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال
ابن جرير والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية
عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك
وهي اشارة للغائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الانباري قال اللغويون
هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار
كالمشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته
من ردى الرسول ليعلم أي لم أخنه بالغيب أي لم أخن العزيز في حال غيبته ثم
ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائناً لما خلصني
الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لان الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد
الخائنين واختلفوا

ان ما فيه من الامانة بتوفيق
الله وعصمته فقال

فقال له جبريل عليه السلام
ولا حين هممت بها يا يوسف
فقال يوسف





الحزب الثالث عشر

فان الله خير حافظا وهو ارحم الراحمين

بقوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ أي لا انزهما تنبيها على انه لم يرد بذلك تركية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قال لي علم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ﴿ان النفس لأمارة بالسوء﴾ من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القسوى والجوارح

في قوله ﴿وما أبرئ نفسي﴾ من قول من على قولين أيضا أحدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك لي علم اني لم اخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك لي علم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك لي علم اني لم اخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففي قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس في مقام العصمة والتركية ذنب عظيم فاذا ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيأت المقرين ﴿ان النفس لأمارة بالسوء﴾ والسوء لفظ جامع لكل ما يهيم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذى عليه اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي

(وما أبرئ نفسي) من الزلل
وما شهد لها بالبراءة الكلية
ولأزكيها في عموم الاحوال
أوفى هذه الحادثة لما ذكرنا
من الهم الذي هو الخطرة
البشرية لاعن طريق
القصد والعزم (ان النفس
لأمارة بالسوء) أراد
الجنس أي ان هذا الجنس
يأمر بالسوء ويحمل عليه
لما فيه من الشهوات

(وما أبرئ نفسي) قلبي
من الهم (ان النفس) يعنى
القلب (لأمارة) للحسد
(بالسوء) بالقبیح من العمل

(الامارح ربي) الا البعض الذي رحه ربي بالعصمة ويجوز ان يكون ما رح في معنى الزمان أي الا وقت رحه ربي يعني انها امانة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة ﴿ ٤٢١ ﴾ أو هو استثناء { سورة يوسف } منقطع أي ولكن رحه

ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما برئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد دخرته حين قدفته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار بما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا مارح ربي الانفسا رحها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربي واسترحته بما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولادليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيدين (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) أجمله خالصا لنفسي (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحتسب

(الامارح ربي) عصم ربي

(ان ربي غفور) متجاوز (رحيم) لما هممت (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) اخصه لنفسي دون العزيز (فلما كلمه) بعد ما جاء اليه وفسر رؤياه

في أثرها كل الاوقات ﴿ الامارح ربي ﴾ الا وقت رحه ربي أو الامارح الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحه ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرا به * وعن ابن كثير ونافع بالسوء على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ﴿ ان ربي غفور رحيم ﴾ يفقرهم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يفقر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمها المستغفره واسترحه بما ارتكبه ﴿ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ اجمله خالصا لنفسي ﴿ فلما كلمه ﴾ أي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء

صفات نفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتاع على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة * وقوله ﴿ الامارح ربي ﴾ قال ابن عباس معناه الامن عصم ربي فتكون ما معنى من فهو كقوله ما طالب لكم من النساء يعني من طالب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ﴿ ان ربي غفور ﴾ يعني غفور لذنوب عباده ﴿ رحيم ﴾ بهم ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴿ وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف أستخلصه لنفسي أي أجمله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركون فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وشبانه على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيا أسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴿ فلما كلمه ﴾ فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بلا معاودة فاجابه روي أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخيار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلاء وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنساي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعاه بالبرانية فقال له وما هذا اللسان

(قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شئ روى ان الرسول جاءه معه سبعون حاجبا { الجزء الثالث عشر } وسبعون ﴿ ٤٢٢ ﴾ مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال أحب الملك

﴿ قال انك اليوم لدينا مكين ﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿ أمين ﴾ مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جدد فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعدو بعتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمي اسماعيل ودعاه بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباءي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكها وامت له البقرات والسنابل واما كنها على ماراها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطيفر في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج مندر اعيل فوجدها عذراء وولده منها افرائيم وميشا

ايضا قال يوسف هذا لسان آباءي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اواجه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدائه سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و ﴿ قال انك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقتك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن اسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها الملك رأيت سبع بقران سمان شهب غرسان غير عجاف كشفك عنهن النيل فظلمن من شاطئه تشعب أخلافهن لبنا فيمعا أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نصب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من جأته سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضرع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلفن بالسمان فاقترسن السمان كافتراس السبع فاكن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فيمعا أنت تنظر وتتجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذ سبع سنبلات خضر طريات ناعمت بمثلثات حبا وماء والى جانبهن سبع أخرسود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فيمعا أنت تقول في نفسك أي شئ هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الثرى والماء اذ هبت ريح فندرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شئ فاشأن هذه الرؤيا وان

فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلاء وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جدد فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره وأعدو بعتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباءي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق اني أحب أن اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصت لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه (قال) له الملك (انك اليوم لدينا) عندنا (مكين) لك قدر ومنزلة (أمين) بالامانة ويقال بماوليتك (كان)

(قال) يوسف (اجعلنى على خزائن { ٤٢٣ } (الارض) ولنى { سورة يوسف } على خزائن ارضك يعنى مصر

(انى حفيظ) أمين أحفظ
ماستحفظنيه (عليم) عالم
بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية
وهماطلبة الملوك ممن يولونه
وانما قال ذلك ليتوصل الى
امضاء أحكام الله واقامة
الحق وبسط العدل
والتمكن مما لاجله بعث
الانبياء الى العباد ولعله
ان أحد اغريه لايقوم مقامه
في ذلك فطلبه ابتغاء وجه
الله لالحب الملك والدينا
وفي الحديث رحم الله أخى
يوسف لولم يقل اجعلنى على
خزائن الارض لاستعمله
من ساعته ولكنه أخر ذلك
سنة قالوا وفيه دليل على انه
يجوز ان يتولى الانسان عماله
من يد سلطان جائر وقد
كان السلف يتولون القضاء
من جهة الظلمة واذا علم النبي
أو العالم أنه لاسيبل الى
الحكم بأمر الله ودفع الظلم
الابتسكين الملك الكافر
أو الفاسق فله أن يستظهر
به وقيل كان الملك يصدر
عن رأيه ولا يعترض عليه
في كل ما رأى وكان في حكم
التابع له

(قال اجعلنى على خزائن

الارض) على خراج مصر

قال اجعلنى على خزائن الارض * وانى امرها والارض ارض مصر * انى حفيظ * لها
من لا يستحقها * عليم * بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في امره
لا محالة آثر ما تم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية وواظهار انه مستعد
لها والتولى من يد الكافر اذ علم انه لاسيبل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به

كان عجباً فما هو يا عجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل رؤياى ايها الصديق قال
يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين
الخصبة وتجعل ما يتحصّل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له فيكون
ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب وتأمر الناس فيرفعوا الخس من زروعهم أيضاً
فيكفيك ذلك الطعام الذي جمته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر
النواحي للميرة ويجمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال
الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفيى العمل فيه فعند ذلك * قال * يعنى
يوسف * اجعلنى على خزائن الارض * يعنى على خزائن الطعام والاموال وأراد
بالارض ارض مصر أى اجعلنى على خزائن ارضك التى تحت يدك وقال الربيع
ابن أنس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها * انى حفيظ عليم * أى حفيظ
للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعنى
عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأينى وقال الكلبي حفيظ
بتقديره في السنين المخصبة للسنين المجذبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك
عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك * وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى يوسف
لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة * فان
قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما روى من النهى
عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبدالرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عبدالرحمن لاتسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها
وان أوتيتها عن غير مسئلة أعنت عليها أخرجاه في الصحيحين * قلت انما يكره طلب الامارة
اذ لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما
يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى
والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفاً برعاية المصالح ولا يمكنه
ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل
قسط وشدة اما بطريق الوحي من الله أو بغيره وربما أفضى ذلك الى هلاك
معظم الخلق وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه
طلب الامارة لهذا السبب * فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم
والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم * قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل

(انى حفيظ) بتقديرها (عليم) بساعة الجوع حين يقع ويقال حفيظ لما وليتني عليم بجميع السن الغرباء الذين يأتونك

وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴾ في ارض مصر ﴿ يتبوا منها حيث يشاء ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوى ﴿ وقرأ ابن كثير نشاء بانون ﴾

التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا به يوسف بقوله اني حفيظ علمي على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴿ وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكأنا نعمنا على يوسف بان أنجينا من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قربه وأدنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله ﴿ يتبوا منها حيث يشاء ﴾ لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريا وضرب له عليه كفة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحاق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلمه سلطانه كله وجعل أمره وقضاه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كاترى في ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كاجمك الله في حسنك وهيئتك فقلبتني نفسي وعصمتك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبّر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجذبة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المحصبة ودخلت السنين المجذبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبّر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجمع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول اوان القحط فهلك في السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه في السنة المحصبة فجعل أهل مصر يتبعون الطعام من يوسف فباعهم في

(وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف في الارض) أرض مصر وكانت أربعين فرسخا في أربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة (يتبوا منها حيث يشاء) أي كل مكان أراد أن يتخذ منزلالم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكي

(وكذلك مكنا ليوسف) هكذا مكنا يوسف (في الارض) أرض مصر (يتبوا) ينزل (منها) فيها (حيث يشاء) يريد

(نصيب برجتنا) ببطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاءه ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) في الدنيا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسنه في الدنيا والآخرة والفاجر يجعل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال أما ﴿٤٢٥﴾ السريرا فاشدبه {سورة يوسف} ملكك وأما الخاتم فأدبره

أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشاو أقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام بالدرهم والذنانير في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالخلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم باولادهم السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتازين أكثر

﴿نصيب برجتنا من نشاء﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ بل نوفي أجورهم عاجلا وأجلا ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه ﴿وجاء أخوة يوسف﴾ روى أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط القلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط السنة الأولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذ منه وباعهم في السنة الثانية بالخلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس مناشئ وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالبيد والجوارى حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر مارأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يبيع من الطعام في تلك الايام فقبل له أتجوع وسيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبع أنسى الجائع وأمر يوسف طبأخي الملك أن يجملوا غداه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فنجمه جمل الملوك غداه نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء ﴿نصيب برجتنا من نشاء﴾ يعني نختص بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ قال ابن عباس يعني الصابرين ﴿ولأجر الآخرة﴾ يعني ولثواب الآخرة ﴿خير﴾ يعني أفضل من أجر الدنيا ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعده الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ﴿قوله تعالى﴾ وجاء أخوة يوسف

من جل بعير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب (قاو حا ٥٤ لث) مصر فارسل يعقوب بنيه ليبتاروا وذلك قوله (وجاء أخوة يوسف

(نصيب برجتنا) نختص برجتنا النبوة والاسلام (من نشاء) من كان أهلا لذلك (ولا نضيع) لا نبطل (أجر المحسنين) ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (خير) من ثواب الدنيا (للذين آمنوا) بالله وجملة الكتب والرسول (وكانوا يتقون) الكفر والشرك والفواحش (وجاء أخوة يوسف) إلى مصر

مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدرهم والدينار حتى لم يبق معهم شئ منهما ثم بالخلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم براقبهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه لليرة **﴿** فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون **﴾** أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول الهمه ومقارنتهم ايام في سن الحدائة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رآه عليها

فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون **﴿** قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام تصد الناس بمصر من كل مكان لليرة وكان يوسف لا يعطى أحدا أكثر من جل بيروان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر لليرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشيأ فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغني أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فقهبزوا له واتصدوه لتشتروا منه ما يحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين ان يعرفوه في الحب وبين دخولهم عليه مدأربين سنة فذلك انكروه وقل تطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقبل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان الرفان انما يقع في القاب بخاق لله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخاق ذلك العرفان في تلك الساعة في تلويهم تحقيرا لما أخبر أنه سينبتهم بمصرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ايووسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلوه بالبرانية كلهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فحشنا نمتار قال يوسف لعلمكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بچوايس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا عننا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبنائنا فكم أنتم الآن قالوا عشرة قالوا أين الآخر قالوا هو عندنا بينا لانه أخو الذي هلك لأمه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك اننا بلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فأتوني باخيمكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاناراض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسزاوده عنده قال فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلقوه عنده فذلك قوله تعالى

فدخلوا عليه فعرفهم (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة روى انه لمس آهم وكموه بالبرانية قال لهم اخبروني من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة أصابنا الجهد فحشنا نمتار فقال لعلمكم جئتم عيوننا تنظرون عورة بلادي فقالوا معاذ الله نحن بنونى حزين لفقدا ان كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاله من أمه يستأنس به فقال أتوني به ان صدقتم

وهم عشرة (فدخلوا عليه) على يوسف (فعرفهم) يوسف انهم اخوته (وهم له منكرون) لا يعرفون انه أخوهم يوسف

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد ﴿٤٢٧﴾ منهم حل في سورة يوسف { بعير وقرى بكسر الجيم

من حاله حين فارقه وقلته أنما لهم في حلال من النهيب والاستعظام ﴿٤٢٧﴾ ولما جهزهم بجهازهم ﴿٤٢٧﴾ اصطحبهم بعدتهم واورقركأبهم بما جاؤا لاجله واصل الجهاز ما بعد من الامتعة للثقله كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما زف به المرأه الى زوجها وقرى بجهازهم بالكسر ﴿٤٢٧﴾ قال أشوني باخ لكم من ابيكم ﴿٤٢٧﴾ روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما اسركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كئنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فابن الحادي عشر قالوا عندنا يتسلى به عن الهالك قال فن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطى لكل نفر حلا فسالوا اجلا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿٤٢٧﴾ ألا ترون اني اوفي الكيل ﴿٤٢٧﴾ وانا خير المتزئين ﴿٤٢٧﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم ﴿٤٢٧﴾ فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ﴿٤٢٧﴾ وأي فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم وهو بمعنى النهي (قالوا سنراود عنه اياه) - سنخادعه عنه ونختال حتى نزرعه من يده (وانالفاعلون) ذلك لا محالة لان شرطه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوه عنده شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف (وقال لفتيانه) كوفي غير أبي بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان

﴿٤٢٧﴾ ولما جهزهم بجهازهم ﴿٤٢٧﴾ يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوهم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثر من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بمجيدة قال ابن عباس حل لكل واحد منهم بعير من الطعام وأكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم ﴿٤٢٧﴾ قال أشوني باخ لكم من ابيكم ﴿٤٢٧﴾ يعني الذي خلقتموه عنده وهو بنيامين ﴿٤٢٧﴾ ألا ترون اني اوفي الكيل ﴿٤٢٧﴾ يعني اني اتمه ولا أنجس منه شيئا وأزبدكم حل بعير آخر لاجل اخيكم أكرمكم بذلك ﴿٤٢٧﴾ وانا خير المتزئين ﴿٤٢٧﴾ يعني خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضاف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المتزئين وأيضا يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا أن يقول لهم انتم جواسيس وعميون مع أنه يعرف براعتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف ﴿٤٢٧﴾ فان لم تأتوني به ﴿٤٢٧﴾ يعني بأخيكم الذي من ابيكم ﴿٤٢٧﴾ فلا كيل لكم عندي ﴿٤٢٧﴾ يعني لست أكيل لكم طعاما ﴿٤٢٧﴾ ولا تقربون ﴿٤٢٧﴾ يعني ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادى وهذا هو نهاية التعويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فنند ذلك ﴿٤٢٧﴾ قالوا ﴿٤٢٧﴾ يعني اخوة يوسف ﴿٤٢٧﴾ سنراود عنه اياه ﴿٤٢٧﴾ يعني سنجهده ونختال حتى نزرعه من عنده ﴿٤٢٧﴾ وانا لفاعلون ﴿٤٢٧﴾ يعني ما أمرتنا به ﴿٤٢٧﴾ قوله عز وجل ﴿٤٢٧﴾ وقال لفتيانه ﴿٤٢٧﴾ يعني

(قالوا سنراود عنه اياه) - سنطلبه من ابيه ونقرى اياه (وانالفاعلون) لضا منون اناسنجي به (وقال) يوسف (لفتيانه) لخدمه

﴿ اجملوا بضاعتهم في رحالهم ﴾ فانه وكل بكل رحل واحدا يعني فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندا به ما يرجعون به ﴿ لهم يعرفونها ﴾ لهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها ﴿ اذا انقلبوا ﴾ انصرفوا ورجعوا ﴿ الى اهلهم ﴾ وفتحوا وبعيتهم ﴿ لهم يرجعون ﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع ﴿ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع مننا الكيل ﴾ حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب بنيامين ﴿ فارسل معنا اخانا نكتل ﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وقال يوسف لفتيانه وهم غلثانه وأتباعه ﴿ اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ﴾ أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكي الضحك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره ﴿ لهم يعرفونها ﴾ يعني يعرفون بضاعتهم ﴿ اذا انقلبوا الى اهلهم ﴾ يعني اذا رجعوا الى اهلهم ﴿ لهم يرجعون ﴾ لنا واختلوا في السبب الذي من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل لهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قدرت ابيهم علما ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيعثرهم ذلك على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته ثم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبياء وأولاد انبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم أن يكون ذلك عونا لابيهم ولاخوته على شدة الزمان ﴿ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعت الى ملك مصر فاقروا عليه مني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعوك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شعون قالوا ارتبته ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا ﴿ منع مننا الكيل ﴾ وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف باخيم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيم المتخلف عند ابيهم فنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع مننا الكيل اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سبغ مننا الكيل في المستقل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع مننا الكيل ان لم نحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبار اعنهم ﴿ فأرسل معنا اخانا ﴾ يعني بنيامين ﴿ نكتل ﴾ قرى بالياء يعني يكتل لنفسه وقرى بالنون يعني نكتل نحن جميعا وايه معنا

رحالهم) أو بعيتهم وكانت نعالا أو ادما أو ورقا وهو أليق بالدس في الرحال (لهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى اهلهم) وفتحوا وبعيتهم (لهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع اليها وربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته معنا (فلما رجعوا الى ابيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا ابانا منع مننا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فارسل معنا اخانا نكتل) (اجعلوا بضاعتهم) دسوا دراهمهم (في رحالهم) في جواريقهم كي لا يعلمون (لهم يعرفونها) لكي يعرفوا هذه الكرامة مني ويقال لكي يعرفوا انها دراهمهم فيردوها لي (اذا انقلبوا الى اهلهم) اذ رجعوا الى ابيهم (لهم يرجعون) مرة أخرى (فلما رجعوا الى ابيهم) بكنعان (قالوا يا ابانا منع مننا الكيل) فنيا يستقبل ان لم ترسل معنا بنيامين (فارسل معنا اخانا) بنيامين (يكتل) يشتر لنفسه (وانا)

من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حزة وعلى أي يكتل أخونا فنضم اكتبه الى اكتبنا (واناله لحافظون) عن ان يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمتكم على أخيه من قبل) يعني انكم قلمت في يوسف أرسله معنا غد يرتع ويلعب واناله لحافظون كما تقولونه في أخيدتم ختمت بضمناكم فما يأمني من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفي غير أبي بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال أو تميز ﴿ ٤٢٩ ﴾ ومن قرأ حفظا {سورة يوسف} فهو تميز لا غير (وهو أرحم

الراحمين) فأرجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزني وجمالي لاردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبا منبني) مال النبي أي مانبي في القول ولا يتجاوز الحق أو مانبي شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما يزيد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أي أي شيء نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

جلا ويقال نشتره جلا ان قرأت بالنون (واناله لحافظون) ضامنون برده اليك (قال) لهم يعقوب (هل آمنكم عليه) على بنيامين (الا كما أمتكم على أخيه من قبل) من قبل يوسف يقول هل أقدر ان آخذ عليكم الهدى الميثاق أكثر مما أخذت عليكم في يوسف (فالله خير حافظا) منكم (وهو أرحم الراحمين) وهو

﴿ واناله لحافظون ﴾ من ان يناله مكروه ﴿ قال ﴾ يعقوب لهم ﴿ هل آمنكم عليه الا كما أمتكم على أخيه من قبل ﴾ وقد قلمت في يوسف واناله لحافظون ﴿ فالله خير حفظا ﴾ فأتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحفظا على قراءة حزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرى خير حافظ وخير الحافظين ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ فارحون راحني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ وقرى ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل ﴿ قالوا يا أبا منبني ﴾ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا واحسن مثوانا وباع مناورد علينا متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك احسانا أو لا نبني في القول ولا نتزيد فيما حكيثنا لك من احسانه وقرى مانبي على الخطاب أي أي شيء نطلب وراء هذا من الاحسان أو من الدليل على صدقنا ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا ﴾ استئناف

﴿ واناله لحافظون ﴾ يعني زرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة ﴿ قال ﴾ يعني يعقوب ﴿ هل آمنكم عليه الا كما أمتكم على أخيه من قبل ﴾ يعني كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وختمتم لي حفظه وقلمت واناله لحافظون فافعلتم فلما يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال ﴿ فالله خير حافظا ﴾ يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له فيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانهم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو ان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم أو ان شدة القحط وضيق الوقت أحوجه الى ذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ ولما فتحوا متاعهم ﴿ يعني الذي جلاوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام ﴿ وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ يعني انهم وجدوا في متاعهم عن الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قدرد عليهم ودس في متاعهم ﴿ قالوا يا أبا منبني ﴾ يعني ماذا نبني وأي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وخشوا يعقوب على إرسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أو في لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا

أرحم به من والديه ومن اخوته (ولما فتحوا متاعهم) جوا ليقمهم (وجدوا بضاعتهم) دراهمهم عن طعامهم (ردت اليهم) مع طعامهم (قالوا يا أبا منبني) ما نكذب بما قلنا من احسان الرجل ولطفه بنا ويقال ما طلبنا هذا منه (هذه بضاعتنا) دراهمنا التي أعطيناه عن الطعام (ردت الينا) مع الطعام وهذا من احسانه الينا قال

جمله مستأنفة موضحة لقوله مانبي والجل بعدهما معطوفة عليها أي ان بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (ونعير أهلنا) في رجوعنا إلى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) في ذهابنا ومجيئنا فأبصيه شيء مما تخافه (وزداد كيل بعير) زداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر لا يتعاضمه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياه مكي (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما تؤثق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه {الجزء الثالث عشر} لان الحلب به ٤٣٠ ٤٣٠ مما يؤكده العهد وقد أذن الله في

ذلك فهو اذن منه (لأنني به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لأنني به (الان يحاط بكم) ألان تغلبوا فلم تطيقوا الايان به فهو مفعول له والكلام مثبت وهو قوله لتأنتني به في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الايان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعوا منه لعللة من العلل الالعللة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه

لهم أبوهم بل يجربكم الرجل بهذا ردوا هذه الدراهم اليه (ونعير أهلنا) نتار أهلنا (ونحفظ أخانا) في الذهاب والجيء بنيامين (وزداد كيل بعير) وقر بعير اذ كان هو معنا (ذلك كيل يسير) جل يسير يعطى بسببه ويقال هذا أمر يسير وحاجة

موضع لقوله مانبي ﴿ ونعير أهلنا ﴾ معطوف على محذوف أي ردت إلينا فنستظهر بها ونعير أهلنا بالرجوع إلى الملك ﴿ ونحفظ أخانا ﴾ عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا ﴿ وزداد كيل بعير ﴾ وسق بعير باستصحاب أخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على مانبي أي لانبي فيما تقول ونعير أهلنا ونحفظ أخانا ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ أي مكيل قليل لا يكفينا استقلالاً ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع إلى الملك أو يزدادوا اليه ما يكال لآخيههم ويجوز ان تكون الاشارة إلى كيل بعير أي ذلك شيء قليل لا يضيقتنا به الملك ولا يتعاضمه وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان جل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد ﴿ قال لن أرسله معكم ﴾ اذ رأيت منكم ما رأيت ﴿ حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ حتى تعطوني ما تؤثق به من عند الله أي عهدا مؤكداً بذكر الله ﴿ لتأنتني به ﴾ جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأنتني به ﴿ الا ان يحاط بكم ﴾ الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو الا ان تهلكوا جميعاً وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأنتني به على كل حال الاحال الاخاطة بكم أو من اعم العلل على ان قوله لتأنتني به في تأويل النفي أي لا تمتنعون من الايان به الا للاحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله الا فلت اي ما طلب الافلاك ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾ عهدهم

ونعير أهلنا ﴿ يقال ما رأه يغيرهم ميرا اذا جل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى أنا اشتري لأهلنا الطعام ونحمله اليهم ﴾ ونحفظ أخانا ﴿ يعني بنيامين مما تخاف عليه حتى زده اليك ﴾ وزداد كيل بعير ﴿ يعني وزداد لاجل أخينا على أجالنا جل بعير من الطعام ﴾ ذلك كيل يسير ﴿ يعني ان ذلك الجمل الذي زداده من الطعام هين على الملك لانه قد أحسن لنا وأكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي جلبناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا وأهلنا ﴿ قال ﴾ يعني قال لهم يعقوب ﴿ لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ يعني لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهد الله عليه ﴿ لتأنتني به ﴾ دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأنتني به ﴿ الا ان يحاط بكم ﴾ قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعاً فيكون عذرا لكم عندي لان العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تغلبوا جميعاً فلا تقدرُوا على الرجوع ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾

هينة نطلب منك (قال) لهم أبوهم (لن أرسله معكم) بهذه المقالة (حتى تؤتون) تعطوني (موثقا) عهدا (يعني) (من الله لتأنتني به) لتردنه على (الا ان يحاط بكم) الا أن ينزل عليكم أمر من السماء ويقال الا أن يصيبكم أمر من السماء أو من الارض (فلما آتوه) اعطوا أباهم (موثقهم) عهدهم من الله على رده إلى أبيهم

السلام (قال) بعضهم بسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما نقول) من طلب الموثق واعطاه (وكيل) رقيب مطلع غير ان السكينة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى ان يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النعمة اسم الله (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجلالهم وجماله أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجبولين في الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول اعينكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبائى العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل انى أحب ان لا يظن بهم اعدائهم فيحتالوا لاهلاكهم

(قال) يعقوب (الله على ما نقول) وكيل (شاهد) ويقال كليل (وقال) لهم (يابني لا تدخلوا من باب واحد) من باب واحد (واحدة) (رادخلوا من أبواب متفرقة) من سكت مختلفة

قال الله على ما نقول من طلب الموثق وآياته وكيل رقيب مطلع وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة لانهم كانوا ذوى جلال واهبة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانونا وامله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجبولين حينئذ وكان الداعي اليها خوفا على بنيامين ولتنفس آثارها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام يعنى فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له قال الله على ما نقول وكيل يعنى قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كأن الشاهد وكيل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزى وجلالى لأردن عليك كليهما بعدما توكلت على وفوضت امرى الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بدامن ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا أمره اليه قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يابني لا تدخلوا يعنى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدى أراد الطريق لا الابواب يعنى من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد أعطوا جلالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فأمرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقناة وجمهور المفسرين (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يقتسل منه المعين أخرجه ابوداود وقال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله تعالى دل المازرى أخذ جاهر العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا في نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا انفساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وقيل لا بد من فرق بين تكذيبهم بما يخبره من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض الطبائعين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا يتبع هذا كما لا يتبع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالمدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكنا العين قال المازرى وهذا غير مسلم لانا بينا في كتب علم الكلام أنه لا فاعل الا الله تعالى وبيننا فساد القول بالطباع وبيننا ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبث

في عودته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة من كل عين لامة ﴿ وما اغنى عنكم من الله من شئ ﴾ كما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ﴿ ان الحكم الاله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سواء ولا ينفعكم ذلك ﴾ عليه توكلت وعليه ﴿ كل المتوكلون ﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلاة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم ﴿ ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ﴾ أي من ابواب متفرقة في البلد

(وما اغنى عنكم من الله من شئ) أي ان كان الله أراد بكم سوا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الاله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) أي متفرقين

من العين اما جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهرًا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولي من عكسه فباطل ما قالوه وأقرب طريقة قالها من يتحمل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تدعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتصل بالعين فتتحلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجزاها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى المادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثمة جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فن قطع من اطباء الاسلام بانبعاث الجواهر فبدأ خطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قدورد باوضوه لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن فذكر في كتب شروخ الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وهب بن منه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة أنه خاف أن يقتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الآن الله تعالى لم يأذنه في اظهاره ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله ﴿ وما اغنى عنكم من الله من شئ ﴾ يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر ﴿ ان الحكم الاله ﴾ يعني وما الحكم الاله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في أموره كلها الى الله تعالى ﴿ عليه توكلت ﴾ يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لاعلى غيره ﴿ وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم ابوهم ﴾ يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرما أربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها

(وما اغنى عنكم من الله) من قضاء الله فيكم (من شئ ان الحكم) ما الحكم بالقضاء فيكم (الاله عليه توكلت) اتكلت وفوضت أمري وأمركم اليه (وعليه فليتوكل المتوكلون) فليتوكل المؤمنون ويقال على المؤمنين ان يتوكلوا على الله وكان خاف عليهم يعقوب من العين لانهم كانوا اسباح الوجوه جالا فن ذلك خاف عليهم (ولما دخلوا) مصر (من حيث أمرهم) كأمرهم (أبوهم)

ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئاً قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم
واقضاهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان ﴿٤٣٣﴾ الصواع { سورة يوسف } في رحله وتضاعف المصيبة

على أبيهم (الاحاجة)
استثناء منقطع أي ولكن
حاجة (في نفس يعقوب
قضاها) وهي شفقتهم عليه
(وإنه لذو علم) يعني قوله
وما أغنى عنكم وعلمه بان
القدر لا يغني عنه الخنزير
(لما علمناه) لتعلمنا إياه (ولكن
أكثر الناس لا يعلمون)
ذلك (ولما دخلوا على
يوسف آوى إليه أخاه.)
ضم إليه بنيامين وروى
أنهم قالوا له هذا أخونا
قد جئناك به فقال لهم
أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم
ثم أضافهم وأجلس كل
أثنين منهم على مائدة فبقي
بنيامين وحده فبكي وقال
لو كان أخي يوسف حياً
لاجلسني معه فقال يوسف
بقي أخوكم وحيداً فاجلسه
معه على مائدته وجعل
يؤاكله وقال له أنجب ان
أكون أخاك بدلاً أخيك
الهالك قال ومن يجد أخا

ما كان يغني عنهم من الله)
من قضاء الله فيهم (من شيء)
الاحاجة) حزازة (في نفس
يعقوب) في قلب يعقوب
(قضاها) أبدأها (وإنه) يعني
يعقوب (لذو علم) - حفظ

﴿ ما كان يغني عنهم ﴾ رأى يعقوب واتباعهم له ﴿ من الله من شيء ﴾ مما قضاه
عليهم كأن يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله
وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام ﴿ الاحاجة في نفس يعقوب ﴾
استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقتهم عليه وحرارته من ان يعانوا ﴿ قضاها ﴾
أظهرها ووضي بها ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ﴾ بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما أغنى
عنكم من الله من شيء ولم يقتر بتدبيره ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ سر القدر وإنه
لا يغني عنه الخنزير ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ﴾ ضم إليه بنيامين على الطعام
أوفى المنزل روى انه أضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيداً فبكي وقال لو كان
أخي يوسف حياً لجالسني معي فاجلسه معه على

﴿ ما كان يغني عنهم من الله من شيء ﴾ وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما
أغنى عنكم من الله من شيء ﴿ الاحاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ هذا استثناء منقطع ليس
من الاول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق
الآباء على الأبناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسداً هل مصر أو خاف
أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه ﴿ وإنه ﴾ يعني يعقوب ﴿ لذو علم ﴾ يعني
صاحب علم ﴿ لما علمناه ﴾ يعني لتعلمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وإنه لذو علم لشيء الذي
علمناه والمعنى انما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وإنه لذو
حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما
علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالماً ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾
يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس
لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه
أخاه ﴾ قال المفكرون لما دخل أخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا
الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وسجدون ذلك
عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي
بنيامين وحيداً فبكي وقال لو كان أخي يوسف حياً لاجلسني معه فقال لهم يوسف
لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فانا أجلسه معي فاخذه فاجلسه
معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم
ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على
فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريح حتى
أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثان وسأضمه الى
فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال روبيل مارأينا مثل

(لما علمناه) من الذي علمنا من الاحكام والحدود (قا و خا ٥٥ لث) والقضاء والقدر علم انه لا يكون الا ما قضى الله (ولكن
أكثر الناس) أهل مصر (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه) ضم إليه (أخاه) من ابيه وامه وحبس

ملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف وعانقه ثم (قال) له (انى أنا أخوك) يوسف (فلا تبئس) فلا تحزن
(بما كانوا يعملون) بنا فيما { الجزء الثالث عشر } مضى فان الله ﷻ ٤٣٤ قد أحسن لنا وجمعنا على خير ولا

تظلم بما أعلمتك وروى
انه قال له فانا لأفارقك
قال قد علمت اعتمام والدى
في ان حبستك ازداد غم
والاسبيل الى ذلك الا ان
أنسبك الى ما لا يحمد قال
لأبأبى فافعل ما بدالك قال
فانى أؤس صاعى فى رحلك
ثم نادى عليك بانك
سرقة ليتها إلى ردك بعد
تسريحك معهم فقال افعل
(فلما جهزهم بجهازهم)
هيا أسبابهم وأوفى الكيل
لهم (جعل السقاية فى رحل
أخيه) السقاية هى مشربة
يسقى بها وهى الصواع
قيل كان يسقى بها الملك ثم
جعلت صاعا يكال به لعة
الطعام وكان يشبه الطاس
من فضة أو ذهب (ثم أذن
مؤذن) ثم نادى منادى
أذنه أى اعلموا أذن أكثر
سائر اخوته على الباب (قال
انى أنا أخوك) بمنزلة أخيك
الهالك (فلا تبئس) فلا
تحزن (بما كانوا يعملون)
بك اخوتك من الجفء
ويقولون لك من النسب
والعبير (فلما جهزهم
بجهازهم) كاللهم كيلهم
(جعل السقاية فى رحل

مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لأنانى له فيكون معى فبات معه وقال له أنحب
ان أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكي يوسف وقام اليه وعانقه ﴿ قال انى أنا أخوك فلا تبئس ﴾ فلا تحزن افتعال
من البؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ فى حقنا فيما مضى ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ﴾
المشربة ﴿ فى رحل أخيه ﴾ قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى
الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب ووقرى وجعل على حذف جواب
فلما تقديره امهلمهم حتى انطلقوا ﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ نادى مناد

هذا فذلك قوله آوى اليه أخاه يعنى ضمه وأزله معه فى منزله فلما خلاه قال له
يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدهته أمه
هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشرين قال فهل
من أخ لامك قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أنحب أن أكون أخاك بدل أخيك
الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكي يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه ﴿ قال له ﴾ انى أنا أخوك ﴿
يعنى يوسف ﴾ فلا تبئس ﴿ يعنى لا تحزن وقال أهل اللغة تبئس تقتل من البؤس
وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾
يعنى فلا تحزن بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن لنا ونجانا من الهلاك
وجمع بيتنا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفالهم فاراد ان يجعل قلب أخيه
بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لآخيه بنيامين لاتعلم أخوتك بشئ مما
أعلمتك به ثم انه أوفى لآخوته الكيل وزاد لكل واحد حل بعير ولبنيامين حل
بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت فى رحل أخيه بنيامين قال السدى وهو
لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال
يوسف قد علمت اعتمام والدى على فاذا حبستك عندى ازداد غم ولا يمكننى هذا
الا بعد أن أشهرك باسم فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لأبأبى فافعل ما بدالك فانى
لأفارقك قال فانى أؤس صاعى فى رحلك ثم نادى منادى عليكم بالسرقه ليتها إلى ردك بعد
تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وحل ﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية فى رحل أخيه ﴾ وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت
من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة
من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيا لا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها
والسقاية والصواع اسم لآناء واحد وجعلت فى وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا
راجعين الى بلادهم فامهلمهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا
من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم ﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ يعنى نادى

أخيه) دس سقايته التي كان يشرب فيها ويكيل بها فى رحل أخيه من أبيه وأمه ثم أمرهم بالرحيل ثم أرسل (مناد)
خلفهم فتى (ثم أذن مؤذن) نادى مناد وهو فتى يوسف

﴿ آيتها العير انكم لسارقون ﴾ لعلمه ليقله باهر يوسف عليه الصلاة والسلام وكان تسمية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ايدها وأنتم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاجال لانها تعير أي تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فقل كسقت فعل به ما فعل بيض تجوز به لقافلة الحير ثم استعير لكل قافلة ﴿ قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ أي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه * وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ﴾ وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواع من الصياغة ﴿ ولمن جاءه حل بعير ﴾ من الطعام جماله ﴿ وانا به زعيم ﴾

مندا واعلم فعلم والاذان في اللغة الاعلام ﴿ آيتها العير ﴾ وهي القافلة التي فيها الاجال وقال مجاهد العير الحير والبغال وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحير والبغال فهي عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي تحمل عليها الاجال سميت بذلك لانها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله آيتها العير أراد اصحاب العير ﴿ انكم لسارقون ﴾ فقفوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء * فان قلت هل كان هذا النداء باهر يوسف أم لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم أقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة وأحدها ان يوسف لما أظهر لاخيه انه أخوه قال لست أفارقك قال لاسييل الى ذلك الابتدير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قدرضى به فلا يكون ذنبا الثاني أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من آية الانهم ما ظهر وا هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك باهر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم ﴿ قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ﴾ قال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولانتم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا واقبلوا عليهم أي عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا أي ما الذي تفقدون والفتدان ضد الوجود ﴿ قالوا ﴾ يعنى المؤذن واصحابه ﴿ نفقد صواع الملك ﴾ الصاع الاناء الذي يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان ﴿ ولمن جاءه ﴾ يعنى بالصواع ﴿ حل بعير ﴾ يعنى من الطعام ﴿ وانا به زعيم ﴾ أي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن

الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى انهم ارتحلوا وأمهلم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فادركوا وحسبوا ثم قيل لهم (آيتها العير) هي الابل التي عليها الاجال لانها تعير أي تذهب وتجيء والمراد اصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من آية (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاءه حل بعير) يعنى من الطعام جماله

(آيتها العير) أهل القافلة (انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم) يقولوا واقبلوا عليهم وقالوا (ماذا تفقدون) ما تطلبون (قالوا نفقد) نطلب (صواع الملك) اناء الملك الذي كان يشرب فيه ويكيل وكان اناء من الذهب وقد اتهمنى الملك (ولمن جاءه حل بعير) يعنى من الطعام كفيل قال لهم هذا القول فتي

(قالوا لله) قسم في معنى التعجب { الجزء الثالث عشر } مما أضيف اليهم ﴿ ٤٣٦ ﴾ (لقد علمت ما جئنا لنفسد في

كفيل أو ذبه الى من رده وفيه دليل على جواز الجمالة وضمن الجعل قبل تمام العمل
﴿ قالوا لله ﴾ قسم في معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى ﴿ لقد
علمت ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما
عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومدخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة
التي جملت في رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعاً وطعاماً لآحد ﴿ قالوا فاجزأوه ﴾
فاجزاء السارق أو السرقة أو الصواع على حذف المضاف ﴿ ان كنتم كاذبين ﴾ في ادعاء
البراءة ﴿ قالوا اجزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه ﴾ أي جزاء سرقة اخذ من وجد
في رحله واستراقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزأوه تقرير
للحكم والزام له أو خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط أو جواب لها على انها شرطية
والجملة كاهي خبر جزأوه على اقامة الظاهر فيهما مقام الضمير كأنه قيل جزأوه من وجد
في رحله فهو هو ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ بالسرقة

وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حکم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بها في قوله الحيل غارم والحيل الكفيل * فان قلت كيف تصح هذه الكفالة
مع ان السارق لا يستحق شيئاً * قلت لم يكونوا سارقاً في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل
رد الضائع فيكون جمالة وامل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان
فيحمل عليه ﴿ قالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ لله ﴾ التاء بدل من الواو ولا تدخل
الا على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله ﴿ لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين ﴾ قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين * أحدهما انهم
ما جاؤا لاجل الفساد في الارض والثاني انهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه
كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة
والبر حتى بلغ من أمرهم انهم شدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذي زرع الناس ومن كانت هذه
صفته فالفساد في حقه ممنوع وأما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا
البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس
بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبين
براءتهم من هذه التهمة ﴿ قالوا ﴾ يعني أصحاب يوسف وهو المنادي وأصحابه ﴿ فاجزأوه
ان كنتم كاذبين ﴾ يعني فاجزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين ﴿ قالوا ﴾ يعني اخوة يوسف ﴿ جزأوه من وجد في رحله ﴾ يعني
جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان
ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم
ضمنه قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القسط في شرعنا
فأراد يوسف ان يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق
أن يستعبد سنة جزاءه على جرمه وسرقته ﴿ فهو جزأوه ﴾ يعني هذا الجزاء جزأوه
﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ يعني مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزي

(الارض) استشهدوا بعلمهم
لما ثبت عندهم من دلائل
ببرائتهم وأمانتهم حيث دخلوا
وأفواه رواحلهم مشدودة
لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً
لآحد من أهل السوق
ولانهم ردوا بضاعتهم التي
وحدوها في رحالهم (وما
كنا سارقين) وما كنا
نوصف قط بالسرقة
(قالوا فاجزأوه) الضمير
للصواع أي فاجزاء سرقة
(ان كنتم كاذبين) في جمودكم
وادعاءكم البراءة منه (قالوا
جزأوه من وجد في رحله)
أي جزاء سرقة اخذ من
وجد في رحله وكان حكم
السارق في آل يعقوب ان
يسترق سنة فلذلك استفتوا
في جزائه وقوله (فهو
جزأوه) تقرير للحكم أي
فأخذ السارق نفسه هو
جزأوه لا غير جزأوه مبتدأ
والجملة الشرطية كاهي
خبره (كذلك نجزي الظالمين)
يوسف (قالوا لله) والله
(لقد علمت) يا أهل مصر
(ما جئنا لنفسد في الارض)
أرض مصر بالسرقة ومضرة
الناس (وما كنا سارقين)
ما تتطلبون (قالوا) يعني فتى
يوسف (فاجزأوه) يعني
ما جزاء السارق (ان كنتم
كاذبين قالوا جزأوه) السارق
(من وجد في رحله) السرقة (فهو جزأوه) بقول الاستعباد جزاء سرقة (كذلك نجزي الظالمين) (الظالمين)

(من وجد في رحله) السرقة (فهو جزأوه) بقول الاستعباد جزاء سرقة (كذلك نجزي الظالمين) (الظالمين)

﴿ فبدأ باوعيتهم ﴾ فبدأ المؤذن وقبل يوسف لانهم ردوا الى مصر ﴿ قبل وءاء اخيه ﴾ بنيامين نفيالتهمة ﴿ ثم استخرجها ﴾ أى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤت ﴿ من وءاء اخيه ﴾ وقرى بضم الواو وبقابها همزة ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الكيد ﴿ كدنا ليوسف ﴾ بان علمناه اياه واوحينا به اليه

الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعنى السارقين ﴿ قوله عز وجل ﴾ فبدأ باوعيتهم قبل وءاء أخيه ﴿ قل أهل التفسير ان اخوة يوسف لما أقروا ان جزء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رجالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وءاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان يقع متاعا ولا ينظر وءاء الاستغفر الله تأمنا مما قد فهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال اخوته والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأتقنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى ﴿ ثم استخرجها من وءاء أخيه ﴾ انما أنت الكناية لانه ردوا الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر ويؤت فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلوونه ويقولون له ما صنعت بنا فصحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل مازال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية أن الذى وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم قالوا فخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادى وأصحابهم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أى مثل ذلك الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكمانه ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا فى حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزء الكيد يعنى كما فعوا ليوسف فى الابتداء فعلناهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا اخوة يوسف ان حكموا ان جزء السارق ان يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صننا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه فى أوصاب المخنوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحت احتيال وهو فى موضع فعل الله معرى من المعانى المذمومة وتخلص بانه وقع بمن يكيد تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالذى يكون من أحل أن المخلوق اذا كاد المخلوق سترعته ما ينويه ويضمهره من الذى يقع به من

أى السراق بالاسترقاق (فبدأ باوعيتهم قبل وءاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وءاء بنيامين اتى التهمة حتى بلغ وءاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأتقنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وءاء أخيه) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنه لان التأنيث يرجع الى السقاية اولان الصواع يذكر ويؤت الكاف فى (كذلك) فى محل نصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه اياه

السارقين بارضنا (فبدأ) فتى يوسف (باوعيتهم) ففتشها (قبل وءاء أخيه) فلم يجدها فيها (ثم استخرجها من وءاء أخيه) من ابيه وأمه فقال له فتى يوسف فرجك الله كما فرجتى (كذلك) هكذا (كدنا) صننا (ليوسف) اكرمناه بالعلم والحكمة والفهم والنوبة والملك

(ما كان ليأخذاخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك أي في سيرته للسارق أن يغرم مثل ما أخذ لان يستعد (الآن يشاء الله) أي ما { الجزء الثالث عشر } كان ليأخذه ﴿ ٤٣٨ ﴾ الاغشيئة الله وارادته فيه (نرفع درجات)

بالتون كوفي (من نشاء)
أي في العلم كإرفنا درجة
يوسف فيه (وفوق كل
ذي علم عليم) فوفاه أرفع
درجة منه في علمه أوفوق
العلماء كلهم علمهم دونه
في العلم وهو الله عز وجل
(قالوا أن يسرق فقد سرق
أخله من قبل) أرادوا يوسف
قيل دخل كنيسة فأخذ
تمثال صغيرا من ذهب كانوا
يعبدونه فدفنه وقيل كان
في المنزل دجاجة فاعطاها
لسائل وقيل كانت منطقة
لأبراهيم عليه السلام يتوارثها
أكبر ولده فورثها اسحق
ثم وقعت الى ابنته وكانت
أكبر أولاده فحضنت
يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه

(ما كان ليأخذ) يقول لم
يأخذ (أخاه في دين الملك)
في قضاء الملك (الآن يشاء
الله) وقد شاء الله أن يأخذ
أخاه في دين الملك وكان
قضاء الملك للسارق أنه
يضرب ويغرم ويقال يقطع
ويغرم ويقال الا أن يشاء الله
الا ما علم يوسف أنه يرضى الله
من قضاء الملك فكان يأخذ
بذلك (نرفع درجات)
فضائل (من نشاء) كما نرفع

﴿ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون
الاسترقاق وهو بيان للكيد ﴿ الا ان يشاء الله ﴾ ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من
اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا أي لكن أخذه بعشيئة الله تعالى واذنه ﴿ نرفع درجات
من نشاء ﴾ بالعلم كإرفنا درجته ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ارفع درجة منه واحتج
به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذاعلم لكان فوفاه من هو اعلم منه والجواب ان المراد
كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ
ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص ﴿ قالوا أن يسرق ﴾
بنيامين ﴿ فقد سرق أخاه من قبل ﴾ يعنون يوسف عليه السلام قيل ورثت عمته من أبيها
منطقة إبراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحميه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها
فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتخصص عنها فوجدت محزومة عليه
فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاء في الحيف وقيل
كان في البيت عنق أو دجاجة فاعطى السائل وقيل

الكيد فهو من الله تعالى أستر اذ هو ما ختم الله به عاقبه والذي وقع باخوة يوسف من كيد
الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتتمام النعمة وحيث جرى الامر
على غير ما قدروا من اهلا كه وخالوص أبيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى
وخفي لطفه سماه كيدا لانه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل
ليوسف عليه السلام عائدا الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير
أخوته من غير أن يشعروا بذلك ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾
يعنى في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعف قيمة
المسروق يعنى في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله
تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ يعنى أن ذلك الامر
كان بعشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الها من الله ليوسف وأخوته حتى جرى الامر على
وفق المراد ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ يعنى بالعلم كإرفنا درجة يوسف على أخوته وفي هذه
الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف
ورفع درجته على أخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها ﴿ وفوق
كل ذي علم عليم ﴾ قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تعالى فالله فوق كل عالم
لانه هو الغنى بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان أخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف
أعلم منهم قال ابن الأنباري يجب أن تنهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى
ولا يطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوفاه ﴿ قوله تعالى ﴾ ﴿ قالوا ﴾ يعنى أخوة
يوسف ﴿ ان يسرق ﴾ يعنى بنيامين الصواع ﴿ فقد سرق أخاه من قبل ﴾ يعنى يوسف
ظاهر الآية يقتضى ان أخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه

في الدنيا (وفوق كل ذي علم) وفوق كل ذي علم عالم حتى ينتهى الى الله فليس قوته أحد ويقال الله عالم وفوق كل عالم (الذى)
فليس فوفاه أحد (قالوا) أخوة يوسف (ان يسرق) ان سرق بنيامين سقاية الملك (فقد سرق أخاه من قبل) من قبله أخوه لاييه وأمه

فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افضل به ماشئت منه فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحمتا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاه متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحل الذين لا يزال منكم عليهم بلاه ذهبت يا بني فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم (فأسرها) أى مقاتلهم انه سرق كأنه لم يسلمها (يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم سرقتم) أى أنتم سرقتم اخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا) يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا (في السن أو في القدر صنما) فأسرها يوسف (جواب هذه الكلمة) في نفسه ولم يبدها لهم (جوابها)

دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة أو المقالة ونسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشرية التفسير ويفسرهما قوله ﴿ قال انتم سرقتمنا ﴾ فانه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه انتم سرقتمنا أى منزلة في السرقة لسرقتم اخاكم يوسف أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ وهو يعلم ان الاسر ليس كما تصفون ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا ﴾

الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام اناسناعلى طريقته ولاعلى سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من أم أخرى غير أمنا وختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقادة كان لجد أبي أمه ضم وكان يعبده فاخذ يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فاولهاله وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يجبا الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بدموت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبهت حباشديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا أختاه سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر على أن ينيب عنى ساعة واحدة فقالت لأعطيكه فقالها والله ما أبا تاركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسلمنى عنه ففعل ذلك فعمدت الى المنطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر وأولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخله من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانبارى وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعبروه بها عند الغضب ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ في هاء الكناية ثلاثه أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهى قوله تعالى ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ أنتم سرقتمنا ﴾ روى هذا المعنى العوفى عن ابن عباس والثانى ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقهم وهى قولهم فقد سرق أخله من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فأسرها يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقهم ولم يجهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فأسرها يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال أنتم سرقتمنا يعنى منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة فى الحقيقة وخيانكم حقيقة ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ يعنى بحقيقة ما تقولون ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا ﴿ يعنى اخوة يوسف ﴾ يا أيها العزيز ﴿ مخاطبون بذلك الملك ﴾ ان له أباشيخا كبيرا ﴿ قال أصحاب الاخبار والسير ان يوسف (قال) في نفسه (انتم سرقتمنا) صنيعا من يوسف (والله أعلم بما تصفون) تقولون من أمر يوسف (قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا)

في السن أو القدر ذكره حاله استعطافا له عليه ﴿ فخذنا مكانه ﴾ بدله
 فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به ﴿ انارك من الحسين ﴾ اليسا فاتم
 احسانك أو من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك ﴿ قال معاذ الله ان تأخذ الامن وجدنا
 متاعنا عنده ﴾ فان اخذ غيره ظم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه ﴿ انا اذا لظالمون ﴾
 في مذهبيكم هذا أو ان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته
 عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه
 ثم قال ان صواعي هذا يجزئني انكم اثنا عشر رجلا اب واحد وانكم انطلقتم باخ
 لكم من ايكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره
 ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد روت مع من كنت
 قالوا فغضب روييل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روييل اذا
 غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح ألق كل حامل جملها اذا سمعت صوته وكان
 مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الآخرة وأشد هم
 وقيل كانت هذه صفة شعون بن يعقوب وقيل انه قال لآخوته كم عدد الاسواق
 بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الاسواق وأنا اكفيكم الملك أو اكفوني انتم
 الملك وأنا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روييل ايها الملك لتردن علينا
 أخانا ولا يصيحن صيحة لا يتي بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقات كل شعرة
 في جسد روييل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا
 فسه أو خذ بيده فاتي له فلما مسه سكن غضبه فقال لآخوته من مسني منكم قالوا لم
 يصبك منا أحد فقال روييل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام
 اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر
 العبرانيين تزعمون ان لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى
 تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له الباشخا كبيرا يعني في السن ويحتمل أن
 يكون كبيرا في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء ﴿ فخذنا مكانه ﴾ يعني بدلا عنه
 لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك ﴿ انارك من الحسين ﴾ يعني في أفعالكم كلها
 وقيل من الحسين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان
 رددت بنيامين الينا وأخذت أحدنا مكانه كنت من الحسين ﴿ قال معاذ الله ﴾ يعني
 قال يوسف أعوذ بالله معاذنا ﴿ أن تأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده ﴾ لم نقل من سرق
 تحرزا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق ﴿ انا اذا لظالمون ﴾ يعني ان
 أخذنا بريئا بذنب غيره ﴿ فان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال
 بابيه ولم يجزئه بمكانه وحبس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه فقيه
 مافيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه
 من النبوة والرسالة ان يزور على آخوته ويروج عليهم مثل هذا مع مافيه من الأبداء

(فخذنا مكانه) بدله
 على وجه الاسترهان
 أو الاستبداد فان أباه يتسلى
 به عن أخيه المفقود (انا
 تراك من الحسين) اليسا
 فاتم احسانك أو من عادتك
 الاحسان فأجرح على عادتك
 ولا تغيرها (قال معاذ الله
 أن تأخذ الامن وجدنا
 متاعنا عنده) أي نعوذ بالله
 معاذامن أن تأخذنا ضيف
 المصدر الى المفعول به
 وحذف من (انا اذا
 لظالمون) اذا جواب
 لهم وجزاء لان المعنى ان
 أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه
 وجب على قضية فتواكم
 أخذ من وجد الصاع في
 رحله واستبداه فلو أخذنا
 غيره كان ذلك ظلما في
 مذهبيكم فإتطلبون ما عرقتم
 يفرح به ان رددناه (فخذ
 أحدنا) رهنا (مكانه انارك)
 ان فعلت ذلك (من الحسين)
 الينا (قال) لهم يوسف
 (معاذ الله) أعوذ بالله (ان
 تأخذ) بالسرقة (الامن وجدنا
 متاعنا عنده انا اذا لظالمون)
 بحبس من لم يجد متاعنا عنده

أنه ظم (فلما استياسوا) يتسوا وزيادة السين والتاء للبالغه كما مر في استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلصوا)
انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم ﴿ ٤٤١ ﴾ سواهم (نجيا) { سورة يوسف } ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى

مناجيا المناجاة بعضهم بعضاً و
تحضوا تاجيلاً استجماعهم
لذلك وافاضهم فيه بجد
واهتمام كأنهم فى أنفسهم
صورة التناجى وحقه تمته
فالنجى يكون بمعنى
المناجى كالسمير بمعنى المسامر
وبمعنى المصدر الذى هو
التناجى وكان تاجيهم فى
تدبير أمرهم على أى صفة
يدهبون وماذا يقولون
لايهم فى شأن أخيهم (قال
كبيرهم) فى السن وهو
روبيلى وفى العقل والرأى
وهو بهودا ورئيسهم وهو
شعون (ألم تعلموا أن أباكم
قد أخذ عليكم موثقاً من الله
ومن قبل ما فرطتم فى يوسف)
ماصلة أى ومن قبل هذا
قصرتم فى شأن يوسف ولم
تحفظوا عهداً بكم أو مصدرية
ومحل المصدر الرفع
على الابتداء وخبره الظرف
وهو من قبل ومعناه وقع
من قبل تقربطكم فى يوسف
(فلن أرح الأرض) فلن
أفارق أرض مصر (حتى
يأذن لى أبى) فى الانصراف
اليه (أو يحكم الله لى)

ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالماً ﴿ فلما استياسوا منه ﴾ يتسوا من يوسف واجابته
اياهم وزيادة السين والتاء للبالغه وعن البرى استياسوا بالانف وقبح الياء من غيرهمزة
واذا وقف خزة التى حركة الهمزة على الياء على اصله ﴿ خلصوا ﴾ انفردوا واعتزلوا
﴿ نجيا ﴾ متناجين وانما وحده لانه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجهه انجىة
كندى واندية ﴿ قال كبيرهم ﴾ فى السن وهوروبيل أو فى الرأى وهو شمعون وقيل
يهودا ﴿ ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ﴾ عهداً وثيقاً وانما جعل حلفهم
بالله موثقاً لانه باذن منه وتأكيدهم من جهته ﴿ ومن قبل ﴾ ومن قبل هذا ﴿ ما فرطتم
فى يوسف ﴾ قصرتم فى شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موضع النصب
بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم
ان وخبره فى يوسف او من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا
كان خبراً أو صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة أى ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه فى حقه من الخيانة ومحلها ما تقدم ﴿ فلن أرح الأرض ﴾ فلن افارق ارض
مصر ﴿ حتى يأذن لى أبى ﴾ فى الرجوع ﴿ أو يحكم الله لى ﴾ أو يقضى الله لى بالخروج

لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها
وأصحها أنه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لاعتن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء
يعتوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آباءه الماضين والله تعالى اسرار
لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف فى خلقه بما يشاء وهو الذى أخفى خبر يوسف
عن يعقوب فى طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم باحوال
عباده ﴿ قوله عز وجل ﴾ فلما استياسوا منه ﴿ يعنى ايسوا من يوسف أن يجيهم لما
سألوه وقيل ايسبوا من أخيهم أن يرد عليهم وقال أبو عبيدة استياسوا أى استيقنوا
ان الاخ لا يرد اليهم ﴿ خلصوا نجيا ﴾ يعنى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون
ليس فيهم غيرهم ﴿ قال كبيرهم ﴾ يعنى فى العقل والعلم لافى السن قال ابن عباس
الكبير هو يهودا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته
وقال قتادة والسدى والضحاك هوروبيل وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً فى يوسف
لانه نهأهم عن قتله ﴿ ألم تعلموا أن أباكم ﴾ يعنى يعقوب ﴿ قد أخذ عليكم موثقاً ﴾
يعنى عهداً ﴿ من الله ﴾ ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ﴿ يعنى قصرتم فى أمر يوسف
حتى ضيعتموه ﴾ فلن أرح الأرض ﴿ يعنى الأرض التى أنا فيها وهى أرض مصر
والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة ﴾ حتى يأذن لى
أبى ﴿ يعنى فى الخروج من أرض مصر فيدعون اليه ﴾ أو يحكم الله لى ﴿ برد أخى

(فلما استياسوا منه) ايسوا منه
(خلصوا نجيا) خلوا نجيا

لمناجاة فيما بينهم (قال كبيرهم) أفضلهم فى العقل (قا و خا ٥٦ لث) وهو يهودا (ألم تعلموا) يا اخوتاه (ان أباكم قد أخذ
عليكم موثقاً من الله) لتردنه على (ومن قبل) من قبل هذا الغلام (ما فرطتم) ما تركتم عهداً وميثاقه (فى يوسف فلن أرح لأرض)
أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) بالرجوع ويقال يأذن لى أبى حتى اناجزهم القتل (أو يحكم الله لى) فى رد أخى

منها أو بخلاص أخى منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روى أنهم كآوا العزيز في اطلاقه فقال
روبيل ايها الملك والله لتركنا أو لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور
جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لانه قم الى جنبه فسه وكان بنو يعقوب
عليه السلام اذا غضب احدهم فسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا
البلد نورا من نور يعقوب ﴿ وهو خير الحاكين ﴾ لان حكمه لا يكون الا بالحق
﴿ ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابا نانا انك سرق ﴾ على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرى
سرق اى نسب الى السرقة ﴿ وما شهدنا ﴾ عليه ﴿ الاباعلنا ﴾ بان رأينا ان الصواع
استخرج من وعائه ﴿ وما كنا للغيب ﴾ لباطن الحال ﴿ حافظين ﴾ فلا ندرى انه سرق
أو سرق ودس الصاع في رحله أو ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطينك الموثق انه

بان خروج منها أو بالموت
أو بقتالهم (وهو خير
الحاكين) لانه لا يحكم
الا بالعدل (ارجعوا الى
أبيكم فقولوا يا ابا نانا انك
سرق) وقرى سرق أى
نسب الى السرقة (وما
شهدنا) عليه بالسرقة
(الاباعلنا) من سرقة
وتيقنا اذ الصواع استخرج

على أو بخروجى معكم وترك أخى أو يحكم اللهلى بالسيف فاقاتلهم حتى أسترد أخى
﴿ وهو خير الحاكين ﴾ لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام
الالتجاء الى الله تعالى في اقامة عنده عند ولده يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿ ارجعوا
الى ابيكم ﴾ يعنى يقول الاخ الكبير الذى عزم على الاقامة بمصر لاختوته السابقين
ارجعوا الى ابيكم يعقوب ﴿ فقولوا ﴾ له ﴿ يا ابا نانا انك سرق ﴾ انما قالوا هذه
المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب
على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لافي حقيقة الحال ويدل
على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم ﴿ وما شهدنا الاباعلنا ﴾ يعنى ولم نقل ذلك
الابعد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده
في عمرنا على شىء الاباعلنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك أنه
سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لأننا نشهد عليه
بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أى
نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل ومعناه ان القوم نسبوه
الى السرقة الا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة
المشهورة هى الاولى وقوله وما شهدنا الاباعلنا يعنى وما قلنا هذا الاباعلنا فانا
رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على شىء الاباعلنا
عندنا وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب
هب أنه سرق فما يدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة الا بقولكم قالوا
ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الاباعلنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء
قبله ويعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم
حتى يكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بانه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما
اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كثير

(وهو خير) أفضل
(الحاكين) في رده الى ثم قال
لهم يهوذا (ارجعوا)
يا اخوتى (الى ابيكم فقولوا
يا ابا نانا انك سرق) صواع
الملك اناء من ذهب ويقال
أخذ بالسرقة ان قرأت
بضم السين وخفض الراء
بالتشديد (وما شهدنا
الاباعلنا) رأينا ان السرقة
أخرجت من رحله

عن وعائده (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق (واسئلكم القرية التي كنا فيها) يعني مصرى
ارسل الى أهلها فاسألهم عن كنه القصة ﴿٤٤٣﴾ (والعير التي { سورة يوسف } أفلنا فيها) وأصحاب العير

وكانوا قوما من كنعان من
جيران يعقوب عليه
السلام (وانا الصادقون)
في قولنا فرجعوا الى أبيهم
وقالوا ما قال لهم أخوهم
(قال بل سولت لكم
أنفسكم أمرا) أردتموه
والا فندرى ذلك الرجل
ان السارق يسترق لولا
فتواكم وتعليمكم (فصبر
جيل عسى الله أن يأتي
بهم جميعا) بيوسف وأخيه
وكبيرهم (انه هو العليم)
بحالى فى الحزن والاسف
(الحكيم) الذى لم يتلنى
بذلك الاحكامه (وتولى
عنهم) واعرض عنهم

(وما كنا للغيب حافظين)
يقول لو علمنا الغيب ما ذهبنا به
ويقال ما كنا له بالليل
حافظين (واسئلكم القرية)
أهل القرية (التي كنا فيها)
وهى قرية من قرى مصر
(والعير) أهل العير (التي
أفلنا فيها) جئنا معهم وكان
صحبهم قوم من كنعان
(وانا الصادقون) فيما
قلنا لك فقالوا ليعقوب هذا
القول (قال) يعقوب لهم
(بل سولت) زنت (لكم
أنفسكم أمرا) ففعلتموه

سيسرق أو أنك تصاب به كما أصبت يوسف ﴿٤٤٣﴾ واسأل القرية التي كنا فيها ﴿٤٤٣﴾ يعنون
مصر أو قرية بقر بها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى أهلها واسألهم عن القصة
﴿٤٤٣﴾ والعير التي أفلنا فيها ﴿٤٤٣﴾ وأصحاب العير التي توجهنا فيها ﴿٤٤٣﴾ وكنائهم ﴿٤٤٣﴾ وانا الصادقون ﴿٤٤٣﴾
تأكيد في محل القسم ﴿٤٤٣﴾ قال بل سولت ﴿٤٤٣﴾ أى فلما رجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال لهم
أخوهم قال بل سولت أى زينت وسولت ﴿٤٤٣﴾ لكم أنفسكم أمرا ﴿٤٤٣﴾ أردتموه فقررتموه
والا فندرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقتك ﴿٤٤٣﴾ فصبر جيل ﴿٤٤٣﴾ أى فامرى صبر جيل
أو فصبر جيل اجل ﴿٤٤٣﴾ عسى الله أن يأتيهم جميعا ﴿٤٤٣﴾ بيوسف وبنيامين وأخيهما الذى
توقف بمصر ﴿٤٤٣﴾ انه هو العليم ﴿٤٤٣﴾ بحالى وحالهم ﴿٤٤٣﴾ الحكيم ﴿٤٤٣﴾ فى تدبيره ﴿٤٤٣﴾ وتولى عنهم ﴿٤٤٣﴾

﴿٤٤٣﴾ وما كنا للغيب حافظين ﴿٤٤٣﴾ قال مجاهد وقتادة يعنى ما كنا نعلم ان ابنك يسرق
ويصير أمرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا الى
حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليلة ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل
معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يلمه الا الله فعلى الصواع دس
فى رحله ونحن لا نعلم بذلك ﴿٤٤٣﴾ واسئلكم القرية التي كنا فيها ﴿٤٤٣﴾ يعنى واسئلكم أهل
القرية الا أنه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من الجواز مشهور فى كلام
العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كان قد جرى
فيها حديث السرقة والتفتيش ﴿٤٤٣﴾ والعير التي أفلنا فيها ﴿٤٤٣﴾ يعنى واسأل القافلة التي
كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب ﴿٤٤٣﴾ وانا لصادقون ﴿٤٤٣﴾ يعنى فيما
قلناه وانما أمرهم أخوهم الذى أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة فى ازالة التهمة عن أنفسهم
عند أبيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف ﴿٤٤٣﴾ قال بل سولت لكم أنفسكم
أمرا ﴿٤٤٣﴾ فيه اختصار تقديره فرجعوا الى أبيهم فاخبروه بما جرى لهم فى سفرهم ذلك
وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوا لا يهيم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعنى
بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حل أخيك معكم الى مصر اطلب نفع عاجل قال امركم
الى مال وقيل معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق ﴿٤٤٣﴾ فصبر جيل ﴿٤٤٣﴾ تقدم
تفسيره فى أول السورة ﴿٤٤٣﴾ وقوله ﴿٤٤٣﴾ عسى الله أن يأتيهم جميعا ﴿٤٤٣﴾ يعنى بيوسف وبنيامين
والاخ الثالث الذى أقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه
ومحتته علم ان الله سيجعل له فرجا ونجرا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله
عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى
عليه وعلى بنه من أول الامر وهو رزيا يوسف وقوله يا بنى لاتقصص رزياك على اخواتك
فيكيدوا لك كيدا فلما تنهى الامر قال عسى الله أن يأتيهم جميعا ﴿٤٤٣﴾ انه هو العليم ﴿٤٤٣﴾
يعنى بحزنى ووجدى عليهم ﴿٤٤٣﴾ الحكيم ﴿٤٤٣﴾ فيما يدبره ويقضيه ﴿٤٤٣﴾ قوله تعالى ﴿٤٤٣﴾ وتولى
عنهم ﴿٤٤٣﴾ يعنى وأعرض يعقوب عن بنه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تنهى حزنه

(فصبر جيل) فعلى صبر جيل بلا جزع (عسى الله) لعل الله (أن يأتيهم جميعا) بيوسف وأخيه من أبيه وأمه
بنيامين ويهوذا (انه هو العليم) بمكانهم (الحكيم) بردهم على (وتولى عنهم) خرج

كراهة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الأسف في الجزء الثالث عشر في يوسف ﴿ ٤٤٤ ﴾ غير متكلف ونحوه أنا نقلتم الى الارض أرضيتم

وهم يتهون عنه ويتأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبأ بنأ وانما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتمادى أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على ان الزرع فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وابيضت عيناه) اذ اكثر الاستتار ومحقت العبرة سواد العين وقلبتة الى بياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان قد يدرك ادرا كاضعيفا (من الحزن) لان الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجد الارض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك جد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع

فأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أي ياسقى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزؤاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بجماع قلبه ولانه كان واقفا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم ان الله وانما اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصابه لم يسترحم وقال يا أسفا ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل غمى وقرى من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولانقول ما يسخط

واشد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ الاسف أشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك يقول أسبكي كل قبر رأيتة * لقبرتوى بين اللوى والدكاذك فقلت له ان الاسى بعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بليل الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكابة واظهار جزع فلا يليق بعلوم منصبه ذلك وليس الامر كافا هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكالى الله لانه فقول يا أسفا على يوسف معناه يارب ارحم أسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض الغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف في اللفظ من الجزع يعنى به غير المظهر في اللفظ وتخصيصه يا الهى ارحم أسفى أو أنت رأى أسفى أو هذا أسفى فنادى الاسف في اللفظ ولما نادى سواه في المعنى ولا مأثم اذا لم ينطق الانسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى اشكو الى الله شدة أسفى على يوسف ولم يشكه الى أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكو بشى وحزنى الى الله ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ أى عمى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها يبضاء من ذلك الماء الخارج

الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزونون ﴿ فهو وكظيم ﴾ مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملته أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا احتجته واصله كظم البعير جرت به اذا ردها في جوفه ﴿ قالوا والله تفتنوا تذكري يوسف ﴾ أى لا تفتنوا ولا تنزل تذكرة تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله

فقلت يمين الله ابرح قاعدا

لانه لا يلبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي ﴿ حتى تكون حرصا ﴾ مر بضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرص الذى اذابه هم أو مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنت ودفنت * وقد قرئ به وبضمين كجب

ولا نقول ما نسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزونون واما المذموم الصياح والنياحة واطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب (فهو وكظيم) مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذا نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملته (قالوا والله تفتنوا) أى لا تفتنوا فحذف حرف النفي لانه لا يلبس اذ لو كان اثباتا لم يكن بدمن اللام والنون ومعنى لا تفتنوا لانزال (تذكري يوسف حتى تكون حرصا)

من المين ﴿ فهو وكظيم ﴾ أى مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يبته قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم النقي ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى اطهر الارضين وان الله قد يطهر بك الارض والسجن وما حوله يا اطهر الظاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لبى باسم الصديقين وتمدنى من الصالحين المخلصين الظاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعذك من المخلصين والحقك بأبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجليل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعمائة نكلاء قال فما له من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افترانى لاقية قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى مما لقيت ان رأيتك ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا ﴿ يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لا يهيم ﴾ قاله تفتنوا تذكري يوسف ﴿ يعنى لانزال تذكري يوسف ولا تفتن عن حبه يقال مافتى يفعل كذا أى مازال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول الامرى القيس فقات يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

(فهو وكظيم) مغموم يتردد حزنه فى جوفه (قالوا) ولده وولد ولده (والله) تفتنوا لانزال (تذكري يوسف حتى تكون حرصا) حتى تكون دنفا

أى لا أبرح قاعدا * وقوله ﴿ حتى تكون حرصا ﴾ قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرص مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد العقل له والحرص الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرص الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنفا الجسم نجبول العقل

﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ من الميتين ﴿ قال انما اشكوبني وحزني ﴾ همى الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر ﴿ الى الله ﴾ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكابتى

يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ يعنى من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شىء لم يعلموا حقيقته قطعاً قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر أى تقوله ظناً منا ان الامر يصير الى ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى يعقوب عند ما رأى قولهم له وغلظتهم عليه ﴿ انما اشكوبني وحزني الى الله ﴾ اصل البث اثاره الشئ وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشغل قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتفه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بشاف البث أشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما اشكوبني وحزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان يعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأناه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تسبحى ان تشكوى الى غيرى فقال انما اشكوبني وحزني الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب ما لى أراك قد تهشمت بالضعف وفيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فقال هشمتى وأفانى ما يتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكوبني وحزني الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزنى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما اشكوبني وحزني الى الله ثم قال أى رب اما ترجم الشيخ الكبير أذهبت بصرى وقوس ظهرى فأرد على ریحانتي أشهما شمة قبل ان أموت ثم اصنع ماشئت فأناه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزنى لو كانا ميتين لنشرتهما لك أندرى لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئاً وان أحب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائماً فليفطر الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تعدى أمر ناديا ينادى من أراد أن يتعدى فليأت آل يعقوب واذا فطر أمر أن ينادى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتعدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أندرى لم عاقبتك وحبت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح مجلا بين يدي أمه وهى تخور فلم يرجها فان قلت هل فى هذه الروايات ما يصدق فى عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وانما يطلب من الانبياء من

مشياعلى الهلاك مرضا
 (أو تكون من الهالكين قال انما اشكوبني وحزني الى الله) البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيثبه الى الناس أى ينشره أى لا أشكوا الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكوا الى ربى داعياله وملتجئاً اليه فخلونى وشكابتى وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى

(أو تكون من الهالكين) بالموت (قال) يعقوب (انما اشكوبني) ادفع غمى (وحزني الى الله)

﴿ وأعلم من الله ﴾ من صنعه ورجته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع المنجي اليد أو من الله بنوع من الالهام ﴿ مالا تعلمون ﴾ من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في منام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى تخليه اخوته سجداً ﴿ يا بني اذهبوا فتمسسوا من يوسف واخيه ﴾ فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتمسس طلب

الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبهم ويعتقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره الى الله فأبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى في النار فصبر ولم يشك الى أحد وإسماعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض أمره الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عصى بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيئاً مما نزل به وإنما كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكوبني وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل في الدنيا والدرجات العلى في الآخرة مع من سلف من ابويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذم ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن وما تقول الا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحاً لا حرج فيه على احد من الناس ﴿ وقوله ﴾ وأعلم من الله

مالا تعلمون ﴿ يعني أنه تعالى من رجته واحسانه يأتي بالفرج من حيث لا أحسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريح الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه وأعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانى وانتم سنجده و قال السدى لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكال حاله في جميع أقواله وافعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني يعقوب ﴿ يا بني اذهبوا فتمسسوا من يوسف واخيه ﴾ التمسس طلب الخير بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التمسس بالحاء يكون في الخير وبالجميم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تمسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه أفيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض ويكون المعنى تمسسوا خيراً من أخبار يوسف واخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبح الله ابن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يده ورجلاه وألقى في النار فبجملها الله عليه برداً وسلاماً وأما أبي فشدت

عيت (وأعلم من الله مالا تعلمون) وأعلم من رجته انه يأتي بالفرج من حيث لا أحسب وروى أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء ياذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبداً ولا يحصيه غيرك فرج عني ربي اذهبوا فتمسسوا من يوسف واخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس

وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول أعلم ان رؤيا يوسف صادقة وانا لنسجده ويقال اعلم من رحمة الله وجيل نظره وصنعه مالا تعلمون ويقال أعلم ان يوسف حي لم يميت لانه دخل عليه ملك الموت فقال له هل قبضت روح ابني يوسف فبين قبضت قال لا فن ذلك قال (يا بني اذهبوا فتمسسوا من يوسف واخيه) فاستخبروا واطلبوا خبر يوسف واخيه بنيامين

وهو المعرفة (ولا تياسوا) { الجزء الثالث عشر { من روح الله } ٤٤٨ ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه)

ان الامر والشأن (لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا قلبه في نعمته فياس من رحمة فخر جوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطرده قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فأوف لنا الكيل)

(ولا تياسوا من روح الله) من رحمة الله (انه لا يياس من روح الله) من رحمة الله (الا القوم الكافرون) بالله وبرحمته (فلما دخلوا عليه) على يوسف في المرة الثالثة (قالوا يا أيها العزيز مسنا) اصابنا (واهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) بدراهم لا تنفق في الطعام وتنفق فيما بين الناس ويقال بتاع الجبل كالصنوبر والحبة الخضراء ويقال بتاع

الاحساس ﴿ ولا تياسوا من روح الله ﴾ ولا تقنطوا من فرجه وتنقيسه وقرى من روح الله أى من رحمة التي يحيى بها العباد ﴿ انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يقنط من رحمة في شئ من الاحوال ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز ﴾ بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية ﴿ مسنا واهلنا الضر ﴾ شدة الجوع ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ فاتم لنا الكيل

يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخ بالدم وقالوا قدأكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنيت أسلى به وانك حبسته وزعمت أنه سرق وأنا أهل بيت لانسرق ولا نلدسارقا فان رددته الى والادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأؤه وعبل صبره وأظهر نفسه لاختوته على ما سئد كره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بنى اذهبوا فتمسوا من يوسف وأخيه ﴿ ولا تياسوا ﴾ أى ولا تقنطوا ﴿ من روح الله ﴾ يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله ﴿ انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك ﴿ قوله تعالى ﴾ فلما دخلوا عليه ﴿ فيه حذف واختصار تقديره فخر جوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف ﴿ قالوا يا أيها العزيز ﴾ يعنون يا أيها الملك والعزير القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ ﴿ مسنا وأهلنا الضر ﴾ أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع وأصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشئ لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر

وحاجة غير مزجاة من الحاج

يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة امان نقصانها أو لردائها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت حلق الغرأر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لتدافع بها الزمان وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة بمن يدفعها ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ يعنى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى اننا نريد أن نقيم لنا الزائد مقام

العرب مثل الاقط والصوف والجن والسمن (فأوف لنا الكيل) يقول وفر لنا الكيل كما توفر بالدرهم (الناقص)

﴿وتصدق علينا﴾ بردا خينا أو بالمساحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويه أو باختلاف في ان حرمة الصدقة تم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنينا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفنا بما ينبغي به ثواب من الله تعالى ﴿قال هل علمت ما فعلتم بيوسف واخيه﴾ أي هل علمت قبحه فبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع

الذي هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمساحة والاغراض عن رداء البضاعة أو زدنا على حقنا أو هب لنا أخانا (ان الله يجزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم تمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمت ما فعلتم بيوسف) أي هل علمت قبح ما فعلتم بيوسف (وأخيه

الناقص والجيد مقام الردي ﴿وتصدق علينا﴾ يعنى وتفضل علينا بما بين الثمين الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المساحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة جلالا للانبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت جلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواه وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا مندأ أن يجزيهم على عادتهم من المساحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لانفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا ان الصدقة لا تكون الا بمن ينسى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من ينسى الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعنى بردا خينا علينا ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن ﴿قال﴾ يعنى قال يوسف لاخوته ﴿هل علمت ما فعلتم بيوسف واخيه﴾ وقد اختلفوا في السبب الذي من أجله حمل يوسف وهيمجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي أنهم لما كلوه بهذا الكلام أدركته رقعة على اخوته فباح بالذي كان يكتهم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبه بيعة من مالك وفي آخره وكتبه يهوذا لما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحة وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فبمناه منه فعاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبواهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقده واحد منافكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعل ذلك فابعث بأممتنا الى أينا فانه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرجة فبكي وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليملم تمالك أن يبكي وقال هل علمت ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقيع ما أفدتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما قال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفظيع الأمر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمت عقي ما فعلتم بيوسف

الحياد) (وتصدق علينا) ما بين الثمين ويقال بين الكيلين (ان الله يجزى المتصدقين) في الدنيا والآخرة (قال) لهم يوسف (هل علمت ما فعلتم بيوسف وأخيه

إذا أنتم جاهلون) لا تعلمون

قبحه أو أذ أنتم في حد السفه والطيش وفعلمهم

بأخيه تعريضهم إياه للغم بإفراده

عن أخيه لاييه وأمه

وايذاؤهم له بأنواع الأذى

(قالوا أنك) بهزتين

كوفي وشامى (لانت

يوسف) اللام لام الابتداء

وأنت مبتدأ ويوسف خبره

والجلمة خبران (قال أنا

يوسف وهذا أخى) وإنما

ذكر أخاه وهم قد سألوه عن

نفسه لأنه كان في ذكر أخيه

بيان لمأسلوه عنه (قد

من الله علينا) بالالفه بعد

الفرقة وذكر نعمة الله

بالسلامة والكرامة ولم

يبدأ بالملامة (انه من يتق)

الفحشاء (ويصبر) عن

المعاصى وعلى الطاعة

(فان الله لا يضيع أجر

المحسنين) أى أجرهم

فوضع المحسنين موضع

الضمير لاشتماله على المتقين

والصابرين وقيل من يتق

مولاه ويصبر على بلواه

لا يضيع أجره في دنياه وعقباه

إذا أنتم جاهلون) شبان غافلون

(قالوا أنك لانت يوسف

قال أنا يوسف وهذا أخى)

من أبى وأمى (قدم الله علينا)

بالصبر (انه من يتق)

في النعمة (ويصبر) في الشدة

ان يكلمهم الابحزوذلة ﴿ إذا أنتم جاهلون ﴾ قبحه فلذلك اقدمتم عليه أو عاقبته وإنما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكهم لامعابته وتثريا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخلص بنيامين وذكر والده ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وإنما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال أو لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين ﴿ قالوا أنك لانت يوسف ﴾ استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقراءة ابن كثير على الإيجاب قبل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فأرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعتوب مثلها ﴿ قال أنا يوسف وهذا أخى ﴾ من أبى وامى ذكره تعريفا لنفسه به وتقريبا لسانه وادخاله في قوله ﴿ قدم الله علينا ﴾ أى بالسلامة والكرامة ﴿ انه من يتق ﴾ أى يتق الله ﴿ ويصبر ﴾ على البليات أو على الطاعات وعن المعاصى ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ وضع المحسنين موضع

وأخيه من تسليم الله إياهما من المكروه * واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبئنههم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون * فان قلت الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا أرادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف تفصوا عليه غيبه وكانوا يؤذونه كما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له ما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منك ما ينجى رحيل خيرا ﴿ إذا أنتم جاهلون ﴾ هذا يجرى مجرى العذر لهم يعنى انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤل اليه أمر يوسف ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا أنك لانت يوسف ﴿ قرى على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه تبسم فأرأوا شياها كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبوه بيوسف فقالوا استفهاما أنك لانت يوسف وقرى على الخبر ووجهه ما قال ابن عباس أيضا في رواية أخرى عنه أن اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان يعقوب مثلها ولا سحق مثلها لسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى ﴿ قال أنا يوسف ﴾ قال بعض العلماء انما أظهر الاسم في قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من الضر والظفر والملك فكانه قال أنا يوسف المظلوم الذى ظلمتوني وقصدتم قتلى بان ألقيتوني في الجب ثم بعتوني بأخس الأثمان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال ﴿ وهذا أخى ﴾ وهم يعرفونه لأنه قصد به أيضا وهذا أخى المظلوم كما ظلمتوني ثم صرت أنا هو الى ماترون وهو قوله ﴿ قدم الله علينا ﴾ بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة في دنيا ودينانا ﴿ انه من يتق ويصبر ﴾ يعنى يتقى الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتقى المعصية ويصبر على السجين وقيل يتقى الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعنى أجر من كان هذا حاله

(قالوا)

(فان الله لا يضيع) لا يبطل (أجر) ثواب (المحسنين) بالثقوى والصبر

(قالوا لله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا خاطئين) وان شأننا وحالتنا انا كنا خاطئين متعمدين للآثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لا تثريب عليكم) لا تعير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو يغفر والمعنى لا أترككم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتداء فقال ﴿ ٤٥١ ﴾ (يغفر الله لكم) سورة يوسف { فدعا لهم بغفرة ما فرط

منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمضادى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونى فاهلا بكم ذلوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى ان اباسفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا آتيت رسول الله فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعوننا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكك فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون

الضمير للتثيبه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكان السيرة ﴿ وان كنا خاطئين ﴾ والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ﴿ قال لا تثريب عليكم ﴾ لا تأيب عليكم تفصيل من التثريب وهو الشتم الذى يفتى الكرش للزالة كالتجديد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض وينهب ماء الوجه ﴿ اليوم ﴾ متعلق بالتثريب أو بالمقدر للبحار الواقع خبرا للتثريب والمعنى لا أترككم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام أو بقوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ لانه صمغ عن جريبتهم حينئذ واعترفوا بها ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾

﴿ قالوا ﴾ يعنى قال اخوة يوسف معتذرين اليه بما صدر منهم فى حقه ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ أى اختارك وفضلك علينا يقال آثر الله اى اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل الذى أعطاه الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أيتاما أيضا فليس له عليهم فضل فى ذلك وأجيب بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان أفضل من خص بالنبوة فقط ﴿ وان كنا خاطئين ﴾ يعنى وما كنا فى صنعنا لك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطى على المخطى والفرق بينهما أن يقال خطى خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن يكون أثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآمى لان خاطئين أشبه بما قبلها ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ لا تثريب عليكم ﴾ يعنى لا تعير ولا توبخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب أى لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفى محل قوله ﴿ اليوم ﴾ قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبخ وأنا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أتركب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبدأ بقوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ والقول الثانى ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه نفي عنهم التوبخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال

سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حقة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أى اذا رحمتكم وأنا الفقير القوتور فما ظنكم بالنعى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة

(قالوا) اخوة يوسف ليوسف (تالله) والله (لقد آثرك الله علينا) فضلك الله علينا (وان كنا) (خاطئين) مسيئين بك عاصين لله (قال) لهم يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) يقول لا أعيركم بعد اليوم (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) من الوالدين

يوسف وكان من الجنة
أسره جبريل أن يرسله اليه
فان فيه ربح الجنة لا يقع على
مبتلى ولا سقيم الاعوفى
(فآلقوه على وجه أبي يأت
بصيرا) يصير بصيرا تقول
جاء البناء محكما أى صار
أوبآت الى وهو بصير قال
يهوذا ما أحل قميص الشفاء
كما ذهبت بقميص الجفاء
وقيل جملة وهو حاف
حاسرا من مصر الى كنعان
وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا
(وأتوني باهلكم أجمعين)
لينعموا بأثار ملكي كما
اعتقوا باخبار هلكي (ولما
فصلت العير) خرجت من
عربش مصر يقال فصل
من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه (قال
أبوهم) لولد ولده ومن
حواه من قومه (انى لأجد
ربح يوسف) أوجده الله
ربح القميص حين أقبل
من مسيرة ثمانية أيام (لولا
أن تفندون) التفيد النسبة
(اذهبوا بقميصي هذا) وكان
قميصه كسوة من الجنة
(فآلقوه على وجه أبي
يأت بصيرا) يرجع بصيرا
(وأتوني باهلكم أجمعين)
وكانوا نحو سبعين انسانا
(ولما فصلت العير) خرجت
العير من العريش وهى قرية
بين مصر وكنعان (قال أبوهم)

فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على النائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم
لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعوننا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحي منك
لما فرط منافيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من
بلغ عبد اسبع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث عنوا
انكم اخوتي وانى من حفة ابراهيم عليه السلام ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ القميص
الذى كان عليه وقيل المتوارث الذى كان في التعويد ﴿ فآلقوه على وجه ابي
يأت بصيرا ﴾ يرجع بصيرا أى ذابصر ﴿ وأتوني ﴾ انتم وابي ﴿ باهلكم اجمعين ﴾
بنسائلكم وذرائعكم ومواليكم ﴿ ولما فصلت العير ﴾ من مصر وخرجت من عرائسها
﴿ قال أبوهم ﴾ لمن حضره ﴿ انى لأجد ربح يوسف ﴾ أوجده الله ربح ما عبق بقميصه
من ربحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا ﴿ لولا ان تفندون ﴾ تنسبونى

أبى بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعظامهم قميصه وقال ﴿ اذهبوا
بقميصي هذا ﴾ قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره
جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه
وألقى في النار عريانا أتاه جبريل بقميص من حر الجنة فالبسها اياه فكان ذلك القميص عند
ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب
ذلك القميص في قعبه من فضة وسدر أسها وجماعها في عنق يوسف كالتعويد لما كان
يخاف عليه من العين وكانت لاتفارقها فلما أتى يوسف فى البئر عريانا أتاه جبريل
وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فأمره أن
يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ربح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى
فى الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا ﴿ فآلقوه
على وجه أبي يأت بصيرا ﴾ قال المحققون ان علم يوسف ان ألقاء ذلك القميص على
وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي الله اليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف
لما علم أن أباه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصا ليجد ربحه
فيزول بكأؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فمئذ ذلك يزول الضعف ويقوى البصر
فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل ﴿ وقوله ﴾ ﴿ وأتوني باهلكم أجمعين ﴾ قال
الكلبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل
وامرأة ﴿ ولما فصلت العير ﴾ يعنى خرجت من مصر وقيل من عربش مصر متوجهين
الى أرض كنعان ﴿ قال أبوهم ﴾ يعنى قال يعقوب لولد ولده ﴿ انى لأجد ربح يوسف ﴾
قيل ان ربح الصبا استأذنت ربحا فى أن تأتى يعقوب بربح يوسف قبل أن يأتيه البشير
وقال مجاهد أصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من
مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ربح فاحتملت ربح
القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فلم أنه ليس فى الارض من ربح الجنة
الاما كان من ذلك القميص فعلم بذلك أنه من ربح يوسف فلذلك قال انى لأجد ربح
يوسف ﴿ لولا أن تفندون ﴾ أصل التفيد من الفند وهو ضعف الرأي وقال ابن

الى الفسد وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفسد والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتوني (قالوا) اي اسباطه (تلقه
انك اني ضلالك القديم) اني ذهابك ﴿ ٤٥٣ ﴾ عن الصواب { سورة يوسف } قديما في افراط محبتك

ليوسف أوفى خطتك
القديم من حب يوسف
وكان عندهم انه قدمات
(فلما ان جاء البشير) أي
يهودا (ألقاه على وجهه)
طرح البشير القميص على
وجهه يعقوب أو ألقاه
يعقوب (فارتد) فرجع
(بصيرا) يقال رده فارتد
وارتد اذا ارتجعه (قال
الم أقل لكم) يعني قوله اني
لاجدرج يوسف أو قوله
ولا تأسوا من روح الله
وقوله (اني أعلم من الله ما لا
تعلمون) كلام مبتدأ لم
يقع عليه القول أو وقع عليه
والمراد قوله انما أشكوبني
وجزني الى الله وأعلم من
الله ما لا تعلمون وروى انه
سأل البشير كيف يوسف
قال هو ملك مصر فقيل
ما صنع بالملك على أي دين
تركته قال على دين الاسلام
قال الآن تمت النعمة (قالوا
ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا
كنا خاطئين) أي سل الله
مغفرة ما ارتكبنا في حقتك
وحق ابنك انا بنوا واعرنا
فيما أقول (قالوا) ولده وولده
ولده الذين كانوا عنده
(تالله) والله (انك اني
ضلالك القديم) في خطتك

الى الفسد وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفننة لان نقصان عقلها
ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتوني أولقلت انه قريب ﴿ قالوا ﴾ أي
الحاضرون ﴿ تالله انك اني ضلالك القديم ﴾ اني ذهابك عن الصواب قديما بالافراط
في محبة يوسف واكثر ذكره والتوقع للقاء ﴿ فلما ان جاء البشير ﴾ يهوذا روى انه قال
كما حزنه بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه ﴿ ألقاه على وجهه ﴾
طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه ﴿ فارتد بصيرا ﴾
عاد بصير الما انتعش فيه من القوة ﴿ قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ من
حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تأسوا
من روح الله أو اني لاجدرج يوسف ﴿ قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ﴾

الانباري أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي
اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولا أن تفندوني أي
تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تلوموني وقيل تجهلونني وهو قول ابن
عباس وقال الضحاك ترموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله ﴿ قالوا ﴾ يعني
اولاد اولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان اولاده لصلبه كانوا غائبين عنه ﴿ تالله انك اني
ضلالك القديم ﴾ يعني من ذكر يوسف ولانسه لانه كان عندهم ان يوسف كان
قدمات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك اني ضلالك
القديم يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب ﴿ فلما ان جاء البشير ﴾ وهو
المبشر بنجر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه هو يهوذا قال السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطحا بالدم الى يعقوب
وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حي فافرحه
كما حزنه قال ابن عباس حبه يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يعدو معه سبعة أرغفة
فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا ﴿ ألقاه على وجهه ﴾
يعني فلقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿ فارتد بصيرا ﴾ يعني فرجع بصيرا
بعد ما كان قد عصى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن ﴿ قال ألم أقل
لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى
ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما صنع
بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ﴿ قوله تعالى ﴾ قالوا
ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴿ يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتدرون اليه
عما صنعوا به ويوسف استغفر لنا أي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله ﴿ انا كنا خاطئين ﴾

الأول في ذكر يوسف (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) صار بصيرا (قال) لبنيه وبني بنيه
(الم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) يقول ان يوسف حي لم يميت (قالوا) ولده وولده ولده (ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا) ادعوا
الله ان يغفر لنا ذنوبنا (انا كنا خاطئين) مسيئين

ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة ﴿ قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم ﴾ اخره الى السحر أو الى صلاة الليل أو الى ليلة الجمعة تحرياً للوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهم اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد موثقتهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾ روى انه وجه اليه واحل واموالا ليتجهز اليه عن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه

يعنى فى صنعنا ﴿ قال سوف استغفر لكم ربى ﴾ قال اكثر المفسرين ان يعقوب آخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانها اشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما اتوا الى اخيم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه آخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس آخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم روى ﴿ انه هو الغفور ﴾ يعنى لذنوب عباده ﴿ الرحيم ﴾ بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ الأتري الى قول يوسف لاختوته لا تثريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتى راحلة و جهازا كثيرا لياتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجىء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يدايته يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لاحق يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكى وقيل ان يوسف قال لابي يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجيء منا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله تعالى ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾

خطايا) (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) آخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة ليتعرف حالهم فى صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه عن معه لما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهودا (فلما دخلوا على يوسف

عاصين لله (قال) لهم (سوف استغفر لكم ربى) أدعولكم ربى ليلة الجمعة آخر السحر (انه هو الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (فلما دخلوا على يوسف

آوى اليه) ضم اليه (أبويه) واعتنقه ما قيل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والحالة أم كان العم أب ومنه قوله واله أبائك
 ابراهيم واسماعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم أنزلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له
 ثمة قد دخلوا عليه وضم اليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصر ان شاء الله آمين) من ملوكها وكانوا لا يدخونها
 الا بجوار أو من القحط وروى انما لقبه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف
 يآبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ﴿ ٤٥٥ ﴾ ان القيامة { سورة يوسف } تجمعنا فقال بلى ولكن

خشيت ان يسلب ذنبك
 فيحال بيني وبينك وقيل ان
 يعقوب وولده دخوا
 مصر وهم اثنان وسبعون
 مابين رجال ونساء
 وخرجوا منها مع موسى
 ومقاتلهم مائة ألف
 وخسمائة وبضعة
 وسبعون رجلا سوى
 الذرية والهري وكانت
 الذرية الف الف ومائة
 ألف (ورفع أبويه على
 العرش وخرواله سجدا)
 قيل لما دخلوا مصر
 وجلس في مجلسه مستويا
 على سريره واجتمعوا اليه
 أكرم أبويه فرفعهما على
 السرير وخرواله يعنى
 الاخوة الاحد عشر
 والابوين سجدا وكانت
 السجدة عندهم حارية
 مجرى التحية والتكرمة
 كالقيام والمصافحة وتقبيل
 اليد وقال الزجاج سنة
 التعظيم في ذلك الوقت ان
 يسجد للمعظم وقيل ما كانت

مصر اثنان وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام
 ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهري ﴿ آوى اليه أبويه ﴾
 ضم اليه اباؤه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزل العم منزلة الاب في قوله واله أبائك
 ابراهيم واسماعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعدامه والرابة تدعى اما
 ﴿ وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ﴾ من القحط واصناف المكاره والمشيمة متعلقة
 بالدخول المكيف بالأمن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم
 ﴿ ورفع أبويه على العرش وخرواله سجدا ﴾ تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم
 آوى اليه ﴿ يعنى ضم اليه ﴾ أبويه ﴿ قال أكثر المفسرين هو أبوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه
 قدماءت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها
 ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف محققا لرؤياه والاول أصح ﴿ وقال ادخلوا مصر ﴾ قيل
 المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال
 ادخلوا مصر يعنى البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثانى
 الاستيطان بها أى ادخلوا مصر مستوطنين فيها ﴿ ان شاء الله آمين ﴾ قيل ان هذا الاستثناء
 عائد الى الامن لالى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول
 فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار
 فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل
 ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحدا الا بجوارهم فقال لهم يوسف
 ادخلوا مصر آمين على أنفسكم وأهلكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك
 فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم ﴿ ورفع
 أبويه على العرش ﴾ يعنى على السرير الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى
 العلو ﴿ وخرواله سجدا ﴾ يعنى يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ
 السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض
 على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له أبوه وهو أكبر
 منه وأعلى منصبا في النبوة والشيوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه

الانحناء دون تغيير الجباه وخرورهم سجدا يآباه وقيل وخرروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة

آوى اليه أبويه) ضم اليه اباؤه وخالته لان أمه كانت ماتت قبل ذلك (وقال ادخلوا) انزلوا (مصر ان شاء الله)
 وقد شاء الله (آمين) من العدو والسوء ويقال ادخلوا مصر آمين من العدو والسوء ان شاء الله مقدم ومؤخر (ورفع
 أبويه على العرش) على السرير (وخرواله سجدا) خضوا لله بالسجود أبواه واخوته وكان سجدتهم تحيتهم فيما بينهم كان يسجد
 الوضيع للشريف والشاب للشيع والصغير للكبير كهية الركوع نحو

يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سبحانه شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو
لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرو وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما ﴿ وقال
يا ابت هذا تأويل رؤيى من قبل ﴾ التي رأيتها أيام الصبا ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾
صدقا ﴿ وقد احسن بي اذا خرجني من السجن ﴾ ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا

ثم في معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال
فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان
السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان
السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالتبلة كما سجد
الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا
وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرر خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف
لكان قبل الصعود لان ذلك أبلغ في التواضع ﴿ فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم
لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف
عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف
واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة
يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا ان أباهم قد سجد له سجدوا
له أيضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لاعلى سبيل العبادة وكان ذلك
جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه القملة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
﴿ وقال ﴾ يعني وقال يوسف عند ما رأى ذلك ﴿ يا ابت هذا تأويل رؤيى من قبل ﴾
يعنى هذا تضديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾ يعنى في اليقظة
واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبدالله بن شداد أربعون سنة
وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي
ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبدالله بن سودون سبعون سنة
وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن
الحسن ان يوسف كان عمره حين ألقى في الجب سبع عشرة سنة وأقام في العبودية والسجن
والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله
وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿ وقوله ﴾ وقد أحسن بي ﴿ يعنى انعم علي يقال احسن بي
والى بمعنى واحد ﴿ اذا خرجني من السجن ﴾ انما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من
السجن وان كان الجب أصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا ينحجل اخوته بصدان
قال لهم لا تثرىب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت
أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله
في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصله الى الملك وقيل ان دخوله
الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه

أيضا واختلف في استنبابهم
(وقال يا ابت هذا تأويل
رؤيى من قبل قد جعلها
أى الرؤيا (ربى حقا) أى
صادقة وكان بين الرؤيا
وبين التأويل أربعون
سنة أو ثمانون أو ست
وثلاثون أو ثنتان وعشرون
(وقد أحسن بي) يقال
أحسن اليه وبه وكذلك
أسما اليه وبه (اذا خرجني
من السجن) ولم يذكر الجب
لقوله لا تثرىب عليكم اليوم
فعل الاعاجم (وقال يا ابت
هذا) السجود (تأويل) تعبير
(رؤيى من قبل) من قبل
هذا (قد جعلها ربي حقا)
صدقا (وقد أحسن بي)
الى (اذا خرجني من السجن)
ونجاني من العبودية

عليهم ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ من البادية لانهم كانوا أصحاب المواشى واهل البدو ﴿ من بعد ان نزع الشيطان بينى وبين اخوتى ﴾ افسد بيننا وحرش من نزع الرابض الدابة اذا نحتها وحملها على الجرى ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ لطيف التدبيره اذما من صعب الاوتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها ﴿ انه هو العليم ﴾ بوجوه المصالح والتدابير ﴿ الحكيم ﴾ الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة بروى ان يوسف طاف بايمه عليه الصلاة والسلام فى خزائنه فلما ادخله خزانه القراطيس قال يا بنى ما عمك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط منى اليه فاسأله فقال جبريل الله امرنى بذلك لتقولك

(وجاء بكم من البدو)
من البادية لانهم كانوا
أصحاب مواشى ينقلون
فى المياه والمناجم (من بعد
أن نزع الشيطان بينى
وبين اخوتى) أى افسد
بيننا وأغرى (ان ربي
لطيف لما يشاء) أى لطيف
التدبير (انه هو العليم
الحكيم) بتأخير الآمال
الى الآجال أو حكم بالاختلاف
بعد الاختلاف

عليه ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ يعنى من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض ببدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية ﴿ من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين اخوتى ﴾ يعنى افسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول فى امر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كفى الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى فى الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحرش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك ﴿ ان ربي لطيف لما يشاء ﴾ يعنى انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفة بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد فى هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أى حسن الاستخراج تبيينها على ما وصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته فى الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمراً هياً أسبابه ﴿ انه هو العليم ﴾ يعنى بمصالح عباده ﴿ الحكيم ﴾ فى جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعاً وعشرين سنة فى أهنأ عيش وأنعم بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه أسحق فى الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده فى تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولدا

(رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعض اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت ولي في الدنيا والآخرة) أنت الذي تتولاني بالنعمة { الجزء الثالث عشر } في الدارين وتوصل ﴿ ٤٥٨ ﴾ الملك القاني بالملك الباقي (توفى

مسلمًا) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التستري مسلما اليك أمرى وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بأئمون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم (والحقي بالصالحين) من آباءي أو على العموم روى ان يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى ادخله خزانة القراطيس قال يابن ما أعفك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمانية مراحل فقال أمرني جبريل قال أو ما تسأله أنت قال أنت أيسط اليه مني فأسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلاخفتني وروى ان يعقوب أقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب

خاف ان يأكله الذئب قال فهلاخفتني ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ بعض الملك وهو ملك مصر ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ الكتب والرؤى ومن ايضا للتبعض لانه لم يؤت كل التأويل ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى أو منادى برأسه ﴿ أنت ولي ﴾ ناصرى أو متولى أمرى ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما ﴿ توفى مسلما ﴾ اقبضني ﴿ والحقي بالصالحين ﴾ من آباءي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب

في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعاً وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمره رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاصة الصالحة فقال ﴿ رب ﴾ أي يارب ﴿ قد آتيتني من الملك ﴾ يعني من ملك مصر ومن هنا للتبعض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ يعني تعبير الرؤيا ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه ﴿ أنت ولي ﴾ يعني معيني ومتولى أمرى ﴿ في الدنيا والآخرة توفى مسلما ﴾ أي اقبضني اليك مسلما واختلפו اهل هو طلب للوفاة في الحال أم لاعلى قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانهم يأت عليه أسبوع حتى توفى والقول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يمتن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفى اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الزوال وان نعيم الآخرة باق دائم لانضاده ولازوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به فان تعنى الموت عند وجود الضر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أولى ﴿ وقوله ﴾ والحقي بالصالحين ﴿ أراد به بدرجة آباءه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ

(رب) يارب (قد آتيتني من الملك) اعطيتني ملك مصر اربعين فرسخا في اربعين فرسخا (وعلمتني من) عاش (

تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يا خالق السموات والارض (انت ولي) ربي وخالقي ورازقي وحافظي وناصرى (في الدنيا والآخرة توفى مسلما) مخلصا بالعبادة والتوحيد (والحقي بالصالحين) بآبائي المرسلين في الجنة

فرضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تبنت نفسه الملك الدائم فتمت الموت وقيل ماتناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طاهراً افتخاص أهل مصر وتشاخوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فأرأوا أن يعملوا له صندوقاً من مرمر { سورة يوسف } ودفنوه في النيل بمكان يمر

عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة من دفنه الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشاو ولد لافرائيم نون ونونون يوشع فتمت موسى ولقد توارثت القراعة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أبناء الغيب نوحيه اليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بنى يعقوب (اذ اجموا أمرهم) عزمووا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يمكرون) يوسف ويبغون له الفوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بنى يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيه في البئر

(ذلك) الذي ذكرت لك يا محمد من خبر يوسف

أبيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة ثم ناقت نفسه الى الملك الخلد فتمت الموت فتوفاه الله طاهراً افتخاص أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فأرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعاً فيهم ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشاو وهو جد يوشع بن نون ورجة امرأة ايوب عليه السلام ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ ﴿ من أبناء الغيب نوحيه اليك ﴾ خبران له ﴿ وما كنت لديهم اذ اجموا أمرهم وهم يمكرون ﴾ كاللذليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف

عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشاو ورجة امرأة ايوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجذب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجذب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ذلك) يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق ﴿ من أبناء الغيب ﴾ يعنى أخبار الغيب ﴿ نوحيه اليك ﴾ يعنى الذى أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذى نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأنصح عبارة فعمل بذلك ان الذى أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر ﴿ وقوله تعالى ﴾ (وما كنت لديهم) يعنى وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب ﴿ اذ اجموا أمرهم ﴾ يعنى حين عزمووا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الحب ﴿ وهم يمكرون ﴾ يعنى

واخوته (من أبناء الغيب) من اخبار الغائب عنك (نوحيه اليك) نزل اليك جبريل به (وما كنت لديهم) عندهم (اذ اجموا أمرهم) اجتمعوا على ان يطرحوا يوسف في الحب (وهم يمكرون) يريدون بذلك هلاك يوسف

من اثبات قدرة الخلق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو انه لا خالق الا الله (أفأمنوا ان تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشمأهم (من عذاب الله أو تأتيهم الساعة) القيامة (بقية) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة ﴿ ٤٦١ ﴾ الى الايمان { سورة يوسف } والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان

ثم فسر سبيله بقوله (ادعوا الى الله على بصيرة) أي ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه أي ادعوا الى سبيل الله أنا ويدعوا اليه من اتبعني أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على أنا يخبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى (وسبحان الله) وأنزهه عن الشركاء (وما أنا من المشركين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) لاملائكة لانهم

ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب ﴿ أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ عقوبة تغشاهم وتشمأهم ﴿ أو تأتيهم الساعة بقية ﴾ فجأة من غير سابقة علامة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ باتيانها غير مستعدين ﴿ نزل هذه سبيلي ﴾ يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ﴿ ادعوا الى الله ﴾ وقيل هو حال من الياه ﴿ على بصيرة ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء ﴿ أنا ﴾ تأكيد للمستتر في ادعوا وفي على بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة ﴿ ومن اتبعني ﴾ عطف عليه ﴿ وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ وانزهه تنزيها من الشركاء ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه

العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تليذتهم ليك ليك لا شريك لك الا شريك هولاك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء ﴿ أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ يعني عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقية وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع ﴿ أو تأتيهم الساعة بقية ﴾ يعني فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يعني قيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ هذه سبيلي ﴾ يعني طريق التي ﴿ ادعوا ﴾ اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لانه الطريق المؤدى الى الله عز وجل والى الثواب والجنة ﴿ الى الله ﴾ يعني الى توحيد الله والايان به ﴿ على بصيرة ﴾ يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل ﴿ أنا ﴾ ومن اتبعني ﴿ يعني من آمن بي وصدق بما جئت به أيضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استأنف على بصيرة ناو من اتبعني يعني انا على بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على احسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكثر الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وابرها قلوبا وأعمتها علما وأفلها تكلفا قوم اختارهم الله لحجة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم ﴿ وقوله ﴾ ﴿ وسبحان الله ﴾ أي وقل سبحان الله يعني تنزيهه عمالا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ يعني وقل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك

على بصيرة على دين وبيان (وسبحان الله) نزه نفسه عن الولد والشريك (وما أنا من المشركين) مع المشركين على دينهم (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (الا رجالا)

نفى استنباه النساء ﴿ يوحى اليهم ﴾ كما يوحى اليك ويعيرون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص
 نوحى في كل القرآن وواقفه حزة والكسائى في سورة الانبياء ﴿ من اهل القرى ﴾
 لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو ﴿ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
 الذين من قبلهم ﴾ من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين
 بالدنيا المتهاكلين عليها فيقلعوا عن حبها ﴿ ولدار الآخرة ﴾ ودار الحلال أو الساعة
 أو الحياء الآخرة ﴿ خير للذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصى ﴿ أفلا يعقلون ﴾ يستعملون
 عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله
 قل هذه سبيلي أى قل لهم أفلا تعقلون ﴿ حتى اذا استئس الرسل ﴾ غاية محذوف
 دل عليه الكلام أى لا يفرهم تهادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من
 النصر عليهم في الدنيا أو من ايمانهم لانهما كهم في الكفر مترفين متمادين فيه من غير
 وازع ﴿ وظنوا انهم قد كذبوا ﴾ أى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون
 أو كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للرسل اليهم أى وظن المرسل اليهم ان

ولم يكونوا ملائكة ﴿ نوحى اليهم ﴾ هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بمث
 الله ملكا والمعنى كيف تجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك
 بشر مثلك حالهم كحالكم ﴿ من اهل القرى ﴾ يعنى انهم من اهل الامصار والمدن لان اهل
 البوادي لان اهل الامصار أفضل وأعلموا اكمل عقلا من اهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبى
 من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفافهم
 ﴿ أفلم يسيروا في الارض ﴾ يعنى هؤلاء المشركين المكذبين ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة
 الذين من قبلهم ﴾ يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فيعتبر هؤلاء بهم وما حل
 بهم من عذابنا ﴿ ودار الآخرة خير للذين اتقوا ﴾ يعنى فعلنا هذا باولائنا وأهل طاعتنا
 اذا ائجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الآخرة خير لهم يعنى الجنة
 لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى الآخرة لان العرب
 تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه ﴿ أفلا يعقلون ﴾
 يعنى يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى اذا استئس الرسل ﴿
 قال صاحب الكشف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك
 الا رجلا نوحى اليهم فترأخى نصرهم حتى اذا استئس الرسل عن النصر وقال الواحدى
 حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استئس الرسل
 من ايمان قومهم ﴿ وظنوا انهم قد كذبوا ﴾ قرأ اهل الكوفة وهم عاصم وحزة والكسائى
 كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل
 قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس
 وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعانى كذبوا من قولهم كذبتك الحديث
 أى لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقدم الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو على والضمير فى قوله

كانوا يقولون لو شاء ربنا بالنون حفص (اليهم من أهل القرى) لانهم أعلم وأعلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجهلاء (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ودار الآخرة) أى ودار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وآذوا به (أفلا تعقلون) وبالياء مكى وأبو عمرو وحزة وعلى (حتى اذا استئس الرسل) يتسوا من ايمان القوم (وظنوا انهم قد كذبوا) وأيقن

نوحى اليهم) ترسل اليهم جبريل كما أرسل اليك (من اهل القرى) منسوب الى القرى مثلك (أفلم يسيروا) أهل مكة (في الارض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان عاقبة) كيف صار آخر أمر الذين من قبلهم (من الكفار (ولدار الآخرة) الجنة (خير للذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش وآمنوا بالله و محمد عليه السلام والقرآن (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية ان الآخرة خير من الدنيا ويقال ان الدنيا تقنى والآخرة تبقى ويقال أفلا تصدقون بما اصاب الاولين حيث كذبوا الرسل (حتى اذا استئس الرسل) فلما ايس الرسل

الرسول قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول المرسل اليهم والثاني للرسول أي وظنوا ان الرسول قد كذبوا واخفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الرسول ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما بهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي

وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسول قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنون بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمنع جل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسول يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى في قوله أفلم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبي الرسول والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ماروى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسول من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسول قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسول انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبهم أنفسهم حتى حدثتهم بانهم لا ينصرون أو رجأوهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا وتلاقوه وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فإبال رسل الله الذين هم أعرف الناس برهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكي الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معمول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من تأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصر نادال على أن أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسول ولو كان الظن للرسول كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد وجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استيأس الرسول من ايمان قومهم وحنوا يعنى وأيقنوا يعنى الرسول ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسول من كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم

الرسول ان قومهم كذبوهم
وبالتخفيف كوفي أي وظن
المرسل اليهم ان الرسول قد
كذبوا أي أخلفوا أو وظن
المرسل اليهم انهم كذبوا من
جهة الرسول أي كذبتهم الرسول
في انهم ينصرون عليهم ولم
يصدقوهم فيه

جاءوا به من الله ان قرئت
مشددة ويقال وظنوا يعنى
القوم انهم يعنى الرسول قد
كذبوا اخلف وعد الرسول
ان قرئت مخففة

والامهال على سبيل التمثيل. وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدهم. وقرئ كذبوا بالتحفيف وبناء الفاعل أى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما راخى عنهم ولم يروا له اثرا. جاءهم نصرنا فنجي من نشاء. النبي والمؤمنين وانما يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان تشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم. وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبني للمفعول. وقرئ قجي. ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين. اذ انزل بهم وفيه بيان المشيئين. لقد كان في قصصهم. في قصص الانبياء واممهم أو في قصة يوسف واخوته. عبرة لأولى الالباب. لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس

لشدة المحنة والبلاء واستبطوا انصر اناهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم بمعنى وظنوا بالرسل ظن حسبان ان ربهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لأنهم كذبوهم في كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفсар وعلى القولين جميعا فالكتابية في وظنوا الرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك برهبانك فها هذا الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم وظنوا ان أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبدالله بن عبدالله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هالك وتلاحق بقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فليقت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كان قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون معهم من قومهم من يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة. وقوله تعالى. جاءهم نصرنا. يعني جاء نصر الله النبيين. فنجي من نشاء. من عبادةنا يعني عند نزول العذاب بالكافرين فنجي المؤمنين المطيعين. ولا يرد بأسنا. يعني عبادةنا. عن القوم المجرمين. يعني المشركين. قوله تعالى. لقد كان في قصصهم. يعني في خبر يوسف واخوته. عبرة لأولى الالباب. لا أولى الالباب. يعني يتعظ بها أولو الالباب والعقول السليمة ومعنى الاعتبار والعبرة الحانة التي يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكير ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف

(جاءهم نصرنا) الانبياء
والمؤمنين بهم فجأة من
غير احتساب (فنجي)
بنون واحدة وتشديد الجيم
وقمع الياء شامى وعاصم على
لفظ الماضى المبني للمفعول
والقائم مقام الفاعل من
الباقون فنجي (من نشاء)
أى النبي ومن آمن به (ولا
يرد بأسنا) عذابنا (عن
القوم المجرمين) الكافرين
(لقد كان في قصصهم) أى
في قصص الانبياء واممهم
أو في قصة يوسف واخوته
(عبرة لأولى الالباب)
حيث نقل من غاية الحب
الى غيبة الجب ومن الحصر
الى السرير فصارت عاقبة
الصبر سلامة وكرامة
ونهاية المكر وخامة وندامة

(جاءهم نصرنا) يعنى عذابنا
بهلاك قومهم (فنجي من نشاء)
يعنى الرسل ومن آمن بالرسل
(ولا يرد بأسنا) عذابنا
(عن القوم المجرمين)
المشركين (لقد كان في قصصهم)
في خبرهم في خبر يوسف
واخوته (عبرة) آية (لأولى
الالباب) لذوى العقول من
الناس

(ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كإزعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لانه القانون الذي تستند إليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبياؤه وما نصب بدل لكن معطوف على خبر كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقام سورة يوسف فاعبدت تلاها وعلما ﴿٤٦٥﴾ أهله وما ﴿سورة يوسف﴾ ملكت يمينه هون الله عليه

سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور ررحه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام وأخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول ان أخوة يوسف مع موافقتهم آياه في الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم آياك في الدين أخرى ان تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم

﴿سورة الرعد مكية وهي ثلاث أربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي﴾
(ما كان حديثا يفترى) يعني القرآن ليس بحديث يخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) موافق التوراة والأنجيل وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الشرائع وخبر

﴿ ما كان حديثا يفترى ﴾ ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يحتاج إليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط أو غير وسط ﴿ وهدى ﴾ من الضلال ﴿ ورجة ﴾ ينال بها خير الدارين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ يصدقونه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علموا ارقامكم سورة يوسف فانه اعلم تلاها وعلما أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

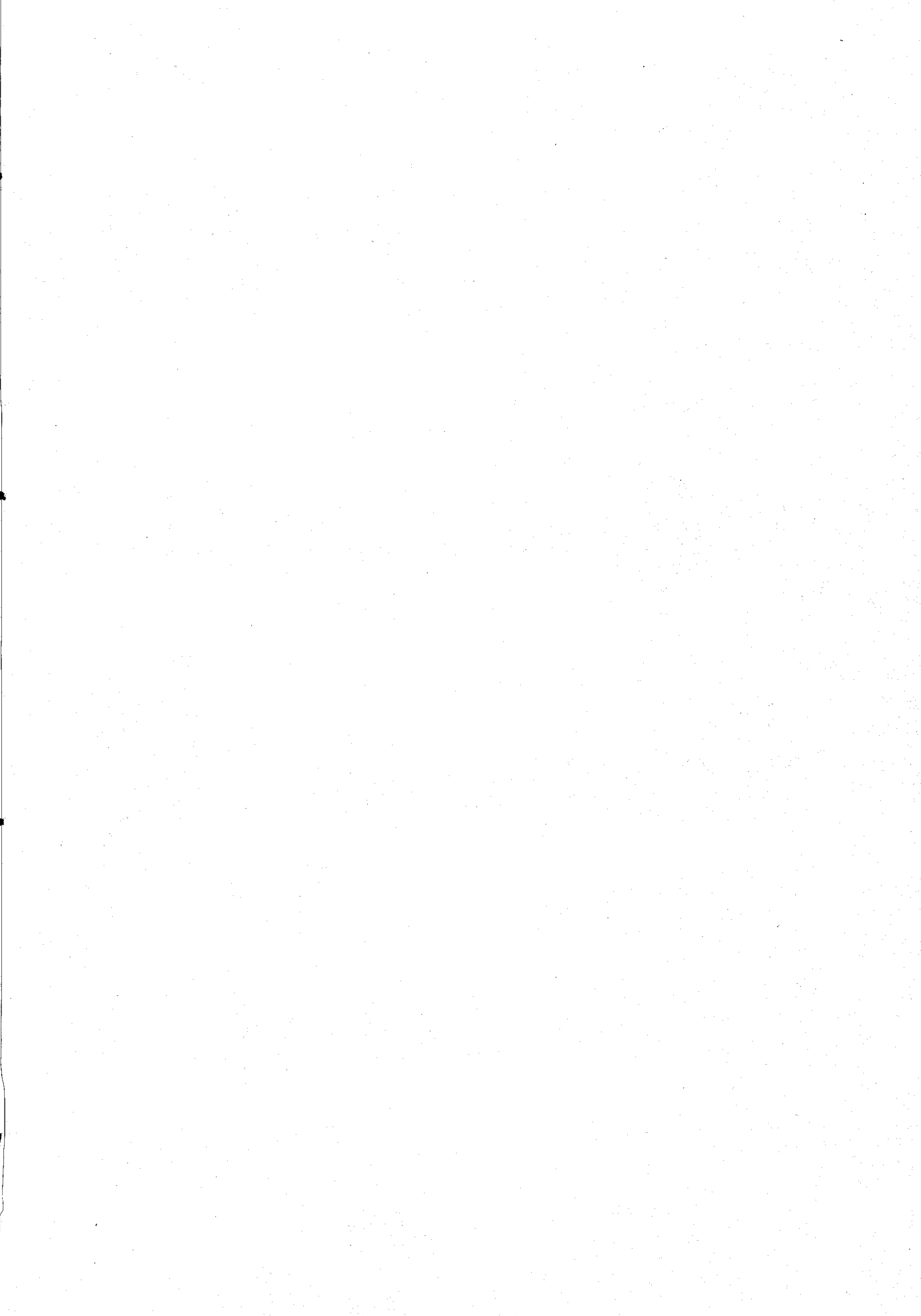
﴿ سورة الرعد مكية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين ﴾

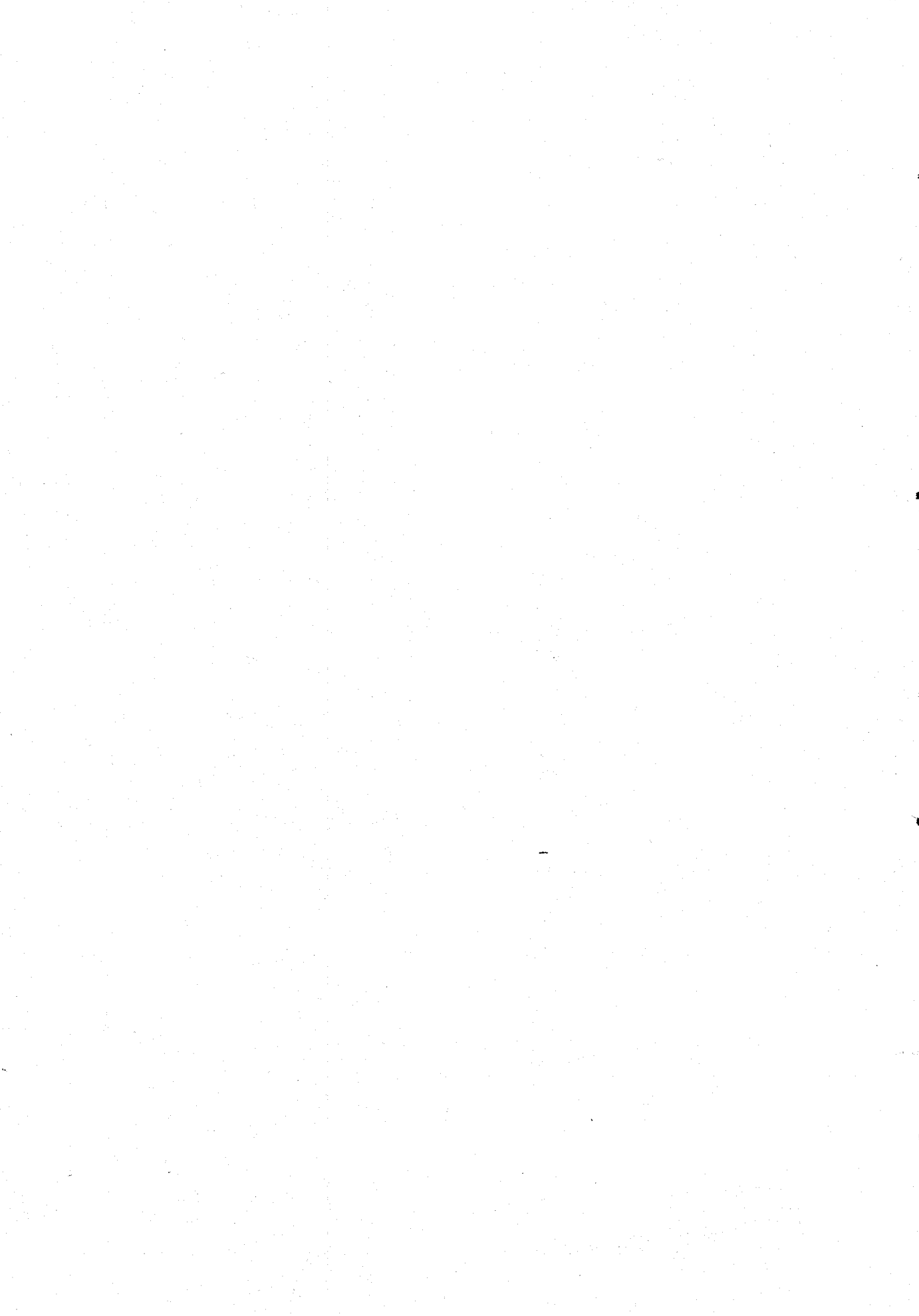
﴿ كفروا الآية وهي خمس واربعون آية ﴾

من الجب بعد لقائه فيه واخراجها من السجن وتعليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة والياس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة الجميلة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها ﴿ ما كان حديثا يفترى ﴾ يعني ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويخلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتره أو يخلق له لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والأنجيل وفيها اشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم ﴿ وهدى ﴾ يعني الى كل خير ﴿ ورجة ﴾ يعني أنزلناه رجة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم هم الذي يتفقون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

يوسف (وتفصيل كل شيء) تبيان كل شيء (قا و خا و هـ لث) من الحلال والحرام (وهدى) من الضلالة (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بحمد عليه السلام والقرآن الذي أنزل اليك من ربك والله أعلم بأسرار كتابه ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الرعد وهي مكية غير آيتين قوله ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا قارعة الى آخرها وقوله ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب فانهما مديتان آياتها خمس وأربعون وكلتاها ثمانمائة وخمس وخمسون وحرر فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة وأربعون حرف





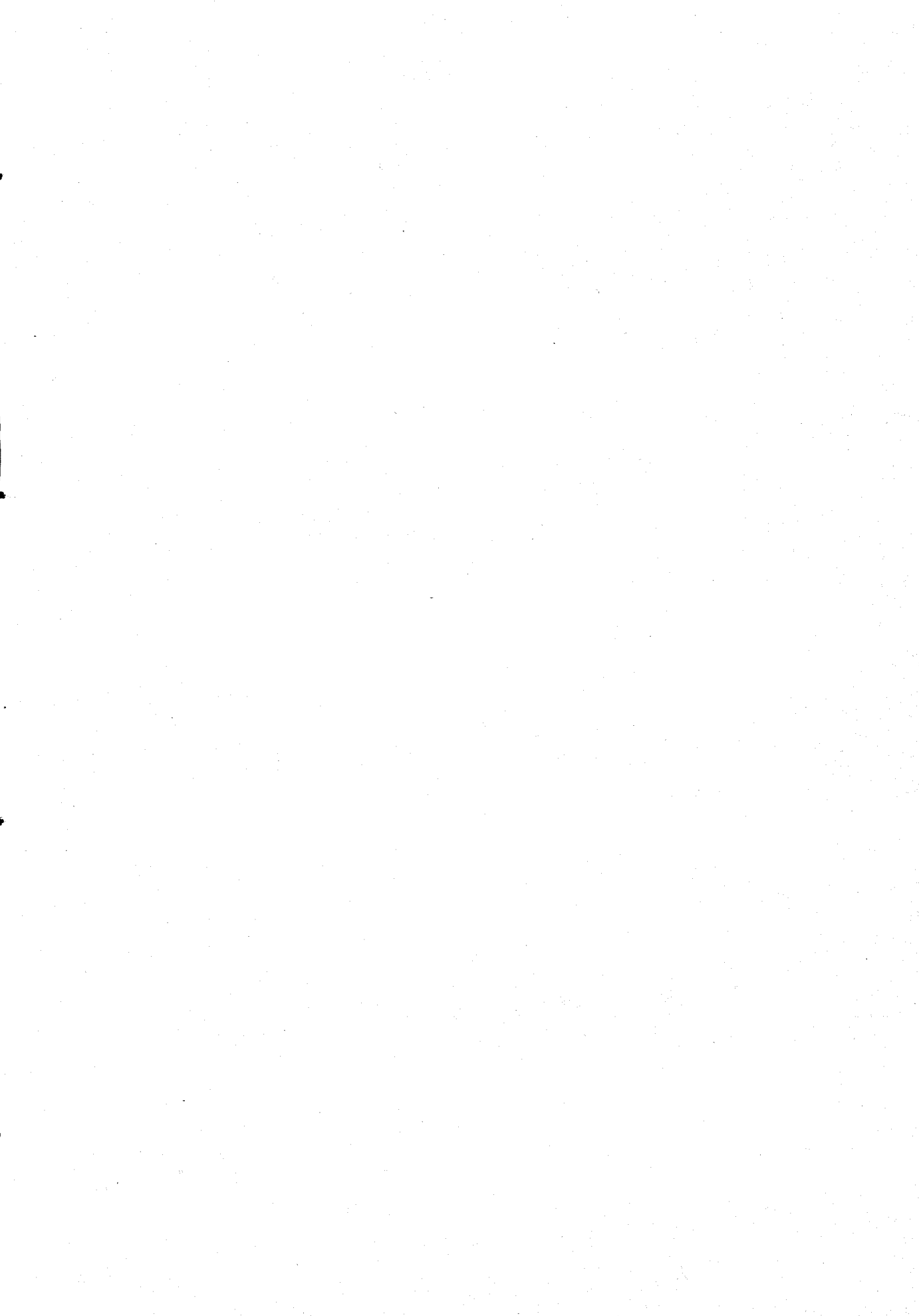
(وهو الذي مد الارض)
 بسطها (ويجعل فيها
 رواسي) جبالا ثوابت
 (وأنهارا) جارية (ومن
 كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين) أي الاسود
 والابيض والحلو والحامض
 والصغير والكبير وما أشبه
 ذلك (يغشى الليل النهار)
 يلبسه مكانه فيصير أسود
 مظلمًا بعدما كان أبيض
 منيرا يغشى حزمة وعلى
 وأبو بكر (ان في ذلك آيات
 لقوم يتفكرون) فيعلمون
 ان لها صناعا عليما حكميا
 الموت (وهو الذي مد
 الارض) بسط الارض على
 الماء (وجعل فيها رواسي)
 خلق في الارض الجبال
 الثوابت أو تادها (وأنهارا)
 أجرى فيها انهارا (ومن كل
 الثمرات) من الوان
 كل الثمرات (جعل فيها)
 خلق فيها (زوجين اثنين)
 الحامض والحلو زوج
 والابيض والاحمر زوج
 (يغشى الليل النهار) يغطي
 الليل بالنهار والنهار بالليل
 يقول يذهب بالليل ويحيى
 بالنهار ويذهب بالنهار ويحيى
 بالليل (ان في ذلك) في
 اختلاف ما ذكرت (آيات)
 لعلامات (لقوم يتفكرون)
 لكي يتفكروا فيه

من قدر على خلق هذه الاشياء وتديرها قدر على الاعادة والجزاء * وهو الذي مد الارض *
 بسطها طولًا وعرضًا تثبت عليها الاقدام وينقلب عليها الحيوان * وجعل فيها رواسي *
 جبالا ثوابت من رسي الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل
 أول للباقية * وانهارا * ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال
 اسباب لتولدها * ومن كل الثمرات * متعلق بقوله * جعل فيها زوجين اثنين *
 أي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
 والصغير والكبير * يغشى الليل النهار * يلبسه مكانه فيصير الجو مظلمًا بعدما كان
 مضيئًا * وقرأ حزمة والكسائي وأبو بكر يغشى بالتشديد * ان في ذلك آيات لقوم
 يتفكرون * فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم

قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بخلقها والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان
 بعد عدمه قادر على ايجاده واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق
 المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن
 وأيقن بمعنى علم * قوله تعالى * وهو الذي مد الارض * لما ذكر الدلائل الدالة على
 وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر أحوال الشمس والقمر
 أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي بسطها على وجه الماء
 وقيل كانت الارض مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل
 ان الارض منسطة كالا كف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان
 الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح كبير العظيم فحصل
 الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك
 يدل على التسطیح والله تعالى اصدق قبلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة * وجعل فيها *
 يعني في الارض * رواسي * يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسوا اذا ثبت وأرساه
 غيره أتبته قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الارض * وأنهارا * يعني
 وجعل في الارض أنهارا جارية لنافع الخلق * ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين
 اثنين * يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا * يغشى الليل النهار * يعني
 يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار * ان في ذلك * يعني الذي تقدم ذكره
 من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته * آيات * أي دلالات
 * لقوم يتفكرون * يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر
 هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة لاعلم
 الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون
 الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روى تفكروا في
 آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادياب
 الفكر مقلوب عن الفرق لانه يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحسب طلبها

متلاصقة طيبة الى سبخة
وكريمة الى زهيدة وصلبة
الى رخوة وذلك دليل
على قادر مدبر مرشد موقع
لافعاله على وجه دون وجه
(وجنات) معطوفة على قطع
(من أعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان)
بالرفع مكى وبصرى وحفص
عطف على قطع غيرهم
بالجر بالعطف على أعناب
والصنوان جمع صنووهى
النخلة لها رأسان وأصلها
واحد وعن حفص بضم
الصاد وهما لفتان (تسقى
بماء واحد) وبالياه عاصم
وشامى (ونفضل بعضها
على بعض) وبالياه حزة
وعلى (فى الاكل) فى الثمر
وبسكون الكاف نافع
(وفي الارض قطع)
أمكنة (متجاورات)
ملتزقات ارض سبخة رديئة
وبجنبها أرض طيبة عذبة
جيدة (وجنات من اعناب)
من كروم (وزرع) حرث
(ونخيل صنوان) مجتمع
اصولها فى اصل واحد
عشرة أو أقل أو أكثر
(وغير صنوان) مفترق
اصولها واحدة واحدة
(يسقى بماء واحد) بماء
المطر أو بماء النهر (ونفضل
بعضها على بعض فى الاكل)

دبر امرها وهيا اسبابها ﴿ وفي الارض قطع متجاورات ﴾ بعضها طيبة وبعضها سبخة
وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع
فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية
من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوزاع ﴿ وجنات من اعناب وزرع ونخيل ﴾
وبساتين فيها انواع الاشجار والزرع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله • وقرأ ابن كثير
وابوعرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان بالرفع عطف على وجنات ﴿ صنوان ﴾
نخلات اصلها واحد ﴿ وغير صنوان ﴾ ومفترقات مختلفات الاصول • وقرأ حفص بالضم
وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو ﴿ تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ﴾
فى الثمر شكلا وقدرًا ورائحة وطعما وذلك ايضا بما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافا
مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار • وقرأ ابن عاصم وعاصم
ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله
لوصول الى حقيقتها ﴿ قوله عز وجل ﴾ وفي الارض قطع متجاورات ﴿ يعنى
متقاربات بعضها من بعض وهى مختلفة فى الطبايع فهذه طيبة تبت وهذه سبخة لانبت
وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع ﴿ وجنات ﴾ يعنى بساتين والجنة كل بستان
ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر بأشجاره الارض واليه
الاشارة بقوله ﴿ من أعناب وزرع ونخيل صنوان ﴾ جمع صنو وهى النخلات يجتمعن
من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس عم الرجل صنو ابىه يعنى
انهما من أصل واحد ﴿ وغير صنوان ﴾ هى النخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع
وغير الصنوان المتفرق ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ يعنى أشجار الجنات وزروعها والماء جسم
رقيق مائع به حياة كل نام وقيل فى حده جوهر سيال به قوام الارواح ﴿ ونفضل
بعضها على بعض فى الاكل ﴾ يعنى فى الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك
من الطعام ﴿ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى
ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الدقل والنريسان والحلو والحامض أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم
وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة
واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعًا متجاورات وأ نزل على وجهها ماء
السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها
وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قليل انما هذا من قبل الماء
كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتحشع
وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد
الاقام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة



بها (ولكل قوم هاد)

من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بآية تخص بها لا بما يربدون ويتحكمون (الله يعلم ما تحمل كل اشي وما تفيض الارحام وما تزداد) ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تفيضه الارحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أناوما تزداده والمراد عدد الولد فانها تشمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا أو مده الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى ستين عندنا والى أربع عند الشافعي والى خمس عند مالك أو مصدرية أي يعلم كل اشي ويعلم غيض الارحام وازيادها

(ولكل قوم هاد) نبي ويقال داع يدعوهم من الضلالة الى الهدى (الله يعلم ما تحمل كل اشي) كل حامل ذكر هو أو أنثى (وما تفيض) وما تنقص (الارحام) في الحمل من التسعة (وما تزداد) على التسعة في الحمل

مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه واعلم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدم لسبق قضائه عليهم بالكفر* وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتوين في الوصل فاذا وقف وقف بآياه في هذا الاحرف الاربعة حيث وقعت ولا غير والباقون يصلون بالتوين ويقفون بغيره يقال (الله يعلم ما تحمل كل اشي) أي حملها أو ما تحمله وانه على أي حال هو من الاحوال الحاضرة والمتربعة (وما تفيض الارحام وما تزداد) وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وستان عند ابي حنيفة روى ان الضحاك ولد لستين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدله وقيل نهاية ما عرف به اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما الله تعالى أو لما فيها

أي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شئ (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال ابو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال ابو صالح الهادي هو القائد الى الخير لا الى الشر* قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل اشي) (لما سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته وكال علمه وانه عالم بما تحمل كل اشي يعني من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر) وما تفيض (يعني وما تنقص) (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فنقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالتقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستسك الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخسة أيام فالتقصان في الغذاء زيادة في مدة الحمل وقيل التقصان

(وكل شيء عنده بمقدار) بقدر واحد ﴿٤٧٣﴾ لا يجاوزه ولا ينقص { سورة الرعد } عنده لقوله انا كل شيء

خلقناه بقدر (عالم الغيب)
ماغاب عن الخلق (والشهادة)
ماشاهدوه (الكبير) العظيم
الشان الذي كل شيء دونه
(المتعال) المستعلي على
كل شيء بقدرته أو الذي
كبر عن صفات الخلقين
وتعالى عنها وبالياء
في الخالين مكي (سواء منكم
من أسرار القول ومن جهربه)
أي في علمه (ومن هو مستخف
بالليل) متوار (وسارب
بالنهار) ذاهب في سره أي
في طريقه ووجهه يقال سرب
في الارض سر وياوسارب
عطف على من هو مستخف
لا على مستخف أو على مستخف
غير أن من في معنى الاثني
والضمير في (له) مردود
على من كانه قيل لمن أسر
ومن جهر ومن استخفي
(وكل شيء) من الزيادة
والنقصان وخروج الولد
والمكث (عنده بمقدار عالم
الغيب) ماغاب عن العباد
(والشهادة) ما علمه العباد ويقال
الغيب ما يكون والشهادة ما
كان ويقال الغيب هو الولد
في الارحام والشهادة هو
الذي خرج من الارحام
(الكبير) ليس شيء أكبر منه
(المتعال) ليس شيء أعلى منه
(سواء منكم) عند الله بالعلم
(من أسرار القول) والفعل (ومن
جهربه) من أعلن بالقول

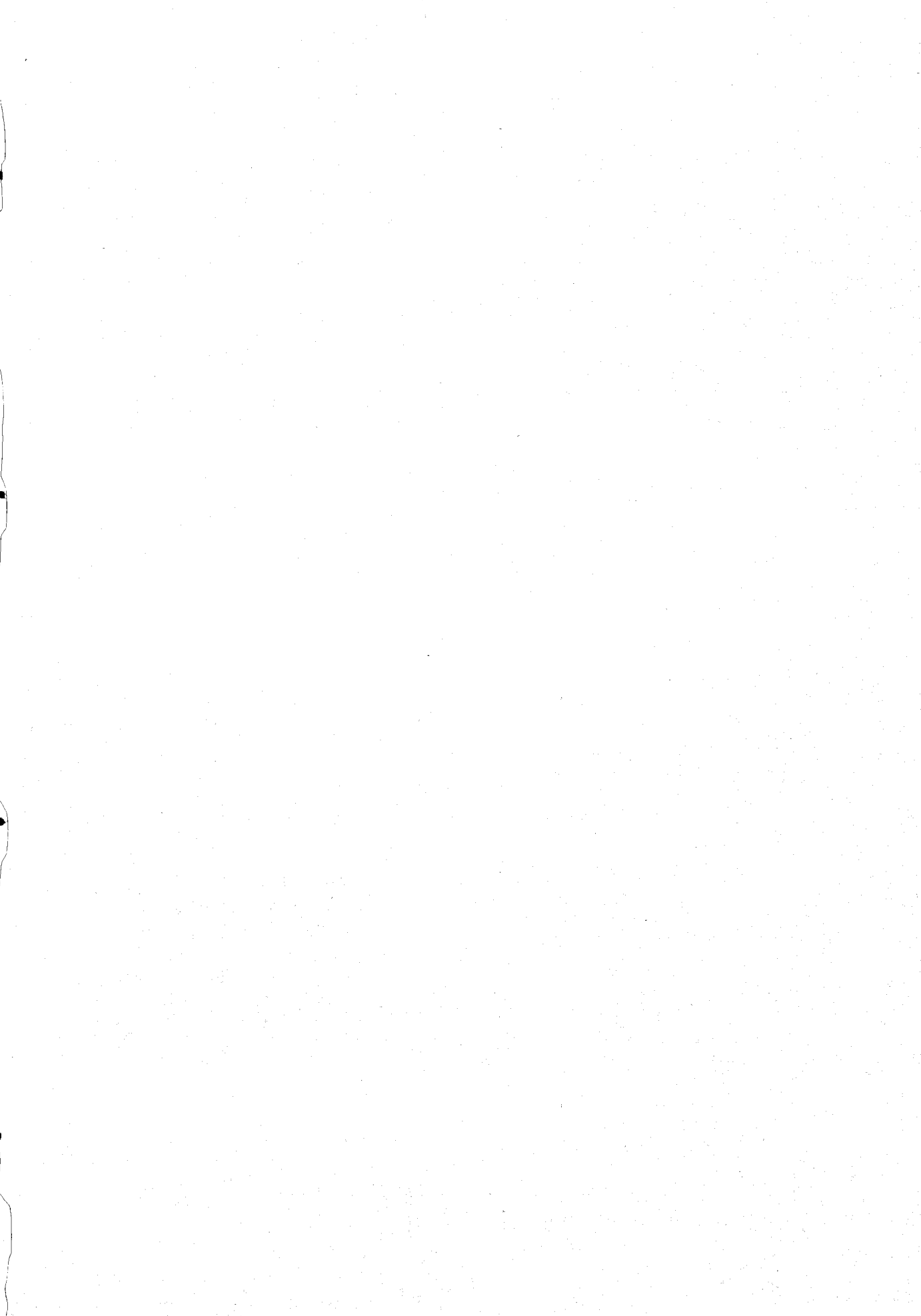
﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأله اسبابا مسوقة اليد تقتضي ذلك ﴿ عالم الغيب ﴾ الغائب عن الحس ﴿ والشهادة ﴾ الحاضر له ﴿ الكبير ﴾ العظيم الشأن الذي لا يبرح عن علمه شيء ﴿ المتعال ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن نعت الخلقين وتعالى عنده ﴿ سواء منكم ﴾ من أسرار القول ﴿ في نفسه ﴾ ومن جهربه ﴿ لغير ﴾ ومن هو مستخف بالليل ﴿ طالب للخفا في مخبأ بالليل ﴾ وسارب ﴿ بارز ﴾ بالنهار ﴿ يراه كل احد من سرب سر وياذا برزو وهو عطف على من أو مستخف على ان من في معنى الاثني كقوله

نكن مثل من ياذب يصطحبان

كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررمة لكمال علمه وشموله ﴿ له ﴾ لمن أسر أو جهر أو استخفي أو سرب

السلط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضا نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد هذه المدة ويعيش واختلفوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال جاد بن أبي سلمة اناسمى هرم بن حبان هر مالا نه بقي في بطن أمه أربع سنين وعند مالك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ يعني بتقدير واحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على اكل الوجوه وقيل معناه وان تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ يعني أنه تعالى يعلم ماغاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعلوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ماغاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس ﴿ الكبير ﴾ أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال ﴿ المتعال ﴾ يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتزيهه عن جميع النقائص ﴿ قوله تعالى ﴾ سواء منكم من أسرار القول ومن جهربه ﴿ أي مستونكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه والمعنى أنه قد استوى في علم الله تعالى المسرب بالقول والجاهر به ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ أي مستتر بظلمته ﴿ وسارب بالنهار ﴾ أي ذاهب بالنهار في سره بظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ربية مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برى من الأثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا ظهرته وأخففته اذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار دخل في السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به الالسن وسواء من أقدم على الصباغ مستترا في ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل ﴿ له ﴾

والفعل يعلم الله ذلك منه (ومن هو مستخف) (قاو خا ٦٠ ا١) بالليل) مستتر (وسارب) ظاهر (بالنهار) بقول أو على يعلم الله ذلك منه (له)



(ومالهم من دونه من وال) من دون الله ممن بلى أمرهم ويدفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطعما) انتصبا على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذاخوف وذاطمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع { الجزء الثالث عشر } في الفيت قال ٤٧٦ أبو الطيب قتي كاسحاب الجون

يخشى ويرتجى ويرجى الحيا منه ويخشى الصواعق أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينفع أهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجلين للمطر أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي الى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيئته واجلاله

﴿ومالهم من دونه من وال﴾ ممن بلى أمرهم في دفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا﴾ من اذاه ﴿وطعما﴾ في الفيت وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أي ارادة خوف وطمع أو التأويل بالاخافة والاطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على اضمار ذوا واطلاق المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للبالغة وقيل يخاف المطر من بضره ويطمع فيه من ينفعه ﴿وينشئ السحاب﴾ الغيم المنسحب في الهواء ﴿الثقال﴾ وهو جمع ثقيلة انما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ﴿ويسبح الرعد﴾ ويسبح سامعوه ﴿بحمده﴾ ملتبسين به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك مؤكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ﴿والملائكة من خيفته﴾ يعنى لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضاءه وقدره ﴿ومالهم من دونه من وال﴾ يعنى وليس لهم من دون الله من وال بلى أمرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم ﴿قوله عز وجل﴾ هو الذي يريكم البرق خوفا وطعما ﴿لما خوف الله عز وجل عباده بقوله﴾ واذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجهه ويشبه العذاب من وجهه فقال تعالى هو الذي يعنى هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطعما وجوه * الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر * الثانى انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جريته يعنى بيده التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزرايع ونحوه * الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع اليه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا أمطرت تحطت واذا لم تمطر أخضبت ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ يعنى بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أى أبدأها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غزال الله قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالى من الماء وأصل السحاب الجر وسبى السحاب سحابا اما لجر الريح له أو لجره الماء أو لانجراره في سيره ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ أكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله ﴿والملائكة من خيفته﴾ واذا كان المعطوف معايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما ملك من الملائكة وانما افردته

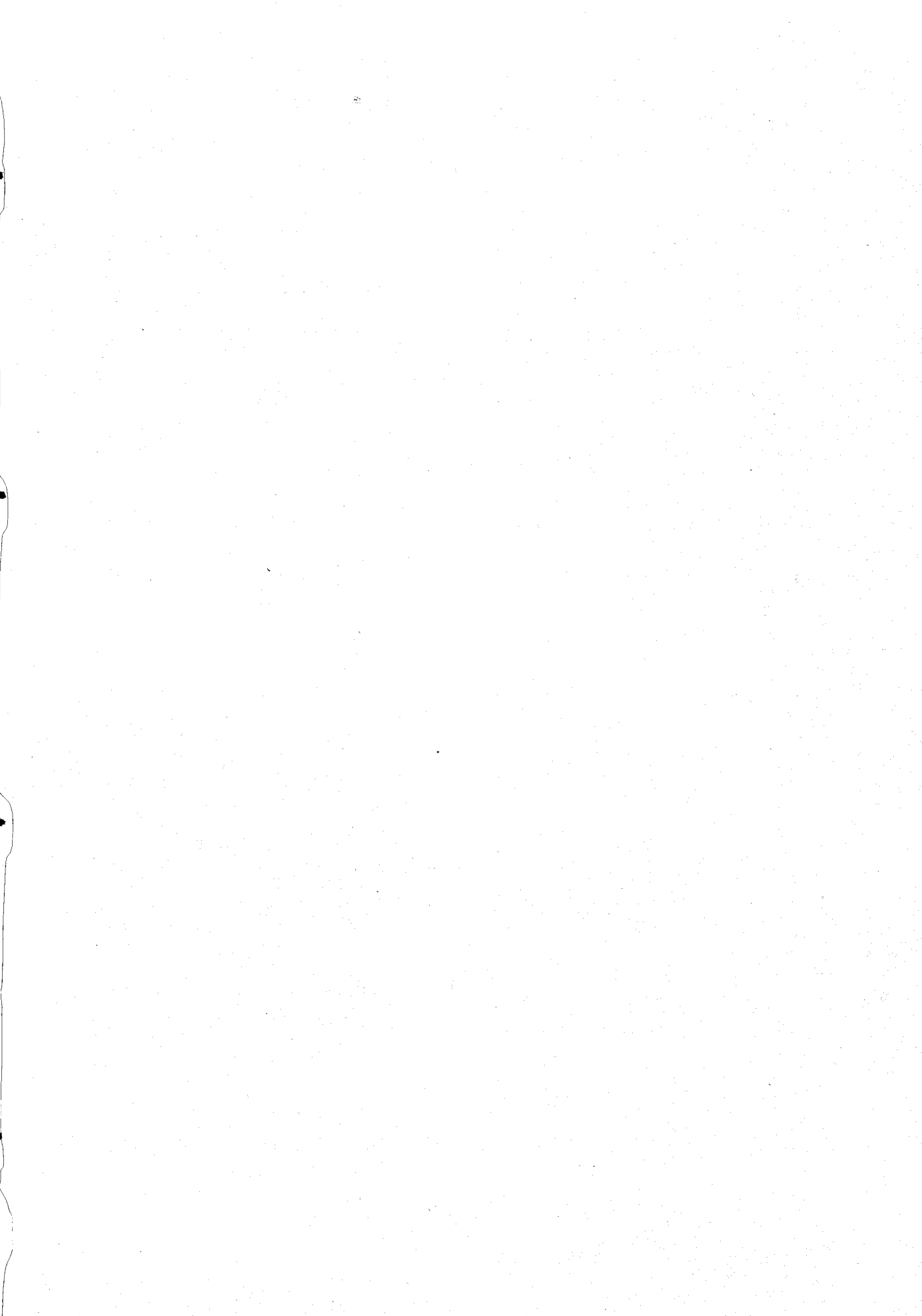
مانع من عذاب الله ويقال من ملجأ يلجئون اليه (هو الذي يريكم البرق) المطر (خوفا) للمسافر بالمطران (بالذکر) تبث ثيابه (وطعما) للقيم ان يسقى حرته (وينشئ) يخلق ويرفع (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد بحمده) يأمره وهو ملك يقال صوت السماء (والملائكة) ويسبح الملائكة (من خيفته) وهم خائفون من الله

النافذ في كل شئ واستواء الظاهر والخطى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الوحدانية بأخذ الشركاء ويجملونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أى فيصيب بهامن يشاء في حال جدالهم وذلك ان أربد أخا لبيد ابن ربيعة العاصمى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عاصم بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عاصمرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرني عن ربنا أمن نحاس هوأم من حديد (ويرسل الصواعق) يعنى النار (فيصيب بهامن يشاء) فهلك بالنار من يشاء يعنى زيد بن قيس أهلكه الله بالنار وأهلك صاحبه

من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بهامن يشاء ﴿ فيهلكه ﴾ وهم يجادلون في الله ﴿ حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجاناتهم والجدال التشدد

بالذكر تشرىفاله على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهودالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذى مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره فى حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان أصابه صاعقة فعلى دية وكان عبدالله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده وملائكته من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفى بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جويرى عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان يحور الماء فى نقرة ابهامه وان يسبح الله فاذا سبح لابقى ملك فى السماء الارتفاع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك نلوكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك فى الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعنى ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحله على العموم أولى ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ جمع صاعقة وهى العذاب النازل من البرق فيحترق من نصيبه وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجحيم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهى فى ذاتها شئ واحد وهذه الاشياء الثلاثة تتشأ منها ﴿ فيصيب بها ﴾ يعنى بالصواعق ﴿ من يشاء ﴾ يعنى فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر ﴿ وهم يجادلون فى الله ﴾ يعنى يخاصمون فى الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدات الحبل اذا حكمت قتله نزلت

عاصم بن الطفيل بطعنة فى خاصرته (وهم يجادلون) يخاصمون (فى الله) فى دين الله مع محمد صلى الله عليه وسلم



﴿ وما هو ببالغه ﴾ لانه جاد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتبان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شهوا في قلة جدوى دعائهم لهما بمن اراد ان يعترف الماء ليشربه فيسقط كفيه ليشربه * وقرى تدعون بالتاء وباسط بالتوين ﴿ وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﴾ في ضياع وخسارة وباطل ﴿ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾ يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة

وما هو ببالغه ﴿ يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جادا لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يعترف الماء بيديه ليشربه فيسقطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعوا الاصنام لانها لاتضر ولا تنفع ولا يفيد منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعائه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام بسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ﴿ ثم ختم هذا بقوله ﴿ وما دعاء الكافرين ﴾ يعني أصنامهم ﴿ الا في ضلال ﴾ يعني يضل عنهم اذا احتسجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآيات أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾ في معنا هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففي معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العباداة وكرها يعني المنساقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجدوا لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجدتهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجدوا وعبادتهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا في اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعباد بالرجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف

كفيد (وما هو ببالغه) وما الماء ببالغ فاه (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبه وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من في السموات والارض) سجدوا بعدوا وابتعاد (طوعا) حال يعني الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعني المنساقين والكافرين في حال الشدة والضيق

الماء الى فيه (وما هو ببالغه) بتلك الحال الماء الى فيه أبدا يقول كما يبلغ الماء فاهذا الرجل كذلك لا تنفع الاصنام من عبدا (وما دعاء الكافرين) عبادة الكافرين (الافى ضلال) في باطل يضل عنهم (ولله يسجد) يصلى ويعبد (من في السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين (طوعا) أهل السماء لان عبادتهم بغير مشقة (وكرها) أهل الارض لان عبادتهم بالمشقة ويقال طوعا لاهل الاخلاص وكرها لاهل النفاق ويقال طوعا لمن ولد في الاسلام وكرها لمن أدخل في الاسلام جبيرا

﴿ وظلالهم ﴾ بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده منهم شاؤا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصرفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله ﴿ بالغدو والآصال ﴾ ظرف ليجسد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قنائة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيد انه قرئ به والايصال وهو الدخول في الاصيل ﴿ قل من رب السموات والارض ﴾ خالفهما ومتولى امرهما ﴿ قل الله ﴾ اجب عنهم بذلك اذلا جواب لهم سواء ولانه البين

بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من أنس وجن فانهم يقرن لله بالعبودية والتعظيم ويبدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ﴿ وقوله تعالى ﴾ وظلالهم بالغدو والآصال ﴿ الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشيا جمع عشية وهى ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانبارى لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخضع كما جعل للجبال أفهاما حتى سجدت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ قل من رب السموات والارض ﴿ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعنى من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالفهما فسيقولون الله لانهم مقررون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب أنت فاسره الله أن يجيبهم بقوله ﴿ قل الله ﴾ أى قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا يتكرون ان الله خالق كل شىء فلما ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا اذلك أيضا ثم ألزمهم الحججة على عبادتهم الاصنام

(وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقنائة (والآصال) جمع اصل جمع اصيل قيل ظل كل شىء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعتراهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بدم أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبى قالوا الله أو هو تلقين أى فان لم يجيبوا فلقتهم فانه لإجواب الا هذا

(وظلالهم) ظلال من يسجد لله أيضا تسجد (بالغدو والآصال) غدوة وعشية غدوة عن أيانهم وعشية عن شمائلهم (قل) يا محمد لاهل مكة (من رب) من خالق (السموات والارض) فان أجابوك وقالوا الله والا (قل الله) خالفهما

(قل أفأخذتم من دونه أولياء) أبعاد أن علموه رب السموات والارض أخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يذفعوها ضررا عنها فكيف يستطيعونه غيرهم وقد آثرتموه على الخالق الرازق المتيب المعاقب فأبين ضلاتكم { الجزء الثالث عشر } (قل هل يستوى العاوي والبصير) أى الكافر

والمؤمن أو من لا يبصر شيأ ومن لا يخفى عليه شيأ (أم هل تستوى الظلمات والنور) ملل الكفر والايان يستوى كوفي غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجمعوا ومعنى الهمزة الانكار (خلقوا كخلقته) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خالق الله (فتشابه الخلق عليهم)

فاشبهه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء وعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق

(قل) يا محمد (أفأخذتم) عبدة (من دونه) من دون الله (أولياء) أربابا من الآلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا) جرد النفع (ولا ضرا) دفع الضرر (قل) لهم يا محمد (هل

الذى لا يمكن المرء فيه أو لقتهم الجواب به) قل أفأخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان أخذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل * اولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا * لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا أو يذفعوها عنها فكيف يستطيعون ايقاع الخير و دفع الضرر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم * قل هل يستوى الاعوى والبصير * المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم * أم هل تستوى الظلمات والنور * الشرك والتوحيد * وقرأ جزء والكسائى وابوبكر بالياء * أم جعلوا لله شركاء * بل أجمعوا والهمزة للانكار وقوله * خلقوا كخلقته * صفة لشركاء داخله في حكم الانكار * فتشابه الخلق عليهم * خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق

بقوله * قل * أى قل يا محمد للمشركين * أفأخذتم من دونه * يعنى من دون الله * أولياء * يعنى الاصنام والولى الناصر والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض واتخذتموه انصارا يعنى الاصنام * لا يملكون * يعنى وهم لا يملكون * لأنفسهم نفعا ولا ضرا * فكيف غيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى * قل هل يستوى الاعوى والبصير * قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن * أم هل تستوى الظلمات والنور * يعنى الشرك والايان والمعنى كما لا يستوى الاعوى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايان وانما شبه الكافر بالاعوى لان الاعوى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا * أم جعلوا لله شركاء * هذا استفهام انكار يعنى جعلوا لله شركاء * خلقوا كخلقته * يعنى خلقوا سموات وأرضين وشمسا و قرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا * فتشابه الخلق عليهم * من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خالق شيأ فاشبهه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشبهه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيأ حتى يشبهه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد

يستوى الاعوى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعنى الكفر والايان (لزمتم) (أم جعلوا لله) وصفوا لله (شركاء) من الآلهة (خلقوا) خلقا (كخلقته) كخلق الله (فتشابه الخلق) فتشابه كل الخلق (عليهم) فلا يدرون خلق الله من خلق آلهتهم

(قل الله خالق كل شيء)

أى خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وماعداه صربوب ومقهور (أنزل) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسات أودية) جمع واد وهو الموضوع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار

(قل) يا محمد (الله خالق كل شيء) بأن منه لا آلهة الا هو (وهو الواحد القهار) الغالب على خلقه ثم ضرب مثل الحق والباطل فقال (أنزل من السماء ماء) يقول أنزل جبريل بالقرآن وبين فيه الحق والباطل (فسالت أودية بقدرها) فاحتمت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها ونورها

وقل الله خالق كل شيء أى لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاتها ثم نفاه عما سواه ليبدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء أنزل من السماء ماء من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فان المبادى منها فسات اودية انهار جمع واد وهو الموضوع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتكبرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر

لزمهم الحجة وهو قوله تعالى قل الله خالق كل شيء أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق وهو الواحد يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها القهار لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره و ارادته وقوله عز وجل أنزل من السماء ماء لما شبه الله عز وجل الكافرين بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعنى المطر فسات أودية بقدرها أودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسات أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال في الوادى فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في دلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بعلثها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما نكر أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتكثير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعنى قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسات أودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين اتفقوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك بمثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والذال المهملة والياء الموحدة كذا في الصحيحين وهى الارض التى لاتنبت الكلأ

(فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ماء اعلى وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رابيا) منتفخا من تفاعلى وجه السيل (وما
توقدون عليه) وبالباء كوفي الجزء الثالث عشر غير أن بكر ٤٨٤ ومن ابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبده

زبد الماء أى للتبعيض أى
وبعضه زبد (في النار) حال
من الضمير في عليه أى وما
توقدون عليه ثابتا في النار
(ابتغاء حلية) مبتغين حلية
فهو مصدر في موضع الحال
من الضمير في توقدون (أو
متاع) من الحديد والنحاس
والرصاص يتخذ منها
الاوانى وما يتبع به في الحضر
والسفر وهو معطوف على
حلية أى زينة من الذهب
والفضة (زبد) خبث وهو
مبتدأ (مثله) نعت له وما
توقدون خبره أى لهذه
الفلزات اذا اعلنت زبد مثل
زبد

(فاحتمل السيل) القلوب
المظلمة (زبد رابيا) باطلا
كثيرا هوها) ومما توقدون
عليه في النار (وهذا مثل
آخر يقول ومما تطرحون
في النار من الذهب والفضة
فيه خبث مثل زبد البحر
الملح (ابتغاء) طلب (حلية)
تلبسونها يقول مثل الحق
مثل الذهب والفضة ينتفع
بهما كذلك الحق ينتفع به
صاحبه ومثل الباطل مثل
خبث الذهب والفضة
لا ينتفع به كذلك لا ينتفع

﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ رفعه والزبد وضراغليان ﴿ رابيا ﴾ عاليا ﴿ ومما توقدون
عليه في النار ﴾ يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها
اظهارا لكبريائه ﴿ ابتغاء حلية ﴾ أى طلب حلى ﴿ أو متاع ﴾ كالاوانى وآلات
الحرب والحراث والمقصود من ذلك بيان منافعها ﴿ زبده مثله ﴾ أى ومما توقدون عليه

جمع جذب على غير قياس وقياسه أجذب والجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي
التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي اخذات بالحاء المجمة والذال
المجمة جمع اخاذة وهي الغدير الذي عمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي
ووقع في صحيح البخاوى وزرعوا بزيادة زاء من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو
المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو
المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان الذى
صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلب بالارض التى أصابها المطر قال العلماء
والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الارض
الطيبة التى تنتفع بالمطر فنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير
ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيى به قلبه ويحفظه
ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت
من صفاء الفهوم النوع الثانى من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها
قائدة لغيرها وهى امساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب وكذلك النوع الثانى من الناس
لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحى المحتاج اليه
المتعطش لما عندهم من العلم فىأخدمهم فينتفع به وهو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض
ارض سبخة لا تثبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة
ولا أفهام ثاقبة فاذا بانهم شئ من العلم لا ينتفعون به فى انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم
﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ فاحتمل السيل زبدا ﴾ الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالخبث
وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء
زبدا ﴿ رابيا ﴾ يعنى عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وهما تم المثل ثم ابتداء بمثل آخر فقال
تعالى ﴿ ومما توقدون عليه في النار ﴾ الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت
الشئ الذى ايدوب ﴿ ابتغاء حلية ﴾ يعنى لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب
والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما ﴿ أو متاع ﴾ يعنى
أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه
الاوانى وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يجمع به ويقال لكل ما ينتفع به فى البيت
كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاوانى متاع ﴿ زبده مثله ﴾ يعنى ان ذلك الذى يوقد

بالباطل صاحبه (أو متاع) أو حديد أو نحاس (زبده مثله) يقول يكون له خبث أى مثله مثل زبد الماء وهذا مثل (عليه)
آخر يقول مثل الحق كمثل الحديد والنحاس ينتفع بهما فكذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل كمثل

الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي متلاشي وهو ما تقدفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفء الرمي وجفوت الرجل صرعه (وأما ما ينفع الناس) من الماء والخلي والوانى (فيمكث في الأرض) فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تسقى في الأرض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الأمثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسبل به أودية الناس فيجيئون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي يتفنون به في صوغ الخلى منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة وذلك ما كثر في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منفعه وكذلك الجواهر تبقى أزمان مطاولة وشبه ﴿ ٤٨٥ ﴾ الباطل في سرعة { سورة الرعد } اضمحلاله ووشك زواله

بزبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن الابتداء أو التبويض «وقرأ حزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واخماره للعالمية» كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴿ مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسبل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الأرض باق يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض الى العيون والفتى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الخلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة مطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبد الماء وبين ذلك بقوله ﴿ فاما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يحقأبه ان يرمى به السيل أو الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿ واماما ينفع الناس ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿ فيمكث في الأرض ﴾ يتفنع به اهلها ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ لا يوضح المشتبهات

زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن الابتداء أو التبويض «وقرأ حزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واخماره للعالمية» كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴿ مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسبل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الأرض باق يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض الى العيون والفتى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الخلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة مطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبد الماء وبين ذلك بقوله ﴿ فاما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يحقأبه ان يرمى به السيل أو الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿ واماما ينفع الناس ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿ فيمكث في الأرض ﴾ يتفنع به اهلها ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ لا يوضح المشتبهات

عليه في النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يعني ضائعا باطلا والجفاء مرمى به الوادي من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقتهم والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل وينهد ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب ﴿ فيمكث في الأرض ﴾ يعني يثبت ويبقى ولا يذهب ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يحققه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي

المدة بالإخلاص المعدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل واللام في

خبث الحديد والنحاس لا ينتفع به كما لا ينتفع بخبث الحديد والنحاس (كذلك يضرب الله) بين الله (الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء) يقول يذهب كالجاء لا ينتفع به فكذلك الباطل لا ينتفع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والذهب والفضة والحديد والنحاس (فيمكث في الأرض) ينتفع به فكذلك الحق ينتفع به (كذلك يضرب الله الأمثال) بين الله أمثال الحق والباطل

(للذين استجابوا) أى أجابوا متعلقة بـ يضرب أى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهى صفة لمصدر استجابوا { الجزء الثالث عشر } أى استجابوا ﴿٤٨٦﴾ الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له أى

وللكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثلاً الفريقين وقوله (لو أن لهم ما فى الارض جيعا ومثله معه لا فتدوا به) كلام مبتدأ فى ذكر ما عدل غير المستجيبين أى لو ملكوا اموال الدنيا ملكوا معها مثلها لبدلوا ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لومع ما فى حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه فى الحديث من نوقش الحساب عذب (وإياهم جهنم) ومرجعهم بعد الحساب النار (وبئس المهاد) المكان المهد والمذموم محذوف أى جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء فى (أفنى يعلم) الانكار ان تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل فى أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) (للذين استجابوا لربهم) بالتوحيد فى الدنيا (الحسنى) لهم الجنة فى الآخرة (والذين لم يستجيبوا له) لربهم بالتوحيد (لو أن لهم ما فى الارض)

﴿للذين استجابوا﴾ للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لربهم الحسنى﴾ الاستجابة الحسنى ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بـ يضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهم وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ﴿لو أن لهم ما فى الارض جيعا ومثله معه لا فتدوا به﴾ وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان ما لغير المستجيبين ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو المناقشة في بيان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ ﴿ومأواهم﴾ مرجعهم ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ المستقر والخصوص بالذم محذوف ﴿أفنى يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق﴾ فيستجيب الذى ينفعه وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلوا الذى هو الكدر وهو ما ينفى الكبر مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا فى وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايان كمثل الماء الصافى الذى يتنفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذى لا يتنفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذى يحصل فى قلوب العباد على ما قسم لها فى الازل لان الوادى اذا سال قلب العبد بالنور الذى قسم له على قدر ايمانه ومعرفة كس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى يذهب البواطل وهى الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهى الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال ﴿وقوله تعالى﴾ للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴿قيل اللام فى للذين متعلقة بـ يضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجهور المفسرين يعنى الجنة وقيل الحسنى هى المنفعة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانتقطاع ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ يعنى الكفار الذين استقر واعلى كفرهم وشركهم وما كانوا عليه ﴿لو أن لهم ما فى الارض جيعا ومثله معه لا فتدوا به﴾ يعنى لبدلوا ذلك كله نداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة ﴿أولئك﴾ يعنى الذين لم يستجيبوا لربهم ﴿لهم سوء الحساب﴾ قال ابراهيم النخعى سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شئ ﴿ومأواهم﴾ يعنى فى الآخرة ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ يعنى وبئس ما مد لهم فى الآخرة وقيل المهاد الفراش يعنى وبئس الفراش يفرش لهم فى جهنم ﴿وقوله تعالى﴾ أفنى يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق

من الذهب والفضة (جيعا ومثله معه) ضعفه معه (لا فتدوا به) لفاذوا به أنفسهم (أولئك لهم سوء الحساب) شدة العذاب (يعنى) (ومأواهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش والمصير (أفنى يعلم) يصدق (أنما أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (الحق) هو

فاستجاب بعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كن هو أعشى) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابرز (انما تذكر اولو الالباب) ﴿٤٨٧﴾ أي الذين عملوا سورة الرعد على قضايا عقولهم فنظروا

واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبي الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولي الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عقده على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقربات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر

﴿كن هو أعشى﴾ عى القلب لا يستبصر فتستجيب والهزمة لانكار ان تقع شبهة في تشابهها بعد ما ضرب من المثل ﴿انما تذكر اولو الالباب﴾ ذووا العقول المبررات عن مشابهة الالف ومعارضة الوهم ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ بما عقده على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عقده الله تعالى عليهم في كتبه ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص ﴿والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل﴾ من الرحم وموالاتة المؤمنين والايان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس

يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه ﴿كن هو أعشى﴾ يعني اعشى البصيرة لا اعشى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حزة بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل فالاول هو حزة أو عمار والساني هو ابو جهل وحل الآية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعشى لان الاعشى لا يهتدى لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقمان في المهلكة ﴿انما تذكر اولو الالباب﴾ يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين يتفهمون بالمواعظ والاذكار ﴿قوله عز وجل﴾ الذين يوفون بعهد الله ﴿يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله ﴿والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل﴾ قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسول يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثر من على ان المراد به صلة الرحم ﴿عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بنته اخرجها ابو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعني قطع الله (خ) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسطه في رزقه وان ينسأله في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسأله في اثره الاثر هنا الاجل وسمى الاجل اثره لانه تابع للحياة وسابقتها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان

الحق (كن هو أعشى) كافر (انما تذكر) يتعظ بما نزل اليك من القرآن (أولو الالباب) ذوو العقول من الناس (الذين يوفون بعهد الله) يمتون فرائض الله (ولا ينقضون الميثاق) لا يتركون فرائض الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام ويقال من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

(ويخشون ربهم) أي وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره وأجله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لثلاييب في الجزع (وأقاموا الصلوة) داوما على اقامتها (وأنفقوا مآزرقتاهم) أي من الحلال وان كان الحرام رزقنا عندنا (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها في السر أفضل والفرائض لان المجاهرة بها أفضل نفيا للتهمة (ويخشون ربهم) يعملون لربهم (ويخافون سوء الحساب) شدة العذاب (والذين صبروا) على امر الله والمراد (ابتغاء وجه ربهم) طلب رضا ربهم (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وأنفقوا مآزرقتاهم) تصدقوا مما أعطيناهم (سرا) فيما بينهم وبين الله (وعلانية) فيما بينهم وبين الناس

(ويخشون ربهم) وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلب الرضا لا تحرزوا وسمعتون نحوهما (وأقاموا الصلوة) المفروضة وأنفقوا مآزرقتاهم (بعضه الذي وجب عليهم انفاقه) سرا لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيه والثاني ان يزيد في عمره زيادة حقيقة والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكفي الواصل من اذا قطعت رحه وصلها (عن ابى هريرة) رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومثراة في المال ومنسأة في الاثر اخرجته الترمذي وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني انهم مع وفهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال اعطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لثلاييب على الجزع وقد يصبر لثلا تتشمت به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيم الله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام أركانها وهياتها (وأنفقوا مآزرقتاهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية

(ويدرون بالحسنة السيئة) ويدفون بالحسن من الكلام ما يراد عليهم من سي غيرهم أو اذا حرموا أعطوا واذا ظلوا عفوا واذا قطعوا وصلوا واذا اذنبوا تابوا واذا هربوا اناجوا ﴿ ٤٨٩ ﴾ واذا راوا { سورة الرعد } منكرا اُمرسا بتغيره فهذه

ثمانية أعمال تشير الى ثمانية أبواب الجنة (أولئك لهم عقبي الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي ارادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن) بدل من عقبي الدار (يدخلونها ومن صلح) أي آمن (من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرى صلح والفتح أفصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار قاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد أبوكل واحد منهم فكأنه قيل من آباؤهم

(ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيئ اذا أورد عليهم (أولئك) أهل هذه الصفة من قوله انما يتذكر الى ههنا (لهم عقبي الدار) يعني الجنة ثم بين أي الجنات لهم فقال (جنات عدن) وهي مقصورة الرحمن وهي معدن الانبياء

لمن عرف به ﴿ ويدرون بالحسنة السيئة ﴾ ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان أو يتبعون السيئة الحسنه فتمحوها ﴿ أوئك لهم عقبي الدار ﴾ عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جمعت صفات لاولى الاباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من عقبي الدار أو مبتدأ خبره ﴿ يدخلونها ﴾ والعدن الاقامة أي جنات عدن يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ﴿ ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ عطف على المرفوع في يدخلون وانما صاغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعالهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعمل بالشفاعة أو ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انفسهم والتقيد بالصلاح

ما يؤدبه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وجهه على العموم أولى ﴿ ويدرون بالحسنة السيئة ﴾ قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحسها السر بالسر والعلانية بالعلانية ﴿ وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عنهم حلوا وسفه السيئة والحلم الحسنه وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلوا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عدخلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه خلال من أعمال البر ذكر بعدها ما عدل للملين به من الثواب فقال تعالى ﴿ أولئك ﴾ يعني من أتى بهذه الاعمال ﴿ لهم عقبي الدار ﴾ يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من عقبي الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به ﴿ يدخلونها ﴾ يعني الدار التي تقدم وصفها ﴿ ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ يعني ومن صدق من آباؤهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وتلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدى والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع

والصديقين والشهداء والصالحين (قا و خا ٦٢ لث) (يدخلونها ومن صلح) من و احد (من آباؤهم) يدخلونها أيضا (وأزواجهم) من و احد من أزواجهم يدخلونها أيضا (وذرياتهم) من و احد من ذرياتهم يدخلون أيضا جنات عدن

دلالة على أن مجرد الإنساب لا تنفع ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من ابواب المنازل أو من ابواب القنوج والتحف قائلين ﴿ سلام عليكم ﴾ بشارة بدوام السلامة ﴿ بما صبرتم ﴾ متعلق بعلينكم أو بمحذوف أى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية ﴿ فنع عقبي الدار ﴾ وقرئ فنع بفتح النون والاصل نعم فسكن العين ينقل كسرتها إلى القاء وبغيره ﴿ والذين ينقضون عهد الله ﴾ يعنى مقابلى الاولين ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ من بعدما وثقوه به من الاقرار والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل

سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتى بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازى قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يبدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو مات عنه وروى انه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم دلائفها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاء ان تحشر في جلة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه ﴿ وقوله تعالى ﴾ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ يعنى من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد به النجاة من الله والتحف والهدايا ﴿ سلام عليكم ﴾ يعنى يقولون سلام عليكم فاضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه ﴿ بما صبرتم ﴾ يعنى يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التى كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعنى سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم ﴿ وروى البغوى بسنده عن أبى أمانة موقفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب محبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول أئذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن أئذنوا له ويقول الذى يليه أئذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف ﴿ فنع عقبي الدار ﴾ يعنى فنع العقبي عقبي الدار وقيل معناه فنع عقبي الدار ما أتم فيه ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء ومالهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا أمره ومعنى من بعد ما ميثاقه من بعدما وثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول ﴿ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ﴾ يعنى ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم

وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أى هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه (فنع عقبي الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعدما أو ثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يقول لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراع يدخل عليهم من كل باب ملك يقولون (سلام عليكم بما صبرتم) على هذه الجنة بما صبرتم على أمر الله والمرادى (فنع عقبي الدار) نعم الجنة لكم (والذين ينقضون عهد الله) يتروكون فرائض الله (من بعد ميثاقه) تغليظه وتشديده وتأكيده (ويقطعون ما

ويفسدون في الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم العنة) الابدان من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار وان يراد بالدار جهنم ويسوءها عذابها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحو بالحياة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانما هم عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجر وابتعهم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب ميم الآخرة ليس الا شيئا نورا يتتبع به ﴿ ٤٩١ ﴾ كجمالة الراكب ﴿ سورة الرعد ﴾ وهو ما يتجمله من تميزات

أوشربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بمد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه

ويفسدون في الارض ﴿ بالظلم وتهيج الفتن ﴾ اولئك لهم العنة ولهم سوء الدار ﴿ عذاب جهنم أوسوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار ﴾ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يوسع ويضيقه ﴾ وفرحوا ﴿ أي اهل مكة ﴾ بالحياة الدنيا ﴿ بما بسط لهم في الدنيا ﴾ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴿ أي في جنب الآخرة ﴾ الامتاع ﴿ الامتعة لا تدوم كجمالة الراكب وزاه الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ﴾ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ﴿ باقتراح الآيات بمد ظهور المعجزات ﴾ ويهدي اليه من أناب ﴿ اقبل الى الحق ورجع عن الضلال وهو جواب مجرى مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل آية ويهدي اليه

(ويفسدون في الارض) بالكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (أولئك) أهل هذه الصفة (لهم العنة) السخطة في الدنيا (ولهم سوء الدار) يعني النار في الآخرة (الله يبسط الرزق لمن يشاء) قال ابن عباس وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا البسط ولو صرفوا الى غيره لكان شر الهم وان من عباده عبادا لا يصلح لهم الا التقدير ولو صرفوا الى غيره لكان شر الهم أي يوسع المال على من يشاء في الدنيا وهو

والقربة ﴿ ويفسدون في الارض ﴾ يعني بالكفر والمعاصي ﴿ أولئك ﴾ يعني من هذه صفة ﴿ لهم العنة ﴾ يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار ﴿ قوله تعالى ﴾ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ يعني يوسع على من يشاء من عباده فيفضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله ﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا ﴾ يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق وأشروا واطرخوا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرحة بالدنيا والركون اليها حرام ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة ﴾ يعني بالنسبة الى الآخرة ﴿ الامتاع ﴾ أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ يعني من أهل مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعني هلا انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ ان الله يضل من يشاء ﴾ فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يسهه الله عز وجل وهو قوله ﴿ ويهدي اليه من أناب ﴾ يعني ويرشد الى دينه والايان به من أناب

مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (وفرحو بالحياة الدنيا) رضوا بما في الحياة الدنيا من النعيم والسرور (وما الحياة الدنيا) ما في الحياة الدنيا من النعيم والسرور (في الآخرة) عند نعيم الآخرة في البقاء (الامتاع) الاشي قليل كتاع البيت مثل السكرجة والقدح والقدر وغير ذلك (ويقول الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لولا انزل عليه) هلا انزل على محمد عليه السلام (آية) علامة (من ربه) لثبوتها كانت للرسول الاولين بزعمه (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن دينه من كان أهلا لذلك (ويهدي) يرشد (اليه) الى دينه (من أناب) من أقبل الى الله

(الذين آمنوا) هم الذين أو عملهم الجزء الثالث عشر {النسب بدل من ﴿٤٩٢﴾ من (وتطمئن قلوبهم) نسكن (بذكر الله)

من أناب بما جئت به بل بادئ منه من الآيات ﴿الذين آمنوا﴾ بدل من من أو خير مبتدأ محذوف ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ بذكر الله ﴿انسابه واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رجه بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدايته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى المعجزات ﴿الابذكر الله﴾ تطمئن القلوب ﴿تسكن اليه﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿مبتدأ خبره﴾ طوبى لهم ﴿وهو فعلى من الطيب قلبت يأؤه واواضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزانى ويجوز فيه الرفع والنصب

يقبله ويرجع اليه بكليته ﴿الذين آمنوا﴾ بدل من قوله من أناب ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ يعنى وتسكن قلوبهم ﴿بذكر الله﴾ قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك ﴿الابذكر الله تطمئن القلوب﴾ يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا فى الخلف وذلك ان المسلم اذا حنف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى فى أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما فى حال واحد قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقول توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ اختلف العلماء فى تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرأة أمين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسن لهم وفى رواية أخرى عنده ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطاببة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء فى الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلاذل وغنى بلا فقر وجمعة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقول العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحشية وروى عن أبى امامة وأبى هريرة وأبى الدرداء ان طوبى اسم شجرة فى الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى جنة عدن أصلها فى دار النبي صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الاوفى منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الاوفى منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح ﴿وروى عن أبى سعيد الخدرى ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هى شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ﴿وعن معاوية بن قرة عن أبىه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند ﴿وروى بسنده موقوفا عن أبى هريرة قال ان فى الجنة

على الدوام أو بالقرآن أو بوعيه (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبالك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمه ما قبلها كقولن والقراءة فى

(الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وتطمئن قلوبهم) ترضى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) القرآن ويقال بالخلف بالله (ألا بذكر الله) القرآن والخلف بالله (تطمئن القلوب) أى تسكن وترضى القلوب (الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (طوبى لهم) غبطة لهم ويقال طوبى شجرة فى الجنة ساقها من ذهب وورقها الحلل وثمرها من كل لون وأغصانها متواليات

فى الجنة وتحتها كسنان المسك والعنبر والزعفران

(شجرة)

ولذلك قرئ ﴿ وحسن ما ب ﴾ بالنصب ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ﴿ ارسلناك في امة قد دخلت من قبلها ﴾ تقدمتها ﴿ ام ﴾ ارسلوا اليهم فليس يبدع ارسالك اليها ﴿ لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك ﴾ وتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك ﴿ وهم يكفرون بالرحن ﴾ وحالهم انهم يكفرون بالبلغ الرحة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدنيوية والدينية عليهم وقيل

شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو ان رجلا ركب فرسا أوحقة أو جذعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبدالله بن المبارك عن الاشعث عن عبدالله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها فتقعي لعبدى عما يشاء فتفق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئها كإيشاء وتفق له عن الراحلة برحلتها وزمامها وهيئها كإيشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقروا ان شئتم وظل ممدود ﴿ وقوله تعالى ﴿ وحسن ما ب ﴾ يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلون ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذلك أرسلناك في امة قد دخلت من قبلها ﴾ ام ﴾ يعني كأرسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك الى امة قد دخلت ومضت ﴿ لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك ﴾ يعني لتقرأ على أمتك الذي اوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين ﴿ وهم يكفرون بالرحن ﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جرير هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح والتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرحن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلة الكذاب اكتب كما كتبت باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحن يعني أنهم ينكرونه ويحسدونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو اليه يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرحن ولا نعرف الرحن الا رحن اليمامة فنزلت هذه الآية وتوكل على الله ولا تدعوا للرحن الا ما تدعوا لافله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحن فقال الله تعالى

(وحسن ما ب) مرجع بالرفع والنصب تدل على محلها (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الا ارسال أرسلناك ارساله شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (في امة قد دخلت من قبلها ام) أى أرسلناك في امة قد تقدمتها ام كثيرة نهى آخر الامم وأنت خاتم الانبياء (لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب والعظيم الذي اوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء انهم يكفرون (بالرحن) بالبلغ الرحة الذي وسعت رحته كل

(وحسن ما ب) المرجع في الجنة (كذلك أرسلناك في امة) يقول هكذا أرسلناك الى امة (قد دخلت) مضت (من قبلها) ام لتتلوا عليهم (الذي اوحينا اليك) أنزلنا اليك جبرائيل به يعني القرآن (وهم يكفرون بالرحن) يقولون ما نعرف الرحن الا مسيلة الكذاب

شيء (قل هوربي) ورب كل شيء (لا اله الا هو) أي هوربي الواحد المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتى عليكم (واليه
متاب) مرجعي فيشيني على { الجزء الثالث عشر } مصابرتكم ٤٩٤ متابي وعقابي وما بى في الحالين يعقوب

(ولوان قرآنا سيرت به
الجبال) عن مقارها
(أو قطعت به الارض) حتى
تتصدع وتتزايد قطعاً (أو
كلم به الموتى) فسمع وتجب
لكان هذا القرآن لكونه
غاية في التذكير ونهاية في
الانذار والتخويف فجواب
لو محذوف أو معناه ولوان
قرآنا وقع به تسيير الجبال
وتقطيع الارض وتكليم
الموتى وتبيينهم لما آمنوا به
ولما تنبهوا عليه كقوله
ولواننازلنا اليهم الملائكة

(قل) الرحمن (هوربي لاله
الاهو عليه توكلت) انكلت
ووثقت (واليه متاب)
المرجع في الآخرة ثم نزل
في شأن عبدالله بن أمية
الخزومي وأصحابه لقولهم
أذهب عنا جبال مكة بقرآتك
وأنبع فيها العميون كما كان
لداود عين القطر بزعمك
وأنتابرج نركب عليها الى
الشام ونجى عليها كما كانت
سليمان بزعمك وأحى موتانا
كما أحيا عيسى ابن مريم بزعمك
فقال الله (ولوان قرآنا) غير
قرآن محمد صلى الله عليه وسلم
(سيرت به الجبال) أذهبت
به الجبال عن وجه الارض

نزات في مشركي اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما للرحن ﴿ قل هو
ربى ﴾ أى الرحن خاتق ومتولى امرى ﴿ لا اله الا هو ﴾ لا مستحق للعبادة سواه ﴿ عليه
توكلت ﴾ في نصرتى عليكم ﴿ واليه متاب ﴾ مرجعي ومرجعكم ﴿ ولوان قرآنا
سيرت به الجبال ﴾ شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد
الكفرة وتصميمهم أى ولوان كتابا عززت به الجبال عن مقارها ﴿ أو قطعت به الارض ﴾
تصدعت من خشية الله عند قراءته أو تشققت فجعلت انهارا وعيونا ﴿ أو كلم به الموتى ﴾ فتقرأه
أو فسمع وتجب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير
والانذار أو لما آمنوا به ولواننازلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سررك
ان تتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تسع لنا فننخذ فيها بساتين وقطائع أو سحر لنا به
الريح لتركها ونجبر الى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فزلات
وعلى هذا فتقطع الارض قطعها بالسحر وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحن وما بينهما اعتراض وتذكير كالم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي

﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ان الرحن الذى أنكرتم معرفته ﴿ هوربي لاله الا هو عليه
توكلت ﴾ يعنى عليه اعتمدت في أمورى كلها ﴿ واليه متاب ﴾ يعنى واليه توجى ورجوعى
﴿ قوله تعالى ﴾ ولوان قرآنا سيرت به الجبال ﴿ الآية نزلت في نفر من مشركي قريش
منهم أبو جهل بن هشام وعبدالله بن أبى أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خاف النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدناهم الى الله عز وجل فقال له
عبدالله بن أبى أمية ان سررك ان تتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح
فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع وتخذ
البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر
لنا الريح لتركها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونزرع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت
فلست باهون على ربك من سليمان أو اوحى لنا جديك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله
عن أمرك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست باهون على الله من عيسى فانزل
الله هذه الآية ولوان قرآنا سيرت به الجبال فذهبت عن وجه الارض ﴿ أو قطعت به
الارض ﴾ يعنى شتقت فجعلت أنهارا وعيونا ﴿ أو كلم به الموتى ﴾ فاحياها واختلفوا
في جواب لوفقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده
وتقديره ولوان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فاقسم لوشى أنا نانا رسوله * سواك ولكن لم نحدك مدفا

أراد لوشى أنا نانا رسوله سواك لردناها وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لوفعل
هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام
وهم يكفرون بالرحن ولوان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى
لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فيهم كما قال ولواننازلنا اليهم الملائكة

(أو قطعت به الارض) أى قصده به البعد (أو كلم به الموتى) أو أحى به الموتى لكان بقرآن محمد صلى الله عليه وسلم (وكلمهم)

الآية (بل لله الامر جميعا)

بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقبل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب

وهو ناعس مستوى السنوات وهذه والله فرية ما فيها سرية (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبيهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تفرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم

(بل لله الامر جميعا) بل الله يفعل ذلك جميعا ان شاء (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) لاكرم الناس كلهم بدنيته (ولا يزال الذين كفروا) بالكتب والرسول يعني كفار مكة (تصيبيهم بما صنعوا) في كفرهم (قارعة) سرية

﴿ بل لله الامر جميعا ﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عن ما تضمنته لوم من معنى النفي أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لان ارادته لم يتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلبس له شكيتهم ويؤيد ذلك قوله ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه أفلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجاعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأبوس منه لا يكون الامعلوما ولذلك علقه بقوله ﴿ ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمخدوف تقديره أفلم يأس الذين آمنوا عن ايمانهم علمانهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبيهم بما صنعوا ﴾ من الكفر وسوء الاعمال ﴿ قارعة ﴾ داهية تفرعهم وتقلعهم

وكلمهم الموت وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى ﴿ بل لله الامر جميعا ﴾ يعنى في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد ألم يأس ألم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب اذ يأسرتي * ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

يعنى ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

ألم يأس الاقوام انى أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشيبة نأبيا

يعنى ألم يعلم الاقوام قال قطرب يئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشيء ويقينك به يئسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع من كلام العرب لا علم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجمعوا على الايمان فقال الله تعالى أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا ﴿ أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ يعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندى ان معناه أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان فى معنى الآية قولين أحدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثانى انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هدايتهم جميعا الخلاق ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبيهم بما صنعوا ﴾ يعنى من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قارعة ﴾ أى نازلة وداهية تفرعهم بانواع البلايا أحيانا سرية

وأولادهم وأموالهم (أوتحل قريبا من دارهم) أوتحل القارة قريبا منهم فيفزعون ويتطايروا عليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيام أو ولا يزال كفار مكة تصيهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارة لان جيش رسول الله { الجزء الثالث عشر } يغير حول ﴿ ٤٩٦ ﴾ مكة ويختطف منهم أوتحل أنت يا محمد

قربا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي لا خلف في مواعده (ولقد استهزى برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) (الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن) (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيداهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسليته (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره وبعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) وقال صاعقة (أوتحل قريبا) أو تنزل مع أصحابك قريبا (من دراهم) من مدينتهم مكة يمسفان (حتى يأتي وعد الله) فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) فتح مكة ويقال البعث بعد الموت (ولقد استهزى

﴿ أوتحل قريبا من دارهم ﴾ فيفزعون منها ويتطايروا عليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فأنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث سرايا عليهم فتغير حوا اليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطا بالرسول عليه الصلاة والسلام فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية ﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾ الموت أو القيامة أو فتح مكة ﴿ ان الله لا يخلف الميعاد ﴾ لا متاع الكذب في كلامه ﴿ ولقد استهزى برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ﴾ تسليته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن ﴿ ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ أي عقابي اياهم ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس ﴾ رقيب عليه ﴿ بما كسبت ﴾ من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ استثناف أو عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية ويجوز

بالجذب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم ﴿ أوتحل ﴾ يعني السرايا أو البلية قريبا من دارهم ﴿ وقيل معناه أوتحل أنت يا محمد قريبا من دارهم ﴾ حتى يأتي وعد الله ﴿ يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعده الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم ﴿ ان الله لا يخلف الميعاد ﴾ والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد استهزى برسل من قبلك ﴿ وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسليته للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزى برسل من قبلك ﴿ فأمليت للذين كفروا ﴾ يعني فأمهلتهم وأطلت لهم المدة ﴿ ثم أخذتهم ﴾ يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ يعني فكيف كان عقابي لهم ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ يعني أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير أو شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان أحسنت ويعاقبها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوا لله شركاء

برسل من قبلك) استهزأ بهم قومهم كما استهزأ بك قومك قريش (فأمليت للذين كفروا) فأمهلتهم للذين كفروا بعد (قل) الاستهزاء (بما كسبتهم) بالعذاب (فكيف كان عقاب) انظر كيف كان تعبيرى عليهم بالعذاب (أفمن هو قائم على كل نفس) يقول الله قائم على حفظ كل نفس (بما كسبت) من الخير والشر والرزق والدفن (وجعلوا لله) وصفوا لله (شركاء) من

أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم ونبؤه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض) على أم المنقطعة أى بل أنتبؤنه بشركاء لا يعلمهم فى الارض ﴿٤٩٧﴾ وهو العالم بما فى السموات {سورة الرعد}

انهم ليسوا بشئ والمراد نفي أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أنتبؤنه بشركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ماتعدون من دونه الأسماء سميتوها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه صدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضل الله

ان يقدر ما يقع خبرا للبندأ ويعطف عليه وجعلوا أى أفن هو بهذه الصفة لم يوجدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبية على أنه المستحق للعبادة وقوله ﴿قل سموهم﴾ تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ﴿أم تنبؤنه﴾ بل أنتبؤنه وقرئ أنتبؤنه بالتخفيف ﴿بما لا يعلم فى الارض﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بلوغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ توبيههم فتحيلوا بأبطال ثم خالوا حقا أو كيدهم للاسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتونين ﴿ومن يضل الله﴾ بخذلانه ﴿فاله من هاد﴾ يوفقه للهدى ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ لشدة ودوامه

قاله من هاد) من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه

﴿قل سموهم﴾ يعنى له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هى أهل لان تعبد ﴿أم تنبؤنه﴾ يعنى أم تخبرون الله ﴿بما لا يعلم فى الارض﴾ يعنى انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون الخلق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعنى أنهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لأصله وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر أحد ان يتصرف فى الوجود الا باذنه فتزين الشيطان ألقاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ﴿ومن يضل الله فماله من هاد﴾ وقوله ﴿وصدوا عن السبيل﴾ قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أى عن الايمان ﴿ومن يضل الله فماله من هاد﴾ الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء فى قراءة أكثر القراء ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ يعنى بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد وأغلظ لأن المشقة غلظ الامر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب

الآلهة يعبدونها (قل) لهم يا محمد (سموهم) سموهم منفعتهم وتديبرهم ان كان لهم شركة مع الله (أم تنبؤنه) أنتبؤنه (بما لا يعلم) بما يعلم أن ليس (فى الارض) أحد ينفع ويضر من دون الله (أم بظاهر من القول) بل باطل من القول والزور والكذب عدوهم (بل زين للذين كفروا) بمحمد صلى الله

عليه وسلم وقرآن (مكرهم) قولهم وفعلهم (قا وحا ٦٣ لث) (وصدوا عن السبيل) صرفوا عن الدين (ومن يضل الله) عن دينه فماله من هاد) من موفى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل يوم بدر (ولعذاب الآخرة أشق) اشد من عذاب الدنيا

(ومالهم من الله من واق) الجزء الثالث عشر { من حافظ } ٤٩٨ ﴿ من عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون)

﴿ ومالهم من الله ﴾ من عذابه أو من رجه ﴿ من واق ﴾ حافظ ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ صفتها التي هي مثل في العرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيدي به أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ على طريقة قولك صفة زيد اسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيدي به حال من العائد المحذوف من الصلاة ﴿ أكلها دائم ﴾ لا ينقطع ثمرها ﴿ وظلها ﴾ أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿ تلك ﴾ أي الجنة الموصوفة ﴿ عقي الذين اتقوا ﴾ ما لهم ومنتهم امرهم ﴿ وعقي الكافرين النار ﴾ لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما نزل اليك ﴾ يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا ربوع بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿ ومن الاحزاب ﴾ يعني كفرتهم الذين تحزبوا على

من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع ﴿ ومالهم من الله ﴾ يعني من عذاب الله ﴿ من واق ﴾ يعني من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ قوله تعالى ﴾ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴿ أي صفة الجنة التي وعد المتقون ﴾ تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم ﴿ لا ينقطع أبدا ﴾ وظلها ﴿ يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهم واصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنهى الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تنفى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الأنا الذي نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من آيتين احدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنحضر هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ﴿ وقوله تعالى ﴾ تلك عقي الذين اتقوا ﴿ يعني ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة ﴿ وعقي الكافرين النار ﴾ يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما نزل اليك ﴿ في المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذين أتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أنهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والخسر بعد الموت يتجدد نزول القرآن ﴿ ومن الاحزاب ﴾ يعني الجماعات الذين تحزبوا

صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجرى من تحتها الأنهار) كاتقول صفة زيد اسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقي الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة عقي تقواهم يعني منتهم امرهم (وعقي الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونجوه ومن النصارى بارض الحبشة (يفرحون بما نزل اليك ومن الاحزاب)

(ومالهم من الله) من عذاب الله (من واق) من مانع ومبجأ يلجئون اليه (مثل الجنة) صفة الجنة (التي وعد المتقون) الكفر والشرك والفواحش (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الأنهار) أشهر الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها دائم) ثمرها دائم لا يفنى (وظلها) دائم لا يخل فيه (تلك) الجنة (عقي) ماوى (الذين تقوا) الكفر والشرك والفواحش (وعقي) ماوى (الكافرين النار والذين آتيناهم) أعطياهم (الكتاب) علم

التوراة عبد الله بن سلام واصحابه (يفرحون بما نزل اليك) من ذكر الرحمن (ومن الاحزاب) يعني اليهود (على)

أى ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه
والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر ﴿ ٤٩٩ ﴾ بعضه) لانهم { سورة الرعد } كانوا لا يتكرون الا قاصيص

وبعض الاحكام والمعاني
ما هو ثابت في كتبهم وكانوا
ينكرون نبوة محمد عليه
الصلاة والسلام وغير
ذلك مما حرفوه وبدلوه
من الشرائع (قل انما أمرت
أن أعبد الله ولا أشرك به)
هو جواب للمنكرين أى
قل انما أمرت فيما أنزل الى
بان أعبد الله ولا أشرك به
فانكاركم له انكار لعبادة
الله وتوحيده فانظروا ماذا
تفكرون مع ادعائكم
وجوب عبادة الله وأن
لا يشرك به (اليه ادعوا)
خصوصا لأدعو الى غيره
(واليه) لالى غيره (مآب)
مرجعي وأتم تقولون مثل
ذلك فلا معنى لانكاركم
(وكذلك أنزلناه) ومثل
ذلك الانزال أنزلناه مأمورا
فيه بعبادة الله وتوحيده
والدعوة اليه والى دينه
والانذار بدار الجزاء (حكما
عربيا) حكمة عربية

(من ينكر بعضه) بعض
القرآن سوى سورة يوسف
وذكر الرحمن ويقال من
الاحزاب يعنى كفار مكة
وغيرهم من ينكر بعضه بعض
القرآن ما فيه ذكر الرحمن

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما ﴿ من ينكر بعضه ﴾ وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يخالف ما حرفوه
منها ﴿ قل انما أمرت ان أعبد الله ولا أشرك به ﴾ جواب للمنكرين أى قل انهم انى أمرت
فيما أنزل الى بان أعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما
ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام وقوى ولا اشرك بالرفع على الاستئناف ﴿ اليه ادعوا ﴾ لالى غيره ﴿ واليه
مآب ﴾ واليه مرجعي للجزاء لالى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما
ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه ﴿ و
كذلك ﴾ ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها ﴿ أنزلناه
حكما ﴾ يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة ﴿ عربيا ﴾ مترجما بلسان العرب

على رسوا لله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى ﴿ من ينكر بعضه ﴾
وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب
ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه * قلت ان الاحزاب
لا يتكرون القرآن بجملة لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله واثبات قدرته
وعلمه وحكمته وهم لا يتكرون ذلك أبدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة
والانجيل والمراد باهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام
وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من
الحبشة وعشرة من سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب
يعنى بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل
كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فبما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل
الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في
التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من
ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية
كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رجلا يمامة يعنون مسيلة
الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من
ينكر بعضه لانهم كانوا لا يتكرون الله وينكرون الرحمن ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ﴿ انما
أمرت أن أعبد الله ﴾ يعنى وحده ﴿ ولا أشرك به ﴾ شيئا ﴿ اليه ادعوا ﴾ أى الى الله
والى الايمان به ادعوا الناس ﴿ واليه مآب ﴾ يعنى مرجعي يوم القيامة ﴿ وكذلك
أنزلناه حكما عربيا ﴾ أى كما أنزلنا الكتاب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد

(يا محمد) انما أمرت ان أعبد الله (مخلصا ولا أشرك به) شيئا (اليه ادعوا) خلقه (واليه مآب) مرجعي في الآخرة
(وكذلك أنزلناه) هكذا أنزلنا جبرائيل بالقرآن (حكما) القرآن كله حكم الله (عربيا) على مجرى لغة العربية

مترجمة بلسان العرب وانتصاه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاركون فيها فقبل (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من الجزء الثالث عشر { العلم } أي بعد ثبوت ﴿ ٥٠٠ ﴾ العلم بالحجج القاطعة والبراهين

الساطعة (مالك من الله من ولي ولا واق) أي لا ينصرك ناصر ولا ينيقك منه واق وهذا من باب التهميج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والافكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسالا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا (وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله) أي ليس في وسعه اتیان الآيات على ما يقترحه قومه وانما ذلك الى الله

(ولئن اتبعت أهواءهم) دينهم وقبلتهم (بعد ما جاءك من العلم) البيان بدين ابراهيم وقبلته (مالك من الله) من عذاب الله (من ولي) قريب ينفعك (ولا واق) لآمانع يمنعك (ولقد أرسلنا رسالا من قبلك) كما أرسلناك (وجعلنا لهم أزواجا) أكثر

ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصاه على الحال ﴿ ولئن اتبعت أهوائهم ﴾ التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها ﴿ بعد ما جاءك من العلم ﴾ بنسخ ذلك ﴿ مالك من الله من ولي ولا واق ﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وموحسم لاطماعتهم وتهيج للمؤمنين على الثبات في دينهم ﴿ ولقد أرسلنا رسالا من قبلك ﴾ بشرا مثلك ﴿ وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ نساء وأولادا كما هي لك ﴿ وما كان لرسول ﴾ وما صح له ولم يكن في وسعه ﴿ ان يأتي بآية ﴾ تقترح عليه وحكم يلتمس منه ﴿ الا باذن الله ﴾

هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرار فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم في الصلاة لبيت المقدس ﴿ بعد ما جاءك من العلم ﴾ يعني بانك على الحق وان قبلك الكعبة هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى ﴿ مالك من الله من ولي ولا واق ﴾ يعني من ناصر ولا حافظ ﴿ قوله تعالى ﴾ ولقد أرسلنا رسالا من قبلك ﴿ روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النساء فمابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة ومعا بوجهه بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسالا من قبلك يا محمد ﴿ وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة حرة وسعمائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لآبيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا في نبوته وكيف يعيرون عليك ذلك ويحملونه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسالا من قبلك يأكلون ويشربون وينسكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينسكحون ﴿ وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ﴾ هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فإلهم أن يقترحوا عليه شيئا واثبان

من أزواجك مثل داود وسليمان (وذرية) أكثر من ذريتك مثل ابراهيم واسحق ويعقوب نزلت هذه الآية (الرسول) في شأن اليهود لقولهم لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن التزوج (وما كان لرسول ان يأتي بآية) بعلامته (الا باذن الله) بامر الله

فانه الملى بذلك ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم ﴿ يحو الله ما يشاء ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿ ويثبت ﴾

الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤوا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاء كتابا قد كتبه فيه ووقنا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل أجل أجل الله كتابا قد أثبتته فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه ﴿ يحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم بأمرهم بخلافه غدا وماسبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقادة يحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ﴿ ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنظفة ثنان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدتها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر أم أنتي فيقضى ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب ارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقال ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص اخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضی الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نظفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغمة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا باربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيا أو الشقي سعيدا وقد صرح في فضل صلة الرحمن ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت «قلت قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحتمل أن يموت قبله أو بعده وهو قوله

(لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته (يحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (ويثبت) بدله ما يشاء أو

(لكل أجل كتاب) لكل كتاب أجل مهلة مقدم ومؤخر (يحو الله ما يشاء) من ديوان الحفظه مالا ثواب ولا عقاب له (ويثبت)

مانتفضيه حكيمته وقيل نحو سيئات النائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يحوم كتاب الحفظه ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أو ثبت مارآه وحده في صميم قلبه وقيل يحوقرنا ويثبت آخر وقيل يحمو الفاسدات ويثبت الكائنات * وقرأ نافع وابن عباس

تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من انها تزيد في العمر باجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعارة أوقانه بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها أنها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا أن يصل رحمه فان وصلها زيدله أربعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يحمو الله ما يشاء ويثبت أى بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقى سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر أيضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعاذ بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحو اذهاب أثر الكتابة وضده الاثبات فن العلماء من حل الآيه على ظاهرها فجعلها عامة في كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمرو بن مسعود فانه ما قال لا يحمو السعادة والشقاوة ويحمو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعاد فابتنى فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فاحنى منها وايتنى في أهل السعاده والمغفرة فانك تحمو ماتشاء ويثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قديقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيميدالى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوى بغير سند * وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيحمو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حل معنى الآيه على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظه يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم فيحمو الله ما يشاء من ديوان الحفظه مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخديس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة

يتركه غير منسوخ أو يحمو
من ديوان الحفظه ما يشاء
ويثبت غيره أو يحمو كفر
التائبين ويثبت ايمانهم
أو يميت من حان أجله
وعكسه ويثبت مدنى
وشامى وحزة وعلى
يترك ما له الثواب والعقاب

(وعنده أم الكتاب) أى
أصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ لان كل كائن
مكتوب فيه (واما نرينك
بعض الذى نعدمه أو
نتوفينك) وكيفما دارت
الحال أرينك مصارعهم
وما وعدناهم من انزال
العذاب عليهم أو توفيناك
قبل ذلك (فانما عليك
البلاغ) فايجب عليك
الاتبليغ الرسالة فحسب
(وعلينا الحساب) وعلينا
حسابهم وجزاؤهم على
أعمالهم لا عليك فلاهمنك
اعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم (أو لم يروا أنا أنأتى
الارض) أرض الكفرة
(نقصها)

(وعنده أم الكتاب)
أصل الكتاب يعنى اللوح
المحفوظ لايزاد فيه ولا ينقص
منه (واما نرينك بعض الذى
نعدمه) من العذاب فى حياتك
(أو نتوفينك) نقبضنك
قبل ان نريك (فانما عليك
البلاغ) التبليغ عن الله
(وعلينا الحساب) الثواب
والعقاب (أو لم يروا) ينظروا
أهل مكة (أنا أنأتى الارض)
نأخذ الارض (نقصها)
نفتحمها لمحمد صلى الله

وحزة والكسأى وثبت بالتشديد ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ أصل الكتاب وهو اللوح
المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ﴿ واما نرينك بعض الذى نعدمه أو
نتوفينك ﴾ وكيف ما دارت الحال ارينك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله ﴿ فانما عليك
البلاغ ﴾ لا غير ﴿ وعلينا الحساب ﴾ للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم فانما نعلنون له وهذا طلائعهم ﴿ أو لم يروا أنا أنأتى الارض ﴾ أرض الكفرة ﴿ ننقصها
الله ثم يود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذى يحجو والذى ثبت هو الرجل يعمل
بطاعة الله ثم يموت وهو فى طاعته فهو الذى ثبت وقال الحسن يحو الله ما يشاء يعنى من
جاء أجله فيذمه ويثبت من لم يجيئ أجله وقال سعيد بن جبير يحو الله ما يشاء من ذنوب
عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقل عكرمة يحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة
ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدى يحو الله ما يشاء يعنى القمرو يثبت الشمس وقال
الربيع هذا فى الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته معاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أبته
ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت فى أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة معاه وأثبت
حكما آخر للسنة المستقبلية وقيل يحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو فى الحن والمصائب
فهى مثبتة فى الكتاب ثم يحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يحو ما يشاء ويثبت ما يشاء
لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير ساقطة
وقد جف القلم عما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو
والاثبات مما جف به القلم وسبقه القدر فلا يحوشى ولا يثبت شيئا الا ما سبق به علمه
فى الازل وعليه يترتب القضاء والقدر

مسئلة

استدلّت الرافضة على مذهبهم فى البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان
يعتد شيئا ثم يظهر له خلاف ما اعتدده وتمسكوا بقوله يحو الله ما يشاء ويثبت * وال جواب
عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلى وهو من لوازم
ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام
فخر الدين الرازى فى تفسير هذه الآية * وقوله تعالى ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ يعنى
أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب
لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد
منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذى
لا يغير شئ منها وروى عطية عن ابن عباس قال ان الله لو حو محفوظا مسيرة خمسمائة عام
من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة تذكه فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه
وما هم عاملون ﴿ واما نرينك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ بعض الذى نعدمه ﴾ يعنى من العذاب
﴿ أو نتوفينك ﴾ يعنى قبل ان نريك ذلك ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ يعنى ايس عليك الاتبليغ
الرسالة اليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ ﴿ وعلينا الحساب ﴾ يعنى وعلينا أن نحاسبهم
يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم * قوله عز وجل ﴿ أو لم يروا أنا أنأتى الارض ننقصها

من اطرافها ﴿ بما نفتح على المسلمين منها ﴾ والله يحكم لامعقب لحكمه ﴿ لا زاد له وحققته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غيره بالاقضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كأن لا يمكن تغييره ومحل

من اطرافها ﴿ يعني أولم يركفار مكة الذين سألو امحدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنا أتى الارض يعنى ارض الشرك نقصها من اطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه قمع دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا أتى الارض ففتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجاعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا أتى الارض فتحربها ونهك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجاعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب النعماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الاسلام لا يسدها شى ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فبلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حتى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يلىق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازى ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يلىق بهذا الموضع وتقديره أن يقال أولم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذى يؤمنهم أن يقبل الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومتهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز ايصال الكلام بما قبله ﴿ قوله وتعالى ﴾ والله يحكم لامعقب لحكمه ﴿ يعنى لا زاد لحكمه ولا ناقض لاقضائه والمعقب هو الذى يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه

من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فنقض دار الحرب ونزید في دار السلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذى جلته ولا تتم بمورا ذلك فحين تكفيك ونتم ما وعدناك من النصر والظفر

(والله يحكم لامعقب لحكمه)

لاراد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشى فيبطله وحققته الذى يعقبه أى يقفبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقف غيره بالاقضاء والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لامعقب لحكمه النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لاعمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا

عليه وسلم (من اطرافها) من نواحيا ويقال هو موت العلماء (والله يحكم) بفتح البلدان وموت العلماء (لا معقب) لا معقب (لحكمه)

(وهو سريع الحساب) فمما قيل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) أي كفسار الامم الخسالة
بانياتهم والمكر اعادة المكروه في خفية ﴿ ٥٥ ﴾ ثم جعل مكرهم { سورة الرعد } كلاما مكر بالاضافة الى مكره

فقال (فقل الله المكر جميعا) ثم
فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب
كل نفس وسيعلم الكفار
لمن عقبي الدار) يعني العاقبة
المحمودة لان من علم ما تكسب
كل نفس وأعد لها جزاءها
فهو المكر كله لانه يأنيهم
من حيث لا يعلمون وهم في
غفلة عما يراد بهم انكافروا على
ارادة الجنس مجازي وأبو عمرو

(ويقول الذين كفروا
لست برسالا) المراد بهم كعب
ابن الاشرف ورؤساء اليهود
قالوا لست برسالا ولهذا
قال عطاء مكية الا
هذه الآية (قل كفي بالله
شهيدي ابني وبينكم) بما أظهر
من الادلة على رسالتي والباء
دخلت على الفاعل وشهيدي

وهو سريع الحساب) شديد
العقاب ويقال اذا حاسب
فحسابه سريع (وقد مكر
الذين من قبلهم)
من قبل أهل مكة مثل
نمرود بن كنعان بن
سبحار بن كوش واصحابه
(فقل الله المكر جميعا) عند الله
عقوبة مكرهم جميعا (يعلم
ما تكسب) يعلم الله ما تكسب
(كل نفس) برة أو فاجرة
من خير أو شر (وسيعلم
الكفار) يعني اليهود وسائر
الكفار (لمن عقبي الدار) يعني

لا يعلم المنفي النصب على الحال أي يحكم نافذا حكمه ﴿ وهو سريع الحساب ﴾ فيحاسبهم
عما قيل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾
بانياتهم والمؤمنين منهم ﴿ فقل الله المكر جميعا ﴾ اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه التادير على
ما هو المقصود منه دون غيره ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ فيعد جزاءها ﴿ وسيعلم الكفار
لمن عقبي الدار ﴾ من الحزين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا
كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبي العاقبة المحمودة مع ما في
الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو والكافر على ارادة الجنس وقرئ
الكافرون والذين كفروا والكفر أي اهله وسيعلم من علمه اذا خبره ﴿ ويقول الذين
كفروا لست برسالا ﴾ قيل المراد بهم رؤساء اليهود ﴿ قل كفي بالله شهيدا ابني وبينكم ﴾

يعقب غيره بالاقضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض
والمنازع لا يتعقب حكمه اذ غيره بتغيير ولا نقض ﴿ وهو سريع الحساب ﴾ قال ابن
عباس يريد سريع الانتقام من حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام
منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب
قبل هذا ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾ يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين
مكروا بانياتهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود
بأبراهيم وفرعون موسى واليهود بميسى ﴿ فقل الله المكر جميعا ﴾ يعني عند الله جزاء مكرهم
وقال الوجودي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه أي هو من خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له
بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا
تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار
مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك
وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من المخلوقين ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾
يعني ان جميع اكتساب العباد وتأثيراتهم معلوم متلله وهو خالقها وخلاف المعلوم تمتنع الوقوع
واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان تمتنع الوقوع واذا
كان كذلك فلا قدرة للبعد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته
وفيه وعيد للكفار الماكرين ﴿ وسيعلم الكافر ﴾ على التوحيد وقرئ ﴿ وسيعلم الكفار
على الجمع قال ابن عباس يعني أبا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة ﴿ لمن
عقبي الدار ﴾ والمعنى انهم وان كانوا اجهالا بالعواقب فيسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم
العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ﴿ قوله تعالى ﴾ ويقول
الذين كفروا لست برسالا ﴿ لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله امره الله بقوله
﴿ قل أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك ﴾ كفي بالله شهيدا ابني وبينكم ﴿

الجنة ويقال الدار التي يوم بدر ولما تكون (قاروا ٦٤ لث) مكة (ويقول الذين كفروا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن اليهود وغيرهم
(لست برسالا) من الله يا محمد والآنما بشهيد يشهد لك فقال الله (قل كفي بالله شهيدا ابني وبينكم) باني رسوله وهذا القرآن كلامه

تيز (ومن عنده علم الكتاب) قبل الجزء الثالث عشر هو الله عز وجل ﴿٥٦﴾ والكتاب الالوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ

ومن عنده علم الكتاب اى
ومن لدنه علم الكتاب لان علم
من علمه من فضله وطفه وقيل
ومن هو من علماء أهل
الكتاب الذين ألبوا لانهم
يشهدون ببعثه في كتبهم وقيل
ابن سلام في نزات هذه
الآية وقيل هو جبريل
عليه السلام ومن في موضع
الحر بالمعنى على لفظ الله
أو في موضع الرفع بالمعنى
على محل الجار والمجرور
اذا التقدير كفى الله وعلم الكتاب
يرتفع بالمعنى في الظرف
فيكون فاعلا لان الظرف
صلة لمن ومن هنا معنى الذى
والتقدير من ثبت عنده علم
الكتاب وهذا لان الظرف
اذا وقع صلة يعمل على الفاعل
نحو صررت بالذى فى الدار
أخوه فآخوه فاعل كما تقول
بالذى استقر فى الدار أخوه
وفى القراءة بكسر ميم من
يرتفع العلم بالابتداء ﴿٥٦﴾ سورة
ابراهيم عليه السلام مكية
اثنتان وخسون آية ﴿٥٦﴾

(ومن عنده علم الكتاب)
يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه
ان قرأت بالنصب ويقال هو
أصف بن برخيا لقوله تعالى
قال الذى عنده علم من الكتاب
ومن عنده من عند الله علم

فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يعنى عن شاهد يشهد عليها ﴿٥٦﴾ ومن عنده علم الكتاب ﴿٥٦﴾
علم القرآن ومما لى عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام واخره أو علم
الالوح المحفوظ وهو الله تعالى أى وكفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعبده فى الالوح المحفوظ
الاهوشهدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويريد به قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر علم الكتاب
وذلك الاول يرتفع بالظرف فانه ﴿٥٦﴾ قد تدلى الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره
وهو متبوعين للثانية وترى ومن عنده علم الكتاب تدلى الحرف والبناء للمفعول عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن
كل صحاب مضى وكل صحاب يكون الى يوم القيامة وبهت يوم القيامة من المؤمن بهت الله تعالى
﴿٥٦﴾ سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخسون آية ﴿٥٦﴾

المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات
القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسل من عند الله ﴿٥٦﴾ ومن عنده علم الكتاب ﴿٥٦﴾ يعنى ومن
عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلافها فى الذى عنده علم الكتاب من
هو فروى العوفى عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود
بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل
الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وانكره من أنكره منهم وقيل انهم مؤمنوا أهل
الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قل فتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشبي هذا وقال هذه
السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم
الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال
الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذى
يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى الالوح المحفوظ الاهوشهدا بينى وبينكم قال الزجاج
الاشبهان الله لا يشهد على صحة حكمه غيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف
وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيد بل يقال شهد بهذا زيد
الفقيد لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والبدال
وهى قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب
ودليل هذه القراءة قوله وعلما من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذى
جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن
الامم الماضية فن علم بهذه الصفة كان شهيدا بينى وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
﴿٥٦﴾ تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل ﴿٥٦﴾

﴿٥٦﴾ الصلاة والسلام ﴿٥٦﴾

﴿٥٦﴾ وهى مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا

الكتاب تبيان القرآن ان قرأت بالخفض وهو الكتاب الذى أنزلناه اليك ﴿٥٦﴾ ومن السورة التى (الى)
يذكر فيها ابراهيم وهى كلها مكية آياتها خسون وكلماتها ثمانمائة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الركناب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه اليك) في موضع الرفع صفة لانكثرة (لتخرج الناس) بدعائك ايهم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (باذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار ﴿٥٠٧﴾ من الاذن الذي {سورة ابراهيم} هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (الى صراط) يدل من النور بتكرير العامل (العزير) الغالب بالانتقام (الحديد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشاحي على هو الله وبالجر غير هما على أنه عطف بيان للعزير الحديد (الذي له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملاك

وما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعدهم الكافرين بالويل وهو تقيض الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك قسنا (ويويل للكافرين من عذاب شديد)

واحد وثلاثون وحرورها ثلاثه آلاف وأربعمئة وأربع وثلاثون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (الر) يقول أنا الله أرى ما تقولون وما تعملون ويقال قسم اقسامه به (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه اليك) أنزلنا اليك جبريل به (لتخرج الناس) لتدعو أهل مكة (من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (باذن

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الركناب﴾ أي هو كتاب ﴿أنزلناه اليك لتخرج الناس﴾ بدعائك ايهم الى ما تضمنه ﴿من الظلمات﴾ من انواع الضلال ﴿الى النور﴾ الى الهدى ﴿باذن ربهم﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج أوحا من فاعله أو مفعوله ﴿الى صراط العزيز الحميد﴾ يدل من قوله الى النور بتكرير العامل أو استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه وإضافة الصراط الى الله تعالى املا له مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتشبيه على انه لا يدل سلبه ولا يجيب سألته ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الارض﴾ على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر والله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزير لانه كالعالم لا يختصه بالمعبود على الحق ﴿ويويل للكافرين من عذاب شديد﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من

الى آخر الآيتين وهي احدى وقيل اثنتان وخسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمئة وثلاثون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الركناب أنزلناه اليك) يعني هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لتخرج الناس من الظلمات الى النور﴾ يعني هذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبث عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صفة جمع وعبث عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا ﴿باذن ربهم﴾ يعني باسم ربهم وقيل بعلم ربهم ﴿الى صراط العزيز الحميد﴾ يعني الى دين الاسلام وهو دينه المسمى اسمه عباده والعزير هو القالب الذي لا يظلم والحميد المحمود على كل حال المستحق للجمع الحميد ﴿الله﴾ قرئ بارفع على الاستئناف وخبره ما بعد، وقرئ بالجر نعتا للعزير الحميد وكان أبو عمرو قراءة الخفض على التثنية والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد ﴿الذي له ما في السموات وما في الارض﴾ يعني ملكا وما فيهما عبيده ﴿ويويل للكافرين﴾ يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما في السموات وما في الارض ﴿من عذاب شديد﴾ يعني معد لهم في الآخرة ثم

ربهم) بأمر ربهم تدعوهم (الى صراط) الى دين (العزير) بالانتمى لمن لا يؤمن به (الحميد) لمن وحده ويقال المحمود في فعاله (الله الذي له ما في السموات وما في الارض) من الخلق والجنائ (ويويل) واد في جهنم من أشدها حرا وأضيقها مكانا وأبعدها قبرا فتقول يارب قد اشتد حري وضاق مكاني وبعد قعري فأذن لي حتى أنتقم ممن عصاك ولا تجعل شيئا ينتقم مني (للكافرين من عذاب شديد) غليظ

وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زيفا واعوجاجا والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك في ضلال بعيد) { الجزء الثالث عشر } عن الحق ﴿ ٥٠٨ ﴾ ووصف الضلال بالبعد من الاسناد

الحجازى والبعد في الحقيقة للضلال لانه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعنى الذين أو هم الذين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الامتكلما بلغتهم (ليين لهم) ما هو ما مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون لهم ما حوطيناه فان قلت ان رسولا صلى الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسننة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسننة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى بالتحسين لانهم أقرب اليه ولانه أبعد من التحريف والتبديل

الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو الهجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطاب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان ووقرى ويصدون من اصدده وهو منقول من صدودا اذا تنكب وليس فصيحاً لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويبغون لها زيفا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أو على انه مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضلال فوصف به فعله للمبالغة أو للامر الذي به الضلال فوصف به ملابسته وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه الاباغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليين لهم ما امروا به فيققهوه عنه يسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه الى غيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولاولونزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السننهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة

وصفهم فقال تمانى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة يصدون عن سبيل الله أي وتمعون الناس عن قبول دين الله ويبغونها عوجا يعني يطلبون الهزيعا وميلا فحذف الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حابدين عن القصد وقيل الهاء في ويبغونها زاجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام أولئك يعني من هذه صفته في ضلال بعيد يعني عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد في ضلال بعيدان الضلال بعد عن الطريق قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ليين لهم يعني ما يأتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه بعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بالسننهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل

(الذين يستحبون الحياة الدنيا) يختارون الدنيا (على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دين (يحتمل) الله وطاعته (ويبغونها عوجا) يطلبونها غيرا (أولئك) الكفار (في ضلال بعيد) عن الحق والهدى ويقال في خطأ بين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) بلغة قومه (ليين لهم) بلغتهم ما أمرهم وما نهاه عنه ويقال بلسان تقدر ان يتعلموا منه

(فضل الله من يشاء) من آثر سبب ﴿ ٥٠٦ ﴾ الضلالة (ويهدى { سورة ابراهيم } من يشاء) من آثر سبب

الاقتداء (وهو العزيز)
فلا يغاب على شديته
(الحكيم) فلا يخذل الا
أهل الخذلان (ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا) التسع (أن
أخرج قومك) (أن أخرج
أرأى أخرج لان الارسال
فيه معنى القول كانه قيل
أرسلناه وقلناه أخرج
قومك (من الظلمات الى
النور وذكرهم بايام الله)
وأندرهم بوقائمه التي
وقعت على الامم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه
أيام العرب لحروبها وملاحجها
أو بايام الانعام حيث ظلم
عليهم الغمام وأنزل عليهم
المن والسلوى وخلق لهم

(فضل الله) عن دينه (من
يشاء) من كان أهلاً لذلك
(ويهدى) لدينه (من يشاء)
من كان أهلاً لذلك (وهو
العزيز) في ملكه وسلطانه
ويقال العزيز بالنعمة لمن لا
يؤمن به (الحكيم) في أمره
وقضائه ويقال الحكيم
بالاضلال والهدى (ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا) التسع
اليد والعصا والظفوفان
والجراد والقمل والضفادع
والدم والسنين ونقص
من الثمرات (ان أخرج
قومك) ان ادع قومك

واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في انساب
القراخ وكدا النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب ووقرى بلسن وهو لغة فيه كرش
ورياش ولسن بضمين وضمة وسكون على الجمع كمدومد وقيل الضمير في قوله لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه
السلام أو كل نبي بلغته المنزل عليهم وذلك برده قوله ليعين لهم فانه ضمير القوم والتوراة
والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب ﴿ فضل الله من يشاء ﴾ فيخذه عن الايمان
﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق له ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يغلب شئ على مشيئته ﴿ الحكيم ﴾
الذي لا يضل ولا يهدى الاحكامه ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ يعنى اليد والعصا
وسائر معجزاته ﴿ ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ بمعنى أى اخرج لان في
الارسال معنى القول أو بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فتصح
ان يوصل به ان الناصبة ﴿ وذكرهم بايام الله ﴾ بوقائمه التي وقعت على الامم الدارجة

يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير
جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكانت
دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحججة عليهم
في ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهمه لمن
يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهله واذا كان الكتاب واحداً بلغة واحدة مع اختلاف الامم
وتباين اللغات كان ذلك أبغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغواضه
وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله ﴿ فضل الله من يشاء ويهدى من
يشاء ﴾ يعنى ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء
﴿ وهو العزيز ﴾ يعنى الذى يغلب ولا يغلب ﴿ الحكيم ﴾ في جميع أفعاله ﴿ قوله عن
وجل ﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴿ المراد بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه
الصلاة والسلام مثل العصا واليد وخلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة بالبحر
﴿ ان أخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ أى أن أخرج قومك بالدعوة من ظلمات
الكفر الى نور الايمان ﴿ وذكرهم بايام الله ﴾ قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد
وقناة يعنى بنم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب
أى بوقائعهم وانما اراد بما كان في أيام الله من النعمة والنعمة فاخبر بذكر الايام عن
ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظمهم بالترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى
من قبلهم ممن آمن بالرسول فيما مضى من الايام والترهيب والوعد ان يذكرهم بأس
الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله وقيل بايام الله في حق موسى أن
يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم
سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين

(من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (وذكرهم بايام الله) بايام عذاب الله ويقال بايام رحمة

البحر (ان في ذلك آيات لكل صبار) على البلايا (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذقال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام { الجزء الثالث عشر } أي انعامه ﴿ ٥١٠ ﴾ عليكم ذلك الوقت أو بدل

اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهناعم الواو والحاصل ان التذبح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب ويسانله وحيث أبنت الواو جعل التذبح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر (ويستحيون نساءكم) وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر

الله (ان في ذلك) فيما ذكرت (لايات) لعلاجات لكل صبار (على الطاعة) شكور (على النعمة) واذقال موسى لقومه (واذقال موسى لقومه بني اسرائيل) اذكروا نعمت الله عليكم (منة الله عليكم) اذ أنجاكم من آل فرعون (من فرعون وقومه القبط) يسومونكم سوء العذاب (عذبونكم بأشد العذاب) (ويذبحون أبناءكم)

رايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ﴿ ان في ذلك آيات لكل صبار شكور ﴾ يصبر على بلائه ويشكر نعمائه فانه اذا سمع بمنزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيهاً على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن ﴿ واذقال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون ﴾ أي اذكروا نعمته وقت انجاء اياكم ويجوز ان ينصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال ﴿ يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ احوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبح ههنا وهو اما جنس العذاب أو استعمالهم بالاعمال الشاقة ﴿ وفي ذلكم ﴾ من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة

﴿ ان في ذلك آيات لكل صبار شكور ﴾ الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله هدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينفع بها البتة ﴿ واذقال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بأيام الله امثال ذلك الامر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا نعمت الله عليكم ﴿ اذ أنجاكم ﴾ من آل فرعون ﴿ يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ﴾ فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بعيرواو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فالفارق وقت انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعمرؤ اذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبح وبالتذبح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لأنه تفسير للعذاب ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ يعني يتكهنن أحياء ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا

صفارا (ويستحيون) يستخدمون (نساءكم) كبارا (وفي ذلكم) في ذبح الابناء واستخدام النساء (بلاء من) (الوجه) ربكم عظيم (بلية من ربكم عظيمة ابتلاءكم بها ويقال وفي ذلكم في انجاء الله لكم بلاء من ربكم عظيم نعمة من ربكم

والخير فنته (واذ تأذن ربكم) أى آذن ونظير تأذن وآذن توعداً وأعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذا آذن ربكم ايذاً نابليفاً تنفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذا قال موسى لقومه اذكروا ﴿ ٥١١ ﴾ نعمة الله { سورة ابراهيم }

ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يابى اسرائيل ما حولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لازيدنكم) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تاهبت للمزيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعة لازيدنكم بالجد في المثوبة (ولئن كفرتم) ما أنعمت به عليكم (ان عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى أما فى الدنيا فسلب النعمة وأما فى العقبى فتوالى النقم (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يابى اسرائيل (ومن فى الارض جميعا) والناس كلهم (فان الله لغنى) عن شكركم (حيد) وان لم يحمدوا الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتوها الخير الذى لا بد لكم منه

عظيمة أنعمكم بها) واذا تأذن ربكم قال ربكم وأعلم ربكم فى الكتاب (لئن شكرتم) بالتوفيق والعصمة والكرامة

﴿ واذا تأذن ربكم ﴾ ايضاً من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعداً واعد غيرانه ابغ للمافى الفعل من معنى الكلف والمبالغة ﴿ لئن شكرتم ﴾ يابى اسرائيل ما أنعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايان والعمل الصالح ﴿ لازيدنكم ﴾ نعمة الى نعمة ﴿ ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ﴾ فعلى اعذبتكم على الكفر ان عذاباً شديداً من عادة اكرم الاكريم ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعد والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه ﴿ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا ﴾ من الثقلين ﴿ فان الله لغنى ﴾ عن شكركم لنعمة ﴿ حيد ﴾ مستحق الحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فاضررتم بالكفر ان الانفسكم حيث حرمتوها مزيد الانعام

الوجه أولى لانه موافق لاول الآيه وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم ﴿ فان قلت هب ان تدبج الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء ﴿ واذا تأذن ربكم ﴾ هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن أى أعلم ولا بد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى افعل كانه قيل واذا آذن ربكم ايذاً نابليفاً تنفي عنده الشكوك وتزاح الشبه والمعنى واذا تأذن ربكم فقال ﴿ لئن شكرتم ﴾ يعنى يابى اسرائيل ما حولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايان الخالص والعمل الصالح ﴿ لازيدنكم ﴾ يعنى نعمة الى نعمة ولا ضائفن لكم ما آيتنكم قيل شكر الموجود وصيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم فى الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واطهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهى ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تتأكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الانفتاح الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله ﴿ ولئن كفرتم ﴾ المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذکور فى مقابلة الشكر ﴿ ان عذابى لشديد ﴾ يعنى لمن كفر نعمتى ولا يشكرها ﴿ وقال موسى ان تكفروا ﴾ يعنى يابى اسرائيل ﴿ أنتم ومن فى الارض جميعا ﴾ يعنى والناس كلهم جميعاً فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم بجرمانها الخير كله ﴿ فان الله لغنى ﴾ يعنى عن جميع خلقه ﴿ حيد ﴾ أى

والنعمة (لازيدنكم) توفيقاً وعصمة وكرامة ونعمة (ولئن كفرتم) بى أو بنعمتى (ان عذابى لشديد) لمن كفر (وقال موسى ان تكفروا) بالله (أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عن ايمانكم (حيد) لمن وحده

وأبتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبابا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضميران يعودان الى الكفرة أى أخذوا أناملهم باسنانهم تجبا أو عضوا عليها تغيظا أو الثاني يعود الى الانبياء أى رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما

(ألم يأتيكم) بأهل مكة (بأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) يعنى قوم هود (وعمود) يعنى قوم صالح (والذين من بعدهم) من بعد قوم صالح قوم شعيب وغيرهم كيف اهلكهم الله عند التكذيب (لا يعلمهم) لا يعلم

وعر ضمتوها للعذاب الشديد ﴿ ألم يأتيكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وعمود ﴾ من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ﴾ جملة وقعت اعتراضا أو الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله. ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه كذب النسابون ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ فعضواها غيظا لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ أو وضعوها عليها تجبا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك أو اسكنا كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وأصرا لهم بالطباق الأفواه أو أشاروا بها الى أسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا نتيه على ان لا جواب لهم سواه أو وردوا في أفواه الانبياء عنونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا

محمود في جميع أفعاله لانه متفضل وعادل ﴿ ألم يأتيكم نبأ ﴾ يعنى خبر ﴿ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وعمود ﴾ قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه المقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم هلاك من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه المقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك أمرا القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم ﴿ والذين من بعدهم ﴾ يعنى من بعد هؤلاء الامم الثلاثة ﴿ لا يعلمهم الا الله ﴾ يعنى لا يعلم كنهه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شىء الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان نفسه أبأبأ الى آدم لانه لا يعلم أولئك الآباء الا الله وقوله تعالى ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ وفي معنى الايدى والأفواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أى كذبتة وقال الكلبي يعنى ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعنى انهم وضعوا الايدى على الأفواه إشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذى غلبه الضحك * القول الثانى ان المراد بالايدي والأفواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم ومعناه ردوا ما لوقبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي

عددهم وعدنانهم أحد (الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات (فردوا أيديهم في أفواههم) (يد) على أفواههم يقول ردوا على الرسل ما جاؤا به ويقال وضعوا أيديهم على أفواههم وقالوا لا نرسل اسكتوا

أرسلوا به (وقالوا) أنا كفرنا بما أرسلتم به وأنا في شك مما تدعوننا إليه من الأيمان بالله والتوحيد (مريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) ﴿٥١٣﴾ أدخلت همزة {سورة ابراهيم} الانكار على الظرف لان

الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وانالفي شك (فاطر السموات والارض يدعوكم)

الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجئ مع من الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب

المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقتين في الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أى

والاسكتهم (وقالوا) للرسول (انا كفرنا) جحدنا (بما أرسلتم به) من الكتاب والتوحيد (وانالفي شك مما تدعوننا إليه) من الكتاب والتوحيد (مريب) ظاهر الشك فيما تقولون (قالت رسلهم أفي الله شك) أفي وحدانية الله شك

وقيل الايدى بمعنى الايدى أى ردوا ايدى الانبياء التي هي مواضعهم وما وحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه ﴿وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم ﴿وانالفي شك مما تدعوننا اليه﴾ من الايمان هو قري تدعوننا بالادغام ﴿مريب﴾ موقع في الريبة أو ذى ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شئ ﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أى انما تدعونكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه و اشار الى ذلك بقوله ﴿فاطر السموات والارض﴾ وهو صفة أو بدل وشك مرتفع بالظرف ﴿يدعونكم﴾ الى الايمان ببعثه ايانا ﴿ليغفر لكم﴾ أو يدعونكم الى المغفرة كقولك دعوتك لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به ﴿من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يحبه دون المظالم وقيل حتى بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيدان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتعجب عن المعاصى ونحو ذلك في تناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى أجل مسمى ﴿الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم﴾ قالوا

يد أى نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيدا اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالكذب وهو أن الائم ردوا على رسلهم ﴿وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به﴾ يعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقرروا بانهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقرروا بان الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين ﴿وانالفي شك مما تدعوننا اليه مريب﴾ يعنى يوجب الريبة أو يوقع في الريبة والتممة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذى يشك فيه فان قلت انهم قالوا أولا انا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانالفي شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك ﴿قالت رسلهم﴾ يعنى مجيبين لامهم ﴿أفي الله شك﴾ يعنى هل تشكون في الله وهو استغهام انكار وانى لما اعتقدوه ﴿فاطر السموات والارض﴾ يعنى وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما ﴿يدعونكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ يعنى ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصى دون مظالم العباد ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ يعنى الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعداب ﴿قالوا﴾ يعنى الائم مجيبين للرسول

(فاطر السموات) خالق السموات (قاو خا ٦٥ لث) (والارض يدعوكم) الى التوبة والتوحيد (ليغفر لكم) بالتوبة والتوحيد (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم) يؤجلكم (بالعذاب) الى أجل مسمى (الى وقت معلوم يعنى الموت) (قالوا) للرسول

القوم (ان أنتم) ما أنتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولافضل لكم علينا فم تخصصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدوا عما كان يعبد آباؤنا) يعنى الاصنام (فأنونا بسلطان مبین) بحجة بينة وقد جاءتهم رسالهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبین آية قد اقترحوها تعنتا ولجأجا (قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم) تساميم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده) بالايان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأنونا بسلطان { الجزء الثالث عشر } بين والمعنى ٥١٤ ﴿ أن الاتيان بالآية التي قد اقترحتوه ليس اليها

ولا في استطاعتنا وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايدائكم الأتري الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) معناه وأى عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هداانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب تولكنا عليه وهو التوفيق لهداية كل مناسيله الذى يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب النوكل طريح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ونصبر على ما آذمتونا) جواب قسم مضمون أى حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يسكوا عن دعائهم ان أنتم) ما أنتم (الابشر) آدمى (مثلنا تريدون ان

ان انتم الابشر مثلنا) لافضل لكم علينا فم تخصصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدوا ناعما كان يعبد آباؤنا ﴿ بهذه الدعوة فأنونا بسلطان مبین ﴾ يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية أو على صحة ادعائكم النبوة كما أنهم لم يعتبروا ماجازاه من البينات والحجج واقترحوها عليهم آية اخرى تعنتوا ولجأجا ﴿ قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده ﴾ سلوا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجح بعض الجزرات على بعض بمشيئة الله تعالى ﴿ وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله ﴾ أى ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتا حتى تأتي بما اقترحتوه وانما هو أمر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصد اوليا الاتري قوله تعالى ﴿ وما لنا الا نتوكل على الله ﴾ أى أى عذر لنا في ان لا نتوكل عليه ﴿ وقد هداانا سبلنا ﴾ التي بهانر فوهو علم ان الامور كلها بيده وقرأ أبو عمر وبالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ﴿ ولنصبرن على ما آذمتونا ﴾ جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من

﴿ ان أنتم ﴾ يعنى ما أنتم ﴿ الابشر مثلنا ﴾ يعنى في الصورة الظاهرة لستم ملائكة ﴿ تريدون ان تصدوا ناعما كان يعبد آباؤنا ﴾ يعنى ما تريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها ﴿ فأنونا بسلطان مبین ﴾ يعنى حجة بينة واضحة على صحة دعواكم ﴿ قالت لهم رسالهم ان نحن الابشر مثلكم ﴾ يعنى ان الكفار لما قالوا الرسالهم ان أنتم الابشر مثلنا قالت لهم رسالهم محبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتهم فحين بشر مثلكم لانكر ذلك ﴿ ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده ﴾ يعنى بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف ﴿ وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله ﴾ يعنى ولس لنا مع ما خصنا الله من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتىكم بآية وبرهان ومجزة تدل على صدقنا الا باذن الله به لنا في ذلك ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يعنى في دفع شرور أعدائهم عنهم ﴿ وما لنا أن لا نتوكل على الله ﴾ يعنى ان الابداء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شئ الا بقضاء الله وقدره فحين نتق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا ﴿ وقد هداانا سبلنا ﴾ يعنى وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد ﴿ ولنصبرن ﴾ اللام القسم تقديره والله لنصبرن ﴿ على ما آذمتونا ﴾

تصدونا) انصرفونا (عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأنونا بسلطان مبین) بكتاب وحجة (قالت لهم رسالهم ان نحن) ما نحن (الابشر) آدمى (مثلكم) يقول خلق مثلكم (ولكن الله يعنى على من يشاء من عباده) بالنبوة والاسلام (وما كان لنا) ما ينبغي لنا (ان نأتىكم بسلطان) بكتاب وحجة (الا باذن الله) بأمر الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول وعلى المؤمنون ان يتوكلوا على الله فقالوا للرسول توكلوا انتم على الله حتى تروا ما يفعل بكم فقالت الرسل (وما لنا الا نتوكل على الله وقد هداانا سبلنا) كرمنا بالنبوة والاسلام (ولنصبرن على ما آذمتونا)

و على الله فليتوكل المتوكلون) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسولهم سبلنا رسلكم
أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أولتعودن فى ملتنا) أى ليكونن أحد الامرين اآرا احكم أو عودكم وحلفوا على
ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو ﴿ ٥١٥ ﴾ كثير فى كلام ﴿ سورة ابراهيم ﴾ العرب أو خاطبوا به كل

رسول ومن آمن معه
فقبلوا فى الخطاب الجماعة

على الواحد (فإوحى اليهم ربهم

لهم لكن الظالمين) القول
مضمر أو أجرى الايحا

مجرى القول لانه ضرب منه
(ولنسكننكم الارض من

بعدهم) أى أرض الظالمين
وديارهم فى الحديث من

أذى جاره ورثه الله داره
(ذلك) الاهلاك والاسكان

أى ذلك الامر حق (لمن
خاف مقامى) موقفى وهو

موقف الحساب أو لمقام
مقحم أو خاف قيامى عليه

بالعلم كقوله أفن هو قائم
على كل نفس بما كسبت

والمعنى ان ذلك حق للمتقين
(وخاف وعيد) عذابى

وبالياء يعقوب (واستفتحوا)
واستنصروا الله على أعدائهم

وهو معطوف على أوحى

فى ابداننا بطاعة الله (وعلى

الله فليتوكل المتوكلون)
فليثق الواثقون (وقال الذين

كفروا لرسولهم لنخرجنكم
من أرضنا) من مدينتنا

(أولتعودن) تدخلن
فى ملتنا) فى ديننا (فإوحى

اليهم) الى الرسل (ربهم) ان اصبروا
(لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم) لنزلنكم (الارض) أرضهم وديارهم

(من بعدهم) من بعدهم (ذلك) التسكين (لمن خاف مقامى) بين يدى (وخاف وعيد) عذابى (واستفتحوا) استنصركم

على الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استجدثوه من
توكلهم المسبب عن ايمانهم ﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن
فى ملتنا ﴾ حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخرجهم للرسول أو عودهم الى ملتهم
وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن
آمن معه فقبلوا الجماعة على الواحد ﴿ فإوحى اليهم ربهم ﴾ أى الى رسلكم ﴿ لنهلكن الظالمين ﴾
على اضممار القول أو اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ﴿ ولنسكننكم الارض من بعدهم ﴾
أى أرضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها ﴿ وقربى ليهلكن وليسكننم بالياء اعتبارا لاوحى كقوله اقسم زيد ليخرجن
﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ﴿ لمن خاف
مقامى ﴾ موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامى عليه وحفظى
لاعماله وقيل المقام مقحم ﴿ وخاف وعيد ﴾ أى وعيدى بالعذاب أو عذابى الموعد للكفار
﴿ واستفتحوا ﴾ سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة

يعنى به من قول أو فعل ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ فان قلت كيف كرر الامر
بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين ﴿ قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل
والتوكل الثانى فيه اشارة الى السمي فى التثبيت على ما استجدثوا من توكلهم واقبائه وادامته
فحصل الفرق بين التوكلين ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من
أرضنا أولتعودن فى ملتنا ﴾ يعنى ليكونن أحد الامرين اما اخرجكم أم الارسال بن بلادنا
وأرضنا واما عودكم فى ملتنا فان قلت هذا يوم بظاهره انهم كانوا على ملتهم فى اول الامر
حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب
وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهر واخلاف أمهم
فلما أرسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوههم الى الله فقاوالهم لتعودن فى ملتنا ظنا منهم انهم كانوا
على ملتهم ثم خالفوهم واجاع الامة على ان الرسل من أول الامر اعانوا على التوحيد لا يعرفون
غيره ﴿ فإوحى اليهم ربهم ﴾ يعنى ان الله تعالى أوحى الى رسلكم وأبديته بعدهم هذه المخاطبات
والمحاورات ﴿ لنهلكن الظالمين ﴾ يعنى ان عاقبة أمرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ﴿ ولنسكننكم
الارض من بعدهم ﴾ يعنى من بعد هلاكهم ﴿ ذلك ﴾ يعنى ذلك الاسكان ﴿ لمن
خاف مقامى ﴾ يعنى خاف مقامه بين يدى يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان
العرب قد تضيف أفعالها الى أنفسها كقولهم ندمت على ضربى اياك وندمت على
ضربك مثله ﴿ وخاف وعيد ﴾ أى وخاف عذابى ﴿ قوله عن وجل ﴾ واستفتحوا ﴿
يعنى واستنصروا قال ابن عباس يعنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء
الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أمهم وذلك انهم لما

اليهم) الى الرسل (ربهم) ان اصبروا (لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم) لنزلنكم (الارض) أرضهم وديارهم
(من بعدهم) من بعدهم (ذلك) التسكين (لمن خاف مقامى) بين يدى (وخاف وعيد) عذابى (واستفتحوا) استنصركم

على الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استجدثوه من
توكلهم المسبب عن ايمانهم ﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن
فى ملتنا ﴾ حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخرجهم للرسول أو عودهم الى ملتهم
وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن
آمن معه فقبلوا الجماعة على الواحد ﴿ فإوحى اليهم ربهم ﴾ أى الى رسلكم ﴿ لنهلكن الظالمين ﴾
على اضممار القول أو اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ﴿ ولنسكننكم الارض من بعدهم ﴾
أى أرضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها ﴿ وقربى ليهلكن وليسكننم بالياء اعتبارا لاوحى كقوله اقسم زيد ليخرجن
﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ﴿ لمن خاف
مقامى ﴾ موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامى عليه وحفظى
لاعماله وقيل المقام مقحم ﴿ وخاف وعيد ﴾ أى وعيدى بالعذاب أو عذابى الموعد للكفار
﴿ واستفتحوا ﴾ سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة

كقوله ربنا اقم بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فارحي والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفرقيين فان كلهم سألوه ان ينصر الحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامراء عطا على لئلهلكن وخاب كل جبار عنيد أي ففتح اليهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم أي من بين يديه فانه مراد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوا رى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيفه ولا يقارب ان يسيفه فكيف يسيفه بل يعص به فيطول عذابه والسوغ جواز

أيسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعداب وخاب يعني وخسر وقيل هالك كل جبار عنيد والجبار في صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه أحد او قيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانسه قال مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأتي أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو الموجب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف من ورائهم جهنم هي أمامه وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعني أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني أنه سيأتيك ويسقى يعني في جهنم من ماء صديد وهو ما سال من الجلود اللحم من القبح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكفار وهو قوله يتجرعه أي يتحساه ويشربه لاجرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكرهته وتنته ولا يكاد يسيفه أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الحلق اذا سهل اخذاره فيد قال بعض المفسرين ان يكاد صالمة والمعنى يتجرعه ولا يسيفه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمباغاة يعني ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الاساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسيفه أي يسيفه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أي قت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصله وقال ابن عباس معناه لا يجزيه وقيل معناه يكاد لا يسيفه ويسيفه فعلى في جوفه عن أبي أمامة قرضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حيماء فقطع أمعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها وقوله تعالى

فانصروا ووظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى (من ماء صديد) ما يسيل من جلود أهل النار و صديد عطف بيان لماء لانه مهم فبين بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيفه) ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الاساعة كقوله لم يكدرها أي لم

قوم على نبيهم (وخاب كل جبار) خسر عند الدعاء من النصره كل متكبر ختال (عنيد) معرض عن الحق والهدى (من ورائه) من قدام هذا الجبار بعد الموت (جهنم) ويسقى من ماء صديد مما

يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفضيح لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وما هو عيت) لانه لومات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب ﴿ ٥١٧ ﴾ غليظ) أى { سورة ابراهيم } فى كل وقت يستقبله يتلقى

عذابا أشد مما قبله وأغلظ
وعن الفضيل هو قطع
الانفاس وحبسها فى
الاجساد (مثل الذين)
متبدأ محذوف الخبر أى فيما
يتلى عليكم مثل الذين
(كفروا بربهم) والمثل
مستعار للصفة التى فيها غرابة
وقوله (أعمالهم كرماد)
جملة مستأنفة على تقدير
سؤال سائل يقول كيف
مثلهم فقيل أعمالهم كرماد
(اشتدت به الريح) الرياح

مدنى (فى يوم عاصف) جعل
العصف لليوم وهو لما فيه
وهو الريح كقولك يوم ماطر
وأعمال الكفرة المكارم التى
كانت لهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء
الاسرى وعقر الابل للاضياف
وغير ذلك شبهها فى
حبوطها لبنائها على غير
أساس وهو الايمان بالله
تعالى برماد طيرته الريح

(ويأتيه الموت) غم الموت
(من كل مكان) من تحت
كل شعرة ويقال تأخذه
النار من كل مكان من كل
ناحية (وما هو عيت) من ذلك

الشراب على الحاق بسهولة وقبول نفس ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان ﴾ أى اسبابه
من الشدائد فحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره
وابهام رجله ﴿ وما هو عيت ﴾ فيستريح ﴿ ومن ورائه ﴾ ومن بين يديه ﴿ عذاب
غليظ ﴾ أى يستقبل فى كل وقت عذابا اشدهما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل
حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى
هو المطر فى سنينهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فنجب رجاءهم فلم يسقهم واوعدهم
ان يسقيهم فى جهنم بدل سقيهم صديداهل النار ﴿ مثل الذين كفروا بربهم ﴾ مبتدأ
خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة أو قوله ﴿ أعمالهم كرماد ﴾
وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد
﴿ اشتدت به الريح ﴾ جلته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح ﴿ فى يوم عاصف ﴾
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صناعتهم
من الصدقة وصلاة الرحم واغائة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها
وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه به اليه أو أعمالهم

﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو عيت ﴾ يعنى ان الكافر يجادل الموت وشدته من كل مكان
من أعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من
قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو عيت فيستريح وقال
ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرتة فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه
فتنفعه الحياة ﴿ ومن ورائه ﴾ يعنى أمامه ﴿ عذاب غليظ ﴾ أى شديد قيل هو الخلود
فى النار ﴿ قوله تعالى ﴾ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم
عاصف ﴿ هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيويه
تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى فيها
غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال
أعمالهم كرماد وقال المفسرون والقراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا
على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد
كقولك فى صفة زيد عرضة مصون وماله مبذول والرماد مروف وهو ما يسقط من الخطب
والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعنى فنسفته وطيرته ولم تبق منه شياً فى
يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه
كقولك يوم بارد وحر وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر توجد فيهما وقيل معناه
فى يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب به الله تعالى
لاعمال الكفار التى لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو

العذاب (ومن ورائه) من بعد الصديد (عذاب غليظ) شديد أشد من الصديد (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) يقول
مثل أعمال الذين كفروا بربهم (كرماد اشتدت) ذرت (به الريح فى يوم عاصف) قاصف شديد من الريح

العاصف (لا يقدر) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له اثر من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الصواب (الم تر) ألم تعلم الخطاب نكل أحد { الجزء الثالث عشر } (أن الله خلق السماوات والارض) خالق مضافا

جزءه وعلى (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على اعدام الموجود ويجاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر (وبرزوا لله جميعا) وبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر به عن

(لا يقدر) مما كسبوا على شيء (يقول لا يجدون ثواب كالا يوجد من الرماد شيء اذا ذرته الريح (ذلك) الكفر والعمل لغير الله (هو الضلال البعيد) الخطأ البعيد عن الحق والهدى (الم تر) ألم تخبر يا محمد مخاطب بذلك نبيه واراد به قومه (ان الله خلق السموات والارض بالحق) لبيان الحق والباطل ويقال للزوال والفتناء (ان يشأ يذهبكم) يهلككم أو يميتكم يأهل مكة) ويأت بخلق

للانصاف برما طيرته الريح العاصفة (لا يقدر) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) لحبوطه فلا يرون له اثر من الثواب وهو فذللك التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسابهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية في البعد عن طريق الحق (الم تر) خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلويح (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ جزء والكسائي خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطباع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يتمتع عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر أو متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد جاء ثوابه وخوفه من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فليل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الانصاف التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسارتهم أنهم أنعموا بأبدانهم في الدهر الطويل لكي ينفعوا بها فصارت وبالاعليم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الرياح وصار هباء لا ينفع به وهو قوله تعالى (لا يقدر) مما كسبوا (يعنى في الدنيا) على شيء (يعنى من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم وفي الآخرة) ذلك هو الضلال البعيد (يعنى ذلك الحسرة الكبر لان أعمالهم ضلت وهلك فلا يرجع عودها والبعيد هنا الذي لا يرجع عوده) ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق (يعنى لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعنى أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعنى سواكم أطوع الله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم واماتهم ويجاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يميتكم يا معشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعنى بمتعذر لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جدت وعظمت قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا)

جديد) يخلق خلقا آخر خيرا منكم وأطوع الله (وما ذلك على الله بعزيز) بشديد يقول ليس على الله بشديد (يعنى) أن يهلككم ويخلق خلقا آخر (وبرزوا لله) خرجوا من القبور بامر الله (جميعا)

وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد نحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرزه انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلما ان الله لا تخفى عليه خافية وأخرجوا من قبورهم فبرزوا والحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيملها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة ﴿٥١٩﴾ والرؤساء الذين ﴿١﴾ سورة ابراهيم استنووهم وصدوهم

عن الاستماع الى الانبياء وأتباعهم (انا كنا لكم تبعاً) تابعين جمع تابع على سبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ومن الاولى للتدين والثانية للتبعض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أو هما للتبعض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان

أى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه ﴿فقال الضعفاء﴾ الاتباع جميع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيملها الى الواو ﴿للذين استكبروا﴾ لرؤسائهم الذين استبعوهم واستغووهم ﴿انا كنا لكم تبعاً﴾ في تكذيب الرسل والاعراض عن نصحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أو مصدر نعت به للبايعة أو على اضمار مضاف ﴿فهل أنتم مغنون عنا﴾ دافعون عنا ﴿من عذاب الله من شيء﴾ من الاولى لليان واقعة موقع الحال والثانية للتبعض واقعة موقع المفعول أى بعض الشيء الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز ان تكونا للتبعض أى بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب ماسبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولاً والثانية مصدراً أى فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء ﴿قالوا﴾ أى الذين استكبروا جواباً عن معاتبه الاتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم ﴿لو هدانا الله للايمان ووفقنا له﴾ ولكن ضلنا فاضلنا كم أى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهدينا كم واغنياكم عنكم كما عرضنا لكم له لكن سدد دوننا طريق الخلاص ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر

يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى القضاء وأورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكأن لمحالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود ﴿فقال الضعفاء﴾ يعنى الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم القادة والرؤساء ﴿انا كنا لكم تبعاً﴾ يعنى في الدين والاعتقاد ﴿فهل أنتم﴾ يعنى في هذا اليوم ﴿مغنون عنا﴾ يعنى دافعون عنا ﴿من عذاب الله من شيء﴾ من هنا للتبعض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا ﴿قالوا﴾ يعنى الرؤساء والقادة والمتبعون للتابعين ﴿لو هدانا الله لهدينا كم﴾ يعنى لو أُرشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم الى الضلالة ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ يعنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن

طريق النجاة كما سلكتناكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى انهم يقولون في النار تعالوا بالجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا يفهمهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا يفهمهم

العادة والسفلة (فقال الضعفاء) السفلة (للذين استكبروا) عن الايمان وهم القادة (انا كنا لكم تبعاً) مطيعاً فيما أمرتمونا (فهل أنتم مغنون) حاملون (عنا من عذاب الله من شيء) شيئاً من عذاب الله (قالوا) يعنى القادة (لو هدانا الله) لدينه (لهديناكم) لدعوناكم الى دينه (سواء علينا) العذاب (أجزعنا) أضلنا وتضرعنا (أم صبرنا) سكتنا

الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون { الجزء الثالث عشر } أنفسهم واياهم ﴿ ٥٢٠ ﴾ لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا

﴿ مالنا من محيص ﴾ منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو محتمل ان يكون مكانا كالليت ومصدرا كالغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا ﴿ وقال الشيطان لما قضى الامر ﴾ احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيا في اشقياء من الثقلين ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ وعدا من حقه ان ينجز أو وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ﴿ ووعدتكم ﴾ وعد الباطل وهو ان لا يبعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم ﴿ فاخلفتكم ﴾ جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ تسلط فالجحيم الى الكفر والمعاصي ﴿ الا ان دعوتكم ﴾ الادعائى اياكم البهاتسولى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه

لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطع عنه ﴿ مالنا من محيص ﴾ يعنى من مهرب ولا منجى مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظى بلغنى ان اهل النار يستغيثون بالجزنة كما قال الله تعالى وقال الذين في النار لجزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الجزنة عليهم وقالوا ألم تك تأتينا برسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الجزنة وقالوا ادعوا ومادعاء الكافرين الا في ضلال فلما يتسوا مما عند الجزنة نادوا يا مالك ليقتض علينا ربك سألو الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كالع سنة مما تمدون ثم يجيبهم بقوله انكم ما كنون فلما يتسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال الشيطان ﴿ يعنى ابليس ﴾ لما قضى الامر ﴿ يعنى لما فرغ منه وأدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يأخذ اهل النار في لوم ابليس وتقريره وتوبيخه فيقولون فيها خطيا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع عليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله ﴿ ان الله وعدكم وعد الحق ﴾ فيه اضمحار تقديره فصدق في وعده ﴿ ووعدتكم ﴾ فأخلفتكم ﴿ يعنى الوعد وقيل يقول لهم انى قلت لكم لا بعث ولا الجنة ولا نار ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به ﴿ الا ان دعوتكم ﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم

مجتعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبخ ولا فائدة في الجزع كالفائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضى الامر) حكم بالجنة والنار لاهليهما وفرغ من الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بان لا يبعث ولا حساب ولا جزاء (فاخلفتكم) كذبتكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا ان دعوتكم) لكنى دعوتكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس (مالنا من محيص) من مغيث وملجأ (وقال الشيطان) يقول الشيطان وهو ابليس

(لما قضى الامر) أدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيقول لاهل النار في النار (ان الله وعدكم وعد الحق) (فاستجبتم) ان الجنة والنار والبعث والحساب والميزان والصراف حق (ووعدتكم) ان لا الجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ولا ميزان ولا صراف (فاخلفتكم) كذبت لكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من حجة وعذر ومقدرة (الا ان دعوتكم) الى طاعتي

السلطان (فاستجيت لي) فاسرعتم اجابتي (فلان لوموني) لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى امر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابيكم من الجنة (ولوموا انفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله أي الى الايمان لهديناكم كما مر (ما انا بمصرخكم وما انا بتمصرخي) لا ينبغي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة بمصرخي حزة اتباعا للخفاء غيره بفتح الياء لثلاث تجتمع الكسرة والياء ان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع ﴿ ٥٢١ ﴾ والثانية ضمير ﴿ سورة ابراهيم ﴾ المتكلم (اني كفرت بما اشر كتمون) وبالياء بصرى

على طريقة قوله
 ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعاً ﴿ فاستجيت لي ﴾ اسرعتم اجابتي ﴿ فلان لوموني ﴾ بوسوستي فان من صرح للعداوة لا يلام بامثال ذلك ﴿ ولوموا انفسكم ﴾ حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لمادعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ﴿ ما انا بمصرخكم ﴾ بغيثكم من العذاب ﴿ وما انا بتمصرخي ﴾ بغيثي وقرأ حزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل حرف فوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتك وحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿ اني كفرت بما اشر كتموني من قبل ﴾ ما انا مصدرية ومن متعلقة باشر كتموني أي كفرت اليوم باشر اكتم اي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستفكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخر كن لنا ومن متعلقة بكفرت أي كفرت بالذي اشر كتمونه وهو الله تعالى بطاعتكم اي اي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشر اكتم حين رددت امره بالسجود لا دم عليه الصلاة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ﴿ ان الظالمين لهم عذاب اليم ﴾ تمة كلامه وابتداء وهو الله عز وجل تقول اشر كني فلان أي جعلني له شريكاً ومعنى اشر اكتم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزنيه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين

تحيمة بينهم ضرب وجيع

﴿ فاستجيت لي فلان لوموني ولوموا انفسكم ﴾ يعني ما كان مني الا الدعاء واللقاء الوسوسة وقد سمتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا قولي فلما رجعت قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم اولي باجابتي ومتابعي من غير حجة ولا دليل ﴿ ما انا بمصرخكم ﴾ يعني بغيثكم ولا منقذكم ﴿ وما انا بتمصرخي ﴾ يعني بغيثي ولا منقذي مما انا فيه ﴿ اني كفرت بما اشر كتمون من قبل ﴾ يعني كفرت بجعلكم اي اي شريكاً له في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحداً بما يتقدمه الكفار فيه من كونه شريكاً لله وتبرأ من ذلك ﴿ ان الظالمين لهم عذاب اليم ﴾ روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي

لهم عذاب اليم) قول الله عز وجل (قا و خا ٦٦ لث) وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً

لهم عذاب اليم) طاعتي (فلان لوموني) في دعوتي لكم (ولوموا انفسكم) باجابتي اي اي (ما انا بمصرخكم) بغيثكم ومنجيكم من النار (وما انا بتمصرخي) بغيثي ومنجي من النار (اني كفرت بما اشر كتموني) بالذي اشر كتموني به (من قبل) ان اشر كتموني به ويقال اني كفرت اليوم بما اشر كتموني يقول تبرأت منكم ومن دينكم واجابتكم من قبل هذا من قبل في الدنيا (ان الظالمين الكافرين) لهم عذاب اليم

لهم عذاب اليم) قول الله عز وجل (قا و خا ٦٦ لث) وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً

كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وابقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم ﴿ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم ﴾ باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله ﴿ تحييتهم فيها سلام ﴾ أى تحييتهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴾ كيف اعتمله ووضع ﴿ كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفحتها أو خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة وان تكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء

صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى فيأذن الله لى ان أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شهما أحد حتى أتى ربي فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى الظهر قدى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضلنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شهما أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية ﴿ وقوله تعالى ﴾ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دأمة أشير اليه بقوله ﴿ خالدين فيها ﴾ والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله ﴿ باذن ربهم ﴾ لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه الثانى قوله ﴿ تحييتهم فيها سلام ﴾ فيحتمل ان بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييتهم بها والرب سبحانه وتعالى يحييتهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴿ لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترأى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلاى اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وبدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترأى الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شها والمثل عبارة عن قول فى شىء يشبهه قولاً فى شىء آخر بينهما مشابة لتبين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر لتشبيهه شىء بشىء آخر ﴿ كلمة طيبة ﴾ هى قول لاله الا الله فى قول ابن عباس وجهور المفسرين ﴿ كشجرة طيبة ﴾ يعنى كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن

خالد بن زيد (عطف على برزوا (باذن ربهم) متعلق بادخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأخره (تحيتهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) أى وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب بضمير أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كسماه حلة ووجه على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضمرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيبة

وجميع بخاص وجعه الى قلوبهم (وادخل الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجربى من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والصل واللبن (خالد بن زيد) مقيم فيها (باذن ربهم) بأمر ربهم (تحيتهم) كرامتهم (فيها) فى الجنة (سلام) يسلم بعضهم على بعض اذا تلاقوا (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) يقول كيف بين الله صفة كلمة طيبة وهى لاله الا الله (كشجرة طيبة) وهى المؤمن (مسعود)

(أصلها ثابت) أى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء) والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الاركان وكان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملا للمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا ولكن الاشجار ﴿ ٥٢٣ ﴾ لاتراد { سورة ابراهيم } اللثمار فمأقوات النار الا

من الاشجار اذا اعتادت الاخفار فى عهد الثمار والشجرة كل شجرة مشمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور

على انها النخلة فمن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادي وكنت صيا فوقع فى قلبى انها النخلة فهبت رسول الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة فقال عمر يا بنى لو كنت قلبها لكنت أحب الى من حمر النعم (توتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت ووقته الله لا ثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها

(أصلها ثابت) يقول قلب المؤمن المخلص ثابت بلا اله الا الله (وفرعها فى السماء) يقول بها يقبل عمل المؤمن المخلص (توتى أكلها كل حين) يقول يعمل المؤمن المخلص كل حين طاعة لله

﴿ أصلها ثابت ﴾ فى الارض ضارب بعروقه فيها ﴿ وفرعها ﴾ واعلاها ﴿ فى السماء ﴾ ويجوز ان يريد وفرعها أى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لا كتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاوّل على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ ﴿ توتى أكلها ﴾ تعطى ثمرها ﴿ كل حين ﴾ ووقته الله تعالى لا ثمارها ﴿ باذن ربها ﴾

مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرونى عن شجرة شبه الرجل أو قال الرجل المسلم لا يتجمل ورقها توتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة قال فلما قلنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها النخلة فقال ما منعك ان تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت ان أنكلم أو أقول شيئاً فقال عمر لان تكون قلبها أحب الى من كذا وكذا . وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادي قال عبدالله بن عمر ووقع فى نفسى انها النخلة فاستحييت ان أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهى يا رسول الله قال هى النخلة . وفى رواية عن ابن عباس انها شجرة فى الجنة . وفى رواية أخرى عنه انها المؤمن ﴿ وقوله ﴾ أصلها ثابت ﴿ يعنى فى الارض ﴾ وفرعها ﴿ يعنى أعلاها ﴾ فى السماء ﴿ يعنى ذاهبة فى السماء ﴾ توتى أكلها ﴿ يعنى ثمرها ﴾ كل حين باذن ربها ﴿ يعنى بامر ربها والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقادة والحسن ستة أشهر يعنى من وقت طلوعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال على بن أبى طالب ثمانية أشهر يعنى ان مدة جلها باطنا وظاهرا ثمانية أشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور جلها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت أن يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعنى غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلانهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجار والطلع والبلج والحلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فاكلها دائم فى كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه . أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت فى قلب المؤمن كشبوت أصل النخلة فى الارض . الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه

وخيرا (باذن ربها) يقول بامر ربها ويقال صفة كلمة طيبة فى النفع والمصلحة كشجرة طيبة وهى النخلة شجرة طيبة ثمرها كذلك المؤمن أصلها ثابت يقول أصل الشجرة ثابت فى الأرض بعروقه فكذلك المؤمن ثابت بالحجة والبرهان وفرعها فى السماء يقول أغصان النخلة ترفع نحو السماء وكذلك عمل المؤمن المخلص يرفع الى السماء توتى أكلها كل حين يقول تجزئها كل ستة أشهر باذن ربها

وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة { الجزء الثالث عشر } الكفر (كشجرة ﴿ ٥٢٤ ﴾ خبيثة) هي كل شجرة لا يطيب

ثمرها وفي الحديث انها شجرة الخنظل (اجتثت من فوق الارض) استؤصلت جثها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجنة كلها وهو في مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أي استقرار يقال قرار الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (ثبت الله الذين آمنوا) أي يديهم

بارادة ربهما فكذلك المؤمن اخلص يعمل كل حين طاعة وخيرا بأمر ربه (ويضرب الله الامثال) هكذا بين الله الامثال صفة توحيد (لناس لعلهم يتذكرون) لكي يتعظوا ويرغبوا في توحيد في قول الله جل ذكره (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك بالله (كشجرة خبيثة) وهو المشرك يقول المشرك مذموم ليس له مدحة كما ان المشرك مذموم ليس له مدحة ويقال كشجرة خبيثة وهي الخنظلة ليس لها منفعة ولا حلاوة فكذلك الشرك ليس فيه منفعة ولا مدحة (اجتثت)

بارادة خالقها وتكوينه ﴿ ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحسن ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة ﴾ كمثل شجرة ﴿ خبيثة اجتثت ﴾ استؤصلت واخذت جثها بالكلية ﴿ من فوق الارض ﴾ لان عروقها قريبة منه ﴿ مالها من قرار ﴾ استقرار واختلاف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق واهل المراد بهما ما يعنى ذلك فالكلمة الطيبة ما عرّب عن حق أو دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالخنظة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبثية بالخنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعنى ذلك ﴿ ثبت الله الذين آمنوا

يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركاتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غاب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالأدمى بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقي بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ﴿ يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصويرا للمعاني وتذكيرا ومواعظ لمن تذكروا وتعظ ﴿ قوله تعالى ﴾ ومثل كلمة خبيثة ﴿ وهو الشرك ﴾ كشجرة خبيثة ﴿ يعني الخنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء ﴿ اجتثت ﴾ يعني استؤصلت وقطعت ﴿ من فوق الارض مالها من قرار ﴾ يعني مال هذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة ﴿ عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هي الخنظلة أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ثبت الله الذين آمنوا

اقتلعت (من فوق الارض مالها من قرار) من ثبات على وجه الارض كذلك المشرك ليس له حجة يأخذ بها كان (بالقول) ليس لشجرة الخنظلة أصل تثبت عليه ولا يقبل مع الشرك عمل (ثبت الله الذين آمنوا)

بالبقول الثابت ﴿ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ﴾ ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ فلا يزالون اذا افتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود ﴿ وفي الآخرة ﴾ فلا يتلثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم احوال يوم القيامة وروى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه جسده فيأتيه ملكان فيجاسانه في قبره ويقولان له من

بالبقول الثابت ﴿ لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين ﴿ وقوله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ يعني في القبر عند السؤال ﴿ وفي الآخرة ﴾ يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ﴿ ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم ﴿ق﴾ عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدها فيةقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسخ له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المناق في رواية واما الكافر فيقول لأدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا نلت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صيحة يسمعهما من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه يفسخ له في قبره سبعون ذراعا ويمأ عليه خضرا الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمناق اذا وضع في قبره أتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لأدرى فيقال له لا دريت ولا نلت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصبح صيحة يسمعهما الخلق غير الثقلين

عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (في الحياة الدنيا) حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزالوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه

بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال آمنوا يوم الميثاق بطيبة الانفس وهم أهل السعادة (بالقول الثابت) شهادة أن لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) لكي لا يرجعوا عنها (وفي الآخرة)

ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول

وأخرجه النسائى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أنه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يرقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التسمى عليه فلتتم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير ويديه عودينكت به فى الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تمودوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفى رواية يأتية ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له وما دينك فيقول دنى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وأمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوا له من الجنة واقبحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مدبره وان كان الكافر فذكر موته قال فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاهاه لا أدري فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار واقبحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد فى رواية ثم يقبض له أعمى أبكم أصم معه مرتبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصارت رابا فيضربه بها ضربة يسسمها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقب عليه وقال استغفروا لآخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن ثمامة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل

ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا وم جيداً ثم نومة العروس يعنى فى القبر اذا سئل عنها

مواقف الفتن وتذل أقدامهم
 أول شيء وهم في الآخرة
 أضل وأزل (ويضلل الله ما
 يشاء) فلا اعتراض عليه في
 تثبيت المؤمنين واضلال
 الظالمين (ألم تر إلى الذين بدلوا
 نعمت الله) أي شكر نعمته الله
 (كفرا) لان شكرها الذي
 وجب عليهم وضعوا مكانه
 كفر افكانهم غيروا الشكر
 الى الكفر وبدلوه تبديلا
 وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد
 عليه السلام فكفروا ونعمة الله
 بدل ما لمزمهم من الشكر
 (وأحلوا قومهم) الذين
 تابعوهم على الكفر
 (دار البوار) دار الهلاك
 (ويضل الله) يصرف الله
 (الظالمين) المشركين عن قول
 لاله الا الله في الدنيا لكي
 لا يقولوا بطيبة النفس ولا
 في القبور ولا اذا أخرجوا
 من القبور وهم أهل
 الشقاوة (ويضلل الله
 ما يشاء) من الاضلال
 والتثبيت ويقال من صرف
 منكر ونكير (ألم تر) ألم تخبر
 يا محمد (إلى الذين) عن الذين
 (بدلوا نعمت الله) غيروا منة
 الله بالكتاب والرسول
 (كفرا) بالكفر أي كفروا
 بمحمد عليه السلام والقرآن
 وهم بنو أمية وبنو المغيرة
 المطعمون يوم بدر (وأحلوا

الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلوا أنفسهم بالاعتصام على التقليد فلا يهدتدون
 الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال
 آخرين من غير اعتراض عليه ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا أي شكر نعمته
 كفرا بان وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا هاسلت منهم فصاروا
 تاركين لها محضين الكفر بدلها كاهل مكة خلفتهم الله تعالى واسكنهم حرمة وجعلهم
 قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا
 ذلك فمحقطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة
 موصوفين بالكفرة وعن عمرو على رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة
 وبنو أمية فامابنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر واما بنو أمية فقتلوا الى حين واحلوا
 قومهم الذين شايعهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر

ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذوا وكذا فاقبل بوجهه
 وقال ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله
 وفيه فاذا أمانت فلا تصحبنى نائمة ولا نار فاذا دفتموني فشنوا على التراب شنائم أقيموا حول
 قبرى قدر ما تخرج جزور ويقسم لهما حتى استأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى أخرجه
 مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في
 القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحجم لهافن كانت مواظبته
 على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من
 قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع
 حركاته وسكناته فعمل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص
 التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله
 التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شيء
 قدير وقوله تعالى ويضل الله الظالمين يعنى ان الله تعالى لا يهدى المشركين
 الى الجواب بالصواب في القبر ويفعل الله ما يشاء يعنى من التوفيق والخذلان
 والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يستل عما يفعل وهم
 يسئلون قوله عز وجل ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا (خ) عن ابن
 عباس في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم
 والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم واحلوا
 قومهم دار البوار قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجزوا
 يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما
 بنو المغيرة فقد كفيتهم يوم بدر واما بنو أمية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله
 كفرا معناه ان الله تعالى لما نعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وأزل
 عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان

قومهم) انزلوا أهل مكة (دار البوار) دار الهلاك يعنى دار بدر ويقال جهنم ثم قال

(جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة أو في التسمية (ليضلوا عن سبيله) ويقع الياء مكى وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا والمراد به الخلدان والتخلية وقال ذو النون التمتع ان يقضى العبد ما استطاع من الجزء الثالث عشر شهوته (فان مصيركم) ﴿ ٥٢٨ ﴾ الى النار (مرجعكم اليها) قل لعبادي

الذين آمنوا (خصهم بالاضافة اليه تشريفا ويسكون الياء شامى وجزءة وعلى والاعشى) يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم (المقول محذوف لان قل تقتضى مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدير ليقموا ولينفقوا المحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء محذف

﴿ جهنم ﴾ عطف بيان لها ﴿ يصلونها ﴾ حال منها أو من القوم أى داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم ﴿ وبئس القرار ﴾ أى وبئس المقر جهنم ﴿ وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله ﴾ الذى هو التوحيد * وقراً ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الأنداد ولكن لما كان تبيخته جعل كالتعرض ﴿ قل تمتعوا ﴾ بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فانها من قبيل الشهوات التى تمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ائذان بان المهديد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهديد به وان الامرين كأنان لا محالة ولذلك علله بقوله ﴿ فان مصيركم الى النار ﴾ وان المخاطب لانها ما كفى كالمأمور به من أمر مطاع ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا ﴾ خصهم بالاضافة تنويها لهم وتبنيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه أى قل لعبادى الذين آمنوا أقيموا الصلاة وانفقوا ﴿ يقيموا الصلوة وينفقوا مآرزقناهم ﴾ فيكون ائذانا بانهم افترط مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجبه له ويجوز ان يقدر باللام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله

محمد فقد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وانفقوا قائلين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا ﴿ سرا وعلائية ﴾ منتصبان على المصدر أى انفاق سرا وعلائية أو على الحال أى ذوى سرا وعلائية أو على الظرف أى وقتى

اللام لم يحز (سرا وعلائية) انتصبا على الحال أى ذوى سرا وعلائية يعنى مسرين ومعلنين وعلى الظرف أى وقتى سرا وعلائية أو على المصدر أى انفاق سرا وانفاق علائية والمعنى اخفاء التطوع وعلان الواجب

وغير وانعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدوا شكر نعمة الله عليهم كفرها لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أو ابالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعنى من تبهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعنى دار الهلاك ثم فسرهما بقوله تعالى ﴿ جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ يعنى المستقر ﴿ وجعلوا لله أندادا ﴾ يعنى أمثالا وأشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيهه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبه والمثل علوا كبيرا ﴿ ليضلوا عن سبيله ﴾ يعنى ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق ﴿ قل تمتعوا ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا فى الدنيا أياما قلائل ﴿ فان مصيركم الى النار ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ قوله تعالى ﴾ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة ﴿ يعنى أقيموا اوليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها تمام أركانها ﴿ وينفقوا مما رزقناهم ﴾ قيل أراد به انفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الانفاق فى جميع وجوه الخير والبر ووجهه على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق فى جميع وجوه البر ﴿ سرا وعلائية ﴾ يعنى ينفقون أموالهم فى حال السر وحال العلانية

(جهنم يصلونها) يدخلونها يوم القيامة (وبئس القرار) المنزل والمصير جهنم (وجعلوا لله قالوا) ووصفوا الله (أندادا) أعدا لامن الاوثان فعبدها (ليضلوا) بذلك (عن سبيله) عن دينه وطاعته (قل) يا محمد

لاهل مكة (تمتعوا) عيشوا فى كفركم (فان مصيركم الى النار) يوم القيامة (قل) يا محمد (لعبادى الذين آمنوا) بى (وقيل) وبالكتب والرسول (يقيموا الصلوة) الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها فى ووقيتها (وينفقوا) يتصدقوا (مآرزقناهم) ما أعطيناهم من الاموال (سرا) خفيا (وعلائية) جهرا

(من قبل أن يأتي يوم لا بيع

فيه ولا خلال) أي لا انتفاع فيه بعبادة ولا مخالفة ولا خلال المخالفة وإنما ينتفع فيه بالانتفاع لوجه الله بفهمهما مكي وبصرى والباقون بالرفع والتثوين (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأُنزل من السماء ماء) من السحاب مطراً (فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم

الانهار

وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه) لافداء فيه (ولا خلال) لا مخالفة للكافر والصالح تنفعه خلقته ثم وحد نفسه فقال (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء) مطراً (فاخرج به) فأنبت بالمطر (من الثمرات) من ألوان الثمرات (رزقاً لكم) طعاماً لكم ولسائر الخلق (وسخر) ذلل (لكم الفلك) يعني السفن (لتجري) الفلك (في البحر بأمره) بإذنه واراادته (وسخر) ذلل (لكم الانهار)

تجري حيث تشاؤون

سر وعلانية والاحباء اعلان الواجب واخفاء المتطوع به ﴿ من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به نفسه ﴿ ولا خلال ﴾ ولا مخالفة فيشفع لك خليلك أو من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بعبادة ولا مخالفة وإنما ينتفع فيه بالانتفاع لوجه الله تعالى ﴿ وقرأ ابن كثير وابوعرو ويهقوب بالفتح فيهما على النفي العام ﴾ الله الذي خلق السموات والارض ﴿ مبتدأ وخبر ﴾ وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴿ تعيشون به وهو يشمل المطعم والملبوس مفعول لا اخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلقة والمصدر لان اخرج في معنى رزق ﴿ وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ﴾ بمشيئته الى حيث توجهتم ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقبل تسخير هذه الاشياء تعليم

وقيل أراد بالسردقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لافداء في ذلك اليوم ﴿ ولا خلال ﴾ يعني ولا خلة وهو المودة والصدقة التي تكون مخالفة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالفة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراها أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوالاً مختلفة فني بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالفة لله في محبته ﴿ قوله عز وجل ﴾ الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴿ اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكرها بعض فوائدها هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذي لا يجزئه شيء أرادته فقوله تعالى الله الذي خلق السموات وارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقاً لكم والثراسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضاً بدليل قوله كلوا من ثمرة اذا أنعم وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات ﴿ وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلاد الى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده ﴿ وسخر لكم الانهار ﴾ يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي بدأبان في - يرها وانارتهما ودرهما الظلمات واصلاحهم ما يصلحان من الارض { الجزء الثالث عشر { والابدان والنبات ﴿ ٥٣٠ ﴾ (وسخر لكم الليل والنهار)

يتعاقبات خلفه لما شكم وسباتكم (وآناكم من كل ماسألتوه) من للتبعض أي آناكم بعض جميع ماسألتوه أو آناكم من كل شيء سألتموه ومالم تسألوه فاموصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرايل تقيمكم الحر من كل عن أبي عمرو وماسألتوه في وعمله النصب على الحال أي آناكم من جميع ذلك غير سائلين وما موصولة أي وآناكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجال وأما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان ظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من بوجدان منه (وسخر لكم) ذلك لكم (الشمس والقمر دائبين) دائمين الى يوم القيامة (وسخر) ذلك

كيفية اتخاذها ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ بدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم ﴿ وآناكم من كل ماسألتوه ﴾ أي بعض جميع ماسألتوه يعني من كل شيء سألتموه شيئاً فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقاً بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل أو لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول ووقرى من كل بالتونين أي وآناكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتوه بلسان الحال ويجوز ان تكون مانافية في موقع الحال أي وآناكم من كل شيء غير سائلين ﴿ وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ لا تحصرها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلاً عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ ان الانسان ظلوم ﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها ويظلم نفسه بان يعرضها للحرمان ﴿ كفار ﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع

كان ماء البحر لا ينفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب أيضاً ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ الدأب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائماً فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دأبها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه بدأبان في طاعة الله أي في سيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ﴾ يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم ﴿ وآناكم من كل ماسألتوه ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآناكم من كل ماسألتوه شيئاً فحذف شيئاً كفاء بدلالة الكلام على التبعض وقيل هو على التكثر يعني وآناكم من كل شيء سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى ﴿ وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرتها ﴿ ان الانسان ﴾ قال ابن عباس يريد اباً جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصده الكافر ﴿ ظلوم كفار ﴾ يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم

(لكم الليل والنهار) يحى ويذهب (وآناكم) أعطاكم (من كل ماسألتوه) ومالم تحسبوا ان تسألوا (وان تعدوا نعمت) (عليه) الله منة الله (لا تحصوها) لا تحفظوها ولا تشكروها (ان الانسان) يعني الكافر (ظلوم) مشرك (كفار) كافر بالله وبنعمته

﴿ واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلداً بلدة مكية ﴾ ﴿ آمننا ﴾ ﴿ ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلداً آمنان المسؤل في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمناً في الثاني جعله من البلاد الآمنة ﴾ ﴿ واجنبتى وبنى ﴾ ﴿ بعدنى واياهم ﴾ ﴿ ان نعبد الاصنام ﴾ ﴿ واجعلنا منها فى جانب ﴾ ﴿ وقرى ﴾ ﴿ واجنبتى وهم على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء توفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهرة لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجابه وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا

عليه فيضع الشكر في غير موضعه ككفار جمود نعلم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها ككفار شديد الكفر ان لها وقيل ظلوم في الشدة يشكوك ويحزع ككفار في النعمة يجمع وينع ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلداً آمناً ﴾ ﴿ يعنى ذا أمن يؤمن فيه واراد بالبلد مكية فان قلت أى فرق بين قوله اجعل هذا بلداً آمناً وبين قوله اجعل هذا البلد آمناً قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثانى أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً ﴿ واجنبتى ﴾ ﴿ وبنى ﴾ ﴿ أى بنتى وأدنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أى ثبتنا على الاسلام ﴾ ﴿ وبنى ﴾ ﴿ اراد بنيه من صلبه ﴾ ﴿ ان نعبد الاصنام ﴾ ﴿ من أن نعبد الاصنام

لمافرغ من بناء الكعبة دعاه هذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الحراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة أو ورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة أخرج جاء في الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلداً آمناً يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تمارض بين النصين الوجه الثانى أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اقتص أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كأخبار الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة آمن على نفسه وماله من ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلها انه لا يهجمها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرما

(واذا قال ابراهيم)
 اذ قال ابراهيم (رب اجعل
 هذا البلد) أى ببلد الحرام
 (آمننا) ذا أمن والفرق
 بين هذه وبين ما فى البقرة
 انه قد سأل فيها أن يجعله
 من جملة البلدان التى يأمن
 أهلها وفى الثانى أن يخرج
 من صفة الخوف الى الامن كأنه
 قال هو بلد مخوف فاجعله
 آمناً (واجنبتى) وبنى
 أى بنتى وأدنى على اجتناب
 عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين
 لك أى ثبتنا على الاسلام
 ﴾ ﴿ وبنى ﴾ ﴿ اراد بنيه من صلبه ﴾ ﴿ ان
 نعبد الاصنام ﴾ ﴿ من أن نعبد
 الاصنام

(واذا قال) وقد قال
 (ابراهيم) بعد ما بنى البيت
 (رب) يا رب (اجعل هذا
 البلد) مكة (آمننا) من ان
 يهاج فيه ويأمن فيه الخائف
 (واجنبتى) احفظنى (وبنى
 أن نعبد الاصنام) من عبادة
 الاصنام والنيران ويقال
 اعصمى

حرفه هو بمنزلة ﴿ رب انهن اضلن كثيرا من الناس ﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعدت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا ﴿ فن تبغى ﴾ على ديني ﴿ فانه مني ﴾ أي بعضي لا ينفك عنى فى امر الدين ﴿ ومن عصانى فانك غفور رحيم ﴾ تقدر ان تغفر له وترجه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ﴿ ربنا انى اسكنت من ذريتى ﴾ أي بعض ذريتى أو ذرية من ذريتى فحذف المفعول

هو أما الجواب عن الوجه الثانى فن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتشيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس و اظهار العجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورجته وان أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لابنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لابنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صمقاط الوجه الثانى انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن ابراهيم عليه السلام قد أوجب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن أذن الله أن يدعوه فكأنه قال ونبي الذين أذنت لى فى الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بينه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال فى آخر الآية ﴿ فن تبغى فانه منى وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى ﴿ رب انهن ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اضلن كثيرا من الناس ﴾ وهذا مجاز لان الاصنام جادات وحجارة لا تعقل شيأ حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتوبها واعتروا بسببها ﴿ فن تبغى فانه منى ﴾ يعنى فن تبغى على ديني واعتقادى فانه منى يعنى المتدينين بدىنى المتمسكين بحبلى كما قال الشاعر اذا حاولت فى أسد فجورا فانى لست منك ولست منى

أراد لست من المتمسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكمى جار مجراى فى القرب والاختصاص ﴿ ومن عصانى ﴾ يعنى فى غير الدين ﴿ فانك غفور رحيم ﴾ قال السدى ومن عصانى ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصانى فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصانى فخالفنى فى بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابيويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف أنهم غير مغفور لهم ابتداء منهم ما الوجه الآخر ومن عصانى باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفر له وترجه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم ﴾ ربنا انى أسكنت من ذريتى

(رب انهن اضلن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسييب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن اضلنهم (فن تبغى) على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلى (فانه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى (ومن عصانى) فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصانى عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا انى أسكنت من ذريتى) بعض أولادى وهم اسماعيل ومن ولدته

(رب) يارب (انهن) اضلن كثيرا من الناس أى اضل بهن كثير من الناس ويقال ضل بهن كثير من الناس (فن تبغى) تبغى دينى وأطاعنى (فانه منى) على دينى (ومن عصانى) فخالف دينى (فانك غفور) متجاوزا ن تاب منهم أى يتوب عليهم (رحيم) لمن مات على التوبة (ربنا) انزلت (انى أسكنت) (من ذريتى) اسماعيل وأمه هاجر

وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم ﴿١٠﴾ بواد غيرذى زرع ﴿١١﴾ معنى وادى مكة فانه بحجرية لا تبت ﴿١٢﴾ عند بيتك المحرم ﴿١٣﴾ الذى حرمت التعرض له والتهاور به اولم يزل معظما ممنا تهابه الجبارة اود منع منه الطوفان فليستول عليه ولذلك سمي عتيقا أى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فغارت عليهما فولدت منه اسمعيل عليه السلام فنشده ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فظاهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طورا فقالوا لا طير الا طير الاعلى الماء فقصدوه فرأواهما وعندهما

بواد غيرذى زرع عند بيتك المحرم ﴿١٤﴾ (خ) عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقتا تعنى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بهاماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فبعثته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه ايس ولا شئ فقالت له ذلك مزارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يصعبنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتي بواد غيرذى زرع حتى يبلغ بشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نضد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم ترا أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم ترا أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صد ترديد نفسها ثم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه تقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء فى سقاها وهو يفور بعدما تعرف وفى رواية قدر ما تعرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم برحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بينه هذا العلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتبه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طراعا ثقا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء اعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا وجريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس

(بواد) هو وادى مكة
(غيرذى زرع) لا يكون
فيه شئ من زرع قط (عند
بيتك المحرم) هو بيت الله
سمى به لانه تعالى حرم
التعرض له والتهاون به
وجعل ما حوله حراما لمسكناه
أولانه لم يزل ممنعا بها كل
جبار أولانه محترم عظيم
الحرمة لا يحل انتهاكها أولانه
حرم على الطوفان أى منع
منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه

(بواد) فى واد غير
ذى زرع (ليس به زرع ولا
نبات) عند بيتك المحرم
يعنى مكة

عين فقالوا أشركينا في ما نك نشارك في الباننا ففعلت ﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام
لام كي وهي متعلقة باسكنت أي ما اسكنتهم بهذا الوادي البقع من كل مرتفق ومرتق
الاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانها المقصودة
بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها ﴿ فاجعل أفئدة
من الناس ﴾ أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبويض ولذلك قيل لوقال أفئدة الناس
لازدحت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب منى
سقيم أي أفئدة ناس ﴿ وقرأ هشام أفئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ أفئدة وهو
يحتمل ان يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدور وان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة
اذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفئدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخر اجها
بين بين ويجوز ان يكون من أفند ﴿ تهوى اليهم ﴾ تسرع اليهم شوقا وودادا ﴿ وقرئ

قال النبي صلى الله عليه وسلم قالني ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى
أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنسهم
وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجه بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد
ما تزوج اسمعيل بطالع تركته أخرجه البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله
في تفسير سورة البقرة ﴿ وأما تفسير الآية فقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي من للتبويض أي
بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع لانه واديين
جبلين جبل أبي قبيس وجبل احياد وهو وادي مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه
يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبارة فلم ينالوه بسوء وحرم
التعرض له والتهاون به وبجرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على
الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزأربن له محرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة
لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لانه أعنتق من الجبارة ومن الطوفان ﴿ فان قلت كيف قال عند بيتك
المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحمثل ان الله عز وجل أوحى اليه
وأعلمه أن له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم
وقيل يحمثل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحمثل
أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علك أنه سيحدث في هذا المكان
﴿ ربنا ليقموا الصلوة ﴾ اللام في ليقموا متعلقة باسكنت يعني أسكنت قوما من ذريتي
وهم اسمعيل واولاده بهذا الوادي الذي لازرع فيه ليقموا أي لاجل أن يقيموا
أولكي يقيموا الصلاة ﴿ فاجعل أفئدة من الناس ﴾ وقال البغوي جمع الوفد ﴿ تهوى
اليهم ﴾ تحن وتشتاق اليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال
ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلماذا جعله جمع فؤاد قال
ابن الانباري وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب

(ربنا ليقموا الصلوة) اللام
متعلقة باسكنت أي ما
أسكنتهم بهذا الوادي البقع
الالقيموا الصلاة عند بيتك
المحرم ويعمره بذلك
وعبادك (فاجعل أفئدة
من الناس) أفئدة من أفئدة
الناس و من للتبويض لما
روى عن مجاهد لوقال
أفئدة الناس لزاحتكم
عليه فارس والروم والترك
والهند أو للابتداء كقولك
القلب منى سقيم تريد قلبي
فكاه قيل أفئدة ناس
ونكرت المضاف اليه في
هذا التمثيل لتذكير أفئدة
لانها في الآية نكرة ليتناول
بعض الافئدة (تهوى اليهم)
تسرع اليهم من البلاد
الشاسعة وتطير نحوهم شوقا
(رنا) يارنا (ليقموا
الصلوة) لكي يقيموا
الصلاة نحو الكعبة (فاجعل
أفئدة من الناس) قلوب
بعض الناس (تهوى اليهم)
تشتاق وتزغ اليهم كل سنة

تهوى على البناء للمفعول من هوى السيد واهواه غيره وتهوى من هوى هوى اذا احب
وتعديته بالي لتضمين معنى الزرع * وارزقهم من الثمرات * مع سكناهم واديا لالنبات
فيه * اعلمهم يشكرون * تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا
يجي اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربعية والصفية والخريفية في يوم
واحد * ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن * تعلم سرنا كما تعلم علنا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطنب لكننا ندعوك اظهارا لعبوديتك
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من
التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمباغلة في التضرع واللجاء الى الله تعالى
* وما يخفي على الله من شئ في الارض ولا في السماء * لان العالم بعل ذاتي يستوى نسبتته

والفؤاد جارحتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع افئدة فجعلهما جارحة
واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبويض قال مجاهد لو قال افئدة الناس لزاما
فارس وروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لمحت اليهود والنصارى والمجوس
ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هوى هوى
هويا اذا سقط من علو الى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا
هوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانبارى معناه تخط
اليهم وتحمدر وتنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال
ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان أن حنين
الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعتنائهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج
البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بانهم ينتفعون بمن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت
فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أمرالدين والدنيا مآظهر بيانه وعمت
بركاته * وارزقهم من الثمرات * يعنى كآرزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع
فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد
جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجي اليه ثمرات
كل شئ * وقوله تعالى اعلمهم يشكرون * يعنى اعلمهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها
عليهم وقيل معناه اعلمهم بوحودك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما
هو ليستعان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات * ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن * يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما
يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك
اظهارا لعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذلالا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه
تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث اسكنتهما بواد غير ذى ررع وما نعلن
يعنى من البكاء وقيل ما نخفي يعنى من الحزن المتمكن فى القلب وما نعلن يعنى ماجرى
بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلمنا قال
الى الله قالت اذا لا يصعبنا * وما يخفي على الله من شئ في الارض ولا فى السماء * قيل

(وارزقهم من الثمرات)
مع سكناهم واديا ما فيه
شئ منها بان تجلب اليهم من
البلاد الشاسعة (اعلمهم
يشكرون) النعمة في أن
يرزقوا أنواع الثمرات
في وادليس فيه شجر ولأما
(ربنا) النداء المكرر دليل
التضرع واللجأ الى الله
(انك تعلم ما نخفي وما نعلن)
تعلم السر كما تعلم العلن (وما
يخفي على الله من شئ في
الارض ولا فى السماء) من
كلام الله عز وجل تصديقا
لابراهيم عليه السلام أو من
كلام ابراهيم ومن الاستغراق
كانه قيل وما يخفي على الله

(وارزقهم من الثمرات)
من ألوان الثمرات (اعلمهم
يشكرون) لكن يشكروا
نعمتك (ربنا) ياربنا (انك
تعلم ما نخفي) من حب اسماعيل
(وما نعلن) من حب اسحق
ويقال ما نخفي من وجد
اسمعيل وما نعلن من الجفاهله
(وما يخفي على الله من شئ)
من عمل خير أو شر
(فى الارض ولا فى السماء)

شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الخال أي وهب لي وأنا كبير (اسماعيل واسحق) روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين } الجزء الثالث عشر وانما ذكر حال ﴿ ٥٣٦ ﴾ الكبير لان المنة هبة الولد فيها أعظم

الى كل معلوم ومن الاستغراق ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ﴾ أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واطهارا لما فيها من آياته ﴿ اسمعيل واسحق ﴾ روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ﴿ ان ربي لسميع الدعاء ﴾ أي لحييه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتدبه وهو من ابنة المبالغة العاملة على الفعل اضيف الى مفعوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بأنه دعاربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤاله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واحلاها ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ﴾ معدلا لها مواظبا عليها ﴿ ومن ذريتي ﴾ عطف على المنصوب في اجعلني والتبويض لعلمه باعلام

هذا من تمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الا كثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ﴾ قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم واسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من أعظم المنن لانه من اليأس من الولد فلماذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسمعيل بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عند مباشر باسمعيل وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه هبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا ماورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لان الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله رب اني أسكنت من ذريتي الى قوله لهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال ﴿ ان ربي لسميع الدعاء ﴾ كان ابراهيم عليه السلام قد دعاربه وسأل الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فمند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتدبه وقبله ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ﴾ يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها ﴿ ومن ذريتي ﴾ أي واجعل من ذريتي ممن يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتبويض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه

لانها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل انعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربي لسميع الدعاء) محجب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حده وكان قد دعاربه وسأل الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته واطافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيويه فعلا في جملة ابنة المبالغة العاملة على الفعل كقولك هذا راحم أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفها على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة

(الحمد لله) الشكر لله (الذي وهب لي على الكبر) بعد الكبر (اسمعيل واسحق) وكان ابن مائة سنة وامرأته (قد) سارة بنت تسع وتسعين سنة حيث ولد هما (ان ربي لسميع الدعاء) محجب الدعاء (رب) يارب (اجعلني مقيم الصلاة) متم الصلاة (ومن ذريتي) أيضا يقول اكرمني وأكرم

(ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكى واقفه أبو عمرو وحزة في الوصل الباقرن بلاياء أى استجب دعائى أو عبادتى وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴿ ٥٣٧ ﴾ (ربنا اغفرلى ولوالدى) {سورة ابراهيم} أى آدم وحواء أو قاله قبل

النهى والياس عن ايمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أى ثبت أو أسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا مثل وأسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسليية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تتيته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخرو كاجاء فى الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايدان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شىء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون

ذرىتى باتمام الصلاة (ربنا) يا ربنا (وتقبل دعائى) عبادتى (ربنا) يا ربنا (اغفرلى) ذنوبى (ولووالدى) لآبائى المؤمنين (وللمؤمنين) وللسائر المؤمنين (المؤمنات) (يوم يقوم

الله أو استقرأ عاده فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ واستجب دعائى أو وتقبل عبادتى ﴿ ربنا اغفرلى ولوالدى ﴾ وفرى لأبوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء ﴿ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ ثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تتيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لاحالة أو لكل من توههم

قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذرىتى وأراد بهم المؤمنين من ذريته ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه ﴿ ربنا اغفرلى ﴾ فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فوجه طلب المغفرة له * قلت المقصود منه الاتجاه الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شىء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والانكال على رحته ﴿ ولووالدى ﴾ * فان قلت كيف استغفر ابراهيم لا يوبد وكانا كافرين * قلت اراد انهما ان اسما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعاها وقيل اراد بوالديه آدم وحواء ﴿ وللمؤمنين ﴾ يعنى واغفر للمؤمنين كلهم ﴿ يوم يقوم الحساب ﴾ يعنى يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليه ابراهيم عليه السلام فيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴿ الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترى الانسان من قلة التحفظ والتهيظ وهذا فى حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم فيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة العاقل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسليية للمظلوم وتهديد للظالم * فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون * قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه

الحساب) يوم يكون الحساب وتقوم الحسنة (قاو خا ٦٨ ا٦) والسيئة فمن زادت لها الحسنة وجبت لها الجنة ومن زادت لها السيئة وجبت له النار ومن استوت له حسنة وسيئة فهو من أصحاب الاعراف (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) يقول تارك عقوبة

غفلته جهلا بصفاته واعترا بامهاله وقيل انه تسلية للظلم وتهديد للظالم ﴿ انما يؤخرهم ﴾ يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ﴿ ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ أى تشخص فيه ابصارهم فلا تقر فى اماكنهما من هول ماترى ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين الى الداعى أو مقبائين بابصارهم لا يظرقون هيبه وخوفا واصل الكلمه هو الاقبال على الشئ ﴿ مقبى رؤسهم ﴾ رافعها ﴿ لا يرتد اليهم طرفهم ﴾ بل بقيت عيونهم شاخصه لا تطرف أولاي رجع اليهم نظره فيظرون الى انفسهم ﴿ وأفندتهم هواء ﴾ خلاء أى خالية عن الفهم لفرط الخيره والدهشه ومنه يقل الاحق والحبان قلبه هواء أى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق ﴿ وانذر الناس ﴾ يا محمد ﴿ يوم يأتيهم العذاب ﴾ يعنى يوم القيامة أو يوم الموت

وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى اثبتوا على ما أتمت عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالتهي عن حسبان غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبته معاملهم معامله الغافل عنهم ولكن يعاملهم معامله الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجمله بصفاته ﴿ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ يقال تشخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحين لا يظرفهما وشخص البصر يدل على الخيره والدهشه من هول ماترى فى ذلك اليوم ﴿ مهطعين ﴾ قال قتادة مسرعين وهذا قول أبى عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتافين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيه ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فاخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخصو الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعى وقيل المهطع الخاضع للذليل الساكت ﴿ مقبى رؤسهم ﴾ الاقتاع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يظرق بصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى ﴿ لا يرتد اليهم طرفهم ﴾ أى لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهى شاخصه لا يرتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم ﴿ وأفندتهم هواء ﴾ أى خالية قل قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآيه ان أفندتهم خالية فارغة لاتبقى شئ ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد ابن جبير وأفندتهم هواء أى مترددة تهوى فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآيه ان القلوب يومئذ انله عن أماكنها وابصار شاخصه والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشده ﴿ وانذر الناس ﴾ يعنى وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يوم يأتيهم العذاب

أبصارهم لا تقر فى أماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى (مقبى رؤسهم) رافعها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظره فيظرون الى انفسهم (وأفندتهم هواء) صفر من الخير لاتبقى شئ من الخوف والهواء الخلاء

الذى لم تشغله الاجرام فوصفه فقيل قاب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا اجراء وقيل جوف لا عقول لهم (وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذر لا ظرف اذا لانذار لا يكون

ما يعمل المشركون (انما يؤخرهم) يؤجلهم (ايوم تشخص فيه الابصار) أبصار الكفار وهو يوم القيامة (مهطعين) مسرعين قاصدين ناظرين الى الداعى (مقبى رؤسهم) مطأطئ رؤسهم ويقال رافعى رؤسهم ويقال ماضى أعناقهم (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم ابصارهم من الهول والفرع (وأفندتهم) قلوبهم (هواء) خالية من كل خير ويقال لعائده ولا خارجة (وانذر

الناس) خوف أهل مكة بالقرآن (يوم يأتيهم العذاب) من يوم يأتيهم العذاب وهو يوم بدر ويقال (فيقول)

في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أى الكفار (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك وتبع الرسل) أى ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وجد من الزمان قريب نندارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) أى حلفتم في الدنيا أنكم اذا تم لاتزالون عن تلك الحالة ولا تنقلون الى دار أخرى بمعنى كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ومالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حتى لفظ المقسمين لنيل مالنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السموات ولقاء ﴿ ٥٣٩ ﴾ الملائكة بلا بشرى ﴿ سورة ابراهيم ﴾ فانهم يسألون يومئذ ان

يؤخرهم ربهم الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديته يفي نحوقر في الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائر سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يجدونها عاقي الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالاجبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمردل عليه الكلام أى

فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ بالشرك والتكذيب ﴿ ربنا أخرنا الى اجل قريب ﴾ اخر العذاب عنا ووردنا الى الدنيا وامهلنا الى حدمن الزمان قريب أو اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونحبب دعوتك ﴿ نجب دعوتك وتبع الرسل ﴾ جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ على ارادة النول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم انكم باقون في الدنيا لاتزالون بالموت ولعلمهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل أقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعاصى كما دعوهم واصل سكن ان يعدى يفي كقروغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوؤ فيجربى مجراه كقولك سكنت الدار ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ بما شاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما وائر عندهم من اخبارهم ﴿ وضربنا لكم الامثال ﴾ من احوالهم أى ينالكم انكم مثلهم في الكفرو استحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال

فيقول الذين ظلموا ﴿ يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى ﴾ ربنا أخرنا الى أجل قريب ﴿ يعني أمهلنا مدة سيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فيفهم ذلك وهو قوله تعالى ﴿ نجب دعوتك وتبع الرسل ﴾ فاجيبوا بقوله ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ﴾ يعني في دار الدنيا ﴿ مالكم من زوال ﴾ يعني مالكم عنها الانتقال ولا يبعث لانشور ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ يعني بالكفر والمعاصى ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعادوثمود وغيرهم ﴿ وتبين لكم كيف فعلناهم ﴾ يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا اياهم ﴿ وضربنا لكم الامثال ﴾ يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرون

تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله (فعلناهم) أى أهلكناهم وانقمنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم

يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أشركوا (ربنا) ياربنا (أخرنا الى أجل قريب) مثل أجل الدنيا (نجب دعوتك) الى التوحيد (وتبع الرسل) نطع الرسل بالاجابة فيقول الله لهم (أولم تكونوا أقسمتم) حلفتم (من قبل) من قبل هذا في الدنيا (مالكم من زوال) من الدنيا ولا يبعث (وسكنتم) نزلتم (في مساكن) في منازل (الذين ظلموا أنفسهم) بالشرك والتكذيب فلم يتعظوا بهلاكهم (وتبين لكم كيف فعلناهم) في الدنيا (وضربنا) بينا (لكم الامثال) في القرآن من كل وجه من الوعد والوعيد والرجعة

(وقدمكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطلان الاسلام (وعندالله مكرهم) { الجزء الثالث عشر } وهو مضاف ﴿ ٥٤٠ ﴾ الى الفاعل كالأول والمعنى ومكتوب

المضروبة ﴿ وقدمكروا مكرهم ﴾ المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل ﴿ وعندالله مكرهم ﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيم عليه أو عنده ما يكرهم به جزاء لمكرهم وابطالاله ﴿ وان كان مكرهم ﴾ فى العظم والشدة ﴿ لتزول منه الجبال ﴾ مسوى لازالة الجبال ومعدالها وقيل إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لاسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقلية والمعنى انهم مكر واليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائمه وقرأ الكسائى اتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم

الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل فى خلاص نفسه من العقاب والهلاك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ وقدمكروا مكرهم ﴾ اختلفوا فى الضمير الى من يعود فى قوله وقدمكروا وقيل يعود الى الذين سكنوا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقدمكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا مكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وأندر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى بسبب مكرهم بك ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ وعندالله مكرهم ﴾ يعنى جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عندالله ليجازيهم به يوم القيامة ﴿ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ يعنى وان كان مكرهم لاضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو ثابت كسبوت الجبال وقد حكى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى الآية قولاً آخر وهو انها نزلت فى عمرو الجبار الذى حاج ابراهيم فى ربه فقال عمرو ان كان ما يقوله ابراهيم حقاً فلا أتى حتى أصعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى أربعة أفراخ من النسور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له باباً من أعلى وباباً من أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات أربعة فى أطراف التابوت وجعل على رأس تلك الخشبات لحماً أحر وقعد هو فى التابوت وأقدمعه رجلاً آخر وأمر بالنسور فربطت فى أطراف التابوت من أسفل فجعلت النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوماً أجمع حتى بعدت فى الهواء فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوماً آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودى أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه فى التابوت غلام قد حل

عندالله مكرهم فهو مجازيم عليه بمكره أو أعظم منه أو الى المقبول أى وعند الله مكرهم الذى يكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فغير عن أمر النبى عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال مكرهم على ان الجبال مثل لا آيات الله وشرائمه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم ويقع اللام الاولى ورفع الثانية على أى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أما كتبها فان مخففة من ان

والعذاب (وقدمكروا مكرهم) صنعوا صنيعهم بالكذب بالرسول (وعندالله مكرهم) عقوبة صنيعهم (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) لكى تخزمنه

الجبال ان قرأت بخفض اللام الاولى ونصب اللام الاخرى ويقال وان كان مكرهم وقد كان مكرهم مكر عمروذ (القوس) الجبار لتزول منه الجبال لتخر منه الجبال حيث سمع دوى التابوت والنسور ان قرأت بنصب اللام الاولى ورفع اللام الاخرى

واللام مؤكدة (فلا تحسبن الله ﴿ ٥٤١ ﴾ مخلف وعده ﴿ سورة ابراهيم ﴾ رسله) يعنى قوله انالناصر

رسلنا كتب الله لاغلبين
أناورسلى مخلف مفعول
ثان لتحسبن وأضاف
مخلف الى وعده وهو
المفعول الثانى له والاول
رسله والتقدير مخلف
رسله وعده وانما قدم
المفعول الثانى على الاول
ليعلم انه لا يخلف الوعد
أصلا كقوله ان الله لا يخلف

الميعاد ثم قال رسله ليرؤذن
انه اذا لم يخلف وعده أحدا
فكيف يخلفه رسله الذين
هم خيرته وصفوته (ان
الله عزيز) غالب لا يماكر
(ذوانتقام) لاوليائه من
أعدائه وانتصاب (يوم
تبدل الارض غير الارض
والسموات) على الظرف
للانتقام أو على اضممار
اذكر والمعنى يوم تبدل
هذه الارض التى تعرفونها
أرضاً أخرى غير هذه المعروفة

وتبدل السموات غير
(فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله) لرسله بنجاتهم وهلاك
أعدائهم (ان الله عزيز) فى
ملكه وسلطانه (ذوانتقام)
ذوقمة من أعدائه فى الدنيا
والآخرة (يوم تبدل
الارض) أى فى يوم تغير
الارض (غير الارض) على
حال سوى هذه الحال
وتبدلها ان زاد فيها وينقص منها وسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض (والسموات) مطويات بيمنه

*وقرى بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي *وقرى وان كادمكرهم ﴿ فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله ﴿ مثل قوله انالناصر رسلنا كتب الله لاغلبين أناورسلى واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بان الله لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
واذالم يخلف وعده احدا وكيف يخلف رسله ﴿ ان الله عزيز ﴿ غالب لا يماكر قادر لا يدافع
﴿ ذوانتقام ﴿ لاوليائه من أعدائه ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض ﴿ بدل من يوم تأتيهم
أوظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز ان يتنصب بمخلف لان ما قبل
ان لا يعمل فيما بعده ﴿ والسموات ﴿ عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات
والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت الدارهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها
وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله

القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة
قذفت بنفسها فى بحر فى الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم
ملطخا بالدم قال كيف اتى السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشب الى
أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النور بالتابوت فسمت الجبال خفيق التابوت
والنور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت
تزلزل عن أما كتبها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد
بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل
هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل
الآية البتة ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴿ يعنى فلا تحسبن الله يا محمد مخلف
ما وعده رسله من النصر واعلاء الكلمة واطهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه
ومهلك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده ﴿ ان الله
عزيز ﴿ أى غالب ﴿ ذوانتقام ﴿ يعنى من أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴿ يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات ﴿ ذكر المفسرون فى معنى هذا التبديل قولين
أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لاذاتهما فام تبدل الارض فتغير صفتها
وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدكدك جبالها وتسوى وهاذا وأوديتها وتذهب
أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيره لا يبقى على وجهها شئ الاذهب وتدمد الاديم
وأما تبدل السماء فهو أن تتثر كواكبها وتطمس شمسها وقرها ويكوران وكونها نارة كالدهان
ونارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء * ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل
بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجاه فى الصحمين * العفراء بالعين المهملة وهى البيضاء
الى حجرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المائل الى حجرة كان
النار ميلت بياض وجهها الى الحجرة وقوله ليس بها علم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد
تبدل هيئتها وزوال جبالها وجميع بناءها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثانى هو تبدل
وتبدلها ان زاد فيها وينقص منها وسوى جبالها وأوديتها ويقال تبدل الارض غير هذه الارض (والسموات) مطويات بيمنه

سيئاتهم حسنات والآية تحتملها وعن علي رضي الله تعالى عنه تبدل أرضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض
بيضاء لم يخطئ عليها احد خبيثة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الأرض
وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه
وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمدد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا امناة واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء على
الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة على ما يشعر به

ذوات الأرض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال
ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الأرض بارض كأنفضة بيضاء نقية لم يسفك بها
دم ولم يعمل عليها خبيثة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الأرض من فضة
والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الأرض نيرانا والسماء
جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة
بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه* عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما
يتكفؤ احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة أخرجاه في الصححين بزيادة فيه
قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزول فبضم النون
والزاء ويجوز اسكان الزاء وهو ما يبعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء
وقال أهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة يتكفؤها بالهمز بيده أي يميلها من يد
الى يد حتى تجتمع وتسوى لانها ليست منبسطة كالرقافة وقد حقهنا الكلام في اليد
في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كئله شيء*
ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الأرض كالظلمة أي الرغيف العظيم وتكون
طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شيء قديره فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت
فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل
ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الأرض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما
تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها كما
بغيرها كما تقدم أيضا* ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات
فاين يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم* وروى ثوبان ان
حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الأرض
غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين
دليل على ان تبدل الأرض ثانيا مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بما راده وأسرار

السموات وانما حذف
للدلالة ما قبله عليه والتبديل
التغير وقد يكون في الذوات
كقولك بدلت الدارهم
دنانير وفي الاوصاف
كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا أذبتها وسويتها خاتما
فنقلتها من شكل الى شكل
واختلف في تبديل الأرض
والسموات فقيل تبدل
أوصافها وتسير عن الأرض
جبالها وتفجر بحارها
وتسوى فالترى فيها عوجا
ولأمتا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي تلك
الأرض وانما تغير وتبدل
السماء بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف
قمرها وانشقاقها وكونها
أبوابا وقيل تخلق بدلها
أرض وسموات أخر وعن
ابن مسعود رضي الله عنه
يحشر الناس على أرض
بيضاء لم يخطئ عليها احد
خبيثة وعن علي رضي الله
عنه تبدل أرضا من
فضة وسموات من ذهب

(وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلامستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين ﴿٥٤٣﴾ أو قرنت أيديهم ﴿سورة ابراهيم﴾ الى أرجلهم مغلبن (في

قوله تعالى كذا ان كتاب الابرار في عليين وقوله ان كتاب الفجار في سبعين ﴿وبرزوا﴾ من اجداثهم ﴿لله الواحد القهار﴾ لمخاسبته وبجزائه وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلامستغاث لاحد الى غيره ولا مستجواب ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة والملاطحة الباطلة أو قرنت أيديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لما أخذتهم على ما اقترفته أيديهم وارجلهم ﴿في الاصفاد﴾ متعلق بمقرنين أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخليل قد لاقى صفادا • بعض يساعد وبعض ساق

واصله الشد ﴿سرايلهم﴾ قصانهم ﴿من قطران﴾ وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو ما يتخلم من الابل فيطبخ فيه نأب الابل الجربي فيحرق الجرب بحدته وهو اسود من تن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالمص ليجتمع عليهم لذغ القطران ووحشته لونه وثن ريمحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة

كتابه ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿وبرزوا﴾ يعني وخرجوا من قبورهم ﴿لله﴾ يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب ﴿الواحد القهار﴾ صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه وال ضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾ يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شدته معه في رباط واحد ﴿في الاصفاد﴾ يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال ابو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض ﴿سرايلهم﴾ يعني قصصهم واحدها سرايل وقيل السرايل كل ما لبس ﴿من قطران﴾ القطران دهن يتخلم من شجر الابل والعرع والوت كالف تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج واما جعل لهم قطران سرايل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدرة ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب

(وبرزوا لله) خرجوا وظهروا لله (الواحد القهار) خلقه بالموت (وترى المجرمين) المشركين (يومئذ) يوم القيامة مسلسلين (مقرنين) ويقال مقيدين (في الاصفاد) في القيود مع الشياطين (سرايلهم) قصصهم (من قطران) من نار سوداء كالقطران ويقال من قطر آن

(وتغشى وجوههم النار) تعلموها باشتعالها وخص الوجه لانه اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الاثثة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يفعل بالجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس مجرمة أو مطيعة لانه { الجزء الثالث عشر } اذا عاقب ﴿ ٥٤٤ ﴾ المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب

المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أى ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أى لينصحووا ولينذروا (وليعلموا انما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به عنهم دعوتهم الخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كله (وليذكروا اولوا الالباب) ذوو العقول *

من صفر حارقا قد انتهى حره (وتغشى) تعلمو (وجوههم النار ليجزى الله) وهذا مقدم ومؤخر بقول وبرزوا لله الواحد القهار ليجزى الله (كل نفس) مرة أو فاجرة (ما كسبت) من الخير والشر (ان الله سريع الحساب) شديد العقاب ويقال اذا

والهيآت الوحشة فيجب اليها انواعا من الغيوم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس أو الصقر المذاب والآتى المتناهي حره والجملة حال ثانية أو حان من الضمير في مقرنين ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾ وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما نطلع على افتداتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴿ ليجزى الله كل نفس ﴾ أى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة ﴿ ما كسبت ﴾ أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعبدون ذلك ان علق اللام ببرزوا ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ لانه لا يشغله حساب عن حساب ﴿ هذا ﴾ اشارة الى القرآن أو السورة أو ما فيه من العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله ﴿ بلاغ للناس ﴾ كفاية لهم في الموعظة ﴿ ولينذروا به ﴾ عطف على محذوف أى لينصحووا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى ﴿ وقرئ بفتح الباء من نذره اذا علم به واستعمله ﴾ وليعلموا انما هو اله واحد ﴿ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة على ما يدل عليه ﴾ وليذكروا اولوا الالباب ﴿ فيرتدعوا عما رديهم ويتدرعوا عما يحظيهم ﴾ واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

والآن الذي انتهى حره ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾ يعنى تعلموها وتجللها ﴿ ليجزى الله كل نفس ما كسبت ﴾ يعنى من خير أو شر ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس ﴿ ولينذروا به ﴾ يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره ﴿ وليعلموا انما هو اله واحد ﴾ يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى ﴿ وليذكروا اولوا الالباب ﴾ يعنى وليتعض بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أو لولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

حاسب فحسابه سريع (هذا بلاغ للناس) أبلغهم عن الله ويقال بيان لهم بالامر والنهى والوعد والوعيد والحلال والحرام (ولينذروا به) لكي يخوفوا بالقرآن (وليعلموا) لكي يعلموا ويقروا (انما هو اله واحد) بلا ولد ولا شريك (وليذكر) وليتعض بالقرآن (أولوا الالباب) ذوو العقول من الناس

(قوله وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخ) هذا الحديث رواه ابن جرير وغيره والعلوي وهو موضوع ايضا كما ذكره العراقي رحمه الله تعالى

سورة الحجر تسع

وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(أر تلك آيات الكتاب

وقرآن مبين) تلك اشارة

الى ما تضمنته السورة

من الآيات والكتاب

والقرآن المبين السورة

وتكبير القرآن للتفخيم

والمعنى تلك آيات الكتاب

الكامل في كونه كتابا وأى

قرآن مبين كأنه قيل الكتاب

الجامع للكمال والغرابة في

ومن السورة التي يذكر

فيها الحجر وهي كلها مكية

وكلها ستمائة وخمسون

وأربع وحرورها ألفان

وسبعمائة وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وباسناده عن ابن عباس في

قوله تعالى (أر) يقول ما الله

أرى ويقال قسم أقسم بالالف

واللام والراء (تلك آيات

الكتاب) ان هذه السورة

آيات الكتاب (وقرآن مبين)

يقول واقسم بالقرآن المبين

بالحلال والحرام والامر

الحجر الرابع عشر

اللهم يا مقبب القلوب ثبت قلبنا على دينك

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين اشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتكبيره للتفخيم أى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآن مبين الرشد

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة واربع

وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله سبحانه وتعالى (أر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذى وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم وتكبير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا وأى قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجز للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذى بين الحلال من الحرام والحق

حرف يجر ما بعده ويختص
بالاسم النكرة فاذا كتفت
وقع بعدها الفعل الماضي
والاسم وانما جاز (بودالذين
كفروا) لان المترقب في
أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي
المتطوع به في تحققه فكانه
قيل ربما ودوا واداتهم
تكون عند النزاع أو يوم
القيامة اذا عابوا حالهم
وحال المسلمين أو اذاروا أو
المسلمين يجر جون من النار
فيتنمي الكافر لو كان مسلما
كداروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما (لو كانوا
مسلمين) حكاية واداتهم
وانما جئ بها على لفظ الغيبة
لانهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل
حلف بالله لافعلن ولو كنا
مسلمين لكان حسنا وانما
قل رب لان أهوال القيامة
تشغلهم عن التمني فاذا افأقرا

والنهي (ربما بود) يتمنى
(الذين كفروا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن
(لو كانوا مسلمين) في الدنيا
يقول ربما أي على الكافرين
يوم يتمنى أنه كان مسلما
ولهذا كان القسم وذلك اذا
أخرج الله من النار من كان
مؤمنًا مخلصًا بما عانه وأدخله
الجنة فمن ذلك يتمنى الكافر
أنه كان مسلما في الدنيا

من النعي بيا غير بما ﴿ ربما بودالذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ حين عابوا حال المسلمين
عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ
ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث
ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي ان كان لما
كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله
ربما تكره النفوس من الام * رله فرجة لكل العقال

ومعنى التقليل فيه الايدان بانهم لو كانوا يؤدون الاسلام مرة فبالجرى ان يسارعوا اليه فكيف
وهم يؤدون كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية

من الباطل ﴿ ربما ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير
وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت
جعلت ما بمنزلة شيء كأنك قلت رب شيء فيكون المعنى رب شيء ﴿ بودالذين كفروا ﴾
وقيل ما في ربما بمعنى حين أي رب حين يودعني يتمنى الذين كفروا والان التمني هو تشهي حصول
ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ على
قولين أحدهما ان ذلك يكون عند معاناة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافرانه
كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند
حالة المعاناة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعابون أهوال
يوم القيامة وشدائده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أهوال العذاب ورأى حالا من
أحوال المسلم ودلو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشدق
بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار * عن
أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار في النار
ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة أستم مسلمين
قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا
بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمة فيأمر الله بكل من كان من أهل القبلة في النار فمخرجون
منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن
الجوزي وقال اليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء
وأبو العالية وابراهيم يعني التمني فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا
لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يودالذين كفروا لو كانوا مسلمين
قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك
وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون في تدممه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا
لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لاتفعل هذا الفعل لان العقلاء

من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعني بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرفه أهل اللغة لانها وضعت للتقليل (ذرهم) أمر اهانة أى اقطع طمءك من ارعواهم ودعهم عن النهى عمهم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلصهم (يأكلوا { الجزء الرابع عشر { ويتمتعوا) بديانهم ﴿ ٥٤٨ ﴾ (ويلههم الامل) ويشغلهم

أملهم وأمانهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كافي وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذا الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجئى بالواو تأكيد ذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لاوصفا وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبين الأثرى الى قوله (ماتسبق من أمة أجلها) فى موضع كتابها (وما يستأخرون) أى عنه وحذف لانه معلوم وأنت الأمة أولا (ذرهم) أتركهم يا محمد (يأكلوا) بلاهجة ولاهمة ما فى الفند (ويتمتعوا) يعيشوا

ودادتهم كاتمية فى قولك حلف بالله ليفعلن ﴿ ذرهم ﴾ دعهم ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بديانهم ﴿ ويلههم الامل ﴾ ويشغلهم توقمهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد ﴿ فسوف يعلمون ﴾ سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ارعواهم وايدانه بانهم من أهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل ﴿ وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ﴾ أجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيداً للصوقها بالموصوف ﴿ ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ أى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى

يتحززون من التعرض للنعم المظنون كما يحززون من المتيقن ومن القليل منه كما يحززون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ فى التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يحظر ذلك بهالهم فان قلت رب لا تدخل الاعلى الماضى فكيف قال ربما يود وهو فى المستقبل . قلت لان المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه كانه قال ربما يود ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ﴾ يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا فى ديانهم ويتمتعوا بلذاتها ﴿ ويلههم الامل ﴾ يعنى ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى ﴿ فسوف يعلمون ﴾ يعنى اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فمضى بينا العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بأية القتال وفى الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم فى الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى طالب انما أخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق ﴿ وما أهلكنا من قرية ﴾ يعنى من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال ﴿ الاولها كتاب معلوم ﴾ أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا فى الوقت الذى حد لهم فى اللوح المحفوظ ﴿ ماتسبق من أمة أجلها ﴾ من زائفة فى قوله من أمة كقولك ما جافى من أحد يعنى أحد وقيل هى على أصلها لانها تفيد التبويض الى هذا الحكم فيكون ذلك فى افادة عموم النفى أكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما يستأخرون ﴾ وانما أدخل الهاء فى

فى الكفر والحرام (ويلههم الامل) ويشغلهم الامل الطويل عن طاعة الله (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) (أجلها) عند الموت وفى القبر ويوم القيامة ماذا يفعل بهم (وما أهلكنا من قرية) من أهل قرية (الاولها كتاب معلوم) فيه أجل معلوم مؤقت لهلاكهم (ماتسبق من أمة أجلها) يقول لا تموت ولا تهلك أمة قبل أجلها (وما يستأخرون) ولا تؤخر أمة عن أجلها

ثم ذكرها آخرها جملة على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (يا أيها النبي نزل عليه الذكر) أي القرآن (انك لمجنون) يعنون محمد عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بتزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون ﴿٥٤٩﴾ والتعكيس في كلامهم للاستهزاء {سورة الحجر} والهكم سائح ومنه فبشرهم

بغذاب اليم انك لانك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعى ان الله نزل عليك الذكر (لوماتأيننا باللائكة ان كنت من الصادقين) لوركت مع لا وما لامتناع الشيء لوجود غيره أو للتخصيص وهل ركت مع لا للتخصيص فحسب والمعنى هلا تأيننا باللائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأيننا باللائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا (ماننزل الملائكة) كوفي غير أبي بكر تنزل الملائكة أي تنزل غيرهم (الابالحق) الاتنزلا ملتبسا بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخر عذابهم (انانحن نزلنا الذكر) القرآن

(وقالوا) عبدالله بن امية الخزومي وأصحابه لمحمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر)

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ نادوا به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على التهمك ألا ترى الى ما نادوا به وهو قولهم ﴿انك لمجنون﴾ وتظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر وهو القرآن ﴿لوماتأيننا﴾ ركب لومع ما كركب مع لالمعنين امتناع الشيء لوجود غيره والتخصيص ﴿بالملائكة﴾ ليصدقون ويعضدون على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كانت الامم المكذبة قبل ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في دعواك ﴿ما ينزل الملائكة﴾ بالياء ونصب الملائكة على ان الضمير لله تعالى وقرأ جزء الكسائي وحفص بالنون وابوبكر باتاءه والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تنزل ﴿الابالحق﴾ الاتنزلا ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأنيك بصورة تشهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان نكم ومن ذراريتكم من سبقت لكتناله بالايمان وقيل الحق الوحي أو العذاب ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين ﴿انانحن نزلنا الذكر﴾ رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه

أجلها الارادة الامه وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال ﴿قوله عز وجل﴾ وقالوا ﴿يعنى مشركى مكة﴾ يا أيها الذي نزل عليه الذكر ﴿يعنى القرآن وأرادوا به محمد صلى الله عليه وسلم﴾ انك لمجنون ﴿اناناسـوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه العشى فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فرعنا سبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأنى هذا القرآن العظيم أتكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاتهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه انك لمجنون في ادعائك الرسالة ﴿لوما﴾ قال الزجاج والقراء لوما ولولا ائتان ومعناهما هلا يعنى هلا ﴿تأيننا بالملائكة﴾ يعنى يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى فى قولك وادعائك الرسالة ﴿ماننزل الملائكة الابالحق﴾ بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى ﴿وما كانوا اذا منظرين﴾ يعنى لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا نزال عن الكفار الامهان وعذبوا فى الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا ﴿انانحن نزلنا الذكر﴾ يعنى القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انانحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه

جبريل بالقرآن بزعمك (انك لمجنون) تخنتق (لوماتأيننا) هلا تأيننا (بالملائكة) من السماء فيشهدوا لك انك رسول الله (ان كنت من الصادقين) فى مقاتلك قال الله (ماننزل الملائكة) من السماء (الابالحق) بالهلاك وقبض ارواحهم (وما كانوا اذا منظرين) مؤجلين اذا نزلت عليهم الملائكة (انانحن نزلنا الذكر) جبريل

(واناله لحافظون) وهو رد { الجزء الرابع عشر } لانكارهم ﴿ ٥٥٠ ﴾ واستهزأهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه

الذكر ولذلك قال انانحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذي نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحرير والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانهم يتول حفظها وانما استمفظها الربانيين و الاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله واناله لحافظون دليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما تطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يصمك (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي ولقد أرسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعه الفرقة اذا اتفقوا على بالقرآن (واناله) للقرآن (لحافظون) من الشياطين حتى لا يزيدوا فيه ولا ينقصوا منه ولا يغيروا حكمه ويقال اناله للمحمد صلى الله عليه وسلم لحافظون من الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (في شيع الاولين) في فرق

وقرره بقوله ﴿ واناله لحافظون ﴾ أي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه مجزا ما بينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمن الحفظ له كما نفي ان يطعن فيه بان المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين ﴾ في فرقهم جمع شيعه وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه ذاتهم واسله الشيعاع وهو الحطب الصغار تو قد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم

هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ واناله لحافظون ﴾ الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحرير فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون بمن اراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسب صرف الكناية اليه لكونه أمرا معلوما الا ان القول الاول اصح وأشهر وهو قول الاكثين لانه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى أقرب مذكور أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختل في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جملة مجزا باقيا ما بينا لكلام البشر فجرح الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلو اضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض الله العلماء الراسخين بحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بمحمد الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين ﴿ لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لحنون وأساؤا الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فمحذوف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعه هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعه هم الاتباع وشيعه الرجل أتباعه وقيل الشيعه من يتقوى بهم الانسان وقوله

(في شيع)

(في شيع الاولين) في فرق

مذهب وطريقة (وماياتهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا يستهزؤن) ﴿ ٥٥١ ﴾ يعزى بيه عليه { سورة الحجر } السلام (كذلك نسلكه

في قلوب المجرمين) أي كما سلكتنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمك في اختيار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا دخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) بالله أو بالذکر وهو حال (وقد دخلت سنة الاولين) مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو قبحنا عليهم بابامن السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو وقع باب من السماء (فظلوا فيه يرجون) يصعدون

الاولين (وماياتهم من رسول) مرسل اليهم (الا كانوا به) بارسل (يستهزؤن) يسخرون (كذلك) هكذا (نسلكه) نترك التكذيب (في قلوب المجرمين) المشركين (لا يؤمنون به) لكي لا يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ونزول العذاب عليهم (وقد دخلت) مضت (سنة الاولين) سيرة

﴿ وماياتهم من رسول الا كانوا يستهزؤن ﴾ كما فعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما للحال لا تدخل الامضارعا بمعناه أو ماضيا قريبا منه هذا على حكاية الحال الماضية ﴿ كذلك نسلكه ﴾ ندخله ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ والسالك ادخال الشيء في الشيء كالحيط في المحيط والرمح في المطعون والضمير الاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذکر فان الضمير الآخر في قوله ﴿ لا يؤمنون به ﴾ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السالك نسلك الذکر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا يتناق كونها مفسرة للمعنى الاول بل بقويه ﴿ وقد دخلت سنة الاولين ﴾ أي سنة الله فهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيد لاهل مكة ﴿ ولو قبحنا عليهم ﴾ على هؤلاء المقترحين ﴿ بابامن السماء فظلوا فيه يرجون ﴾ يصعدون اليها

في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف ﴿ وماياتهم من رسول الا كانوا يستهزؤن ﴾ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ﴿ السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسالك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في المحيط ومعنى الآية كاسلكتنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعنى مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهى أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وماياتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿ وقوله تعالى ﴿ لا يؤمنون به ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن ﴿ وقد دخلت سنة الاولين ﴾ فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل منازل بالأمم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الأمم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب ﴿ ولو قبحنا عليهم بابامن السماء فظلوا فيه يرجون ﴾ يعنى ولو قبحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ماتنا تبينا بالملائكة بابامن السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا

الاولين بتكذب الرسل كما كذب قومك ومضت سيرة الله فيهم بالعذاب والهلاك من الله لهم عند التكذيب (ولو قبحنا عليهم) على أهل مكة (بابامن السماء) يدخلون فيه (فظلوا فيه) فصاروا فيه (يرجون) يصعدون وينزلون يعنى كالملائكة

صبرت أو جست من الابصار من السكر أو من السكر سكرت مكي اى حبست كما يحبس النهر من الجرى المعنى ان هؤلاء المشركين باغ من غلومهم فى العناد ان لوقع لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورواها من العيان مارا أو لقالوا هو شئ نخايله لاحقيقة له و قالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجهل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوحشين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يتنون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (ولقد جعلنا فى السماء) خلقنا فيها (بروج) نجومها أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أى السماء

(لقالوا) كفار مكة (انما سكرت ابصارنا) أخذت أعيننا (بل نحن قوم مسحورون) مغلوبو العقل قد سحرنا (ولقد جعلنا فى السماء بروج) قصورا ويقال نجومها وهى النجوم التى يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر (وزيناها) يعنى السماء

ويرون عجائبها طول نهارهم مستوحشين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلومهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف وأوحيت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لاحقيقة له بل هو باطل خيل ما خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء بروج) أى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناها)

فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يبرجون يعنى يصعدون والمطارج المصاعد وفى المشار اليه بقوله فظلوا فيه يبرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن ابصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثانى أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون فى ذلك الباب فينظرون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم و قالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس سدت ابصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا و قالوا سحرنا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة قوله سبحانه وتعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروج) البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج ثلاث منازل وقد تقدم ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعنى منازلها وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه البروج وهى نجوم على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها)

بالاشكال والهيآت البهية ﴿لناظرين﴾ المتعبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها ﴿وحفظناها﴾ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴿فلا يقدران يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها﴾ الامن استرق السمع ﴿بدك من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبهه خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن من استرق السمع ﴿فأتبعه﴾ فأتبعه ولحقه ﴿شهاب مبین﴾ ظاهر

يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم ﴿لناظرين﴾ يعنى المتعبرين المستدلين بها على توحيدخالقها وصانعها وهو الله الذى أوحد كل شئ وخلق صورته ﴿وحفظناها﴾ يعنى السماء ﴿من كل شيطان رجيم﴾ أى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فاما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع الارمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث ﴿الامن استرق السمع﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع ﴿فأتبعه﴾ أى لحقه ﴿شهاب مبین﴾ والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطى أبدا فتم من تقاتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تجبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضمانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبددين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقبها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

فصل

اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه

(لناظرين وحفظناها)
أى السماء (من كل شيطان
رجيم) ملعون أو مرعى
بالنجوم (الامن استرق
السمع) أى المسموع ومن
في محل النصب على الاستثناء
(فأتبعه شهاب) نجم
ينقض فيعود (مبين)
ظاهر للمبصرين قيل كانوا
لا يحجبون عن السموات
كلها فلما ولد عيسى عليه
السلام منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من
السموات كلها

بالكواكب (لناظرين)
اليها وهى النجوم التى زينت
بها السماء (وحفظناها من كل
شيطان رجيم) ملعون
مطرود بالنجوم التى تزجرون
بها عن استماع الملائكة يعنى
الشياطين (الامن استرق
السمع) الامن اختلس خلسة
(فأتبعه شهاب مبین) يلحقه
نجم مضى حار متوقد

للبصرين كالزينة والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق
وسلم أم لاعلى قولين * أحدهما أنها لم تكن ترمى بالنجوم قبل بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم
* ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه
في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء
وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا
الرمي بالشهب لم يكن قبل بعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي وبعضه
ما روى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال أول من فزع للرمي بالنجوم
هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج
وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى
ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يتهدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء
من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي
الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا
لاسر أراد الله من الخلق قال الزجاج ويدل على أنها كانت بعد مولد النبي صلى الله
عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم
ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد صلى الله تعالى عليه وسلم استعملت
الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية * مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما
بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال
نعم قلت أفرايت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها
حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم * ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس
قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينما هم جلوس
ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذ ارمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة
رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها
لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سجع حلة العرش ثم سجع أهل
السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حلة العرش لحلة
العرش ماذا قال ربكم فيمضونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ
الخير هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى أوليائهم ويرمون فاجاؤا به
على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة
ان الرجم كان قبل بعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد بعثه قال وعلى هذا

﴿ والارض مددناها ﴾ بسطناها ﴿ وألقينا فيها راسي ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ في الارض أوفياء وفي الجبال ﴿ من كل شيء ﴾ موزون ﴿ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر اوله وزن في ابواب النعمة والمنفعة ﴿ وجعلنا لكم فيها معاش ﴾ يعيشون بها من المطاعم والملابس

وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدرى يتبعه * تقع يشور تخاله طنبا

من تحت الكعبة والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها راسي) في الارض جبالاً ثوابت (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكل الى الوزن (وجعلنا لكم فيها) في الارض (معاش) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياض صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصریح الياء فيها خطأ

(والارض مددناها) بسطناها على الماء (وألقينا فيها) على الارض (راسي) جبالاً ثوابت أو تادها (وأنبتنا فيها) في الجبال ويقال في الارض (من كل شيء) من النبات والثمار (موزون) مقدر مقسوم معلوم ويقال من كل شيء موزون يوزن مثل الذهب والفضة والحديد والصفرة والرصاص وغير ذلك (وجعلنا) خلقنا (لكم

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجوداً قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صوتاً لاجبار القيوب والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ والارض مددناها ﴿ يعنى بسطناها على وجه الماء كما يقال انهدحت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها ككرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها ككرة ورد هذا أصحاب التفسير بان الله أخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت ككرة لاخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض ﴿ وألقينا فيها راسي ﴾ يعنى جبالاً ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء ماتت ورجفت فأنبتها بالجبال ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ أى في الارض لان أنواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مذكور ولقوله تعالى ﴿ من كل شيء موزون ﴾ وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير موزون أى معلوم وقال مجاهد وعكرمة أى مقدر فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذى يحتاج اليه الناس في ما يشهون وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازاً لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيدانه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسباً حسناً بعيداً من الخطأ والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثانى النبات وبعضه موزون أيضاً وبعضه مكمل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن ﴿ وجعلنا لكم فيها معاش ﴾ جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس

فيها معاش) في الارض من النبات والثمار وماتاً كلون وتشربون وتلبسون

(ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معاش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا { الجزء الرابع عشر } لكم فيها معاش ﴿ ٥٥٦ ﴾ ولمن لستم له برازقين وأرادهم العيال

هو قريء بالهمزة على التشبيه بشمائل ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ عطف على معاش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والممالك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا فإن الله يرزقهم وإياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقه وطبيعة مع جواز أن لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال ﴿ وان من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه اصناف ما وجد منه فضرب الخزان مثلا لاقتداره أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يجوز إخراجها إلى كلفة واجتهاد ﴿ وما ننزله ﴾ من بفاع القدرة ﴿ إلا بقدر معلوم ﴾ حده الحكمة وتملقت به المشيئة فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بدله من مخصص حكيم ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحب ماطر

ونحو ذلك ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ يعني الدواب والوحش والطيور أنتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لأن رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى مالان من لمن يعقل ومالمن لا يعقل وقيل يجوز إطلاق لفظه من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من عشى على بطنه وقيل أرادهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش ﴿ وان من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ الخزان جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء إذا أحرزه فقولهم أراد مفاتيح الخزان وقيل أراد بالخزان المطر لأنه سبب الرزاق والمعاش لبني آدم والدواب والوحش والطيور ومعنى عندنا أنه في حكمه وتصرفه وأمره وتدييره ﴿ قوله تعالى ﴾ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴿ يعني بقدر الكفاية وقيل إن لكل أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطرا ولا معها ملك يسوقها إلى حيث يشاء الله تعالى وقيل إن المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يعطرقوما ويحرم آخرين وقيل إذا أراد الله بقوم خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة وإذا أراد بقوم شر صرف المطر عنهم إلى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شيء إلا عندنا خزائنه ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لفتح الناقة والفتحها الفحل إذا ألقى إليها الماء فملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتفتح السحاب فتحمل الماء فتحمله في السحاب ثم تمر به

والممالك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطؤون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من جراب العطف على الضمير المجرور في لكم لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار (وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) ذكر الخزان تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والآنعام به وما نعطيه إلا بمقدار معلوم فضرب الخزان مثلا لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقتت الناقة جلت وضدها المقيم الريح سزة

(ومن لستم له برازقين) يقول ويرزق من لستم له برازقين يعني الطيور والوحش ويقال الأجنة في البطون (وان من شيء) وما من شيء من النبات والثمار والأمطار (الاعندنا خزائنه) مفاتيحه يقول بيدنا مفاتيحه لا بأيديكم (وما ننزله)

يعني المطر (الابقدر معلوم) بكيل ووزن معلوم بعل الخزان (وأرسلنا الرياح لواقح) تفتح الشجر والسحاب (قندر)

بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعتيم أو ملتحات للشجر أو السحاب ونظيره الطوائح
بمعنى المطيمات في قوله

ومختبط مما تطيح الطوائح

وقرى وأرسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدر ﴿فأسقينا كوه﴾
فجعلناه لكم سقيا ﴿وما أنتم له بحازنين﴾ قادرين متمكنين من اخراجه نفي عنهم ما أثبتته
لنفسه وأحافظين في العدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كاتدل حركة
الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه يتنفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى العور
فوقوفه دون حده لا بدله من سبب مخصوص ﴿وانالحن نحوي﴾ بايجاد الحياة في بعض الاجسام

فندر كما ندر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قائم يرسل
المثيرة فتشير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما
ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاطهر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده
فأنزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد أن
تعمل الرياح الاربعة فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعها والجنوب تدره والدمبور
تفرقه وقال أبو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل
وقال الزجاج يجوز أن يقال لهوا لواقح وان ألقت غيرها لان معناها النسبة كما يقال
درهم وازن أى ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمن لان كان
يجب أن يصح الالاقح بمعنى ذات لاقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازى عنه بأن
قال هذا ليس بشئ لان الالاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة الى
اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أى ذات لقاوح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها
حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابا تقالا أى جلت فعلى
هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح
لقتحت اذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار أن الملقح
رياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب الا وأبنت عينا غدة (ق) عن عائشة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرا وخيرها
فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوى
بسند الى الشافعى الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثا التي صلى الله عليه وسلم على
ركبته وقال اللهم اجعلها رجة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فأرسلنا عليهم
الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات ﴿وقوله سبحانه وتعالى
﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ يعنى المطر ﴿فأسقينا كوه﴾ يعنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى
فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء وولنا اذا
كان لسقيه فاذا جعلوا الماء لشراب أرضه أو ماشيته يقال أسقينا ﴿وما أنتم له﴾ يعنى للمطر
﴿بحازنين﴾ يعنى أن المطر في خزائنا لا في خزائنكم وقيل ﴿وما أنتم له﴾ يعنى انما نحن نحوي

(فأنزلنا من السماء ماء
فأسقينا كوه) فجعلناه
لكم سقيا (وما أنتم
له بحازنين) نفي عنهم
ما أثبتته لنفسه في قوله وان
من شئ الاعندا خزائنه
كاه قال نحن الحازنون
للماء على معنى نحن القادرون
على خلقه في السماء وانزاله
منها وما أنتم عليه بقادرين
دلالة عظيمة على قدرته
وعجزهم (وانالحن نحوي
فأنزلنا من السماء ماء) مطرا
(فأسقينا كوه) في الارض
(وما أنتم له) للمطر (بحازنين)
بفائحين (وانالحن نحوي)
للبعث

القابلة لها ﴿ونمت﴾ بازالتها وقد اول الحياة بما يع الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴿ونحن الوارثون﴾ الباقون اذا مات الخلائق كلها ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاص الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فانه ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصف الاول فازدحوا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت

ونمت ﴿يعنى بيدنا احياء الخلق واماتهم لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانالحن يفيد الحصر يعنى لا يقدر على ذلك سوانا ﴿ونحن الوارثون﴾ وذلك بان نمت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا فنزل ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين امتهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداءه منه تعالى فاذا فنى جميع الخلائق رجع الذى كانوا يملكونه في الدنيا على المحجاز الى مالكة على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه ﴿قوله عز وجل﴾ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴿عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول للآيها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه الترمذى وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوى وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فر بما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فمن ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله والمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعنى في الطاعة والخير والمستأخرون يعنى فهم ما قال الاوزاعى أراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت والمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال ابن عباس في رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحوا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبعن دورنا ونشترى دورا قريبة من المسجد حتى نترك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير

ونمت (أى نحى بالإيجاد ونمت بالافناء أو نمت عند انقضاء الآجال ونحى لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير اذا لواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فناءه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاص الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو في صف الحرب ومن تأخر

(ونمت) في الدنيا (ونحن الوارثون) المالكون على ما في السموات والارض بعد موت أهلها وقبل موت أهلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم) يعنى الاموات من الآباء والامهات ويقال المستقدمين منكم في الصف الاول (ولقد علمنا المستأخرين) يعنى الاحياء من البنين والبنات ويقال المستأخرين في الصف الآخر

تعلى خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليصرها فنزلت ﴿ وان ربك هو يحشرهم ﴾ لاحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى بحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان تحقيق الوعد والتنبية على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله ﴿ انه حكيم ﴾ باهر الحكمة متقن في افعاله ﴿ علم ﴾ وسع علمه كل شئ ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ﴾ طين يابس يصلصل أى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل ﴿ من جا ﴾ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من جا ﴿ مسنون ﴾ مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الخاء فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سنتت الحجر على الحجر اذا حككته فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا ﴿ والجان ﴾ ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان

المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذرو معنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائهم وعاصمهم لا يخفى عليه شئ من احوال خلقه ﴿ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم علم ﴾ يعنى على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يبعث الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على اماماتوا عليه ﴿ م ﴾ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على امامات عليه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد خلقنا الانسان ﴿ يعنى آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصراياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه نفسى ﴿ من صلصال ﴾ يعنى من الطين اليابس الذى اذا نقرته سمعت له صلصلة يعنى صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك وقع وقال مجاهد هو الطين المذنت واختاره الكسائى وقال هو من صل اللحم اذا انتن ﴿ من جا ﴾ يعنى من الطين الاسود ﴿ مسنون ﴾ أى متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سنتت الماء اذا صبته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفضار والجمع بين هذه الاقويل على ما ذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فلبها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخره حتى اسود وأنتن ريحه وتغيرت واليه الاشارة بقوله من جا مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صورته صورة انسان أجوف فلما جف وبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفضار وهو الطين اليابس اذا تفجر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا ﴿ قوله تعالى ﴾ والجان

(وان ربك هو يحشرهم)
 أى هو وحده يقدر على
 حشرهم ويحيط بحشرهم
 (انه حكيم علم) باهر الحكمة
 واسع العلم (ولقد خلقنا
 الانسان) أى آدم (من صلصال)
 طين يابس غير مطبوخ
 (من جا) صفة اصلصال أى
 خلقه من صلصا كائن من جا
 أى طين أسود متغير (مسنون)
 مصور وفى الاول كان ترابا
 فعجن بالماء فصارت طينا فكث
 فصارت جا فخلص فصارت سائلة
 فصور وبس فصارت صلصالا
 فلا تناقض (والجان) ابا
 الجن كما دم للناس أو هو
 ابليس وهو منصوب بفعل
 مضمير يفسره

(وار ربك هو يحشرهم)
 الاولين والآخرين
 (انه حكيم) حكم
 عليهم بالحشر (علم)
 بحشرهم وشواهم وعقابهم
 (ولقد خلقنا الانسان) يعنى
 آدم (من صلصال) من طين
 يتصلصل (من جا) من طين
 (مسنون) منتن ويقال
 مصور (والجان) ابا الجن

لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله ﴿ خلقناه من قبل ﴾ من قبل خلق الانسان ﴿ من نار السموم ﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يتمتع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يتمتع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بده خلق الثقلين فهو للتنيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء ﴿ واذ قال ربك ﴾ واذكر وقت قوله ﴿ للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من جام مسنون فاذا سويته ﴾ عدلت خلقته وهياته لنفخ الروح فيه ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ

خلقناه من قبل ﴿ يعنى من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجنان أبو الجن كأن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجنان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهبان من الجن من يولد له وياً كلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا شترأهم في الاستتار سمو اجنا لتواربهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتق المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ﴿ من نار السموم ﴾ يعنى من ربح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون من خرقت ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجن وتلاهذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجن خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارح من نار وخلق الملائكة من النور ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذ قال ربك للملائكة ﴿ أى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة ﴿ اني خالق بشرا ﴾ سمي آدمى بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد ﴿ من صلصال من جام مسنون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فاذا سويته ﴾ يعنى عدلت صورته وأتمت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ النفخ عبارة عن اجزاء الريح في تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح في التشاءة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسبأني

(خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قبل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجن (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من جام مسنون فاذا سويته) أتمت خلقته وهياته لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) وجعلت فيه الروح وأحيته وليس تمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص

(خلقناه من قبل) من قبل آدم عليه السلام (من نار السموم) من نار لادخان لها (واذ قال) وقد قال (ربك للملائكة) الذين كانوا في الارض وهم كانوا عشرة آلاف (اني خالق) اخلق (بشرا من صلصال) من طين يتصلصل (من جام مسنون) من طين منق (فاذا سويته) سويت خلقه باليدن والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي)

(ففعواله ساجدين) هو أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض يعنى اسجدوا له وودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فمسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمال تأويل الفرق فقطعه بقوله أجمعون (الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى ﴿ ٥٦١ ﴾ منه وعن الحسن { سورة الحجر } ان الاستثناء منقطع ولم

يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملعوناً وقال في الكشف كان بينهم مأموراً معهم بالسجود فقلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هنذا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استثناء على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقبل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى ابائك السجود (قال لم أكن لأسجد) الكلام لتأكيد النفي أى لا يصح منى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من جامسنون

اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفجاً واصافة الروح الى نفسه كما مر فى سورة النساء ﴿ ففعواله ﴾ فاسقطوا له ﴿ ساجدين ﴾ امر من وقع يقع ﴿ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ﴾ اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالاً لا تائيداً ﴿ الابليس ﴾ ان جعل منقطعاً اتصل به قوله ﴿ ابى ان يكون مع الساجدين ﴾ أى ولكن ابليس ابى وان جعل متصلاً كان استثناء على انه جواب سائل قال هلا سجد ﴿ قال يا ابليس مالك ألا تكون ﴾ أى غرض لك فى ان لا تكون مع الساجدين ﴿ لا دم ﴾ قال لم اكن لأسجد ﴿ اللام لتأكيد النفي أى لا يصح منى ويتأفى حالى ان اسجد ﴾ لبشر ﴿ جسمانى كئيف واناملك روحانى ﴾ خلقته من صلصال من جامسنون ﴿ وهو اخس العناصر وخلقته من نار وهى اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف

الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى ﴿ ففعواله ساجدين ﴾ الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم انى خالق بشرى أمرهم بالسجود لا دم بقوله ففعواله ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لاسجد عبادة ﴿ فسجد الملائكة كلهم ﴾ يعنى الذين أمروا بالسجود لا دم ﴿ أجمعون ﴾ قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ان ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا بأسرهم ثم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا فى أوقات متفرقة أو فى دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه أجدولاً أجمعين معرفة فلا تكون حالاً روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لا دم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم ناراً فاحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لا دم فسجدوا ﴿ الابليس ابى ان يكون مع الساجدين ﴾ يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لا دم فسجدوا ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله ﴿ يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ يعنى ابليس ﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من جامسنون ﴾ أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابلليس نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه أفضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما

جاءت الروح فيه (ففعواله) فخر واله (ساجدين) بالتحية (فسجد الملائكة) لا دم صلوات الله عليه (كلهم

أجمعون الابليس) رئيسهم (أبى) (قا و خا ٧١ لث) تعظم (ان يكون مع الساجدين) بالسجود لا دم عليه السلام (قال) الله تعالى (يا ابليس) يا آيس من رحى (مالك ألا تكون مع الساجدين) بالسجود لا دم (قال لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال) من طين يتصلصل (من جامسنون) من طين متين يقول لا ينبغي لى ان اسجد للطين

قال فاخرج منها) من السماء ومن الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان لعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها) وان { الجزء الرابع عشر } عليك اللعنة ﴿ ٥٦٢ ﴾ الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حد الله

لانه بعد غاية يضر بها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب فانظرنى) فاخرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذى

فيه يبعثون لثلايموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف (قال رب بما أعوتنى) الباء للقسم ومصدرية وجواب القسم لازين لهم والمعنى أقسم

(قال) الله له (فاخرج منها) من صورة الملائكة ويقال من كرامتى ورحمتى ويقال من الارض (فانك رجيم) ملعون مطرود من رحمتى (وان عليك اللعنة) لعنتى ولعنة الملائكة والخلائق (الى يوم الدين) يوم الحساب

﴿ قال فاخرج منها ﴾ من السماء أو الجنة أو زمرا الملائكة ﴿ فانك رجيم ﴾ مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد بريح بالحجر أو شيطان بريح بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته ﴿ وان عليك اللعنة ﴾ هذا الطرد والابعاد ﴿ الى يوم الدين ﴾ فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد الله به لانه ابعد غاية يضر بها الناس أولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل ﴿ قال رب فانظرنى ﴾ فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ اراد ان يجد فسحة فى الاعواء ونجاة من الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى ﴿ قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ﴾ المسمى فيه اجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فبهر عنه اولا بيوم الجزء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم اوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعنه يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال ﴿ قال رب بما أعوتنى ﴾ الباء للقسم ومصدرية وجوابه

فضله الله تعالى ﴿ قال فاخرج منها ﴾ يعنى من الجنة وقيل من السماء ﴿ فانك رجيم ﴾ أى طريد ﴿ وان عليك اللعنة الى يوم الدين ﴾ قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كاليامنه اهل الارض فهو ملعون فى السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانه الغاية فهل ينقطع اللعن عند يوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التى عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بمد ذلك عذابا دائما مستمرا لانقطاعه ﴿ قال رب فانظرنى ﴾ يعنى آخرنى ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ﴾ يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال اكراماله بل كان ذلك الامهال زيادة له فى بلائمه وشقائه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عينت وسأت الانظار اليه ﴿ قال رب بما أعوتنى ﴾

(قال) ابليس (رب) يارب (فانظرنى) فأجملنى (الى يوم يبعثون) من القبور أراد الملعون أن لا يذوق الموت (الباء) (قال) الله (فانك من المنظرين) من المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) النفخة الاولى (قال رب) يارب (بما أعوتنى)

باغوائك اياي (لأزين لهم) المعاصي ونحو قوله بما أغويتني لأزين لهم فبعزتكم لاغوينهم في أنه أقسام إلا أن أحدهما أقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل ﴿ ٥٦٣ ﴾ وقد فرق { سورة الحجر } الفقهاء بينهما فقال

العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة بين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس يمينين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يميناً وما لا فلا والآية حجة على المعتزلة في خلق الافعال وحلهم على التسيب عدول عن الظاهر (في الارض) في الدنيا التي هي دار الغرور واراداني أقدر على الاحتيال لآدم والتزين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزين لاولاده في الارض أقدر (ولا غوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصري ومكي وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه (قال هذا صراط على مستقيم

الباء للقسم في قوله بما وما مصدرية وجواب القسم ﴿ لأزين ﴾ والمعنى فباغوائك اياي لأزين لهم في الارض وقيل هي باء السبب يعني بسبب كونى غايراً لأزين لهم في الارض يعني لأزين لهم حب الدنيا ومعاصيك ﴿ ولا غوينهم أجمعين ﴾ يعني بالقائه الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفوره حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال ﴿ الا عبادك منهم المخلصين ﴾ يعني المؤمنين الذين أخلصواك التوحيد والطاعة والعبادة ومن قبح اللام من المخلصين يكون المعنى الامن اخلصته واصطفيته لتوحيده وعبادته وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيد وسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصاً لله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اماناً يكون مراده بتلك الطاعة وجد الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان غير الله فهو الباطل المرذود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين النساخين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أى الجانبين رجح أخذه ﴿ قال ﴾ يعني قال الله تبارك وتعالى ﴿ هذا صراط على مستقيم ﴾ قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يرجع الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاضمه طريقك على أى لاتفتت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق

كما ضللتني عن الهدى (لأزين لهم) لتي آدم (في الارض) الشهوات والذات (و لاغوينهم) لأضلنهم (أجمعين) عن الهدى (الا عبادك منهم المخلصين) المعصومين منى

ويقال الموحدين ان قرأت بكسر اللام ثم (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) كرم شريف ويقال على بمن من أطاعك وبمن من دخل معك ويقال هذا صراط طريق مستقيم قائم برضاه وهو الاسلام ويقال هذا صراط على رفيع ان قرأت بكسر اللام ورفع الياء

وقرى على من علو الشرف ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ تصديق لابليس فيما استثناه. وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع محالب الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان مذهبه تزينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين ﴿وان جهنم لموعدهم﴾ لموعدهم الغاوين أو المتبعين ﴿اجعين﴾ تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعود أن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فان لا يعمل ﴿لها سبعة ابواب﴾ يدخلون فيها اكثر من اوطبات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لان اهلها سبع فرق ﴿لكل باب منهم﴾ من الاتباع ﴿جزء مقسوم﴾ افرز له اعالها للموحدين المعصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابوبكر جزؤ بالتثنية وقرى جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن فى الظرف لافى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفها

على والى يؤدى الى كرامتى ورضوانى ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ أى قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لأزين لهم فى الارض ولأغوينهم أجعين الاعبادك منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعانى ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصته أى الذين هدام واجتباهم من عباده ﴿الامن اتبعك من الغاوين﴾ يعنى الامن اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم متقادين له فيما يأمرهم به ﴿وان جهنم لموعدهم أجعين﴾ يعنى موعدهم ابليس وأشياعه وأتباعه ﴿لها﴾ يعنى لجهنم ﴿سبعة ابواب﴾ يعنى سبع طبقات قال على بن أبى طالب تدرون كيف ابواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشئ وجزأه جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه

ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) أى هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على الى على يعقوب من علو الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم اجعين) الضمير للغاوين (لها سبعة ابواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين

(ان عبادى) المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) ملك ولا مقدرة (الامن اتبعك) الاعلى من اطاعك (من الغاوين) من الكافرين (وان جهنم لموعدهم) مصيرهم عن اطاعك (اجعين لها سبعة ابواب) بعضها اسفل من بعض اعلاها جهنم واسفلها الهاوية (لكل باب منهم) من الكفار (جزء مقسوم)

(ان المتقين في جنات وعيون) وبضم العين مدني وصرى وحفص المتقى على الاطلاق، من سقى ما يجب اتقاؤه فمأوى عنه وقال في الشرح ان دخل أهل الكبار في ﴿٥٦٥﴾ قوله لها سبعة أبواب لكل ﴿سورة الحجر﴾ باب منهم جزء مقسوم

فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبار والافالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أو مسلماً عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن في القلب أى ان كان لاحدهم غل

في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه أرجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحاب (اخواناً) حال (على سرر

حظ معلوم) (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش يعنى أبابكر وعمر وأصحابها (في جنات) في بساتين (وعيون) ماء طاهر (ادخلوها) بقول الله تعالى لهم يوم القيامة ادخاوا الجنة (بسلام) مع سلام وتحيه ويقال سلامة ونجاة من الموت (آمنين) من الموت

﴿ان المتقين﴾ من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة ﴿في جنات وعيون﴾ لكل واحد جنّة وعين أو لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنّتان ثم قوله ومن دونهما جنّتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ﴿ادخلوها﴾ على ارادة القول «وقرى» بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين ﴿بسلام﴾ سالمين أو مسلماً عليكم ﴿آمنين﴾ من الآفات والزوال ﴿ونزعنا﴾ في الدنيا بما الف بين قلوبهم أو في الجنة بتطيب نفوسهم ﴿ما في صدورهم من غل﴾ من حقد كان في الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه أرجوان اكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب ﴿اخواناً﴾ حال من ضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله ﴿على سرر

ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدرّة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصرى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة الجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴿عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمّتي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿قوله سبحانه وتعالى ﴿ان المتقين في جنات وعيون﴾ المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصى والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجرى هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الأمرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجرى في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولده انه ويحتمل انها تجرى من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد ﴿ادخلوها﴾ أى يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته ﴿بسلام آمنين﴾ يعنى ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحنة والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المدمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤسبهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والنش والحقد والحسد ﴿اخواناً﴾ يعنى في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب ﴿على سرر

والزوال (ونزعنا) أخرجنا (ما في صدورهم من غل) غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا (اخواناً) في الآخرة (على سرر

متقابلين ﴿ ويجوز ان يكونا صفتين لاخواناً أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالاً من المستقر في على سرر ﴿ لا يمسهم فيها نصب ﴾ استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ فان تمام النعمة بالخلود ﴿ نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ﴾ فذلك ما سبق من الوعد والوعيد وتقريره وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من تقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف

جمع سرير قال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيباً للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر واليا قوت والسرير مثل صنعاء الى الحياجة ﴿ متقابلين ﴾ بمعنى يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد منهم في فقا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان ﴿ لا يمسهم فيها ﴾ يعني في الجنة ﴿ نصب ﴾ أي تعب ولا اعياء ﴿ وما هم منها ﴾ يعني من الجنة ﴿ بمخرجين ﴾ هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكال بلا نقصان وفوز بلا حرمان ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم ﴿ قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضمكون فقال أنضمكون وبين أيديكم النار فتزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد ثم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند ﴿ وأن عذابي هو العذاب الاليم ﴾ قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لويلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولويلم العبد قدر عذابه ليعم نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرجة يوم خلقها مائة رجة فامسك عنده تسع وتسعين رجة وادخل في خلقه كلهم رجة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرجة لم يأس من الرجة ولويلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا تشرية وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشرية العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرجة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله اني وثانيها انا وثالثها ادخال الهم واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في

متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً (لا يمسهم فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) تقريراً لما ذكر وتمكيته في النفوس قال عليه السلام لويلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولويلم قدر عذابه ليعم نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف

متقابلين (في الزيارة (لا يمسهم فيها) لا يصيبهم في الجنة (نصب) تعب ولا مشقة (وما هم منها) من الجنة (بمخرجين نبي عبادي) خبر عبادي (اني انا الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن مات على التوبة (وأن عذابي هو العذاب الاليم) الوجيع لمن لم يتب ومات على الكفر

(ونبئهم) على نبي عبادي وأخبر أمتك ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط ءبيرة يعتبرون بها سخط الله وانقامه من المجرمين ويحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي أضيائه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يحيى واحدا وجمالانه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسل عليك سلاما وسلمنا سلاما (قال) أي ابراهيم (انامكم وجلون) خائفون لا متناعمهم ﴿٥٦٧﴾ من الاكل ﴿سورة الحجر﴾ أولد خواهم بغيراذن وبغير

وقت (قالوا لا تووجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي انك مبشر آمن فلا تووجل وبالتخفيف وقع النون حزة (بغلام عليم) هو اسحق

لقوله في سورة هود فبشراهاها باسحق (قال أبشرتوني على أن مسنى الكبر) أي أبشرتوني مع مس الكبر بان يولد لي أي ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكي والاصل تبشروني فادغم نون الجمع في نون العماد ثم حذف الاء وبقيت الكسرة دليلا عليه ما تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشروني لحذف الاء اجترأ بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون يقع النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قالوا بشركناك بالحق) باليقين

﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم﴾ على نبي عبادي تحقيق للجماعا يعتبرون به ﴿اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ أي نسل عليك سلاما أو سلمنا سلاما ﴿قال انامكم وجلون﴾ خائفون وذلك لانهم دخلوا بغيراذن وبغير وقت أولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره ﴿قالوا لا تووجل﴾ وقري لا تأجل ولا تووجل من اوجهه ولا تووجل من واجله بمعنى اوجهه ﴿انا نبشرك﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حزة بشرك من البشر ﴿بغلام﴾ هو اسحق عليه السلام لقوله فبشراهاها باسحق ﴿عليم﴾ اذا باغ ﴿قل أبشرتوني على ان مسنى الكبر﴾ تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه أو انكار لان بشره في مثل هذه الحالة وكذلك قوله ﴿فبم تبشرون﴾ أي فبأي أعجوبة تبشروني أي فبأي شئ تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استقئالا لاجتماع المثليين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الاء ﴿قالوا بشركناك بالحق﴾

التزام المغفرة والرحمة قوله سبحانه وتعالى ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم﴾ هذا معطوف على ما قبله أي وأخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيغان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط ﴿اذ دخلوا عليه﴾ يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام ﴿فقالوا سلاما﴾ أي نسل سلاما ﴿قال﴾ يعني ابراهيم ﴿انا منكم وجلون﴾ أي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه ﴿قالوا لا تووجل﴾ يعني لا تخف ﴿انا نبشرك بغلام عليم﴾ يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صفه عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته ﴿قال أبشرتوني﴾ يعني بالولد ﴿على أن مسنى الكبر﴾ يعني على حالة لكبر قاله على طريق التعجب ﴿فبم تبشرون﴾ يعني فبأي شئ تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر ﴿قالوا بشركناك بالحق﴾ يعني بالصدق الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا

(ونبئهم) أخبرهم (عن ضيف ابراهيم) عن أضياف ابراهيم جبريل واثني عشر ملكا معه (اذ دخلوا عليه) على ابراهيم (فقالوا سلاما) سلموا عليه (قال) لهم ابراهيم حين لم يطعموا من طعامه (انامكم وجلون) خائفون (قالوا لا تووجل) لا تفرق يا ابراهيم منا (انا نبشرك بغلام) بولد (عليم) في صفه حلیم في كبره (قال أبشرتوني) بالولد (على أن مسنى الكبر) بعدما أصابني الكبر (فبم تبشرون) فبأي شئ تبشرون الآن (قالوا بشركناك الحق) بالولد

الذي لا يس فيه (فلاتكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصرى وعلى (من) رجته (بالاضالون) الا المخطئون طريق الصواب والالكافرون كقولهم انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون أي لم أستنكر ذلك قنوطا من رجته ولكن استبعادا له في العادة التي أجزاها (قال فاخطبكم) فاشأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) الجزء الرابع عشر { أي قوم لوط } ٥٦٨ ﴿ (الآل لوط) يريد أهله المؤمنين

والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كأنه قيل الى قوم قد أجزموا كلهم الآل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناء بن لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعنى لهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرعى في انه في معنى التهديب والاهلاك كأنه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أجبناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا اهلكوا هؤلاء ونجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (انا المنجوهم أجمعين) مجرى (فلاتكن من القانطين) من

بما يكون لاحالة أو باليقين الذي لا يس فيه أو بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره ﴿ فلاتكن من القانطين ﴾ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجز عاقرو كان استجمال ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قال ومن يقنط من رجته بالاضالون ﴾ المخطئون طريق العرفه فلا يعرفون سعة رحمة الله وكان علمه وقدرته كما قال لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسره وقرئ بالضم وماضيها قنط بالفتح ﴿ قال فاخطبكم أيها المرسلون ﴾ أي فاشأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارته زكريا ومريم عليهما السلام أولانهم بشره في تضاعف الحال لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا تبدأوا بها ﴿ قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعنى قوم لوط ﴿ الآل لوط ﴾ ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا أرسلنا الى قوم اجرم كلهم الآل لوط منه لتهلك المجرمين ونجى آل لوط ويدل عليه قوله ﴿ انا المنجوهم أجمعين ﴾ أي بما يعذب به القوم وهو استثناء اذا اتصل الاستثناء ومتصل

تكثر ذريته وهو اسحق ﴿ فلاتكن من القانطين ﴾ يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ ومن يقنط من رجته ربه الا الضالون ﴾ يعنى من يأس من رجته بالالكاذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفي ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رجته الله تعالى من الضالين لان القنوط من رجته الله كبير كالاتي من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ فاخطبكم ﴾ يعنى فاشأنكم وما الامر الذي جئتم فيه ﴿ أيها المرسلون ﴾ والمعنى ما الامر الذي جئتم به سوى ما بشرتوني به من الولد ﴿ قالوا ﴾ يعنى الملائكة ﴿ انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعنى لهلاك قوم مجرمين ﴿ الآل لوط ﴾ يعنى أشياعه وأتباعه من أهل دينه ﴿ انا المنجوهم أجمعين

(الآيسين من الوالد) قال ابراهيم (ومن يقنط) يئس (من رجته بالاضالون) الكافرون بالله أو بنعمته (الامرأته) (قال) ابراهيم لجبريل وعاونه (فاخطبكم) فاشأنكم وبما ذا جئتم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) مشركين اجترهوا الهلاك على أنفسهم بعلمهم الخبيث يعنون قوم لوط (الآل لوط) ابنتيه زاعورا وريثا وامرأته الصالحة (انا المنجوهم) من الهلاك (أجمعين)

يقطع من الليل) في آخر الليل أو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل (واتبع أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعاعليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد). لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني { الجزء الرابع عشر } والتوقف لان ﴿ ٥٧٠ ﴾ من يلتفت لابلده في ذلك من أدنى

وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالي لانه ضمن معنى أو حينما كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا متواترا وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفي ايهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصعبين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع ووجهه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضئيف فلا تفضحون)

يقطع من الليل (يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه) واتبع أدبارهم (يعني واتبع آثار أهلك وسر خلفهم) ولا يلتفت منكم أحد (يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات الى وراه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا تخرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف أحد منهم فينال العذاب) وامضوا حيث تؤمرون (قال ابن عباس يعني الى الشام وقيل الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط) وقضينا اليه ذلك الامر (يعني وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصعبين) يعني ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أجهم الامر الذي قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشانه (وجاء اهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعني يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضئيف) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعني فيهم

وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالي لانه ضمن معنى أو حينما كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا متواترا وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفي ايهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصعبين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع ووجهه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضئيف فلا تفضحون)

(يقطع من الليل) بعض من آخر الليل عند السحر (واتبع أدبارهم) امش وراءهم نحو صعر (ولا يلتفت) لا يتخلف (وامضوا) سيروا (حيث تؤمرون) نحو صعر (وقضينا اليه ذلك الامر) أمرناه الاتيان الى صعر ويقال

اخبارناه (ان دابر) غابر (هؤلاء) قوم لوط (مقطوع) مستأصل (مصعبين) عند الصباح (وجاء اهل المدينة) (يقال) الى دار لوط (يستبشرون) بعملهم الخبيث (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضئيف) أي اضياف (فلا تفضحون) فيهم

الى ضيفي فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أي ولا تذولون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وبالياه فيهما يعسوب
(قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن نجبر منهم أحدا أو نذفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام
يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين التعرض له فاعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من الخرجين أو عن ضيافة
الغرياء (قال هؤلاء بناتي) فانكحوه ﴿ ٥٧١ ﴾ وكان نكاح { سورة الحجر } المؤمنات من الكفار جازما

ولا تعرضوا لهم (ان كنتم
فاعلين) ان كنتم تريدون
قضاء الشهوة فيما أحل الله
دون ما حرم فقالت الملائكة
لوط عليه السلام (لعمرك
انهم لفي سكرتهم) أي في
غوايتهم التي أذهب عقولهم
وتميزهم بين الخطأ الذي
هم عليه وبين الصواب
الذي تشير به عليهم من ترك
البنين الى البنات (يعمهون)
يتحيرون فكيف يقبلون
قولك وبصغون الى نصيحتك

أو الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو
قسم بحياته وما أقسم بحياة
أحد قط تعظيما له والعمر
والعمر واحد وهو البقاء
الانهم خصوا القسم
بالمفتوح اشارة للاخف
لكثرة دور الحلف على
ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر
وتقديره لعمرك قسمي
(فأخذتهم الصيحة) صحبة
جبريل عليه السلام
(مشرقين) داخلين
في الشروق وهو بزوغ
الشمس

(واتقوا الله) اخشوا الله

بفضيحة ضيفي فان من أسى الى ضيفه فقد أسى اليه ﴿ واتقوا الله ﴾ في ركوب
الفاحشة ﴿ ولا تخزون ﴾ ولا تذولوني بسببهم من الخزي وهو الهوان أو ولا
تخجلوني فيهم من الخزية وهو الحياء ﴿ قالوا أولم ننهك عن العالمين ﴾ عن أن تجبر منهم
أحدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يتمتعهم عنه بقدر
وسعه أو عن ضيافة الناس وانزالهم ﴿ قال هؤلاء بناتي ﴾ يعني نساء القوم فان نبي كل
أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ قضاء الوطر أو ما قول
لكم ﴿ لعمرك ﴾ قسم بحياة المخاطب والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام
وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر
يختص به القسم ليشارة الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم ﴿ انهم لفي سكرتهم ﴾
لني غوايتهم أو شدة غلظتهم التي ازال عقولهم وتميزهم بين خطيئهم والصواب الذي
يشار به اليهم ﴿ يعمهون ﴾ يتحيرون فكيف يسمعون نصيحك وقيل الضمير لقريش والجملة
اعتراض ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعني هائلة مهلكة وقيل صحبة جبريل عليه السلام ﴿ مشرقين ﴾

يقال فضحه يفضحه اذا ظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه ﴿ واتقوا الله ﴾ يعني
خافوا الله في أمرهم ﴿ ولا تخزون ﴾ يعني ولا تخجلون ﴿ قالوا ﴾ يعني قوم لوط الذين
جاؤا اليه ﴿ أولم ننهك عن العالمين ﴾ يعني أولم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين
وقيل معناه أولم ننهك ان تدخل الغرياء الى بيتك فان تريد أن تركب منهم الفاحشة وقيل
معناه ألسنا قد ننهك أن تكلمنا في أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة ﴿ قال ﴾ يعني
قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه ﴿ هؤلاء بناتي ﴾ أزوجكم ايها من ان أسلمتم فأتوا
الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد البنات نساء قومه لان النبي كالأولاد لامته ﴿ ان كنتم
فاعلين ﴾ يعني ما أمركم به ﴿ لعمرك ﴾ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن
عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم
وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان
بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف
والمنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه ﴿ انهم لفي سكرتهم ﴾ يعني
في حيرتهم وضلالهم وقيل في غلظتهم ﴿ يعمهون ﴾ يعني يترددون متحيرين وقال قتادة
يلعبون ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب
الذي نزل بهم وقت الصبح وتعامه وانهاؤه حين أشرقت الشمس

في الحرام (ولا تخزون) لا تذولون في اضياف (قالوا أولم ننهك) يالوط (عن العالمين) عن ضيافة الغرياء (قال هؤلاء بناتي) ويقال
بنات قومي أنا أزوجكم (ان كنتم فاعلين) متزوجين (لعمرك) أقسم بعمر محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بدنيه (انهم) يعني قوم لوط
(لفي سكرتهم) لفي جهلهم (يعمهون) لا يبصرون (فأخذتهم الصيحة) بالعذاب (مشرقين) عند طلوع الشمس

فجعلنا عالها سافلها (رخصها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط) وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
ان في ذلك لايات للمتوسمين (الجزء الرابع عشر للمتفرسين المتأملين كأنهم ٥٧٢) يعرفون باطن الشيء بسمه ظاهرة

(وانها) وان هذه القرى
يعنى آثارها (لبسيل مقيم)
ثابت يسلكه الناس لم يندرس
بمدوهم يبصرون تلك
الآثار وهو تنبيه لقريش
كقوله وانكم لترون عليهم
مصحين وبالليل (ان في
لاية للمؤمنين) لانهم
المتنفقون بذلك (وان كان
أصحاب الايكة) وان الامس
والشان كان أصحاب الايكة
اي الفيضة (الظالمين) لكافرين
وهم قوم شعيب عليه السلام
(فانتقمنا منهم) فاهلكناهم
لما كذبوا اشعيا (وانها)
يعنى قرى قوم لوط والايكة
(لبأمام)

(فجعلنا عالها سافلها) أعلاها
أسفلها وأسفلها أعلاها
(وامطرنا عليهم) على
شذاذهم ومسافرهم (حجارة
من سجيل) من سماء الدنيا
ويقال من سبخ ووحل مطبوخ
كالا جبر (ان في ذلك) فيما
فعلناهم (لايات) لعلامات
وعبرات (للمتوسمين)
للمتفرسين ويقال للمتفكرين
ويقال للناظرين ويقال
المعتبرين (وانها) يعنى قريات
لوط (لبسيل مقيم) طريق
دائم يمرون عليها (ان في ذلك)
في هالكهم (لاية) لعبرة
(للمؤمنين) وان كان (يعنى وقد
كان) أصحاب الايكة (يعنى
أصحاب الفيضة والايكة

داخلين في وقت شروق الشمس) فجعلنا عالها) على المدينة أو على قراهم
(سافلها) فصارت منقلبة بهم) وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين
متحجرا وطين عليه كتاب من السجيل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة
هود) ان في ذلك لايات للمتوسمين) المتفكرين المتفرسين الذين يتبتون في نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته) وانها) وان المدينة أو القرى (لبسيل مقيم)
ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها) ان في ذلك لاية للمؤمنين) بالله ورسوله
(وان كان أصحاب الايكة لظالمين) هم قوم شعيب عليه السلام كانوا
يسكنون الفيضة فبعث الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلمة والايكة الشجرة
المتكاثفة) فانتقمنا منهم) بالاهلاك) وانها) يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبئا عن الآخر) لبأمام

(فجعلنا عالها سافلها) وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود) ان في
ذلك) يعنى الذي نزل بهم من العذاب) لايات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة
للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين) ويعضد هذا التأويل ما روى عن أبي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ
ان في ذلك لايات للمتوسمين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من
قولك تفرست في فلان الخيروهى على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقه
الله في قلوب أوليائه فيعملون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر
والظن والتبث والنوع الثانى ما يحصل بدلائل الجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك
أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين
في اللغة المشتبين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالتوسم الناظر في سمة
الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أى عرفت وسم ذلك وسمته) وانها) يعنى قرى
قوم لوط) لبسيل مقيم) يعنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلى بن حنفى ولا
زائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسيل مقيم ثابت لم يدثر
ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاج الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره) ان
في ذلك) يعنى الذى ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم) لاية للمؤمنين) يعنى المصدقين
بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم) وان كان أصحاب الايكة لظالمين) يعنى كان أصحاب
الايكة وهى الفيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيدهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب
غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا
رسولا فكذبوه فاهلكهم الله فهو قوله تعالى) فانتقمنا منهم) يعنى بالعذاب وذلك ان الله
سبحانه وتعالى سلط عليهم الحرسعة أيام حتى أخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله
سبحانه وتعالى سحابة كالظلمة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم
نارا فحرقهم جميعا) وانها) يعنى مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الايكة) لبأمام

الشجر وهم قوم شعيب (لظالمين) لشركين (فانتقمنا منهم) في الدنيا بالعذاب (وانها) يعنى قريات لوط وشعيب (لبأمام) (مبين)

مبين) لطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى بالطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر وادبهم وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعني شكديهم يعني صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فن كذب واحدا منهم فكانما كذب جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كاقيل الخبيثون في ابن الزبير وأصحابه (وآيتناهم ﴿ ٥٧٣ ﴾ آياتنا فكانوا { سورة الحجر } عنهما معرضين) أى عرضوا

عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أى ينقبون في الجبال بيوتا أو ينون من الحجارة (آمنين) لوثيقة البيوت واستحكامها من ان تهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصحجين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق لا باطلا وعشا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء

مبين ﴿ لطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى الطريق واللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ﴾ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴿ يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر وادبهم المدينة والشام يسكنونها ﴿ وآيتناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ﴾ يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالساقفة وسقيها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الادلة ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم ان الجبال تحميهم منه ﴿ فأخذتهم الصيحة مصحجين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد ﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم

مبين ﴿ يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق امامالانه يؤم ويتبع ولان المسافر يأتيه حتى يصير الى الموضوع الذي يريد ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ قال المفسرون الحجر اسم وادكان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم اولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل ﴿ وآيتناهم آياتنا ﴾ يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات ﴿ فكانوا عنها ﴾ يعني عن الآيات ﴿ معرضين ﴾ يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ يعني خوفا من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو الصقف ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعني العذاب ﴿ مصحجين ﴾ يعني وقت الصبح ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ يعني من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴿ يعني لظهار الحق والعذاب وهو أن يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب

مبين) لطريق واضح يعمرون عليها (ولقد كذب أصحاب الحجر) قوم صالح (المرسلين) صالحا وجملة المرسلين (وآيتناهم) أعطيناهم (آياتنا) الناقة وغيرها (فكانوا عنها معرضين) مكذبين بها (وكانوا ينحتون

من الجبال) في الجبال (بيوتا آمنين) من ان تقع عليهم ويقال آمنين من العذاب (فأخذتهم الصيحة) بالعذاب (مصحجين) عند الصباح (فما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون ويعبدون من دون الله (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) من الخلق والجائب (الا بالحق) لبيان الحق والباطل والحجة عليهم

على الاعمال (وان الساعة) أى القيامة لتوقها كل ساعة (لآتية *) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وأياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصح الصبح الجليل) فاعرض عنهم اعراضا جلابلا بحلم واغضاه قيل هو منسوخ بآية السيف وان أريده بالمخالفة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم (العليم) { الجزء الرابع عشر } بحالك ومجالهم ﴿ ٥٧٤ ﴾ فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو

يحكم بينكم (ولقد آتيناك سبعا) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلاف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثاني) هى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما يتكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله واذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبعض (والقرآن العظيم) هذا

(وان الساعة لآتية) لكائنة (فاصح الصبح الجليل) أعرض عنهم اعراضا جلابلا فحش ولا جزع وهى منسوخة بآية القتال (ان ربك هو الخلاق) الباعث لمن آمن به

من الارض ﴿ وان الساعة لآتية ﴾ فينتقم الله لك فيها من كذبك ﴿ فاصح الصبح الجليل ﴾ ولا تجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ ان ربك هو الخلاق ﴾ الذى خلقك وخلقهم ويده امرك وامرهم ﴿ العليم ﴾ بحالك ومجالهم فهو حقيق بان تنكل ذلك اليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصبح اليوم اصح وفي صحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ﴿ ولقد آتيناك سبعا ﴾ سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع ﴿ من المثاني ﴾ بيان للسبع والمثاني من التثنية أو الاثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته والفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز أو مثنى على الله بما هو اهل من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعض ﴿ والقرآن العظيم ﴾

﴿ وان الساعة لآتية ﴾ يعنى وان القيامة لتأتى ليجازى المسن باحسانه والمسى باساءته ﴿ فاصح الصبح الجليل ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى فاعرض عنهم بما حمد واعف عنهم عفو احسن واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصبح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعرفو والصفح الخالى من الجزع والخوف ﴿ ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴿ قال ابن الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير فى يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر قتال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أو لا يصح لان هذه السورة مكية باجاء أهل التفسير وليس فيها من المدنى شىء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت فى يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمنها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله أعلم ﴿ وفى المراد بالسبع المثاني أقوال ﴾ أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمرو على وابن مسعود وفى رواية عنه وان

ولمن لم يؤمن (العليم) بثوابهم وعقابهم (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) يقول اكرمناك بسبع آيات من القرآن تثنى فى كل (عباس) ركعة وسجدة وهى فاتحة الكتاب ويقال اكرمناك بأسباع القرآن لان القرآن كله مثنى أمر ونهى ووعود ووعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحققة ومجاز ومحكم ومتشابه وخبر ما كان وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم (والقرآن العظيم) يقول وأكرمناك

ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر

عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين * ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجهم أبو داود الترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجهم البخاري وفيه زيادة * أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلأنها سبع آيات باجاء أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تنبئ في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء * ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذکور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها منثاة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ منثاة وقال الحسن بن الفضل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناهما وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لأنها تنبئ أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبتت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذابت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذکر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سورة لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعاً من المثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثاني وفضلني ربي بالمفضل أخرجهم البيهقي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبثية فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال غالباً مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكية وأجيب عن هذا اليراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان

ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فأوراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله

بالقرآن العظيم الكريم الشريف كما أنزلنا التوراة والانجيل على المقتسمين اليهود والنصارى

(لا تمدن عينيك) أي لا تطمح ببصرك طموح راغب إلى ما تمناه أزواجنا منهم أصنافا من الكفار فانه مستحق بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مقض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضى الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيم وعظم صغير اروي انه عليه الصلاة والسلام وافي باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها نواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينها ولا تفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتهم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم الممتعون به

الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السور * القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثني وجمعة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني مكان الزبور المثاني * القول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس حجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثبتت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الاعطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فاوراءه من ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما وحينئذ ليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله لا تمدن عينيك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد إلى ما تمناه أزواجنا يعني أصنافا منهم يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاجة أهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا دام النظر اليه مستحسنا له فيحسنا له من ذلك بمعنى ذلك الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه ولا تحزن عليهم يعني ولا تنعم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففيه النهي عن الالتفات الى أموال الكفار والالتفات اليهم أيضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغتبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي مریم ما قاتلا لا يموت قال النار (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى أسفل منه لفظ البخاري * ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل

التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) أي لا تمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون

(لا تمدن عينيك) لا تنظرن بالرغبة (الى ما تمناه) أعطينا من الاموال (أزواجنا منهم) رجالا من بني قريظة والنضير ويقال من قريش لان ما أكرمناك به من النبوة والاسلام والقرآن أعظم مما أعطيناهم من الاموال (ولا تحزن عليهم) على هلاكهم ان لم يؤمنوا

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل انى انا النذير المبين﴾ انذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا ﴿كأنزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاشعشر الذين اقتسموا امداحل مكة ايام الموسم لينفرو والناس عن الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أى تقاسموا على ان يبتوا لصالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعبثه حق موافق للتوراة والانجيل وبعبثه باطل مخالف لهما أو قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين أو اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يشرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسليية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل لهم انى انا النذير المبين) أنذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (كأنزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم أهل الكتاب

(واخفض جناحك للمؤمنين) لين جانبك للمؤمنين يقول كن رحيماء عليهم (وقل انى انا النذير المبين) الرسول المخوف بلغة تعرفونها من عذاب الله (كأنزلنا) يوم بدر (على المقتسمين) أصحاب العقبة وهو أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة المخزومى وحنظلة بن أبى سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وسائر أصحابهم الذين قتلوا يوم بدر

منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان لا تزددوا نعمه الله عليكم قال عوف ابن عبدالله بن عتبة كنت أصحب الاغنياء فما كان أحداً أكثرهما منى كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ واخفض جناحك ﴿يعنى لين جانبك﴾ للمؤمنين ﴿وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين﴾ ﴿وقل﴾ أى ﴿وقل لهم يا محمد﴾ انى انا النذير المبين ﴿لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والندارة بتبليغ مع تحويف والمعنى انى انا النذير بالعقاب لمن عصانى المبين البين الندارة ﴿كأنزلنا على المقتسمين﴾ يعنى أنذركم عذابا كذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان أقوالهم تقسمت فى القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا ففرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغفروا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا سألوه

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضنة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بئنا لهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى أو اريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقساموه فاليهود أقرت بعض التوراة وكذبت بعض والنصارى أقرت بعض الانجيل وكذبت بعض ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين { الجزء الرابع عشر } منصوبا ﴿ ٥٧٨ ﴾ بالندبر اى اندراعضين الذى يجزؤن

القرآن الى سحر وسحر واساطير مثل ما نزلنا على المقتسمين وهم الاثناعشر الذين اقساموا بداخل مكة ايام الموسم فقعدهوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخ شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار المعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم و من الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا

وقوله لا تمدن الخ اعتراضا بمدالها ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ اجزاء جمع عضنة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضته اذا بهتته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضة والمستعضمة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ ﴿ أخبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ﴾ من التقسيم أو النسبة الى السحر فيجازيهم عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ الذين جعلوا القرآن عضين ﴿ (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه اجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضنة من قولهم عضيت الشي اذا فرقت وجملته اجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضنة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القرآن سحرا ﴿ فوربك لنسألنهم اجمعين ﴾ أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ يعنى عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى نسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الا الله ﴿ عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسأل العباد عن حلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل علمت لانه أعلم به منهم ولكن يقول لم علمت كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسألنهم اجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا أنه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون فى بعض المواقف ولا يسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى فى آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ قوله سبحانه وتعالى

(فاصدع)

من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفى القرآن أوفى

(الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا فى القرآن أقاويل مختلفة قال بعضهم سحر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم أساطير الاولين وقال بعضهم كذب يختلف من تلقاء نفسه (فوربك) يا محمد أقسم بنفسه (لنسألنهم) يوم القيامة (اجمعين عما كانوا يعملون) يقولون فى الدنيا ويقال عن تركهم لا اله الا الله

كتب الله (فاصدع بما تؤمر)

فاجهر به واظهره يقال
صدع بالحجة اذا تكلم بها
جهارا من الصديق وهو
الفجر أو فاصدع فافرق
بين الحق والباطل من
الصدع في الزجاجة وهو
الابانة بما تؤمر والمعنى بما
تؤمر به من الشرائع فحذف
الجار كقوله
امرتك الخير فانصل ما
امرته به
(واعرض عن المشركين)
هو امر استهانة بهم (انا
كفييناك المستهزين)
الجمهور على انها نزلت في
خسة نفر كانوا يبالغون
في ايداء رسول الله صلى الله
وسلم والاستهزاء به فاهلكهم
الله وهم الوليد بن المغيرة
مر بنال فتعلق بشو بههم
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه
فمات والعاص بن وائل
دخل في اخسه شوكة
فاتفتحت رجله فمات
والاسود بن عبد المطلب
عمى والاسود بن عبد
يفوث جعل ينطح
رأسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات
والحرث بن قيس امتخط
قيحومات

(فاصدع بما تؤمر) يقول
اظهر امرك بمكة (واعرض

عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي) فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع
بالحجة اذ تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية
أو موصولة والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع (واعرض عن المشركين) فلا
تلتفت الى ما يقولون (انا كفييناك المستهزين) بجمعهم واهلاكهم قبل كانوا خمسة من اشرف
قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يفيوث
والاسود بن المطلب يبالغون في ايداء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه

(فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهر ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل
الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبد الله بن
عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه
(واعرض عن المشركين) أي اكف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك
وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى
(انا كفييناك المستهزين) أكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال
وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والاتفات اليهم فلا
يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفييناك المستهزين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحدا غيري فاني انا كافيك وحافظك
من عاداك فانا كفييناك المستهزين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا
يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان
رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد
العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره
واثكله بولده والاسود بن عبد يفيوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث
ابن قيس بن طلاطة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة
وقال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمهم قال المفسرون أي
جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤون يطوفون بالبيت
فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال
جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بش عبد الله فقال قد كفيته وأوما الى ساق الوليد
فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يرش نباله وعليه بردعاني وهو يجرا زاره فتملقت
شظية من النبل بازار الوليد فمعه الكبر ان يطأني رأسه فيزعها وجملت تضربه في
ساقه فحدثته فمض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف
تجد هذا يا محمد فقال بش عبد الله فاشار جبريل الى أخص قدمه وقال قد كفيته
فخرج العاص على راحلة يتزهره ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ شبرقة
فدخل منها شوكة في أخص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا واتفتحت رجله

عن المشركين انا كفييناك المستهزين) رفعا عنك مؤنة المستهزين

(الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون)
صيت أو في القرآن أوفى { الجزء الرابع عشر } الله (فسبح محمد ربك) ﴿ ٨٠ ﴾ (وكن من الساجدين) فافزع

فيمتابك الى الله والفرع
الى الله هو والد كرام
وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغم

(الذين يجعلون مع الله الها
آخر) يقولون مع الله آلهة شتى
(فسوف يعلمون) ماذا يفعل
بهم فأهلكهم الله في يوم ليلة
كل واحد منهم يعذاب غير
عذاب صاحبه وكانوا خمسة
منهم العاص بن وائل السهمي
للسعة شئ فأتى مكانه بعده
الله ومنهم الحرث بن قيس
السهمي أكل حوتا مالحا
ويقال طريا فأصابه العطش
فشرب عليه الماء حتى انشق
بطنه فأتى مكانه أتته الله
ومنهم الاسود بن عبد المطلب
ضرب جبريل رأسه على
شجرة وضرب وجهه
بالشوك حتى مات نكسه الله
ومنهم الاسود بن عبد يغوث
خرج في يوم شديد الحر
فأصابه السموم فأسود حتى
عاد حبشيا فرجع الى بيته فلم
يفتحوا عليه الباب فنطح رأسه
ببابه حتى مات خذله الله
ومنهم الوليد بن المغيرة المخزومي
أصاب الحكة نبل فأتى من
ذلك طرده الله وكلهم كانوا

السلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكيهكم فاومأ الى ساق الوليد فر
بنال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعته فأتى واومأ الى
اخص العاصي فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجلاه حتى صارت كالرحى ومات و اشار الى انق
عدى بن قيس فامتحط قبحا فأتى الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب
فسمى ﴿ الذين يجعلون مع الله لها آخر فسوف يعلمون ﴾ عاقبة أمرهم في الدارين ﴿ ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ من الشرك والظن في القرآن والاستهزاء بك
﴿ فسبح محمد ربك ﴾ فافزع الى الله تعالى فيما نالك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف
الغم عنك أو فتره عما يقولون حامداله على ان هداك للحق ﴿ وكن من الساجدين ﴾

حتى صارت مثل عنق البعير فأتى مكانه ومعهما الاسود بن المطلب فقال جبريل
كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته
فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه
فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أتاه جبريل وهو قاعد
في أصل شجرة ومعه غلامه وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه
بالشوك فاستقامت بعلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شئاً غيرك فأتى وهو
يقول قتلى رب محمد ومعهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد
فقال بئس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى
بطنه فأتى وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فاصابه سموم فأسود وجهه حتى
صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فأتى وهو يقول قتلى رب محمد
ومعهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومأ
جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتحط قبحا فقتله وقال ابن عباس أنه أكل
حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه فأتى فذلك قوله تعالى
انا كفيته المستهزئين يعني بك وبالقرآن ﴿ الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون ﴾ يعني اذا نزل بهم المذاب فيه وعيد وتهديد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ﴿ يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمونه
من الاستهزاء به والعقول الفاحش والجليلة البشرية تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك
ضيق الصدر فمنذ ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله ﴿ فسبح محمد ربك ﴾
قال ابن عباس فصل بامر ربك ﴿ وكن من الساجدين ﴾ يعني من المتواضعين لله
وقال الضحاك فسبح محمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني
من المصلين ﴿ روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال

يقولون قتلى رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد نعلم انك يضيق صدرك) يا محمد (بما يقولون) من التكذيب (بعض)
وبانك شاعر وساحر وكذاب وكاهن (فسبح محمد ربك) فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) مع الساجدين ويقال من

من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده مادامت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة ﴿ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم

﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي ﴾

مائة وثمان وعشرون آية

بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا أفى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والنغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفيتني ما أكره فلما عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشاء ﴿ قوله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقانك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلوة والزكوة مادمت حيا ﴿ روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان سجد بمحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿ وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيت بين أبويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شربته له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ماترون ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

مكية الاقوله تعالى وان عاقبتهم بما عاقبوا بمثل ما عاقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهده الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله ولذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

(واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني مادامت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ﴿ سورة النحل مكية وهي

مائة وثمان وعشرون آية

المطمئنين (واعبد ربك) استقم على طاعة ربك (حتى يأتيك اليقين) يعني الموت وهو الموقن ﴿ ومن اسورة التي يذكر فيها النحل وهي كلها مكية غير أربع آيات نزلت بالمدينة قوله وان عاقبتهم فمأقبوا الى آخره واصبر وما صبرك الا بالله الى آخر الآية وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا الى آخر الآية وقوله والذين هاجروا من بعدما ظلموا الى آخر الآية فهؤلاء الايات الاربع مدنيت آياتها مائة وعشرون وثمان آيات وكلها ألف وثمانمائة واحد وأربعون وحروفها ستة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ أتى امرأته فلا تستعجلوه ﴾ كانوا يستعجلون ما وعدهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قيام الساعة أو اهلاك الله تعالى إياهم كإفعل يوم بدر استهزاء وتكذبا ويقولون ان صبح مايقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ تبرأوا وجل عن ان يكون له شريك في دفع ما اراد بهم وقرأ آية الكسائي بالتاء على وفق قوله تعالى فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أو على ان الخطاب للمؤمنين أولهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت آتى امرأته فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ بالوحى أو القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ أتى امرأته ﴾ ﴾ يعنى جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أنك الامر وهو متوقع المحيى بعدما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعداء ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ يعنى وقوعا والمراد به محيى القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شئ قالوا ما نرى شئاً فنزل قوله تعالى اقتربت للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شئاً مما تخوفنا به فنزل آتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب محيى الشئ قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعه يدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احدهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتهما كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان بعثت النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مرجبريل باهل السموات مبعوثاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء واثنتا بعذاب الهم فاستجلب العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبراً ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يعنى تنزه الله وتعظيمه بالوصاف الحميدة عما يصفه المشركون ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ ﴾ يعنى بالوحى

العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذبا بالوعد فقيل لهم (أتى امرأته) أى هو بمنزلة لآتى الواقع وان كان منتظراً لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأوا وجل وعز عن أن يكون له شريك وعن اشراكهم فاموصولة أو مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخييف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحى أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيى

﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وبإسناده عن ابن عباس قال لما نزل قوله اقتربت للناس حسابهم الى آخر الآية وقوله اقتربت الساعة الى آخر الآية فكشوا على ذلك ما شاء الله ان يكشوا ولم يتبين لهم شئ فقالوا يا محمد متى يأتينا ما تعدنا من العذاب فأ نزل الله (أتى امرأته) أى عذاب الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فقام لا يشك ان العذاب قد أتى فقال الله (فلا تستعجلوه) بالعذاب فجلس النبي صلى الله عليه وسلم (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك

القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن اندروا) ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى اندروا (انه لا اله الا انا فاتقون) اعلموا ﴿ ٥٨٣ ﴾ بان الامر ذلك (سورة النحل) من نذرت بكذا اذا علمته

والمعنى اعلموا الناس
قولى لا اله الا انا فاتقون
فخافون وبالياء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وانه لا اله
الا هو بما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات
والارض وهو قوله (خلق
السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون) وبالله
في الموضوعين حجة وعلى
وخلق الانسان وما يكون
منه وهو قوله (خلق الانسان
من نطفة فاذا هو خصيم
مبين) أى فاذا هو منطبق
مجادل عن نفسه مكافئ
لخصومه مبين لحجته بعدما
كان نطفة لاحتس به ولا
حركة فاذا هو خصيم لربه
منكر على خالقه قائل من
يحيي العظام وهى رميم
وهو وصف للانسان
بالواقحة والتقادى فى كفران
النعمة وخلق ما لا يبدله منه
من خلق البهائم لا كله
وركوبه وحمل أثقاله وسائر
من أمره) بالنبوة
والكتاب بامر (على من
يشاء من عباده) يعنى محمدا
وغيره من الانبياء (أن اندروا)
خوفوا بالقرآن واقروا
حتى يقولوا (انه لا اله الا انا

الذى به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعالم به وقرأ ابن كثير وابوعرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى
تنزل وقرأ ابوبكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل ﴿ من أمره ﴾ بامرهم ومن اجله
﴿ على من يشاء من عباده ﴾ الانبياء ان يتخذ رسولاً ﴿ ان اندروا ﴾ بان اندروا أى اعلموا ومن
نذرت بكذا اذا علمته ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ ان الشأن لا اله الا انا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر
والمعاصى بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة
لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجربدلا من الروح أو النصب
بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان
حاصله التنبه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلية والامر بالتقوى الذى هو
اقصى كالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها دليل وحدانيته من
حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع ﴿ خلق السموات والارض بالحق ﴾
او جدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿ تعالى عما
يشركون ﴾ منها وأما يقتدر في وجوده أو بقاءه اليها وعما لا يقدر على خلقها وفيه
دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قيسل الاجرام ﴿ خلق الانسان
من نطفة ﴾ جاد لاحتس لها ولا حراك السائلة لا تحفظ الوضع والشكل ﴿ فاذا هو خصيم ﴾
منطبق مناظر مجادل ﴿ مبين ﴾ للحجة أو خصيم مكافئ خالقه قائل من يحيي
العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم رميم

﴿ من أمره ﴾ وانما سمي الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء
بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح
وهو جبريل ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ
الوحي الى الخلق ﴿ أن اندروا ﴾ يعنى بأن اعلموا ﴿ انه لا اله الا انا فاتقون ﴾ أى فخافون
وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعنى مخوفين بالقرآن ﴿ خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ خلق الانسان من نطفة فاذا
هو خصيم مبين ﴾ يعنى انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت فى أبى بن خلف
الجمحى وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله
يحيي هذا العظم بعدما رمى فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي
العظام وهى رميم والصحيح ان الآية عامة فى كل ما يقع من الخصومة فى الدنيا ويوم
القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة
قدرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله

فاتقون) فاطموني ووحدوني (خلق السموات والارض بالحق) للحق ويقال للزوال والقضاء (تعالى) تبرأ (عما يشركون) من الاوثان
(خلق الانسان) أبى بن خلف الجمحى (من نطفة) منتنة (فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) ظاهر الجدل لقوله من يحيي العظام

حاجاته وهو قوله (والانعام
خلقها لكم) هي الأزواج
الثمانية وأكثر ما يقع على
الابل وانتصابها بضم
يفسر الظاهر كقوله
والقمر قدرناه منازل أو
بالعطف على الانسان أي
خلق الانسان والانعام ثم
قال خلقها لكم أي ما خلقها
الالكم يا جنس الانسان (فيها
دف) وهو اسم ما يدفأ به
من لباس معمول من صوف
او براشعرو (ومنافع)
وهي نسلها ودرها (ومنها
تأكلون) قدم الظرف وهو
يؤذن بالاختصاص وقد
يؤكل من غيرها لان الاكل
منها هو الاصل الذي يعتمد
الناس في معاشهم واما
الاكل من غيرها كالدجاج
والبط وصيد البر والبحر
فكغير المتدب وكالجاري
مجري التفكه (ولكم فيها
جال حين تريحون) تردونها
من مراعيها الى مساحها
بالعشى (وحيث تسرحون)
ترسلونها بالعداة الى مساحها
من الله تعالى

وهي رميم (والانعام) يعني
الابل (خلقها لكم فيهادف)
الاداء من الاكسية وغيرها
(ومنافع) في ظهورها والبنها
(ومنها تأكلون) من لحومها
تأكلون (ولكم فيها جال)

وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رم فتزلت (والانعام) الابل والبقر
والغنم وانتصابها بفعل يفسره (خلقها لكم) أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم
بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له (فيهادف) ما يدفأ به فيقي البرد (ومنافع)
نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) أي تأكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي أو لان
الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل
التداوي أو التفكه (ولكم فيها جال) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى
مساحها بالعشى (وحيث تسرحون) تخرجونها بالعداة الى المراعي فان الافنية تترين بها
في الوقتين ومحل اهلها في عين الناظرين الهوا وتقديم الراحة لان الجمل فيها اظهر
فانها تقبل ملائ البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرى حينما
على ان تريحون وتسرحون وصفه بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه

تعالى مع ظهورها عليهم قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه
وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينفع
به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين
يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى
والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام
خلقها ثم ابتداء فقال تعالى (لكم فيها دف) قال ويجوز أيضا ان يكون تمام الكلام
عند قوله لكم ثم ابتداء فقال تعالى فيهادف قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن
يكون الوقت عند قوله خلقها ثم يتبدى بقوله لكم فيهادف والدليل عليه أنه عطف
عليه قوله ولكم فيها جال والتقدير لكم فيهادف ولكم فيها جال ولما كانت منافع
هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع
الضرورية فقال تعالى لكم فيهادف وهو ما يستدفاه من اللباس والاكسية ونحوها
المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل
والدر والركوب والجل عليها وسائر ما ينفع به من الانعام (ومنها تأكلون) يعني
من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن
بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس
في معاشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فغير
مستدب في الاغلب وأكبه مجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب
في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم
أخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل
فهذا قدم على الاكل وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام
(جال) أي زينة (حين تريحون وحيث تسرحون) الراحة ردا للابل

بالتجمل بها كما من الانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى لان الرعيان اذا رحوها بالعشى وسرحوها بالغداة تزينت
باراحتها وتسريحها الاقنية وفرحت ﴿ ٥٨٥ ﴾ أربابها أو كسبتهم { سورة النحل } الجاه والحرمة عند الناس وانما

قدمت الراحة على
التسريح لان الجمال في
الاراحة أظهر اذا قلبت
ملاى البطون حافلة
الضروع (وتحمل أثقالكم)
أجالكم (الى بلد لم تكونوا
بالفيه الا بشق الانفس)
ونفع الشين أبو جعفر
وهما لقتان في معنى المشقة
وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه شقا وحقيقته
راجعة الى الشق الذى هو
الصدع وأما الشق فالنصف
كانه يذهب نصف قوته
لما ينال من الجهد والمعنى
وتحمل أثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالفيه لولم تخلق
الابل الا بالجهد ومشقة فضلا
أن تحملوا أثقالكم على
ظهوركم أو معناه لم تكونوا
بالفيه الا بشق الانفس وقيل
أثقالكم أمدانكم ومنه
الثقلان للجن والانس ومنه
وأخرجت الارض أثقالها
أى بنى آدم (ان ربكم لرؤف رحيم)
حيث رحكم بخلق
هذه الحوامل وتيسير هذه
المصالح (والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة)
عطف على الانعام أى وخلق

وتحمل أثقالكم ﴿ اجالكم ﴾ الى بلد لم تكونوا بالفيه ﴿ ان لم تكن ولم تخلق
فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه ﴿ الا بشق الانفس ﴾ الا بكلفة ومشقة وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى
النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث رحكم
بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم ﴿ والخيل والبغال والحمير ﴾ عطف على الانعام
﴿ لتركبوها وزينة ﴾ أى لتركبوها ولتزينوا بهازينة وقيل هى معطوفة على محل

بالعشى الى مراحيها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم بلهم تسريحا اذا أخرجوها بالغداة
الى المرعى قال اهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب
والكلا وخرجت العرب النجعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فن الله سبحانه
وتعالى بالتجمل بها فيه كما من الانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من
معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشى الى الاقنية
والبيوت يسمعون للابل رغاء وللشاء نغاء يجابون بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها بها وتجمل
بها الاقنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس ﴿ فان قلت لم قدمت الراحة على التسريح ﴿ قلت
لان الجمال في الراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل
من المرعى ملاى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى
فانها تخرج حائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار
للرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الراحة أكثر منه في التسريح فوجب
تقديمه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ الأثقال جمع ثقل وهو متاع
السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر ﴿ الى بلد ﴾ يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة
الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم
وأسفارهم الى الشام واليمن وجهه على العموم أولى لانه خطاب عام فدخل الكافة فيه أولى
من تخصيصه ببعض المخاطبين ﴿ لم تكونوا بالفيه ﴾ يعنى بالنى ذلك البلد الذى تقصدونه
﴿ الا بشق الانفس ﴾ يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشى والمعنى
على هذا لم تكونوا بالفيه الا بنبهة قوة النفس وذهاب نصفها ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾
يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المناقع ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ والخيل والبغال والحمير
لتركبوها ﴾ هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها
والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء ﴿ وزينة ﴾ يعنى وجعلها
زينة مع المنافع التى فيها

فصل

احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلاهذه الآية وقال

(وتحمل أثقالكم) أمتعتكم
وزادكم (الى بلد)

يعنى مكة (لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس) (قاو خا ٧٤ لث) الا بتعب النفس (ان ربكم لرؤف) بمن آمن (رحيم) بتأخير
العذاب عنكم) (والخيل والبغال والحمير) يقول خلق الخيل والبغال والحمير (لتركبوها) فى سبيل الله (وزينة) لكم فيها منظر حسن

لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض «وقرى» بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها أو مصدرها في موقع الحال من احد الضميرين أو مترينين أو مترينها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً ان لا يقصد منه غيره اصلاً ويندل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خبير ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالباً احتياجاً ضرورياً أو غير ضروري اجل غيرها ويجوز ان يكون اخباراً بان له من الخلاق

هذه للركوب والزيادة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علة خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سبقت لبيان النعمة او لا يلق بالحكيم ن يذكر في مواضع المنفعة اذنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفاً على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلقاته وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمه الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علنا تحريم أكله ولو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعملنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشرح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه وأحمد واسحق ﴿واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً ونحن بالمدينة فاكلناه أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خير لحوم الخيل وجر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلى هذه رواية البخارى ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خير الخيل والبغال والحير وكنا قد أصابتنا حنضة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحير ولم ينهنا عن الخيل * وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حل الاثقال على الخيل وقال البغوى ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضى ان الخيل والبغال والحير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتاً عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحير فاخذنا بها جماين النصين والله أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي يتفجع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا يتفجع به الانسان في الغالب على سبيل الاجال لان مخلوقات الله عز وجل

هذه للركوب والزيادة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علة خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سبقت لبيان النعمة او لا يلق بالحكيم ن يذكر في مواضع المنفعة اذنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفاً على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلقاته وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك

(ويخلق ما لا تعلمون) يقول خلق من الاشياء ما لا تعلمون مما لم يسمه لكم

والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه الى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحق ومنها جائر أو من السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجبين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) أو خبر شراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعنى الشجر الذى (وعلى الله قصد السبيل) هداية الطريق فى البر والبحر (ومنها) من الطريق (جائر) مائل لا يهتدى به (ولو شاء لهداكم أجبين) الى الطريق فى البر والبحر ويقال وعلى الله قصد السبيل الهدى الى التوحد ومنها

ما لا علم لنسبه وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يختر على قلب بشر ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ﴿ ومنها جائر ﴾ حائل عن القصد أو عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طرق الضلالة أو لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض ووقرىء ومنكم جائر أى عن القصد ﴿ ولو شاء الله لهداكم أجبين ﴾ أى ولو شاء هدايتكم اجعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستزمنة للاهتداء ﴿ هو الذى أنزل من السماء ﴾ من السحاب أو من جانب السماء ﴿ ماء لكم منه شراب ﴾ ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر شراب ومن تعيضية متعلقة به وتقديما يوم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكنها فى الارض ﴿ ومنه شجر ﴾ ومنه يكون شجر يعنى الشجر

فى البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهدا ذكرها على الاجال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعنى مما أعد الله لاهل الجنة فى الجنة ولاهل النار فى النار مما لا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وقال قتادة فى قوله ويخلق ما لا تعلمون يعنى السوس فى النبات والدود فى الفواكه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وعلى الله قصد السبيل ﴿ القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا أدك الى مطلوبك وفى الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ﴿ ومنها جائر ﴾ يعنى ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو موعج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منه دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع ﴿ ولو شاء لهداكم أجبين ﴾ فيه دليل على ان الله تعالى ماشاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لتفديد انتفاء الشئ لا انتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجبين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجبين وذلك يفيدانه تعالى ماشاء هدايتهم فلا جرم ما هداكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذى أنزل من السماء ماء ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال وهو الذى أنزل من السماء يعنى والله الذى خلق جميع الاشياء هو الذى أنزل من السماء ماء يعنى المطر ﴿ لكم منه ﴾ يعنى من ذلك الماء ﴿ شراب ﴾ يعنى تشربونه ﴿ ومنه ﴾ يعنى ومن ذلك الماء ﴿ شجر ﴾ الشجر فى اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل واحدى عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر أصناف ما جل أو عظم وهو الذى يبقى على الشتاء وما دق وهو صنفان أحدهما

من الاديان جائر مائل ليس بمعادل مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية ولو شاء لهداكم أجبين لدينه (هو الذى أنزل من السماء ماء مطرا) (لكم منه شراب) ما يستقر فى الارض فى الركايا والغدران (ومنه شجر) به

وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا فى الجنة وانما أثبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيستدلون به عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر

ينبت الشجر والنبات (فيه تسميون) ترعون انعامكم (ينبت لكم به) بالمطر (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب) يعنى الكروم (ومن كل الثمرات) من ألوان كل الثمرات ان فى ذلك فى ألوان ما ذكرت وفى طعمه (لآية) لعلامة وعبرة (لقوم يتفكرون) فيما خلق الله لهم (وسخر لكم) ذلل لكم (الليل والنهار والشمس والقمر

الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال

نعلفها اللحم اذا عر الشجر * والخليل فى اطعامها اللحم ضرر

﴿ فيه تسميون ﴾ ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ﴿ ينبت لكم به الزرع ﴾ وقرأ ابو بكر بالنون على التخييم ﴿ والزيتون والنخيل والاعناب ﴾ ومن كل الثمرات ﴿ وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها وينخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم وينخرج منها الاوراق والازهار والاكام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل عيان ذلك ليس الا بقل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد وعل فصل الآية به لذلك ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴾ بانها مسخرات بأمره ﴿ مسخرات بأمره ﴾ حال من الجميع أى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى

تبقى له اذ وحده فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق فى الشتاء كالقول وقال ابو اسحق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وانشد نطمعها اللحم اذا عر الشجر * أردأهم يسقون الخليل اللبن اذا أجدبت الارض وقال ابن قتبية فى هذه الآية يعنى الكلا ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر ﴿ فيه ﴾ يعنى فى الشجر ﴿ تسميون ﴾ يعنى ترعون مواشيك يقال أسمت الساعة اذا خلتها ترعى وسامت هى اذاعت حيث شاءت ﴿ ينبت لكم ﴾ أى ينبت الله لكم وقرئ نبت على التعظيم لكم ﴿ به ﴾ أى بذلك الماء ﴿ الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ﴾ ومن كل الثمرات ﴿ لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجالا ذكر فى الثمار تفصيلا واجالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذى يقات به كالخنطة والشعير وما أشبهه لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثالث بذكر النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه الخلة فى المنفعة من التفكه والغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ان فى ذلك ﴿ يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار ﴾ لآية ﴿ يعنى علامة دالة على قدرتنا ووجداننا ﴾ لقوم يتفكرون ﴿ يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووجدانيته ﴾ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴿ تقدم تفسيره فى سورة الاعراف ﴾ مسخرات ﴿ يعنى مذلات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعالة المتصرفة فى العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذلات ﴿ بأمره ﴾ يعنى بامر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء

جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم في الارض) معطوف على الليل والنهار أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه) ان في ذلك آية لقوم يدكرون يتعظون (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لا ينجث باكله اذا حلف لا يأكل للحلوان مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فبجاه بالسمك كان حقيقا بالانكار

(ان في ذلك) في تفسير ما ذكرت (آيات) اعلامات (لقوم يعقلون) يعلمون ويصدقون ان تسخيرها من الله (وما ذرأ) يقول وما خلق (لكم في الارض) مختلفا (ألوانه) أجناسه من النبات والثمار وغير ذلك (ان في ذلك) في ألوان ما خلقت (لاية) اعلامة وعبرة (لقوم يدكرون) يتعظون بما في القرآن (وهو الذى سخر) ذلل (البحر لتأكلوا منه لحما) يعنى سمكا (طريا)

خلقها ودرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو بحكمه وفيه ايدان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوراعها فان ذلك ان سلم فلاريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر مسمى جمع لا اختلاف الانواع * وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بمد تخصصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا * ان في ذلك آيات لقوم يعقلون * جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير موجهة الى استيفاء فكريا حوال النبات * وما ذرأ لكم في الارض * عطمت على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات * مختلفا ألوانه * اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا * ان في ذلك آية لقوم يدكرون * ان اختلافها في الطباع والهيآت والمناظر ليس الا بضع صانع حكيم * وهو الذى سخر البحر * جملة بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والقوص * لتأكلوا منه لحما طريا * هو السمك ووصفه بالطراوة لانه رطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع

يختار وأنها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله * ان في ذلك آيات لقوم يعقلون * يعنى أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراده منهم * وما ذرأ لكم في الارض * يعنى وما خلق لكم في الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار * مختلفا ألوانه * يعنى في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى * ان في ذلك آية لقوم يدكرون * يعنى فيعتبرون بذلك * قوله سبحانه وتعالى * وهو الذى سخر البحر * لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته ومعجزات صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر * لتأكلوا منه لحما طريا * فبدأ بذكر الاكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطرى من يدفائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله ما خلا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه في غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلق له لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر

(وتستخرجوا منه حلية) { الجزء الرابع عشر } هي اللؤلؤ ٥٩٠ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسهم

الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف ان لا يأكل لحاحث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمي الكافر ذابا ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه * وتستخرجوا منه حلية تلبسونها * كاللؤلؤ والمرجان أى تلبسها نساؤكم فاستند اليهم لانهم من جلتهم ولانهم يتزين بها لاجلهم * وترى الفلك * السفن * مواخر فيه * جوارى فيه تشقه بحيزومها من الخمر هوشق الماء وقيل صوت جرى الفلك * ولتبتغوا من فضله * من سعة رزقه بركوبها للتجارة * ولعلكم تشكرون * أى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحققها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المالك سببا للانفاق وتحصيل المعاش * وألقى في الارض رواسى * جبالا رواسى * ان تميد بكم * كراهية ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تمحرك بالاستدارة كالافلاك أو ان تمحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بشقلها نحو المركز فصارت كالآلات التي تتدعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فتالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال * وانهارا * وجعل فيها انهارا لان في معنى * وسبلا

على اخراج الضد من الضد * المنفعة الثانية قوله تعالى * وتستخرجوا منه حلية تلبسونها * يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نساءهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم * المنفعة الثالثة قوله تعالى * وترى الفلك * يعنى السفن * مواخر فيه * يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل الخمر في اللغة الشق يقال فخرت السفينة فخرها اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد فخر الرياح السفن يعنى أنها اذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعنى صواغ والخمر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعنى مواقر أى مملوءة متاعا * ولتبتغوا من فضله * يعنى الارباح بالتجارة في البحر * ولعلكم تشكرون * يعنى انعام الله عليكم اذا رايتم نعم الله فيما سخر لكم * وألقى في الارض رواسى * يعنى جبالا ثقلا * أن تميد بكم * يعنى لتلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتمحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال * وانهارا * يعنى وجعل فيها أنهارا لان في ألقى معنى الجمل فقوله سبحانه وتعالى وانهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال * وسبلا * يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة

لبس نساءهم ولكنهن انما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقاوا والخمر شق الماء بحيزومها (فيه) في البحر (ولتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف أى لتعتبروا ولتبتغوا واستغوا الفضل التجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وألقى في الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم كراهية أن تميل بكم وتضطرب أولئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تمدققات الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وانهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا) وتستخرجوا منه (من البحر) حلية (زهرة من اللؤلؤ وغيره) تلبسونها (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر) مقبلة ومدبرة (فيه) في البحر تجرى وتذهب بريح واحدة (ولتبتغوا) لى تطلبوا (من فضله) من عمله ويقال من رزقه (ولعلكم تشكرون) لى تشكروا نعمته (وألقى في الارض

رواسى) الجبال الثوابت (ان تميد) لى لا تميد (بكم) الارض (وانهارا) وأجرى فيها أنهارا المنافعكم (وسبلا) (تسلكونها)

طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم اولى تو حيدر بكم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم ﴿ ٥٩١ ﴾ فيه النجم مقحم { سورة النحل } فيدهم كانه قيل وبالنجم خصوصا

هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد قريشاً لهم اهداء بالنجوم في مسائرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار أزم لهم فخصصوا (أفمن يخلق) أي الله تعالى (كن يخلق) أي الاصنام وحي بن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدها فاجروها مجرى أوزي العلم أولان المعنى ان من يخلق ليس كن يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل أفمن يخلق كن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهرة اياه لكونه الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والمبادلة فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهها بما فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كن يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال

جعل فيها طرقا (لعلكم تهتدون) لكي تعرفوا الطريق (وعلامات) من الجبال وغير

لعلكم تهتدون ﴿ لمقاصدكم اولى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿ وعلامات ﴾ معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بصمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم والحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم ﴿ أفمن يخلق كن يخلق ﴾ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن يخلق كن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها والمراد بكن يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولو العلم منهم أو الاصنام واجراها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم أو المشاكلة بينه وبين من يخلق أو اللبالة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كن يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده

تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ يعنى بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون ﴿ وعلامات ﴾ يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتداء ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدى فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلم بالاعلم له به ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ﴿ أفمن يخلق كن يخلق ﴾ لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وعرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ أفمن يخلق يعنى هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كن يخلق يعنى هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيأ البتة لانها جادات لا تقدر على شئ فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق

ذلك للمسافرين (وبالنجم) وبالفرقدين والجدى (هم) يعنى المسافرين (يهتدون) بهم فى البر والبحر (أفمن يخلق) وهو الله (كن يخلق) لا يقدر أن يخلق يعنى الاصنام

﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعروا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده
بادنى تذكر وأنفات ﴿ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ لا تضبطوا عددها فضلا
ان تطبيقه والقيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزمام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة نبيها على
ان وراء ما عدد نعمه لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ﴿ ان الله اغفور ﴾ حيث يتجاوز عن
تقصيركم في اداء شكرها ﴿ رحيم ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على
كفرانها ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف

هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ يعني ان هذا
القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر
فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر ﴿ بقي في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق
المراد به الاصنام وهي جادات لا تمقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهى لمن يعقل
والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدها أجريت مجرى من
يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ
فخطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود
منه الزمام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف
قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام
بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه
وبين هذه الجادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من
يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويستحق عبادة جادات لا تخلق شيأ
ألبتة والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴾ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ يعني ان نعم الله على العبد فيما
خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع
الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه
في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمور الدين والدنيا لا تحصى
حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف
بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجهدتم في ذلك وأنعمتم نفوسكم لا تقدرن عليه ﴿ ان الله
لغفور ﴾ يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم ﴿ رحيم ﴾ يعني بكم
حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي ﴿ والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون ﴾ يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا
يذكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من ايدائه فأخبرهم الله
عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت
وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر معجزها في الآية المتقدمة ذكر
في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل معلومات سرها

(أفلا تذكرون) فتعروا فساد
فساد ما أنتم عليه (وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها)
لا تضبطوا عددها ولا تبلغه
طاقتكم فضلا أن تطبقوا
القيام بحقها من أداء
الشكر وانما اتبع ذلك
ما عدد من نعمه نبيها على
ان ما وراءها لا ينحصر ولا
يعد (ان الله لغفور رحيم)
يتجاوز عن تقصيركم في أداء
شكر النعمة ولا يقطعها
عنكم لتفريطكم (والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون)
من أفعالكم وأفعالكم وهو
وعيد

(أفلا تذكرون) أفلا
تتعطون فيما خلق الله لكم
(وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها) لا تحفظوها
ويقال لا تشكروها (ان الله
لغفور) متجاوز (رحيم)
لمن تاب (والله يعلم ما تسرون)
من الخير والشر (وما تعلنون)
من الخير والشر

(والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وبإتاء غير عاصم (لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات) أى هم أموات (غير أحياء وما يشعرون) ﴿٥٩٣﴾ أيان يبعثون) نفي عنهم {سورة النحل} خصائص الالهية بنفي

كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعلمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات اخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تبهك بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لابد من البعث (الهكم اله واحد) أى ثبت بما مر أن الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن

(والذين تدعون)

تعبدون (من دون الله لا يخلقون شيئاً) لا يقدر ان يخلقوا شيئاً كخلقنا (وهم يخلقون) يمتحنون مخلوقة

للمشرك باعتبار العلم ﴿والذين تدعون من دون الله﴾ أى والآلهة الذين تعبدهم من دونه ﴿وقرأ أبو بكر يدعو بالياء وقرأ حفص ثلاثها بالياء﴾ لا يخلقون شيئاً ﴿لما نفي المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئاً ليتبع انهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بان أثبت لهم صفات تنافي الالهية فقال ﴿وهم يخلقون﴾ لانها ذوات ممكنة مفقورة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود ﴿أموات﴾ هم أموات لا تعتبرهم الحياة أو أموات حالاً أو مآلاً ﴿غير أحياء﴾ بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حياً بالذات لا يعتبره الممات ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالماً بالقبوب مقدر الثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف ﴿الهكم اله واحد﴾ تكرر للمدعي بعد إقامة الحجج ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالباً للدلائل متأملاً فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان

وعلايتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى ﴿والذين تدعون من دون الله﴾ يعنى الاصنام التي تدعونها آلهة من دون الله ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئاً فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فإفادة التكرار ﴿قلت فأثدته ان المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار ﴿أموات﴾ أى جادات ميتة لا حياة فيها ﴿غير أحياء﴾ يعنى كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذى يستحق أن يعبد هو الحى الذى لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله ﴿وما يشعرون﴾ يعنى هذه الاصنام ﴿أيان يبعثون﴾ يعنى متى يبعثون وفيه دليل عن أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه ما بدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ الهكم اله واحد ﴿يعنى ان الذى يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة﴾ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴿يعنى جاحدة لهذا المعنى﴾ وهم مستكبرون ﴿يعنى عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه

منحوتة (أموات) أصنام أموات (غير أحياء) (قا و خا ٧٥ لث) وما يشعرون) يعنى الآلهة (أيان يبعثون) من التبور فيحاسبون ويقال ما يعلم الكفار متى يحاسبون ويقال ما تعلم الملائكة متى يحاسبون (الهكم اله واحد) يعلم ذلك لا الآلهة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (قلوبهم منكرة) بالتوحيد (وهم مستكبرون) عن الايمان

الاقرار بها (لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أى سرهم وعلايتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يجب المستكبرين) عن التوحيد يعنى المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين) ماذا منصوب بانزل أى شئ أنزل ربكم أو { الجزء الرابع عشر } مرفوع على ٥٩٤ ﴿ الابتداء أى شئ أنزل ربكم وأساطير

خبر مبتدأ محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير الاولين أى أحاديث الاولين وأباطيلهم واحداثها أسطورة واذا رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وانه نبي فهم الذين قالوا خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم) أى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم)

اتباعا للاسلاف وركونا الى المؤلف فانه يناق النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والاتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب وذلك رتب عليه ثبوت الآخريين ﴿ لاجرم ﴾ حقا ﴿ ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ فيجازيهم وهو في موضع الرفع مجرم لانه مصدر او فعل ﴿ انه لا يجب المستكبرين ﴾ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيدهم أو اتباع رسوله ﴿ واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ﴾ القائل بعضهم على التهمك أو الوافدون عليهم أو المسلمون ﴿ قالوا اساطير الاولين ﴾ أى ماتدعون نزوله أو المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهمك أو على الفرض أى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لتحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ﴾ أى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ﴿ ومن اوزار الذين يضلونهم ﴾ وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ﴿ بغير علم ﴾ حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها

تكبرا ﴿ لاجرم ﴾ يعنى حقا ﴿ ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يجب المستكبرين ﴾ يعنى عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يجب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جليل يجب الجمال الكبر بطر الحق وغط الناس بقوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيد وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فعناه يتخير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعنى أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شياً وكذا معنى غمسته أى انتقصته وازدريته ﴿ قوله عز وجل ﴾ رادا قيل لهم ﴿ يعنى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين ﴾ يعنى أحاديثهم وأباطيلهم ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ﴾ اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعنى ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴿ يعنى ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن

(لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون) ما يخفون من البغض والحسد والمكر والخيانة (وما يعلنون) ما يظهر من الشتم والظن والقتال (انه لا يجب المستكبرين) عن الايمان (واذا قيل لهم) للمقتسمين (ماذا أنزل ربكم) ماذا يقول لكم محمد صلى الله عليه

وسلم من ربكم (قالوا اساطير الاولين) كذب الاولين وأحاديثهم (ليحملوا أوزارهم) آثامهم (كاملة) وافرة (الايان) (يوم القيمة) ومن أوزار) مثل آثام (الذين يضلونهم) يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والايان (بغير علم)

حال من المفعول أى يضلون
من لا يعلم أنهم ضال
(الأساء مايزرون) محل
مارفع (قدمكر الذين
من قبلهم فأتى الله بنيانهم
من القواعد) أى من جهة
القواعد وهى الاساطين
وهذا تمثيل يعنى أنهم
سوا ومنصوبات ليكروا بها
رسل الله فجعل الله هلاكهم
فى تلك المنصوبات كحال
قوم بنو اينانا وعمدوه
بالاساطين فأتى البنيان
من الاساطين بان ضعفت
فسقط عليهم السقف
وماتوا وهلكوا والجمهور
على أن المراد به عمرو بن
كنعان حين بنى الصرح
ببابل طوله خمسة آلاف
ذراع وقيل فرسخان فاهب
الله الرج فخر عليه وعلى
قومه فهلكوا فأتى الله أى
أمره بالاستئصال

بلاعلم ولا حجة (الأساء ما
يزرون) بئس ما يحملون
من الذنوب يعنى المقتسمين
(قدمكر الذين من قبلهم)
بانيانهم كما مكر المقتسمون
بمحمد عليه السلام وهو
عمرو والجار الذى بنى الصرح
(فأتى الله بنيانهم) قلع بنيانهم
الصرح (من القواعد)
من الاساس

الدلالة على ان جهلهم لا يندرهم اذ كان عليهم ان يحشوا ويميزوا بين الحق والمبطل
﴿الأساء مايزرون﴾ بئس شيئاً يزرونه فعلهم ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ سوا
منصوبات ليكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾

الايان مثل اوزار الانباع ﴿والسبب فيه ماروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من تبعه لا ينقص
ذلك من آثمهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن
سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه
أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من
الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع
الثواب أو العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل وبدل عليه
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الاماسى قال
الواحدى ولفظة من فى قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبويض لانهما
لو كانت للتبويض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة
والسلام لا ينقص ذلك من آثمهم شيئاً ولكنها للجنس أى ليحملوا من جنس اوزار
الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما
يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه
من العذاب الشديد ﴿الأساء مايزرون﴾ يعنى الألبس ما يحملون فقيه وعيد وتهديد
لهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ يعنى من قبل كفار قريش
وهو عمرو بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه
وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحاً ببابل ليصعد الى السماء ويقاىل أهلها فى زعمه قال
ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان
طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم
وهم تحته ولما سقط تبلبت أسنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين
لساناً فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره
البعوى وفى هذا نظر لان صالحاً عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان
أهل اليمن عرباً منهم جرهم الذى نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل
من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب
تكلموا فى قديم الزمان بالعربية وبدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى والله أعلم وقيل سهل قوله قدمكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون
الآية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير
﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ يعنى قصد تخريب بنيانهم

(فخر عليهم السقف من فوقهم { الجزء الرابع عشر } وأناهم العذاب ﴿ ٥٩٦ ﴾ من حيث لا يشعرون) من حيث

لا يحتسبون ولا يتوقعون
(ثم يوم القيمة يخزيهم)
يدلهم بعذاب الخزي سوى
ما عذبوا به في الدنيا (ويقول
أين شركائي) على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوخبهم بها على طريق
الاستهزاء بهم (الذين كنتم
تשאقون فيهم) تعاودون
وتخاصمون المؤمنين في
شأنهم تشاقون نافع أي
تשאقون فيهم لان مشاققة
المؤمنين كانها مشاققة الله
(قال الذين أتوا العلم)
أي الانبياء والعلماء من أممهم
الذين كانوا يدعونهم الى
الايمان ويعظونهم فلا
يلتفتون اليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم
أوهم الملائكة (ان الخزي
اليوم) الفضيحة (والسوء)
العذاب (على الكافرين)

(فخر عليهم السقف) فوقهم
عليهم الصرح (من فوقهم
وأناهم العذاب) بالهدم
(من حيث لا يشعرون)
لا يعلمون (ثم) هو (يوم القيمة
يخزيهم) يدلهم
(ويقول) الله يوم القيامة
(أين شركائي) يعني الآلهة
التي زعمتهم انهم شركائي
(الذين كنتم تشاقون فيهم)
تخالقون لقلبهم وتعاودون
أنبيأئى لقلبهم (قال الذين

فأنها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعفت ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾
وصار سبب هلاكهم ﴿ وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ لا يحتسبون ولا
يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به عرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سماه خمسة
آلاف ذراع ليرصد امر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ﴿ ثم يوم
القيمة يخزيهم ﴾ يدلهم أو يذنبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيتنا
﴿ ويقول أين شركائي ﴾ اضاف الى نفسه استهزاء أو حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم
قرأ البزري بخلاف عنه أين شركائي بغير الهمزة والباقون بالهمز ﴿ الذين كنتم تشاقون
فيهم ﴾ تعاودون المؤمنين في شأنهم ﴿ وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونتي فان مشاققة المؤمنين
كشاققة الله عز وجل ﴿ قال الذين أتوا العلم ﴾ أي الانبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة ﴿ ان الخزي اليوم والسوء ﴾ الذلة
والعذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكاية

من أصوله وذلك بان أناهم بريح قصفت بنيانهم من أعلاه وأناهم بزلازل قلعت
بنيانهم من قواعده وأساسه هذا اذا حلنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر
اللفظ وان حلنا تفسير الآية على القول الثاني وهو جعلها على العموم كان
المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده
أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو اينانا وثيقا شديدا
ودعوه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله
سبحانه وتعالى لمن مكر بأخر فاهلكه الله بمكره ومنه مثل السائر على أسنة الناس
من حفر بئرا لآخيه أو قعه الله فيه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ فخر عليهم السقف من
فوقهم ﴿ يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لا يخز
الامن فوقهم وقيل يحتل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم
علم انهم كانوا تحته وانه لما خز عليهم أهلكوا وماتوا تحته ﴿ وأناهم العذاب من حيث
لا يشعرون ﴾ يعنى في مأمهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدهته كان ذلك
البنيان سبب هلاكهم ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار
بان العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ﴿ ويقول ﴾
يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة ﴿ أين شركائي ﴾ يعنى في زعكم واعتقادكم ﴿ الذين
كنتم تشاقون فيهم ﴾ يعنى كنتم تعاودون وتخالقون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لان
المشاققة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى مالهم
لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم منازل بكم من العذاب والهوان ﴿ قال الذين أتوا العلم ﴾
يعنى المؤمنين وقيل الملائكة ﴿ ان الخزي ﴾ يعنى الهوان ﴿ اليوم ﴾ يعنى في هذا اليوم
وهو يوم القيامة ﴿ والسوء ﴾ يعنى العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وانما يقول المؤمنون
هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا ويتكبرون عليهم

أو أتوا العلم) يعنى الملائكة (ان الخزي اليوم) العذاب يوم القيامة (والسوء) النار والشدة (على الكافرين) (احوالهم)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبالباية حزة وكذا ما بعده (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أى الصلح والاستسلام أى اختبوا
وجاؤا بخلاف ما كانوا ﴿٥٩٧﴾ عليه في الدنيا { سورة النحل } من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من

سوء) ووجدوا ما وجد
منهم من الكفران والعداوة
فرد عليهم أولو العلم وقالوا
(بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون) فهو يجازيكم عليه
وهذا أيضا من السماتة
وكذلك (فادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها فلبئس
مثنوى المتكبرين) جهنم
(وقيل للذين اتقوا) الشرك
(ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا)
وانما نصب هذا ورفع أساطير
لان التقدير هنا أنزل خيرا
فاطبقوا الجواب على السؤال
وثمة التقدير هو أساطير
الاولين فعدوا بالجواب عن

الذين تتوفاهم الملائكة)
قبضتم الملائكة يوم بدر
(ظالمى أنفسهم) بالكفر
(فألقوا السلم) ردوا الجواب
ويقال خضعوا لله (ما كنا
نعمل من سوء) نعد من شئ
من دون الله وما كنا
مشركين بالله (بلى) يقول
الله بلى (ان الله عليم بما كنتم
تعملون) وتقولون وتعدون
من دون الله (فادخلوا
أبواب جهنم خالدين فيها)
مقيمين فيها لا تموتون ولا
تخرجون منها (فلبئس مثنوى
المتكبرين) منزل الكافرين
جهنم (وقيل للذين اتقوا)

لان يكون لظفا ووعظا لمن سمعه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ وقرأ حزة بالياء وقرى
بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ﴿ ظالمى انفسهم ﴾ بان
عرضوها للعذاب المخلد ﴿ فألقوا السلم ﴾ فسالموا واختبوا حين عابوا الموت
﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان
يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿ بلى ﴾ أى قبيهم
الملائكة بلى ﴿ ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا
السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم
يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانالم نكن في زعنا واعتقادنا عاملين سوا
واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله أو اولو العلم ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كل صنف
بأبه المعدله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها ﴿ خالدين فيها فلبئس مثنوى المتكبرين ﴾
جهنم ﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ﴾ أى أنزل
خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتعلموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال

أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بانواع الكرامات وأهين
أهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فنصد ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم
والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار السماتة بهم فيكون أعظم
في الهوان والخزى ﴿ قوله تعالى ﴾ الذين تتوفاهم الملائكة ﴿ تقبض أرواحهم
الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿ ظالمى انفسهم ﴾ يعنى بالكفر ﴿ فألقوا السلم ﴾
يعنى أنهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾
يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة اخوف ﴿ بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فلا فائدة لكم
في انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر ﴿ فادخلوا ﴾ أى يقال
لهم ادخلوا ﴿ أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ يعنى مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال
ذلك لهم ليكون أعظم في الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض
﴿ فلبئس مثنوى المتكبرين ﴾ يعنى عن الايمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقيل للذين اتقوا
ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ﴿ وذلك ان أحياء العرب كانوا يبعثون الى مكة أيام الموسم من
يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات
مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذالم تلقه خير لك فيقول
الوافد أنا شر وافد ان رجعت الى قومي من دون ان أدخل مكة فالتقاء فيدخل مكة فيرى
أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبي مبعوث
من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول
الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعنى أنزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله
أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب

الكفر والشرك والنواحيش عبد الله بن مسعود وأصحابه (ماذا أنزل ربكم) ماذا يقول لكم محمد عليه السلام من ربكم (قالوا خيرا) توحيدا

السؤال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أى آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أى ثواب وأمن وغنية وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاة أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين { الجزء الرابع عشر } وجعل قولهم ﴿ ٥٩٨ ﴾ من جملة احسانهم (ولدار الآخرة

خير) أى لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فأناهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لانه في مقابلة ظالمى أنفسهم

وصلة (للذين أحسنوا) وحدها (في هذه الدنيا حسنة) الجنة يوم القيامة (ودار الآخرة) أى الجنة (خير) من الدنيا وما فيها (ولنعم دار المتقين) الكفر والشرك والفواحش الجنة (جنات عدن) وهى مقصورة الرجن (يدخلونها) يوم القيامة (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الأنهار) أنهار الخمر والماء

على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك ﴿ للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ مكافأة في الدنيا ﴿ ودار الآخرة خير ﴾ أى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسير الخير على انه منتصب بقالوا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله ﴿ جنات عدن ﴾ خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح ﴿ يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون ﴾ من انواع المشتبهات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريد الا في الجنة ﴿ كذلك يجزى الله المتقين ﴾ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه في مقابلة ظالمى

المسك الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لماسألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولماسألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلغثوا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفاً معقولا للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتداء بقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ يعنى للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا ويبدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ودار الآخرة خير ﴾ يعنى مالهم فى الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ يعنى الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان أهل القوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسره هذه الدار بقوله ﴿ جنات عدن ﴾ يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمسكن أى أقامه ﴿ يدخلونها ﴾ يعنى تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ يعنى تجرى الأنهار فى هذه الجنان من تحت دور أهلها وقصورهم ومسكنهم ﴿ لهم فيها ﴾ يعنى فى الجنات ﴿ ما يشاؤون ﴾ يعنى ما تشتهى الأنفس وتلذذ العين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا ﴿ كذلك يجزى الله المتقين ﴾ أى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى

والسل واللبن (لهم فيها) فى الجنة (ما يشاؤون) ما يشتهون وتمنون (كذلك) هكذا (يجزى الله المتقين) الكفر (حسن) والشرك والفواحش (الذين تتوفاهم الملائكة) قبضتهم الملائكة (طيبين) طاهرين

انفسهم وقيل فرحين بشارة الملائكة اياهم بالجنة أو طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس ﴿ يقولون سلام عليكم ﴾ لا يحقكم بعدمكروه ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ ﴿ هل ينظرون ﴾ ما ينظر الكفار المار ذكرهم ﴿ الا ان تأتيمهم الملائكة ﴾ لقبض

(يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله يقرأ عليك السلام ويشره بالجنة ويقال لهم في الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بعملكم (هل ينظرون) ما ينظرون هؤلاء الكفار) الا أن تأتيمهم الملائكة لقبض ارواحهم وبالياء على وحزة

من الشرك (يقولون سلام عليكم) من الله (ادخلوا الجنة) بايمانكم واقسموها (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخيرات في الدنيا (هل ينظرون) ما ينتظرون أهل مكة اذلا يؤمنون (الا ان تأتيمهم الملائكة) لقبض ارواحهم

حسن فيدخل فيهنهم أنوابكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنواكل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والاتباع فيسهل عليهم قبض ارواحهم وطيب لهم الموت على هذه الحالة ﴿ يقولون ﴾ يعني الملائكة لهم ﴿ سلام عليكم ﴾ يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبغفهم السلام من الله ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضله ورحته أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا يثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعهم الباطلة المناهضة لصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على أن الاعمال الصالحة يدخلها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده ﴿ قوله تعالى ﴾ هل ينظرون ﴿ يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله ووجدوا نبوتك يا محمد ﴿ الا أن تأتيمهم الملائكة ﴾ يعني

(أوبأى أمر ربك) أى العذاب { الجزء الرابع عشر } المستأصل أو القيامة ﴿٦٠﴾ (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك

أرواحهم وقرأ جزء والكسائي بالياء ﴿أوبأى أمر ربك﴾ القيامة والعذاب المستأصل
﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فعل الذين من قبلهم﴾
فأصابهم ما أصاب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدميرهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾
بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أى جزاء سيئات
اعمالهم على حذف المضاف أو تسمية الجزاء باسمها ﴿وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون﴾ واحاط بهم جزاؤه والحقق لا يستعمل الا فى الشر ﴿وقال الذين
أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه
من شئ﴾ إنما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمكين بان ماشاء
الله يجب ومالم يشأ يمتنع فالفائدة فيهما أو انكارا لقيح ما انكر عليهم من الشرك
وتحريم البحار ونحوها محتجين بانها لو كانت مستحبة لما شاء الله صدورها عنهم ونشاء
خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب

لقبض أرواحهم ﴿أوبأى أمر ربك﴾ يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب
الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعنى
من الكفر والتكذيب ﴿وما ظلمهم الله﴾ يعنى بتعذيبه اياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون﴾ يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة ﴿فأصابهم سيئات
ما عملوا﴾ يعنى فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة ﴿وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون﴾ والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله
ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا﴾ يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق
الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان
لحصل جئت أو لم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت أو لم تجئ وإذا كان كذلك
فالكل من الله فالفائدة فى بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله
فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى احكام
الله وفى أفعاله وهو باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض
لاحد عليه فى أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا
وكان فى حكم الله وسنته فى عباده ارسال الرسل اليهم ليأمرهم بعبادة الله تعالى وينهونهم
عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فن هداة فهو المهتمدى ومن أضله فهو الضال
وهذه سنة الله فى عباده أنه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى
يهدى من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة
ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ماعبدنا من دونه من
شئ نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة
الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى ﴿ولا
حرمنا من دونه من شئ﴾ يعنى الوصيلة والسابقة والحام والمعنى فلو لا ان الله رضىها

والتكذيب (فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله)
بتدميرهم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) حيث
فعلوا ما استحقوا به التدمير
(فأصابهم سيئات ما عملوا)
جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم
ما كانوا يستهزئون) وأحاطه
بهم جزاء استهزائهم (وقال
الذين أشركوا لو شاء الله
ماعبدنا من دونه من شئ
نحن ولا آباؤنا) هذا كلام
صدر منهم استهزاء ولو قالوه
اعتقادا لكان صوابا (ولا
حرمنا من دونه من شئ)
يعنى البحرية والسابعة

(أوبأى أمر ربك) عذاب
ربك بهلاكهم (كذلك) كما
فعل بك قومك كذبوك
وشتموك (فعل الذين من قبلهم)
من قبل قومك بأنبيائهم
كذبوهم وشتموهم (وما
ظلمهم الله) بهلاكهم (ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون) بالشرك
وتكذيب الرسل (فأصابهم
سيئات ما عملوا) عقوبة
ما عملوا وقالوا من المعاصى
(وحاق بهم) دار ونزل بهم
ووجب عليهم (ما كانوا به
يستهزئون) عقوبة استهزائهم
بالانبياء ويقال العذاب الذى
كانوا به يستهزئون (وقال
الذين أشركوا) بالله الاوثان
يعنى أهل مكة (لو شاء الله

حرمنا من دونه من شئ) من الاصنام (نحن ولا آباؤنا) قبلنا (ولا حرمنا من دونه) من دون الله (من شئ) (لنا)

ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى كذبوا الرسل وحرّموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل
 الابلاغ المبين) الأأن يبلغوا الحق ويظلموا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله)
 بان وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) ﴿٦٠١﴾ الشيطان يعنى ﴿سورة النحل﴾ طاعته (فمنهم من هدى

الله) لاختيارهم الهدى
 (ومنهم من حقت عليه الضلالة)
 أى لزمته لاختياره إياها
 (فسيروا فى الأرض فانظروا
 كيف كان عاقبة المكذبين)
 حيث أهلّكهم الله وأخلى
 ديارهم عنهم ثم ذكر عناد
 قريش وحرص رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على
 إيمانهم وأعلمه أنهم من قسم
 من حقت عليه الضلالة
 فقال (ان تحرص على
 هداهم فان الله لا يهدى
 من يضل) بفتح الياء وكسر

عن الشبهتين ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ فاشركوا بالله وحرّموا حله وردوا
 رسله ﴿فهل على الرسل الابلاغ المبين﴾ الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم
 يؤثر فى هدى من شاء الله هداه ولكنه مؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
 انما يجب وقوعه لامطلاق بل بأسباب قدرها الله ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة
 الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من أراد اهتداه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله
 كافتداء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المخرف وينفيه بقوله تعالى
 ﴿ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ يأمر بعبادة الله
 تعالى واجتنب الطاغوت ﴿فمنهم من هدى الله﴾ وفتحهم الايمان بارشادهم ﴿ومنهم
 من حقت عليه الضلالة﴾ اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
 الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث
 انه قسم من هدى الله قد صرح به فى الآية الاخرى ﴿فسيروا فى الأرض﴾ ياعشر
 قريش ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود وغيرهم لعنكم تعتبرون
 ﴿ان تحرص﴾ يا محمد ﴿على هداهم فان الله لا يهدى من يضل﴾ من يريد ضلاله وهو

لنا غير ذلك ولهدانا الى غيره ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعنى ان من تقدم هؤلاء
 من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الحيث فانكار بعثة
 الرسل كان قديما فى الامم الخالية ﴿فهل على الرسل الابلاغ المبين﴾ يعنى ليس اليهم
 هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه ﴿ولقد بعثنا فى كل امة
 رسولا﴾ يعنى كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ﴿ان اعبدوا الله واجتنبوا
 الطاغوت﴾ يعنى ان الرسل كانوا يأمرونهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت
 وهو اسم كل معبود من دون الله ﴿فمنهم﴾ يعنى من الامم الذين جاءتهم الرسل ﴿من
 هدى الله﴾ يعنى هداها الله الى الايمان به وتصديق رسله ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾
 يعنى ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق فى الازل حتى مات على الكفر
 والضلال وفى هذه الآية أبين دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف
 فى عباده فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به فى سابق
 علمه ﴿فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يعنى فسيروا
 فى الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مال من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب
 والهالك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصررتم على الكفر والتكذب كما نزل بهم
 ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ان تحرص على هداهم ﴿الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى ان تحرص
 يا محمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد﴾ فان الله لا يهدى من يضل ﴿

من البحيرة والسائبة والوصيلة
 والحام ولكن حرم الله
 وأمرنا بذلك (كذلك) كما
 فعل وكذب قومك على الله
 بتحريم الحرث والانعام
 (فعل) كذب الذين من
 قباهم) على الله (فهل على
 الرسل) ما على الرسل
 (الابلاغ) عن الله رسالة الله
 (المبين) بلغة تعلمونها ظاهرة
 (ولقد بعثنا فى كل أمة) الى
 كل قوم (رسولا) كما أرسلناك
 الى قومك (أن اعبدوا الله)
 وحدوا الله (واجتنبوا
 الطاغوت) اتركوا عبادة
 الاصنام ويقال الشيطان

ويقال الكاهن (فمنهم) من أرسلنا (قا و خا ٧٦ لث) اليهم الرسل (من هدى الله) لدينه فاجاب الرسل الى الايمان (ومنهم
 من حقت) وجبت (عليه الضلالة) فلم يجيب الرسل الى الايمان (فسيروا) سافروا (فى الأرض فانظروا) فاعتبروا (كيف كان عاقبة
 المكذبين) آخر أمر المكذبين بالرسل (ان تحرص على هداهم) على توحيدهم (فان الله لا يهدى) لدينه (من يضل) خلقه عن دينه

الدال كوفي الباقون بضم الياء وقح الدال والوجه فيد أن من يضل مبتدأ ولا يهدى خبره (ومالهم من ناصرين) ينعونهم من جريان حكم الله عليهم { الجزاء الرابع عشر } ويدفعون عنهم ﴿ ٦٠٢ ﴾ عذابه الذي أعد لهم (وأقسموا بالله

المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى من يضل على البناء للمفعول وهو اباغ ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم ﴿ واقسموا بالله جهداً إيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ عطف على وقال الذين أشركوا ايذانا بانهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسبين عليه زيادة في البت على فساده وتقدير الله تعالى عليهم ابلاغ رد فقال ﴿ بلى ﴾ يبعثهم ﴿ وعدا ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى ﴿ عليه ﴾ انجازه لامتناع الخلف في وعده أولان البعث مقتضى حكمته ﴿ حقا ﴾ صفة اخرى للوعد ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما مقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ﴿ لبيين لهم ﴾ أى يبعثهم لبيين لهم بعض ﴿ الذى يختلفون فيه ﴾ وهو الحق ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو الميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال

قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعنى لا يهدى الله من أضله وقيل معناه لا يهدى من أضله الله وقرئ بضم الياء وقح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادى له ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ أى مانعين ينعونهم من العذاب ﴿ واقسموا بالله جهداً إيمانهم ﴾ قال ابن الجوزى سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فانه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك اتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فنزات هذه الآية قاله أبو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاءه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهداً إيمانهم ﴿ لا يبعث الله من يموت ﴾ فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى ﴿ بلى ﴾ يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظه بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوجده من العدم ولم يك شيئاً فالذى أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية أهون من الاولى ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ يعنى ان الذى وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خاف فيه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعنى لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ ﴿ لبيين لهم الذى يختلفون فيه ﴾ يعنى من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذى لا خلف فيه ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ يعنى

جهداً إيمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو اثبات لما بعد النفي أى بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعده حق أو انهم يبعثون (لبيين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم لبيين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذى يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت

ولا يكون أهلاً لدينه (ومالهم) لكفار مكة (من ناصرين) من مانعين من عذاب الله (واقسموا بالله جهداً إيمانهم) حلفوا بالله جهداً إيمانهم واذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهداً يميناً (لا يبعث الله من يموت) بعد الموت (بلى وعدا عليه) على الله (حقاً) كأننا واجبا ان يبعث من يموت (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون

(لبيين لهم) لاهل مكة (الذى يختلفون فيه) يختلفون في الدين (وليعلم) انكى يعلم (الذين كفروا) بجمد (في) صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين) في الدنيا بان لاجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب

(انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له ﴿٦٠٣﴾ كن فيكون) أى { سورة النحل } فهو يكون وبالنصب شامى

وعلى جواب كن قولنا
مبتدأ وأن نقول خبره
وكن فيكون من كان التامة
التي بمعنى الحدوث والوجود
أى اذا اردنا وجود شىء
فليس الا أن نقول له احدث
فهو يحدث بلا توقف
وهذه عبارة عن سرعة
الاجناد بين أن مرادا
لا يمتنع عليه وان وجوده
عند ارادته غير متوقف
كوجود الأمور به عند أمر
الأمرا المطاع اذا ورد على
المأمور المطيع الممثل ولا
قول ثمة والمعنى ان اجناد
كل مقدور على الله بهذه
السهولة فكيف يمتنع عليه
البعث الذى هو من بعض
المقدورات (والذين
هاجروا فى الله) فى حقه
ولوجهه (من بعدما ظلموا)
هم رسول الله وأصحابه
ظلمهم أهل مكة فقروا
بدينهم الى الله منهم من
هاجر الى الحبشة ثم الى
المدينة فجمع بين المهجرتين
ومنهم من هاجر الى المدينة

(انما قولنا لشيء) أمرنا لقيام
الساعة (اذا اردناه أن نقول له
كن فيكون والذين هاجروا
فى الله) فى طاعة الله من مكة
الى المدينة (من بعدما ظلموا)
من بعدما عذبهم أهل مكة

يعنى عمار بن ياسر وبلا وصهيبا وأصحابهم

﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ وهو بيان امكانه وتقريره ان تكون
الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والالزم التسلسل
فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعنه
ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى بس فيكون عطف على نقول أو جوابا للامر ﴿ والذين
هاجروا فى الله من بعدما ظلموا ﴾ هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة أو المحبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس
وابوجندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله أى فى حقه

فى قولهم لا بعث بعد الموت ﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ يعنى
ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا اراد أن يحيى الموتى ويبيئهم للحساب والحزاء فلا تعب
عليه فى احيائهم وبعثهم انما يقول لشيء اراده كن فيكون على ما اراد لانه القادر الذى
لا يعجزه شىء اراده (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تبارك وتعالى يشقى ابن آدم وما ينبغى له ان يشقى ويكذبى وما ينبغى له أن يكذبى
أما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وأما تكذيبه اياى فقول له ليس يعينى كما بدأتى وفى
رواية كذبى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشقى ولم يكن له ذلك أما تكذيبه اياى فتقوله
ان يعينى كما بدأتى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فتقوله
اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿ وقوله
تعالى ﴿ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا ﴾ يعنى أودوا وعذبوا نزلت فى بلال
وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبى جندل بن سهل أخذهم المشركون بمكة
فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان اصحابه
يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويشدونهم ويحملون على صدره الحجارة وهو يقول أحد
أحد فاشترته منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين واما صهيب فقال لهم
انى رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعه منه
فريه أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا
عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم
من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلهم لهم
دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فأوهم ونصروهم وواسوهم
وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة
اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه
حديث انما الاعمال بالنيات وفيه فن كانت هجرته الى الله ورسوله فهاجرت الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهاجرت الى ما هاجر اليه الحديث
أخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﴿ وقوله تعالى

(لنبوئهم في الدنيا حسنة) صفة للمصدر أى تبوئة حسنة أولنبوئهم مائة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (ولأجر الآخرة { الجزء الرابع عشر { أكبر) الوقف ٦٠٤ لازم عليه لان جواب (لو كانوا

يعلمون) محذوف والضمير للكفار أى لو علموا ذلك لرغبوا فى الدين وأللمهاجرين أى لو كانوا يعلمون لزدوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أى هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب

قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبنيل لأرواح فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما أصابهم فى دين الله ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) على السنة الملائكة

(لنبوئهم فى الدنيا) لنزائهم فى المدينة (حسنة) أرضا كريمة آمنة ذات غنمة حلال (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (أكبر) أعظم من ثواب الدنيا (لو كانوا يعلمون) وقد كانوا يعلمون (الذين صبروا) على أذى الكفار (وعلى ربهم

ولو جهه * لنبوئهم فى الدنيا حسنة * مائة حسنة وهى المدينة أو تبوئة حسنة * ولأجر الآخرة أكبر * مما يجعل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى فى الدنيا وما ادخرك فى الآخرة افضل * لو كانوا يعلمون * الضمير للكفار أى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افقوهم أوللمهاجرين أى لو علموا ذلك لزدوا فى اجتهادهم وصبرهم * الذين صبروا * على الشدائد كأذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحلل النصب أو الرفع على المدح * وعلى ربهم يتوكلون * منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله * وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم * رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا أى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد

لنبوئهم فى الدنيا حسنة * يعنى لنبوئهم تبوئة حسنة وهى المدينة وجماعها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئهم فى الدنيا دار احسنة أو بلدة حسنة وهى المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخرك فى الآخرة افضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليحسن اليهم فى الدنيا بان يفتح لهم مكة ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية فى الدين * ولأجر الآخرة أكبر * يعنى أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم فى الدنيا * لو كانوا يعلمون * قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم فى الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم فى الآخرة لزدوا فى الجهد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين * الذين صبروا * يعنى فى الله على ما نالههم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبنيل الانفس والاموال فى سبيل الله * وعلى ربهم يتوكلون * يعنى فى أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاهما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه * وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم * نزلت هذه الآية جوابا للمشركى مكة حيث أنكروا نبوة

يتوكلون) لاعلى غيره يعنى عاروا أصحابه (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الرسل (الارجالا) آدميا مثلك (نوحى) (محمد)

اليهم) بالامر والنهى

نوحى حفص (فاسئلوا
 أهل الذكر) أهل الكتاب
 ليعلموكم ان الله لم يبعث
 الى الامم السالفة الا بشرا
 وقيل للكتاب الذكر لانه
 موعظة وتنبية للغافلين
 (ان كنتم لاتعلمون بالبينات
 والزبر) أى بالمعجزات
 والكتب والباء بتعلق
 برجالا صفة له أى رحالا
 ملتبسين بالبينات أو بارسلنا
 مضمرا كأنه قيل بم أرسل
 الرسل فقيل بالبينات أو
 ييوحى أى يوحى اليهم
 بالبينات أو بلا تعلمون وقوله
 فاسئلوا أهل الذكر اعتراض
 على الوجوه المقدمة وقوله
 (وأزلنا اليك الذكر)
 القرآن (لتبين للناس ما نزل
 اليهم) فى الذكر مما أمروا به
 ونهوا عنه ووعدوا به
 وأوعدوا

والعلامات (فاسئلوا أهل
 الذكر) أهل التوراة
 والانجيل (ان كنتم لاتعلمون)
 ان الله لم يرسل الرسل
 الا اناسيا (بالبينات) بالامر
 والنهى والعلامات (والزبر)
 خبر كتب الاولين (وأزلنا
 اليك الذكر) جبريل
 بالقرآن (لتبين للناس ما نزل
 اليهم) مما أمرهم فى القرآن

ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ أهل الكتاب أو علماء
 الاحبار ليعلموكم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ وفى الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة
 ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا الى الملائكة أو الى
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الامتثلين بصورة الرجال ورد
 بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو عليها
 مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم ﴿ بالبينات والزبر ﴾ أى ارسلناهم
 بالبينات والزبر أى المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق
 بما ارسلنا داخل فى الاستثناء مع رجلا أى وما ارسلنا الارجالا بالبينات كقولك ما ضربت
 الازيدا بالسوط أو صفة لهم أى رجالا ملتبسين بالبينات أو ييوحى على المفعولية أو الحال
 من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسئلوا اعتراض أو بلا تعلمون على ان الشرط
 للتيكيت والالزام ﴿ وانزلنا اليك الذكر ﴾ أى القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة
 وتنبية ﴿ لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما أمروا به ونهوا
 عنه أو مما تشابه عليهم والتبين اعم من ان ينص بالمقصود أو يرشد الى ما يدل عليه كالقياس

سجد صلى الله عليه وسلم وقالوا لله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث
 ملكا لينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجلا يعنى مثلك
 نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا
 رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ يعنى
 أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار
 مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل
 موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم
 بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن
 قلوبهم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم ياهؤلاء لاتعلمون ذلك
 ﴿ بالبينات والزبر ﴾ اختلفوا فى المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من
 قبلك بالبينات والزبر الا رجلا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم
 فى قوله فاسئلوا أهل الذكر يعنى اهل العلم فاسئلوا اهل الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر
 ان كنتم لاتعلمون أنتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يكامل به أمر الرسالة لان مدار
 أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى
 المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل ﴿ وأزلنا اليك الذكر ﴾ الخطاب
 للبنى صلى الله عليه وسلم يعنى وأزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وانما سماه ذكرا
 لان فيه موعظة وتنبية للغافلين ﴿ لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ يعنى ما أجل اليك من أحكام
 القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك الجملة هو الرسول صلى الله عليه
 وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان

ودليل العقل ﴿ ولعلمهم يتفكرون ﴾ واردة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ أى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء أو الذين مكروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ﴿ ان يخسف الله بهم الارض ﴾ كما خسف بقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ بغتة من جانب السماء كالفعل يقوم لوط ﴿ أو يأخذهم في تقلبهم ﴾ أى متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم ﴿ فاهم بمجزين أو يأخذهم على تخوف ﴾ على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على ان ينقص شيئاً بعد شئ في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفه اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرجل منها تاما كقردا • كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم

(ولعلمهم يتفكرون) فى تنبيهاته فيتنبهوا (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى بغتة (أو يأخذهم فى تقلبهم) متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم (فاهم بمجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث

(ولعلمهم يتفكرون) لى يتفكروا ما أمر لهم فى القرآن (أفأمن الذين مكروا السيئات) الشرك بالله (أن يخسف الله) بهم الارض (أو يأتيهم) العذاب (أو لا يشعرون) بنزوله (أو يأخذهم) أو لا يأخذهم (فى تقلبهم) فى ذهابهم ومجيئهم فى التجارة (فاهم بمجزين) بفسائين من عذاب الله (أو يأخذهم) أو لا يأخذهم (على تخوف) على تنقص رؤسائهم واصحابهم

القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على الحمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالحكيم يجب أن يكون مينا والميتشابه هو الحمل ويطلب بيانه من السنة فقولته تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجل فيه دون المحكم المبين المفسر ﴿ ولعلمهم يتفكرون ﴾ يعنى فيما أنزل اليهم فيعملوا به ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ فيه حذف تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وبالغوا فى اذيتهم والمكر عبارة عن السعى بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعى فى اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة ﴿ أن يخسف الله بهم الارض ﴾ يعنى كما خسف بقارون من قبلهم ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعنى ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كأهلك قوم لوط وغيرهم ﴿ أو يأخذهم فى تقلبهم ﴾ يعنى فى تصرفهم فى الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم فى السفر كما هو قادر على اهلاكهم فى الحضر وقال ابن عباس يأخذهم فى اختلافهم وقال ابن جريج فى اقبالهم وادبارهم يعنى انه تعالى قادر على أن يأخذهم فى ليلهم ونهارهم وفى جميع أحوالهم ﴿ فاهم بمجزين ﴾ يعنى بسابقين الله أو يفتوتونه بل هو قادر عليهم ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ قال ابن عباس ومجاهد يعنى على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشئ بعد الشئ حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيحتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أو لابل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال

﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ﴿ أولم يروا الى ما خلق الله من شيء ﴾ استفهام انكار أى قدرأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها يظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها ﴿ يتفيؤ ظلاله ﴾ أى أولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة هو قرأ حزة والكسائى تروا باتاءه وابوعرو تنفياً بالتاء ﴿ عن اليمين والشمال ﴾ عن ايمانها وعن شمائلها الى عن جاني كل واحد منها استعارة من عين الانسان وشماله وعل توحيد اليمين وجع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجعه في قوله ﴿ سجد الله

لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رآفته تقيكم ورجته تحميكم (أولم يروا) وباتاء حزة وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيؤ ظلاله) أى يرجع من موضع الى موضع وباتاء بصرى (عن اليمين) أى الايمان (والشمال) جمع شمال (سجد الله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء

(فان ربكم لرؤف رحيم) لمن تاب ويقال بتأخير العذاب (أولم يروا) أهل مكة (الى ما خلق الله) من شيء (من الشجر والدواب) يتفيؤ ظلاله (عن اليمين) غدوة (والشمال) وعن الشمائل عشية (سجد الله) يسجدون لله وظلالهم غدوة وعشية أيضاً تسجد الله

الضحك والكلبي هو من الخوف يعنى بهلك طائفة فيخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم مخسف يحصل في الارض أو بعد اب يتزل من السماء أو بافات تحدث دفعة أو بافات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله ﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ أولم يروا ﴿ قرى بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة ﴾ الى ما خلق الله من شيء ﴾ يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به ﴿ يتفيؤ ظلاله ﴾ يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود في آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى في لانه من فاء فى اذار جمع من المغرب الى المشرق والنى الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد ان تصاف النهار فالفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه اضافة الى ذوى الظلال ﴿ عن اليمين والشمال ﴾ قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلقك فاذا ماتت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فقول النهار وأما الشمال فأخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشيء وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع ﴿ سجد الله ﴾ فى معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النحلة اذا ماتت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشياء التى لها ظلال فهى منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير متمتعة عليه فيما سخره له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير

(وهم داخرون) صاغرون وهو الجزء الرابع عشر من حال من الضمير ﴿٦٠٨﴾ في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق

الله من كل شئ له ظل وجمع
بالواو والنون لان الدخور
من أو صاف العقلاء أولان
في جملة ذلك من يعقل فغلب
والمعنى أولم يروا الى
ما خلق الله من الاجرام التي
الها ظلال متفينة عن ايمانها
وشمائلها أي ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة الله
تعالى غير متمعة عليه فيما
سخره الله من التفؤ والاجرام
في أنفسها داخرة أيضا
صاغرة منقادة لافعال الله فيها
غير متمعة (ولله يسجد ما في
السموات وما في الارض
من دابة) من بيان لما
في السموات وما في الارض
جميعا على أن في السموات
خلقنا يدبون فيها كما تدب
الاناس في الارض أو بيان
لما في الارض وحده والمراد
بما في السموات ملائكتهن
وبقوله (والملائكة) ملائكة
الارض من الحفظة وغيرهم
قيل المراد بسجود المكلفين
طاعتهم وعبادتهم وسجود
غيرهم انقيادهم لارادة الله
ومعنى الانقياد بحمهم ما لم
يختلفا فلذا جاز أن يعبر
عنهما بلفظ واحد وجيء
بما اذ هو صالح للعقلاء
وغيرهم ولو جيء بمن

(وهم داخرون) مطيعون
(ولله يسجد ما في السموات)

وهم داخرون ﴿٦٠٨﴾ وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان
بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأ رأسه ليركب
أو سجد حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس
وإنحدارها أو باختلاف مشارقتها وغار بها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر
له من التقيء أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في أنفسها ايضا
داخرة أي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جعلتها من
يعقل أولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل عين الفلك وهو
جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب
الغربي المقابل له من الارض فان الظلال في اول النهار تبتدىء من المشرق واقعة على الربع
الغربي من الارض وعند الزوال تبتدىء من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿٦٠٨﴾ والله
يسجد ما في السموات وما في الارض ﴿٦٠٨﴾ أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره
طبا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله
﴿من دابة﴾ بيان لهما لان الديدب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض أو سماء
﴿والملائكة﴾ عطف على المسين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أو عطف
المجردات على الجسمانيات وبه اخرج من قال ان الملائكة ارواح مجردة أو بيان لما في

ساجد لله ﴿٦٠٨﴾ وهم داخرون ﴿٦٠٨﴾ أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما أمره به
شاء أم أبي وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء
فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجهها بالواو والنون ؤقلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة
والانقياد لامرهم وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو
جمع العقلاء ﴿٦٠٨﴾ قوله عز وجل ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة﴾ قال
العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد
وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل
النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود
غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان
مالا يعقل اكثر من يعقل في العدد والحكم للأغلب كتغليب المذكور على المؤنث ولانه لو أتى بمن
التي هي للعقلاء لم يكن فيراد الاله على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل
الكل ولفظة الدابة مشتقة من الديدب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل
حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة
في قوله ﴿والملائكة﴾ لانهم أولوا جحمة يطيرون بها وأفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من
في السموات لشرفهم وقيل أراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من
دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود
مالا يعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين
الى السجود لله عند التأمل والتدبر

(وما في الارض من دابة) من الدواب والطيور (والملائكة) في السماء يسجدون لله (وهم)

لتناول العقلاء خاصة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون أى لا يستكبرون خاشعين (من فوقهم) ان علقته يخافون فمعناه يخافونه ﴿ ٦٠٩ ﴾ أن يرسل { سورة النحل } عليهم عذابا من فوقهم وان

علقته برهم حالاً منه فمعناه يخافون ربهم غالباً لهم قاهراً كقوله وهو القاهر فوق عباده (ويفعلون ما يؤمرون) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي وانهم بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين إلهاً أو أيماناً هو اله واحد) فان قلت انما جمعوا بين العدد والعدد فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لان العدد عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان فعددان فيهما دلالة على العدد فلاحاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل للمعنى الافراد والثنائية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك ثبتت الالهية لا للوحدانية (فايأى فارهبون) نقل

الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتمييز له اجلالاً وتعظيماً والمراد بها ملائكتها من الحفظه وغيرهم ومما استعمل للعلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القليلان اولى من اطلاق من تقليد للعلاء ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ عن عباده ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ يخافونه ان يرسل عذاباً من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عباده ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ من الطاعة والتديب وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿ وقال الله لا تتخذوا الهين إثنين ﴾ ذكر العدد مع المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه أو أيماناً بان الاثنية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله ﴿ انما هو اله واحد ﴾ للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية أولئنيبه على ان الوحدة من لوازم الالهية ﴿ فايأى فارهبون ﴾ نقل من القية الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحاً

﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ يعنى الملائكة ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لاترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما لتذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال أبو ذر لوددت انى كنت شجرة تعضد أخرجته الترمذى وقال عن أبي ذر موقوفاً

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وقال الله لا تتخذوا الهين إثنين ﴿ لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة ان كل ما في السموات والارض خاضعون لله متقادون لأمره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهي في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين إثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين إثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيداً لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا الهين الهين يعنى ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الهياً ولكن اتخذوا الهياً واحداً وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ انما هو اله واحد ﴾ لان الالهين لا يكونان الامساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنية منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعنى لا يجوز أن يكون في الوجود الهان اثنان انما هو اله واحد ﴿ فايأى فارهبون ﴾ يعنى فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من القية الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ في الترهيب

للكلام عن القية الى التكلم وهو من طريقة (قاو خا ٧٧ لث) الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله فايأى فارهبون

(وهم لا يستكبرون) عن السجود لله (يخافون ربهم من فوقهم) الذى فوقهم على العرش (ويفعلون) يعنى ويقولون (ما يؤمرون) يعنى الملائكة (وقال الله لا تتخذوا) لا تعبدوا (الهين إثنين) نفسه والاصنام (انما هو اله واحد) بلاولده ولا شريك (فايأى فارهبون) فخافون

ثابتان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أو وله الجزء دائما يعنى الثواب والعقاب (أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة) (وأى شئ اتصل بكم من نعمة عاقبة وغنى وخصب (فمن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقر والجذب (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستئذنة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم برهم يشركون) الخطاب في وما بكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم لليان لا للتبويض كانه قال فاذا فريق كافروهم أتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر في عبادة الاصنام (وله مافي السموات والارض) من الخلق والجنائيب (وله الدين واصبا) دائما ويقال خالصا (أفغير الله تتقون) تبدون (وما بكم من نعمة فمن الله) فن قبل الله لا من قبل الاصنام (ثم اذا مسكم الضر) أصابكم الشدة (فاليه) الى الله

بالمقصود فكانه قال فاذلك الاله الواحد فايى فارهبون لا غيرى ﴿ وله مافي السموات والارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ وله الدين ﴾ أى الطاعة ﴿ واصبا ﴾ لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزء أى وله الجزء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ ولا ضرر سواه كالأنافع غيره كقوله تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ أى وأى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا حصولها منه ﴿ ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ﴾ فالتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستئذنة ﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم برهم يشركون ﴾

من قوله فايه فارهبوا فهو من بديع الكلام وبلغه وقوله فايى فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه ﴿ وله مافي السموات والارض ﴾ لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له فى الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيد له وفى ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله مافي السموات والارض يعنى عبيدا وملكا ﴿ وله الدين واصبا ﴾ يعنى وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحديدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب فى حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما أبدا ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ يعنى انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له فى ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعده هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار ﴿ قوله عز وجل ﴿ وما بكم بنعمة فمن الله ﴾ يعنى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين فى الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى بين فى هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ﴿ ثم اذا مسكم الضر ﴾ أى الشدة والامراض والاسقام ﴿ فاليه تجأرون ﴾ يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومنه جوار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر فى بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم ﴾ يعنى ثم اذا أزال الشدة والبلاء عنكم ﴿ اذا فريق منكم ﴾ يعنى طائفة وجاعة منكم ﴿ برهم يشركون ﴾ يعنى انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جلة شركهم الذى كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف

فهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كانوا جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ثم أوعدهم فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) هو عدول الى الخطاب ﴿ ٦١١ ﴾ على التهديد { سورة النحل } (ويحملون لما لا يعلمون

نصيبا مما رزقناهم) أى لا آلتهم ومعنى لا يعلمون أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جاد لا تضر ولا تنفع أو الضمير في لا يعلمون للآلهة أى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشمر أجعلوها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليها (تالله لتسئن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل للتقرب اليها (ويحملون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه الاصنام (ليكفروا) حتى يكفروا (بما آتيناهم) أعطيناهم من النعيم فيقولوا بشفاعة آلهتنا هذا (فتمتعوا) فعيشوا في الكفر والحرام (فسوف تعلمون) ماذا يفعل بكم (ويحملون) يقولون (لما لا يعلمون نصيبا) حظال الرجال دون النساء ويقال لما لا يقولون ولا يعلمون يعنى الاصنام (عمارزقناهم) أعطيناهم من الحرث والانعام ويقولون الله امرنا بهذا (تالله) والله (لتسئن) يوم القيامة (عما كنتم تفترون) تكذبون على الله (ويحملون لله البنات) يقولون الملائكة بنات الله

وهم كفاركم ﴿ ليكفروا ﴾ بمبادءه غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من اللين فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من التبويض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البرفهم مقتصد ﴿ بما آتيناهم ﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة أو انكار كونها من الله تعالى ﴿ فتمتعوا ﴾ امر تهديد ﴿ فسوف تعلمون ﴾ اغلظ وعيده ووقرى فتمتعوا مبنيا للمفعول عطفًا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ﴿ ويحملون لما لا يعلمون ﴾ أى لا آلتهم التى لا علم لها لانها جاد فيكون الضمير لما أو التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفهم وتشفع لهم على العائد الى ما محذوف أو لجعلهم على ان ما مصدرية والمحمول له محذوف للعلم به ﴿ نصيبا مما رزقناهم ﴾ من الزروع والانعام ﴿ تالله لتسئن عما كنتم تفترون ﴾ من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيدهم عليه ﴿ ويحملون لله البنات ﴾ كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهه من قولهم وتجب منه

الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ قيل ان هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجمعوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ﴿ فتمتعوا ﴾ لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا في اللذة التى أنتم فيها الى المدة التى ضربها الله لكم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ يعنى عاقبة أمركم الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ويحملون لما لا يعلمون نصيبا ﴿ قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد الى المشركين يعنى ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لانعم شيا البتة لانها جاد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين أولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لا يعلمون انه اله ولاله حق نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتاج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم ﴿ وقوله ﴿ مما رزقناهم ﴾ يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام ﴿ تالله ﴾ أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿ لتسئن عما كنتم تفترون ﴾ يعنى عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبلغه ﴿ ويحملون لله البنات ﴾ هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أول دخول لفظ التأنيث في تسميتهم ﴿ سبحانه ﴾

كنتم تفترون) تكذبون على الله (ويحملون لله البنات) يقولون الملائكة بنات الله

أوتجب من قولهم (ولهم { الجزء الرابع عشر } ما يشتهون) ﴿ ٦١٢ ﴾ بيني وبينه ويجوز في ما أرفعه على

الابتداء ولهم الخبر والنصب
على العطف على النبات
وسبحانه اعتراض بين
المعطوف والمعطوف عليه
أى وجعلوا لانفسهم
ما يشتهون من الذكور (واذا
بشر أحدهم بالانثى ظل
وجبه مسودا) أى صار
فظل وأمسى وأصبح وبات
تستعمل بمعنى الصيرورة
لان أكثر الوضع يتفق
بالليل فيظل نهاره مقتما
مسود الوجه من الكآبة
والحياء من الناس (وهو
كظيم) مملوء حنقا على
المرأة (يتوارى من القوم
من سوء ما بشره) يستخفي
منهم من أجل سوء المباشرة به
ومن أجل تعبيرهم ويحدث
نفسه وينظر (أيمسكه
على هون) أى يمسك ما بشره
على هون وذل (أم يدسه
في التراب) أم يئده

والشريك (ولهم ما يشتهون)
ما يختارون من الذكور
(واذا بشر أحدهم بالانثى)
بالجارية (ظل وجهه مسودا
صار وجهه مسودا من الغم
(وهو كظيم) مكروب
يتردد الغم في جوفه) يتوارى
من القوم (يكتم من قومه
من سوء) من كرهه (ما بشره)
بالانثى كراهية الاظهار
(أيمسكه) أي يحفظه (على هون)

﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف
على النبات على ان الجمل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول لثى واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف ﴿ واذا بشر أحدهم بالانثى ﴾
اخبر بولادتها ﴿ ظل وجهه ﴾ صار وأدام النهار كله ﴿ مسودا ﴾ من الكآبة والحياء
من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير ﴿ وهو كظيم ﴾ مملوء غيظا من المرأة
﴿ يتوارى من القوم ﴾ يستخفي منهم ﴿ من سوء ما بشره ﴾ من سوء المباشرة به عن فاء ﴿ أيمسكه ﴾
محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه ﴿ على هون ﴾ ذل ﴿ أم يدسه في التراب ﴾ أم يخفيه

نزه الله نفسه عن الولد والبنات ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ يعنى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون
يعنى البنين ﴿ واذا بشر أحدهم بالانثى ﴾ البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على
بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه
كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التى تملو الوجه عند
حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن
فصح قوله واذا بشر أحدهم بالانثى ﴿ ظل وجهه مسودا ﴾ يعنى تغيرا من الغم والحزن
والغيظ والكرهات التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى
أحدهم بالنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى ففيه تبيكيت
لهم وتوبيخ ﴿ وقوله وسبحانه وتعالى ﴾ وهو كظيم ﴿ يعنى انه ظل متمنا غما وحزنا
﴿ يتوارى من القوم من سوء ما بشره ﴾ يعنى انه يخفى من ذلك القول الذى بشره
وذلك ان العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى ان
يعلم ما ولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى
يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى ﴿ أيمسكه على هون ﴾ يعنى على هوان وانما ذكر
الضمير فى أيمسكه لانه عائد الى ما بشره فى قوله واذا بشر أحدهم ﴿ أم يدسه فى
التراب ﴾ يعنى أم يخفى ذلك الذى بشره فى التراب والدس اخفاء الشئ فى الشئ قال
أهل التفسير ان مضر وخزاعة وتيما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب فى ذلك
اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه
أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب فى الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد
أن يستحيها تركها حتى اذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الابل
والغمم فى البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينها
حتى أذهب بها الى أجانها ويكون قد حفر لها حفرة فى الصحراء فاذا باغ بها تلك الحفرة
قال لها انظرى الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها فى تلك البئر ثم يهيل
التراب على رأسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا أحس بشئ من ذلك وجه بابل
الى والد البنت حتى يحسبها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

وعى الذى منع الوائدات * فاحيا الوئيد فلم يواد
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموودة فى النار أخرجه

(ابو)

على هوان ومشقة (أم يدسه) يدفنه (فى التراب) حيا

(الاسماء ما يحكمون) حيث يجعلون ﴿ ٦١٣ ﴾ الولد الذي هذا محله سورة النحل ١ عندهم لله ويجعلون لانفسهم

من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكرهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العطين والنزاهة عن صفات الخلقين (وهو العزيز) الغالب في تنفيذ ما أراد (الحكيم) في امهال العباد (ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض (من دابة) قسط ولاهلكها كلها بشؤم ظم الظالمين عن أبي هريرة رضى الله عنه ان الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب

(الاسماء ما يحكمون) بشئ ما يقضون لانفسهم الذكور ولله البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (مثل السوء) بغير النار (ولله المثل الاعلى) الصفة العاليا الالهية والربوبية بلا ولد ولا شريك (وهو العزيز) بانقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمر أن لا يعبد

فيه ويثده وتذكير الضمير للفظ ما قرئ بالتأنيث فيهما ﴿ الاسماء ما يحكمون ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكرهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات الخلقين ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ المنفرد بكمال القدرة والحكمة ﴿ ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ ماترك عليها ﴾ على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لالة الناس أو الدابة عليها ﴿ من دابة ﴾ قسط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن

أبو داود ﴿ وقوله تعالى ﴾ الاسماء ما يحكمون ﴿ يعنى بشئ ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهم ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكوره الا انى تلك اذا قسمة بينى وقيل معناه الاسماء ما يحكمون في واد البنات ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ يعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكر وكرهتهم الاناث وقتلهم خوف الفقر ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ أى الصفة العليا المقدسة وهى أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لاله الا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله ﴿ وهو العزيز ﴾ أى الممتنع في كبريائه وجلاله ﴿ الحكيم ﴾ يعنى في جميع أفعاله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴿ يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية أخرى فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قسمهم في تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة وقلت قوله ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان في جنس الناس الانبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك انظلم عظيم وقوله ﴿ ماترك عليها ﴾ يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الاعلى الارض ﴿ من دابة ﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى لويؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الامن كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أباهريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الانفسه فقال بشئ ما قلت ان الحبارى تموت هز الا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب في حجرها بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض

غيره (ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم) بشركهم (ماترك عليها) على ظهر الارض (من دابة) من الجن والانس

(ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة) فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون (ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولاصنامهم أكرمها) (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهى الجنة ان كان البعث حقا كقوله {الجزء الرابع عشر} ولئن رجعت ﴿٦١٤﴾ الى ربى انى عنده للحسنى وأن لهم

الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر المفتح بمعنى مقدمون الى النار يجعلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلقى اذا خلفت ونسيته والمكسور الخفف من الافراط في المعاصى والمشدد من التفريط في الطاعات أى التقصير فيها (ناله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى أرسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسل أحدا) (ولكن يؤخرهم) يؤجلهم (الى أجل مسمى) الى وقت هلاكهم (فإذا جاء أجلهم) وقت هلاكهم (لا يستأخرون ساعة) لا يتروكون عن الاجل قدر ساعة (ولا يستقدمون) لا يهلكون قبل الاجل (ويجعلون لله ما يكرهون) يقولون لله البنات

الابناء ﴿ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى﴾ سماه لا عمارهم أو اعمارهم كي يتوالدوا ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصد عن أكثرهم ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ أى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ مع ذلك وهو ﴿ان لهم الحسنى﴾ أى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى انى عنده الحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة لللسنة ﴿لاجرم ان لهم النار﴾ رد لكلامهم واثبات لضده ﴿وانهم مفرطون﴾ مقدمون الى النار من أفرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرئ نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات ﴿ناله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فاصروا على

أحد ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يعنى يمهلهم بفضلهم وكرمه وحمله ﴿الى أجل مسمى﴾ يعنى الى انتهاء أجالهم وانقضاء أعمارهم ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يعنى لانفسهم وهى البنات ﴿وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ يعنى ويقولون ان لهم البنات وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال ﴿لاجرم ان لهم النار﴾ يعنى فى الآخرة لا الجنة ﴿وأهم مفرطون﴾ قرئ بكسر الراء مع الخفيف يعنى مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لاسر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة مجعلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم ﴿ناله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك﴾ يعنى كما أرسلناك الى هذه الامة لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب فيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ يعنى أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آية بالقاء

ما لا يرضون لانفسهم (وتصف ألسنتهم الكذب) يقولون بألسنتهم الكذب (أن لهم الحسنى) يعنى المذكور ويقال (الوسوسة) أن لهم الحسنى يعنى الجنة ويقال ان لهم الحسنى من اين لهم الجنة (لاجرم) حقا (أن لهم النار) وانهم مفرطون) متروكون ويقال منسيون ويقال مفرطون بالقول والفعل وان قرأت بكسر الراء (ناله) والله (لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) دينهم

(فهو وليهم اليوم) أي قربتهم في الدنيا تولى اضلالهم بالغرور والضمير لمشركي قريش أي زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم أو هو على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) في القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الالتين لهم للناس) الذي ﴿ ٦١٥ ﴾ (اختلفوا فيه) هو ﴿ سورة النحل ﴾ البعث لانه كان فيهم من يؤمن

به (وهدى ورجة) معطوفان على محل لتبين الانهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لأفضل المنزل (تقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فاحياه الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) ويقع النون نافع وشامى وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما في بطونه

فلم يؤمنوا (فهو وليهم اليوم) في الدنيا وقربهم في النار (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) وجمع (وما أنزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (الالتين لهم الذي اختلفوا) خالفوا (فيه) في الدين (وهدى) من الضلالة

قبائحها وكفروا بالرسولين ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ أي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها وهو وليهم حين كان زين لهم أو يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يعزيهم ويعوهم وان بقدر مضاف أي فهو ولي امثالهم والولى القرين والناصر فيكون نصيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في القيامة ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم ﴾ للناس ﴿ الذي اختلفوا فيه ﴾ من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال ﴿ وهدى ورجة ﴾ لقوم يؤمنون ﴿ معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين ﴿ والله أنزل من السماء ماء فاحياه الارض بعد موتها ﴾ ائتت فيها انواع النبات بعد يبسها ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر وانصاف ﴿ وان لكم في الانعام لعبرة ﴾ دلالة يعبرها من الجهل الى العلم ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾ استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانته في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عدسبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكاش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعث فان اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحد اوله على المعنى فان

الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما الوسوسة فقط فن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته ﴿ فهو وليهم ﴾ أي ناصرهم ﴿ اليوم ﴾ ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾ يعني في أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام ﴿ وهدى ورجة ﴾ يعني وما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورجة ﴿ تقوم يؤمنون ﴾ لانهم هم المنتفعون به ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ والله أنزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فاحياه ﴾ يعني بالماء ﴿ الارض ﴾ يعني بالنبات والزروع ﴿ بعد موتها ﴾ يعني يبسها وجدوتها ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا ﴿ لقوم يسمعون ﴾ يعني سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان فن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات ﴿ وان لكم في الانعام لعبرة ﴾ يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾ الضمير عائدا الى الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لفائدة الجمع فهو مجسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكور ومجسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والاختفش وقال

(ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) به (والله أنزل من السماء ماء) مطرا (فاحياه) بالمطر (الارض بعد موتها) قحطها ويوسستها (ان في ذلك) في احياء ما ذكرت (لآية) لعامة (لقوم يسمعون) يطيعون ويصدقون (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه

المراد به الجنس * وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين
 ﴿ من بين فرث ودم لبنا ﴾ فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
 التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس
 رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا
 واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة
 الدم الذي يعدى البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام
 المنضم في الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضمًا ثانيًا فيحدث
 اخلاط اربعة معها مائة فتميز القوة المهيمنة تلك المائة بما زاد على قدر الحاجة من المرتين
 وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل
 حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان اثنى زاد اخلاطها على قدر
 غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل
 الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها
 الغدنية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد
 مقارها ومجاورها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفه فيها كل وقت على ما يليق به
 اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحته ومن الاولى تبعيضه لان اللبن بعض
 ما في بطونها والثانية ابتداء كقولك نسقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل
 الذي يتبدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم أوحال من لبنا قدمت عليه لتكثيره ولتنبيه
 على انه موضع العبوة ﴿ خالصا ﴾ صافيا لا يستحب لون الدم ولا رائحة الفرث أو مصفى
 عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضيق مخرجه ﴿ سائغا للشاربين ﴾ سهل المرور في حلقهم

الكسائي انه رده الى ما ذكر يعنى مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكتابة مردودة الى
 البعض وفيه اضمحار كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن
 ﴿ من بين فرث ﴾ وهو ما في الكرش من السفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا ﴿ ودم
 لبنا خالصا ﴾ يعنى من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس
 اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان اسفله فرثا وأوسطه لبنا واعلاه
 دما فالكبد مسيطرة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن
 في الضروع ويبقى الثفل كاهو ﴿ سائغا للشاربين ﴾ يعنى هنيئا سهلا يجرى في الحلق
 بسهولة قيل انه لم ينص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى
 الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء في ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان
 في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما رأى
 أحد في كرشها دما ولا لبنا بل الحق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى
 معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول
 فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كشيئا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي

﴿ من بين فرث ودم لبنا ﴾
 خالصا أى يخلق الله اللبن
 وسيطا بين الفرث والدم
 يكتفانه ويينه وبينهما برزخ
 لا ينغى أحدهما عليه بلون
 ولا طعم ولا رائحة بل هو
 خالص من ذلك كله قيل اذا
 أكلت البهيمة العلف فاستقر
 في كرشها طبخته فكان أسفله
 فرثا وأوسطه لبنا وأعله
 دما والكبد مسيطرة على هذه
 الاصناف الثلاثة تقسمها
 فيجري الدم في العروق
 واللبن في الضروع ويبقى
 الفرث في الكرش ثم يندبر
 وفي ذلك عبوة لمن اعتبر وسئل
 شقيق عن الاخلاص فقال
 تميز العمل من الصوب كتميز
 اللبن من بين فرث ودم
 (سائغا للشاربين) سهل
 المرور في الحلق ويقال لم
 ينص أحد باللبن قط ومن
 الاولى للتبعيض لان اللبن
 بعض ما في بطونها والثانية
 لابتداء الغاية ويتعلق

من بين فرث ودم) نخرج
 (لبنا خالصا سائغا) شهيا
 (للشاربين)

من ثمرات النخيل والاعناب
أى من عصيرهما وحذف
لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله
(تتخذون منه سكرا) بيان
وكشف عن كنه الاسقاء
أو تتخذون ومنه من تكرير
الظرف للتوكيد والضمير
في منه يرجع الى المضاف
المحذوف الذى هو العصير

والسكر الخمر سميت بالمصدر
من سكر سكرًا وسكرًا نحو
رشد رشدا ورشدا ثم فيه
وجهان أحدهما ان الآية
سابقة على تحريم الخمر فتكون
منسوخة وثانيهما أن يجمع
بين العتاب والمنة وقيل
السكر النبيذ وهو عصير
العنب والزبيب والتمر
اذا طبخ حتى ينذهب ثلثاهم
يترك حتى يشتد وهو حلال
عند أبي حنيفة وأبي يوسف
رجعما الله الى حد السكر
ويحتجان بهذه الآية وقوله
عليه السلام الخمر حرام لعينها
والسكر من كل شراب
وباخبار جمة (ورزقا حسنا)
هو الخلل والرب والتمر
والزبيب وغير ذلك

ومن ثمرات النخيل
والاعناب (يعنى الكروم
(تتخذون منه سكرا) مسكرا
وهذا منسوخ ويقال طعاما
(ورزقا حسنا) حلالا
من الخلل والدبس والزبيب
وغير ذلك

وقرى سيفا بالتشديد والتخفيف ﴿ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴾ متعلق بمحذوف
أى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وقوله ﴿ تتخذون منه سكرا ﴾
استئناف لبيان الاسقاء أو تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفة
تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين
الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير أولان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمى به الخمر ﴿ ورزقا حسنا ﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة
على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل
الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرًا

أى تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمائه
حصل في الكبد ينطج فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء
والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال
وأما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب فى الاوردة وهى
العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق
كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددى رخو أبيض فيقلب
الله عز وجل ذلك الدم عند انصابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الأبيض فيصير الدم
لبنافهنا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما
يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء المأكولة -الخاصة فى الكرش فاللبن تولد
أولاً من الفرث ثم من الدم ثانياً صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لنا خالصاً من بين
فرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع يخلق الله عز وجل بلطف حكمته فى حلقة الثديى
ثقباً صغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمس أو
الحلب وما كان كشيئا احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة
الدم والفرث سائغا للشاربين يعنى جاريا فى حلو قههم سهلا لذينا هنيئا مريئا ﴿ قوله
عز وجل ﴿ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴾ يعنى ولكم أيضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم
من ثمرات النخيل والاعناب ﴿ تتخذون منه ﴾ الضمير فى منه يرجع الى ما تقديره ولكم
من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه ﴿ سكرًا ورزقا حسنا ﴾ قال ابن مسعود وابن
عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن أبى ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر
سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرًا وسكرًا او الرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل و
الاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك ﴿ فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله
عز وجل فى معرض الانعام والامتنان ﴿ قلت قال العلماء فى الجواب عن هذا ان هذه السورة
مكية وتحريم الخمر انما نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية فى الوقت
الذى كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه فى هذه الآية على تحريم الخمر
أيضاً لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا
يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخلل بلغة الحبشة وقال بعضهم

﴿ ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عهواهم بالنظر والتأمل في الآيات ﴿ واوحى ربك الى النحل ﴾ الهمة وتذف في قلوبها

السكر هو النبيذ وهو ثقب التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيع شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقوال ان قوله تتخذون منه سكرًا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل فقلت القول بالندخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النحل والاعناب تتخذون منه سكرًا ورزقا حسنا خير والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بانها منسوخة وقل أبو عبيدة في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أى طعم لك وقل غيره السكر ما سدا لجوع من قواهم سكرت النهر أى سدته والتمر والزبيب مما يسدا لجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة ان السكر الطعم ﴿ ان في ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر من انعامه على عباده ﴿ لآية ﴾ يعنى دلالة وحجة واضحة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعنى ان من كان عاجلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة أن لهذه الاشياء خالقاً ومدبراً قادراً على ما يريد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ وأوحى ربك الى النحل ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النحل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذى جمه شفاء للناس من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكير يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته وأصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال لكلمة الالهية التى يلقىها الله الى ألسنة وحي والى اوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعنى انه سخرها لما خلقها له وأهمها رشدها و قدر في أنفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبنى بيوتها على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خال وما حصل المقصود فالهمة لله سبحانه وتعالى أن تبنى على هذا الشكل المسدس الذى لا يحصل فيه خالى وفرجة خالية ضائعا وأهمها لله تعالى أيضاً أن يجعل عليها أميراً كبيراً نافذاً يحكم فيها وهى تطيعه وتمثل أمره ويكون هذا الاميراً كبيرها جثة وأعظمها خلقة ويسمى يسوب النحل يعنى ملكها كذا حكاه الجوهري وأهمها لله سبحانه وتعالى ايضا ان جمعات على باب كل خاية بوابا لا يمكن غيرها لها من الدخول اليها وأهمها لله سبحانه وتعالى ايضا انها تخرج من بيوتها وتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تنزل عنها وما امتاز هذا الحيوان الضئيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والنفطنة دل ذلك على الالهام الالهى فكان ذلك شبيهاً بالوحي فاذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضاً

(ان في ذلك لآية لقوم يعقلون
وأوحى ربك الى النحل)
والهم

(ان في ذلك) فيما ذكرت
لكم (لآية) لعلامة (لقوم
يعقلون) يصدقون (وأوحى
ربك الى النحل) الهمة ربك
النحل

(ان اتخذى من الجبال بيوتا) هي ﴿ ٦١٩ ﴾ أن المفسرة لان ﴿ سورة النحل ﴾ الایحاء فيه معنى القول قال

الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونحلة والتأنيث باعتبار هذا ومن في من الجبال (ومن الشجر ومما يرشون) رفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تسبل فيها للتبويض لانها لا يبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يرش والضمير

في يرشون للناس وبضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كلنى من كل الثمرات) أى ابنى البيوت ثم كلنى كل ثمرة تشتمها فاذا قلتها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة

من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لاتضلين فيها (ذلالا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله تعالى ذلها وسهلها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقاد لما أسرت به غير متمتعة (يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه مما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأجر من الشباب والكهول والشيب

(أن اتخذى من الجبال بيوتا) فى

وقرى الى النحل بفتحين ﴿ ان اتخذى ﴾ بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الایحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر ﴿ من الجبال بيوتا ﴾ ومن الشجر ومما يرشون ﴿ ذكر بحرف التبعيض لانها لا يبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يرش من كرم أو سقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ما يبنيه لتعسل فيه بيتا تشبها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقوى عليها خذاق المهندسين الآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبه على ذلك * وقرى بيوتنا بكسر الباء للياء وقرأ ابن عامر وابوبكر يرشون بضم الراء ﴿ ثم كلنى من كل الثمرات ﴾ من كل ثمرة تشتمها مرها وحلواها ﴿ فاسلكى ﴾ ما اكلت ﴿ سبل ربك ﴾ فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المرعسلا من اجوافك أو فاسلكى الطرق التى ألهمك فى عمل العسل أو فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتتبس ﴿ ذلالا ﴾ جمع ذلول وهى حال من السبل أى مذلة ذلها الله تعالى وسهلها لك أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقاد لما أسرت به ﴿ يخرج من بطونها ﴾ عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامة لاجلهم ﴿ شراب ﴾ يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرية فيستحيل فى بطنها عسل ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواها اجزاء طليقة حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه ﴿ مختلف ألوانه ﴾ ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل

قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذى يخرج من بطونها بمعنى أعظامه وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهى مؤنثة فى لغة الحجاز وكذا أنشأها الله تعالى فقال ﴿ ان اتخذى من الجبال بيوتا ﴾ ومن الشجر ومما يرشون ﴿ يعنى يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجرة ويأوى الى الكهوف ومنه أهل وهو الذى يأوى الى البيوت ويرببه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أرباب الذى يرشون الكروم ﴿ ثم كلنى من كل الثمرات ﴾ يعنى من بعض الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمار فلفظة كل هنا ليست للعموم ﴿ فاسلكى سبل ربك ﴾ يعنى الطرق التى ألهمك الله أن تسلكها وتدخلى فيها لاجل طلب الثمرات ﴿ ذلالا ﴾ قيل انها نعت للسبل يعنى انها مذلة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها مذلة مسخرة لاربابها مطبوعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤا وأرادوا لاتستغضى عليهم ﴿ يخرج من بطونها شراب ﴾ يعنى العسل ﴿ مختلف ألوانه ﴾ يعنى ما بين أبيض وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ماتا كل من الثمار

الجبال مسكنا (ومن الشجر) وفى الشجر أيضا (ومما يرشون) يبنون (ثم كلنى من كل الثمرات) من ألوان كل الثمرات (فاسلكى سبل ربك) فادخلى طرق ربك (ذلالا) مذلة مسخرة لك (يخرج من بطونها) من بطون النحل (شراب مختلف ألوانه) الاحمر والاصفر والابيض

أوعلى ألوان أعذيتها (فيه شفاء للناس) لأنه من جلة الادوية النافعة وقل معجون المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كان كل دواء كذلك وتكثيره لتعظيم الشفاء الذي فيه ألوان فيه بعض الشفاء لان التكررة في الاثبات تخص وشكار جل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فنجاه وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاء من القرآن والعسل ومن بدع الروافض ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم ان رجلا قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرايك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة (فيه) في العسل (شفاء للناس) من الداء ويقال فيه في القرآن شفاء بيان للناس

﴿ فيه شفاء للناس ﴾ اما بنفسه كافي الامراض الباغمية أو مع غيره كافي سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التكثير فيه مشعر بالتبويض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان اخي يشتكى بطنه فقال والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدره الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتغذي به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شي كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فانا نشاهد ان النحل تغذي بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنافقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لاننا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجدونها ويرجمها وطعمها فيه أيضا ويعضدها قول بعض أرواح النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغاير قال لا قالت فها هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرت نحلته العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغاير كرهه الرأحة فعنى جرت نحلته العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريمة فثبت هذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وأنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لاما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو اللطيف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فيبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنافيه نظر لان لفظ البطن اذا أطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴿ فيه ﴾ يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل ﴿ شفاء للناس ﴾ وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذا ضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولاشيء الا لطح الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلا فلم يزد الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فم يزد الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اسقه العسل فذهب ثم رجح فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرى فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أولمابين الله من احوال النحل ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطع انه لا بدله

صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبراً وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجتمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملح الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها النخم والهيضات وقد أجمع الاطباء في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعالها فان احتاجت الى معين على الاسهال أعينت مادامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستجبال مرض فيحتمل أن يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه أو تقويته فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرتناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجارى على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحي الالهى أن العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعنى باستجبالك للشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده واسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فار قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين يعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض أيضا ان قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وتل مجزون من المعاجين الاوتمام به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشبوخ المبرودين ومنافسه كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورجة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب أن يعود الى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير اليه لانه أقرب مذكور وقوله سبحانه وتعالى ﴿ ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ يعنى فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا

من أصحابكم (ان في ذلك
لآية لقوم يتفكرون) في
عجيب أمرها فيعلمون ان
الله أودعها علما بذلك وفطم
كما أعطى أولى العقول
(ان في ذلك) فيما ذكرت
(لآية) لعلامة وعبرة (لقوم
يتفكرون) فيما خلقت

من قادر حكم يلهمها ذلك ويحملها عليه ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ﴾ بأجال مختلفة ﴿ ومنكم من يرد ﴾ يعاد ﴿ الى أرذل العمر ﴾ أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في الفسيان وسوء الفهم ﴿ ان الله عليم ﴾ بمقادير اعمارهم ﴿ قدير ﴾ يميت الشاب النشط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الابتعاد قادر حكيم ركب ابنتهم

وقدرتنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ والله خلقكم ﴾ يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئاً ﴿ ثم يتوفاكم ﴾ يعني عند انقضاء آجالكم اماميانا واما شبانا واما كهولاً ﴿ ومنكم من يرد الى أرذل العمر ﴾ يعني أردأه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها من النشو والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية من الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصاً خفياً لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجنون والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم اني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئاً لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفاً فيصير بعد ان كان عالماً جاهلاً ليرى ان الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته واحيايه أنه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولاً عنه ولو قال ليرى من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل أنه قادر على احيايه بعد اماتته ليكون ذلك دليلاً على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤوا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم ردناه أسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ وقوله تعالى ﴾ ﴿ ان الله عليم ﴾ يعني بما صنع بأوليائه وأعدائه ﴿ قدير ﴾

(والله خلقكم ثم يتوفاكم) يقبض ارواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (ان الله عليم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكل أو الى الافناء من الاحياء (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء

(والله خلقكم ثم يتوفاكم) يقبض ارواحكم عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أسفل العمر (لكي لا يعلم) حتى لا يفقه (بعد علم) العلم الاول (شيئاً ان الله عليم) بتحويل الخلق (قدير) على تحويلهم من حال الى حال

(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مما ليحكم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) في الرزق يعني ﴿٦٢٣﴾ الملاك (برادى) أعطى ﴿سورة النحل﴾ رزقهم على ما ملكت

أيانهم أركان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) جهه اسمية وقعت في موضع جلة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا شركاء فقال لهم أأنتم لاتسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيت أن تجعلوا عبيدى لى شركاء (أفبنعمة الله يمجدون) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جلة جمود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم

(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) نزلت هذه الآية في أهل نجران حين قالوا المسيح ابن الله فنزل قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق في المال والخدم (فما الذين فضلوا) بالمال والخدم (برادى رزقهم) هل يعطون ما لهم (على ما ملكت أيانهم) لعبيدهم

وعدل أمر جتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ فنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم ممالك حالهم على خلاف ذلك ﴿فما الذين فضلوا برادى رزقهم﴾ أعطى رزقهم ﴿على ما ملكت أيانهم﴾ على مما اليكم فان ما يدرون عليهم رزقهم لذى جعله الله تعالى في أيديهم ﴿فهم فيدسوا﴾ فالموالى والممالك سواء في ان الله رزقهم فالجلمة لازمة للجلمة المنفية أو مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما نعم الله عليهم فيساووهم فيه ﴿أفبنعمة الله يمجدون﴾ حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما نعم الله عليهم ويحمدوا انه من عند الله أو حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما نعم الله عليهم بايضا حها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر يمجدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ أي من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم

يعنى على ما يريد ﴿قوله تعالى﴾ (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعنى ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقل على آخر وكافضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والحجة والسقم والحسن والقيح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية ﴿فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيانهم﴾ يعنى من العبيد حتى يستووا فيهم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم وبماليكم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى في ملكى وسلطانى يلزم بهذه الحججة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية ان الموالى والممالك الله رزقهم جميعا ﴿فهم فيه﴾ يعنى في رزقهم ﴿سواء﴾ فلان تحسبن أن الموالى يردون رزقهم على مما اليكم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالى للممالك والقصود منه بيان أن الرزاق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان الموالى والممالك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرزاق للممالك والمالك هو الله سبحانه وتعالى ﴿وقوله﴾ (أفبنعمة الله يمجدون) فيه انكار على المشركين حيث جعلوا نعمة الله وعبادوا غيره ﴿قوله عز وجل﴾ (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعنى النساء فتحق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام بعم الكل

واما هم (فهم) يعنى المالك والمملوك (فيه) في المال (سواء) شرع قالوا لا فضل ذلك ولا ترضى فقال الله (أفبنعمة الله يمجدون) أفترضون لى ما لا ترضون لانفسكم وتكفرون بوحداية الله (والله جعل لكم من أنفسكم) آدميا مثلكم (أزواجا) نساء

(وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القائل واليك نسى ونحفد واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم {الجزء الرابع عشر} ويعينونكم ﴿٦٢٤﴾ (ورزقكم من الطيبات) أي بعضه لان

كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا انموزج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو ما يعتقدونه من منقصة الاصنام وشفاعتها (وبنعمه الله) أي الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمه محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمه الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئاً) أي الصنم وهو جاد لا يملك أن يرزق شيئاً فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئاً أي لا يملك أن يرزق شيئاً وان اردت المرزوق كان شيئاً بدلان منه أي قليلاً ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدراً أي لا يرزق من السموات مطراً ولا من الارض نباتاً وصفة ان كان اسملاً يرزق (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)

مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ وأولاد اولاداً وبنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من اللذائذ او الحلالات ومن للتبويض فان المرزوق في الدنيا انموزج منها ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وهو ان الاصنام تنفعهم أو ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب ﴿وبنعمه الله هم يكفرون﴾ حيث اضافوا نعمه الى الاصنام أو حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام أو لايهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على القواصل ﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئاً﴾ من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدراً فشيئاً

فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك نسى ومحفد أي نسرع الى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعوداً يضانهن أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجوهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يتمنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية اخرى عنه أنهم بنوا امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يتحمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أنى شريكاً صاحبة وولداً وهذا استفهام انكارى أي ليس لهم ذلك ﴿وبنعمه الله هم يكفرون﴾ يعني أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه أنهم يحقدون ما أحل الله لهم ﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض﴾ يعني الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدر على اخراج النبات الذي في الارض معدنه ﴿شيئاً﴾ يعني لا يملك من الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً وقيل معناه يعبدون مالا يرزق شيئاً

يعنى ولد الولد ويقال خدما وعبداً ويقال أختانا (ورزقكم من الطيبات) جعل أرزاقكم ألين وأطيب (ولا يستطيعون) من رزق الدواب (أفبالباطل يؤمنون) أفبالشيطان والاصنام يؤمنون يصدقون (وبنعمه الله) بوحداية الله ودينه (يكفرون ويعبدون من دون الله مالا يملك) مالا يقدر (لهم) يعني الاصنام (رزقا من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (شيئاً)

والضمير في (ولا يستطيعون) لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا لله مثلاً فانه لا مثل له أي فلا تجعلوا له شركاء (ان الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأنتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف ﴿ ٦٢٥ ﴾ يضرب الامثال { سورة النحل }

الاول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلاً عبداً) هو بدل من مثلاً (عملوكا لا يقدر على شيء) ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو يتفق منه سرا وجهراً) مصدران في موضع الحال أي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف

وبين حر مالك قدر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه ويتفق منه ماشاء وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعاً اذ هما من عباد الله ولا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أي وحر رزقناه ليطلق عبداً أو

ولا يستطيعون) لا يقدر ذلك (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تصفوا لله ولدا ولا شريكاً ولا شبيهاً (ان الله يعلم) ان لا ولده ولا شريك له (وأنتم تعلمون) ذلك يا معشر الكفار ثم ضرب مثل المؤمن والكافر فقال (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً)

منصوب به والاقبل منه ﴿ ولا يستطيعون ﴾ ان يملكوه أو لا استطاعة لهم اصلاً وجمع الضمير فيه وتوحيده في مالا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئاً من ذلك فكيف بالجناد ﴿ فلا تضربوا لله الامثال ﴾ فلا تجعلوا له مثلاً تشركونه به أو تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ﴿ ان الله يعلم ﴾ فساد ما تقولون عليه من القياس على ان عبادة عبد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم فهو تليل للنهي أو انه يعلم كنهه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا راأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلاً لنفسه ولمن عبد دونه فقال ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو يتفق منه سرا وجهراً

﴿ ولا يستطيعون ﴾ يعني ولا يقدر على شيء يدكر عجز الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضرر ﴿ فلا تضربوا لله الامثال ﴾ يعني لا تشبهوا الله بخلقه فانه لا مثل له ولا شبيهه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق أو الرازق بالمرزوق أو القادر بالعاجز ﴿ ان الله يعلم ﴾ يعني ما أنتم عليه من ضرب الامثال له ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ خطأ ما تضربون له من الامثال ﴿ قوله تعالى ﴾ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً ﴿ لما هم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قدر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه ويتفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بانه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء ألبتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما كان محروماً من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيراً صار كالعبد الذي لا يملك شيئاً والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقاً حسناً المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كحر المالك الذي يتفق سرا وجهراً في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فهو يتفق منه سرا وجهراً ﴾ فأنابه الله الخنة على ذلك فان قلت لم قال عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء وكل عبده مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر

بين الله صفة عبد مملوك (لا يقدر على شيء) (قا و خا ٧٩ لث) من النفقة والاحسان خيراً (ومن رزقناه) أعطيناه (منا رزقاً حسناً) مالا كثيراً (فهو يتفق منه سرا) فيما بينه وبين الله في سبيل الله وهذا مثل المؤمن الخالص

(الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بان الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) الأبكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولا) أى ثقل وعيال على من بلى أمره ويعوله (أنما يوجهه لا يأت بخير) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفعه ولم يأت بنجح (هل يستوى هو من يأمر بالعدل) أى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير

(هل يستون) في الثواب والطاعة (الحمد لله) الشكر لله والوحدانية لله (بل أكثرهم) كلهم (لا يعلمون) أمثال القرآن ويقال نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان ورجل من العرب يقال له أبو العيص ابن أمية ثم ضرب مثله ومثل الاصنام فقال (وضرب الله مثلا) بين الله صفة (رجلين أحدهما أبكم) أخرس (لا يقدر على شيء) من الكلام وهو الصم (وهو كل) ثقل (على مولا) على وليه وقرابته عيال على عائله (أنما يوجهه) ويدعوه من شرق أو غرب (لا يأت بخير)

هل يستون ﴿ مثل ما يشرك به بالملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بالاصنام التى هي اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تعثيل للكافر الخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالملوك للتمييز عن المكاتب والمأذون من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاطهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ﴿ الحمد لله ﴾ كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ فيضيفون نعمه الى غيره ويهدونه لاجلها ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ﴿ وهو كل على مولا ﴾ عيال وثقل على من بلى أمره ﴿ أنما يوجهه ﴾ حيثما يرسله مولا في أمره وقرى بوجهه على البناء للمفعول وبوجه بمعنى يتوجه كقوله « انما اوجه الق سعدا » وتوجه بلفظ الماضى ﴿ لا يأت بخير ﴾ بنجح وكفاية مهم ﴿ هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ﴾ ومن هو فهم منطبق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بنحتمهم على العدل

المملوك لتمييزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شيء احتريزه عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لانها يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا ﴿ هل يستون ﴾ ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوى هذا الفقير البخيل والغنى السخي كذلك لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع وقال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منارزقا حسنا هو أبو بكر الصديق ﴿ ثم قال تعالى ﴾ الحمد لله ﴿ جدد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التى عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها جاد عاجزة لا يدلها على أحد ولا معروف فحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا غيره فيجب على جميع العباد جدد الله لانه أهل الحمد والشاء الحسن ﴿ بل أكثرهم ﴾ يعنى الكفار ﴿ لا يعلمون ﴾ يعنى أن الحمد لله لانه الاصنام ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ هو الذى ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذى لا يفهم ولا يفهم ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ﴿ وهو كل على مولا ﴾ أى ثقل على من بلى أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو تقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامرا ثقل عليه فلم يبعث فيه فقوله وهو كل على مولا أى غليظ ثقل على مولا ﴿ أنما يوجهه ﴾ أى حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم ﴿ لا يأت بخير ﴾ يعنى لا يأت بنجح لانه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم ﴿ هل يستوى ﴾ يعنى من هذه صفة هو ﴿ يعنى صاحب هذه الصفات المذمومة ﴾ ومن يأمر بالعدل ﴿ يعنى ومن هو سليم

لا يجب من يدعو بخير وهذا مثل صنم (هل يستوى) في النفع ودفع الضر (هو) يعنى الصنم (ومن يأمر بالعدل) (الحواس)

(وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) ﴿ ٦٢٧ ﴾ على سيرة صالحة { سورة النحل } ودين قويم وهذا مثل ثان

ضربه لنفسه ولما يفيض علمه
عباده من آثار رحته ونعمته
وللاصنام التي هي أموات
لا تنفع ولا تنفع (والله غيب
السموات والارض) أي
يختص به علم ما غاب فيها
عن العباد وخفي عليهم علمه
أو أراد بغيب السموات
والارض يوم القيامة على أن
علمه غائب عن أهل السموات
والارض لم يطلع عليه أحد
منهم (وما أمر الساعة) في
قرب كونها وسرعة قيامها
(الا كلمح البصر) كرجع
طرف وانما ضرب به المثل
لانه لا يعرف زمان أقل منه
(أو هو) أي الامر (أقرب)
وليس هذا الشك المخاطب
ولكن المعنى كونوا في كونها
على هذا الاعتبار وقيل بل
هو أقرب (ان الله على كل
شيء قدير) فهو يقدر على
أن يقيم الساعة ويبعث الخلق
لانه بعض المقدورات ثم دل
على قدرته بما بعده فقال

بالتوحيد (وهو على صراط
مستقيم) بدعوى طريق
مستقيم وهو الله (والله غيب
السموات والارض) ما غاب
عن العباد (وما أمر الساعة)
أمر قيام الساعة في السرعة
(الا كلمح البصر) كطرف
البصر (أو هو أقرب) بل
هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير

الشامل بجماع الفضائل ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾ وهو في نفسه على طريق مستقيم
لا توجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كالما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللانصام لابطال المشاركة
بينه وبينها أو المؤمن والكافر ﴿ والله غيب السموات والارض ﴾ يختص به علمه لا يعلمه
غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم
القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض ﴿ وما أمر الساعة ﴾ وما أمر قيام
الساعة في سرعته وسهولته ﴿ الا كلمح البصر ﴾ الا كرجع الطرف من اعلا الحدقة
الى اسفلها ﴿ أو هو أقرب ﴾ أو أمرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة
بل في الآن الذي يبدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو
للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء الذي يقولون
فيه هو كلمح البصر أو هو اقرب بمبالغة في استقراجه ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر
على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال

الحواس نفاع ذو كفايات ذور شد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير ﴿ وهو ﴾ في نفسه
﴿ على صراط مستقيم ﴾ يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما
قادر امتقيا في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض
على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحته والظانفة وللانصام التي هي أموات جاد لا تنضر
ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل
والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط
مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم
في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر
بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالاسك
عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأتي بخير أبي
ابن خلف والذي يأمر بالعدل حزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ﴿ والله غيب السموات
والارض ﴾ أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى
عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله ﴿ وما أمر
الساعة ﴾ يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب ﴿ الا
كلمح البصر ﴾ يعني في السرعة ولحم البصر هو انطباع جفن العين وفحوه هو طرف العين
أيضا ﴿ أو هو أقرب ﴾ يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا
أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾
فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئا كان أسرع ما يكون قال
الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف

هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) من البعث وغيره (قدير

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وقح الميم على اتباع الكسرة النون وبكسرهما حزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد، كما زيدت في أراق { الجزء الرابع عشر } ف قيل اهراق ﴿ ٦٢٨ ﴾ وشذت زيادتها في الواحدة

(لا تعلمون شيئاً) حال أي غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أي وما ركب فيكم هذه الاشياء الا الآلات لازالة الجهل الذي ولدت عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جوع القلة التي جرت مجرى جوع الكثرة لعدم السماع في غيرها (الم يروا) وبالله شامى وحزة (الى الطير مسخرات) مذلات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك (في جوار السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو (ما عسكهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الاله) بقدرته وفيه نفي لما يصوره الوهم

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً من الاشياء ويقال كل شيء (وجعل لكم السمع) تسمعون بها الخبير (والابصار) تبصرون بها الخبير (والافئدة) يعني القلوب تعقلون بها الخبير

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴾ وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة أو اتباع لما قبلها وحزة بكسرهما وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق ﴿ لا تعلمون شيئاً ﴾ جهالا مستصحبين جهل الجهادية ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ اداة تتعلمون بها فحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تنبهون بقلوبكم بمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ كي تعرفوا ما نعم الله عليكم طوراً بعد طور فتشكرون ﴿ ألم يروا الى الطير ﴾ قرأ ابن عامر وحزة ويعقوب بئانه على انه خطاب للعامة ﴿ مسخرات ﴾ مذلات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له ﴿ في جوار السماء ﴾ في الهواء المتباعد من الارض ﴿ ما عسكهن ﴾ فيه ﴿ الاله ﴾

سرعة القدرة على الاتيان بهما متى شاء لا يعجزه شيء ﴿ قوله عز وجل ﴾ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴿ تم الكلام هنا لان الانسان خلق في أول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدى سبيلاً ثم ابتداء فقال تعالى ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ يعني ان الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتتقوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما نعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى ان صرتم رجالاً وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذي ولدت عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على أن خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿ وقوله تعالى ﴾ لعلكم تشكرون ﴿ يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم ﴿ ألم يروا الى الطير مسخرات ﴾ يعني مذلات ﴿ في جوار السماء ﴾ الجوار الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوائن عشريلاً ولا ترتفع فوق ذلك ﴿ ما عسكهن الاله ﴾ يعني في حال قبض اجنحتها

(لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته وتؤمنوا به (ألم تروا) ألم تنظروا يا أهل مكة حتى تعلموا قدرة الله (وبسطها) ووحدايته (الى الطير مسخرات) مذلات (في جوار السماء) في وسط السماء أي بين السماء والارض يطرن (ما عسكهن الاله)

من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) بان الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أى ما يسكن اليه وينقطع اليه ﴿٦٢٩﴾ من بيت أو الف ﴿ سورة النحل ﴾ (وجعل لكم من جلود الانعام

بيوتا) هي قباب الادم (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) يسكون العين كوفي وشامى وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتفاع (ويوم اقامتكم) قراركم في منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن أصوافها) أى أصواف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أناثا) متاع البيت (ومتاعا) وشياً ينفع به (الى حين) مدة من الزمان

فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ﴿ ان في ذلك آيات ﴾ تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجوب بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم هم المنتفعون بها ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ﴾ موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول ﴿ وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ﴾ هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها ثابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها ﴿ تستخفونها ﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها ﴿ يوم ظعنكم ﴾ وقت ترحالكم ﴿ ويوم اقامتكم ﴾ ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول ﴿ وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾ الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واصنافها الى ضمير الانعام لانها من جلتها ﴿ أناثا ﴾ ما يلبس ويفرش ﴿ ومتاعا ﴾ ما تجر به ﴿ الى حين ﴾ الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة

وبسطها واصطفا فيها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا مسخرها ومذللذللها وممسكاً مسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو والله تعالى ﴿ ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون ﴾ انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ والله جعل لكم من بيوتكم ﴿ يعنى التي هي من الحجر والمدر ﴾ سكنا ﴿ يعنى مسكنا تسكونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف أو بيت ﴾ وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ﴿ يعنى الخيام والقباب و الاحبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع ﴿ واعلم المساكين على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثانى ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ تستخفونها ﴾ يعنى يخف عليكم حملها ﴿ يوم ظعنكم ﴾ يعنى في يوم سيركم ورحيلكم فى أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك ﴿ ويوم اقامتكم ﴾ يعنى وتخف عليكم ايضا فى اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم فى الحالتين ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾ الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز ﴿ أناثا ﴾ يعنى تتخذون أناثا الأناث متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثرت وتكاثفت وقيل للمال أناث اذا كثرت قال ابن عباس أناثا بئى مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الأناث المال اجمع من الابل والغنم والعيبد والمتاع وقال غيره الأناث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك ﴿ ومتاعا ﴾ يعنى وبلاغا وهو ما تمتعون به ﴿ الى حين ﴾ يعنى الى حين يبلى

بعد الطيران (ان في ذلك) فى امساكهن من الهواء (لايات) لعلامات لوحداية الله (لقوم يؤمنون) يصدقون ان امساكهن من الله ﴿ ثم ذكر نعمته لى يشكروا بذلك ويؤمنوا به فقال (والله جعل لكم من بيوتكم) بيوت المدر (سكنا) مسكنا وقرارا (وجعل لكم من جلود الانعام) من أصوافها وأوبارها وأشعارها (بيوتا) يعنى الخيام والفساطيط (تستخفونها) تستخفون حملها (يوم ظعنكم) يوم سفركم (ويوم اقامتكم) يوم نزولكم (ومن أصوافها) أصواف الغنم (وأوبارها) أوبار الابل (وأشعار المعز) (أناثا) مالا (ومتاعا) منفعة (الى حين) الى حين الفناء والابلاء

(والله جعل لكم مما خلق { الجزء الرابع عشر { ظلالات) كالاشجار ﴿ ٦٣٠ ﴾ والسقوف (وجعل لكم من الجبال

أوالى مما أنتم أولى ان تقضوا منه او طاركم ﴿ والله جعل لكم مما خلق ﴿ من الشجر والجبل
والابنية وغيرها ﴿ ظلالات ﴿ تنفيون به حر الشمس ﴿ وجعل لكم من الجبال اكنانا ﴿
مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن ﴿ وجعل لكم سراويل ﴿ ثيابا
من الصوف والكتان والقطن وغيرها ﴿ تقيكم الحر ﴿ خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين
أولاً ووقاية الحر كانت اهم عندهم ﴿ وسراويل تقيكم بأسكم ﴿ يعنى الدروع والجواشن
والسراويل يعنى كل ما يلبس ﴿ كذلك ﴿ كما نام هذه النعم التي تقدمت ﴿ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴿
أى تنظرون في نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه ﴿ وقرى تسلمون من السلامة أى تشكرون

أكنانا ﴿ جمع كن وهو
ما سترك من كهف أو غار
(وجعل لكم سراويل) هى
القمصان والثياب من
الصوف والكتان والقطن
(تقيكم الحر) وهى تقي
البرد أيضا الا انه اكتفى
باحد الضدين ولان الوقاية
من الحر اهم عندهم لكون
البرد يسيرا محتملا (وسراويل
تقيكم بأسكم) ودروع من
الحديد ترد عنكم سلاح
عدوكم فى قتالكم والبأس
شدة الحرب والسراويل
عام يقع على ما كان من
حديد أو غيره (كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون) أى تنظرون فى
نعمته الفائضة فتؤمنون به

(والله جعل لكم مما خلق)
من الاشجار والحيطان والجبال
أكنانا (ظلالات) كنانا لكم
من الحر (وجعل لكم من
الجبال) فى الجبال (أكنانا)
يعنى الغيران والاسراب
(وجعل لكم سراويل) يعنى
القمص (تقيكم الحر) فى
الصيف والبرد فى الشتاء
(وسراويل) يعنى الدروع
(تقيكم بأسكم) سلاح عدوكم
(كذلك) هكذا (يتم نعمته
عليكم لعلكم تسلمون) لى

ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت * فان قلت أى فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره
بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق * قلت الاثاث ما كثر من آلات
البيت وحوادثه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينفع به فى البيت
خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالات ﴿ يعنى
جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار
﴿ وجعل لكم من الجبال أكنانا ﴾ جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد
كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر
احتاج فى سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغنى فيستحب معه الخيام فى سفره
ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأما الفقير
فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله
جعل لكم مما خلق ظلالات وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان بلاد العرب شديدة
الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه
المعاني فى معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة ﴿ وجعل لكم سراويل
تقيكم الحر ﴾ يعنى وجعل لكم قصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك
تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعانى والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام
عليه ﴿ وسراويل تقيكم بأسكم ﴾ يعنى الدروع والجواشن وسأمر ما يلبس فى الحرب
من السلاح والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى
انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل
لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها
وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر
وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر
ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر
ولكنهم كانوا أصحاب حر ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ كذلك ﴾ يعنى كما انعم عليكم بهذه
النعم ﴿ يتم نعمته عليكم ﴾ يعنى نعم الدنيا والدين ﴿ لعلكم تسلمون ﴾ يعنى لعلكم يا أهل
مكة تخلصون لله الواحدانية والربوبية والعبادة

(والطاعة)

تقروا ويقال تسلموا من الجراحة ان قرأت بنصب التاء واللام

وتتقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن ﴿٦٣١﴾ الإسلام (فانما {سورة النحل} عليك البلاغ المبين) أى

فلاتبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبلىغ الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمت الله) التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو فى الشدة ثم فى الرخاء (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون

المنكرون بقلوبهم و ثم يدل على أن أنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لان ينكر (ويوم) انتصاه باذكار (نعمت) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لاجحة لهم فدل بترك الأذن على

(فان تولوا) عن الايمان (فانما عليك البلاغ المبين) التبلىغ عن الله بلغة تعلمونها فلما ذكر لهم النبى صلى الله عليه وسلم هذه النعم قالوا نعم يا محمد هذه كلها من الله ثم أنكروا بعد ذلك وقالوا بشفاعة آهتنا فقال الله

فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا ولم يقبلوا منك ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ فلا يضررك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب ﴿يعرفون نعمت الله﴾ أى يعرف المشركون نعمة الله التى عددناها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ﴿ثم ينكرونها﴾ بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آهتنا أو بسبب كذا أو باعتبار ضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرّفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة ﴿واكثرهم الكافرون﴾ الجاحدون عنادا وذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل أو التفريط فى النظر أو لم تقم عليه الحججة لانه لم يبلغ حد التكليف واملالانه يقام مقام الكل كفى قوله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا﴾ وهو نبيا يشهد لهم وعليهم بالايان والكفر ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا و ثم لزيادة ما يحققهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقنات الكلى على ما يعنون به من شهادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى ﴿فان تولوا﴾ يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك وتصديقتك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لاعتبارك ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ﴿ثم ذمهم الله تعالى بقوله﴾ يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ﴿قال السدى نعمة الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام لانه من اعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة أنكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم فى هذه السورة من النعم يقولون بانها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورنشها عن آباءنا وقال الكلبي انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها فى طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ انما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فمير بالاكثر عن البالغين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قديد كر الاكثر ويراد به الجمع ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ﴿لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان أكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم فى الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على ائمتهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ يعنى فى الاعتذار وقيل لا يؤذن

(يعرضون نعمت الله) يقولون ان هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) فيقولون بشفاعة آهتنا (وأكثرهم الكافرون) كلهم كافرون بالله (ويوم نبعث من كل أمة) نخرج من كل قوم (شهيدا) نبيا عليهم شهيدا بالبلاغ (ثم لا يؤذن للذين كفروا)

أن لاجحة لهم ولا عذر (ولاهم يستعيبون) ولا هم يسترضون أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم انهم يمتنون أى يتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو انهم يمتنون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء { الجزء الرابع عشر } بحجة ﴿ ٦٣٢ ﴾ (واذا رأى الذين ظلموا) ككفروا

(العذاب فلا يخفف عنهم) أى العذاب بعد الدخول (ولاهم ينظرون) يمهلون قبله (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) أو ثنائهم التى عبدوها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء (الذين كنا ندعوا من دونك) أى نعبد (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أى اجابوهم بالتكذيب لانها كانت جادا لا يعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعنى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا

في الكلام) (ولاهم يستعيبون) يرجعون الى الدنيا (واذا رأى الذين ظلموا) ككفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) لا يرفع عنهم (ولاهم ينظرون) يؤجلون من عذاب الله (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) آلهتهم (قالوا ربنا ياربنا هؤلاء شركاؤنا) آلهتنا (الذين كنا ندعوا) نعبد (من

﴿ ولا هم يستعيبون ﴾ ولا هم يسترضون من العبي وهى الرضى وانتصاب يوم بمخدوف تقديره أذكر أو خوفهم أو يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله ﴿ واذا رأى الذين ظلموا العذاب ﴾ عذاب جهنم ﴿ فلا يخفف عنهم ﴾ أى العذاب ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون ﴿ واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم ﴾ أو ثنائهم التى دعوا شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ﴾ نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك أو التماس بان يسطر عذابهم ﴿ فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴾ أى اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله أو انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا هواهم كقوله تعالى كلاسكفرون بعبادتهم ولا تمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ أو في انهم جلوههم على الكفر والزهوهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ﴿ وألقوا ﴾ والى الذين ظلموا ﴿ الى الله يومئذ السلم ﴾ الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا ﴿ وضل عنهم ﴾ وضاع عنهم وبطل ﴿ ما كانوا

لهم في الكلام أصلا وقل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا فيعتدروا ويتوبوا وقل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونها على ذلك ﴿ ولا هم يستعيبون ﴾ الاستعاب طلب العتاب والمعنة هى الغلظة والموجدة التى يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم فالاستعاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة ﴿ واذا رأى الذين ظلموا ﴾ يعنى ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ﴿ العذاب ﴾ يعنى عذاب جهنم ﴿ فلا يخفف عنهم ﴾ يعنى العذاب ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ يعنى لا يؤخرون ولا يمهلون ﴿ واذا رأى الذين اشركوا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ شركاءهم ﴾ يعنى أصنامهم التى كانوا يعبدونها في الدنيا ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ﴾ يعنى أربابا وكنا نعبدهم ونخدمهم آلهة ﴿ فألقوا ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اليهم ﴾ يعنى الى عابديها ﴿ القول انكم لكاذبون ﴾ يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعنى في تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جاد لاتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد ان الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعاتتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراه الكفار وهى في غاية الذلّة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة ﴿ وألقوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ الى الله يومئذ السلم ﴾ يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا ﴿ وضل عنهم ﴾ يعنى وزال عن المشركين ﴿ ما كانوا

دونك) أمرونا بعبادتهم (فألقوا اليهم القول) ردوا اليهم الجواب يعنى الاصنام (انكم لكاذبون) في مقالكم (يفترون) ما أمرناكم وما كنا نعلم بعبادتك (وألقوا الى الله يومئذ السلم) استسلم العابد والمعبود لله تعالى (وضل عنهم) ما كانوا

يفترون) من أن الله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحلوا غيرهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا بكفرهم وعذابا بصددهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين للناس بالصد (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبينهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ﴿ ٦١٣ ﴾ (وجئناك يا محمد { سورة النحل } شهيدا على هؤلاء) على

أمتك (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بليغا (لكل شيء) من أمور الدين إما في الأحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الإجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع أصحابه بقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا وطؤوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا بذلك بقوله فاعتبروا يا أولى الأبصار فكانت السنة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شيء

يفترون ﴿ من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم ﴾ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴿ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر ﴾ زدناهم عذابا ﴿ لصددهم ﴾ فوق العذاب ﴿ المستحق بكفرهم ﴾ بما كانوا يفسدون ﴿ بكونهم مفسدين بصددهم ﴾ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ﴿ يعني نبينهم فان نبى كل أمة يبعث منهم ﴾ وجئناك يا محمد ﴿ شهيدا على هؤلاء ﴾ على أمتك ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ استئناف أو حال باضمار قد ﴿ تبيانا بليغا ﴾ لكل شيء ﴿ من أمور الدين على التفصيل أو الاجمال بالأحالة إلى السنة

يفترون ﴿ يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم ﴾ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴿ يعني ضموا مع كفرهم انهم منعو الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله ﴾ زدناهم عذابا فوق العذاب ﴿ يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبدالله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالنخس وعقارب أمثال البغال تلسع احداها من اللسعة فيجد صاحبها المهاجرين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة اناهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعدون بها ثلاثة على مقدار الليل واثان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾ يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم ﴾ قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبى شاهد على امته وهو اعدل شاهد عليها ﴿ من أنفسهم ﴾ يعني منهم لان كل نبى انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان ﴿ وجئناك ﴾ يعني يا محمد ﴿ شهيدا على هؤلاء ﴾ يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ تبيانا لكل شيء ﴾ تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني لما أمر به وما نهى عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين اما بالنص عليه أو بالأحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن

يفترون) بطل افتراءهم على الله ويقال اشتغل بانفسهم آلهتهم التي كانوا يعبدون بالكذب (الذين

فروا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قا و خا ٨٠ لث) (وصدوا عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (زدناهم عذابا) عذاب الحيات والعقارب والجوع والعطش والزمهرير وغير ذلك (فوق العذاب) فوق عذاب النار (بما كانوا يفسدون) يقولون ويعملون من المعاصي والشرك (ويوم نبعث في كل أمة) نخرج من كل جماعة (شهيدا) نبيا (عليهم) شهيدا بالإبلاغ (من أنفسهم) آدميا مثلهم (وجئناك يا محمد) شهيدا على هؤلاء) على أمتك ويقال من كمالهم (ونزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن تبيانا لكل شيء) من الحلال والحرام والامر والنهي

أو القياس ﴿ وهدى ورجة ﴾ للجميع وانما حرمان المحروم من تفریطه ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ خاصة ﴿ ان الله يأمر بالعدل ﴾ بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعلا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود المتوسط بين النخل والتبذير ﴿ والاحسان ﴾ احسان الطاعات وهو ما يحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴿ وايتاء ذى القربى ﴾ واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للبالغه ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها ﴿ والمنكر ﴾ ما ينكر على معاطيه في اثاره القوة الغضبية ﴿ والبغى ﴾ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم

من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجاع الامة فهو أيضاً أصل ومفتاح لعلوم الدين ﴿ وهدى ﴾ يعنى من الضلالة ﴿ ورجة ﴾ يعنى لمن آمن به وصدق به ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ يعنى وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴿ قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمناً تحب أن يزداد ايماناً وان كان كافراً تحب أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شئ من غير زيادة في شئ ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خيراً فخير وان شراً فشر والاحسان أن تقابل الخير باكثر منه والشر بان تغفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف بالمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك وقيل يأمر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الاماهو عدل ولا يقول الاماهو حسن ﴿ وايتاء ذى القربى ﴾ يعنى ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ قال ابن عباس يعنى الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة ﴿ والمنكر ﴾ قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿ والبغى ﴾ يعنى الكبر والظلم وقيل البغى هو التناول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان عجل المعاصى البغى ولو أن جبلين بنى أحدهما على الآخر لذلك الباغى وقال ابن عيينة في هذه الاية العدل استواء السر والملاينة والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم

(وهدى ورجة وبشرى للمسلمين) ودلالة الى الحق ورجة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم أو هما القرض والندب لان القرض لا بد من أن يقع فيه تفریط فيجبره الندب (وايتاء ذى القربى) واعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغى) طلب التناول بالظلم والكبر

(وهدى) من الضلالة (ورجة) من العذاب (وبشرى للمسلمين) بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوحيد (والاحسان) باداء الفرائض ويقال بالاحسان الى الناس (وايتاء ذى القربى) يعنى صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن المعاصى كلها (والمنكر) ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغى) الاستطالة والظلم

(يعظكم) حال أو مستأنف
 (لعلمكم تذكرون) تتعظون
 بوعاظ الله وهذه الآية
 سبب اسلام عثمان بن مظعون
 فانه قال ما كنت أسلمت
 الاحياء منه عليه السلام لكثرة
 ما كان يعرض على الاسلام
 ولم يستقر الايمان في قلبي
 حتى نزلت هذه الآية وأنا
 عنده فاستقر الايمان في قلبي
 فقرأتها على الوليد بن المغيرة
 فقال والله ان له لحلاوة وان
 عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر
 وان أسفله لمغدق وما هو
 بقول البشر وقال أبو جهل
 ان الهة يأمر بمكارم الاخلاق
 وهي أجمع آية في القرآن
 للخير والشر ولهذا يقرأها
 كل خطيب على المنبر في آخر
 كل خطبة لتكون عظة
 جامعة لكل مأمور ومنهى
 (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)
 هي البيعة لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم على الاسلام ان
 الذين يبايعونك انما يبايعون الله

فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في
 هذه الاقسام صادر بتوسط احدي هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله
 عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله
 تعالى عنه ولولم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى
 ورحمة للعالمين ولعل ارادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتبنيه عليه ﴿ يعظكم ﴾
 بالامر والنهي والميز بين الخير والشر ﴿ لعلمكم تذكرون ﴾ تتعظون ﴿ وأوفوا بعهد الله ﴾
 يعنى البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك
 انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفا به ولا يلائمه قوله ﴿ اذا عاهدتم ﴾ وقيل
 ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر
 العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي
 ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عن ظلمك وتحسن الى
 من اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من أحسن اليك وذكر
 ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته
 البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ﴿ ثم قال تعالى ﴿ يعظكم لعلمكم
 تذكرون ﴾ يعنى انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتذكروا
 فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن خير وشر هذه
 الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
 لكل شئ بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجال فما من شئ
 يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية
 وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل
 الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد على فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة
 وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر ﴿ قوله
 عز وجل ﴿ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية
 المقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجال ذكر في هذه الآية بعض ذلك
 الاجال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه أكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا
 بعهد الله اذا عاهدتم نزلت في الذين يبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
 فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه
 الوعد أيضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبي العهد يمين
 وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه
 صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف يميناً ثم رأى غير ما خيرا
 منها فليأت الذى هو خير ويكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام
 الذى خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا

(يعظكم) بنهاكم عن الفحشاء
 والمنكر والبغى (لعلمكم
 تذكرون) لكي تتعظوا بامثال
 القرآن (وأوفوا بعهد الله اذا
 عاهدتم) نزلت هذه الآية
 في كندة ومراد ويقال أنما
 العهود بالله اذا حلقتم بالله
 بالوفاء

(ولانتقضوا الايمان) ايمان البيعة (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكدها وكذلكتان فصيحتان والاصل الواو والهزمة بدل منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقبيلان الكفيل مراعى لحال المكفول به مهمين عليه (ان الله يعلم ماتقفلون) من البر والحنت {الجزء الرابع عشر} فيمجازيكم به ﴿٦٣٦﴾ (ولانتقونوا) في نقض الايمان (كالتى

نقضت غزلهما من بعدقوة) كالمرأة التى انحلت على غزلهما بعد ان أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكنا) جمع نكث وهو ما ينكث قتله قبل هى ربيعة وكانت حواء تغزل هى وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلن (تتخذون أيمانكم) حال أنكنا (دخلا) أحد مفعولى تتخذوا ولا تنتقضوا أيمانكم متخذيا دخلا (بينكم) أى مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هى أربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين هى أربى مبتدأ وخبر فى موضع الرفع صفة لامة وأمة فاعل تكون وهى تامة وهى ليست بفصل

(ولانتقضوا الايمان) يعنى اليهود فيما بينكم (بعد توكيدها) تغليظها وتشديدها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيدا ويقال له حفيظا معناه وقد قلم الله شهيد علينا بالوفاء على كلا الفريقين (ان الله يعلم ماتقفلون) من النقض والوفاء (ولانتقونوا)

النذر وقيل الايمان بالله ﴿ولانتقضوا الايمان﴾ أى ايمان البيعة أو مطلق الايمان ﴿بعد توكيدها﴾ بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ شاء ما بتلك البيعة فان الكفيل مراعى لحال المكفول به رقيب عليه ﴿ان الله يعلم ماتقفلون﴾ فى نقض الايمان واليهود ﴿ولانتقونوا كالتى نقضت غزلهما﴾ ماغزله مصدر بمعنى المفعول ﴿من بعدقوة﴾ متعلق بنقضت غزلهما من بعد ابرام واحكام ﴿انكنا﴾ طاقات نكثت قتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلهما أو المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيهه الناقض عن هذا شأنه وقيل هى ربيعة بنت سعد بن تيمم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك ﴿تتخذون ايمانكم دخلا بينكم﴾ حال من الضمير فى ولا تكونوا أو فى الجار الواقع موقع الخبر أى لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخلى ما يدخل الشئ ولم يكن منه ﴿ان تكون أمة هى أربى من أمة﴾ لان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة

التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة ﴿ولانتقضوا الايمان بعد توكيدها﴾ يعنى تشديدها فتمشوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهود غير اليمين لانه أعم منها ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ يعنى شهيدا بالوفاء بالعهود ﴿ان الله يعلم ماتقفلون﴾ يعنى من وفاء العهد ونقضه ﴿ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى﴾ ولا تكونوا ﴿يعنى فى نقض العهد﴾ كالتى نقضت غزلهما من بعدقوة ﴿يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ربيعة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مائة بن تميم وكانت خرقاء حواء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وقلعة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وتأمر جواربها بالغزل فكان يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ماغزلن وكان هذا دأبها والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفيه ﴿أنكنا﴾ جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد القتل ﴿تتخذون أيمانكم دخلا بينكم﴾ يعنى دغلا وخيانة وخديعة والدخلى ما يدخل فى الشئ على سبيل الفساد وقيل الدخلى والدغلى ان يظهر الرجل الوفاء بالعهود ويبطن نقضه ﴿أن تكون﴾ يعنى لان تكون ﴿أمة هى أربى من أمة﴾ يعنى أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يخالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وخالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت أمة أى جماعة أكثر من جماعة فقهاهم الله عن ذلك

فى نقض العهد (كالتى نقضت غزلهما) يعنى رائطة الحقاء (من بعدقوة) ابرام واحكام (أنكنا) انقاضا (تتخذون) (وامرهم) أيمانكم (دخلا) مكرا وخديعة (بينكم أن تكون أمة) بان تكون جماعة (هى أربى) أكثر (من أمة)

لوقوعها بين نكرتين (انما يبلوكم الله به) الضمير للمصدر أى انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما واكمتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغفرون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقيرهم (وليدين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم ﴿ ٦٣٧ ﴾ على أعمالكم بالثواب { سورة النحل } والعقاب وفيه تحذير عن

مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله

والمعنى لا تغفروا بقوم لكثرتكم وقتلهم أو لكثرة منابذهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعدائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم ﴿ انما يبلوكم الله به ﴾ الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر أى يختبركم بكونكم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغفرون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للأربى وقيل للأمر بالوفاء ﴿ وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ اذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ﴿ ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة ﴾ متفقة على الاسلام ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ بالخذلان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق ﴿ ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ سؤال تبيكت ومجازاة ﴿ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ﴾ تصرح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيذا ومبالغة في قبح المنهى ﴿ فتزل قدم ﴾ أى محجة الاسلام ﴿ بعد ثبوتها ﴾ عليها والمراد اقدمهم واما واحد ونكر للدلالة على ان زلزل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة ﴿ وتذوقوا سوء ﴾ العذاب في الدنيا ﴿ بما صدقتم عن سبيل الله ﴾ بسبب صدودكم عن الوفاء او صدقتم غيركم عنه فان من نقض وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا ﴿ انما يبلوكم الله به ﴾ يعنى يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو اعلم بكم ﴿ وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ يعنى في الدنيا فيشيب الطائع الحق ويعاقب المسيء المخالف ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة ﴿ يعنى على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ يعنى بخذلانه اياه عدلانه ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يستل عما يفعل وهم يسألون وهو قوله تعالى ﴿ ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ يعنى في الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باسائه أو يغفر له ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ﴿ يعنى خديعة وفسادا بينكم فتغفروا بها الناس فيسكنوا الى ايمانكم ويأمنوا اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيذا عليهم واطهار العظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهى الذين باعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهارهم عن نقض عهده لان الوعيد الذى بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرعيته ﴿ وقوله ﴾ فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل اقدمكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها ﴿ وتذوقوا سوء ﴾ يعنى العذاب ﴿ بما صدقتم عن سبيل الله ﴾

لجملكم امة واحدة) حنيفة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيذا عليهم واطهارا لعظمه (فتزل اقدمكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها) عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبت عليه فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا سوء) في الدنيا (بما صدقتم) عن سبيل الله) من جاعة (انما يبلوكم الله به) يختبركم بالكثرة ويقال بنقض العهد (وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه) في الدين (تختلفون) مخالفتهم (ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة) لجمعكم على ملة واحدة ملة الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يضل من يشاء) عن دينه من

لم يكن أهلا لدينه (ويهدى من يشاء) لدينه من كان أهلا لذلك (ولتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تعملون) من الخير والشر في الكفر والايان ويقال من النقض والوفاء (ولا تتخذوا ايمانكم) عهودكم (دخلا) دغلا ومكرا وخديعة (بينكم) فتزل قدم فتزولوا عن طاعة الله كما تزل قدم الرجل (بعد ثبوتها) قيامها (وتذوقوا سوء) النار (بما صدقتم) بما صرقتهم الناس (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته

وخرجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهده الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا كأن قوم آمن { الجزء الرابع عشر } أسلم بمكة زين لهم ﴿ ٦٣٨ ﴾ الشيطان لجزعهم مآرأوا من غلبة

قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما يبايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ان ما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينقد وما عند الله) من خزانة رحمة (باق) لا ينقد (وليجزين) وبالنون مكى وعاصم (الذين صبروا) على اذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم) باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى (من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذكور فينبى بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين جميعا) وهو مؤمن شرط الايمان لان أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنحيينه حياة طيبة) (ولكم عذاب عظيم) شديد في الآخرة (ولا تشتروا بعهده الله ثمنا قليلا) بالخلف بالله كذا بغير ضا يسيران

البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾ في الآخرة ﴿ ولا تشتروا بعهده الله ﴾ ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ﴿ ثمنا قليلا ﴾ عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد ﴿ ان ما عند الله ﴾ من النصر والتغني في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿ هو خير لكم ﴾ مما يعدونكم ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم والتمييز ﴿ ما عندكم ﴾ من أعراض الدنيا ﴿ ينقد ﴾ ينقض ويفنى ﴿ وما عند الله ﴾ من خزانة رحمة ﴿ باق ﴾ لا ينقد وهو تمليل للحكم السابق ودليل على ان نعم الجنة باق ﴿ وليجزين الذين صبروا ﴾ أجرهم ﴿ على الفاقة واذى الكفار أو على مشاق التكليف ﴾ وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون ﴿ بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات وأجزاء احسن من أعمالهم ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى ﴾ ينه بالنوعين دفعا للتخصيص ﴿ وهو مؤمن ﴾ اذا اعتاد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وأما المتوقع عليها تخفيف العذاب ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾

يعنى بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك ﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾ يعنى بنقضكم العهد ﴿ ولا تشتروا بعهده الله ثمنا قليلا ﴾ يعنى ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها ﴿ ان ما عند الله ﴾ يعنى فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد ﴿ هو خير لكم ﴾ يعنى من عاجل الدنيا ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ يعنى فضل ما بين العوضين ﴿ ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى ﴾ ما عندكم ينقد ﴿ يعنى من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب ﴾ وما عند الله باق ﴿ يعنى من ثواب الآخرة ونعيم الجنة ﴾ وليجزين الذين صبروا ﴿ يعنى على الوفاء بالعهد على السراء والضراء ﴾ أجرهم ﴿ يعنى ثواب صبرهم ﴾ بأحسن ما كانوا يعملون ﴿ عن أبى موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضرب آخرة ومن أحب آخرة أضرب دنياه فاتروا ما يبقى على ما يفنى ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴿ فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فافائدة الذكر والانثى ﴿ قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكور دون الانثى فليل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ قال سعيد بن

الدنيا (انما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما عندكم من المال (ان كنتم) اذ كنتم (تعلمون) ثواب الله ويقال ان كنتم (جبير) تصدقون بثواب الله (ما عندكم) من الاموال (ينقد) يفنى (وما عند الله) من الثواب (باق) يبقى (وليجزين الذين صبروا) عن اليمين وأقروا بالحق (أجرهم) ثوابهم في الآخرة (بأحسن ما كانوا يعملون) باحسنهم في الدنيا (من عمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (أو أنثى) من ذكر أو أنثى (وهو مؤمن) ومع ذلك مؤمن مخلص (فلنحيينه حياة طيبة) في الطاعة ويقال في القناعة ويقال في الجنة

أى في الدنيا لقوله (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله قآناهم
الله ثواب الدنيا وحسن ﴿ ٦٣٩ ﴾ ثواب الآخرة وذلك { سورة النحل } ان المؤمن مع العمل الصالح

موسرا كان أو معسرا يعيش
عيشا طيبا ان كان موسرا
فظاهر وان كما معسرا فاعه
ما يطيّب عيشه وهو القناعة
والرضا بقسمة الله تعالى
واما الفاجر فامرّه بالعكس
ان كان معسرا فظاهر وان
كان موسرا فالحرص لا يدهه
أن يتها بعيشه وقيل الحياة
الطيبة القناعة أو حلاوة
الطاعة أو المعرفة بالله
وصدق المقام مع الله وصدق
الوقوف على أمر الله
والاعراض عما سوى الله
(فاذا قرأت القرآن) فاذا
أردت قراءة القرآن
(فاستعد بالله) فعبّر عن
ارادة الفعل بلفظ الفعل
لانها سبب له والفاء للتعقيب
اذ القراءة المصدرية بالاستعاذة
من العمل الصالح المذكور
(من الشيطان) يعنى
ابليس (الرجيم)
المردود والملعون قال ابن
مسعود رضى الله عنه قرأت
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت أعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم
فقال لى قل أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم هكذا
أقرأه جبريل عليه السلام

في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيّب عيشه بالقناعة
والرضى بالقسمة وتوقع الاجرا العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر
وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتها بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم
اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿ من الطاعة ﴾ فاذا قرأت القرآن ﴿ اذا اردت قرآته
كقوله تعالى اذا قمم الى الصلوة ﴿ فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ﴾ فاسأل الله ان يعيدك
من وساوسه اثلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان

جبير وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة
الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا
وان كان فقيرا أطيّب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند
الله وذلك بتقديره وتدييره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب
فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في
ذلك القدر الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك
وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن
وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان العيش المؤمن
القنوع أطيّب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن
يسترخ بالموت من نكد الدنيا وتمها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنجينه حياة طيبة هي
الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت
وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة
الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الآية ﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون ﴾ لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴿ فاذا قرأت القرآن
فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ﴾ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه
غيره من أمته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها
فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في ألقاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت
الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وساوس الشيطان ﴿ عن جبير
ابن معمر انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمر ولا أدري أى
صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا
ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفسته وهمزته قال نفخته الكبر ونفسته
السحر وهمزته الموتة أخرجه أبو داود * الموتة الجنون والفاء في قوله فاستعد بالله
للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من

(ولنجزينهم أجرهم) ثوابهم في الآخرة (بأحسن ما كانوا يعملون) باحسانهم في الدنيا نزلت هذه الآية في عبدان بن الاشوع وامرى
القيس الكندي في خصومة كانت بينهما في أرض (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت يا محمد ان تقرأ القرآن في اول اقتراح الصلاة
أو غير الصلاة (فاستعد بالله) فقل أعوذ بالله (من الشيطان الرجيم) اللعين المرجوم بالنجم المطرود من رحمة الله

المصلى يستعيد في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه
 لذكر العمل الصالح والوعده عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن
 مسعود قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالسمع العليم من الشيطان
 الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا قرأه جبريل عن القلم عن اللوح
 المحفوظ ﴿ انه ليس له سلطان ﴾ تسلط وولاية ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾
 على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطعمون او امره ولا يقبلون
 وسواسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد
 الامر بالاستعاذة لثلاثيهم منه ان له سلطانا ﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يحبونه
 ويطيعونه ﴿ والذين هم به ﴾ بالله أو بسبب الشيطان ﴿ مشركون

{ انه ليس له) لابليل

(سلطان) تسلط وولاية

(على الذين آمنوا وعلى ربهم

يتوكلون) فالتمس المتوكل

لا يقبل مندو سواسه (انما

سلطانه على الذين يتولونه)

يتخذونه وليا ويتبعون

وساوسه (والذين هم به

مشركون) الضمير يعود الى

ربهم أو الى الشيطان أي

بسببه

(انه ليس له سلطان)

سبيل وغلبة (على الذين

آمنوا) محمد صلى الله

عليه وسلم والقرآن (وعلى

ربهم يتوكلون) لا على غيره

ويفوضون أمورهم اليه

(انما سلطانه) سبيله وغلبته

(على الذين يتولونه) يطيعونه

(والذين هم به) بالله (مشركون

الصحابه والتابعين وهو قول أبي هريرة واية ذهب مالك وجاعة وداود الظاهري
 قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسوس في قلب قارئ
 هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسوس وبقى
 الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثريين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة
 وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية
 اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قم الى الصلوة
 فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله
 واذا أردت أن تسافر فأتأهب وأيضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقديم
 الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها
 ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في
 غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه
 المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والاتجاء اليه من
 شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على
 جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على ألقاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله
 اياهم على ذلك ﴿ انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ لما أمر الله
 رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك أوهم ان له قدرة على
 التصرف في أبدان بني آدم فزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان
 يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له
 سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا
 حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الابصمة
 الله ولهذا قال المحققون لاحول عن معصية الله الابصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا
 بتوفيق الله ثم قال تعالى ﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يعني يطيعونه ويدخلون
 في ولايته يقال توليته اذا أطعته وتوليت عنه اذا عرضت عنه ﴿ والذين هم به
 مشركون ﴾ يعني بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من أجله

(واذ بدلنا آية مكان آية) بتدليل الآياتة هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتر) هو جواب اذا وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمداً يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم ﴿٦٤١﴾ عندهم فأتيتهم ﴿ سورة النحل ﴾ بما هو أهون ولقد افتروا فافتدكنا

ينسخ الاشق بالاھون
والاھون بالاشق (بل
أكثرهم لا یعلمون)
الحكمة في ذلك (قل نزلہ
روح القدس) أي جبریل
عليه السلام أضيف الى
القدس وهو الطھر كما يقال
حاتم الجود والمراد الروح
المقدس وحاتم الجواد
والمقدس المطھر من المآثم
(من ربك) من عنده
وأمره (بالحق) حال أي
نزلہ ملتبساً بالحكمة (ليثبت
الذين آمنوا) لیسولھم
بالنسخ حتى اذا قالوا
فيه هو الحق من ربنا
والحكمة لانه حكيم ليعقل
الاماھو حكمة وصواب
حكم لهم ثبات القصد
وصحة اليقين وطمأينة
القلوب (وھدی وبشرى)
مفعول لھما معطوفان على
محل ليثبت والتقدير تبيتا لھم
وارشاداً وبشارة (للمسلمين)
وفيه تعريض بحصول أضداد
ھذه الخصال لغيرھم

واذ بدلنا آية) نزلنا جبریل
بآية ناسخة (مكان آية)
منسوخة (والله أعلم بما ينزل)
بصلاح ما يأمر العباد (قالوا)
كفار مكة (انما أنت) يا محمد

واذ بدلنا آية مكان آية ﴿ بالنسخ فحفظنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظاً وحكماً ﴾ والله
أعلم بما ينزل ﴿ من المصالح فاعلم ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون
مصلحة حينئذ يكون مصلحة لأن فيثبته مكانه ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف
﴿ قالوا ﴾ أي الكفرة ﴿ انما أنت مفتر ﴾ متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدوك فتتهى
عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبخ الكفار على قولهم والتنبية على فساد
سندهم ويجوز ان يكون حالا ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ حكمة الاحكام ولا يعيزون
الخطأ من الصواب ﴿ قل نزلہ روح القدس ﴾ يعني جبریل عليه السلام واطمأننت قلوبهم
الى القدس وهو الطھر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل
ونزلہ تنبيه على ان انزاله مدرج على حسب المصالح مما يقتضى التبدیل ﴿ من ربك بالحق ﴾
ملتبساً بالحكمة ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ ليثبت الله الذين آمنوا على الايمان بأنه كلامه وانهم
اذا سمعوا الناسخ وتذبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رنحت عقائدھم واطمأننت قلوبھم
﴿ وھدی وبشرى للمسلمين ﴾ المتقادين لحكمه وهم معطوفان على محل ليثبت أي تبيتا
وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرھم وقرئ ليثبت بالتخفيف

مشركون بالله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ﴿
وذلك ان المشركين من أهل مكة قالوا ان محمداً يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم
عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله ھذه الآية والمعنى واذا نسخنا
حكم آية فابدلنا مكانه حكماً آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى
والله أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصل خلقه وبما يغير ويبدل من أحكامه أي
هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وھذا نوع توبخ وتقريع للكفار على
قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى ﴿ قالوا انما أنت مفتر ﴾ أي تحتلقة من
عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالھم ينسبون محمداً الى الافتراء والكذب
لاجل التبدیل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطيب يأمر المريض
بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾
يعني لا يعلمون فائدة الناسخ وتبدیل المنسوخ ﴿ قل ﴾ أي قل لھم يا محمد ﴿ نزلہ ﴾ يعني القرآن
﴿ روح القدس ﴾ يعني جبریل صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الطھر كما يقال حاتم
الجود وطلحة الخير والمعنى الروح القدس المطھر ﴿ من ربك ﴾ يعني ان جبریل نزل بالقرآن
من ربك يا محمد ﴿ بالحق ليثبت الذين آمنوا ﴾ يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنین فيزدادوا ايمانا
ويقيناً ﴿ وھدی وبشرى ﴾ يعني وهو هدى وبشرى ﴿ للمسلمين ﴾ قوله عز وجل

(مفتر) محتلق من تلقاء نفسك (بل أكثرهم لا يعلمون) (قا و خا ٨١ لث) ان الله لا يأمر عباده الا بما يصلح لهم (قل) لهم يا محمد
(نزلہ) يعني نزل القرآن وانما شدده لكثرة نزوله (روح القدس) جبریل المطھر (من ربك) يا محمد (بالحق) بالناسخ والمنسوخ
(ليثبت) ليطيب ويطمئن اليه قلوب (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وھدی) من الضلالة (وبشرى للمسلمين)

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومي لعامر بن { الجزء الرابع عشر } الحضري أو عبدان ﴿ ٦٤٢ ﴾ جبر ويسار كانا يقرآن التوراة

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضري وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي ﴿ لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ﴾ لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ جزءه والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان أعجمي غير بين ﴿ وهذا ﴾ وهذا القرآن ﴿ لسان عربي مبين ﴾ ذوبيان وفصاحة والجلتان مستأفتان لا يطلطن طعنهم وتقديره يحتمل وجهين أحدهما ان ما يسمعه منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولانتم والقرآن عربي

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولونه انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما بنى المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضري يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عميد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى أبافكية ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فرما بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانيا وقد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب الله عنه وانزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما روى ابن سيرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى ﴿ لسان الذي يلحدون اليه ﴾ يعنى يميلون ويشيرون اليه ﴿ أعجمي ﴾ يعنى هو أعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحيا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ يعنى بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصح الكلام ومحمد صلى الله

والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه) وفتح الياء والحاء جزء وعلى (أعجمي) وهذا لسان عربي مبين (أى لسان الرجل الذين يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذوبيان وفصاحة رد القولهم وابطال اطعهم وهذه الجملة أعنى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي لاجل لها انها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال لحد القبر ولحده وهو ملحد وملحد اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا لحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها

بالجنة (ولقد نعلم) يا محمد (انهم) يعنى كفار مكة (يقولون انما يعلمه) يعنى القرآن (بشر) جبر ويسار (لسان الذي يلحدون اليه) يميلون ويشيرون وينسبون اليه (أعجمي) عبراني (وهذا

تفهمونه بادي تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وتأنيها هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بالاجازة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه في بعض اوقات سروره عليه كلمات اعجمية لعلمهم يعرف معناها فطمعهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ لا يصدقون انها من عند الله ﴿ لا يهديهم الله ﴾ الى الحق أو الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اطام شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال ﴿ انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه ﴿ واولئك ﴾ اشارة الى الذين كفروا أو الى قريش ﴿ هم الكاذبون ﴾ أي الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب ولا يصرفهم عنه دين ولا مروءة أو الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه ﴾ بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من اولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليه غضب ويجوز ان يتنصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله ﴿ الامن اكره ﴾ على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لان

عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصح الذي عجزتم انتم عنه واتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أو حاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو أنى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل اليه وروى ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ يعني لا يصدقون انها من عند الله ﴿ لا يهديهم الله ﴾ يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفارهم المفترون فقال تعالى ﴿ انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ يعني انما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش انما انت مفتر ﴿ واولئك هم الكاذبون ﴾ يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فان قلت قد قال تبارك وتعالى انما يفتري الكذب فامعنى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعمت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله ﴿ روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن زني قال قديكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قديكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله قوله تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الامن اكره ﴾

(ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) محمد عليه السلام والقرآن (لا يهديهم الله) لدينه من لم يكن أهلا لدينه ويقال لا يهديهم الى الحجة ولا ينجيهم من النار (ولهم عذاب اليم) وجميع (انما يفتري) يختلق (الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واولئك

هم الكاذبون) على الله (من كفر بالله من بعد ايمانه) بالله فعليه غضب من الله (الامن اكره) الامن اكره على الكفر

الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان ﴿ وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ لم يتغير عقيدته وفيه
 وقلبه مطمئن بالإيمان ﴿ نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه
 سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالمافهذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فامامة أم عمار فأنهار بطت
 بين بعيرين ووجي قبلها مجربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قبيلتين قتلا في الاسلام
 واما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنوا المغيرة عمارا وغطوه
 في بئر ميمون وقالوا لها اكفري بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان عمارا كافر فقال كلا ان عمارا مني إيماناً من قرنه الى قدمه واخلف الايمان بحمته
 ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال
 مطمئنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسمع عينيه وقال ان عادوا لك فعدلهم
 بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم
 بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانا لانراكم مناحق تهاجروا
 فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنواهم عن دينهم فكفروا كارهين
 وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا في أول الاسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة
 وقال مقاتل نزلت في جبرمولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها
 وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى
 المدينة والأولى أن يقال ان الآية عامة في كل من أكرهه على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان
 وان كان السبب خاصا * فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناءه من الكافر
 فامعنى هذا الاستثناء في الامن أكرهه * قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ماشابه ما يظهر
 من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

فصل في حكم الآية ﴿﴾

قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب
 بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايامات القوية مثل
 التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة
 أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فامار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فتمعه الله من أذى المشركين بعنه أبي طالب وأما أبو بكر فتمعه قومه وعشيرته وأخذ
 الآخرون وألبسوا أذراع الحديد وأجلسوا في حرا الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه
 وهو يقول أحداً حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد
 أوقدوا الى ناراً ما أطفأها الا ودك ظهري وأجموعا على ان من أكرهه على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ
 بكلمة تصريحا بل يأتي بالمعاريض وما يؤم انه كفر فلوأكرهه على التصريح بسبب ذلك بشرط
 طمأنينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان
 ياسر وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء

وقلبه مطمئن بالإيمان
ساكن به

(وقلبه مطمئن بالإيمان)
معتقد على الايمان نزلت
هذه الآية في عمار بن ياسر

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يقتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعلهم غضب من الله وان يكون ﴿ ٥٤٥ ﴾ بدلا من المبتدأ { سورة النحل } الذى هو أولئك أى من كفر

بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان يتصب على الذم روى ان ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما أول قتيلين في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كافر فقال كلا ان عمارا ملى ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعدلهم بما قلت وما فعل أبوا عمار أفضل لان في الصبر على القتل اعزازا للاسلام (ذلك) اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب

دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾ اعتقده وطاب به نفسا ﴿ فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ اذلا اعظم من جرمه روى ان قريشا كرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجىء بحربة في قلبها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما اراد وامكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كافر فقال كلا ان عمارا ملى ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فيقول مالك ان عادوا لك فعدلهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كاعمله ابوا الماروى ان مسيلة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماتقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال الآخر ماتقول في محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماتقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهينثاله ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الكفر بعد الايمان أو الوعيد ﴿ بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ بسبب انهم آثروها

من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كسرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فنأكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جازله ذلك لقوله تعالى ولا تلتقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره فقال الشافى رضى الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى انه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾ يعنى قمحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به ﴿ فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ يعنى في الآخرة ﴿ ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ يعنى يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة

والعذاب العظيم (بانهم استحبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أى بسبب اثارهم الدنيا على الآخرة

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) تكلم بالكفر طائعا (فعلهم غضب من الله) سخط من الله (ولهم عذاب عظيم) شديدا شديدا يكون في الدنيا نزلت هذه الآية في عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ذلك) العذاب (بانهم استحبوا الحياة الدنيا) اختاروا الدنيا (على الآخرة) والكفر على الايمان

(وان الله لا يهدي القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصفون الى المواعظ ولا يصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون في الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية { الجزء الرابع عشر } الغفلة ومنهاها ﴿ ٦٤٦ ﴾ (لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون

ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (للذين هاجروا) من مكة أى انه لهم لاعليم يعنى انه وليهم وناصرهم لاعدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لاعليه فيكون محيا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتوا) بالعباد والاكرام على الكفر فتوا شامى أى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يهذبهم على ما قالوا فى حالة الاكراه (يوم تأتى) منصوب برحيم أوباذكر (كل نفس

(وأن الله لا يهدى) لدينه ولا ينجي من عذابه (القوم الكافرين) من لم يكن أهلا لذلك (أولئك الذين طبع الله) ختم الله (على قلوبهم

عليها) وان الله لا يهدى القوم الكافرين ﴿ أى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم من الزيغ ﴾ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴿ فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه ﴾ وأولئك هم الغافلون ﴿ الكاملون في الغفلة عما يراد بهم اذا غفلت الحالة الراهنة عن تدبر العواقب ﴾ لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴿ اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما مضى بهم الى العذاب المخلد ﴾ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا ﴿ أى عذبوا اكتمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر ﴾ ثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك ﴿ وقرأ ابن عامر فتنا بالفتح أى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولا جبراحى ارتد ثم اسلموا وهاجروا ﴾ ثم جاهدوا وصبروا ﴿ على الجهاد وما اصابهم من المشاق ﴾ ان ربك من بعدها ﴿ من بعد الهجرة والجهاد والصبر ﴾ لغفور ﴿ بما فعلوا قبل ﴾ رحيم ﴿ ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد ﴾ يوم تأتى كل نفس ﴿

﴿ وأن الله لا يهدى القوم الكافرين ﴾ يعنى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وأولئك هم الغافلون ﴾ يعنى عما يراد بهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ يعنى ان الانسان انما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بان خسارته وظهر غيبه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر ﴿ قوله عز وجل ﴾ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا ﴿ يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فنتهم المشركون ﴾ ثم جاهدوا وصبروا ﴿ عن الايمان والهجرة والجهاد ﴾ ان ربك من بعدها ﴿ يعنى من بعد الفتنة التى فتنها ﴾ لغفور رحيم ﴿ نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاة وقيل كان أخاه لأمه وفى أبى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبدالله بن أسد الثقفى فنتهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعد ما أرادوا ليسلوا من شرهم ثم أنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية فى عبدالله بن ابى سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية فى السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ يوم تأتى كل نفس ﴿

وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) عن أمر الآخرة تاركون لها ويقال غافلون عن التوحيد جاحدون به (تجادل) لاجرم) حقا يا محمد (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) المغبونون نزلت فى المستهزئين (ثم ان ربك) يا محمد (للذين هاجروا) من مكة الى المدينة (من بعد ما فتوا) عذبوا عذبهم أهل مكة عمار بن ياسر وأصحابه (ثم جاهدوا) العدو فى سبيل الله (وصبروا) مع محمد صلى الله عليه وسلم على المرازى (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة (لغفور) متجاوز (رحيم) بهم (يوم تأتى) وهو يوم القيامة (كل نفس) برة

تجادل عن نفسها) وانما اضيفت النفس الى النفس ﴿٦٤٧﴾ لانه يقال لعين {سورة النحل} الشيء وذاته نفسه وفي تقيضه

منسوب برحيم أو باذكر ﴿تجادل عن نفسها﴾ تجادل عن ذاتها وتسمى في خلاصها
لايتمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ جزاء ما عملت
﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون اجرهم ﴿وضرب الله مثالا قرية﴾ أى

تجادل عن نفسها ﴿يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها أى بما أسلفت من خير وشر اشتغلت
بالمجادلة لا تنفرغ الى غيرها﴾ فان قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس أخرى
فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها «قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد
يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته
والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها وذاتها أيضا والمعنى يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهيمه
غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك
من الاعتذارات ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ يعنى جزاء ما عملت في الدنيا من خيرا أو شرا
﴿وهم لا يظلمون﴾ يعنى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيأ بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة
ولا نقصان روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المؤمنين
والذى نفسى بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لانت عليك ساعات وانت لا يهملك
الانفسك وان جهنم لترفرز فرقة ما يتقى ملك مقرب ولانبي مرسل الاجتاع على ركبته حتى
ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك الانفسى وان تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم
تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ﴿وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخسومة
بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى بدأ بطش بها
ولارجل أمشى بها ولا عين أبصرها ويقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليست
لى بدأ بطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصرها فجاء هذا الروح كشعاع النور
فيه نطق لسانى وبه أبصرت عينى وبه مشت رجلاى فضرب الله لهما مثلا أعى
ومقعد دخلا حائطا يعنى بستانا فيه ثمار فالاعى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل
الاعى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب ﴿قوله نزل وجل﴾ وضرب الله مثلا
قرية ﴿المثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولاً فى شئ آخر بينهما مشابة ليسين أحدهما
الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابة لغيره فى معنى من المعانى أى معنى كان
وهو أعم الالفاظ الموضوعه للمشابة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب
بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أو لم يكن وقد يضرب
بشئ موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شياً
مفروضاً ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل أن
تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على أنها مكة والاقرب انها غير مكة لانها
ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري فى كتابه الكشاف
وضرب الله مثلا قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم
فاطرهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدره على

أوفاجرة (تجادل)
تخاصم (عن نفسها) لقب
نفسها ويقال مع شيطانها
ويقال مع روحها (وتوفى)
توفر (كل نفس) برة أوفاجرة
(ما عملت) بما عملت من خير
أو شر (وهم لا يظلمون)
لا ينقص من حسناتهم ولا

يزاد على سيئاتهم (وضرب الله مثالا قرية) بين الله تعالى صفة أهل مكة أبى جهل والوليدوا أصحابهما

جعلها مثلاً لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النعمة وملكة
 ﴿ كانت آمنة مطمئنة ﴾ لا يزعم اهلها خوف ﴿ يأتيها رزقها ﴾ اقواتها ﴿ رغدا ﴾
 واسعا ﴿ من كل مكان ﴾ من نواحيها ﴿ فكفرت بانعم الله ﴾ بنعمه جمع نعمة على ترك
 الاعتداد بالتاء كدرع وادرع أوجع نعم كبؤس وابؤس ﴿ فاذا قها الله لباس الجوع
 والخوف ﴾ استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لماغشيهم واشتمل عليهم من

هذه الصفة وان تكون في قري الاولين قرية كانت هذه حالها فضرها الله مثلاً ملكة
 انذاراً من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وههنا
 ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين
 نازلة في أهل مكة وما امتنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي
 صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلاً لقريتك أي بين الله لها شهباً ثم قال
 قرية فيحوز ان تكون القرية بدلاً من مثلاً لانهاى الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى
 ضرب الله مثلاً مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرين كلهم قالوا
 أراد بالقرية مكة يعنون انه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزى
 في هذه القرية قولان أحدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو
 الصحيح والثاني انها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم
 الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين
 وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه
 الصفات موجودة في أهل مكة فضرها الله مثلاً لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا
 مثل صنعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف
 المذكور في هذه الآية في قوله فاذا قها الله لباس الجوع والخوف هو البعث والسرايا
 التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيشها في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله
 عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان
 يبعث البعث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده
 وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلاً قرية يعني مكة ﴿ كانت آمنة ﴾ يعني ذات
 أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم ﴿ مطمئنة ﴾ يعني قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال
 عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب ﴿ يأتيها رزقها رغدا ﴾ يعني واسعا
 ﴿ من كل مكان ﴾ يعني يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه
 وتعالى يجي اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو
 قوله وارزق أهله من الثمرات ﴿ فكفرت ﴾ يعني هذه القرية والمراد أهلها
 ﴿ بانعم الله ﴾ جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما
 قابلوا نعم الله التي أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال
 تعالى ﴿ فاذا قها الله لباس الجوع والخوف ﴾ وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم

﴿ كانت آمنة ﴾ من القتل
 والسبي (مطمئنة) لا يزعمها
 خوف لان الطمأنينة مع
 الامن والانزعاج والقلق
 مع الخوف (يأتيها رزقها
 رغدا) واسعا (من كل
 مكان) من كل بلد
 (فكفرت) أهلها (بانعم
 الله) جمع نعمة على ترك
 الاعتداد بالتاء كدرع
 وأدرع أوجع نعم كبؤس
 وابؤس (فاذا قها الله لباس
 الجوع والخوف

﴿ كانت آمنة ﴾ كان أهلها
 آمنين من العدو والقتال
 والجوع والسبي (مطمئنة)
 مقياً أهلها (يأتيها رزقها)
 يحمل اليها من الثمرات
 (رغدا) موسعا (من كل مكان)
 ناحية وارض يحمل اليها
 (فكفرت بانعم الله) فكفر
 أهلها بمحمد صلى الله عليه
 وسلم والقرآن (فاذا قها الله
 لباس الجوع والخوف)
 فعاقب الله أهلها بالجوع سبع
 سنين والخوف من خوف
 حرب محمد صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه

الجوع والخوف ووقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء المعروف لانه يصون مرض صاحبه صون الرداء لما يليق عليه وازاد اليه
الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر
الى المستعار كقواه

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا خاعرو بن بكر
الى الشطر الذي ملكت عيني * ودونك فاعجز منه بشطر

بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة باسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو
الوبر يبالغ بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه
الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما
هذا بك عادت الرجال فبايل النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعنى خوف بعوث النبي صلى الله
عليه وسلم وسراياه التي كان بعثها للاغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم
من العرب فكان أهل مكة يخافونهم * فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فواجه صحتهما
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فواجه صحة ايقاعها عليه وهو أن اللباس
لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذا قمهم الله طعم الجوع * قلت
قال صاحب الكشاف أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا
والشدائد وما عسى الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه
ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به
لاشتماله على اللباس ما عسى الانسان والتلبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة
على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ما يلبس فكانه قيل
فاذا قمهم ما غشيتهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة
ما قال وقال الامام فخر الدين الرازى جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت
لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم
يدوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاط بهم من كل
الجهات فاشبه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق
وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذا قمهم الله لباس الجوع والخوف
الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا أنه تعالى عبر عن
التعريف بافظ الاذاقة وأصل الذوق بالتم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف وهو
الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الينا عذبتها وعذابها

ولباس الجوع والخوف مظهر علمهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير

بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما عسى الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضرر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبسح وأما اللباس فقد شبهه لاشتماله على اللباس ما عشى الانسان والتبس به { الجزء الرابع عشر } من بعض الحوادث ﴿ ٦٥٠ ﴾ وأما ايقاع الاذاقة على لباس

الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما عشى منهما ويلبس فكانه قيل فاذا قمهم ما عشيهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى أهل مكة في سنى القحط بطعام ففرق فهم فقال الله لهم بعد أن أذقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يدي محمد صلى الله عليه وسلم (جلالاطيا) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالبخارات والغصب وخبائث الكسب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عندهم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعجب نظرا الى المستعار ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ بصنيعهم ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم ﴾ يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير لاهل مكة عادلى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم ﴿ فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجذب الشديد أو وقعة بدر ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ﴾ امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما اعم عليهم بعد زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدالهم عن صنيع الجاهلية وهداهاها الفاسدة ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾ تطيعون أو ان

الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسمة فصار التقدير فاذا قمهم الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ ولم يقل بماضت لانه أراد أهل القرية والمعنى فقلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا فى الامن والطمانينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبانفوا فى ايذائه وأرادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولقد جاءهم ﴾ يعنى أهل مكة ﴿ رسول منهم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها ﴿ فكذبوه فاخذهم العذاب ﴾ يعنى الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم فى الآية ﴿ وهم ظالمون ﴾ يعنى كافرون ﴿ فكلوا مما رزقكم الله ﴾ فى الخطابين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثانى انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عادت الرجال فبال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاة الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا ياء معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم ﴿ حلالا طيبا ﴾ يعنى ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم ﴿ واشكروا نعمت الله ﴾ يعنى التى أنعم بها عليكم ﴿ ان كنتم اياه تعبدون

(بما كانوا يصنعون) يقولون ويعملون بمحمد صلى الله عليه وسلم من الجفاء (ولقد جاءهم رسول) محمد صلى الله عليه (انما) وسلم (منهم) من نسبهم عربى قرشى مثلهم (فكذبوه) بما جاءهم به (فاخذهم العذاب) عذاب الله بالجوع والقتل والسبي (وهم ظالمون) كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) من الحرث والانعام والنعيم (حلالا طيبا واشكروا) اذكروا (نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) ان كنتم تريدون عبادة الله بتحريم الحرث والانعام فا-تحلوا فان عبادة

وتحليلهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر أى المحرم هذا دون البهيرة وأخواتها وباقي الآية قدم تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) منصوب بلا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي أو الى القياس المستبطن منه واللام مثلها في قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا) ٦٥١ - حلال وهذا { سورة النحل } حرام بدل من الكذب ولك ان

تنصب الكذب بتصف
وتجمل ما مصدرية وتعاق
هذا حلال وهذا حرام بلا
تقولوا أى ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام وهذا
لوصف ألسنتكم الكذب
أى ولا تحرموا ولا تحلوا
لاجل قول تنطق به ألسنتكم
ويجوز في أفواههم لا لاجل
سجة وبينه ولكن قول
ساذج ودعوى بلا برهان
وقوله تصف ألسنتكم
الكذب من فصيح الكلام
جعل قولهم كأنه عين
الكذب فاذا نطقت به
ألسنتهم فقد حلت الكذب
بجليته وصورته بصورته
كقولك وجهها يصف
الجمال وعينها تصف السخر
واللام في (اتفقوا على الله
الكذب) من التعليل الذي
لا يتضمن معنى الغرض

صح زعمكم انكم تصفون بعبادة الآلهة عبادته ﴿ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴾ لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾ كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الاماضم اليه دليل كالسباع والحر الأهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل مندأ ومتعلق بتصف على ارادة القول أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بنصف وما مصدرية أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لا تحرموا ولا تحلوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السخر وقرئ الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذب أو كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم وبمعنى الكلم الكواذب ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ تعليل لا يتضمن المعنى الغرض

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴿ تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فإمده هنا ﴿ وقوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ يعنى ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لانه غيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعنى البهيرة والسائبة وقال ابن عباس يعنى قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ يعنى لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم

الله في تحليله (انما حرم عليكم الميتة) التي أمر بنجها

(والدم) دم المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وما ذبح بغير اسم الله عمداً والاصنام (فمن اضطر) أجهد الى ما حرم الله عليه (غير باغ) على المسلمين ويقال غير مستحل لا كل الميتة (ولا عاد) قاطع الطريق ويقال متعمداً لا كل غير الضرورة (فان الله غفور) متجاوز باكل الميتة عند الضرورة (رحيم) اذ خصص له أكل الميتة عند الضرورة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) لا تقولوا بألسنتكم الكذب (هذا) يعنى الحرث والانعام (حلال) على الرجال (وهذا حرام) على النساء (لتفتروا) لتختلفوا (على الله الكذب) بذلك

(ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أي متفتتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منقذة قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل { الجزء الرابع عشر } ذى ظفر ﴿ ٦٥٢ ﴾ الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم

(ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومصادهم لذة الهوى لاعصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) الجرائم (رحيم) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه

(ان الذين يفترون) يختلقون (على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجون ولا يأمنون من عذاب الله (متاع قليل) عيشهم في الدنيا قليل (ولهم عذاب أليم) وجميع في الآخرة (وعلى الذين هادوا) ما لو اعن الاسلام يعني اليهود (حرمنا) عليهم (ما قصصنا عليك) ما سميتك (من قبل) من قبل هذه السورة في سورة الانعام (وما ظلمناهم) بما حرمنا عليهم من الشحوم والحجوزم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يضررون أي بذنوبهم حرم الله

﴿ ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفي عنهم الفلاح وبينه بقوله ﴿ متاع قليل ﴾ أي ما يفترون لاجله أو ما هم فيه منقذة قليلة تنقطع عن قريب ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك ﴾ أي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ﴿ من قبل ﴾ متعلق بحرمنا أو بقصصنا ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بالتحريم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تفيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للضررة يكون للعقوبة ﴿ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ﴾ بسببها أو ملتبسين بهاتم الجهل بالله وعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الاقتراء على الله وغيره ﴿ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو ان ربك من بعدها ﴾ من بعد التوبة ﴿ لغفور ﴾ لذلك السوء ﴿ رحيم ﴾ يثيب على الانابة ﴿ ان ابراهيم كان أمة ﴾ توعد المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى ﴿ ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ يعني لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى ﴿ متاع قليل ﴾ يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا يبقاه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ يعني اليهود ﴿ حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾ يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية ﴿ وما ظلمناهم ﴾ يعني بتحريم ذلك عليهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴿ وقوله تعالى ﴿ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ﴾ المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فانما يفعل به بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فن صدر عند فعل قبيح من كفر أو معصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما جهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوا بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى ﴿ ثم تابوا من بعد ذلك ﴾ يعني من بعد عمل ذلك السوء ﴿ وأصلحو ﴾ يعني أصلحو العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه ﴿ لغفور ﴾ يعني لمن تاب وآمن ﴿ رحيم ﴾ يعني بجميع المؤمنين والتائبين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان ابراهيم كان أمة ﴾ ﴾ حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري أنه قال هذا

عليهم (ثم ان ربك) يا محمد (للذين عملوا السوء بجهالة) بتعمد وان كان جاهلا بركوبها (ثم تابوا من بعد ذلك) السوء (مثل) (وأصلحو) العمل فيما بينهم وبين ربهم (ان ربك) يا محمد (من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) متجاوز (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان أمة) اماما

كان وحده أمة من الأمم لكمالها في جميع صفات الخير كقوله ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد * وعن مجاهد كان مؤمنا
وحده والناس كلهم كفارا وكان أمة بمعنى ﴿ ٦٥٣ ﴾ مأوموم يؤمونه الناس { سورة النحل } ليأخذوا منه الخير (قانت الله)

هو القائم بأمره الله وقال
ابن مسعود رضى الله عنه
ان معاذا كان أمة قانت الله
فقيل له انما هو ابراهيم عليه
السلام فقال الامة الذى
يتم الخير والقانت المطيع
لله ورسوله وكان معاذ
كذلك وقال عمر رضى الله
عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته
فانى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول أبو عبيدة
أمين هذه الامة ومعاذ أمة

لله قانت لله ليس بينه وبين
الله يوم القيامة الا المرسلون
(حنيفا) ماثلا عن الاديان
الى ملة الاسلام (ولم يك
من المشركين) انى عنه الشرك
تكذبا لكفار قريش لزعمهم
انهم على ملة أبيهم ابراهيم
وحذف التون للتشبيه
بحروف اللين (شاكر
لأنعمه) روى انه كان
لا ينفدى الامع ضيفا فلم
يجد ذات يوم ضيفا فاخر
غداه فاذا هو بفوج من
الملائكة في صورة البشر
فدعاهم الى الطعام فخيروا له
أن بهم جذاما فقال الآن
وجبت مؤاكلتكم شكرا لله
على انه عاقى وابتلاكم
(اجتبا) اختصه واصطفاه
للبوة (وهده الى صراط
مستقيم) الى ملة الاسلام

لكماله واستجماعه فضائل لانكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله
ليس من الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الذائفة بالحجج الدائمة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك
والظعن في النبوة وتحريم ما حله أولانه كان وحده * واما وكان سائر الناس كفارا وقيل
وهى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنجبة من امه اذا قصدت أو اقتدى به فان الناس كانوا يؤمنونه
للاستفادة ويقصدون بسيرته لقوله انى جاءك للناس اماما ﴿ قانت الله ﴾ مطيعا له قائما بأمره
﴿ حنيفا ﴾ ماثلا عن الباطل ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ كما زعموا فان قريشا كانوا
يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه ﴿ شاكر لا نعم ﴾ ذكر بلفظ القلة
للتشبيه على انه كان لا يحل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة ﴿ اجتبا ﴾ للنبوة
﴿ وهده الى صراط مستقيم ﴾ في الدعوة الى الله تعالى

مثل قول العرب فلان رجة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد
التأني في المعنى الذى يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد
كقوله تبارك وتعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم
صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة
ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعنى
انه كان معلما للخير يأتيه به أهل الدنيا الثانى قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس
كلهم كفار فلهم هذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو
ابن نفيل بيعته الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية
وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه
ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذى يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام
اماما يقندى به دليله قوله سبحانه وتعالى انى جاءك للناس اماما وقيل انه عليه السلام
هو سبب الذى لاجله جعلت أمته ومن تبعه تمتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين
الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام
أمة لانه قام مقام أمة في عبادة الله ﴿ قانت الله ﴾ يعنى مطيعا له وقيل هو القائم بأمر الله
﴿ حنيفا ﴾ مسلما يعنى مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختن
وضمى وأقام مناسك الحج ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ يعنى انه عليه السلام كان من
الموحدين المخلصين من صفه الى كبره ﴿ شاكر لا نعم ﴾ يعنى انه كان شاكر الله على
أنعمه التى أنعم بها عليه ﴿ اجتبا ﴾ أى اختاره لنبوته واصطفاه لخلته ﴿ وهده الى
صراط مستقيم ﴾ يعنى هده الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم

يقندى به (قانت) مطيعا (لله حنيفا) مسلما مخلصا (ولم يك من المشركين) مع المشركين على دينهم (شاكر لا نعم) شاكر
لأنعم الله عليه (اجتبا) اصطفاه بالنبوة والاسلام (وهده الى صراط مستقيم) بثبته على طريق قائم يرضاه

(وآتياء في الدنيا حسنة) نبوة وأموالا وأولادا أو تنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم (وأنه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا إليك أن اتبع مسلة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايذان بان أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه

﴿ وآتياء في الدنيا حسنة ﴾ بان حبيبه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ لمن أهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين ﴿ ثم أوحينا اليك ﴾ يا محمد و﴿ ثم اامتطيته والتنيه على ان اجل ما أوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته أو لتراخي أيامه ﴾ ان اتبع مسلة ابراهيم حنيفا ﴿ في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه ﴾ وما كان من المشركين ﴿ بل كان قدوة الموحدين ﴾ انما جعل السبت ﴿ تعظيم السبت والتعلى فيه للعبادة ﴾ على الذين اختلفوا فيه ﴿ اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض

﴿ وآتياء في الدنيا حسنة ﴾ يعنى الرسالة والخلة وقيل هى لسان الصدق والشاء الحسن والقبول العام في جميع الامم فانه الله حبيبه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلى في التشهد اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه اولادا أبرارا على الكبر ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعنى في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الآخرة لمع الصالحين يعنى الانبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ﴿ ثم أوحينا اليك أن اتبع مسلة ابراهيم ﴾ يعنى دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشرعية ابراهيم الامانخ منها ومالم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر الطبرى أمره باتباعه في التبرى من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله ﴿ حنيفا ﴾ مسلما ﴿ وما كان من المشركين ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وقوله تعالى ﴾ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ﴿ يعنى انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعكم وستة أيام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها ﴿ ق ﴾ عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلوا فيه وآتياء من بعدهم فهذا يوم الذى فرض عليهم فاختلوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فقد لليهود وبعد غد للنصارى « وفي رواية لسلم نحن الآخرون الاولون يوم

وهو الاسلام (وآتياء) أعطيناه (في الدنيا حسنة) ولدنا والحاويقال شاء حسنا ويقال الذكرو الشاء الحسن في الناس كلهم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) مع آياته المرسلين في الجنة (ثم أوحينا اليك) أمرناك يا محمد (أن اتبع مسلة ابراهيم) أن استقم على دين ابراهيم (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) مع المشركين على دينهم (انما جعل السبت) حرم السبت (على الذين اختلفوا فيه) في الجمعة

فألزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحلوا له الحيل وذكرهم
القيامة ونحن اول من يدخل الجنة * وفي رواية اخرى له قال أضل الله عن الجمعة من
كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهذا اليوم الجمعة فجعل
الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لما تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون
يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق * قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم قال
العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في لزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول
الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم * وقوله بيد أنهم يعني غير أهم أو الأهم
* وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهذا ما لله له قال القاضي عياض
الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم
فيه فاختلف ابحارهم في تعيينه ولم يهدم الله له وفرضه على هذه الامة مينا ولم يكلمهم
الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام
أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقبل له دعهم قال القاضي
ولو كان منصوفا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محي
الدين النووي ويمكن أن يكونوا أسروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه
أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين
اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختروا السبت فاختلفوا في السبت
كان اختلافنا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود
اختلفوا قنم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد
الواحدى على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم
معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من
خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاخذ أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتداء فيه بخلق
الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى
بعدهم بزمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا
على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق
يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في
هذا اليوم فاختروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء في
يوم الاحد فمن جعل هذا اليوم عيدنا وهذا الوجهان معقولان فوجه فضل
يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيداء قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق
وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة
عيدا بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف
خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف
الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم

(وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الاسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا { الجزء الرابع عشر } اختلافهم في السبت ٦٥٦ لان بعضهم اختاروه وبعضهم

اختاروا عليه الجمعة فاذن

الله لهم في السبت وابتلاهم

ببحر الصيد فاطاع أمر

الله الراضون بالجمعة فكانوا

لا يصيدون وأعقابهم لم

يصبروا عن الصيد فمسحهم

الله دون أولئك وهو يحكم

بينهم يوم القيامة فيجازي كل

واحد من الفريقين بما هو

اهله (ادع الى سبيل ربك)

الى الاسلام (بالحكمة)

بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو

الدليل الموضح للحق المزيل

للشبهة (والموعظة الحسنة)

وهي التي لا يخفى عليهم انك

تصاحبهم بها وتقصده

ما ينفعهم فيها أو بالقرآن

أي ادعهم بالكتاب الذي

هو حكمة وموعظة حسنة

والحكمة المعرفة بمراتب

الافعال والموعظة الحسنة

أن يخلط الرغبة بالرغبة

والانذار بالبشارة (وجادلهم

بالتى هي أحسن) بالطريقة

التي هي أحسن طرق المجادلة

من الرفق واللين من غير

فظاظة أو بما يوقظ القلوب

ويعظ النفوس ويحول العقول

وهو رد على من أبى المناظرة

في الدين

ههنا تهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله تعالى ﴿ وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ بالجازة على الاختلاف أو مجازة كل فريق بما يستحقه ﴿ ادع ﴾ من بعث اليهم ﴿ الى سبيل ربك ﴾ الى الاسلام ﴿ بالحكمة ﴾ بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزعج للشبهة ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ الخطابات المقنعة والعبارة النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ﴿ وجادلهم ﴾ وجادل معانديهم ﴿ بالتى هي احسن ﴾ بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة

ولم يختاروا لانفسهم شيئاً وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاروه غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمة بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسحوا قرده وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيئاً وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة ﴿ وقوله تعالى ﴾ وان ربكم ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿ يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحققين بالثواب والمبطلين بالعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهوانه لا يخفى عليهم انك تصاحبهم وتقصده ما ينفعهم ﴿ وجادلهم بالتى هي أحسن ﴾ يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثابتة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى يتفهموا وينفوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني هم أصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أي ادع هؤلاء بالموعظة

(وان ربكم ليحكم بينهم) بين اليهود والنصارى (يوم القيمة فيما كانوا فيه) في الدين (يختلفون) يختلفون (ادع الى سبيل ربك) (الحسنة) الى دين ربك (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) عظمهم عواظ القرآن (وجادلهم بالتى هي أحسن) بالقرآن ويقال بلا اله الا الله

(ان ربك هو أعلم عن
ضل عن سبيل وهو أعلم
بالمهتدين) أى هو أعلم بهم
فمن كان فيه خير كفاء الوعظ
القليل ومن لا خير فيه
عجزت عنه الخيل (وان
عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به)
سمى الفعل الاول عقوبة
والعقوبة هى الثانية لازدواج
الكلام كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها فالثانية ليست
بسيئة والمعنى ان صنع بكم
صنيع سوء من قتل أو نحوه
فقابلوه بمثله ولا تزيدوا
عليه روى ان المشركين
مثلوا بالمسلمين يوم أحد
بقروا بطونهم وقطعوا
مذاكيرهم فرأى النبي عليه
السلام حزة مبقور البطن
فقال أما والذي أحلف به
لأمثلن بسبعين مكانك
فنزلت فكفر عن عينه وكف
عما أراده ولا خلاف في
تحريم المثلثة لورود الاخبار
بالنهي عنها حتى بالكلب
العقور

(ان ربك هو أعلم عن ضل
عن سبيله) عن دينه
(وهو أعلم بالمهتدين)
لدينه (وان عاقبتهم) مثم
(فعاقبوا) فثأروا (بمثل
ما عوقبتهم) مثم (به) بالاموات

من الرفق واللين واثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع في تسكين
لهبهم وتبيين شعبهم * ان ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * أى انما
عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله
اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم * وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به * لما مره
بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من شايه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصرهم
فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والتدح
في دين الاسلام والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى

الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله
وجادلهم بالتي هى أحسن حتى يتقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن
يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم
بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هى أحسن
أى أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال
بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف * ان ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين * يعنى انما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعأؤهم بهذه الطرق
الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى كل عامل بعمله * قوله سبحانه وتعالى
* وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به * نزلت هذه الآية بالمدينة في سبب شهداء أحد
وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تقيير البطون والمثلة
السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبى عامر الراهب وذلك
أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا
ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لتربين على صنعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب
بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عم حزة بن عبدالمطلب وقد جددوا أنفه
وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فوضعتها
ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أما نالوا أكلتها لم تدخل النار أبدا حزة أكرم على الله من أن يدخل شياً من جسده النار
فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عم حزة نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان اوجع
لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الافعال
للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من
من أفواج شتى ما والله انى أظفرنى الله بهم لا مثلن بسبعين منهم * كانك فانزل الله عز وجل
وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك
عما أراد وكفر عن يمينه * عن أبى بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون
رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حزة فثأروا بهم فقالت الانصار انى أصبنا منهم يوم مثل
هذا لتربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به

حزرة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لأثمن بسبعين مكانك فتزلت فكفر عن
عينه وفيه دليل على ان المقتص ان ياتل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو
تعريضاً بقوله وان عاقبتم فاعقبوا وتصبروا على الوجه الآكذب قوله ﴿ولئن صبرتم لهو﴾ أي
الصبر ﴿خير للصابرين﴾ من الانتقام للمتقنين ثم صرح بالامر به لرسوله صلى الله تعالى
عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه وثوقه عليه فقال ﴿واصبر وما صبرك الا بالله﴾
الاتوفيقه وتثبيتته ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم
﴿ولائك في ضيق مما يمكرون﴾ في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كفوا عن القول الاربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿وأما
تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول باسم الثاني
للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثله ونحوها فقبولوه بمثله ولا تزيدوا
عليه وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية
في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبت في استيفاء القصاص فاقصصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه
فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورجته وفي الآية دليل على أن
الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بان الترك أولى
فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم
انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾
يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيراً من استيفاء
القصاص وفيه أجر للصابرين العافين

فصل

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتل ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا
قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله
الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامه
فلا يحل له ان يتال من ظلمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن
سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الادب
في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء
لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ واصبر وما صبرك
الابالله ﴿الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم بالصبر واعلم ان صبره بتوفيقه ومعونته ﴿ولا تحزن عليهم﴾ يعني على الكافرين
واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى
رحمة الله ورضوانه ﴿ولائك في ضيق مما يمكرون﴾ يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب

(ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين) الضمير في
لهو يرجع الى مصدر صبرتم
والمراد بالصابرين المخاطبون
أى ولئن صبرتم لصبركم
خير لكم فوضع الصابرين
موضع الضمير ثناء من الله
عليهم لانهم صابرون على
الشدائد ثم قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم (واصبر
أنت فعمز عليه بالصبر) وما
صبرك الا بالله) أى بتوفيقه
وتثبيتته (ولا تحزن عليهم)
على الكفار ان لم يؤمنوا على
المؤمنين وما فعل بهم الكفار
فانهم وصلوا الى مطلوبهم
(ولائك في ضيق مما
يمكرون) ضيق مكي والضيق
تخفيف الضيق أى
في أمر ضيق ويجوز أن
يكونا مصدرين كالقيل
(ولئن صبرتم) عن المثلة
(لهو خير للصابرين)
في الآخرة (واصبر) يا محمد
على أذاهم (وما صبرك الا بالله)
بتوفيق الله (ولا تحزن عليهم)
على المستهزئين بالهلاك
(فلاك في ضيق) ولا يضيق
صدرك (مما يمكرون) مما
يقولون ويصنعون لك

وفي النحل وهما القتان كالقول والقبيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ والمعاصي ﴿ والذين هم محسنون ﴾ في اعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها أو وليته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

والقول والمعنى ولا يضيقت صدرك من مكرهم فانه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات قيل من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله ومعيته نصرته في المأمور وعصمته في المحذور

(ان الله مع الذين اتقوا) الكفر والشرك والقواحش (والذين هم محسنون) بالقول والفعل موحدون

قال الشهاب الدين الحفاجي والحديث المذكور وقع في التفاسير مروياً عن ابى بن كعب رضى الله عنه وهو موضوع كما قاله العراقي

مكرهم فان الله كما يك وناعرك عليهم قريء في ضيق بفتح الضاد وكسرهما فليل هما لغتان وقال أبو عمر والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأماما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعملى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولاتك في أمر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلاً في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلاً فيك الا ان الفائدة في قوله ولاتك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ أي اتقوا المثابة والزيادة في القصاص وسائر المناهي ﴿ والذين هم محسنون ﴾ يعني بالفروع الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني ان أردت أيها الانسان ان أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكال الانسان ان يعرف الحق لذاته واخيراً لاجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيك بخواتم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم بحمد الله تعالى الجلد الثالث وبلية انشاء الله تعالى

الجلد الرابع اول سورة الاسراء

الحمد لله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وخفياً وجهاً على اتمام طبع «الجلد الثالث» لقد بذلنا جهدنا وطاقتنا على حسب القوى البشرية في تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه مع رفيق المصحح في دار الطباعة العثمانية اعني الحاج طاهر افندي القنوي المدرس بجامع سلطان بايزيدولى فرحم الله امرأً نظراً فيه بعين الانصاف فسامح ووقف في التصحيح على خطأ فأصلح واعوذ بالله من حاسد اذا حسد وبني واستغفره

جل اسمه من قلم زل وسنهي او حرف شيئاً

عن موضعه وطني وهو حسي ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

وانا الفقير المصحح

في دار الطباعة العاصرة

احمد رفعت بن

عثمان حلمي